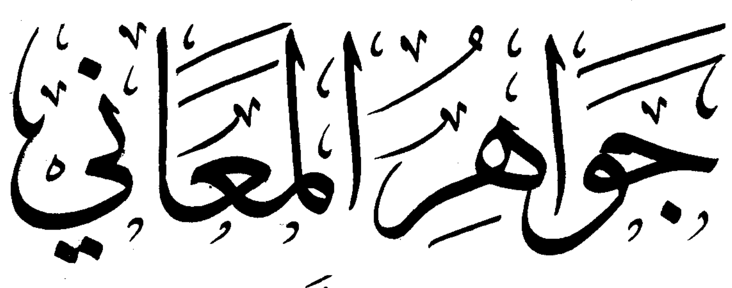


وبلوغ الأماني

في فيض سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه

للعالم العلامة القدوة
سيدي علي حرازم ابن العربي برادة
المغربي الفاسي رحمه الله تعالى

ضبطه وصححه وخرج آياته
عبد اللطيف عبد الرحمن

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خير الأنام أجمعين وسيد المرسلين.

. إننا نهدي لقارئنا الكريم كتاب (جواهر المعاني وبلوغ الأماني) في فيض سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه، للعالم العلامة والقدوة الفهامة سيدي علي حرازم ابن المغربي براده المغربي الفاسي رحمه الله.

ـ هذا الكتاب لكل مسلم في العالم أراد أن يهتدي بهداية الله ونور المصطفى، إلى كل من أعطى فكراً، وأبدع فناً، قدّم جهداً وبرهن فيها على أصالة الأمة العربية وحضارتها الإسلامية.

ـ نضع بين أيديكم الشرح للمعجزة الكبرىٰ التي جاء بها الرسول الكريم ﷺ من عند الله ألا وهي «القرآن الكريم» وسنة رسوله حيث عجز العلماء والفقهاء والكتاب والمفسرين من أن يأتوا ولو بسورة، أو آية مثل آياته، هذه.

ـ ولما للغة العربية من أهمية كبرىٰ أنّ القرآن الكريم جاء بها على لسان رسوله (ص).

ـ إنّ هذا الكتاب هو ثمرة جهدٍ عظيمٍ، ودأب كبير لمراجعة الكثير من أُمهات الكتب الإسلامية التي تفسر قول الله ورسوله (ص)، ظاهراً وباطناً وبما وضعها رجال السلف بما عُرف عنهم من صبرٍ وإخلاصٍ.

ـ إنّ شيخنا وسيدنا رحمه الله لم يترك لنا مجالاً إلا وبحث فيه، فقد ضمّن هذا الكتاب عدة أبواب وفصول في التعريف عن مولده، وأبويه وعشيرته الأقربين وفي نشأته وبدايته ومجاهدته، وأخذه طريق الرشاد والهداية. وفي مواجده وأحواله، ومقامه المتصف به وكماله، وسيرته السّنية وأخلاقه وحسن معاملاته مع إخوانه، وفي كرمه وسخائه، وعظيم فتوته، ووفائه وخوفه وعلو همته، وورعه وزهده وموعظته وفي ترتيب أوراده، وأذكاره، وذكر طريقته وقدّم شروح الكثير من أحاديثه (ص).

ـ عسى أن يجدَ فيه إخواننا القُراء، وأبناء شعبنا العربي الإسلامي في جميع أصقاع

العالم خير زادٍ وفائدةٍ في الحفاظ على تراثنا الإسلامي في بناء الشخصية العربية، وجلاء التاريخ الحضاري.

ـ آملين أن نتمكن بذلك من تعميق روح الإسلام وترسيخ مبادئه في أذهان إخواننا المسلمين.

والله من وراء القصد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفاضَ على أوليائه وأحبائه وأصفيائه، من النور الأحمدي أنواراً، واصطفاهُم من مكنون سره وجوهر علمه ودرره معارف وأسراراً، وحلاهُم بحلية سنائه وحلل جماله وبهائه، وأطلعهم في سماء التوحيد أقماراً، فاستضاءت بأنوارهم الخليقة وسلكوا بهم من الدين طريقه، وتبوؤوا منه وطناً وقراراً، وصاروا للسالكين هداية وعلماً بالمحجة وآية وبروزا بكل لاحق مناراً؛ فلولاهم ما سلك من تلك السبل فجاجها ولا قوم من ضلع النفوس اعوجاجها، ولا تبين لها الهُدى استبصاراً، فسبحانَ منْ خصهم بالحكمة والنور، وشرح بهم القلوب والصدور، وجعلُهم للدين أعواناً وأنصاراً، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا مُحمد الذي من فيض بحره يغترفون، ومن روض مواهبه يقتطفون، ويجتنون ثماراً وأزهاراً، ومن نورهِ يستمدون وعنه يرثون ويستبدون، وعليه يحوم كلهم مراراً، فما من نعمة واصلة؛ أو رحمة متراسلة، إلاّ على يديه أرسلت مدراراً، فهو باب الله العظيم وصراطه المستقيم وغيثه النافع إكثاراً، فلولا طلعته الكريمة وإمداداته العميمة الفاتحة قلوباً وأبصاراً، ما استطعم لذيذ الوصل ونعيمه، ولا عرف كأس الحب ونديمه، ولا استنشق صب من شميمهِ عراراً ﷺ، وعلى آله المُكمل شرفهم بشرفه وكماله، السامين مجداً وفخاراً، وعلى صحابته الأبرار المُنتخبين الأخيار مُهاجرين وأنصاراً.

(وبعد): فإنَّ منْ أحسن ما يصرف إليه الإنسان اهتمامه، ويصرف فيه لياليه وأيامه، ويعمل فيه فكره وأقلامه، ويجعل ذكره نديمه ومدامه، ويتخذه محراب وجهه وأمامه، ويقصد فيه سمته وأمامه، ويقتني ذخره الأسنى ويجتلي بكره الحسنى، ويقتبس من مشكاة نوره ويستضيء بشموسه وبدوره، ويرتع في خمائله ورياضه ويكرع من موارده وحياضه، ويتضمخ منه بأزكى عرف وطيب، ويتذكر به المنزل والحبيب، محاسن أهل الله الأولياء وخاصته الأصفياء حزب الله؛ وأهل حضرته الفائزين بشهوده ونظرته المجذوبين إليه والمحبوبين لديه الواقفين بين يديه، والعاكفين عليه. الساجدة لله على الدوام قلوبهم، والحافظة لعهده سرمداً شهادتهم وغيوبهم، مظاهر آيات المُصطفى ونوابه الخلفا، الواردين من منهله الأروى والشاربين منه زلالاً صفواً، المتخلقين بشيمه وخلاله، والمتبعين لأقواله وأفعاله، فإلى سماع ذكرهم ترتاح القلوب، وتشتاق به إلى علامِ الغيوب، وتنتشط بذلك من عقالها لفعل الطاعات وأدائها، فإنَّ كثيراً من الناس حملُهم على ذلك حتى أثار منهم

العزم والقوة والجد والتشمير، وبلغوا إلى أَنْ حاسبوا أنفسهم على النقير والقطمير، ولم يرضوا منها إلاّ باللحوق بمعالي الأمور والمُسارعة إلى ما تحمد عاقبته بدار السرور، ونزهوا جوارحهم عن دنس المُخالفات، وارتكاب السيئات، وقاموا بوظائف الدين من فعل المأمورات واجتناب المنهيات، وجادوا في رضا محبوبهم بالأرواح والنفوس، وتلقوا ما جاء عنه على الأكف والرؤوس، فصارت أخبارهم وشمائلهم تُتلى وتُكتب في الطروس.

فقد بلغنا عن بعضهم أَنَّهُ قال: والله لأزاحمّن أصحاب مُحمد ﷺ في أفعالهم حتى يعلموا أنّهم قد خلفوا وراءهم رجالاً، أو كما قال رضي الله عنه، فانظر رحمكَ الله إلى هذه الهمة العلية كيف لم ترض إلا بالرتب السنية، وما ذاك إلا حين سمعت بفعل الأوائل اشتاقت وصحبها التنافس فجدت في طلب ذلك. قاله الله تعالى: ﴿في ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين: ٢٦]. اللهم ارزقنا همة عالية تبلغنا بها إلى كل أمر محمود، ونية صادقة تحجزنا بها عن كل ما يوجب الصدود، وقيل:

إنْ شئت أنّك تظفر فكُن في حُبك صادق

عن ساقِ عزمك شَمّر وانبذ جميع العلائق

سر الموالي ما يظهر إلا على مَنْ هو عاشق

فهذه أيُّها المُحب، فائدة وجودهم وظهورهم، وسماع أخبارهم على وجه الإيجاز والاختصار وما يعلم جنود ربِّك إلا هو، وبالجملة فنعم الله علينا لا تحصى، وما غاب عنا أكثر فله الحمد حتى يرضى، فإنا لو تتبعنا ما للقوم رضي الله عليهم من الأقوال، وما منحوا به من محاسن الخلال، لكان لا يسعنا الوقت لضيق الزمان، فلنقبض العنان عن التتبع لأقوال من يغترفون من بحر المواهب والامتنان، ويقتطفون أزهار اللطائف والمعارف من معدن الجود والإحسان، وكيف لا، وهم القوم الذين اصطفاهُم الحق لخدمتِه، وجعلهم أهلاً لمُناجاته وحضرته، وأشهدهُم أنوار جماله وإحسانه وأجلسُهم على بساطِ كماله وامتنانه، وهم القوم الذين شربوا من محبته فطابوا، وتحيرت قلوبهم في عظمته فغابوا، فنالوا من مولاهم ما طلبوا وساعدهُم الوقت فيما رغبوا، فهم السادات والأمراء والسلاطين في زي الفقراء، الذين صلحوا أنْ يكونوا قادة لخليقته، مُمتثلين قائمين بخدمته على وفق حكمه ومشيئته، فلا تصفو الحياة إلاّ بهم، ولا تطمئن القلوب إلا بذكرهم، وحين هاجت القريحة بحبُهم صاحت ونادت في حيهم على جهة الافتخار بقربهم؛ فقالت:

فوالله ما طابَ الزمانُ إلا بهم فلولاهم ما كنتُ أرضى بعيشتي

فما العيش إلاّ بينهم تحت ظلهم وهم راحتي أنسي وسؤالي وبُغيتي

لقد سكنوا قلبي ومالي غيرهُم عليهم من الرَّحمن أزكى تحيةِ

فلتحمد أيها العاشق لجمالهم، والمحب لطريقهم وكمالهم، وقر عيناً بهم وتعلق بأذيالهم، ولا تلتفت إلى شيء يصدك عن جنابهم، ولتغتبط بما أرسمه لك في هذا المكتوب الكريم، من شمائل وخصائص هذا الشيخ العظيم الذي لم يسمح الزمان بمثله إلا في القديم، ولله در القائل حيث يقول:

محاسنُ أهل الله لا شك جمة ... وما قصبات السبق إلا لتجانِ

فبوأهُ الفردوس والخلد ربه ... وجنة عدن بين حورٍ وولدانِ

وجنةُ مأواهُ ودار قرارهِ ... ومقعد صدقٍ في رياضٍ وريحانِ

وقال غيره في هذا المعنى رحمهُ الله:

آليت وهو أنا المبرور في قسمي ... ما سمحت به في الأعصارِ أزمانُ

نعم وحقق يقينا غير متهم ... ما ولدت مثله في الدهر نسوانُ

وإن ممن أكرمُه الله بهذه الكرامة، وأحله بمكانتها، وأقامه وأنزله منها أعلى مرتبة ومرقبة وأولاه منها أعظم آية ومنقبة، وحاز في مربعها الخصيب أكبر حظ وأوفر نصيب، شيخنا وسيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا، الشيخ الواصل القدوة الكامل الطود الشامخ العارف الراسخ، جبل السنة والدين وعلم المُتقين والمهتدين، العلامة الدراكة المُشارك الفهامة الجامع بين الشريعة والحقيقة، الفائض النور والبركات على سائر الخليقة، الواضح الآيات والأسرار، ومعدن الجود والافتخار، البحر الزاخر الطام المعترف بخصوصيته الخاص والعام، نادرة الزمان ومصباح الأوان، الشريف العفيف ذي القدر المنيف: أبا العباس مولانا أحمد إبن الولي الشهير العالم الكبير الشيخ الإمام القدوة الهمام، المُدرس النفاع النبوي الأتباع: أبي عبد الله سيدي مُحمد بن المختار التجاني رضي الله عنهما. وإني لما منَّ الله عليّ بمعرفتهِ والانحياش إلى حزبهِ وزمرته، ورأيت من شيمِه وشمائله ومحاسنِه وفضائلهِ وسمعتُ من كلامهِ ومعارفه وإشاراته ولطائفه، ما عز وجوده وقل وروده وعدم مثله وفقد شكله، مما هو جدير أَنْ يفاد ويستفاد ويقصد إليه ويراد، وتسطره في الطروسِ الأقلام، وتدونه في الدواوين الأعلام؛ حداني ذلك مع ما طلبه مني بعض الإخوان والأحباء الأعيان، أَنْ أتعرض لما تيسر لدي وساقُه الله إليّ، من التعريف به وبطريقته وعرفانه وتحقيقه ونشأته وسيرته، وخلقه وشيمته وكلامه وإشارته، ومُكاشفته وكرامته، وغير ذلك من مآثرِه وآيته.

فجمعت في هذا التأليف ما استحضرتهُ من ذلك مما هو بعض ما هنالك، إسعافاً لمن طلب وإتحافاً لذوي الرغب وإعانة لذوي الاعتبار وإبانة لذوي الاستبصار، وإفادة لأهل المحبة والوداد وهداية لذوي الانتساب والاستناد؛ إذ التعلق بأهل الله واللياذ بجنابهم والانحياش إليهم والوقوف بأبوابهم، تعلق بجناب الله الكريم ووقوف ببابه العظيم وتعرض

لرحمته العميمة ورحمته الجسيمة، وفي حديث الطبراني: «إنَّ لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها لعله أنْ تصيبكُم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً»، فيا فوز الذين نهضوا إليها، وتعرضوا لها فاستمدوا من تلك النفحة مداداً، وإن كان عند ذكرهم كما في الأثر الموقوف تتنزل الرحمات وتنم عواطف النسمات؛ فما بالك بنشر محاسنهم ومفاخرهم وتعداد مناقبهم ومآثرهم، وذكر سيرهم النبوية وأخلاقهم المصطفوية التي هي هدى ونور وشفاء لما في الصدور، ودواء للقلوب وجلاء للكروب، وفتح للبصائر ونفع للسرائر وهدى للسالك والسائر، يطرب السامع حديثها ويحث الأشواق إلى حضرتهم حثيثها، وما ملئت الدواوين والدفاتر، ولا فاهت الأفواه والمحابر بعد شمائل رسول الله ﷺ وسيره وشيمه الطاهرة وأثره، بأفضل من أخبارهم ومكارمهم ومآثرهم إذ هُم أصحابه الصحبة المعنوية، ومعجزته الباقية السرمدية، ولله در القائل حيث يقول:

يا سادتي يا أفضل السادات ... لأزينن بذكركُم أوقاتي

يا خير صحب مُحمد من بعده ... يا أفضل الأحياء والأمواتِ

ونحن وإنْ لم نكن من الأتباع ولا من الأشياع حقيقة والأتباع، فحول نفحاتهم نحوم ولشيء من بركاتهم نروم:

خُذ ما دنا إنْ فاتك الأجل ... إنْ لم يصبها وابلٌ فطل

وجدير لمن ردد أخبارهم واستمع آثارهم، وأكثر حديثهم وأحب قديمهم وحديثهم، أنْ يدخل ديرهم وينال برهم، أو يعلق منها بفائدة تكون منفعتها عليه عائدة؛ وفي معنى ذلك قيل:

حدث السمع بالمحاسنِ منهم ... فالحديثُ لنا نديم النفوسِ

فإذا ما سقيت منها بكأس ... زالَ عنك منَ العنا كل بوسِ

جعلنا الله ممن أحبهم واتبَّعَ طريقتهم وحزبهم، ورزقنا التلذذ بخبرهم واستحسان سيرهم وأثرهم.

(واعلم): رحمكَ الله، أني لا أستوفي ما لسيدنا وشيخنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه، من المآثر والآيات والمناقب والكرامات، أبد الآبدين ودهر الداهرين، لأني كلما تذكرت فضيلة وجدت فضيلة أخرى، وكلما تدبرت آية رأيت أكبر من أختها إلى هلم جراً، لا سيما رضي الله عنه باق في قيد الحياة لهذا العهد شهر الله شعبان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، فكلما يرد عليك ذكره في هذا التقييد، فإنما هو بعض ما فات مما سلف قبل هذا التاريخ وخلف من خلف، فدونك فإنَّك ستقف إنْ شاء الله على كل شيء شريف وأمر منيف، من كرامات عديدة وأخبار جديدة تكسبك نوراً وتقذف في قلبك

سروراً، فإنَّ النبأ الجديد موقعه في الأسماع لذيذ، وها أنا أذكر لك إنْ شاء الله ما تقر به العيون ويتسلى به كل محزون، مما صح عندي وتقرر وفيه مقنع لمن فهم وتدبر، لأن مآثر هذا الشيخ رضي الله عنه لا تُحصىٰ ومناقبهُ لا تستقصى، فقد شاعت بها الأخبار حيث صار الليل والنهار، وليس يوجد لها حد ولا مقدار، وإنّما نورد صبابة منها وشظية من عدها، فقد يكل عنها القرطاس والقلم ويعيى في طلبها اليد والقدم، فهي في الناس أشهر من نارٍ على علم؛ وقد صدقَ الشاعرُ في بيته حيث يقول:

فسل عنهُ أهل العلم والعقل والحجا ومنْ كان ذا علم وكل ذوي النسك

ولكن، أذكر لك جملة تستحليها أذن السامع وتذرف لها العيون بالمدامع وينتفع بها إنْ شاء الله العاصي والطائع، من كلام سمعتُه منه، أو كتبتهُ من خطه أو أخبار في سيره تلقيتها من أصحابه وملازميه، وما شاهدته من ذلك وبعضها من خط غيره، ولم أكتب شيئاً من أحد حتى أتثبت فيه وأتحرى الصدق ممن يحكيه، ولكن الظن بهم جميل، إذ كل من نقلت عنه أو رويت، موسوم بسمة الصلاح فيما رأيت؛ فإنَّهم أهل سيادة وأهل ديانة وأهل محبة وأهل صيانة، وكل يقتدى بقوله. جعلني الله وإياكُم من المُنخرطين في سلكه، ومن المحسوبين في حزبه، وممن عرف قدره وقدر محبه، بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه، فإنَّ منْ تشبث بأذيالهم بلغ المأمول، وكان فيما يرومه قريب الوصول. فابسط أيها المُحب أيدي الضراعة عند ذكرهم، وقف متذللاً عند بابهم، وقل بلسان الافتقار: اللُهمَّ ارحم عبدك الضعيف، وإنْ كان على الجور والتطفيف فقد قال تعالى على لسانِ رسوله ﷺ: «**أنا عند المُنكسرة قلوبهم من أجلي**»، فالتذلل والافتقار خير ما يقتني العبد في هذه الدار.

(واعلم): رحمكَ الله، أني شرعتُ في ابْتداء هذا الكتاب المُبارك أوائل شعبان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، بفاس حرسها الله بعين رعايته، وأرجو من الله أن يرزقنا خيره إنهُ رحيم ودود، ولم أكتب منه حرفاً إلاّ بعد الاستخارة النبوية واللجأ إلى الله والافتقار إليه من كل البرية، فنسأله سُبحانه أنْ يلهمنا فيه إلى حُسن الصواب إنهُ كريم وهاب، وما مثلي منْ يتجاسر على جمع كلام أولياء الله تعالى وشمائلهم، ويتعرض لمسائلهم ومواهبهم؛ لكن لما رأيت خطأ أصحاب سيدنا رضي الله عنه تقاصرت عن جمعِ كلامه، واستولت عليهم الغفلة في التقاط علومه وأسراره، وصار الكدح والجد والسعي إنما هو مقصور على الفاني، وله كل شخص يعاني، أخذت في التقاط هذه الدرر في هذه الفترة وهذه الكسرة حين بذل كل واحد فيه جهده وجعل في ذلك نيته وقصده، وعلمت أنَّ كل كاسد لا بد أن يطلب وعما قليل يبحث عليه ويرغب، وربما طولب في بعض الأحيان، فلا يوجد لعزته عند من يعرف قدره وقدر قيمته، فألزمتُ نفسي القعود إليه وصرفتُ الهمة لطلبه وجمعه

وكل يعطي على قدر طاقته ووسعه، استرجاء لهذه الهمة الدنية المشوبة بالأفعال الردية، على الله أنْ يثيبها بقول خير البرية حيث قال: «**وأوجبُ المرء مع منْ أحب**»، وقوله ﷺ: «**مَنْ أحب قوماً كان منهُم**»، وما يقال: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

اللهم كما مننت علينا أولاً بمعرفتهم، فلا تحجبنا عن محبتهم ورؤيتهم، واحملنا على سنتهم وطريقتهم، ولا تحل بيننا وبينهم حتى تحلنا محلهم، وتدخلنا مدخلهم يا رب العالمين، وأسألك اللّهم أَنْ تغفر لنا ما طغى به القلم وزلت به القدم فإنَّك أنت الله ذو الجود والكرم، وأسألك أنْ لا تجعل ما نسطره حجة علينا واجعله حجة لنا يا رب العالمين، ومن لنا بالكمال، ونحن محل النقص والخطأ قاصرين في السعي عن مد الخطى، لكن الظن بالسادات جميل إذ هم محل الكرم الجزيل، وحاشا لمن تعلق بأذيالهم أَنْ يهملوهُ أو تحيز لجنابهم أنْ يتركوهُ، فإنَّ طفيلي ساحتهم لا يرد، وعن بابهم لا يصد، ولله در قائلهم:

هُم سادتي هُم راحتي همُ منيتي   أهل الصفا حازوا المعالي الفاخرة
حاشا لمن قد حبهم أو زارهم   أنْ يهملوهُ سادتي في الآخرة

(وقال غيره):

ولي بصحبتكُم فضل على الناس   وكل من حبكُم ما بهِ من باس
أنتم مرادي وما في الكون غيركُم   لولاكُم لم تطب نفسي وأنفاسي
لا تهملوني فإني عبد حضرتكم   محلكُم سادتي مني على الرأس

وأرغب لمن طالع مكتوبنا هذا أنْ يغضَ عنه عين الانتقاد، ويسمح لنا ما يلقاهُ من التصحيف والتحريف، والزيادة والتطفيف، ويصلحَ ما وجد فيه من الخلل، ويقابلَ جهلنا بالصفح والإغضاء وحسن العمل، فإنّا لسنا من أهل العلم ودرايته، ولا من أهل النحو وصناعته، وإنما حملنا على ذلك شدة حبنا في أهل هذا الجناب، وتعلقنا بهؤلاء الأحباب، ومن أقام لنفسهِ عذراً سقط عنه اللومَ، وفيه يقول القائل:

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذَنْبهُ   وكلُ امرىءٍ لا يقبلُ العذرَ مذنبُ

وقد آن لنا أنْ نذكر بَعد هذا ما رمناه، ونوضح للسامع ما به وعدناه، من ذكر فضائل هذا الشيخ رضي الله عنه، وأخبارُه وأَقوالهُ وأفعاله وآثاره، وما لاح على القلوب والأرواحِ من أنوارِه، وأسرارِه، وأحزابِهِ، وأورادِهِ، وأذكارِهِ لتطمئنَّ به القلوبُ والنفوسُ، وتطلعُ من بعد ليلِ الوحشةِ نهارُ التذكرةِ البدورُ والشموسُ. (فأقول): وبالله أستعين، فهو حسبي ونعمَ الحسبُ ونعم المعينُ، مضمناً أبوابهُ وفصوله وتراجمه وأصوله في ستة أبوابٍ ومقدمة وخاتمة في العدد، والله أسأل أَنْ يمدّنا منه بحسن المدد، فهو جل وعلا الواحد الفرد الصمد:

(الباب الأول): في التعريف به، وبمولده، وأبويه، ونسبه، وعشيرته الأُقربين إليه، ونشأته وبدايته، ومُجاهدته، وأخذ طريق رشده وهدايته، وفيه ثلاثة فصول.

(الباب الثاني): في مواجده وأحواله، ومقامه المُتصف به وكماله، وسيرته السّنية وجمل من أخلاقه السنية، وحسن معاملاته مع إخوانه، وأهل مودته، وفيه ثلاثة فصول.

(الباب الثالث): في كرمه وسخائه، وعظيم فتوته ووفائه، وخوفه وعلو همته، وورعه، وزهده، وموعظته وحريته، ودلالته على الله وجمعه عليه، وسوقه الأقوامِ بحاله ومقاله إليه، وفيه ثلاثة فصول.

(الباب الرابع): في ترتيب أوراده وأذكاره، وذكر طريقته وأتباعه، وفضل ورده وما أعد الله لتاليه، وصفة المريد وحاله، وما يقطعه عن أستاذه، وكيفية الشيخ الذي يتبعه بسائر أقواله وأفعاله، وكيفية السماع، وما يتبعه في سائر لياليه وأيامه، وأدعية شتى أجراها الله على لسانه كما هي عادته الكريمة على قلوب أهل عرفانه، وفيه ثلاثة فصول.

(الباب الخامس): في ذكر أجوبته على الآياتِ القرآنية، والأحاديث النبوية، وفي ذكر رسائله وكلامه وإشاراته، وما سمعته من فيض علومه وتقريراته، وفيه فصول.

(الباب السادس): في جملة من كراماته وبعض ما جرى من تصريفاته، وما اتفق لبعض أصحابه معه من مكاشفاته، أوردتها آخر الأبوابِ لتكونَ مسك ختامه، ويكمل فيها ما يستملح من الكلام على كراماته، ويظفر المحب بمرامه، ويشفي غليل لوعته، وغرامه.

وسميته (**جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني**)، وإلى الله الاستناد وعليه الاعتماد ومنه الفتح والإمداد والتوفيق والإسعاد فهو الكريم الجواد، وبه سبحانه القوة والإعانة، وعليه التعويل في الإتمام والتكميل فلا قوة إلاّ به ولا ركون إلاّ على جنابه، فهو الولي والكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل؛ (فأقول): وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق.



مقدمة

قال الشيخ الشعراني رضي الله عنه في أول طبقاته، ما نصّه مقدمة، في بيان أنّ طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنّة، وأنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء، وبيان أنّها لا تكون مذمومة إلاّ إنْ خالفت صريح القرآن والسنة والإجماع لا غير، أمّا إذا لم تخالف، فغاية الكلام أنّه فهم أوتيه رجل مسلم، فمن شاء فليعمل به، ومن شاء تركه نظير الفهم في ذلك الأفعال، وما بقي باب للأذكار إلاّ سوء الظن بهم وحملهم على الرياء وذلك لا يجوز شرعا. ثم اعلم يا أخي رحمكَ الله أن علم التصوف عبارة عن علم انقدح من قلوب الأولياء، حتى استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بها انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار، وحقائق تعجز الألسن عنها، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حتى عملوا بما علموا من أحكامها؛ فالتصوف إنّما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة، إذا خلا من عمله العلل وحظوظ النفس، كما أنَّ علم المعاني والبيان زبدة علم النحو فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاً صدق، ومن جعله عين أحكام الشريعة صدق؛ كما أنَّ من جعل علم المعاني والبيان علماً مستقلاً صدق، ومن جعله من جملة علم النحو صدق. لكنْ لا يشرف على ذوق أن علم التصوف تفرع من عين الشريعة إلاّ من تبحرّ في علم الشريعة حتى بلغ الغاية، ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحرّ فيه، أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق واجهات ومندوبات، وآداباً ومحرمات ومكروهات، وخلاف الأولى، نظير ما فعله المجتهدون، وليس إيجاب مجتهد باجتهاد شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى، حكمه في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه كما صرح بذلك اليافعي، وغيره. وإيضاح ذلك أنّهم كلهم عدول في الشرع اختارهم الله عز وجل لدينه، فمن دقق النظر علم أنّه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة، والشريعة هي وصلتهُم إلى الله عز وجل في كل لحظة، ولكن أصل استغراب من لا له إلمام بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة كونُه لم يتبحر في علمِ الشريعة، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى: «علمنا هذا مشيد بالكتاب والسّنة» رداً على من توهم خروجهُ عنهما في ذلك الزمانِ وغيره. وقد أجمعَ القومُ على أنّه لا يصلح للتصدر في طريق الله عز وجلِ إلاّ من تبحّر في الشريعة، وعلم منطوقها ومفهومها، وخاصها وعامها، وناسخها ومنسوخها. وتبحر في لغة العرب، حتى عرف مجازاتها

واستعاراتها وغير ذلك؛ فكل صوفي فقيه، ولا عكس وبالجملة، فما أنكرَ أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم، وكان القشيري يقول: لم يكن عصر في مدة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلاّ وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ، وتواضعوا له، وتبركوا به، ولولا مزية، وخصوصية للقوم لكان الأمر بالعكس ا.هـ.

(قلت): ويكفينا مدحاً للقوم، إذعان الإمام الشافعي رحمه الله لشيبان الراعي، حين طلب أحمد بن حنبل يسأله عمن نسي صلاة لا يدري أي صلاة هي؛ وإذعان الإمام أحمد بن حنبل كذلك حين قال شيبان: هذا رجل غفل عن الله فجزاؤه أنْ يؤدب؛ وكذلك يكفينا إذعان أحمد بن حنبل رحمه الله لأبي حمزة البغدادي الصوفي رحمه الله واعتقاده، حتى كان يرسل إليه دقائق المسائل ويقول: ما تقول في هذا يا صوفي؟ فشيء يقف في فهمه الإمام أحمد ويعرفه أبو حمزة غاية المنقبة للقوم؛ وكذلك يكفينا إذعان أبي العباس بن سريج للجنيد حين يحضره، وقال: لا أدري ما يقول، ولكنْ لكلامه صولة ليست بصولة مبطل؛ وكذلك إذعان الإمام أبي عمران للشبلي حين أمتحنهُ في مسائل من الحيض، وأفاده سبع مقالات لم تكن عند أبي عمران. وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن رحمه الله، أنّ الإمام أحمد كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه، ويقول: «**إنّهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم نبلغه**». وقد أشبع القول في مدح القوم وطريقهم، الإمام القشيري في «**رسالته**»، والإمام أحمد بن أسعد اليافعي في «**روض الرياحين**» وغيرهما من أهل الطريق، وكتبهم كلها طافحة بذلك، وقد كان الإمام أبو تراب النخشي أحد رجال الطريق رحمه الله يقول: إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياءِ الله تعالى، وكان شيخنا الشيخ محمد المغربي الشاذلي رحمه الله يقول: اطلبْ طريق ساداتكَ من القوم وإن قلّوا وإياك وطريق الجاهلين بطريقهم وإن جلّوا، وكفى شرفاً لعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر: هل أتبعك على أنْ تعلمن مما علمت رشداً؟ وهذا أعظم دليل على وجوب طلبِ علم الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة. وكل عن مقامه يتكلمُ، ا.هـ.

قلت: وقد رأيتُ مراسلة أرسلها الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه، إلى الشيخ فخر الدين الرازي صاحب التفسير، يبين له فيها نقص درجته في العلم؛ هذا والشيخ فخر الدين مذكور في العلماء الذين انتهت إليهم الرياسة في الاطلاع على العلوم، من جملتها: «اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك، أنّ الرجل لا يكمل في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة. من نقل أو شيخ فإنَّ من كان علمه مُستفاداً من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ من المحدثات، وذلك معلوم عند أهل الله عز وجل، ومن قطع عمره في معرفة المحدثات وتفصيلها، فإنّه حظه من ربه عز وجل، لأن العلوم

المتعلقة بالمحدثات يفنى الرجل فيها ولا يبلغ إلى حقيقتها، ولو أنك يا أخي سلكت على يد شيخ من أهل الله عز وجل لأوصلك إلى حضرة شهودِ الحق تعالىٰ، فتأخذ منه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب ولا سهر، كما أخذه الخضر عليه السلام، فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود لا عن نظر وفكر وظن وتخمين». «كان الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول لعلماء عصره: أخذتم علمكم من علماء الرسوم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، وينبغي لك يا أخي أنْ لا تطلب من العلوم إلاّ ما تكمل به ذاتك، وينتقل معك حيث انتقلت، وليس ذلك إلا العلم بالله تعالىٰ من حيث الوهب والمشاهدة، فإنّ علمك بالطب مثلاً إنّما تحتاج إليه في عالم الأسقام والأمراض، فإذا انتقلت إلى عالم ما فيه سقيم ولا مريض فمن تداوي بذلك العلم؟ فقد علمت يا أخي أنّه لا ينبغي للعاقل أنْ يأخذَ من العلوم إلاّ ما ينتقل معه إلى البرزخ، دون ما يفارقه عند انتقاله إلى عالم الآخرة، وليس المنتقل معه إلا علمان فقط: العلم بالله عزّ وجلّ، والعلم بمواطن الآخرة حتى لا ينكر التجليات الواقعة فيها. ولا يقول للحق إذا تجلى له: نعوذ بالله منك، فينبغي لك يا أخي الكشف عن هذين العلمين في هذه الدار لتجني ثمرات ذلك في تلك الدار، ولا تحمل من علوم هذه الدار إلا ما تمس الحاجة إليه في طريق سيرك إلى الله عزّ وجلّ، على مصطلح أهل الله تعالىٰ، وليس طريق الشكف عن هذين العلمين إلاّ بالخلوة والرياضة والمجاهدة والجذب الإلهي.

وكنتُ أريدُ أنْ أذكر لك الخلوة وشروطها، وما يتجلىٰ لك فيها على الترتيب شيئاً فشيئاً، لكنْ منعني من ذلك الوقت من لا غرضَ لهُ في أسرار الشريعة، ممن دأبهم الجدال حتى أنكروا ما جهلوا، وقيدهم التعصب وحب الظهور والرياسة وأكل الدنيا بالدين، عن الإذعان لأهل الله والتسليم لهم ا.هـ.

وقد ذكر الشيخ محي الدين في الفتوحات وغيرها، أنَّ طريق الوصول إلى علوم القوم: الإيمان والتقوى، قال الله تعالى: ﴿ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السَّماء والأرض﴾ [الأعراف: ٩٦] أي أطلعناهم على العلوم المتعلقات بالعلويات والسفليات وأسرار الجبروت، وأنوار الملك، والملكوت. قال تعالى: ﴿ومن يتقِّ الله يجعل لهُ مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢] والرزق نوعان: روحاني، وجسماني. وقال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٢] أيّ: يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالوسائط من العلوم الإلهية، ولذلك أضاف التعليم إلى اسم الله الذي هو دليل على الذات، وجامع للأسماء، والأفعال، والصفات. ثم قال رضي الله عنه: فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة، ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسّنة أنّ ذلك

إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن لظاهر الآية أو الحديث مفهوم بحسب الناس، وتفاوتهم في الفهم، فمن المفهوم وما جلب له الآية أو الحديث ودلتّ عليه في عرف اللسان، وثم أفهام أخر باطنةٍ تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه. إذ ورد في الحديث النبوي: أنَّ لكل آية ظاهراً وباطناً، وحدّاً ومطلعاً إلى سبعة أبطن، وإلى سبعين، فالظاهر هو المعقول والمنقول من العلوم النافعة التي تكون بها الأعمال الصالحة، والباطن هو: المعارف الإلهية، والمطلع هو: معنى يتحد فيه الظاهر والباطن، والحد يكون طريقاً إلى الشهود الكلي الذاتي؛ فافهم يا أخي، ولا يصدنك عن تلقي هذه المعاني الغريبة عن فهوم العموم من هذه الطائفة الشريفة قول ذي جدل ومعارضة أنّ هذا إحالة لكلام الله تعالىٰ، وكلام رسوله ﷺ، فإنّه ليس ذلك بإحالة لو قالوا: لا معنى للآية الشريفة، أو الحديث إلا هذا الذي قلنا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله تعالىٰ في نفوسهم ما يفهمهم بفضله، ويفتحه على قلوبهم برحمته ومنته، ومعنى الفتح في كلام هؤلاء القوم حيث أطلقوه كشف حجاب النفس، أو القلب، أو الروح، أو السر لما جاء به رسول ﷺ من الكتاب العزيز، والأحاديث الشريفة. إذ الولي لا يأتي قط بشرع جديد، وإنّما يأتي بالفهم الجديد في الكتاب والسّنة الذي لم يكن يعرف لأحد قبله، ولذلك يستغربه كل الاستغراب من لا إيمان له بأهل الطريق، ويقول هذا لم يقله أحد على وجه الذم وكان الأولى أخذهُ منه على وجه الاعتقاد، واستفادته من قائله، ومن كان شأنه الإنكار لا ينتفع بأحد من أولياء عصره، وكفى بذلك خسراناً مبيناً. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: ولقد ابتلىٰ الله تعالىٰ هذه الطائفة الشريفة بالخلق، خصوصاً بأهل الجدال، فقل أنْ تجد منهم أحداً شرح الله صدره للتصديق بولي معين، بل يقول لك: نعمْ نعلم أنّ لله تعالىٰ أولياء وأصفياء موجودين، ولكن أين هم؟ فلا تذكر له أحداً إلاّ ويأخذ يدفعه، ويرد خصوصية الله تعالىٰ عنه، ويطلق اللسان بالاحتجاج على كونه غير ولي لله تعالىٰ، وغاب عنه أن الولي لا يعرف صفاته إلاّ الأولياء، فمن أين لغير الولي أنْ ينفي الولاية عن إنسان؛ ما ذاك إلاّ محض تعصب كما نرى في زمننا هذا من إنكار ابن تيمية علينا وعلى إخواننا من العارفين، فاحذر يا أخي ممن كان هذا وصفه وفرّ من مجالسته فرارك من السبع الضاري، جعلنا الله وإياك من المصدّقين لأوليائه المؤمنين بكراماتهم بمنه وكرمه ا.هـ.

وقال أيضاً: وقد جرت سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه أنْ يسلط عليهم الخلق في مبدأ أمرهم، وفي حال نهايتهم كلما مالت قلوبهم لغير الله تعالىٰ، ثم تكون الدولة والنصرة لهم آخر الأمر إذا أقبلوا على الله تعالىٰ كل الإقبال ا.هـ.

قلت: وذلك لأنَّ المريد السالك يتعذر عليه الخلوص إلى حضرة الله تعالىٰ مع ميله

إلى الخلق وركونه إلى اعتقادهم فيه، فإذا آذاه الناس، ونقصوه ورموه بالزور والبهتان نفرت نفسه منهم، ولم يصر عنده ركون إليهم البتة، وهنالك يصفو له الوقت مع ربه، ويصّح له الإقبال عليه لذهاب التفاته إلى وراء؛ فافهم، ثم إذا رجعوا بعد انتهاء سيرهم إلى إرشاد الخلق، يرجعون وعليهم خلعة الحلم والعفو والستر، فتحملوا أذى الخلق ورضوا عن الله تعالى في جميع ما يصدر عن عباده في حقهم، فرفع بذلك قدرهم بين عباده، وكمل بذلك أنوارهم وحقق بذلك ميراثهم للرسل في تحمل ما يرد عليهم من أذى الخلق، وظهر بذلك تفاوت مراتبهم، فإنّ الرجل يبتلى على حسب دينه قال تعالىٰ: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [السجدة: ٢٤] وقال تعالىٰ: ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ [الأنعام: ٣٤]، وذلك لأن الكمل لا يخلوا أحدهم عن هذين الشهودين، إمّا أنْ يشهد الحق تعالىٰ بقلبه فهو مع الحق لا التفات له إلى عباده، وإمّا أنْ يشهد الخلق، فيجدهم عبيد الله تعالىٰ فيكرمهم لسيدهم، وإنْ كان مصطلماً فلا كلام لنا معه لزوال تكليفه حال اصطلامه، فعلم أنّه لا بدّ لمن اقتفى آثار الأنبياء من الأولياء والعلماء أن يؤذوا كما أوذوا، ويقال فيهم البهتان والزور كما قيل فيهم ليصبروا كما صبروا، ويتخلقوا بالرحمة على الخلق رضي الله عنهم أجمعين، وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لو أنَّ كمال الدعاة إلى الله تعالىٰ كان موقوفاً على إطباق الخلق عليهم على تصديقهم لكان الأولى بذلك رسول الله ﷺ، والأنبياء قبله، وقد صدّقهم قوم، وهداهم الله بفضله، وحرم آخرون، فأشقاهم الله تعالىٰ بعدله.

ولما كان الأولياء والعلماء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام، وفي مقام التأسي بهم، انقسم الناس فريقين: فريق معتقد مصدق، وفريق منتقد مكذب؛ كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام، ليحقق الله بذلك ميراثهم، فلا يصدقهم، ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم، إلاّ مَنْ أراد الله عزّ وجل أَنْ يلحقه بهم، ولو بعد حين، وأما المكذب لهم والمنكر عليهم، فهو مطرود عن حضرتهم لا يزيده الله تعالىٰ بذلك إلاّ بعداً، وإنّما كان المعترف للأولياء والعلماء تخصيص الله لهم وعنايته بهم واصطفاؤه لهم قليلاً في الناس لغلبة الجهل بطريقهم واستيلاء الغفلة، وكراهة غالب الناس أنْ يكون لأحدهم عليهم شرف بمنزلة، أو اختصاص حسداً من عند أنفسهم، وقد نطق الكتاب العزيز بذلك في حق قوم نوح عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ وقال تعالى: ﴿ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون﴾ [الرعد: ١] وقال تعالى: ﴿أم تحسب أَنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤]، وغير ذلك من الآيات، وكان مُحي الدين رضي الله عنه يقول: أصل منازعة الناس في المعارف الإلهية والإشارات الربانية،

كونها خارجة عن طور العقل، ومجيئها من غير نقل ونظرٍ ومن غير طريق العقل، فتكون على الناس من حيث طريقها، فأنكروها وجهلوها، ومن أنكر طريقاً من الطرق عادى أهلها ضرورة لاعتقاده فسادها وفساد عقائد أهلها، وغاب عنه أنّ الإنكار من الجحود والعاقل يجب عليه أنْ يغير منكر إنكاره ليخرج عن طور الجحود، فإنّ الأولياء والعلماء العاملين قد جلسوا مع الله عزّ وجلّ على حقيقة التصديق، والتسليم، والإخلاص، والوفاء بالعهود وهي مراقبة الأنفاس مع الله عزّ وجلّ حتى سلموا قيادتهم إليه وألقوا نفوسهم سلماً بين يديه، وتركوا الانتصار لنفوسهم في وقت من الأوقات حياء من ربوبية ربهم عزّ وجلّ واكتفاءً بقيوميته عليهم فقال لهم فيما يقومون لأنفسهم بل أعظم، وكان تعالى هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم، وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: ولما علم الله عزّ وجلّ ما سيقال في هذه الطائفة على حسب ما سبق به القلم القديم بدأ سبحانه وتعالىٰ بنفسه، فقضى على قوم أعرض عنهم بالشقاء، فنسبوا إليه زوجة وولداً وفقراً، وجعلوه مغلول اليدين، فإذا ضاق ذرع الولي والصديق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك، نادته هواتف الحق في سره: الذي قيل فيك هو وصفك الأصلي لولا فضلي عليك، أما ترى إخوانك من بني آدم كيف وقعوا في جنابي؟ ونسبوا إليّ ما لا ينبغي لي، فإنْ لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض، نادته هواتف الحق أيضاً: ما لك بي أسوة؟ فقد قيل فيَّ ما لا يليق بجلالي وقيل فيَّ ما لا يليق بجلالي، وقيل في حبيبي محمد وفي إخوانهِ الأنبياء والرسل ما لا يليق برتبتهم من السحر والجنون، وأنّهم لا يُريدون بدعائهم إلاَّ إلى الرياسة والتفضيل عليهم. وانظر يا أخي مداوة الحق جلَّ وعلا لمحمد ﷺ حين ضاق صدره من قول الكفار من قوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك، وكنْ من الساجدين﴾ [الحجر: ٩٨] ﴿واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩]، فيجب عليك أيها الولي الاقتداء برسول الله ﷺ في ذلك إذْ هو طب إلهيٌ ودواء رباني، وهو مزيلٌ لضيقِ الصدر الحاصل من أقوال الأغيار، وأهل الإنكار والاغترار، وذلك التسبيح هو تنزيه الله تعالىٰ عما لا يليقُ بكماله بالثناء عليه تعالىٰ بالأمور السلبية، ونفي النقائص عن الجناب الإلهي كالتشبيه، والتحديد، وأمّا التحميد فهو الثناء على الله بما يليق بكماله، وهما مزيلان لمرض ضيق الصدر الحاصل من قول المنكرين، والمستهزئين، وأمّا السجود فهو: كناية عن طهارة العبد من طلب العلو والرفعة، لأنّ الساجد قد فني عن صفة العلو حال سجوده، ولذلك شرع للعبد أنْ يقول في سجوده سبحان ربي الأعلى، وبحمده، وأمّا العبودية المشار إليها بقوله: «واعبد ربك»، فالمراد بها إظهار النية، والتباعد عن طلب العزّ، وهي إشارة إلى فناء العبد ذاتاً وصفةً، وذلك موجب لخلع القرب، والاصطفاء والعز والدنو المشار إليه بقوله: «واسجد واقترب».

وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول كثيراً للشبلي: لا تفشِ سر الله بين المحجوبين، وكان يقول: لا ينبغي لفقيرٍ قراءة كتب التوحيد الخاص إلا بين المصدقين لأهل الطريق، والمسلمين لهم وإلا يخاف حصول المقت لمن كذبهم؛ وكان يقول أبو تراب النخشي رضي الله عنه في حق المحجوبين من أهل الإنكار: «إذا ألف القلب الإعراض عن الله، صحبته الوقيعة في أولياء الله». (قلتُ): ومن هنا أخفىٰ الكاملون من أهل الطريق الكلام في مقامات التوحيد الخاص شفقة على عامة المسلمين، ورفقاً بالمجادل من المحجوبين وأدباً مع أصحاب ذلك الكلام من أكابر العارفين، فكان الجنيد رحمه الله لا يتكلم قط في علم التوحيد إلاّ في قعر بيته بعد أنْ يغلق أبواب داره، ويأخذ مفاتيحها تحت وركه ويقول: «أتحبون أنْ يكذب الناس أولياء الله تعالىٰ وخاصته، ويرمونهم بالزندقة والكفر»؟ ا.هـ.

ومن الأولياء من سد باب الكلام في دقائق كلام القوم حتى مات، وأحال ذلك السلوك، وقال: من سلك طريقهم اطلّع على ما اطلّعوا عليه، وذاق كما ذاقوا، واستغنى عن سماع كلام الناس. وقد طلب أصحاب أبي عبد الله القرشي منه أَنْ يسمعهم شيئاً من علم الحقائق، فقال لهم: كم أصحابي اليوم فقالوا: ستمائة رجل فقال الشيخ: اختاروا منهم مائة، فاختاروا، فقال: اختاروا من المائة عشرين، فاختاروا، فقال: اختاروا من العشرين أربعة فاختاروا، وكان هؤلاء الأربعة أصحاب كشوفات ومعارف، فقال الشيخ: لو تكلّمت عليكم في علم الحقائق والأسرار، لكان أول من يُفتي بقتلي هؤلاء الأربعة.

باختصار من «الطبقات» للشعراني رضي الله عنه: وإنّما أتيت بهذه المقدمة هنا لما فيها من حصول الفائدة ومنفعتها على مطالعيها عائدة، نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً بمنه وفضله لما فيه رضاه، ورضا نبيه إنّه جواد كريم بعباده رؤوف رحيم، ولنختم هذه المقدمة بقاعدة في علم الحقائق، فإنّها نافعة جداً لكل من تمسك بعلوم الحقائق، فأقول وبالله التوفيق، والهادي بمنه إلى سواء الطريق.

اعلمْ أيها الأخ، أنّه لا بد لكلِ فنٍ من فنون العلم من قواعد يضبط بها، فيفزع في مشكلات أحكام كل فن وشوارده وغرائبه ونوادره إلى قواعده، فكما للفقه قواعد، وللإعراب قواعد تُبنى عليها أحكامها، ويرجع إليها في ضبط قوانينه قوانين كل منهما؛ كذلك لأهل الكشف والتحقيق وعلم الأذواق ضوابط وقواعد ينبني عليها صحيح أمرهم، ويعرف بها فاسده من صحيحه، ويرجع إليها عند ورود المشكلات والشوارد والنوادر لضبط أحكامه ومقاصده وها أنا أوطىء لك صدر هذا الكتاب قاعدة جامعة لأصول التحقيق، دافعة عن مراجعها كل إشكال وتوهم وخيال فاسد، وتكون لما يأتي أساساً ومهاداً وأصلاً في معرفة قواعد هذا الفن في هذا الكتاب وغيره، وعماداً فأقول وبالله أستعين:

(قاعدة): اعلم أنّ القاعدة عند أئمة علماء الكشف والتحقيق أنَّ معقولية النسب لا تتبدل، وأنّ الحقائقَ لا تنقلب، فإذا كان النعت والوصف ذاتياً فلا ينقلب إلى غير ذلك، وإنّ الواجب لذاته لا ينقلب جائزاً، والجائز لا ينقلب واجباً، والمستحيل لا جائزاً ولا واجباً، وذلك كالوجود مثلاً، فإنّه لما كان ذاتياً للحق تعالىٰ وجب وجوده، فقيل فيه: موجود وواجب وجوده، لأنّ وجوده بذاته لذاته، فهو له ذاتي، فكان واجباً؛ ولما كان العدم للممكنات ذاتياً، لم ينقلب إلى غير ذلك الوصف الذي هو العدم، فالعدم لها ذاتي والوجود عرض لها في حيطة الجواز يجوز طروؤه على الممكن وعدم طروؤه، وكذلك البطون لما كان لذات الحق ذاتياً لم ينقلب إلى غير ذلك، وإلى البطون الذاتي لذات الحق تعالىٰ وتقدس الإشارة بقوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً»، وتسميته تعالىٰ بالاسم الباطن، فمقتضى حقيقة هذه النسبة التي هي البطون، والخفاء، والغيب المطلق الذاتي أن لا يقع فيها تجل أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ إذْ التجلي عبارة عن ظهور الحق تعالىٰ بأي تجل كان وغاية علم العلماء بالله بأنْ يعلموا ما ظهر للعلم وأدركه، وما ظهر للقلب وأدركه في أي وجه من وجوه الإدراك، فخارج عن حقيقة مقتضى نسبة البطون، وإنّ غايةَ ما يتعلق به العلم ويدركه حصول العلم بوجود الباري جلّ وعلا، فيحصل للعالم العلم بأنّهُ موجود وواجب وجوده، وأنّه ليس كمثله شيء، لا الإدراك بذاته كيف وعلم الحادث حادث، فغاية علم العبد أنْ يعلم أنّ الباري جلّ وعلا موجود وواجب وجوده، ووجوده له ذاتي وأنّه ليس كمثله شيء وأنّه لا يعلم ما هو إلاّ هو، ولا يعلم قدره غيره لقوله تعالىٰ: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الأنعام: ٩١]، وأيضاً فالعالم بالله إنّما أدرك علمه بواسطة العلم وعلمه قائم به، فما أدرك إذاً إلا العلم ولا يلزم من إدراك العلم إدراك المعلوم كيف؟ وكلما دخل تحت الحصر فهو مبتدع مخلوق، ومن الشائع المشهور والمجمع عليه عند المحققين قاطبة، أنّ الصفات والنعوت تابعة للموصوف المنعوت بها، وإنّ إضافة كل صفة إلى موصوفها إنّما تكون بحسب الموصوف، وبحسب قبول ذاته إضافة تلك الصفة إليها؛ ولمّا كان الحق سبحانه وتعالى يتعالى عن أنْ يدرك كنه حقيقته، كان إضافة ما تصح نسبته إليه من النعوت والصفات لا تكون على نحو نسبتها إلى غيره. لأن ما سواه ممكن، وكل ممكن فمنسحب عليه حكم الإمكان، ولوازمه كالافتقار والقيد والنقص؛ وهو سبحانه وتعالىٰ من حيث حقيقته مغاير لكل الممكنات وليس كمثله شيء، فإضافة النعوت والصفات إليه إنّما تكون على الوجه اللائق بحاله ويتعالىٰ جلّ وعلا عن كل ما لا يليق بجلاله، وإضافة النعوت، والصفات إلى الممكن بحسبه على الوجه الذي يستحقه ويليق به، كالعلم مثلاً إن وصف به القديم كان قديماً، وإنْ وصِفَ به الحادث كان حادثاً ونحو ذلك من الصفات والنعوت المشتركة.

فإذا عرفت حكم هذه القاعدة النفيسة، التي هي قطب رحا علومِ أهل الله والعلماء به المحققين الراسخين في العلم، وتحققت معناها، فاعلم أنّ من تمام القاعدة أنْ تعلم أنّ الله سبحانه وتعالىٰ جعل لكل شيء ظاهراً وباطناً، فلنفس الإنسان ظاهر وباطن لأنّها من جملة الأشياء، فقد يدرك الإنسان ما يدرك من مدركاته بظاهر نفسه المعبّر عنها بالخيال والمثال والحواس، ولا يدرك بباطنها شيئاً وقد يدرك ما يدرك من مدركاته بباطن نفسه، فيباشر العلم باطن النفس، وذلك العلم المباشر لباطن النفس يختص بعلم المعارف الحقانية وسر المعرفة وسر التوحيد، فإذا فهمت هذا، وعلمت أنّ الحق سبحانه وتعالىٰ هو الظاهر والباطن وأنّ البطون له ذاتي كما عرفت ذلك من صدر القاعدة. فاعلم أنّ الإنسان لا يدرك بباطن نفسه وظاهرها شيئاً إلاّ مما هو من أحكام تجليات اسمه الظاهر، فإذا تجلى الحق سبحانه وتعالىٰ بإسمه الظاهر لظاهر نفس من تجلى له، أدرك علماً ظاهراً من العلوم الظاهرة، وفتح عليه بذلك العلم الذي هو بصدده، ولم يزهد في شيء من الموجودات، فحصل ما حصل من العلوم، وحب خير الدنيا، والآخرة، لانجلاء ظاهر النفس بما وصل إلى ظاهرها من التجلي، ولم يزهد في شيء لعدم وصول التجلي إلى باطن نفسه وامتلائه به؛ وإنْ تجلى سبحانه وتعالىٰ بإسمه الباطن لباطن نفس من تجلى له حصل الإدراك بعين البصيرة، فيكون إدراك صاحب هذا المقام بعين البصيرة لا بالفكر والنظر، فيدرك بعين بصيرته عالم الحقائق، وعالم المعاني، فلا يبقى عنده، فيما يدركه بعين بصيرته إشكال ولا احتمال، ويستريح من تعب الفكر، فيفتح عليه عند وصول هذا التجلي إلى باطنه بالعلوم الإلهية وعلوم الأسرار وعلوم الباطن، وما يتعلق بالآخرة ومعرفة أحدية الوجود ونفيه عما سوى الحق، ويظهر له سر التوحيد وسر المعرفة، ويزهد في جميع ما سوى الحق سبحانه وتعالىٰ ويضيق عن كل غير، ولم يبقَ فيه لسوى الحق متسع لامتلاء باطن نفسه بما وصل إليه من التجلي، فينكشف لعين بصيرته حقائق الأشياء، فيدرك بعين بصيرته رتبة الحق من رتبة غيره، فلم يبق لغير الحق في قلبه قدر، لما أدرك بعين بصيرته ما أدرك من حقيقة رتبته؛ فمن تمام فائدة القاعدة التنبيه على ضابط في معرفة الرتب، وذلك بأن تعلم أنّ القاعدة عند أئمة علماء التحقيق أنّ كل موجود له ذات ومرتبة، ولمرتبته أحكام تظهر في وجود، المتعين لحقيقته الثابتة، فسمى آثار تلك الأحكام في ذات صاحبها أحوالاً، والمرتبة عبارة عن حقيقة كل شيء لا من حيث تجردها، بل من حيث معقولية نسبتها الجامعة بينها وبين الوجود المظهر له، والحقائق التابعة لها. لأن بعض الحقائق تابع للبعض، والتابعة أحوال للمتبوعة، وصفات ولوازم، وذلك لأنّ الموجودات ليست بأمر زائد على حقائق مختلفة ظهرت بوجود واحد تعين وتعدد في مراتبها وبحسبها، إلا أنّه إذا اعتبر مجرداً عن الاقتران بهذه الحقائق يتعدد في نفسه، وللحق تعالى ذات ومرتبة، ومرتبته عبارة

عن معقولية نسبة كونه إلهاً وهذه النسبة من حيث هي مسماة بالأُلوهية، وللحق من حيث هي آثار في المألوهي، وصفات لازمة تسمىٰ أحكام الألوهية، وذاته سبحانه وتعالىٰ من حيث تجرّدها عن جميع الاعتبارات المقيدة، وعدم تعلقها بشيء وتعلق شيء بها لعدم المناسبة لا كلام فيها، ومن حيث معقولية نسبة تعلقها بالخلق، وتعلقهم بها، وبحسب أحوالهم من كونهم مجاليه، ومظاهره تنضاف إليها أحوال كالرضا، والغضب والإِجابة والفرح وغير ذلك يعبر عنها بالشؤون، وينضاف إليها من حيث آثار مرتبتها التي هي الألوهية في كل مؤثر فيه صفات تسمى أحكام المرتبة، كالقبض، والبسط، والإحياء، والأمانة، والقهر، فلمْ يصح استناد العالم إلى الحق من حيث ذاته بل من حيث معقولية نسبة كونه إلهاً وتعقل كون الحق إلهاً اعتبار زائد على ذاته، وتعقل العالم بالحق إنّما يصح بهذه النسبة، لأنّ مرجع سائر الأسماء والمراتب والنسب إلى هذه النسبة، ولأنها أصل كل حكم واسم ووصف ونعت وغير ذلك بما يستند إلى الحق سبحانه وتعالى، ويضاف إليه. وللإِنسان ذات ومرتبة، فذات الإنسان حقيقته التي هي عينه الثابتة في حضرة علم ربه، والتي هي عبارة عن نسبة معلوميته للحق، وتميزه في علم ربه أزلاً على حسب مقتضى رتبته عند ربه، وكون ربه علمه ممكناً، وعلم ما قد قضى به له، وحكم به عليه، وأحوال هذه الحقيقة الإنسانية هي ما يتقلب فيه الإنسان، وينضاف إليه، ويوصف به من التصورات والنشآت والتطورات، وغير ذلك من الأمور التي ظهرت على وجوده المستفاد من الحق، لما تقرر من كون العدم للممكن ذاتياً وأنّ الوجود له عرض طارىء يفتقر إلى مخصص إنْ خصصه بطروء الوجود وجد وإنْ خصصه بالعدم وسلب الوجود عنه عدم ومرتبته أيّ ومرتبة الإِنسان عبارةٍ عن عبوديته ومألوهيته، وأحكام هذه المرتبة هي الأُمور والصفات المنضافة إليه من كونه عبداً ممكناً ومألوهاً، ومن كونه أيضاً مرآة ومجلى، فهذه قاعدة نفيسة عظيمة القدر، وجدير بأن تكون عمدة يرجع إليها في فتيا علم أهل التحقيق، لو كان ذلك فتياً، وميزان يعرف به قانون الحق في كل رتبة حقية أو خلقية، أنْ يعترف المحققون بعلو درجتها لنفاستها، وكثرة فوائدها، وما احتوت عليه من القواعد، والضوابط العظيمة النفع في حلّ المشكلات والمعضلات والالتباسات إذا راجعها الطالب لذلك، وبالله التوفيق وبه الإعانة إلى سواء الطريق.

الباب الأول

في التعريف بسيدنا أبي العباس التجاني، وبمولده، وأبويه، ونسبه، وعشيرته الأقربين إليه، ونشأته، وبدايته، ومجاهدته، وأخذ طريق رشده، وهدايته، وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: في التعريف به، وبمولده، وأبويه، ونسبه، وعشيرته الأقربين إليه، فأقول وبالله التوفيق:

هو رضي الله عنه من العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، وممن جمع شرف الجرثومة والدين وشرف العلم، والعمل، والأحوال الربانية الشريفة والمقامات العلية المنيفة، والهمة العالية السماوية، والأخلاق الزكية الرحمانية، والطريقة السنية، والعلم اللدني، والسر الرباني النافذ التام والخوارق العظام، والكرامات الجسام، القطب الجامع والغوث النافع، الوارث الرحماني والإمام الرباني، من أقامه الله في وقته رحمة في العباد وبركة ونوراً في البلاد موقع نظره من خلقه وخزانة سره ومظهر نفوذ تصريفه ومنبع مدده، فياض المدد والأمداد كثير النفع للعباد، عنده الكيمياء الخاصة التي تقلب الأعيان، وتحيل نحاس النفوس إبريزاً في أقرب زمان، فيصير ظلامها نوراً، وحزنها سروراً، وتميط خبث شهواتها، وتلطف كثافتها، فانتفع به جُل العباد في أقطار البلاد بمدده الرباني وسر وروده الشريف المحمدي الصمداني، من غير مجاهدة ولا تعب بمحض فيضه وفضله الرحماني، القدوة الهمام مصباح الزمان وعين الأعيان العارف الكامل المحقق الواصل العالم بالله الناصر لسنة رسول الله ذو السيرة النبوية والأخلاق المحمدية، بحر التوحيد ومعدن التفريد الوارث الجامع المربي النافع الدال على الله بحاله ومقاله الداعي إليه بإذنه بخلاله وفعاله صدر الصدور الفياض النور والآيات الظاهرة. والكرامات الباهرة، الحجة الأعمد: شهاب الدين سيدنا أبو العباس أحمد (ولد رضي الله عنه) سنة خمسين ومائةٍ وألف بقرية عين ماضي، ونشأ بها في عفاف وأمانة وحفظ وصيانة وتقى وديانة، محفوظاً بحفظ الله سبحانه محروساً بالعناية محفوفاً بالرعاية، كريم الأخلاق والخلال طيب النفس والفعال، كثير الحياء والأدب جميل المراقبة والطلب، مقبلاً على الجد والاجتهاد مائلاً إلى الرشد والانفراد، متطلباً للدين وسنن المهتدين مشتغلاً بالقراءة، معتاداً للتلاوة حسن السمت طويل الصمت، كثير الوقار والحياء حسن الخلق والخلق عالي الهمة متواضعاً معظماً عند الخاصة والعامة، حفظ القرآن العظيم في صغره حفظاً جيداً في سبعة أعوام على ما أخبرني عن نفسه رضي الله عنه من رواية نافع على الشيخ العالم الصالح الأستاذ أبي عبد الله

سيدي محمد بن حمو التجاني، وقرأ هو رضي الله عنه على شيخه سيدي عيسى بعكاز المضاوي التجاني، وكان رجلاً صالحاً مشهوراً بالولاية، وكان مؤدباً للصبيان أيضاً بالقرية المذكورة، وقد ذكر أنّه رأى رب العزة في النوم، وقرأ عليه القرآن برواية ورش من أوله إلى آخره فقال له ربه: هكذا أنزل، وحصل على يديه النفع في قراءة القرآن، وتوفي سيدي محمد بن حمو عام اثنين وستين ومائة وألف، ثم بعد حفظه القرآن اشتغل بطلب العلوم الأُصولية والفروعية والأَدبية حتى رأس فيها وحصل معانيها، قرأ على شيخه العالم العلامة والعارف بالله الدراكة سيدي المبروك ابن بعافية المضاوي التجاني، قرأ عليه مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري، ثم تمادىٰ في طلب العلم زماناً ببلده حتى حصل من العلوم ما انتفع به، وكان يدرس ويفتي ثم مال رضي الله عنه إلى طرق الصوفية، والمباحثة على الأسرار الإلهية، حتى تبحر في فهم علومها والأَحوال والمقامات والعلل والوقت والحال، وله أجوبة في فنون العلوم فأبدى فيها وأعاد وحرر المعقول والمنقول وأفاد، ثم اشتغل بالطاعة وحببت إليه العبادة، وتاقت همته بالزهاد، فكان يكثر القيام في الليالي المتطاولة حتى إذا بلغ الأَشد أرشده الله تعالى بسابق عنايته لما أراد به من كرامته، فصار رضي الله عنه يدل على الله، وينصح عباد الله، وينصر سنة رسول الله، ويُحيي أمور الدين وقلوب المؤمنين بما منحه الله من المعارف والأسرار والبركات والأنوار، فأحيا الله به البلاد ونفع به الحاضر والباد، وانتشرت على يديه أمور السنة المدنية، وأشرقت آياته المبينة، فهو رضي الله عنه قوي الظاهر والباطن، كامل الأنوار والمحاسن، عالي المقام راسخ التمكين والمرام متصف بكمال الإرث من رسول الله ﷺ. بهيُّ المنظر جميل المظهر منوّر الشيبة عظيمُ الهيبةِ جليلُ القدرِ شهير الذكر، ذو صيت بعيد وعلم وحال مفيد، وكلمة نافذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عائدة، وإظهار السنة وإخماد البدعة، يضرب به وبداره المثل في إحياء السّنة واتباع الدين، فهو جديرٍ بأنْ يُلقب بمحيي الدين صاحب وقته وفريد عصره، وقد أحيا الله به سنن مغربنا بعد دروس آثارها، وخمود أنوارها فانتشر به اللهج والفقر بذكر الله والصلاة على رسول الله. نسأل الله تعالىٰ أنْ ينظمنا في سلكه وفي دائرة حزبه بجاه حبيبه ونبيه سيدنا محمد وآله وصحبه.

(وأبوه رضي الله عنه) هو: الشيخ الإمام كهف الإسلام، وملاذ الأنام، العالم الشهير الورع الكبير الدال على الله والجامع عليه والداعي بحاله ومقاله إليه، حجة العلماء العاملين ومحجة السالكين المسترشدين: أبو عبد الله سيدي محمد بالفتح بن المختار، وكان عالماً ورعاً متبعاً للسنة مدرساً ذاكراً، وكانت تأتيه الروحانية يطلبون منه قضاء حوائجه فكان يمتنع منهم ويقول: «اتركوني بيني وبين الله لا حاجة لي بالتعلق بسوى الله تعالىٰ» وكان متعلقاً بالله قائماً بالحق لله في سائر حركاته وسكناته، لا تأخذه لومة لائم في الله. وكان

له بيت في داره لا يدخله أحد إلا لذكر الله.

(توفي رضي الله عنه) سنة ست وستين ومائة وألف بالطاعون رحمة الله تعالىٰ عليه.
(وأمه رضي الله عنها). هي السيدة الفاضلةُ الزكيةُ الكاملةُ الطيبة المطهرةُ الخيرةُ المنورةُ ذات الأخلاق الكريمة والسيرة المستقيمةُ معنيةً بأمر الدين ماسكةً بحبلها المتين، لها من الصلاح مكانة عليه ومرتبة سنية، وحظ عظيم من البر والإحسان والتفضل والامتنان، فكانت رحمها الله كثيرة الإرضاء والبر لوالده مع سعيها المشكور بالغة في ذلك الغاية، وواصلة فيه حد النهاية، قائمة بأداء حقوق بعلها الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه مطيعة لأمره وكلامه شديدة الاعتناءِ بشأنه ومرامه، تتحرى مراده وتهتم بما أراده، تجلّ قدره وتعظّم أمره، وتراعي فيه حق مولاه وما حق له وأولاه، قوالة للحق ناصحة للخلق محافظة على الدين، وسنن المتقين، تحمل أولادها وأقاربها عليه وترشدهم بالتي هي أحسن عليه، كثيرة النصح لهم والرحمة بهم، كثيرة الأذكار والصلاة على النبي المختار مواظبة عليها آناء الليل والنهار، ووالى عليها من رحمة العزيز الغفار رضي الله عنها وأرضاها، وجعل الجنة مثواها ومأواها؛ هي الحرة النفيسة السيدة: عائشة بنت السيد الأثيل الولي الجليل ذو البركة الغزيرة والأنوار أسكنه الله مع الأبرار، ووالى عليه المنة والرضوان أبو عبد الله سيدي محمد بالرفع ابن السنوسي التجاني المضاوي. توفيت رضي الله عنها في يوم واحد مع زوجها بالطاعون، ودفنا معاً بعين ماضي بالتاريخ المذكور، ولهما رضي الله عنهما أولاد غير سيدنا رضي الله عنه ذكوراً، وإناثاً وماتوا كلهم رحمهم الله فلم يترك منهم إلاّ سيدي محمد ولداً، وبنتاً فحازهما سيدنا رضي الله عنه.

(وأما نسبه رضي الله عنه) فجده لأبيه رضي الله عنه السيّد الأصيل النزيه الجليل ذو المروءة، والصيانة والحسب والمكانة والديانة والأمانة، سيدي: المختار بن أحمد كان رحمه الله زكياً خيراً مرضياً جواداً فاضلاً وفياً كاملاً عالي الهمة نبيه الشأن من أكابر الأعيان وأفاضل الزمان يواصل الرحم والأقارب، ويواسي الجيران والأجانب، كثير السخاء شديد الحياء رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه.

(وأمّا جده الثالث): فهو السيد الأصيل النزيه الجليل العلامة الحفيل عالم العلماء وأمير الأمراء، جليل القدر عظيم الخطر صاحب الحال القوي والمدد الروي والنور السّني، والهدى المبين والحزم المتين، والبصيرة الصحيحة والأقوال الصريحة، والهيبة والوقار والإجلال والإكبار الزاهد الورع الناصح المتبع: أبو العباس سيدي أحمد بن مُحمد بالفتح (وهو رابع الأجداد لسيدنا رضي الله عنه) هو الشيخ الولي المكين العلي ذو النور اللائح والجذب الواضح، والمحبة الصادقة والهمة السابقة، والتوكل على الله والرضا عن الله والنهج القويم والخلق الكريم، وقد حكى عنه رضي الله عنه أنّه كان له بيت في داره لم

يدخلها أحد غيره، وكان إذا خرج من داره للمسجد يتبرقع ولا يرى أحد وجهه، ولا يكشف عن وجهه إلاّ إذا دخل المسجد، ثم إذا رجع إلى داره عاد إلى ستر وجهه حتى يدخل لخلوته، وقد سألت الشيخ رضي الله عنه عن سبب ستر وجهه عن الناس فأجاب رضي الله عنه قال: ولعله بلغ مرتبة في الولاية فإنّ من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين، وإن فارقه وانحجب عنه مات لحينه، وهو ممن أدرك هذا السر وهو اثنان وسبعون علماً من العلوم المحمدية ومكث فيها ثلاثة وعشرين سنة يستر وجهه عن الناس للعلة المذكورة.

(قلتُ) لسّيدنا رضي الله عنه: هذه المرتبة هل هي خاصة بمفاتيح الكنوز؟ أو يشاركهم فيها غيرهم؟ قال رضي الله عنه: بل هذه الحالة المذكورة لغيرهم من العارفين، وأمّا القطب، ومفاتيح الكنوز، فلا يستترون لكمالهم ولعل السيد المذكور أدرك هذه المرتبة، فكانت هي سبب ستر وجهه عن الناس. وهذا السيد رضي الله عنه هو الذي وفد أولاً لعين ماضي وتوطن بها وبنى وتزوج منهم، فكانوا أخوالاً لسيدنا رضي الله عنه ولهذا ينتسبون للتجانية، وليس لهم نسب لأهل عين ماضي بل غلبت عليهم الكنية، والشهرة لأجل مُصاهرتهم لهم.

(وأمّا نسبه رضي الله عنه) فهو شريف محقق، ويرفع نسبه إلى مولانا محمد الملقب بالنفسِ الزكيةِ ابن مولانا الحسن المُثنى ابن الحسن السبط ابن مولانا علي رضي الله عنهما، ونسبه رضي الله عنه مذكور في رسمهم عند أوائلهم، فلم يلتفت سيدنا لذلك لما هو عليه من الجد والاجتهاد، ولم يكتف بما هو مذكور من الآباء والأجداد والرسوم وأخبار الأعيانِ والآحاد، حتى سأل سيد الوجود وعلم الشهود ﷺ في كل نفس مشهود عن نسبه، وهل هو من الأبناء والأولاد ومن الآل والأحفاد، فأجابه: ﷺ بقول: «**أنت ولدي حقاً أنت ولدي حقاً أنت ولدي حقاً**» كررها ﷺ ثلاثاً، وقال له ﷺ: «نسبك إلى الحسن بن علي صحيح»، وهذا السؤال من سيدنا رضي الله عنه لسيد الوجود يقظةً لا مناماً، وبشره ﷺ بأمورٍ عظامٍ جسامٍ ﷺ، وشرف وكرم ومجد وعظم.

(وأمّا عشيرته الأقربون إليه) فهم أولاد الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، وهما سيدي محمد المُكنى بابن عمر، كان حافظاً للقرآن العزيز، ومشاركاً في علوم الشريعة مبالغاً في علوم الفرائض والحساب، فمات رحمه الله بعين ماضي، وأخته وشقيقته السيدة رُقية رضي الله عنها، فكانت أكبر سناً من سيدنا رضي الله عنه، وكانت تأتيه إلى منزله ويكرمها ويواسيها ويرضيها حتى يبعثها لمكانها عين ماضي، فماتت وتركت ولداً اسمه عبدالله حافظاً للقرآن، ومشاركاً في بعض العلوم، وله باع في علم الحساب، وهو من أصحاب سيدنا، وأخذ عنه، وهو الآن بقيد الحياة بعين ماضي فهؤلاء المعروفون عندنا من

عشيرة شيخنا رضي الله عنها ماتت رحمة الله عليها سنة...[1]، وبالجملة فكان أولاد سيدنا محمد رضي الله عنه نشأوا على أحسن حال وأكرم فعال، وأطيب خليقة وأمثل طريقة، ذاهبون على مقتضى تربيته رضي الله عنه من الخروج عن العوائد والمألوفات والزوائد والتكلفات، والتواضع في أنفسهم ورفع الهمة عن أبناء جنسهم، وقد أخذوا بأشياء من سيرة والدهم، وتخلقوا بها ودرسوا على سنتهم، وتحققوا بها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم والله تعالى يجازي العباد على قدر أعمالهم ونياتهم، زادهُم الله من فضله وكان لهم بمنه وطوله.

الفصل الثاني: في نشأته وبدايته ومجاهدته.

ولد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة وألف على ما حدثني هو بنفسه رضي الله عنه بعين ماضي، وهي بلده ومقر أسلافه رضي الله عنه وعنهم، على ما تقدم في الفصل الأول. وهو أوسط الأبناء لأمه وأبيه، والآخذ كل ما لهم من الفخار والتنزيه، وخاتمة مجدهم وواسطة عقدهم، الذي شرف به طالعهم السّيد،، واستمر به مددهم المديد ختم الله به من نظامهم سلكاً وجعل ختامه مسكاً. (نشأ رضي الله عنه) بين أبويه الصالحين المتقدمين نشأةً صالحة: يؤدبانه، ويربيانه، ويلقنانه تربية أمثالهما من أهل البصائر، فربي في عفاف وصيانة وتقى وديانة، أبيّ النفس عالي الهمة زكي الأخلاقِ محروساً بالعناية محفوفاً بالرعاية، فكان رضي الله عنه لا يعرف الناس فيه من العوائد، ما نشأوا عليه من الزوائد، وكان رضي الله عنه من صباه ماضي العزم شديد الحزم فيما يتعاطاه من أموره كلها لا يريد أمراً إلاّ بدأه، ولا يبتدىء شيئاً إلاّ أتمه، وإذا تعلقت همته بشيء من الأشياء كائناً ما كان لم يهنأ له عيش ولم يقر له قرار حتى يصله ويجاوزه؛ (وسمعته) يوماً يقول: «من طبعي أني إذا إبتدأتُ شيئاً لا أرجع عنه، وما شرعت في أمرٍ قط إلا أتممته»، تجنح همته إلى معالي الأمور، ولا يرضى بسفسافها، فكان كما قيل:

إِذا انصرفتْ نفسي عن الشيء لم تكنْ إليه بوجه آخر الدهرِ تقبلُ

فله رضي الله عنه همةً سابقةً وعزمةً لاحقةً، تأبىٰ نفسه أنْ يفوتَه مدرك من المداركِ، أَو يضل مساكاً من المسالكِ، ذو شجاعةٍ طبيعيةٍ ونجدةٍ قويةٍ، ومن خلقه الذي ربي عليه: السخاءُ العظيم والإنفاق الجسيم، والقيام بحقوق أقاربه وذويه والمواساة لمعارفه ومواليه، والإحسان للمساكين والتحبب لأهل الدين، وصار له العفاف وعلو الهمة خلقاً ومكارم الأخلاق طبعاً وتحققاً، لا يقر الدرهم لديه قراراً ولا يمكث عنده على الدوام استمراراً، كما قيل:

لا يألفُ الدرهمُ المضروبُ صِرَّتنا لكنْ يمر عليها، وهو مُنطلقُ

---

(١) بياض في الأصل.

وَسيأتي الكلامُ على سخائه، وبيان حاله في محاله إنْ شاءَ الله. (وصفة) ذاته الكريمة وصورة شكله الفخيمة يتميز بوجوده العياني كما يتميز بوصفه العرفاني، إنّه حفظه الله وكلأه: أبيض مشرب بحمرة معتدل القامة منور الشيبة ذو صوت جهوري وصمت بهيّ وقدر عليّ، حلو المنطق فصيح اللسان يعبّر عن مراده في غاية البيان، وهو من حفاظ أهل زمانه لما يتعاطاه من العلوم في أوانه، أحسنهم مجالسة وأرفعهم مجانسة، ذو مهابة وعظمة ووقار وحياء وجلالة وفخار، وله رضي الله عنه عند مذ شب عقل تام وذكاء قوي وفهم نافذ وفطنة سرية وفكرة قوية، لا يفوته إدراك معنى من المعاني لما انقدح في سره من النور الرباني، ولا يخدع في شيء منذ كان ولا يعوزه أمر من الأمور مما تكون، يدرك ما أراد إذا توجه إليه دون تعلم لقوة الذكاء وشدة التفهم، يشهد أنّ له ذلك في أصل فطرته وغزارة فطنته، وكمال عقله بحيث لا يجارى في شيء من ذلك ولا يبارى؛ (وبالجملة): فكمال عقله رضي الله عنه، وفهمه وقوة إدراكه وميزه، مما يبهر العقول ويخرج عن حد المعقول، وشرح ما يؤذن بذلك يطول. وإذا أراد الله تأهيل عبده وتهيئته لما خلق لأجله، من إرادة خصوصيته وفضله أكمل سجاياه وخلقه، ثم أظهر مزاياه وفخره، فيكمل له عقل التميز، فيتهيأ به إلى عقل التخصيص والتبريز، والأوليات إشارة الآخريات والبدايات عنوان النهايات. ولما بلغ الحلم رضي الله عنه زوجه والده الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه من غير تراخٍ في ذلك اعتناءً بشأنه، وحفظاً له وصوناً لأمره، مراعاةً للسنة والمبادرة في ذلك، وكان تزويجه رضي الله عنه سنة فبقي في حجر والده إلى أن توفي والده رحمة الله عليه، فنال منه بركةً وحظاً وافراً من الصلاح والدين، وفوائد في الطريق، وجملاً من الأدب رضي الله عنهما آمين.

(وأما بدايته) رضي الله عنه في الطريق، وكيفية أخذه إياها على التحقيق، فإنّه لما توفي والده رحمه الله تعالىٰ بقي على حاله من قراءة العلم وتدريسه، والتقاط درره وتدوينه في بلدة عين ماضي، ثم ارتحل إلى ناحية الغرب لفاس وأحوازها سنة إحدىٰ وسبعين ومائة وألف، فسمع فيها شيئاً من الحديثِ، وبقي يجول بقصد الزيارة، والبحث على أهل الخير والصلاح والدين والفلاح، فلقي رجلاً بجبل الزبيب من أهل الكشف، فأشار له بالرجوع إلى بلده، وأخبره بأنّه سيكون من أمره ما هو بصدده، فلم يلبث حتى رجع لبلده سريعاً، وخرج قاصداً البلد الأبيضَ في ناحية الصحراء التي بها ضريح الولي الكبير والقطب الشهير سيدي عبد القادر ابن محمد الملقب بسيدي الشيخ، فمكث هنالك خمسة أعوام للقراءة والعبادة والتدريس والتلاوة، وفي هذه المدة وصل إلى بلده عين ماضي تصديقاً لما أخبره به الولي المتقدم، ورجع إلى مكانه بزاوية الشيخ المذكور، ثم ارتحل منها إلى تلمسان، وأقام بها للزهادة والعبادة والتدريس لعلم الحديث والتفسير والإفادة، حتى ألهم سيدنا ما

أُلهم ووقر في صدره ما وقر. وظهر له ما ظهر، مع ما أهله الله إليه بسابق عنايته وفيض كرامته، نفض يديه مما لديه، وتعلقت همته العلية بالله والانحياش إليه والوقوف ببابه والعكوف عليه، فجرد نفسه من العلائق تجريداً وقطعها عن العلائق تفريداً، ولبس من جديد التوبة جلباباً وشمر عن ساعد الجد أثواباً ففتح الله عليه للمسير أبواباً، وأزال عنه مانعاً وحجاباً، فأكب على شأنه إكباباً وانصب إليه انصباباً وانحاش بكليته إليه، وأقبل بقلبه وقالبه عليه، ونبذ كل أمر دونه من خلف أوائل سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، فانجمع على الله في حاله وجد في سيره وترحاله سلف له الإرادة وألقى إليه قيادة ومحافي مراد»، فلزم اللجأ والعكوف ببابه وجمع فيه كل بغيته ومرامه، وأقبل على الذكر وأعمال الفكر وآوى إلى الخلوات والعبادات والقربات فلاحت عليه مبادىء الفتح وبوارقه، وظهر عليه خوارق العادات في مباديه ثم لم يزل حاله يقوى ويزداد حتى خرج عن كل مألوف ومعتاد ومستحسن ومراد، ولم يبق له شهوة تشغله عنْ المراد، واستوحش من الخلق، وانقطع عنهم للملك الحق، وتوجه تلقاءه ونبذ السوى وراءه، فلم يزل يرتقي بهمته ومولاه يجذبه لحضرته ويحفه بعنايته وفضله، وكرامته، إلى أنْ بلغ المراتب العالية والمقامات السامية، ووصل المنية والمشتهى وإن إلى ربكَ المنتهى.

(ومن عظيم أدبه) لشهود فضل سيده، ومنه أنه لما اعتراه من الأحوال ما اعتراه، ونزل به ما اقتطعه عن نفسه وهواه، وظهر عليه أثر الفيضان، وجرى منه على المنطق واللسان ما أشرف به باطنه من التوحيد والعرفان، فكان يفتتن به كل من رآه لما يشاهد من طلعته البهية وسناه، فيأخذ بمجامع قلبه وعقله ولبه ولا يجد بداً عند خطابه من التأدب إلى عليِّ جنابه، فلما أحس بظهور ذلك من الإخوان والأصحاب الذين هنالك، نهى وزجر وشرد ونفر وغضب غضباً شديداً وتولى عنهم شريداً، وكانت تأتيه الوفود للزيارة والأخذ عنه والإفادة، فكان يمتنع من ذلك كل الامتناع، ويقول: «كلنا واحد في الانتفاع، فلا فضل لأحد على الآخر في دعوة المشيخة إلا سوء الابتداع»، فلما حاز قصب السبق في كل فضيلة وتحلى ظاهراً وباطناً بالحلل الجليلة الجميلة، ولم يبق له من متمناه بين الأنام إلا الحج لبيت الله الحرام، سمت همته إلى طلبه وتحصيل أربه، وكان دائماً يرصد إبانه ووقته وأوانه، إلى أنْ أتى فقام على ساق الجد والتشمير ونهضت به همته للمسير، فأخذ رضي الله عنه في التأهب والرحيل وخلف العشائر والقبيل، فما قر له إذ ذاك قرار إلى أنْ حج وزار وتردد بين الديار واستلم بين الأماكن والآثار، فكان خروجه من مدينة تلمسان سنة ست وثمانين ومائة وألف.

(وأما مجاهدته رضي الله عنه): فاعلم أنّه لا خلاف بين أئمة العصر ومن أدركه من حال الشببة، أنّه كان من المصطفين من عباد الله وممن نشأ في طاعة الله وممن هدى

واجتبى إلى صراط الله، فهو رضي الله عنه من المجتهدين في الدين والخائفين من رب العالمين، محافظاً على التقوى والورع باذلاً مجهوده في ذلك قابضاً عنان الخوض عن ما لا يعنيه سالكاً أشرف المسالك، إلا أنّه بعد ما شب وترعرع، وتضاعف نور قلبه وجاءه الفتح المبين من ربه وارتفع، وقاده التوفيق الرباني إلى البحث عن السر الإلهي الصمداني، فاشتغل بمطالعة كتب القوم بالانكباب عليها، والتدريس للعلوم، والإفادة بها حتى انقطع إلى الله وتاقت همته بالله، فرفض جميع العلائق ونبذ من ورائه أنواع العرائق، فزاده ذلك نوراً على نور، وارتقى لشهوده مرتبة أربابِ الصدور فقد أتى رضي الله عنه البيوت من أبوابها وأخذ الطريق عن أربابها، فاستوجب بذلك الوراثة والإمامة، فلم يتقدم في عصره أحد أمامه، كما قيل:

فأصبح عين الوقت والقول قوله ... ولا أحد في الناس يبلغ قدرهُ

أخذ رضي الله عنه في الجد والتشمير، والاعتزال عن الخلق والفرار منهم، واشتغل بما يخصّه من حقوق ربه وما هو مطالب به من التقوى والورع، وكان الناس يأتونه في بعض الأحيان للزيارة فلا يجدون فيه متسعاً لكثرة ما كان فيه من القبض، وإذا جاءه أحد ليقبّل يديهِ يغضب ويأبى ذلك وكان رضي الله عنه يكرهُ كثرةَ الكلام شديد التحفظ من الغيبة والنميمة، والخوض فيما لا يعني.

(وأما مجاهدته في الصيام): فكان يصوم في ابتداء أمره، ويسرد الصيام الأيام المتطاولة لديه، وأما قيام الليل فهو مواظب عليه السنين الكثيرةُ ولا زال إلى الآن ولم تكن له راحةً إلا فيه فهو مستراح العابدين إذ فيه يجدون قلوبهم من التلذذ بالمناجاة وإسبال العبرات في محراب التلاوات، وهو يعلم ويتحقق رضي الله عنه أنّ أوقاته عمره، وعمره رأس ماله وعليه تجارته وبه يصل إلى نعيم الأبد، ويرى أنفاسه جواهر لا قيمة لها فشح بها أن تمضي في غير ما خلقت له، فاشتغل بالمبادرة السباق قولاً وفعلاً حذر النفس حسرة المسبوق، واستدامة الطاعات، وبذل المجهود فيها لا يصدر إلا ممن أقيم في شهود باريها ومنشيها، فالذين اصطفاهم الله لخدمته ونوّر بواطنهم بأنوار معرفته، قويت قلوبهم وبادروا قبل الفوت، وسارعوا إلى ما ندبهم إليه سيدهم فهم ملازمون مستسلمون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، ليس لهم فضله فيما أمروا به علموا أنّهم بمرأى من سيدهم فشدوا الحيازم، واشتغلوا بما هو لازم.

(وأقول): إنّه رضي الله عنه من الذين كانت عندهم كل الليالي ليلة القدر، إذ هو رضي الله عنه من القائمين بحدود الله الناظرين للشريعة بنور الله الذين لا تأخذهم في الله

لومة لائم، وماذا يقول الإنسان فيمن تولاه الله واصطفاه، وحلاه بنعوته واجتباه وخصصّه بمعرفته وارتضاه، فالمدح يقصر دونه إذْ هو أرفع من أنْ يصفه اللسان، أو يعبر عن حقيقته الفكر والجنان، وما الأمر إلا كما قال قائلهم:

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ... ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب

ومن كملت أوصافه، وحسنت أفعاله، وعظمَ إنصافه استوحش من كل شيء سواه ولم يشاهد في المملكة إلا إياه، وأنشدوا:

وعن مذهبي في الحب ما لي مذهب ... وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتي

وإن خطرت لي في سواك إرادةٌ ... على خاطري سهواً قضيت بردتي

وعلى هذا حوم العارفون رضي الله عنهم، وانتهزوا فيه الفرصة، بذلوا في ذلك مهجهم ولم يتركوا لها حصة، عرفوا ما طلبوا فهان عليهم ما تركوا، ومن طلب الحسناء لم يغله مهرها، ولقد أبلغ في النصيحة من أنذر وحذر عليه الصلاة والسلام. فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أيها الناسِ: بسيط الأمل متقدم حلول الأجل، والمعاد مضمار العمل فمغتبط بما اجتنب غانم، ومبتئس بما فاته من العمل نادم. أيها الناس: إن الطمع فقر، واليأس غنى، والقناعة راحة، والعزلة عبادة، والعمل كنز والدنيا معدن والله ما يسرني ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بردي هذا ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء وكل إلى نفاد وشيك وزوال قريب، فبادروا وأنتم في مهل الأنفاس وجدةُ الأحلاس قبل أن يؤخذ بالكظم ولا يغني الندم»**. وعن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«حلوا أنفسكم بالطاعة وألبسوها قناع المخافة واجعلوا آخرتكم لأنفسكم، وسعيكم لمستقركم،واعلموا أنكم عن قليل راحلون، وإلى الله صائرون، ولا يغني عنكم هنالك إلا صالح عمل قدمتموه، أو حسن ثواب حزتموه، إنكم إنما تقدمون على ما قدمتم، وتجازون على ما أسلفتم، ولا تخدعنكم زخاريف دنيا دنية عن مراتب جنات عليّة»** فكان قد كشف القناع، وارتفع الارتياب، ولاقى كل امرىء مستقره وعرف مثواه ومقيله له من بعد إلا وبعينيات، ويرحم الله الشيخ الإمام إسماعيل بن المقري اليماني مؤلف الروض حيث يقول في قصيدته العجيبة العديمة المثل:

إلى كم نماد في غرورٍ، وغفلةٍ ... وكم هكذا نوم إلى غير يقظة

لقد ضاع عمر ساعة منه تشتري ... بملء السماء والأرض أية ضيعة

أنفق هذا في هوى هذه التي ... أبى الله أن تسوى جناح بعوضةً

أترضى من العيش السعيد تعيشه ... مع الملأ الأعلى بعيش البهيمة

فيا درة بين المزابل ألقيت ... وجوهرة بيعت بأبخس قيمة

أفانٍ بباقٍ تشتريه سفاهةً ... وسخطاً برضوانٍ، وناراً بجنة

أأنت عدو أم صديق لنفسه ... فإنّك ترميها بكل مصيبة

ولو فعل الأعداء بنفسك بعض ما ... فعلت لمستهم لها بعض رحمة

لقد بعتها حزماً عليك رخيصة ... وكانت بهذا منك غير حقيقة

فويك استقل لا تفضحنها بمشهد ... من الخلق إن كنت ابن أم كريمة

فبين يديها موقف وصحيفة ... يعد عليها كل مثقال ذرة

كلفت بها دنيا كثير غرورها ... تعامل من في نصحها بالخديعة

إذا أقبلت ولت وإن هي أحسنت ... أساءت وإن صفت فثق بالكدورة

ولو نلت منها مال قارون لم تنل ... سوى لقمة من فيكَ منها وخرقة

وهبك بلغت الملك فيها ألم تكن ... لتنزعه من فيك أيدي المنية

فدعها وأهليها بقسم وخذ كذا ... لنفسك عنها فهي كل الغنيمة

ولا تغتبط فيها بفرحةِ ساعة ... تعود بأحزان عليك طويلة

فعيشك فيها ألف عام وينقضي ... كعيشك فيها بعض يوم وليلة

عليك بما تجزى عليه من التقى ... فإنك في لهو عظيم وغفلة

انتهى بما تجزى عليه من التقى ... فإنك في لهو عظيم، وغفلة

انتهى الغرض منها وهي أكثر، وإنما أتيت بها في هذا المحل لأنها مناسبة له وهي في غاية الوعظ والتذكرة، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بها في الدنيا والآخرة آمين. ويقال إن أول ما يرى أهل الجنة في الجنة مكتوباً:

وهذا السرور بتلك الكروب ... وهذا النعيم بذاك التعب

لا راحة قط إلا قبلها تعب ... اتعب تجد راحة تنجيكَ من تعب

ويقال: إن منازل الجنة تعطى على حسب الأعمال في الدنيا، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل له، وقد يعطي سبحانه لمن يشاء من عباده في دار كرامته ما لا يخطر بالبال، فضلاً منه وكرماً إذ هو الفاعل المختار، ولا يسأل عما يفعل جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ [مريم: ٦٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذلك من أراد طريق القوم فإنّه لا يتوصل إلى شم رائحة منه إلا بالجد والعزم، وترك

المألوفات والمستحسنات، وقطع العلائق والعوائق، والإعراض عما سوى الله، كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه: هو أن لا ترى في الوجود إلا أنت وربك.

(وسئل) الجُنيد رضي الله عنه: كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى؟ فقال: بتوبة تزيل الأضرار، وخوف يُزيل التسويف، ورجاء يبعث على مسالك العمل، وإهانة النفس بقربها من الأجل، وبعدها من الأمل، قيل له: بماذا يصل العبد إلى هذا؟ قال: بقلب مفرد فيه توحيد مجرد.

(وقال) أبو سعيد الخراز رضي الله عنه: المعرفةُ تأتي القلب من وجهين: من عين الجود وبذل المجهود، فإذا علم الله الصدق من عبده فتح عليه من خزائن غيبه وجعله من أهل قربه وحزبه. قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنَّ الله لمع المحسنين﴾ [العنكبوت: ٦٩].

(واعلم رحمك الله) أنَّ من كانت له همة عليّة لا تراه يرضى إلا بالرتب السنية، ويفر مما سوى ذلك كائناً ما كان، لأنّ قوة النور التي أودع الله في قلبه تحمله على أن يأنف من شيء يراه بالنسبة إلى غيره أدون فهو أبداً في محل الترقي، وذلك كله من فضل الله على عبده، ومن كانت إرادته مولاه فاز بالنعيم المقيم والنظر إلى وجهه الكريم، وتنعم في الدنيا بالمعرفة والإيمان وفي تلك برفع الحجاب وشهود العيان؛ وبهذا أخذ ساداتنا الصوفية إذ كانوا أشد اتباعاً لما جاء به نبينا ﷺ، فكانوا على الله مقبلين وعن سواه معرضين، كما هو شأن شيخنا وإمامنا أبي العباس رضي الله عنه فإنّه جمع بين علو الهمة، وحفظ الحرمة، ونفوذه العزمة وكل من له نسبةً صحيحةً فهو على منهجهم القويم سائر، وعلى ما هم عليه من الخلق الحسن دائر، وعلامة الانتفاع وجود الاتباع، فنتيجة علو الهمة تظهر على الظاهر بحسن الخدمة وحفظ الحرمة، ومن شكر النعمة صرفها في طاعة المنعم الدائم، وعلى قدر العزم تأتي العزائم، وإنّ الشيخ رضي الله عنه ممن بذل المجهود في طاعة المعبود، وممن طلب العلم في بدايته للقيام بطاعته، وعبادته لا ليتوصل به إلى شهوته بل عمل في بدايته على تصحيح التوبة بشروطها في طريقته بحفظ الشريعة، وحدودها، ونفى إرادته، وقطع عن نفسه الحظوظ والعلائق، وانقطع إلى الله بمراعاة حقه، فانكشفت لهُ الحقائق عمل على نفي الرخص والتأويلات، وشمر عن ساعد الجد في عموم الأوقات، وقبض عنان الخوض فيما لا يعنيه من المخالفات، وتمسك بالكتاب والسنة وما درج عليه سالف الأمة، فتوجه بكليته إلى مولاه فكفاه كل ما سواه، أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، لاشتغاله أولاً بالعلم والحديث والقرآن، وتبحر في غرائب العلوم ودقائق الفهوم، وجاهد نفسه بالاستقامة والورع، ويئس من كل مخلوق ولم يكن له في غير مولاه طمع، وغض طرفه عن الأكوان جملة وتفصيلاً، وانقطع إلى مولاه وتبتل إليه

تبتيلاً، وتخلق بأخلاق الزهاد والعباد ولم يشغله عن الله شاغل، وتجرد للخدمة، ونبذ من قلبه كل ما هو عاجل، وشأن الصديقين إخلاص الأعمال وصدق التوجه في كل حال، ونسيان أعمالهم بشهود الكبير المتعال.

(وبالجملة): فالشيخ رضي الله عنه من أعظم الأئمة في وقته، وممن أجمع العلماء على تعظيمه وتوقيره والاحترام له من غير مدافع ولا منازع، من أرباب الصدق، إليه انتهت رياسة هذا الشأن وبه أحدق الأمر في تربية السالكين وتهذيب المريدين، وكشف مشكلاتهم، وكشف أحوالهم، ولم يكن أحد في عصرنا يبلغ ما بلغ فهو شريف الأخلاق لطيف الصفات كامل الأدب جليل القدر، وافر العقل دائم البشر مخفوض الجناح كثير التواضع شديد الحياء، متبع أحكام الشرع وآداب السنة، محباً لأهل الصلاح والفضل مكرماً لأرباب العلم، ولم تزل به قدمه ولم يمله هوى متبع، والله أسأل أنْ يختم لنا بما ختم به لأوليائه وأن يجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائه بجاه نخبة أوليائه، وخلاصة أصفيائه ﷺ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً إلى يوم لقائه.

الفصل الثالث: في أخذ طريق رشده، وهدايته:

اعلم أنّ أولى ما تتعلق به المعرفة والدراية وتجب المحافظة لمكانه والرعاية، من أتتك على يديه نتائج الهداية، وواجهتك منه بإذن الله العناية، إذ هو الأب والوالد وأحق من كل نسب وتالد، حيث كان لك السبب في عدد إيجادات ونيل مدد السعادات، فكان السبب في إخراجك من عدم الجهالة إلى وجود المعرفة حالة، ومن مكان الغفلة والصدود إلى مكان التوجه والورود، ومن موطن الغواية إلى منزلة الهداية، ومن ظلمات المخالفات والعصيان إلى أنوار المتابعة والرضوان، ومن موقف الجفاء والبعاد إلى كنف القرب والوداد، ومن درك القطيعة إلى درجة الوصل الرفيعة، ومن محل الإشراك والأنداد إلى مقام التوحيد والأفراد، فنقلك من وجود حسي إلى وجود قدسي، ومن وجود نفساني إلى وجود رحماني، ومن وجود كالعدم إلى وجود راسخ القدم، فأنزلك في هذه المنازل المنيفة وأشرق عليك منه نور الحقيقة، فصرت موحداً حقيقياً وفزت فوزاً أبدياً، فكانت لك الولادة المعنوية أنفع من الأبوة الحسية، وأحق منها رعاية وآكد منها دراية وأقرب منها حسباً وأوصل سبباً، كما قال ابن الفارض رضي الله عنه:

نسب أقرب في شرع الهوى ... بيننا من نسب من أبويّ

وصارت معرفته أحرى من معرفة أخرى، كما قاله الشعراني رضي الله عنه: تعيين الأب لئلا يجهل الابن من النسب، فينتسب أو ينسبه سواه لغير أبيه، فيشمله حديث: «من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، ومن لم

يعرف والده في الطريق فهو دعي على التحقيق، ولوجوب معرفة هذا النسب وكون حقه أوكد وأوجب تجد الأشياخ في كتبهم يتعرضون للتعريف بآبائهم لبيان رتبهم فيقدمون نسبهم الديني على نسبهم الطيني، إذ ليست الرتبة كالرتبة، ولا القربة كالقربة في الغالب، ثم معرفة قدر شيخ الإنسان علامة على معرفة قدره، وعنوان ودليل على قدر منحه وقوة حاله وفتحه، إذ على قدر فتح الشيخ يكون فتح المريد، وبحسب قوة حاله وتهذيبه يكون التهذيب والمزيد.

ولهذا قال الشيخ الكامل، والقطب الشامل مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه مشيراً لهذا المعنى: البيضة منا بألف، والفرخ لا يقوم ولا سبيل لمعرفة هذه تحصيلاً إلا بالتعرف للتعريف بالشيخ تفصيلاً، فكان التعرض من أجل ذلك للتعريف بأشياخ سيدنا رضي الله عنه أكيداً، ولتمام المعرفة بقدرهم مفيداً، وبسبيل ذلك تأكد التعريف بأشياخه ليحصل التعريف بقدره، فتعرضنا لذلك في هذا الباب، واقتصرنا فيه على ما لا مندوحة عنه والله الموفق للصواب، فأقول وبالله التوفيق: (فأول) من لقيه من السادات الأعلام زمن انتقاله من بلده إلى فاس وأحوازها، لقي الولي الكبير والقطب الشهير الشريف الأصيل الوجيه الأثيل صاحب الكرامات الشهيرة، والمزايا العظام والفاخرة مولانا الطيب ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم اليملحي العلمي دفين وازن من بلاد الهبط من مصمودة حيث ضريح أبيه وجده، وأخيه مولانا التهامي وهو شيخه رضي الله عنه وعنهم أجمعين، له صيت عال كبير جداً تشد لزيارته الرحال من الآفاق البعيدة من الرجال، وزوايا كثيرة في مدن المغرب وما والاه، وبالمشرق وما حواه، فشهرته رضي الله عنه تغني عن التعريف به وبنسبه وبطريقته رضي الله عنه.

(توفي) رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه أواخر ربيع الثاني عام ثمانين ومائة وألف، ودفن ببلاده وزان رحمه الله أخذ عنه سيدنا رضي الله عنه، وأذن له في تلقين ورده، فامتنع سيدنا رضي الله عنه من ذلك لاشتغاله رضي الله عنه بنفسه، ولكونه لم يعرف منزلته في ذلك الوقت رضي الله عنه. (ولقي) الولي الصالح ذا السعي الرابح صاحب الكشف الصحيح والذوق الصريح سيدي محمد ابن الحسن الوانجلي من بني وانجل من جبال الزبيب، فإنه لما ورد عليه سيدنا رضي الله عنه قال له قبل أنْ يكلمه: إنك تدرك مقام الشاذلي، وكاشفه بأمور كانت بباطنه، وأخبره بما سيكون منه وذلك عن بعد، وقد ظهر الآن ما بشره به ولله الحمد والمنة من الخوارق والكرامات والبوارق، ولم يأخذ عنه سيدنا رضي الله عنه. (توفي) رحمهُ الله حدود خمسة وثمانين ومائة وألف (ولقي) بفاس الولي الصالح نجل العارف الرابح سيدي عبد الله بن سيدي العربي بن أحمد بن محمد المدعو ابن عبد الله من أولاد معن الأندلسي رحمهم الله، لقيه وتكلم معه في أمور، ثم لما أراد

أنْ يودعه دعا له بخير الدارين، وآخر ما افترقا عليه قال له: الله يأخذ بيدك ثلاثاً. توفي سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف، وغسلته بيدي وكفنته وجهزته رضي الله عنه، وكانت له جنازة حفيلة حضرها أعيان فاس من علمائها وفقرائها ورؤسائها، وصلى عليه بقبره عند آبائه وأجداده خارج باب الفتوح قرب قبة القطب الشهير سيدي أحمد اليمني رضي الله عنه، (ثم أخذ) طريق الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بفاس على يد من كان يلقن طريقته ومن له الإذن فيها، ثم تركها بعد حين، (ثم أخذ الطريقة الناصرية) على الولي الصالح أبي عبد الله سيدي محمد ابن عبد الله التزاني، ثم تركها بعد حين، ثم أخذ طريق القطب الشهير العالم الكبير أبي العباس سيدي أحمد الحبيب بن محمد الملقب بالغماري السجلماسي الصديقي نسباً على بعض من له الإذن فيها، ثم تركها بعد مدة، ثم لقيه في عالم النوم بعد موته ووضع فاه على فيه وهو قابض على لسان الشيخ رضي الله عنه ولقنه اسماً في تلك الحالة، هكذا سمعناه من سيدنا رضي الله عنه، ثم ذكره مدة وتركه.

(توفي) الشيخ المذكور رابع المحرم عام خمسة وستين ومائة وألف (ثم أخذ) عن الولي الصالح الملامتي أبي العباس سيدي أحمد الطواش نزيل تازه، وبها توفي ليلة ثامن عشر من جمادي الأولى عام أربعة ومائتين وألف، ولقنه اسماً، وقال له: إلزم الخلوة والوحدة والذكر، واصبر حتى يفتح الله عليك، فإنّك تنال مقاماً عظيماً، فلم يساعده سيدنا رضي الله عنه، فقال: الزم هذا الذكر ودم عليه من غير خلوة ولا وحدة، فيفتح الله عليك على تلك الحالة، فذكره سيدنا مدة وتركه. ووقع لنا معه رضي الله عنه كرامات عديدة، وسمعت منه ما يُنبيء عن تصريفه في تلك البلدة، وأخبرني بما يصله سيدنا رضي الله عنه من المقامات حتى رأيناها والحمد الله وله المنة، (ثم انتقل) من المغرب إلى ناحية الصحراء قاصداً زاوية الشيخ سيدي عبد القادر بن مُحمد الأبيض، فأقام بها مدة كما تقدم، ثم انتقل إلى تلمسان كما تقدم أيضاً، ثم انتقل من تلمسان قاصداً الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام كما تقدم، فلما وصل إلى بلد أزواوي بقرب الجزائر سمع بالشيخ الإمام والعارف الهمام قدوة المتقين وعمدة المحققين أبي عبد الله سيدي مُحمد بالفتح ابن عبد الرحمن الأزهري لقيه، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية، وكان لهذا الشيخ رضي الله عنه صيت كبير وأتباع كثيرة، وله زوايا كبيرة. (توفي) رحمهُ الله فاتح المُحرم عام ثمانين ومائة وألف، فلما دخل تونس عام ستة وثمانين ومائة وألف لقي بعض الأولياء بها منهم الولي الشهير صاحب القدر الكبير سيدي عبد الصمد الرحوي، وكان تحت ولاية غيره، وهو قطب تلك البلد وكان في صحبته رابع أربعة ولم يلاقوه إلاّ ليلاً لستره على حاله في ليلة الجمعة وليلة الاثنين. قال الشيخ رضي الله عنه: طلبت من

سيدي عبد الصمد ملاقاة هذا السيد رضي الله عنه، فامتنع متعللاً بعدم ملاقاة أحد أصلاً، فبعث له محبوباً مع صاحبه، فقال له ذلك الولي: المحبوب بعث محبوباً، فأقام سنة كاملة بعضها بتونس وبعضها بمدينة سوسة، فدرس بتونس كتاب الحكم وغيره، فأرسل له أمير البلد أن يقيم عنده بتونس لقراءة العلم وتدريسه والقيام بأمر الدين وتدريسه، ونفذ له داراً، ومسجد الزيتونة للقراءة وعيّن له مرتباً عظيماً، فلما قرأ كتاب الأمير مسكه وسكت، ومن الغد تهيأ للسفر في البحر لمصر القاهرة قاصداً الحج، وعازماً على الأخذ عن الشيخ محمود الكردي واستسلام القياد له والسلوك بطريقته والسير بسيرته لرؤيا رآها هنالك، فبعث لذلك لولي خديمه سيدي عبد الصمد وقال: قل له: إنّي أردت السفر في البحر لمصر القاهرة، وأطلب منه الضمّان في البحر من كل ما يروع البال، وما يشوش الحال، فساعفه على مطلوبه وقال: قل له: أنت مضمون ذهاباً وإياباً، فعند ذلك ركب في البحر متوجهاً لمصر فحفظه الله إلى أنّ بلغ بالسلامة والعافية لمصر القاهرة، فسأل عن الشيخ الهمام العالم الإمام المشارك النبيل المحدث الصوفي الجليل ذي الفكر الصائب والذهن الثاقب الفاضل المنيف الأعرف الزاهد العفيف حجة الإسلام وقدوة الأنام، العارف الكبير الولي الشهير طود المعرفة الشامخ المتمكن الراسخ الكامل العرفان والأتباع الموصل المربي النفاع أبي الفضائل سيدي: محمد الكردي المصري داراً وقراراً العراقي أصلاً ومنشأ، رضي الله عنه وأفاض علينا من بركاته آمين. فلما ورد عليه سيدنا رضي الله عنه أول ملاقاته قال له: «أنت محبوب عند الله في الدنيا والآخرة»، قال له سيدنا رضي الله عنه من أين لك هذا؟ قال له: من الله. فقال له: سيدنا رضي الله عنه: رأيتك وأنا بتونس، فقلت لك إني نحاس كل ذاتي، قلت لي: هو كذلك وأنا أقلب نحاسك ذهباً فلما قصها عليه قال له رضي الله عنه: هو كما رأيت، ثم قال له بعد أيام: ما مطلبك؟ قال له: مطلبي القطبانية العظمى. قال له: لك أكثر منها. قال له: عليك. قال له: نعم. فأخبره رضي الله عنه عن نفسه وما وقع له في سياحته، وسبب ملاقاته شيخه الحفني، وشيخ شيخه الشيخ مولانا مصطفى البكري الصديق رضي الله عنهم أجمعين. فتهيأ سيدنا رضي الله عنه للسفر لبيت الله الحرام في البحر فواعده الشيخ ودعا له وضمنه في سفره في الذهاب والإياب، فلما بلغ إلى مكة المشرفة زادها الله علواً ورفعةً وشرفاً ومكانة، في شوال سنة سبعة وثمانين بتقديم السين على الباء ومائة وألف، فبحث هنالك عن أهل الخير والصلاح والرشد والفلاح، كما هي عادته رضي الله عنه ليحصل كمال الطلب والنجاح، فسمع بالشيخ الإمام الحبر اهمام بدر التمام ومسك الختام وشمس الأنام وقمر دارة الأعلام: أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله الهندي قاطن مكة المشرفة رضي الله عنه، أخذ عنه رضي الله عنه علوماً وأسراراً وحكماً وأنواراً من غير ملاقاة له، إنما كان يراسله مع خادمه وهو الواسطة

بينهما، لأنه لم يكن له إذن في ملاقاة أحد أصلاً بعد طلب سيدنا له بملاقاته فأجابه بأنه لا إذن له في ملاقاة أحد أصلاً، وانتفع سيدنا على يديه وأخبره بما يؤول إليه أمره وقال له: أنت وارث علمي وأسراري ومواهبي وأنواري، فلما كتب له ذلك قال لخادمه: هذا الذي كنت أترجاه قل له: هو وارثي. فقال له خادمه: هذه مدة ثمانية عشر عاماً وأنا أخدمك والآن أتى رجل من ناحية المغرب تقول لي هو وارثي فقال له: لا أترجى إلا هو، وهذا ليس لأحد فيه اختيار يختص برحمته من يشاء لو كان الأختيار لي لنفعت بذلك ولدي به قبلك، منذ زمان وأنا أترجى وأترقب له في الغيب ننفعه بشيء لم يرده الله به حتى أتى صاحبه. فكتب لسيدنا حينئذٍ وقال له: بحقي عليك إلا ما فعلت مع ولدي خيراً وأخبره بأنه يموت في عشرين من شهر الله ذي الحجة الحرام، فكان كما قال رحمه الله ورضي عنه، فلما دفن دعا ولده شيخنا ودخل معه للبيت ومكنه من السر حفظاً لأمانة الشيخ، وللوفاء بعهده، وكان قبل موته رضي الله عنه أعطى لسيدنا سراً كبيراً، وأمره أن يذكره سبعة أيام فيفتح عليه لكن يعتزل الناس ولا يراه أحد قط بعد هذا العمل، فلم يفعل سيدنا رضي الله عنه بهذا الشرط المذكور، وحين دنا الرحيل لعرفة قال له سيدنا رضي الله عنه في رسالته طالباً منه الملاقاة: لأن أوان الفراق قد دنا لينظر طلعته البهية، وما ونا فقال له: لا إذن لي في الملاقاة ولكن تلتقي بالقطب بعدي يكفيك عني يشير له إلى ملاقاته بالشيخ السمان، وأخبره بأنه لا بد له من بلوغ مقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، كما أخبره بذلك سيدي محمد بن الحسن المتقدم ذكره، وأخبره بأمور عديدة وهو المعتمد عند سيدنا في العلوم والأسرار والخواص والأنوار، توفي رضي الله عنه عام سبعة بتقديم السين على الباء وثمانين ومائة وألف، ولما قضي نسكه وكمل حجه المبرور وسعيه المشكور، ارتحل للمدينة المنورة لزيارة النبي المبرور، فلما بلغ مدينة الرسول ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم، توجه لزيارة القبر الشريف، وما أودع الله فيه من السر المنيف فدخل بهيبة ووقار وإعظام وإكبار، فأعطى المقام ما يناسب قدوره العظيم من الآداب والإجلال والتذلل والخضوع العميم، فلما قضى زيارته وكمل الله أمنيته ورغبته التفت إلى ملاقاة القطب الشهير والعالم الكبير صاحب الكرامات الباهرة، والإشارات الفاخرة أبي عبدالله سيدي مُحمد بن عبد الكريم الشهير بالسمان رضي الله عنه فلما لاقاه أخبره بحاله وما يؤول إليه في عاقبة مآله، فطلب منه الشيخ المذكور أن يقيم عنده سيدنا ويدخله الخلوة ثلاثة أيام، ويصبغه صبغة تامة فتعلل له سيدنا بعدم الإقامة لعذر قام به، فأذنه الشيخ المذكور بعد طلب سيدنا له في جميع الأسماء والمسميات، وأخبره رضي الله عنه بأنه هو القطب الجامع وقال لسيدنا: اطلب ما شئت، فطلب منه سيدنا أموراً، فساعده على ذلك، ثم رجع لمصر القاهرة مع ركب الحجيج بالسلامة والعافية، وصل إليها محفوفاً بالكرامة

والعناية الربانية، فذهب لزيارة شيخه يسلم عليه من قدومه من حجه وزيارته، فسلم عليه ورحب به وأجلسه بين يديه وأمره بالتردد في كل يوم إليه، فكان رضي الله عنه يلقي الأمور المشكلة على سيدنا ويطلب منه حل إشكالها من علوم سيدنا، فلم يزل كذلك حتى ظهرت علوم سيدنا الغزيرة وأحدقت به علماء مصر لإفادتهم من علومه الغزيرة، ثم عند انتقاله للمغرب أذن له شيخه الشيخ محمود المذكور في طريقته الخلوتية، والتربية بها، فامتنع، فقال الشيخ: لقن الناس والضمان عليَّ. فقال له: نعم. فكتب له الإجازة وسند الطريق.

(ولنذكر) سنده للتبرك به على التحقيق فأقول وبالله الإعانة والمدد والتوفيق كما قال رضي الله عنه: لقن رب العزة جبريل عليه السلام وهو لقن النبي ﷺ وهو لقن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو لقن ابنه الحسن والحسن البصري وجميل بن زياد، والحسن البصري لقن حبيباً العجمي، وهو لقن داود الطَّائي، وهو لقن معروفاً بن فيروز الكرخي وهو لقن السّرِيّ بن المغلس السقطي، وهو لقن الجنيد ابن محمد سيد الطائفة البغدادية، وهو لقن محمد البكري، وهو لقن وجيه الدين القاضي وهو لقن عمر البكري، وهو لقن أبا النجيب السهروردي، وهو لقن قطب الدين الإبهري وهو لقن ركن الدين محمد التجاشي، وهو لقن شهاب الدين محمداً الشيرازي وهو لقن سيدي جمال الدين التبريزي، وهو لقن إبراهيم الزاهد الكيلاني، وهو لقن محمداً الخلوتي، وهو لقن عمر الخلوتي، وهو لقن محمداً أبرم الخلوتي، وهو لقن الحاج عز الدين، وهو لقن صدر الدين الجياني، وهو لقن سيدي يحيى ألباكوني، وهو لقن محمد بن بهاء الدين الشرواني، وهو لقن جلبي سلطان المقدسي الشهير بجمال الخلوتي، وهو لقن خير الدين النقادي، وهو لقن الشيخ شعبان القسطموني، وهو لقن محي الدين القسطموني، وهو لقن سيدي عمر الفؤادي، وهو لقن وأرشد الشيخ إسماعيل الجرمي المدفون بالقرب من مرقد سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه بديار الشام، وهو لقن وأرشد الشيخ علي أيندي قراباشا وتخلف عن والده الشيخ مصطفى الطبيبي أي هو الذي أجازه بالإرشاد، وهو لقن وأرشد الشيخ مصطفى أفندي الأدنوي، وهو لقن وأرشد الشيخ عبد اللطيف الخلوتي الحلبي وهو لقن وأرشد قطب الوجود السيد مصطفى بن كمال الدين الصديقي، وهو لقن وأرشد الشيخ الحفني، وهو لقن وأرشد الشيخ محمود الكردي، وهو لقن قطب زمانه فريد عصره وأوانه شيخنا وقدوتنا إلى الله مولانا أبا العباس أحمد بن محمد التجاني، وهو لقن أبا عبد الله الشريف محمد بن محمد بن المشري السائحي ولقن العبد الفقير إلى مولاه الغني الحميد جامع هذا الكتاب المجيد أدرجنا الله في سلكهم وأماتنا على محبتهم وحشرنا في زمرتهم، وأدخلنا مدخلهم وأحلنا محلهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وصلى الله

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فلما ودعه وقفل إلى ناحية تونس، فوصل إليها بالسلامة والعافية، انتقل منها إلى تلمسان وأقام بها مجتهداً في العبادة والدلالة على الله، ثم سافر إلى مدينة فاس بقصد زيارة مولانا إدريس سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، وفي هذه الرحلة المباركة لاقيته رضي الله عنه بمدينة وجدة قافلاً لفاس، فقفلت معه وتعرف لي وقد كنت رأيت قبل هذا الوقت بعامين رؤيا تدل على صحبته والأخذ عنه، فبعد يومين أو ثلاثة تعرف لي وذكر لي الرؤيا بعينها وقد كنت نسيتها وقال لي: أما تخاف من الله تتعبني من مكاني إليك، فلا حاجة لي إلا ملاقاتك، فاحمد الله على ذلك، فحمدت الله وشكرته وعلمت أن الله تفضل علي وأنه هو الكفيل لي والمتولي أموري بتصريح منه رضي الله عنه، فأخبرني بما يؤول إليه أمري من الفتح والتمكين، فلما وصلنا إلى فاس أقام بها مدة بقصد زيارة مولانا إدريس، فلقنني الطريقة الخلوتية وأسراراً وعلوماً ورجع إلى تلمسان وأخبرني بأنه ينتقل من تلمسان إلى مكان آخر لأن حاله لم يستقم بها وضاقت نفسه، فودعته وقال لي: إلزم العهد والمحبة حتى يأتي الفتح إن شاء الله تعالىٰ، فلما وصل إلى تلمسان أقام بها مدة وارتحل إلى ناحية الصحراء سنة ست وتسعين ومائة وألف ونزل بقرية القطب الكبير سيدي أبي سمغون، ثم سافر منها إلى بلاد أتوات بقصد الزيارة، فلقي بعض الأولياء بها وأخذ عنهم بعض الأمور الخاصة، واستفادوا منه علوماً وأسراراً في الطريق، ثم رجع إلى قرية أبي سمغون وأقام بها واستوطن وفيها وقع له الفتح، وأذن له صلى الله عليه وسلم في تلقين الخلق بعد أن كان فاراً من مُلاقاة الخلق لاعتنائه بنفسه وعدم ادعاء المشيخة إلى أن وقع له الإذن منه يقظة لا مناماً بتربية الخلق على العموم والإطلاق، وعين له الورد الذي يلقنه في سنة ست وتسعين ومائة وألف عين له ﷺ الاستغفار والصلاة عليه ﷺ وهذا كان هو أصل الورد في تلك المدة إلى رأس المائة كمل له الورد ﷺ بكلمة الإخلاص، فعند هذا تنزل للخلق والإفادة وإظهار الطريقة والاستفادة، وهذا بعد إخباره له بعلو مقامه وارتفاع قدره ومكانه وأخبره عليه الصلاة والسلام بفضل هذا الورد وقدره وما أعد الله لمن أحبه من أتباعه وحزبه، وسيأتي إنْ شاء الله هذا مبيناً مفصلاً في بابه.

ولما أذن لهُ ﷺ في هذه الطريقة الأحمدية والسيرة المصطفوية النبوية وفتح الله له على يديه ﷺ وأخبره أنّه هو مُربيه وكافله، وأنه لا يصله شيء من الله إلا على يديه وبواسطته ﷺ وقال له: لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق فأنا واسطتك، وممدك على التحقيق، فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطريق وقال له: إلزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذي وعدت به وأنت على حالك

من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة، واترك عنك جميع الأولياء، فمن حين قال له ﷺ بهذه القولة ترك جميع الطرق وترك الطلب من جميع الأولياء؛ فانظر رحمك الله هذا الاعتناء بشيخنا رضي الله عنه وهذه المحبة والخصوصية من سيد الوجود ﷺ، وهذا يدل على أنَّ لسيدنا رضي الله عنه مرتبة عظيمةً عند الله تعالىٰ كما أخبره بها سيد الوجود ﷺ في غير ما مر، وذلك أنَّ من كان وصوله على يديه وفتحه كان مقامه أعلى وأجل وأوقع كما هو معلوم عند أهل الطريق، وكان أصحابه أعظم قدراً في الغالب من أصحاب غيره من الأشياخ رضي الله عنهم، كما أشار إليه مولانا عبد القادر الجيلاني في قوله الذي قدمناه وهو: «لبيضة منا بألف إلخ» مشيراً بهذا لأصحابه لأن فتحه ووصوله كان على يديه ﷺ، ومن كان فتحه ووصوله على يديه ﷺ كان أرفع قدراً وأعظم شأناً، وهذا الفتح والفيض منه ﷺ وقع على رأس المائة الثانية بعد الألف بأبي سمغون والشلالة، ومن ذلك الوقت والحمد لله تترادف عليه الأنوار والأسرار، والتجليات والترقيات وكمال الأنوار، فمن ذلك الوقت والوفود ترد عليه من جميع النواحي والأقطار للأخذ عنه والزيارة وأخذ الأسرار.

(ومن جملة فيوضاته) ما تلقيناه من إملائه علينا من حفظه ولفظه، وسيرد عليك إن شاء الله في هذا المجموع المبارك في محله ما ستقف عليه مما يبهر العقول ويتمحق فيه المعقول والمنقول، وبقي سيدنا رضي الله عنه على هذه الحالة من ذلك الوقت في تلك البلدة ونحن نتردد عليه المرة بعد المرة، وقدمنا لزيارته لتلك البلدة في شهر رمضان من سنة ثلاثة أعوام ومائتين وألف، وفي كل مرة نسمع منه ما لم نسمعه في التي قبلها من العلوم والأسرار ولم أزل أقيد ما سمعته منه ويمليه علينا من حفظه ولفظه، ثم انتقل من بلاد الصحراء المذكورة في السابع عشر من ربيع الأول النبويّ سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، ودخل بفاس السادس من ربيع الثاني من العام المذكور ونحن معه من أبي سمغون إلى أن وصلنا لفاس، واستفدنا في سفرنا أموراً لا نحصيها من أحوال سيدنا رضي الله عنه التي لم يطلع عليها أحد، وشهدنا له في ذلك السفر من خوارق العادات مما ستقف عليه إنْ شاء الله في محله من باب الكرامات، وقد شب حاله واكتمل وعلى ما أهل له من المعارف الربانية اشتمل، فأشرقت بمقدمه الكريم بقاع الأرض، وعمت البركة القطر المغربي بالطول والعرض، ولكن انبهم ذلك في طي خموله وانكتم وستر إلا عن أهل الخصوص إلى أنْ أكتمل أمره وتم، ولو انكشف الحجاب الحائل وعلم ما إليه أمره آيل لأنشد مغتبط بقدومه كل إنسان وكل جارحة منه لو أمكنه ذلك لسان:

عدتم فعادت ليالي الوصول أعياداً — من قربكم ولذيذ الأنس قد عادا
أبنتم الصبر ما أبنتم فأنا — لأجل ذاك أرى الإغواء إرشادا
واليوم سامحني دهري بوصلكم — وصالح الصلح وفيَّ بعد أن عادا

لا أوحش الله عيني من جمالكم بأنوارها لأقضي الدهر إسعادا

ولما مضى له شهران بفاس أمرنا رضي الله عنه بجمع هذا التأليف بأمر من سيد الوجود ﷺ مؤكداً ألا ينبغي تركه، بعد أنْ كان أمرنا رضي الله عنه بتمزيق ما جمعناه منه لسبب اقتضاء الوقت والحال، حتى تفضل الحق علينا الكبير المتعال بأمر من سيد الرجال ﷺ لا يسعه تركه، ولا ينبغي إلا جمعه، فقد قال له سيد الوجود بعد أمره له بجمعه: وتحفظ عليه لينتفع به من الأولياء بعدك بحفظه، فأمرنا رضي الله عنه بكتابته وجمعه وتحفظ ما شرد من مسائله، ففرحنا بهذه البشارة غاية الفرح والسرور، وقد كان عندنا قبل من أعظم ما يدخر في الأعصار والدهور، وكنا قبل هذه المدة حين مزق في غاية النكد وعدم السرور إلى أن تفضل الله علينا بكمال الفرح والسرور، فشرعنا في كتابته وجمع مسائله ومحاولته نسأل الله التمام بجاه بدر التمام عليه من الله أفضل الصلاة والسلام.

(ولنختم) هذا الباب بمبشرات ظهرت لشيخنا في أول عمره تدل على علو شأنه ورفعة قدره ومكانه، ولا أرى رؤيا إلا وقعت ولو بعد حين كما أخبر بها رضي الله عنه، لأن رؤيا الإنسان الصادق تدل على ما ينتهي إليه أمره في الغالب، كما قالت سيدتنا عائشة الصديقية رضي الله عنها: «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» الحديث، فمن مرائي شيخنا رضي الله عنه التي تدل على ما ينتهي إليه أمره قال رضي الله عنه: رأيت وأنا صغير قبل البلوغ كأنه انتصب لي كرسي المملكة وأنا جالس عليه ولي عساكر كثيرة وأنا أصرفها في قضاء الحوائج كأني ملك، وهذه الرؤيا رآها بعين ماضي، وقال أيضاً: رأيت رؤيا تدل على حالي كله وذلك أني رأيته ﷺ راكباً على حصان فقلت وأنا ذاهب نحوه: إن سلمت عليه وهو فوق الحصان لم أدرك مرادي إلا بمشقة، وإنْ سلمت عليه غير راكب فأدرك مرادي من غير تعب، فلما وصلته ﷺ نزل من فوق الحصان وسلمت عليه، فهكذا وقع في خاطري في ذلك النوم، فلما سلمت عليه دخل إلى بستان رجل من عين ماضي وأحرم يصلي، فلما أردت أن أحرم معه بينما أنا في استحضار النية ولم أحرم حتى ركع وسجد ﷺ فأحرمت معه في الثانية، فكملتها معه إلى أن سلم، فأولتها وأنا في ذلك الحال بأن نصف عمري يضيع ولم أدرك فيه شيئاً ونصفه الآخر أدرك فيه مرادي، فكان الأمر كذلك، فله الحمد والمنة.(وقال أيضاً): رأيت نفسي في صورة ملك وعقد لي الناس البيعة ومعي خلق كثير ونصبوا لي كرسي الخلافة على سطح مرتفع وعلى لباس الملوك، فلما حانت الصلاة وهي صلاة الظهر أردت أن آمر أحداً من الناس يصلي بنا على عادتي في اليقظة فتفكرت وقلتُ: الخليفة هو الذي يصلي بالناس، فتقدمت وصليت بالناس حتى أتممت الصلاة وسلمت، فقصها على بعض الأحباء، فقال له: وأظن أنّ الله سبحانه وتعالىٰ أراد بي

القطبانية وأنا أطلب غيرها، فكان رضي الله عنه في ذلك الوقت يطلب عند الله أن يكون أحد مفاتيح الكنوز لما رأى من علو مرتبتهم، ثم بعد ذلك صرف همته لطلب القطبانية لما رأى من الخصوصية التي للقطب ولم ينلها غيره وإن بلغوا ما بلغوا في الارتقاء، فأعطيها والحمد لله. (وقال أيضاً): رأيت سيدي أبا مدين الغوث في النوم في مجمع وهو يقول: من يأتي لنا بشيء نعطيه الحاجة التي طلبها. قلت له: ها أنا أعطيك أربعة مثاقيل واضمن لي القطبانية العظمى. قال لي: نعم وأنا أضمنها لك لم تمت حتى تدركها. ومما يؤيد هذه الرؤيا أن الشيخ رضي الله عنه لقي رجلاً يلاقي الروحانية يقظة، ويخبرونه بما أراد، فقال له سيدنا: إني أضمرت لك حاجة، فما هي؟ ولم يسمها له، فلما حضروه قال لهم: ما حاجة فلان؟ قالوا له: سألك عن القطبانية قال: فحضر معهم رجل وقال لهم: من قال لكم تتكلمون في هذا الأمر؟ قالوا له: صاحبه هو الذي سألنا. قال لهم: هذه القطبانية أنا ضمنتها له حين كان بتلمسان قبل أن يشرق لم يمت حتى يدركها، فلا تدخلوا فيها لا أنتم ولا غيركم، والرجل المذكور هو الشيخ سيدي أبو مدين رضي الله عنه والمسؤول لم يتلاق مع الشيخ أبداً إلا في ساعة السؤال ولا خبرة له بالرؤيا أصلاً، فدل خبره على صحة هذه الرؤيا المتقدمة وأنها حق لا وهم فيها. وقص رضي الله عنه مرائي تدل على ولايته ومعرفته وقطبانيته ومرائيه كلها صادقة كفلق الصبح قلما رأى رؤيا وقصها إلا وهي كفلق الصبح منها ما قدمناه؛ (ومنها) ما سنذكره إن شاء الله، قال رضي الله عنه: رأيته ﷺ بتونس وقال لي: أدع بالمعرفة، أو بمرادك وأنا أؤمن على دعائك، فدعوت وأمن ﷺ، ثم قرأ سورة ﴿والضحى﴾، فلما وصل إلى قوله تعالىٰ: ﴿ولسوف يُعطيك ربك فترضى﴾ رمقني ببصره الشريف، وكمل السورة ﷺ. (ومنها) أنه قال: رأيته ﷺ مرة، وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه السلام قلت له: ورد عنك روايتان صحيحتان، واحدة قلت فيها: يمكث بعد نزوله أربعين، وقلت في الأخرى: يمكث سبعاً، ما الصحيحة منهما؟ قال ﷺ: رواية السبع. (ومنها) أنه قال رضي الله عنه: رأيت المصطفى ﷺ وسألته عن الزكاة التي يأخذها الأمراء والظلام من المسلمين كرهاً، هل تكفيهم؟ قال ﷺ: وأنا أمرنهم بطاعتهم. قال الشيخ رضي الله عنه: قلت له: الذي يمكنه إعطاؤها لغيرهم ولم يلحقه ضرر منهم قال ﷺ **(إن أعطوها فعليهم لعنة الله)**. (ومنها) أنه قال: كنت أتحرج وأشدد غاية في الماء المتغير من أثر الوضوء بل ولا أتوضأ منه حتى رأيته ﷺ يتوضأ في إناء وكان الماء متغيراً من أثر الوضوء، فقال لي: أنا محمد رسول الله ﷺ فمن ذلك، تركت التحرج ورحت منه.

(ومنها) أنه قال: رأيت سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قلت له: إنَّ قارون بلغنا أنه رأى المحل الذي كتبت فيه الاسم الأعظم ورميته في البحر لإظهار قبر

سيدنا يوسف عليه السلام، فأخذ قارون ذلك المحل المكتوب فيه الاسم الأعظم وصار يرميه على مواضع الكنوز، فتظهر له ومنه نال من كثرة الأموال قال لي: نعم، قلت له: هل للعارف اختيار في الفعل والترك؟ قال لي: إلا إذا بلغ مقام كذا ولم يسم لنا الشيخ رضي الله عنه هذا المقام بعينه، فانظر رحمك الله أحوال هذا الشيخ مع صفوة الله من خلقه، فصار نومه كيقظته يسأله فيه عن مراده وهذا أحوال الرجال لغلبة حكم الروح على الذات لأن الروح أصلها الطهارة والصفاء، نسأل الله تعالىٰ أن يكتبنا جميعاً في زمرة خلاصة أصفيائه وأحبائه. وله مرائي كثيرة، فهذا الذي حضرنا منها كان يراها في ابتداء أمره، وأما الآن فلا يذكر شيئاً إلا نادراً جداً، وهذه المرائي المتقدمة لشيخنا قبل أن يخبره سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناماً، وأما اليوم والحمد لله، فأخبره بنزول مقامه وما أعد الله فيه الذي لم يقدر أحد أن يفوه به فضلاً عن إدراكه وضمنه له ﷺ وضمن له كلما طلب حتى من أمور الدنيا، كما سيأتي بيانه مفصلاً إن شاء الله في محله نسأل الله بجاه نبيه وحبيبه وصفيه أن يكتبنا في ديوان خلاصة أهل محبته ووده وأن يتوفانا على محبة هذا السيد الكريم وعلى سنة نبيه العظيم آمين.

الباب الثاني

في مواجده وأحواله ومقامه المتصف به وكماله وسيرته السنية وجمل من أخلاقه السنية وحُسن معاملاته مع إخوانه وأهل مودته وفيه فصلان:

(الفصل الأول): في مواجده، وأحواله ومقامه المتصف به، وكماله:

فأقول وبالله التوفيق: سيدنا أبو العباس رضي الله عنه صاحب أحوال سمية ومقامات عليّة ومواهب رحمانية ومواجيد ربانية، ذو محو وفناء وصحو وبقاء، وغيبة في مولاه وشهود لما به تولاه، مما أغرق في بحر الحقيقة وأوتي الجذب حقيقة وممن أعطي القوة والتمكين والرسوخ في المعرفة واليقين كما نتلي عليك آياته، وتجلي لك بيناته، شرب من تلك الخمرة الأزلية صفواً، وورد من منهله الأروى، وسقي منها كؤساً روية وإمداداً قوية، وسلك من السنة نهجاً قويماً وصراطاً مستقيماً، وركب سفينتها وأجراها التي بالله مجراها ومرساها، فقويت أنواره وفاضت أسراره وتوالت منازلاته وتواردت وارداته، ومد منها على الاستمرار بمدد جسيم ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[الحديد: ٢١]، وليس يمكن لمثلي التعريف بهذا المقام، ولا الكشف عن حقيقة الأمر من حال أو مرام، وإنما أذكر من تلك المواهب والتجليات قضايا منبهة عنها وجزئيات ولوامع وآثاراً ووقائع وأخباراً، إذ الحال وارد إلهي ووجدان قلبي لا يصفه إلا واجده ويرحم الله قائله:

لا يعرفُ الشوق إلاّ من يُكابده ... ولا الصبابة إلاّ منْ يُعانيها

وقد فسر «الحال» الأستاذ أبو القاسم القُشيري رضي الله عنه بأنه معنى يرد على القلب من غير تأمل ولا اجتلاب ولا اكتساب، من طرب أو بسط أو غيرهما، وذكر أنهُ يأتي من غير الجود والمقام، فحصل ببذل المجهود وأنّ صاحب المقام ممكن وصاحب الحال مرقي، وحكى عن المشايخ أنّ الأحوال كالبروق فإنْ بقيت فحديث نفس، وعن آخر منهم أنها تدوم وتبقى وإذا لم تدم فهي لوائح وبواده، والمراد بالأحوال في الترجمة ما هو بالمعنى الذي ذكره القشيري رحمهُ الله من ذكر وجده المتكاثر وفيضانه المُتظافر التواقع أحياناً يعد أحيان حسبما رأيناه مشاهداً، إلاّ الحال الملازمة التي هي بمعنى المقام، والمراد بمقامه المتصف به ما تكيف به من العرفان، حسبما علمناه من كلامه وإشاراته وتقريراته وإخباره عن نفسه بإفاضاته، فأما مواجيده وأحواله رضي الله عنه، فقد كان أول أمره لما نزل به ما نزل وبدهه ما بدههُ مصطلماً غائباً لا تُفارقه غمرة الحال وهو مع ذلك

في غاية الكمال، وقد يتكلم حين يعتريه الحال بأمور لا يفقه الحاضرون مرادها ولا يعرف ذوو الألسن مفادها، ولا يعرفها إلا واجدها، وينطق أحياناً عند ظهور الحال عليه بمكاشفات ومغيبات من أخبار الزمان، وما يقع فيه من الحدثان، ولا يفقه ذلك منه إلا خاصة الخاصة من الإخوان، إلى غير ذلك من حكاياته ووقائعه وآياته، ثم تماسك بعد ذلك وسكن وبطن حاله وتمكن، وعادت الأحوال لا تؤثر في ظاهره كما كانت وصار دائماً ساكناً متحركاً، ومضطرباً متماسكاً وصاحياً شارباً وحاضراً غائباً، لا يلهيه صحو عن سكره، ولا يمنعه سكره عن صحوه أفاد سحره صحوه، وزاده كمالاً وقوة فحظي من التمكين بالمنزل المكين فهو كما قيل:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا يلهو عن الكأس
أطاعهُ سكره حتى تحكم في حالِ الصحات وذا منْ أعجب النَّاسِ

وغلبة الحال عليه رضي الله عنه إنما كانت لقوة ما نزل به، بدليل ما كان ينطق به إذ ذاك من المعارف والعلوم والأسرار التي لا يحدها حصر ولا يعيها عقل ولا فكر، وكان يمليها علينا سماعاً من حفظه ولفظه، وسترد عليك إن شاء الله في محلها، وبدليل ما كان يقع منه للأصحاب من الإمدادات والتصرفات في أحوالهم، فيجدون ذلك منه حسبما شاهدناه فيهم، وأخبرونا بذلك عن أنفسهم وليس الناس في غلبة الحال سواء، والفرق بين من يغلبه الحال لضعفه وبين من يغلبه لقوة الوارد عليه أنَّ الذي يغلبه لضعفه علامته أن لا يمد غيره وقصاراه على نفسه، والذي يغلبه الحال لقوته علامته أنهُ يمد غيره وأقوى من ذلك أنه يسلبه ما أعطاه، وذلك هو الكامل يعطي ويسترد، وكل شيء بقضاء وقدر، وقد شاهدناه غير ما مرة فعل مع بعض الإخوان لسوء أدبهم ولموجب آخر نسأل الله السلامة والعافية من ذلك ورزقنا حسن الأدب معه على الاستمرار والدوام، بجاه نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام، وغلبة الحال عليه لقوته كان يقع لكثير من الأكابر والأقطاب من المتقدمين والمتأخرين رضي الله عنهم آمين.

(وما زال) سيدنا رضي الله عنه بعد تماسكه قوي الحال فائض النور يقع له في كثير من الأحيان فيضان عظيم وخير جسيم، وقد شاهدنا هذا منه غير ما مرة في أوقات فيضه، ولا يتفطن له إلا خاصة الخاصة ممن يلازمه، ومن أراد الله به خيراً، أو الغالب من الحاضرين لا يفقه منه شيئاً بل إنما هو على حاله، وما يتحدث به معهم من مقاله وجذبه رضي الله عنه أمر واضح وحال لائح، لا يزال تظهر عليه الغيبة في حال ظهور صحوه فضلاً عن حال ظهور سكره، ولقد جالسناه غير ما مرة، فيسأل عن أحدنا، وهو حاضر معنا في مجلسنا فيقع له هذا كثيراً، أو كذلك يظهر عليه رضي الله عنه من آثار جذبه وقوة حاله أمور أخر كعظم جثته وامتلاء بدنه، وتهلل وجهه، وثقل الأمر عليه حتى لا

يستطيع حركة، ونذكر هنا ما كان يقع للنبي ﷺ عند نزول الوحي وتلقي الأمر الإلهي من أنه كان يعالج منه شدة وتأخذه البرحاء، فينفصل عنه الملك وأنّ جبينه ليتفصد عرقاً، ويثقل حساً لما يلقى عليه من القول الثقيل أي العظيم الذي يثقل له حامله، وأنه نزل عليه الوحي يوماً جالساً فخذه على فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه، فثقلت جداً حتى كادت ترض فخذ زيد أي تكسرها، وهؤلاء رضي الله عنهم مظاهر آياته، والواردون من إمداد وارداته منه يستمدون، ومن بحره يغترفون.

(ومن شأنه) رضي الله عنه إذا قوي حاله أنهُ يزيد بهاؤه وجماله ويتهلل وجهه ويلوح سناه ويبدو عليه أثر باطنه ومعناه، فترى عليه حُسناً بارعاً ونوراً لامعاً، ويُبهرك جماله وجلاله وبهاؤه وكماله، فيأخذ بلبك ومجامع قلبك، فيملكك هواه ولا تلتفت لسواه حسناً لونياً وسراً الهياً ولله در القائل:

أنظر ترى شمس المعارف أشرقت ... بجبينه الباهي العلي الأشرف
كل المشايخ ألبسوا حلل البها ... لكن سماهم بالجمالِ اليوسفي

وقال غيره:

أنظر لروض الحُسن فيه تفتقت ... بجمالـهِ وبهائـهِ أزهاره
منْ يستطيع يرى لذاكَ حقيقة ... حارت لذي اللب به أبصاره
وبقلبه للنور الإلهي اجتلى ... فعلى مُحياه بدت أسراره

وقال غيره:

أنظر لمطلع حُسنه وجماله ... قد أشرقت بجبينهِ أنواره
مرّ المعارف قد حواه ضميره ... فبدتْ بغرة وجههِ آثاره
هو بحرها الطامي ألم تر أنهُ ... تهمى بفيضٍ دائماً أسراره

وكثيراً ما يلوح عليه ذلك عند حضور سماع أوصاف النبي ﷺ المعنوية ونعوته الجلية، أو حديثة أو أخباره، فيبرز منه ما كمل، ويظهر عليه أثر ما بطن، ويقع له الوجد والهيمان والسكر والفيضان، فتلوح عليه أنوار أو تبدو على لسانه أسرار، أو تتفجر من قلبه علوم وأخبار، أرزقنا الله رضاه آمين.

(وأما مقامه) المُتصف به رضي الله عنه، فذلك للتحقيق بالمعرفة والتمكين في اليقين، وكمال التوحيد والتفريد والتجريد، وشهود الحب من الله، أن العبد محبوب ومجذوب لحضرة ربه ومطلوب دأبه الركون إلى مولاه والانفراد به عن كل ما سواه وحب أمره وبغض ما عنه نهاه، والوقوف دائماً ببابه والعكوف أبداً على جنابه، لا يقر له مع غيره قرار

ولا له عما سواه مدار، لا لهج له إلاّ بالله في حركاته وسكناته ويقظاته وسناته، وسائر تقلباته، إذا ذهب أو قام أو قعد أو انتبه من نوم ذكر الله ذكراً يعرف أنّه عن قلب معمور ممتلىء بحكمة الإيمان والنور، يهتز له السامع وتطمئن له القلوب والمسامع، لا يستغرقه النوم بل يتقلب فيه، وإذا تحرك أو انقلب ذكر الله فيه، قد امتزجت حقيقته بالتوله بربه واللهج به وحبه واطمأن به إيقاناً ومعرفة وإيماناً لا معول له إلا عليه ولا استناداً إلاّ إليه لا يبالي بإقبال من الخلق ولا بإدبار، ولا بمودة منهم ولا بإضرار، قد أعطي التأييد في كل ما يصرفه الله ويريد لا تجده إلاّ راضياً بمرادِ الله وقضائه فرحاً لإبرامه وإمضائه مُتحدثاً بأنعم الله وآلائه، لا يحُب التدبير مع الله والاختيار ويقول: لا أحسن من فعل الفاعل المختار ليس له أبداً مراداً إلاّ ما قضاه الله وأراد، فلا تراه إلاّ محباً لما كان عليه الوقت والزمان من شدةٍ ورخاءٍ وخوفٍ وأمان، حاملاً للناس على الرضا به والاستسلام لمصابه، وإذا تحول حال الوقت تحول مراده عنه لا يقف مع شيء منه، وكثيراً ما يقرر هذا المعنى ويدل عليه ويرشد بحاله ومقاله إليه، وينشد بحاله على سبيل التمثيل:

أنا معي بدر الكمال ... حيثُ يميلْ قلبي يميل

ذلك بأنه رضي الله عنه قد محا السوى، فلا يشاهد مع الله غير، أو لا يرى لسواه نفعاً ولا ضراً بل يشاهد الفعل من الله، وأنّه هو المُتصرف والدالُ بفعله عليه، والمتعرف، وإنّ أفعاله كلها مصحوبةً بالحكمة محفوفةً بالرحمة، ويرى الخلق كالأواني المُسخرة في يد غيرها، ويعد شهود الإنسان نفسه أثنينية ويمثل بلسان حاله ويقول:

إذا قلت ما أذنبت قالت مجيبةً ... وجودكَ ذنب لا يقاس به ذنب

وعلى هذا المعنى مدار حالته رضي الله عنه، فلا ترى أفعاله وأقواله وتصريحاته وتلويحاته تحوم إلاّ على الفناء في الله والغيبة فيه عما سواه، وشهود صفاته وأسمائه وعظمته وكبريائه وجماله وكماله، وحسن صنعه وإحسانه ذلك ديدنه وشعاره، ووطنه وقراره، فطوى في ذلك مقامات اليقين كلها من التوبة والزهد والصبر والشكر، والخوف والرجاء والتوكل والمحبة والرضا، وحوى صفة العارفين بأسرها من محبة الله والجمع عليه والاستناد في كل شيء إليه والاستسلام للأقدار، وترك التدبير والاختيار، وغير ذلك من صفاتهم وسماتهم مما أشرنا إليه آنفاً، فلا تحصره في حال تصنيفه إليه، أو تقييده بمقام تقتصر به عليه، فلا تجده مقيماً على شيء ولا واقفاً مع أمر بل بحكم الوقت، وبحسب ما يأتي الله به من عنده وهذا حال بعض العارفين بالله تعالىٰ.

وقد سُئل الجنيد عن العارف بالله فقال: لون الماء لون إنائه. وقال القُشيري في رسالته بعد أنْ ذكره عنه يعني أنّه بحكم وقته، وقال أيضاً: قال أبو يزيد للخلق أحوال ولا حال

للعارف لأنّه محيت رسومه وفنيت هويته بهوية سيده، وعفت آثاره غيره. وقال الشيخ زروق في قواعده بعد أنْ ذكر وصف العابد الزاهد وغيرهما، فإن أرسل نفسه مراد الحق، فهو العارف، وقد مثل أهل الطريق العارف بحافظ القرآن كله وذا الحال بحافظ سورة منه، أو سورٍ، فإذا قلت: «عارف» فقد نسبت إليه المقامات كلها وأغنى عن أنْ تصفه بشيء من المقامات من الزهد والتوكل والتفويض وغيرها لأنها منطوية فيه، ومن انجمع على مولاه وملكه حبه وهواه حتى فني عن سواه لا بد أنْ يكون شاكراً لنعماه صابراً لبلواه راضياً بقضاه مفوضاً إليه متوكلاً عليه منقطعاً عن غيره جامعاً للمقامات كلها، بل مترقياً عن ذلك كله لا يشاهد شيئاً ولا يراهُ بعد أنْ جمعه وحواه، فأهل العرفان هم الغائبون في الله عن كل فانٍ مشاهدون لجلال الله وجماله العالمون بصفاته وأسمائه، إذْ حقيقة المعرفة، كما قاله الشيخ زروق رضي الله عنه في بعض شراحه: على الحكم سريان العلم بجلال الحق سبحانه أو جماله، أو هما في كلية العبد حتى لا يبقى له من نفسه بقية، فيشهد كل شيء منه وبه وله، فلا يبقى لوجود شيء نسبة عنده دونه ا.هـ.

ولشيخنا أبي العباس التجاني من هذا ما لا خفاء فيه على من يمارس شيئاً من أحواله وإشاراته وكلامه، ويكفيك من أمره ما وصفناه، بل هو رضي الله عنه من ذوي الخلافة الموصوفين بدلالة الخلق على الله وجمعهم عليه وإيصالهم إليه، ومن أرباب القلوب وسلاطين الأرواح، يطاع أمره ويجلّ قدره وينفع كلامه، وينفذ سهامه يحيي القلوب ويبرىء من العيون يغني بنظرة ويوصل إلى الحضرة، إذا توجه أغنى وأقنى وبلغ المنى يتصرف في أطوار القلوب بإذن علام الغيوب حسبما يجده من انضاف إليه وجمع همته عليه، وتظهر نتائجه وآثاره ومناهجه رضي الله عنه وأرضاه ومتعنا برضاه.

(وأما كماله) رضي الله عنه، فهو تمام معرفته بالله تعالىٰ حسبما قررنا دليله وقوة ظاهره وباطنه جذباً وسلوكاً وجمعه بينهما على أتم وصف وأكمل وجه ودليل قوته باطناً ما تقدم من أحواله ودليلها ظاهراً ما يأتي بعد هذا إنْ شاء الله من سيره وأفعاله ولا أكمل منه والحمد لله في ذلك كله في جمهور العارفين كما تقف على كل بمحله إنْ شاء الله تعالىٰ.

(ومن كماله) رضي الله عنه نفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها من إظهار مضمرات وإخبار بمغيبات وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعات، فيعرف أحوال قلوب الأصحاب وتحول حالهم وإبدال أعراضهم وانتقال أغراضهم وحالة إقبالهم وإعراضهم وسائر عللهم وأمراضهم، ويعرف ما هم عليه ظاهراً وباطناً، وما زاد وما نقص، ويبين ذلك في بعض الأحيان وتارة يستره رفقاً بهم من الاختبار والامتحان واتفقت لغير

واحد معه في ذلك قضايا غير ما مرة، وكثيراً ما يجالسه الإنسان فيتكلم له على ما في باطنه وما شغل قلبه من الهوى والأمور الدنيوية ويعين النوع الذي شغله منها، ويتكلم بما صنعه الإنسان من فعل قبيح له سلف قبل مجالسته قريباً كل ذلك على سبيل الإجمال وضرب الأمثال كقوله رضي الله عنه لبعض أصحابه: أنت كما يقول الناس يسرط الزبدة ويتورع عن الإبرة مكاشفاً له عن فعل قبيح سلف له ويبهم عن صاحبه من غير تعين له بشيمة أو إشارة حسية كأن يقول: ما بال الإنسان يفعل كذا؟ وحق من يفعله أن يكون له كذا، ستراً على فاعله كما اقتضته حكمة الرحمة وجاءت به الشريعة والسنة، إذْ البصيرة كالبصر يجب غضها ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾[النور: ٣٠] وإلا فهو رضي الله عنه مرآة جليسه ومبصرة لحسن أمره وخسيسه، لا يخفى على بصيرته ذلك ولا يشذ عنها شيء مما هنالك، حتى أنا إذا جالسناه كلنا يخاف على نفسه الفضيحة، ويطلب من الله السلامة والعافية لما تكرر علينا من أمره من أسوأ أحوالنا القبيحة.

وإذا جاء أحد يستشيره في أمر ديني أو دنيوي كأمر المعاش مثلاً بيّن له مرابحه وأرشده مصالحه، وندبه لما فيه نجاح حاله وفلاح مآله، فينجح مطلوبه ويحصل مرغوبه ويبيّن له حسن العاقبة وما كان راجيه ومراقبه، فتقع بصيرته رضي الله عنه على الأمور كلها كما هي لأنها ناشئة عما كَمُنْ فيه النور الإلهي، ومن المعلوم منه في الاستشارة أنّ المعتبر عنده الذي عليه المعول هو ما نطق به من الكلام الأول، وبذلك صرّح أيضاً غير ما مرة إذا علم هؤلاء القوم رضي الله عنهم ليس عن رواية ولا فكرة، وإنما هو العلم اللدني والفتح الرباني وما حصل أولاً فهو ذاك، ولا يحصل إلاّ عن الحكمة والصواب، فإنْ التقطه المستشير عثر على حكمة الاستشارة وانقلب بغنيمة وتجارة، وإنْ لم يأخذ به وراجعه في الكلام، فإنّه يجاريه فيه حتى يتصرف فإنْ عَمِلَ بمقتضىٰ الكلام الأخير كان بمعزلٍ عن إصابة التدبير ومضيعاً للفائدة المقصودة، فلم ينجح عمله ولا أمله، وقد لا يتيسر له ذلك العمل أصلاً، فيرجع لمقتضى الإشارة في الكلام الأول، ويعلم أنّ حكمة الله فيه ويتبين له الأمر تبياناً، ويقف عليه عياناً، وهذا مما اشتهر وشاع وذاع عند جل الأصحاب في المنع والانتفاع. (ومما) هو دال على تمام بصيرته وقوة نوره وكمال معرفته إخباره عن الأولياء الماضين من الأكابر وغيرهم، كأنّه رضي الله عنه معاصر لكل من أخبر عنه منهم، فقد أخبر رضي الله عنه عن حال غير واحد منهم ووصفهم بما يشير إلى مقاماتهم وما خصّ الله به كلّ واحد من الخصوصية، وإذا سأله أحد عن واحد من الأولياء يخبره عن حاله ومقامه وما أدركه، وهل هو من أهل التصرف أو غيره؟ كأنه رضي الله عنه يرى وصف حاله عياناً، وتارةً إذا سأله أحد عن ذلك سكت وأعرض.

(فمن ذلك): إخباره عن خصوصية مولانا إدريس الأصغر الذي بفاس رضي الله عنه

وعظيم هيبته وجلاله ومكانته وكماله، وما خصّه الله به من التصريف في حياته وبعد مماته، فيجل قدره ويعظم أمره ويحض على زيارته والتأدب بين يديه ومهابته، ومصداق ما ذكرناه هو منذ دخل شيخنا لفاس ما ترك زيارته والقدوم إليه يوماً واحداً إلاّ لمرضٍ قام به.

(ومن ذلك): إخباره عن القطب الكامل والغوث الشامل مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، يذكر من بركاته وآياته ووصف له لأنه يحصل منه المدد للوافدين عليه واستعظامه لمقامه.

(ومن ذلك) إخباره عن الولي الشهير والقطب الكبير سيدي أبي يعزي رضي الله عنه من كمال معرفته بالله وقضاء حوائج الوافدين عليه، وما خصه الله به من التصريف والمدد القوي الكبير والصغير والضعيف يقول: كل من قصده في حاجة تُقضىٰ كائنة ما كانت ويحض على زيارته وتعظيمه وموالاته.

(وكشرحه) لحال غيرهم من أكابر الأولياء كسلطان الأولياء مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وابن العربي الحاتمي وأبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المُرسي، وسيدي أبي مدين الغوث، وسيدي أحمد بن يوسف وغيرهم رضي الله عنهم، فلا نطيل بذكرهم شمعته رضي الله عنه يذكر جُلّ من تولىٰ القطبانية من بعده ﷺ إلى وقتنا هذا، وكل من ذكره يصف حاله، وما حصل له من المقامات العلية والأحوال السنية كل على حسب ما أولاه مولاه واصطفاه وارتضاه، وهذا كان منه رضي الله عنه قبل هذا الوقت، وأمّا الآن فغالب عليه السكوت رضي الله عنه وأرضاه، ومتعنا برضاه.

(ومن كماله) رضي الله عنه وعرفانه الأتم معرفته لإسم الله العظيم الأعظم حسبما أخبرنا بذلك، وسنبينه إنْ شاء الله في محله هنالك.

(ومن كماله) رضي الله عنه وعلو منصبه الشريف ما أوتيه من مقام الخلافة وخطة التصريف، ووليه من النيابة والتحكيم والأمر النافذ العميم من جلب ودفع وضر ونفع، فهو يجلب بقوته ويدفع ويضع بهمته، ويرفع ويرقي بإذن الله وينزل، ويولي بأمر الله سبحانه ويعزل على حسب ما صرفه فيه مولاه ومكنه منه وأولاه، فحكمه نافذ عن الله وأمره بأمر الله من غير حول منه ولا اختيار بل بقدرة العزيز الجبار، ومما استمر من تصريفه، وانتشر وبزغ للعيان وظهر تصريفه في أمراء الزمان وولاة الأوان وهذا الأمر قد شاع وذاع وملأ الأفواه والأسماع، واشتهر على ألسنة القوم ممن ينسب للكشف وغيرهم حتى العوام، وقد وصفه بعض المحبين الأدباء من السادات الفاسيين أدام الله حفظه بالخلافة التصريفية، وكونه مظهر للأمر الإلهي وغير ذلك مما يُشير إلى وصف حاله ومقامه في قصيدة له أحببت إيرادها لاختصارها وحسنها وهي:

لقد مدت المداح أعناقها إلى ... مديح إمام فائض النور والسر
فقال لسانُ الحال: كيف بذا وقد ... غدا قلبه مرسي بها مظهر الأمرِ
ولم يبق فيه غيرَ ذكر إلهه ... وصارَ له بيتاً تقدسَ عن غيرِ
وأفنى في التوحيد ذاتاً وغاب في ... بحارٍ من التحقيق في لجها يسري
ومدّ بسرٍ من بقاءٍ وألقيتْ ... عليه حُلى التقريب والوصلِ والبرِ
وقيل له أنت الخليفة فارعين ... وأمرك إم ما حكمت فهو يجري
وعمتهُ أنوارُ النبوةِ فاغتدى ... بها وارثاً كل الكمال بلا حصرِ
وزكتهُ أخلاقاً وفائض ينابعاً ... من السر والعرفان والفضلِ والخير
وأبدتْ عليه مسحةً من جمالها ... لذاكَ قلوبُ العاشقين له تجري
وتشتاقه حباً، ويحيا بذكره ... وكان لديها طيبَ الذكرِ والنشرِ
وصارَ مهاباً في الصدورِ مُعظماً ... يزج الذي يغشاهُ في الجدِ والذكرِ
وتفصيلُ أوصافٍ له متعذرٌ ... فكيفَ يُطلقُ مدحه فاقبلن عذري
وهذا كلامٌ من طُفيلي ملفقٌ ... يجاري جياداً بالبطيء من الحمرِ
عليه رضا الرحمن ما حنّ عاشقٌ ... لرؤيا سناء في محاسنه الغرِ
ومعشره والصحب طراً بأسرهمْ ... شبابٌ وشيخٌ ذي حياةٍ وذي قبرِ

ووصف مقامه رضي الله عنه وكماله، وكذا وصف مواجيده وأحواله لا يعلمه على الحقيقة إلاّ العليم الخبير، أو من أطلعه الله عليه مِن أهل البصيرة والتبصير، ثم هو لا يمكن التعبير على ما هو عليه، وإنما يعبر عنه بنتائجه التي تنبىء عنه وتشير إليه، وقد ذكرنا من ذلك قضايا وجزئيات هي في الدلالة على ذلك كله جليات، فإنْ كان كذلك، فهو البحر الخضم الواسع الأعظم الذي ليس له ساحل وتقصر الخطى عنه بمراحل والمقام الذي لا يترجم عنه ولا يستوفي أدنىٰ وصف منه، فيتبارك الله أحسن الخالقين وخير المنعمين والرازقين، فاملأ السمع من محاسنه وأخباره ومتع القلب من أسراره وأنواره، فإنْ لم تستوف شيئاً منها بمزيد القول وإكثاره ولا بلغت تسع مد ومعشاره، والله تعالىٰ يرزقنا بركته وينيلنا محبته ويجعلنا في الدارين من حزبه ورفيقه، ومن الشاربين من منهل عرفانه وتحقيقه.

فإنْ لم نكن أهلاً لذلك وكنا أبعد الناس عن تلك المسالك، فالرحيم الودود أهل لأنْ يرحم ويجود، فو الذي يفتح للمرتجين باباً مرتجاً، ويرحم ذوي الفاقات بتوالي الإرفاقات، ويُعطي بغير حساب ولا سبب من العبد ولا اكتساب، ويجيب من دعاه وإنْ صرفته عن الطاعة نفسه وهواه لا إله إلاّ هو ولا راحم سواه، وصلى الله على سيدنا مُحمد وعلى آله

وصحبه وسلم تسليماً.

(وأما ثواب الاسم الأعظم) الذي وعدنا به أولاً، فقد قال سيدنا رضي الله عنه: أعطيت من اسم الله العظيم الأعظم صيغاً عديدة، وعلمني كيفية أستخرج بها ما أحببت من تراكيبه، وأخبره ﷺ بما فيه من الفضل العظيم الذي لا حد له ولا حصر، وأخبره ﷺ بخواصه العظام، وكيفية الدعاء به وكيفية سلوكه، وهذا الأمر لم يبلغنا عن أحد أنّه بلغه غير سيدنا رضي الله عنه، لأنّه قال رضي الله عنه: أعطاني سيد الوجود ﷺ الاسم الأعظم الخاص بسيدنا علي كرم الله وجهه، بعد أنْ أعطاني الاسم الأعظم الخاص بمقامه هو ﷺ، وقال الشيخ رضي الله عنه قال لي سيد الوجود ﷺ: هذا الاسم الخاص بسيدنا علي لا يعطى إلاّ لمن سبق عند الله في الأزل أنّه يصير قطباً، ثم قال رضي الله عنه: قلتُ لسيد الوجود ﷺ: إئذنْ لي في جمع أسراره، وجمع ما احتوى عليه، ففعل ﷺ. وأمّا ما أخبره به ﷺ ثواب الاسم الأعظم الكبير الذي هو مقام قطب الأقطاب، فقال الشيخ رضي الله: عنه حاكياً ما أخبره به سيد الوجود ﷺ، فإنّه يحصل لتاليه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كل مقام سبعون ألفاً من كل شيء في الجنة كائن من الحور والقصور والأنهار، إلى غاية كل ما هو مخلوق في الجنة ما عدا الحور وأنهار العسل، فله في كل مقام سبعون حوراء وسبعون نهراً من العسل، وكل ما خرج من فمه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين، فكتبوه من فيه وصعدوا به إلى الله تعالىٰ، وأروه له فيقول الجليل جل جلاله: أكتبوه من أهل السعادة واكتبوا مقامه في عليين في جوار سيدنا محمد ﷺ، هذا في كل لفظة من ذكره، وله في كل مرة ثواب جميع ما ذكر الله به على ألسنة جميع خلقه في سائر عالمه، وله في كل مرة ثواب ما سبح به ربنا على لسان كل مخلوق من أول خلق العالم إلى آخره، وله ثواب صلاة الفاتح لما أغلق بتمامها ستة آلاف مرة لكل مرة منه وله ثواب سورة الفاتحة، وله ثواب من قرأ القرآن كله أعني بكل مرة أجر ختمه، ومن تلك الختمة الفاتحة وسورة القدر، وله في كل مرة من تلاوته ثواب كل دعاء، وقع في الوجود له ثواب عظيم أو صغير، وكل ما تلاه التالي تلته معه جميع ملائكة عوالم الله بأسرها وكل ملك يتلوه بجميع ألسنته، فإنّ من الملائكة من له سبعون لساناً، ومنهم من له ستون لسناً، وهكذا القليل عنده لسان واحد وهم ملائكة الأرض التي نحن فيها، هكذا أخبر سيدنا رضي الله عنه عن النبي ﷺ، والحاصل ما دام يتلوه، فملائكة جميع العالم تتلوه معه بألسنتها كلها، وثواب ذكرهم بجميع ألسنتهم لتالي الاسم في كل مرة سواء قلل أو كثر. قال الشيخ رضي الله عنه، فقلت لسيد الوجود ﷺ: ذكر الملك هل هو مثل ثواب تلاوة الآدمي كل مرة بسبعين ألف مقام في الجنة؟ وثواب ما ذكر بعده من كل تسبيح، ومن كل ذكرٍ وكل دعاءٍ، وجميع القرآن وصلاة الفاتح لما أغلق إلخ... أمْ بنقص

ثواب ذكر الملك عن ذكر الآدمي، فقال ﷺ: ثواب ذكر الملك يضاعف على ثواب ذكر الآدمي بعشر مرات يعني أنّ الذي يحصل من الثواب في ذكر الآدمي مرة يحصل في ذكر الملك مرة مثله عشر مرات، وثواب جميع ذلك أعني ذكر الملائكة بجميع ألسنتها لتالي الاسم قدر ما تلاه قليلاً أو كثيراً، قال الشيخ رضي الله عنه: قال لي سيد الوجود ﷺ في أول الكلام على الاسم، أما ثوابه، فكل من تلاه من عموم أمتي، فله ثواب ختمة من القرآن بكل مرة فقط بلا زائد هذا لكل من علم الاسم الأعظم وتلاه، وأمّا من علم أنّ هذا الاسم هو اسم الذات الخاص بها، وأنّه بخصوصه هو اسم ذات الله دون ما عداه من أسماء الله، أراد ﷺ ما عداه من أسماء الله كلها أسماء الصفات والكمالات وليس للذات إلا هذا الاسم قال لي: إنّ من علمه هكذا أو أنه هو اسم ذات الله الخاص بها كان له جميع الثواب الزائد على ختمة من القرآن، وإنّ لم يعلم ذلك منه، فليس إلاّ ختمة من القرآن فقط، وإنّ من تلا الفاتحة بلا شعور من تلاوة الاسم معها له ثواب تلاوتها فقط، ومن تلاها وهو يعتقد تلاوة الاسم معها لوجود حروفه فيها كان له ثواب تلاوتها فقط، ومن تلاها وهو يعتقد تلاوة الاسم معها لوجود حروفه فيها كان له ثواب تلاوتها، وثواب تلاوة الاسم معها، ثم قال رضي الله عنه: تأملوا بأفكاركم تعلموا أنّه لا يقوم لتلاوة هذا الاسم عبادة.

قال سيدنا رضي الله عنه: سألت من الله أنْ يعطيني مهما ذكرت الاسم مرة ذكره كل ملك في كورة العالم ألف ألف ألف إلى ثلاث مراتب، وإنّ كل مرة من ذكر لسان كل ملك تعدل من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ... ستون ألف مرة وضمنت وأعطيتها، وقال لي سيد الوجود ﷺ: هذا كله جزء واحد من أحد عشر جزءاً من ذكر صاحب التجلي الخاص لأنّه يحصل له هذا الفضل عند ذكر كل حرف من حروف الاسم. قيل لسيدنا رضي الله عنه: هذا خاص بك، أو لكل واحد من أصحاب التجلي الخاص. قال رضي الله عنه: بل لكل واحد منهم، وقيل له أيضاً: والفضل الذي مهما ذكرت كلمة من كل ذكر على الإطلاق ذكر معك سبعون ألف ملك، وذكر كل ملك بسبعة آلاف كلمة، وكل كلمة بعشر حسنات، قال رضي الله عنه هذا الفضل خاص بي ولم يعط لغيري. وسمعت منه رضي الله عنه إنّ الاسم الخاص به، إذا ذكره العارفون كلهم من لدن آدم إلى قيام الساعة سبعة وعشرون مائة سنة يذكرونه في كل يوم ألف مرة، وجمعت تلك الأذكار كلها في تلك المدة كلها ما لحقوا مرة واحدة من ذكر سيدنا الخاص به نفعنا الله به وبعلومه وأسراره آمين، وقد تفضل سيدنا رضي الله عنه بهبة هذا الفضل العظيم لأصحابه الذي هو ذكر سبعين ألفاً معه إلخ وذلك في شهر الله جمادي الثانية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف.

وسئل رضي الله عنه عن تحقيق فضل قول دائرة الإحاطة، فأجاب رضي الله عنه بقوله: إذا قدرت ذاكراً ذكر جميع أسماء الله في كل لغة هو نصف مرة من ذكر الكبير ومرة مما سواه، ونعني بالكبير الذي هو مقام رسول الله ﷺ مرة مما سواه من تراكيب الاسم لأن تراكيب الاسم لا حد لها ويضاعف بذكر كل ملك عشر مرات كما تقدم، ثم يضاعف الفضل المذكور إلى سبعمائة ألف ألف مرتين فإنْ ذكر الذاكر عشرة آلاف مرة من الكبير هو جزء من سبعمائة ألف ألف مرتين، فهذا فضل الكبير، وأما غيره، ففي كل تركيب النصف من الفضل العظيم، ثم قال رضي الله عنه: وهذا لا يعرفه النساء بل هو خاص بالرجال لأنها مرتبة عظيمة، فلا تعطىٰ إلا لمن سبق أنّه محبوب عند الله جعلنا الله منهم بمحض فضله وكرمه آمين.

(ومما أملاه علينا رضي الله عنه): قال: لو اجتمع جميع ما تلته الأمة من القرآن من بعثته ﷺ إلى النفخ في الصور لفظاً لفظاً فرداً فرداً في القرآن ما بلغ لفظة واحدة من الاسم الأعظم، وهذا كله بالنسبة للأمم كنقطة في البحر المحيط هذا مما لا علم لأحد به، واستأثر الله به عن خلقه، وكشفه لمن شاء من عباده، وقال رضي الله عنه: إنّ الاسم الأعظم هو الخاص بالذات لا غيره، وهو اسم الإحاطة، ولا يتحقق بجميع ما فيه إلا واحد في الدهر وهو الفرد الجامع هذا هو الاسم الباطن، وأما الاسم الأعظم الظاهر فهو اسم المرتبة الجامع لمرتبة الألوهية من أوصاف الإله مألوهيته، وتحته مرتبة أسماء التشتيت ومن هذه الأسماء، فيوض الأولياء، فمن تحقق بوصف كان فيضه بحسب ذلك الاسم، ومن هذا كانت مقاماتهم مختلفة، وأحوالهم كذلك وجميع فيوض المرتبة بعض من فيوض اسم الذات الأكبر، وقال رضي الله عنه: إذا ذكر الاسم الكبير يخلق الله من ذكره ملائكة كثيرة لا يحصى عددهم إلا الله، ولكل واحد من الألسنة بعدد جميع الملائكة المخلوقين من ذكر الاسم ويستغفرون في كل طرفة عين للذاكر أي كل واحد يستغفر في كل طرفة عين بعدد جميع ألسنته، وهكذا إلى يوم القيامة. ثم قال رضي الله عنه: سألت سيد الوجود ﷺ عن فضل المسبعات العشر، وإنَّ من ذكرها مرة ولم تكتب عليه ذنوب سنة، فقال لي ﷺ: فضل جميع الأذكار، وسر جميع الأذكار في الاسم الكبير فقال الشيخ رضي الله عنه: علمت أنّه أراد ﷺ جميع خواص الأذكار، وفضائلها منطوية في الاسم الكبير، ثم قال رضي الله عنه: يكتب لذاكر الاسم بكل ملك خلقه الله في العالم فضل عشرين من ليلة القدر، ويكتب له بكل دعاء كبير وصغير ستة وثلاثون ألف ألف مرة بكل مرة من ذكر هذا الاسم الشريف، وقال رضي الله عنه: فمن قدر أنّ ذاكراً ذكر جميع أسماء الله في جميع اللغات تساوي نصف مرة من ذكر الاسم من ذكر كل عارف، وأما ذكر الفرد الخاص به المرة الواحدة بألف ألف ألف ثلاث مراتب من فضل الاسم عند غيره من

الأولياء، وكل ملك يضاعف فضله في جميع كورة العالم بألف ألف ألف ثلاث مراتب، وكل واحدة من هذا التضعيف تساوي جميع أذكار العالم من أوله إلى وقت الذكر.

قال رضي الله عنه هذا الآن، وأما إذا وصلت إلى المقام الموعود به حصل لي هذا عند ذكر كل حرف من حروف الاسم وهذا خاص بي لا مطمع فيه لغيري، ثم قال: ثواب الاسم الأعظم الكبير الذي هو خاص برسول الله ﷺ إذا ذكر أحد بما فيه من الثواب عشرة آلاف من الثواب المتقدم كان جزءاً من سبعين ألف جزء من ثوابه هذا الفضل لكل أحد ولو لم يكن مفتوحاً عليه إذا علم مرتبته، يريد أنّ الكلمة الواحدة منه تضاعف إلى سبعمائة ألف ألف مرتين، وأما ثواب الفرد الجامع إذا ذكره مرة واحدة تتضاعف إلى ألف ألف ألف ثلاث مراتب، وثواب كل كلمة من الفرد الجامع ومن ذكر الملائكة بجميع ألسنتها بستين مرة من الفاتح لما أغلق، وكل ما تقدم من ذكر الفرد وذكر الملائكة في المراتب الثلاثة، أعني مراتب الآلاف الثلاث يضرب في إحدى عشر هذا ثواب الفرد الجامع لكل ذات من ذوات الفرد الجامع، وهي ثلاثمائة وستة وستون ذاتاً ويتضاعف هذا الثواب كله للذات التي هي بمكة مائة مرة للفرد الجامع، وأما العامي الذي علم مرتبته إذا ذكر الاسم الأعظم مرة ذكرته معه جميع الملائكة بجميع ألسنتها، وجميع ثواب كل لسان يعادل ثواب الفاتح إلخ... ستة آلاف مرة، ثم قال رضي الله عنه: قال لي سيد الوجود ﷺ أنّ الاسم الأعظم مضروب عليه حجاب، ولا يطلع الله عليه إلاّ من اختصه بالمحبة، ولو عرفه الناس لاشتغلوا به وتركوا غيره، ومن عرفه وترك القرآن والصلاة عليَّ لما يرى فيه من كثرة ثواب الفضل فإنّه يخاف على نفسه، وقال رضي الله عنه: لو قدرت مائة ألف رجل يذكر كل واحد منهم كل يوم مائة ألف من الاسم الكبير، ويعيش كل واحد منهم مائة ألف سنة لم يساوِ ثوابهم حتى نصف مرة صاحب المقام، وبعبارة لو قدرت أنّ جميع أسماء الله المفردات والمركبات بكل لغة من جميع اللغات ذكرت في مرة واحدة لم تبلغ نصف فضل الكبير، وقال رضي الله عنه: إنّ الفضل المذكور في الاسم الكبير خاص بالصيغة التي هي خاصة به ﷺ، ولا يلقنها ولا يأذن فيها إلا القطب الجامع، وأما غيرها من صيغ الاسم ففيها النصف من ثواب الكبير كما تقدم، وهذا الفضل لكل من أخذ صيغة من الاسم الأعظم بسند متصل، وأما من عثر عليه في كتاب أو غيره، وذكره من غير إذن، فثوابه حرف بعشر حسنات فقط لا غير، (ومن خواص) قول دائرة الإحاطة أن من علمه الله له أي لفظة دون أسراره كان مأموناً من السلب لا يقدر عليه أحد وإنّ كان لم يفتح عليه بالولاية، ولا يقدر على سلبه إلا القطب، ثم قال رضي الله عنه: أعطاني رسول الله ﷺ مفتاح القطبانية، وهو لا يعطي ولا يذكر إلاّ لمن سبق في علم الله أنّه يصير قطباً وهذا الذكر له خواص عظام من جملتها أن من سلكه أحد عشر يوماً، فكل

حاجة دعا به فيها مرة واحدة حصلت، وفيه إجابة كالاسم الأعظم ولو حصل لعامي لحصلت له الإجابة فضلاً عن المفتوح عليه، ولم يذكره سيدنا رضي الله عنه لأحد لأنّه خاص به، وقال رضي الله عنه: أنّ العارفَ بالله يصير حرفاً من حروف الذات قيل له: أنّ الحرف ذات والعارف ذات كيف يصير ذاتاً واحدة؟ قال: معناه أنّ العارف يصير يتصرف بذاته كالحرف لا أنّه يصير عين الحرف، قيل له: ولماذا لم يتصرف بالأسماء العالية، وبعسكرة الأسماء؟ قال رضي الله عنه: أما الأسماء العالية، فلا يعرفها ولا يطلع عليها إلاّ الفرد الجامع، وأما عسكرة الأسماء وغيرها من أسماء الله، فيعرفها العارفون، ولكن العارف يغلبه الحياء من الله أنْ يطلبَ حاجة بأسماء الله، ولكنْ إذا أراد حاجة يوجه همته إليها، فتقضى إنْ أراد قضاءها، وقال الشيخ رضي الله عنه: كأنْ يُحدثني قلبي أنّ من عرف صاحب الوقت بعينه وهو الفرد الجامع وعرف الاسم الخاص به، ودعا بهما أستجيب له في الحين، وبقيت زماناً على هذا الحال حتىٰ أخبرني به سيد الوجود ﷺ كما كان في قلبي سواء بسواء.

ثم سُئل رضي الله عنه المراد بالاسم الخاص به هل هو الأعظم أو غيره؟ قال رضي الله عنه: لا بل غيره لأنّ كل واحد من الخلق له اسم من الأسماء العالية، وهو الذي به قوام ذاته وله اسم نازل وهو الذي يميز به عن غيره. قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: في قوله تعالىٰ: ﴿وعلم آدم الأسماء﴾ [البقرة: الآية ٣١] أليس المُراد الذي قاله المفسرون: ولو أنه كذلك ما ظهرت خصوصية لآدم عليه السلام، وإنّما المراد بها الأسماء العالية لأن ما من مخلوق في الكون إلا وله اسم على قدره في العظم وبه قومه.

(قال صاحب الإبريز): ناقلاً عن شيخه في قوله تعالىٰ: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١] المراد بالأسماء الأسماء العالية لا الأسماء النازلة، فإن كل مخلوق له اسم عالي واسم نازل، فالاسم النازل هو الذي يشعر بالمسمى في الجملة، والاسم العالي هو الذي يشعر بأصل المسمى، ومن أي شيء هو وبفائدة لمسمىٰ، ولأي شيء يصلح الفاس لسائر ما يستعمل به، وكيفية صنعة الحداد له، فيعلم من مجرد سماع لفظة هذه العلوم والمعارف المتعلقة بالفاس، وهكذا كل مخلوق والمراد بقوله تعالىٰ: ﴿الأسماء كلها﴾ [البقرة: الآية ٣١] الأسماء التي يطيقها آدم ويحتاج إليها سائر البشر ولها بهم تعلق وهو كل مخلوق من تحت العرش إلى تحت الأرض، وقال البوصيري رضي الله عنه:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ... ـب ومنها لآدم الأسماء

سألتُ سيدنا رضي الله عنه هل معنى البيت هو ما ذكره في الإبريز والشيخ الأكبر رضي الله عنهما؟ عجز البيت لا صدره، فأجاب رضي الله عنه قال: نعم، وأما صدر

البيت، فهو مشهده ﷺ الخاص به الذي لا مطمع فيه لأحد، لا نبي ولا ولي وصدق صاحب الهمزية في قوله:

رتب تسقط الأماني حسرى دونها ما وراءهن وراء

بعد قوله:

وترقى به إلى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء

وسألته رضي الله عنه عن قول البوصيري رضي الله عنه:

إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماء

فأجاب رضي الله عنه بقوله معناه: إنّ الأنبياء والمرسلين، إنّما ظهر عليهم من صفات النبي ﷺ إنما هو كظهور النجم في الماء. قال سيدنا رضي الله عنه ولهذا قال أويس القرني رضي الله عنه للصحابة ما رأيتم منه إلا ظله قالوا: ولا ابن أبي قحافة؟ قال: ولا ابن أبي قحافة ا.هـ.

وتقاعس عن إدراك حقيقة سره جميع الكبراء قال أبو يزيد رضي الله عنه: خضت لجة المعارف طالباً للوقوف على الحقيقة المحمدية، فإذا بيني وبينها ألف حجاب من نور لو دنوت لواحد منها لاحترقت كما تحرق الشعرة في النار، وهذا القدر يكفي في فضل بعض دائرة الإحاطة وما وراء هذا لا تطيقه العقول، ولا تفي به النقول، وما سمعت فيه من الخبر إنما هو عن الرسول ﷺ وأزواجه وذريته وأصحابه.

الفصل الثاني:

في سيرته السنية، وجمل من أخلاقه السنية، وحسن معاملاته مع إخوانه وأهل مودته:

قد أكمل الله تعالىٰ لشيخنا وسيدنا أبي العباس التجاني رضي الله عنه الشريعة كما أكمل الله فيه الحقيقة، وسلك له بين صراطهما المستقيم أحسن طريقة، فشرب منها لبناً خالصاً سائغاً، وورث منهما مقاماً كاملاً بالغاً، وتمكن من الحالين ورقي درجة كل من الكمالين جارياً على مقتضىٰ الأمرين وسائراً على منهجهما الأعدلين، متكافىء الطرفين، ومعتدل الوصفين جبلاً بين سهلين، وبرزخاً من بحرين لا يذهب بحره ببره ولا يبعد بره عن بحره، تقوية من الله له وتمكيناً وتأييداً له وتحصيناً، وقد مكنه الله من الاتباع غاية التمكين، وأنزله الله بالمنزل المكين، فهو رضي الله عنه في موافقة الشريعة ومتابعة السنة آية قد وصل في التحافظ عليهما الغاية، وقاف على حدود الله حافظ لحدود الله واقف على أوامره ونواهيه لا أحد في ذلك يقاربه أو يضاهيه، قد حكم السنة في نفسه وعياله، وجعلها شعاره في جميع أفعاله وأحواله، وأتقن رعاية رعيته في داره على ما كانت عليه زمن أسلافه من حفظ أمر الدين وشعاره، فازدادت كمالاً على كمال، وجمالاً على جمال حتى

طارت بها كل مطار الأمثال وأعوز سيرها كثير الرجال، وتخلّق بالأخلاق الشرعية وجميع آدابها المرعية، فكان خلقه القرآن، وكل ما يأمر به الرحمن يرضىٰ برضاه ويسخط بسخطه في كل أموره، ويأمر بأمره، ويحذر بتحذيره، فحسنت له السير والشمائل وعذبت فيه الشيم والفضائل، وطابق ظاهر سيرته وفعاله باطن خلقه وخلاله، وتحقق بالإرث من رسول الله والتحنق بالسابقين من أهل حزب الله.

(فأما) سيرته، فتجده رضي الله عنه شديد الحزم في الدين عالي الهمة فيه شديد الحرص على مهماته بعد القيام بواجباته، واقفاً على الحدود والأحكام غاية حاثاً للوقوف عليها يقول كثيراً: أفضل الأذكار ذكر الله عند أمره ونهيه حافظاً لحقوق الله مراعياً لها شديد التحرز والورع في الدين كثير التحفظ فيه، والتحرز للأحوط ما رأيت أشد حزماً، ولا أعظم ورعاً منه، كله حزم وعزم، ولا يحب التأويلات ولا يميل إلى ارتكاب الرخص عارفاً عالماً مدرساً للعلوم كلها والسيرة النبوية بأسرها، بصيراً بما زاد عليها وما نقص، يعاني الكمالات ويسابق الغايات ويسارع إلى الخيرات، يستمعُ القول فيتبع أحسنه، ويبادر للعمل به يغري على فعل المأمورات ويحذر من الوقوع في المنهيات، ويعظم أمر الشرع العزيز، ويجل أمر النبي ﷺ أنْ يخالف، وكثيراً ما يستشهد بقول الله تعالىٰ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴿أن تصيبهم فتنة، أو يصيبهم عذاب أليم﴾[النور: ٦٣]، ويحب أنْ يفعل ما فعله النبي ﷺ، ولو لم يكن فعل على سبيل الأمر لنا، ويقول: ينبغي للإنسان إذا سمع شيئاً من هذه الآداب النبوية، والمباحات التي فعلها النبي ﷺ أنْ يفعلها بقصد الموافقة، ولو مرة وحدة، ويحافظ على السنة في محاولاته ومناولاته كلها، ويحب موافقتها في كل شيء ولا يحب الخروج عنها في شيء من الأشياء، ولو دعت إليه الضرورة وكان لا بأس به، فيقول: «الخير كله في اتباع السنة والشر كله في مخالفتها» ويحض على العمل بالعلم كثيراً وخصوصاً لمن يشتغل به، فعلىٰ قدر رياح السفينة جريانها، وعلى قدر طبخ الحديد إحكام الصنعة فيه وإتقانها، وقد رزق رضي الله عنه من القوة في اتباعه وأفعاله ﷺ ما يكافي غزارة نوره وعظم حاله، فما أكثر حفظه للدين وما أشد حبه إياه وإتقانه له تبعاً لسيد المرسلين، يحب عبادة ربه ويعظم أوامره ويعبده عبادة العارفين بكماله الخاضعين لجلاله ويطيعه طاعة الفرحين به المتولهين بحبه، عاملاً على ترك الحظوظ واللحوظ دالاً غيره على ذلك بحاله ومقاله أبداً، مؤدياً للفرائض والسنن، ويجيء بها على أحسن سنن، لا يغفل ولا يتوانى ويحافظ على إقامة الصلاة في أوقاتها وأدائها في الجماعات أبداً يتقنها ركوعاً وسجوداً على أكمل وجه وأتم وصفه، في سكينة وطمأنينة وأدب مع الله عز وجل صلاة الخاشعين العارفين أمثاله لا تسأل عن كثرة خشوع وخضوع، وحسن سمت وسمة لا يستطيع من يعرف حاله أنْ يلاصقه في الصف مخافة التشويش عليه، وكثيراً ما يحض

على إيقاع الصلوات في أوقاتها في الجماعات، وعلى قيام الليل لا سيما آخره يحث عليه، ويرغب فيه أتمّ ترغيب، وينشط له ويقول: فيه تنزل الرحمات وعواطف النفحات، وإنّ من أيقظه الله فيه فقد استدعاه إلى رحمته، ويداوم رضي الله عنه على غسل الجمعة،، ويؤكده لتأكيد سنيته، ويفعله على الوجه المسنون من كونه متصلاً بالرواح، ويلبس نقي ثيابه إنْ كان وإلاّ ذهب للمسجد الجامع بما عليه، ولا نراه يتطيب بالمسك ونحوه يومها وإنْ كان الطيب لها مستحباً، ولا في سائر الأيام وهو يحبه كثيراً ويجلب إليه ولعله لأجل ما كثر من استعماله لأهل الرفاهية، وكثير من السفهاء بقصد الترفه، ويمشي هوناً في سعيه للصلوات كلها ويحب فاعل ذلك عملاً بمقتضى الحديث: «إذا أتيتم الصلاة فأتوها بسكينة ووقار».

(ومن شأنه رضي الله عنه): يطلب التحقيق والتدقيق في كل شيء مما جل أو دق ليقف على التحقيق، ويخرجهم بذلك عن ربقة التقليد والتصديق في كل أمر أمر فرد فرد، حتى لقد احتوى على جميع العلوم الرسمية تحقيقاً وتدقيقاً وتفهماً وتدبراً، وفي حل المشكلات المعضلات حتى صار إماماً في سائر العلوم يرجع إليه ويقصد في تبيينها لديه عالماً بتعليلها وحكمها وأصولها وفروعها، واستنباطاتها ومفهومها ومنطوقها وناسخها ومنسوخها، واستبحر رضي الله عنه في جميع العلوم النقلية والرسمية حتى صار لا يُضاهى ولا يقاس بحره ولا يتناهى، كما صار كذلك في علم الحقيقة على ما هنالك، فاستجمع بذلك شروط المشيخة والاقتداء على وجهها وأتى على حقيقتها وكنهها، ويذكر الله عز وجل في كل أحيانه لا تفارقه سبحته، يحب الإكثار من ذكر الله ويحض عليه، ويقول: كل شيء حده الله لنا إلاّ ذكرهُ سبحانه، فإنه قال جل وعز: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الأحزاب: الآية: ٤١] وقال تعالىٰ: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً﴾ [آل عمران: الآية ١٩١] ويواظب رضي الله عنه على أوراده بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحىٰ الأعلىٰ في خلوته وبعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء في خلوته أيضاً، وكذلك له مرتب بعد صلاة العصر إلى الغروب. وقال رضي الله عنه: لا نذكر ذكراً إلاّ ما رتبه لي رسول الله ﷺ وكثيراً يلازم الصلاة على رسول الله ﷺ في جميع أحواله، ويحض عليها أصحابه لا سيما صلاة الفاتح لما أغلق إلخ... لما فيها من الفضل العظيم، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ في محله، وإذا طلبه أحد في شيء من غير الورد المعلوم يقول له: أكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق، فإنّ فيها خير الدنيا وخير الآخرة، وبها ينال جميع المطالب ويبلغ بها الطالب أنواع المآرب. هذا حاله رضي الله عنه الآن، ويحفظ جوارحه مما نهى الله عنه، فيعرض عن اللغو وما لا يعني ويصون عنه لسانه، ولا يسمع الباطل ولا يقدر أحد أن يذكره بمحضره، وإنْ نطق أحد بمنهي رده للصواب لا

محالة كائناً ما كان لا يتساهل في ذلك، يحذر عن الغيبة غاية التحذير وينفر عنها كل التنفير، ويذكر ما ورد في ذلك من آية أو حديث ويطنب في ذلك مبالغة في النكير، ويتحرى الصدق رضي الله عنه في حديثه، ويحض عليه وعلى تحريه ويسره من صادقه في حديثه، ويسوؤه من يكذب عليه، ويعجبه الصادق في فعله الذي يظهر كل ما من شأنه أنْ يفعله ولو كان قبيحاً، ويستحسنه ويحظى عنده صدوق اللسان غاية الحظوة، ولا يحب الإكثار من الحلف مخافة الوقوع في الحنث ويقول: ينبغي للإنسان أن يعوّد نفسه عند إرادة الحلف قوله إن شاء الله مخافة أنْ يعقد اليمين، فلا يبرأ أو يحنث، فلا يكفر. ويغض طرفه رضي الله عنه فلا تراه ذاهباً في الطريق إلاّ ناظراً موضع ممره ولا يلتفت، ذلك دأبه وعادته، فإذا جلس مع الناس كان الغالب عليه التغافل عن أحوالهم يؤدب بذلك كل من حضر لديه، ولا يحب الإكثار من ملاقاة الناس ولا الخوض معهم على ما هم فيه، وإذا لقيه أحد من أصحابه لم يزده على السلام عليكم، ولا يقدر أحد منهم أن يقبل يده حملاً لهم على عدم التكلف وميلاً بهم إلى الأدب الباطني وهو الأدب الحقيقي خلاف ما اعتاده الناس من تأكيد تقبيل يد كل من يعظمونه، هذا شأنه رضي الله عنه مع من يعرفه وخالطه، إلاّ من غلب عليه أو كان ذا غفلة لا يعرف تصنعاً ولا استعمالاً؛ وأما الأجنبيون، فإنّه يسامحهم ويعذرهم مخافة أن يكسر قلوبهم، فلا يمر في طريق إلا أكب الناس عليه يسلمون عليه بتقبيل أطرافه، وربما يزدحمون عليه وذلك لما يفاجئهم من جلالته، ومهابته ويسري إلى قلوبهم مما ألقىٰ الله عليه من محبته كما ورد في الحديث: «إنّ الله تعالىٰ إذا أحب عبداً نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إنّ الله أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» الحديث.

(وكان رضي الله عنه) قبل هذه الأزمنة ينكر كثرة تقبيل يديه ويزجر كل من فعله من قريب أو بعيد، كما تقدم في باب بدايته، وأمّا الآن فلم يبق على ذلك بل نقله الله إلى حالة الخلافة الدينية، فصار حاله في ذلك على ما وصفناهُ رضي الله عنه وأرضاه ومتعنا برضاه آمين.

(وأما صلة الرحم) فإنّه يصل رحمه الديني والطيني، فأمّا الطيني فإنّه يواصل كل من له قرابة به من نسبه وذوي رحمه يقضي حوائجهم، ويتفقد أحوالهم ويكرم مثواهم، ويتعاهدهم ويسهمهم مما رزقه الله، ويحمل كلهم ويكسب معدمهم ويعينهم على نوائب الخير وعلى مؤنتهم، ونوازلهم، فما من مسألة تهمهم إلاّ أنزلوها به، فيجدون الراحة والمخرج ببركته، لا يغفل عنهم في أمر ديني أو دنيوي، ويحن على كبيرهم ويرحم صغيرهم، ويؤدبهم كما يؤدب صبيانه لا يرى أحداً فعل منهم قبيحاً إلا وبخه، يبالغ في

نصيحتهم ويقوم بحقوقهم أحسن القيام حازم في ذلك كله قوام، ويحض على القيام بحقوق الأقارب، ويوصي بالابتداء بهم على إرادة المواساة عملاً بما ورد في الحديث، وما أكثر ما يعظ في شأن الوالدين، ويؤكد على حقوقهما ويحذر من عقوقهما، ويقول: من لم يبر بهما لا يتيسر له سلوك هذا الطريق، فمن صدر منه عقوق لهما بعد أنْ دخل فيها قطعه ذلك عنها، ثم لا يقدر له أحد بشيء، وما أكثر ما يستعظم خطر المضيع لحقوقهما، وحق له ذلك أنّه لعظيم.

وأمّا رحمه الديني فإنّه من أعظم الناس مواصلة، وأكثرهم براً وإحساناً لأهل جانبه يواسي إخوانه وأصحابه، وكل من له معرفة في الله بأنواع المواساة ويحسن إليهم، فيطعم جائعهم ويشمل ضائعهم ويكسو عاريهم، ويرفد فقراءهم، ويعين ضعفاءهم، إذْ هو رضي الله عنه أشد اهتماماً بأهل الأخوة الدينية يتألم لمصابهم أكثر مما يتألم لذي نسبه ورحمه، أعظم الناس عنده قرباً أكثرهم في الله حباً، فيقرب الإنسان عنده من ذلك، ولو كان من أبعد الأجانب، ويبعد عنه البعيد، ولو كان من أقرب الأقارب، نجده يستعظم حقوقهم ويرى أنّ القيام بها غير مستطاع؛ سمعته غير ما مرة يقول: من ابتلي بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية نسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة التي عمت بها البلوىٰ في حلل المدعين للأخوة في هذا الزمان الرذيل.

(وأمّا لباسه رضي الله عنه)، فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد، كما يلبس عامة الناس ولا يحُب الامتياز بثوب حسن ولا قبيح، ولا يرتكب في داره أمراً لم ترد به السنة، بل قطع عنهم جميع العوائد والزوائد، وأمره في ذلك واضح وتفصيله يطول ويتبرأ من الدعوى أتم براءة، ويتنصل منها غاية التنصل، ولا يقبل من أحد فعل ذلك، وإذا حكى شيئاً صدر عنه من محاسن الأعمال، أو أشار إلى بعض ما له من سنى الأحوال لغرض من الأغراض أسنده إلى مجهول، فيقول وقع لبعض الناس أو لرجل كذا وكذا لا يسمي نفسه ربما نلتقي بمن حضر معه في بعض تلك القضايا بعينها، فيخبرنا بأنّه هو فاعلها، فصرنا نعلم ذلك من حاله، ولا يحب من ينسب إليه شيئاً ولا من يصرح له بسر من الأسرار ولا من يمدحه بمحضره، وإذا واجهه أحد يوماً بثناءٍ عليه لم يسامحه إلاّ أنْ كان غائباً أو عز بمدارك الأمور، ويشدد النكير في دعوىٰ الفقر وما يشار إليه، ويقول إلى الآن ما حصلت لنا التوبة والإيمان الكامل أو كلاماً هذا معناه تنبيهاً للسامعين وإرشاداً للمتابعين، والتعليم بالفعل أبلغ نصحاً، وأتم نجحاً، فجزاه الله عنا خيراً وزاده منةً وبراً، وقد نجح والحمد لله على ذلك، وسرى للأصحاب ما هنالك لا يحبون الدعوى ولا من يشتغل بها لما يعلمون من حاله ويسمعون من مقاله، ويرون من فراره منها ومن هي فيه الآن، الدعوى أشد بلاء من البلوى، وكثيراً ما نراه يستعيذ بالله منها يقول: إنّ عقوبتها

الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالىٰ يزجر السامعين بهذا الكلام، وإنّه لحقيق بمن ادعىٰ بما ليس فيه أن يُجازى بسوء الخاتمة، نسأل الله السلامة والعافية من هذه البلية العظيمة، ويحب الخمول ولا يحب الظهور ولا من يتعاطاه، كما يأتي في باب زهده إنْ شاء الله تعالىٰ، ويحب آل البيت النبوي المحبة العظيمة، ويودهم المودة الجسيمة، ويهتم بأمورهم لا يزال حريصاً إلى إيصال الخير إليهم، ويضرع إلى الله فيما يصلحهم ويكرمهم الإكرام، ويبر غاية بهم أشد البرور، ويتواضع لهم أشد التواضع، ويتأدب معهم أحسن الأدب، وينصحهم ويذكرهم ويرشدهم إلى التخلق بأخلاق النبي ﷺ والعمل بسنته، ويقول: الشرفاء أولى الناس بالإرث من رسول الله ﷺ، ويحض على محبتهم، وتوقيرهم والتواضع لهم والأدب معهم، ويبين عظيم مجدهم ورفيع قدرهم، ويرى أنّ التواني في أمورهم ومحبتهم نقص في الإيمان ولا يحب من يناويهم، أو يباريهم أو يخل بالأدب معهم، ويشدد النكير على من فعل ذلك معهم رضي الله عنه وأرضاه ومتعنا برضاه آمين؛ ومن عظيم محبته إياهم وأدبه معهم وتواضعه لعليّ قدرهم أن لا يترك من استشاره من أصحابه أنْ يصاهرهم مخافة تقصيرهم في شيء من الحقوق التي تجب عليه لهم أو وقوعه في بعض الحقوق، ورأيته يوماً شدد على بعض أصحابه حين أراد تزويج شريفة، فمنعه من ذلك وقال له: إنْ فعلت، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة نعوذ بالله من مخالفته في غيبته وحضرته، وذلك لأجل أنْ لا يقع منهم ما يغضبهم ويسوؤهم، فيغضب بذلك فاطمة بنت النبي ﷺ، ويغضب أباها ﷺ ما أغضبها للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والطبراني والحاكم في المستدرك، والبيهقي عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه حيث خطب إبنته الحسن المُثنى على إبنة عمه فاطمة بنت الحُسين رضي الله عنهما، فاعتل له بحديث: «فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها»، وبأن عنده أشبهها، وذلك يقبضها ويقبض جدتها بنت رسول الله ﷺ، فوافق فعل سيدنا رضي الله عنه، فيمن استشاره فعل هذا الصحابي الكريم، وسلك مسلكه في الإجلال والتعظيم وإنّ المُصاهر لهم قد يرى في نفسه شيء من المساواة، فيخل بالوقار كثيراً ما يوصي بتوقيرهم واحترامهم، والاحتياط في تعظيم مقامهم بعدم المصاهرة لهم مخافة أنْ يرى الإنسان نفسه أهلاً لذلك، فينكح منهم كما نكحوا منه، فلا يرى لهم مزية ويستخف بمرتبتهم العلية، وهذه آفة قلبية وعلة خفية لا يراعيها ويحترز منها إلا أرباب القلوب؛ ومن شدة تعظيمه لقدرهم وغيرته عليهم أنه لا يحب من يخالطهم على حظ، ويخادعهم في شيء أو يكتم عنهم نصيحة ويقبح ذلك غاية التقبيح ويكره فاعله.

والحاصل: إنّ محبته لآل البيت النبوي وتعظيمه إياهم أمر عظيم لم يرَ مثله لأحد من أهل زمننا، ولا سمعنا به بل هو شيء انفرد به وتحقق منه تحقيقاً ويقيناً، والمحبة وإنْ

كانت وصفاً قلبياً تعلم زيادتها بالأحوال الدالة عليها، والأمارات المرشد إليها، وإنا لا نعلم من يحب الشرفاء ويعظمهم في هذا الزمان مثل محبته وتعظيمه وليس ذلك بمستغرب في أمثاله، ومحبة آل النبي رزقنا الله منها أوفر حظ ونصيب من نتائج الإيمان الحقيقي وثمراته، وكذا سائر هذه السيرة المحمدية التي سار بها شيخنا رضي الله عنه مما في بيان آثارها ونشر أخبارها عبرة للمعتبرين، وتذكرة للمتذكرين، وتسديد للمتقين، وتأييد للموفقين وعون للموجهين، ويقظة للمنتبهين، ومحجة للمقتدين، وحجة على المعتدين رزقنا الله بركته وضاعف لنا محبته.

(وأما أخلاقه رضي الله عنه) وهي ما تكيف به من الأوصاف المجيدة والأخلاق الحميدة التي هي المسماة بمكارم الأخلاق، وهي الذكاء والفطنة والشجاعة والنجدة والحنان، والشفقة والرأفة والرحمة والصبر والاحتمال والتواضع والأدب وعلو الهمة، والتي هي العفاف والصيانة والوفاء والفتوة، التي هي الكرم والسخاء والحلم والأناة والعفو والإيثار والسعي في حوائج الأبرار، إحدى وعشرون، فقد تقدم منها في باب نشأته الأربعة الأول هي الذكاء والفطنة والشجاعة والنجدة، ويأتي ما بقي فيما بعد إنْ شاء الله تعالىٰ. وقد أكرمه الله تعالىٰ بأوصاف جبل عليها في أصل فطرته، فلما فتح عليه ما فتح عادت قربى إلى الله، ووصلة لحضرته، فأنزل كلا منهما بمحله ولما خلق لأجله، فصارت كلها لله وفي الله، فكان ذكاؤه فهمه عن الله مراده، وأناته إتقانه للعبادة وصبره سكونه تحت مجاري الأقدار واحتماله قضاءه الحوائج والأوطار، وشجاعته قوته في الدين، ونجدته في نصرته طريق المهتدين، وسخاؤه بيع نفسه على الله وفي الله وعلو همته انقطاعه إليه عما سواه، وفتوته وفاؤه بمعاملة مولاه، وكانت تلك الأوصاف تمهيداً لهذه الأخرى ورقي في درجة الإحسان مقامة كبرى كل ميسر لما خلق له.

(ومن أخلاقه الكريمة) النافعة العميمة: الحنان والشفقة والرأفة والرحمة، لا تجده إلاّ عطوفاً رؤوفاً شفيقاً رفيقاً على المسلمين، ويرق للمساكين ويألم لمصابهم ويشفق لما بهم ويلاطف ذوي الحاجات ويواسي ذوي القافات، ويود ذوي الاغتراب أكثر من ذوي الاقتراب ويميل إليهم ويتعطف عليهم، ويجالسهم ويؤانسهم ويعاملهم، وخصوصاً أهل الفطرة السليمة منهم الذين لا يضمرون من سريرتهم مثقال ذرة، فكثيراً ما تراه يبر بهم ويرفق بهم ويرحمهم ويكرمهم ويعجبه حالهم، ويثني عليهم بظهر الغيب الثناء الجميل، وما شكا له أحد مرضاً ولا ألماً إلا اهتم له واعتنى بأمره، فلا يزال يذكره داعياً له، ويسأله عن حاله حتى يكشف الله ما به ويفرج الله عنه، وما أبصر ذا مصيبة إلا رق له رقة عظيمة، ويدعو له ويقول: أعاذنا الله بفضله من بلائه آمين، فهذا ديدنه رضي الله عنه وأرضاه، وجعل دار النعيم متقلبه ومثواه.

(ومن أخلاقه العظيمة) التي سبق فيها من قبله، وأعجز من يأتي بعده: التواضع والآداب وحسن الخلق والمعاشرة، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم متبسماً في وجه كل من لقيه، وكل من لقيه يظن أنه أقرب إليه من غيره لما يرى من طلاقة وجهه وحسن كلامه وكثرة إقباله، حتى إذا لقيه المحزون زال حزنه بمجرد لقائه، هيناً ليناً في كل شيء حتى في مشيه يذكرك قوله تعالىٰ: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ [الفرقان: الآية ٦٣] ما رأيت أحسن خلقاً، ولا أوسع صدراً، ولا أكرم نفساً ولا أعطف قلباً، ولا أحفظ عهداً ووداً ولا أكثر علماً وفهماً منه، ومع جلالة قدره يقف مع الصغير ويوقر الكبير، ويجالس الضعفاء، ويتواضع للفقراء اقتداءً برسول الله ﷺ ولا يقصد أحد معارضته بشيء من العلوم كلها إلا أفحمه، فيبقى متحيراً متعجباً من غرائب العلوم والفهوم ممن جمع الله له العلم والعمل، والولاية الكبرى، وارتقى في ذلك إلى النهاية مع الحرص والشفقة على الخلق، مما يقربهم إلى الله تعالىٰ والصبر على أذايتهم إلى الغاية إلى ما وضع له في القلوب من الهيبة العظيمة والإجلال، مما لم يعط لأحد ممن عاصره من العلماء والأولياء والزهاد وغيرهم، ولذا سار الناس إليه من أقاصي البلدان يتبركون به، ويأخذون عنه ويستندون في الأمور الدينية والدنيوية والأخروية إليه، فلا تجد من يقاربه في الرحمة والإرشاد للخلق فضلاً عن مثله، ومع هذا كله رضي الله عنه تجده يتواضع في نفسه لله في ذات الله لعباد الله أهل النسبة إلى الله، وآل البيت النبوي، وكل ذي نسبة دينية، ومحبةٍ إيمانيةٍ؛ أما في نفسه، فإنه لا يرىٰ لها قدراً ولا ينسب لها أمراً ولا يرىٰ استحقاق شيء على أحد حتى أهله وعياله، ويخدم نفسه وأهله لا تستنكف نفسه عن فعل شيء كائناً ما كان، ولا يحب امتيازاً ولا اختصاصاً بشيء، ويرى لغيره المزية عليه ويقول: لعل الله يرحمنا في جماعة المسلمين، وينسب لنفسه الأشياء الوضيعة ولا يبرىء نفسه من خصلة ذميمة أو فعلة قبيحة، ويشهد حقوق الناس عليه، ويقول: لم نوفِ لمن عرفناه حقه، ولم نستوفه أبداً ويقول: «المؤمن هو الذي يرىٰ حقوق الخلق عليه ولا يرى لنفسه على أحد حقاً».

(وأما التواضع) في الله لعباد الله، فإنه يخدم بنفسه من والاه من الأصحاب، وغيرهم في الحضر والسفر لا يبالي بعناء نفسه في ورود ولا صدر ولا يترك أحداً يشتغل بتعظيمه أو يميزه بشيء كتقبيل اليد ونحوه، ولا يقدر أحد يسومه بشيء من ذلك ولا يرى نفسه أهلاً لشيء من ذلك أبداً.

(وأما أدبه رضي الله عنه) ظاهراً وباطناً في الشريعة المحمدية ومع الله جل جلاله، فشيء بلغ فيه أقصىٰ الغايات، وبرع فيه أهل البدايات والنهايات، حسبما يعلم من حاله ومقاله، ويشهد له ما تقدم من خلاله وفعاله والأدب عند الفقهاء عبارة عن القيام بما بعد الواجبات والسنن من الفضائل والرغائب المتعلقة بأحوال الإنسان من نوم ويقظة وأكل

وشرب وذكر ودعاء ونحو ذلك، وعند الصوفية عبارة عن جمع خصال الخير وأوصاف البر، فهو وصف جامع لأوصاف مجيدة وأخلاق حميدة تناسب وصف العبودية وجلال الربوبية، من جمعها فقد اتصف بالآداب وكان أديباً متأدباً مع الله تعالىٰ، ومع رسوله ﷺ، والأدب بالمعنى الأول مندرج في هذا، وقد جمع سيدنا رضي الله عنه الأدب ظاهراً وباطناً، وسراً وجهراً ولله در القائل:

إذا نطقتْ جاءتْ بكلِ مليحةِ وإنْ سكتتْ جاءتْ بكلِ مليحِ

(فمن أدبه الظاهر) مواظبتهُ على ما ورد في السنة من الآداب الشرعية المتعلقة بأحوال الإنسان، ومحافظته عليها بقدر الطاقة والإمكان، في قيامه وقعوده واضطجاعه ومشيه وجلوسه، وما رؤي رضي الله عنه قط مادّاً رجله إلى القبلة، وما بصق قط وهو جالس في المسجد ولا رفع فيه صوته وما سمع أحداً يرفع فيه صوته إلا نهاه، وما رأى أحداً أخل بشيء من آداب الشريعة إلاّ نبهه، ويقول له: إذا كان ممن له معرفة بها على سبيل الإنكار والتوبيخ هكذا ورد في السنة، ولا يحب ارتكاب شيء من آداب الناس العادية التي لم ينهِ عنها الشرع ولم ترد به السنة اقتصاراً منه على ما ورد في الشريعة، وتخلقاً بأخلاق السنة الرفيعة. ومن أدبه الباطن الذي دلت عليه أقواله وأفعاله أنّه رضي الله عنه لا يختار مع الله ومن لا يدبر مع تدبيره شيئاً كما تقدم حتى أنه إذا دعا لنفسه أو لأحد بشيء مما كان مجهولاً عاقبته أو فيه حظ كان دعاؤه طلب الخيرة من الله، ويقول لنا المرة بعد المرة: لا أدعو إلاّ بلساني وقلبي مستسلم لله تعالىٰ ويقول: لا أريد شيئاً ولا أطلب شيئاً تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، ويقول: إنما أجاري الخلق بلساني لا غير لعدم كسر قلوبهم وغير ذلك، وتارة إذا طلبه أحد بالدعاء يقول: لا أدعو أدباً مع الله جل جلاله، وعلماً منه رضي الله عنه بأن ما يختاره الله هو أحسن مما يختاره العبد لنفسه أو غيره، أما الدعاء بما ورد عن الشارع مما فيه ترغيب أو ترهيب، أو تقرب أو صلة إلى الله جل جلاله، أو وصف عبودية من إظهار فاقة وتملق وتضرع وخضوع لله سبحانه، وكذا طلب التوبة والمغفرة والرحمة والقبول منه جل وعلا، ونحو ذلك، فلا يزال لهجاً به رطباً به قلبه ولسانه، ويقول: إنّ ذلك كله ليس فيه اختيار مع الله لأنّه مأمور به شرعاً، وكثيراً ما يجري على لسانه بالدعاء الله يقبل عليك بمحض فضله ورضاه. (ومن أدبه رضي الله عنه) أنّه لا يريد الخوض في شيء من تصاريف أقدار الله سبحانه وتعالىٰ، ولا التعرض للكلام فيما وقع ولا تمني زوال ما هو واقع منها، ويعد الخوض في ذلك كله اعتراضاً على الله تعالىٰ، وسوء أدب معه، وينسب القصور للنفس ويرى النقص منها فيما يبتلى به العبد من القضاء بعد اعتراف أنّه من الله تعالىٰ تخلقاً بأخلاق الشريعة، وتحققاً بأن الكمال لا ينسب إلا لله، ولا ينسب لغيره، وإنْ كان أثراً من آثار قدرته لا لغيره مراعاة لمقام الأدب معه تعالىٰ.

ويحكى في ذلك حكاية معلومة لبعض الملوك السالفين، وهي أنه كان له غلام عزيزاً عليه جداً، فكلمه قواده في ذلك فأراد إظهار مزيته لهم، فأخرج لهم ياقوتة نفيسة وأمرهم بكسرها، فجعل كل منهم يشير عليه ببقائها، فأمر الغلام بكسرها فكسرها مكانه دون تردد، فزجره السلطان ووبخه على كسرها، فجعل يتضرع إليه يا سيدي يا مولاي فقال السلطان عند ذلك للآخرين: أنتم أمرتكم أولاً، فجعلتم ترشدونني ولو كسرتموها ولمتكم لقلتم: أنت أمرتنا، وهذا امتثل أولاً وتضرع ثانياً لهذا أحبه هذا ما يدل على نوع من آدابه الباطنة، وأمّا ما وراء ذلك من مراعاة خواطره، وأنفاسه وتقلباته، وأدبه مع الله في ذلك كله، فما لا نطلع عليه، وقد يكون هنالك آداب باطنية ظهرت عليه علاماتها، فلم نعرف دلالتها على ذلك؛ والأدب على قدر المعرفة، ولن يخفى عليك بعد معرفة ما تقدم كمال معرفته رضي الله عنه الملزوم لكمال أدبه بل ولكمال هذه الأخلاق كلها المنطوية في الآداب التي بلغ فيها مبلغاً كاملاً، وبالجملة فأدبه مع الله تعالىٰ ورسوله، وتواضعه في نفسه وللخاص والعام من أبناء جنسه وصبره واحتماله وشفقته وحنانه، وعظيم فتوته وعلو همته هذه خصوصاً وسائر أخلاقه عموماً، أمر عزيز الوجود غريب الورود، لا يتفق إلا لخواص الخواص من ذوي الصديقية والإخلاص، والمعرفة والتوحيد الخاص للذين استغرقتهم رحمة الرحمن وعمهم الفضل منه والإحسان، وإذا أراد أنْ يظهر فضله على عبده أهل لحبه ووده، وجعل فيه ائتلافه ومحا بوصفه أوصافه، فأثمرت بكل جميل أغصانه، وتنوعت فنونه وأفنانه واتصف بكل نعت كريم، وخلق عظيم، فسبحان الرحيم الودود الواسع الكرم والجود الذي أكرم خلقه ووسع لمن شاء رزقه، لا إله غيره ولا خير إلا لخيره، ولا معطي إلا هو ولا راحم سواه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباب الثالث

في علمه وكرمه وسخائه، وعظيم فتوته ووفائه، وخوفه وعلو همته وورعه وزهده، وموعظته وحريته ودلالته على الله وجمعه عليه وسوقه الأقوام بحاله ومقاله إليه وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: في علمه وكرمه وسخائه وعظيم فتوته ووفائه:

أمّا علومه الظاهرة، ففاز منها بأوفر نصيب وحاز من فروعها وأصولها السهم والتعصيب، ورقي إلى كل مكرمة وفضيلة بسهم مصيب، ولا يتحدث في علم إلاّ تحدث فيه حتى يقال: أنّه لا يحسن غيره سيما علم التوحيد، والتفسير والحديث وعلم السير وعلم التصوف والأحوال، وسائر العلوم النقلية من نحوٍ وفقهٍ وعروضٍ وغير ذلك، وقد شارك العلماء في جميع علومهم الظاهرة، ولم يشارك في العلوم الباطنة بل زاد على الفقهاء زيادة لا يمكن وصفها من حل المشكلات وما يعرض من الشبه المعضلات كما ستقف عليه إن شاء الله في أجوبته عند محلها، وما تكلم رضي الله عنه في مسألة علم الظاهر إلاّ خرج منها لعلم الآخرة، لا سيما التفسير والحديث لما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالىٰ ومراقبته، وعدم التفاتة لزخارف الدنيا كأنه يشاهد الآخرة بين يديه فأقراؤه للعلوم الظاهرة رجعت كلها في الحقيقة علوماً باطنة، وكثيراً ما يقول ما معناه: العالم على الحقيقة من يشكل الواضح ويوضح المشكل، لسعة علمه وكثرة فهمه وحسن نظره وتحقيقه، فهذا الذي يجب حضور جلوسه، والاستماع من غرائبه وفوائد علمه، كما قال الشيخ ابن عرفة في أبياته المنسوبة له:

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة ... بتقرير إيضاح لمشكل صورة

وعزو غريب النقل أو حل مشكل ... أو إشكال أبدته نتيجة فكرة

فدعْ سعيه وانظرْ لنفسك واجتهدْ ... وإياك تركاً، فهو أقبح خلة

(وأما علومه) الباطنة الحقيقية المستمدة من الأنوار الإلهية، وقطب رحاها وشمس ضحاها، يقول من سمع كلامه فيها: هذا كلام من ليس وطنه إلاّ غيب الله تعالىٰ، وهذا العلوم محلها القلب وهي معادن الأسرار ومطالع الأنوار، ولهذا لا يمكن التعبير عنها ولا يعرف حلاوتها إلاّ من اتصف بها وذاقها، فلهذا رضي الله عنه يؤثر حب مولاه العظيم على غيره، ويراقبه ولا يأنس بأحد بل تجده يفر إلى الخلوات كثيراً قد طال فكره في معرفته تعالىٰ، فانكشفت له عجائب الأسرار وتجلت له الأنوار، كما قال القائل:

ومـنـفـرد بـالله هـام بـحـبـه / فـليس لـه أنـس بـشـيء سـوى الـربِّ
تـفـرد فـي الـدنـيـا لـطـاعـة ربـه / فـأورثـه عـلـم الـكـتـاب بـلا ريـبِ
وآثـر حـب الله، فـانـكـشـفـت لـه / عـجـائـب أسـرار ثـوابـاً عـلـى الـحـبِ
فمن كان في دعوى المحبة صادقاً / تـجلت له الأنوار من غير ما حجبِ
فـيرتـاح فـي روض الـمـعـارف دائـمـاً / ولـذتـهـا أشـهـى مـن الأكـل والـشـرب
تـخـاطـبـه الأحـوال مـن كـل جـانـب / فـيـفـهـم عـنـه بـالـضـمـير، وبـالـقـلـب
يـكـاشـف بـالأسـرار مـن مـلـكـوتـهـا / فـيأتي عليه الفيض من عالم الغيب

إلى غير ذلك مما قيل ولا شك أنّ السادات المتصفين بأحوال الصفات هم الذين ورثوا الأنبياء حقيقة واقتدوا بهم ظاهراً وباطناً، فجمعوا بين الشريعة والحقيقة على أكمل وجه، فقد فاقهم سيدنا رضي الله عنه وحصل ما حصل لهم، فهو رضي الله عنه القدوة للمقتدي والهداية للمهتدي، لجمعه بين لطائف الأحوال وصحيح الأقوال والأفعال، باطنه حقائق التوحيد وظاهره زهد وتجريد وكلامه هداية لكل مريد.

(وأمّا كرمه رضي الله عنه)، فمن أخلاقه وسجاياه، كثير إنفاقه في سبيل الله وعطاياه رُبّي على ذلك منذ نشأ يتقلب كيف شاء جعل الله الكرم له وصفاً طبيعياً، ثم صرفه فيه تصريفاً شرعياً إلى أنْ رقاه الله سبحانه في الكمال، وصيره ممن لا يشهد في ذاته ملكاً لنفسه ولا مال، فجمع الله له بين الحالتين جمعاً صنعاً من الله، ومن أحسن من الله صنعاً، فكانت وقائعه في ذلك عظيمة، وأياديه فيه جسيمة، وأفعاله عجيبةً، ومآثرة غريبةً نادرة من نوادر الزمان، وآية من آيات الله التي برزت للعيان، يعطي عطاء من لا يخاف الافتقار، لا يبالي بإفراط ولا بإكثار، وكيف يبالي من تخلى قلبه عن العرض الفاني ورقي مقام الإحسان والعرفان، وصعد مصعد الكمال ومراتب فحول الرجال، الذين تركوا النفائس والأرباح، ووهبوا النفوس والأرواح، فهم كرماء الخليقة والأسخياء على الحقيقة، فلا فضل إلاّ أفضالهم، ولا نوال إلاّ نوالهم إذْ من العين الجود ينفقون، وبوابل فيضه يدفقون لا يرون لهم ملكاً ولا إعطاء ولا تركاً، فأنى يوصف أمرهم ولا يقدر في ذلك قدرهم، ولكنا لا نتعرض لشيء مما نرى لشيخنا وأستاذنا رضي الله عنه من جزئيات القضايا، وبعض ما شهد له من أوفر الإحسان والعطايا إذاً المقصود ذكر الأخبار، ونشر تلك المكارم والآثار، فدأبه رضي الله عنه الإنفاق في سبيل الله والإطعام لوجه الله يفرق ماله في ذلك شذر مذر في كل وقت من رخاء وشدة في حالة سفر وحضر، من كل ما يتناوله من المكتسبات من عين وعرض وفواكه وخضر، ما بين مواساة ونفقة، أو صلة رحم أو صدقة، وبقول المال مال الله، إنّما أنا خازن الله، ومسخر فيه ومستخلف لقوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما

جعلكم مستخلفين فيه﴾ [الحديد: الآية ٧]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتُم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان، ويخفض ويرفع**» أخرجه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(ومن عادته رضي الله عنه) وخصوصاً، ما كان من قبيل الصدقات المبالغة في الإخفاء جداً حتى لا يشعر إنسان بما هو يصدر منه من الإحسان في عموم الأوقات وغالب الأحيان، فإذا أعطى أحداً شيئاً لا يعطيه بيده إنما يأمر بذلك ويرسل به، ويوصي المرسل معه بالكتمان طلباً للوجه الأكمل الذي فضل الله في كتابه سبحانه بقوله: ﴿فهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢٧١] وإبقاء على المعطى بفتح الطاء، وحرصاً على إعلاء همته ليشكر نعمة سيده، ولا يتشوق للذي جرت المنحة على يده، ويقول: إني إذا تشوق أحد لي انقبض قلبي عنه، فلا أريد أن أعطيه شيئاً، فإذا انقطع نظره عن الخلق، كنت أحرص الناس على إعانته وإيصال العطاء إليه، وأجدني أستحلي مناولة ذلك حين أعطي مال سيدي لعبد سيدي وهو لا يلتفت إليّ ولا يشعر بما لديّ، وربما يتولى الإعطاء بيده لكون المعطى له لا يشعر بمن أعطىٰ؛ وقد يعطي بيده أيضاً، إذا كان المعطى له من الموالين من الأصحاب، وغيرهم ممن يعرف أنه لا ينوه به ولا يفشي سره، وما من أحد من الأصحاب إلاّ لحقه نائله ووسعته عوارفه وفضائله، فلا يلقىٰ بعضهم بعضاً إلا حدث بعطاياه دائماً من كل شيء، ثم لا يقدر أحد أنْ يواجهه بثناءٍ عليه لأجل ذلك، أو يذكره أو يشيع خبره، وإذا أكل أحد الطعام عنده فقال له: كثر الله خيرك رده إلى شكر نعمة الله وشهود ما تفضل الله به سبحانه أولاه ويقول: كلوا من رزق ربكم واشكروا له ويقول المنة لله وحده.

(ومن كراماته) الجارية في هذه العطايا، أنّه لا تصل عطيته أحداً إلاّ وجدته على حين ضرورة وشدة احتياج لا يجد ما يحاوله ولا ما يناوله، حتى كان سيدنا رضي الله عنه بات ينظر إليه أو ظل معه مطلعاً عليه، فيوقع ذلك كله مواقعه، وينزله مواضعه على نور من ربه وبصيرة في أمره، ويوفي فيما يعطيه كل ذي حق حقه من قريب أو بعيد، جامعاً بين العدل والإحسان ومراعياً لحال كل إنسان، فيمتع أولاده وأهله وعياله، ويوالي عليهم بره ونواله، ثم يوسع الأقارب والأصحاب مواصلة، ثم الأباعد صدقة ومفاصلة، شأنه في ذلك كله بديع وحاله في ذلك بأسره رفيع.

(أمّا شأنه) في داره وعياله فإكثار الطعام والإطعام والتوسعة والإنعام والإفضال، والإكرام، لا يدع شيئاً إلاّ أمتعهم فيه على وجه شرعي من قصد كفايته إياهم، وتنعيمهم بأنعم مولاهم لا على الرفاهية والترفه مكفولين بخير كفاية محفوفين بخير رعاية ظاهرة عليهم أنعم مولاهم واضحة عليهم آثارها ما شئت من عفاف، وقناعة وكرم نفس وعلو

همة، قد اعتادتهم السخاء حتى ألفته نفوسهم وأثمرت منه غروسهم، يدخر لهم لإغناء نفوسهم فوق ما يحتاجون إليه، ويصرح أحياناً، بأنّه لولا الرفق بهم والجري على مقتضىٰ عقولهم وصونهم على أنْ يتشوقوا لما بأيدي الناس ما ادخر شيئاً، فيخزن من قوت سنتهم طعاماً وأدماً وعسلاً وفاكهةً ما يكفيهم، ويكفي أضيافه، وأضعاف أضعافهم، ليعول به الأضياف والضعفاء والمساكين المنتسبين إلى الله ممن هو ملازم له، ومضاف إليه في عداد أهل نفقته، أو من يرد عليه، فينفق على عدد عديدة فيؤكل عنده الوسق من القمح في نحو يومين أو ثلاثة، وأمّا في أوقات وفود الزائرين إليه فلا نقدر لذلك قدراً، فلا تتوفر له عولة بالغة بلغت وجميع ذلك كله يكتاله ويجلبه من البلدان البعيدة، لعدم وجود الزرع بالمكان الذي هو فيه لأن البلد ضعيفة جداً ولا يخلو عن كثرة الأضياف، أمّا الرجال خارج الدار في أمكنة متعددة، وأمّا النساء فداخل الدار، ويتفقد الغرباء أهل النسبة، ويطعمهم ويوصي من يفعل ذلك لهم رضي الله عنه.

(ومن عادته) أنّه لا يخرج من داره شيئاً لأضيافه أو غيرهم، إلاّ بعد كفاية من بداره منه، وإنْ أخرج يوماً ما طعاماً لم يكن فيها غيره حاضر عوضهم آخر مثله لا محالة وينبه على ذلك، ويربي به غيره مخافة التوصل لحق بترك آخر.

(ومن شأنه رضي الله عنه) حفظ الطعام واحترامه متى فضل شيء منه التمس في الحين من يأكله، وإذا خرج الطعام من داره لأضياف وفضل عنهم يتصدق به، فلا يرجع إلى الدار منه شيء أصلاً لأنه خرج لله تعالىٰ، وعادته الكريمة رضي الله عنه إجراء الصدقات على ممر الليالي والأيام، ففي كل جمعة يفرق القمح على ضعفاء البلد كل واحد ما يناسب حاله، من الضعفاء والأيتام والأرامل وكل محتاج، وكذلك في كل يوم عند وقت الضحى يفرق الخبز على الصبيان في باب داره، هكذا فعله رضي الله عنه مع من ضعف عن القيام بمؤنة نفسه من سائر الأصحاب، فيما يرجع إلى الإعانة في النفقات، والبركة من الله سبحانه، وما عود أوليائه إلا مننا وما أسدى إليهم إلا حسناً وقد شوهدت البركة معه في ذلك وفي سائر أموره، فما زاد إحساناً إلاّ زيد خيراً وبركةً من الله سبحانه، وهكذا دأبه رضي الله عنه في سائر أحواله، وإذا تأملت ما يخرج من يده من إنفاقاتٍ وإرفاقاتٍ وجدت ما لا يقدر عليه إلاّ المؤيدون أمثاله الذين باعوا نفوسهم وأرواحهم وأموالهم وأرباحهم على الله، في سبيل الله لا يريدون غيره، ولا يعولون على سواه هذا شأنه رضي الله عنه؛ وأمّا ما يصدر عنه في معاملة الأباعد من المواساة الجليلة والصلات الجليلة، فأعضم من ذلك كله لكونه يجمع ما يجمع بل يقبضه كذلك مجموعة، ثم يعطيه دفعة واحدة لكن لا يطلع على ذلك إلا النادر، وقد اطلعت عليه مراراً صرف الحال الذي يخشىٰ صاحبه الفقر، وذلك لما قررناه من عادته رضي الله عنه في إخفاء الصدقات، وإنما

يتفق الاطلاع على بعضها والنزر القليل منها كما إذا تعرض له أحد يطلب معاملته أن يراسله بمراسلة، فلا ندري ما يفعل إخفاءً لصدقاته.

(ومن كراماته) العظيمة الجارية العتق، فقد أعتق في يوم واحد جميع من بداره من الإماء وكنّ حينئذٍ خمس عشرة، فاعتقهن دفعة واحدة، وكذلك أعتق بعد ذلك ثلاث عشرة رقبة من العبيد البالغين، فكتب لكل واحد رقعة وجعلها له في عنقه وقال له: أنت حر في سبيل الله إلى غير ذلك مما لا نطلع عليه أصلاً، ولا نعلم له سبباً ولا فعلاً، رضي الله عنه وأرضاه ومتعنا برضاه.

(وبالجملة)، فسخاؤه رضي الله عنه عظيم وإحسانه جسيم ليس على سنن ما يؤلف وإنّما هو خارق للعادة، وخارج عن الأمور المعتادة، لا يناظره فيه مثله من أهل الخصوصية فضلاً عن غيرهم، إذْ من عادة المشايخ الفاعلين لمثل ذلك أنْ يقبضوا، أو يدفعوا، فيصرفون ما يؤتون به من مال الله على عباد الله لا يدخرون شيئاً، وهو رضي الله عنه لا يدخر شيئاً، وكان قبل هذا الوقت لا يأخذ من يد أحد البتة حتى وقع له الإذنْ من رسول الله ﷺ لا يرد على أحد شيئاً أصلاً، وتخرج من يده الأموال العريضة، والعطايا العظيمة التي لا يتيسر مثلها للأغنياء من التجار، وما ذلك إلا آية من آيات الله وبركة محمدية من آثار بركة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، ووراثة منه ومقام أقامه الله فيه، وضمان منه ﷺ له بالغنى التام الذي لا فقر بعده على الدوام، وقد كان بعض الأصحاب من خاصته دخل بيده مال، فأعطاه منه ثم أراد إعطاء ما بيده جملة وتفصيلاً، فعلم به سيدنا رضي الله عنه فقال له: لا تفعل ودع مالك عندك لأنّك إنْ فعلت ذلك وجدت فقدان ذلك من قلبك، وأثر ذلك فيك، فيحصل لك بذلك ضرر عظيم وتنقطع المحبة من أصلها، فلا تقتدي بي في هذه العطايا، فأنا إنْ رأيتني فعلت شيئاً منها، ففي ذلك أفأمن الله عز وجل.

(وأمّا فتوته رضي الله عنه) فقد تقدم ما ينبىء عن شيء منها في الباب قبل هذا عند التعرض للكلام على بعض أخلاقه رضي الله عنه، والمروءة شعبة منها، والفتوة من الأخلاق الجامعة لأنواع الأوصاف الحميدة، والخلال السديدة كالحلم والعفو والصبر والسخاء والوفاء والستر على عيوب الأصدقاء، وإعانتهم ومعاملتهم بجميل الإحسان، ومرجعها إلى الإيثار والسخاء العظيم وهو السخاء بالنفوس وأصلها كما قال القشيري رضي الله عنه: أن يكون العبد ساعياً في أمر غيره دائماً، وقد بينها أهل الطريق بتفسيرات أوردها في الرسالة، فليطالعها من أرادها، وعبروا عنها بعبارات كل بحسب ما غلب عليه، وبحسب نوع من أنواعها، ففسروها بكف الأذى، وبذل الندى، وهي عبارة الجنيد رضي الله عنه، وبالصفح عن عثرات الإخوان، وبأنْ تنصف ولا تنصف، وبأن إذا أعطيت آثرت وإذا منعت شكرت، وبأنْ لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك وبالوفاء والحفظ، وبفضيلة تأتيها ولا ترى نفسك

فيها وبحسن الخلق، وباتباع السنة، وأكثر ما تستعمل عندهم المواساة، والعفو عن الإساءات،قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه في قصيدته الرائية:

وبالتفتي على الإخوان جد أبداً حساً ومعنى، وغضّ الطرف إنْ عثرا

ولشيخنا، وأستاذنا رضي الله عنه من هذه الأوصاف أعظم نصيب، والسهم الذي ما عثر عليه في هذا الوقت مصيب ورثها بالفرض المقسوم له بالتعصيب، وحاز منها أسمى مرقبة، وأسنى مرتبة، وأعلى مقام وأكمل مرام.

(وأمّا حلمه وعفوه) فشأنه رضي الله عنه الصفح عمن اشتغل بأذيته، وعدم المؤاخذة له، والنظر فيه بعين الحقيقة والتماس المعذرة له ويقول: إذا نظرت إلى الناس، وما يجري عليهم من قدر الله عذرتهم، وإنّما يجيء الملام من عدم شهود أمر الله النافذ، ويحن مع ذلك عليهم، ويشفق من حالهم مخافة أنْ يدركهم الهلاك بسبب تماديهم على فعلهم ذلك، وكثيراً ما يعاملهم حرصاً على إزالة ضغنهم، ومحو ما في قلوبهم، وإذا اشتكى له أحد من أصحابه أذية أحد سلاه عن ذلك وحمله على الحلم والعفو، وحضه على الاشتغال بما يعنيه، ولا يحب المتعنتين بنصرة أنفسهم، ولا المشتغلين بملاحات الرجال، ولا يحب الغلظة ولا الفظاظة، ولا أهلها، ويقول: إنْ الحليم يحلم الله عليه، ويستشهد بقوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك عن ابن عمر قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالىٰ إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» ا.هـ. يترحم على الكبير والصغير، وكل ضعيف مستضعف ويوصي من أتاه من الولاة بالعفو عن المساكين، ويقول لهم: بضعفائكم ترحمون، ولا عمل أحسن من ذلك لكم، ومن عفا عفي عنه، ويعرض عن جهل الجاهلين، ويصبر لجفوة الجافين، ويعفو عن أذية المؤذين بل يحسن إلى من أساء إليه، ويحن عليه بعد التجاوز عنه، ويتعطف عليه، ولا يزال يلاطفه قولاً وفعلاً، ويعامله بالجميل وبالتي هي أحسن ويبريه، ويحرص على إيصال الخير إليه رحمة له وشفقة عليه حتى يستحي ذلك المسيء غاية الحياء، ويخجل غاية الخجل، ويتعجب من عفوه عنه، ثم تفضله عليه ومن سابق سيئاته التي عادت كالحسنات لديه، كما شاهدنا ذلك، وقع له مع بعض الإخوان، فما زال يحلم عنه ويحسن إليه حتى كان أحب الأحباء إليه والكلام على حلمه وعفوه أوسع من هذا، وقد تقدم بعض ما هو منه في السيرة رضي الله عنه.

(وأمّا وفاؤه رضي الله عنه) والوفاء نوع من الفتوة، وعطفه في الترجمة عطف خاص على عام فمنه: أنّه إذا استلف شيئاً قضاه بسرعة لا يتوانىٰ في ذلك ولا يغفل البتة، وما حفظ له تأخير قضاء دين قط، حفظاً من الله له وكفاية إياه. ومنه: وفاؤه رضي الله عنه بمعاملة الإخوان، وحفظ عهودهم وعهود أصحابه في كل أوان على ما قدمناه قبل مواصلته

إياهم أتم المواصلة، وتعطفه عليهم أحسن التعطف، وإحسانه إليهم كل الإحسان، فلا يزال رضي الله عنه يحفظ لهم وداً، ولا ينسىٰ لهم طول الزمان عهداً، ولا يألو في إكرامهم من أمكنة إكرامهم جهداً، وهذا كله من حسن عهده، وتمام وفائه، وحسن مودته في الله، وإخائه. ومنه: وفاؤه في معاملات مولاه، وعبادته له وقيامه لله في سائر حركاته وسكناته حيث لا يقطع شيئاً ابتداه، ولا يرجع عن شيء لله عزم عليه، وأعظم بذلك وفاء ومنّة من الله وإعطاء، ومن عظيم فتوته وإيثاره، وسعيه في منافع الغير، وأوطار ما هو عليه من الإيثار، أوصافه فلا يكاد أحد يقاربه في ذلك أو يضاهيه تأييداً من الله في ذلك كله في إعطائه وإيثاره؛ والكلام على سيدنا وأستاذنا رضي الله عنه أوسع دائرة من أنْ نستوفي منه أقل قليل فضلاً عن أنْ نحيط بقدر جليل، فاقتصرنا على ما لا بد منه للحاجة إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الفصل الثاني: في خوفه وصبره، وعلو همته وورعه، وزهده وموعظته وحريته.

قد بلغ سيدنا وشيخنا رضي الله عنه من الخوف، والصبر وعلو الهمة في الطريق، والسمو فيها على أهل هذا الفريق مع ما جمعه من الخلال الحميدة، والخصال السديدة، والمقامات العلية والأحوال السنية ما أدرك فيه غاية همم السابقين، وأعجز نهاية همم اللاحقين، ومن الورع والزهد والموعظة والحرية ما عدم فيه النظير في هذا الوقت بالكلية، ولم يدع مطمعاً لأحد فيه ولا أمنية، إذا رأيت سيره في ذلك علمت أنه مفرد أوانه وسيد الورعين والزاهدين في زمانه لا يجارى في ذلك ثناؤه ولا يدرك فيه حظوة، كما لا يخاض بحر عرفانه، ولا يسبق فرس ميدانه علقت همته العلية بمعالي الأمور، فتجاوز الأواسط منها إلى الصدور، لا يقف عند الدون، ولا يحجب عنه مصون:

له هممٌ لا منتهىٰ لكبارها — وهمته الصغرىٰ أجل من الدهر

وكيف تقف همة من ليس مناه إلا سيده ومولاه، قد خلف وراءه كل مشتهى وإنّ إلى ربك المنتهى، فلا همة أجلّ منها، ولا تبيان ينبيء عنها، وفيها اجتمعت الهمم بأسرها ومعاني الأمور عن آخرها من النزه عن سفاف الأمور ومجافاة كل محذور، وكرم النفس وإبايتها وعفافها، وصيانتها والاستغناء عن الخلق، وقطع النظر عنهم والاكتفاء بالواحد الحق، وطرح ما كان منهم، وما بين ذلك من الأوصاف الكريمة والطباع المستقيمة التي عند علو الهمة مأواها ومنها أساسها ومبناها، التي تقدم ما ينبيك عن أنّ سيدنا رضي الله عنه ركب متن سماكها وظفر بملاكها، وحاز جميعها أصولها وفروعها، والذي يختص بهذا الباب ذكره، ويناسب هذا المقام به ونشره، هو ما له من الخوف والصبر وعلو الهمة في السلوك ورفعها عن كل مملوك.

(فأما خوفه رضي الله عنه) فهو كثير الخوف من الله متطاول الأحزان في سبيل الله، وربما سمع لصدره أنين ودويّ من شدة خوفه، لا سيما إنْ كان في خلوته مستغرقاً في الذكر في أوقات جلوته، لا يشعر بمن يحضر معه في حضرته لاستغراقه في المذكور وغيبته، دخلت عليه مراراً لخلوته، فلم أستطع أنْ أواجهه بالخطاب لهيبته.

(وأمّا صبره رضي الله عنه)، فلا خفاء بما له من الثبات في مركز الصبر، فلا يزال رضي الله عنه يقابل من أساء إليه بالإحسان حتى صار كل من ينكر عليه يقرّ له بالفضل والعلم والحلم والولاية الكبرى، عظيم المكانة، وكمال الإحسان، فلما رأوا ذلك منه، وصار له ذلك عادة ولم يلتفت إلى ما هم عليه من الأذاية وعدم الإحسان، رجعوا عما كانوا عليه من الأذاية والإضرار، وتابوا إلى الله وسألوا منه الصفح والعفو والاستغفار، فعادوا إلى أحسن حال وأكمل مقال يطلبون من سيدنا رضي الله عنه أن يسامحهم ويعفو عنهم، ويتجاوز عنهم ويسامحهم ويدعو لهم ويحن عليهم، ويشفق منهم ويتودد إليهم ويتعاهدهم، ويتفقد أحوالهم ويسأل عنهم، فهذا حاله رضي الله عنه الذي لا يقدر عليه أحد إلاّ أكابر الصديقين وأصفياء العارفين، ومع كثرة اشتغاله بهذه الأمور لا يفرط في أنواع الطاعات، ولا يفوته شيء من القربات بل ما زاد إلاّ جداً واجتهاداً في الطاعة، فإذا أتى وقته الذي يتفرغ فيه للعبادة نبذ كل السوى وراءه، وأقبل على الله بما أهله له ولما أراده.

(ومن عظيم صبره) صبره على الأمراض في خاصة نفسه، وفي داره وعياله، فلا أصبر منه فلا يخلو عن الأمراض في داره على الدوام ولا في نفسه على ممر الليالي والأيام، فصبره رضي الله عنه للمشقات، وتحمله للمعضلات لا تقدر عليه الجبال الراسيات، وكل من شكا إليه سلاّه بالصبر وأنّ هذه الدار إنّما خلقت للبلايا والرزيات.

(وأما علو همته رضي الله عنه) في سلوك الطريق، فقد تقدم في باب بدايته ما يدل على بلوغه في ذلك النهاية وكمال الغاية، فبالوقوف على ذلك يتبين ما له من القدم هنالك، ويدل عليه إشاراته وكلامه ومكانه من التحقيق ومقامه إذ هؤلاء المخصوصون رضي الله عنهم إنما يتكلمون بحالهم، وينبئون عن الطريق على حسب سيرهم فيه وترحالهم، ولا نجد كلامه رضي الله عنه إلا رافعاً لهمتك إلى الله صارفاً لك عمن سواه لا يقف بك دونه، ولا يرضى لأحد الالتفات لغيره ولا النظر إليه في شيء من الأشياء، ويتكلم في ذلك بكلام عالٍ نفيس يعجز للعقول فهمه ويعوز القلم خطه ورسمه، ويعلم ذلك من تقريراته وكلامه وعباراته وإشاراته وحل مشكلاته، في فنون العلوم بأسرها عند جوابه على المسائل في إملائه، وقد ضرب بين هؤلاء أهل الظاهر وبين علوم العارفين بسور وألقى بينهم وبينها حجب وستور، ويفتح الله على من يشاء من عباده ويخص من شاء بعوارف معارفه وإمداده كما قيل:

مـا أبـينت الـمـعـالـم إلا لـتـراهـا بـعـين مـن لا يـراهـا
فارق عنها رقي من ليس يرضى حـالـة دون أنْ تـرى مـولاهـا

والعارفون من بحر واحد يغترفون وعلومهم نتائج يقين وإيمان لا نتائج دليل وبرهان، جعلنا الله في حماهم ورزقنا محبتهم ورضاهم.

(وأما رفع همته) عن الخلق، فإنّه رضي الله عنه في غاية من الانقطاع عنهم إلى الله سبحانه لا يرجو إلا إفضاله وإحسانه، قد أعرض عنهم لما أقبل على مولاه وخلفهم فيما خلف وراه، لا يبالي بإقبال منهم ولا بإعراض، ولا بسخط ولا بتراض سواء المقبل والشارد والمقارب والمباعد والذام والحامد والمقر والجاحد؛ لا ركون له إليهم ولا معرج له عليهم غني منه بمولاه واكتفاء بما به تولاه، لا يواليهم ظاهراً كما لا يشاركهم فيما هم فيه باطناً قد قطع عنهم منهم ممره، ونبذ كل أحد نفعه وضره، فلا يقبل من أحد كائناً من كان من قريب أو بعيد قليلاً ولا كثيراً، ولا جليلاً ولا حقيراً، حتى لا يقدر أحد أن يسومه بعطية ولا بهدية؛ نشأ رضي الله عنه على هذه السيرة السّنية والأحوال المنيفة السنية، ولم يزل على ذلك حتى وقع له الإذن من رسول الله ﷺ بالقبول، وعدم الرد فعند ذلك صار لا يرد، لكن هناك من يقبضه ويتصرف فيه كما يشاء في داره وغير ذلك من سائر التصرفات، وبعض يقبضه لكن يصرفه فيما يظهر له من المواساة للمساكين وذوي الفاقات، ولا يغفل عن مجازاة من أحسن إليه، ويقبل منهم في الظاهر ويجازيهم بالدعاء وغيره لأجل أنْ لا تكون لأحد منّة عليه، لأنه رضي الله عنه تأبىٰ همته أنْ تكون للخلق يد عليه لفساد الزمان وفساد أغراضهم، وقد شاهدت يوماً وأنا حاضر عنده أتاه رجل فقال له: يا سيدي جعلت لك من مالي كذا وكذا محبة فيك وفدية لك، فقبل منه ذلك وطرحه بين يديه، ثم أسر له في أذنه وقال له: يا سيدي أطلب منك أن تفعل لي ما هو كيت، فقال له سيدنا رضي الله عنه: ارفع متاعك، ولم يقبله منه، وكنت جالساً أيضاً بين يديه، فأتاه إنسان فسّلم عليه وقبّل يديه ودفع لي دراهم بقصد الزيارة لسيدنا رضي الله عنه، فقال له يا سيدي خذ هذه الصدقة التي أتيتك بها فقال لي: أردد عليه متاعه، وقال له: لا تحل لي الصدقة إنما أنا غني عن الصدقة؛ ويتحرز من مقاصد العامة غاية، ويدفعهم عنه بالتي هي أحسن. سُئل يوماً رضي الله عنه عن سبب عدم قبول الهدايا مع أن النبي ﷺ كان يقبلها، فقال: كانت الهدية هدية واليوم صارت رشوة، فإنّ الناس إذا أهدى أحدهم شيئاً لغيره، أو قضى له حاجة لم يمكث إلاّ قليلاً، ثم يرجع إليه في طلب بعض أغراضه، ولا يُهديْ في الغالب إلاّ لذوي جاه ديني أو دنيوي، ومن لم يكن له جاه لا يهدون له أبداً كما هو مشاهد من حال الناس في زمننا، ولا يعطون شيئاً بقصد المحبة والمودة والإخاء في الدين، وإنما يعطون لتحصيل أغراضهم الفاسدة كما قدمناه حتى

صارت ولائمهم من هذا المعنى الفاسد؛ ولهذا تحرز سيدنا رضي الله عنه من مقاصد العامة لفسادها، ولا يخالطهم على ما هم فيه من كثرة التخليط، وربما يتوجه لإصلاح ذات البين فيما بينهم إذا طلبوه في ذلك لكنّه لا يكلّف أحداً بإسقاط حقه، وينبه على ذلك بأنّه لا ينبغي، لمحافظته رضي الله عنه على حدود الشريعة.

(ومن صفاته رضي الله عنه) أنّه لا يؤم أحداً إلا أن يكون في داخل داره وعياله، ويصلي هو خلف الأئمة إلاّ أنْ يكون مانع شرعي، كأخذهم الرشوة أو غيره فلا يصلي وراءهم، وهذا كان في ابتدائه وكان له إمام وهو العالم العلامة الفهامة الدراكة الجامع بين الحقيقة ولشريعة والإفادة وعلوم الطريقة خازن سره وحافظ عهده، ومحل ودّه وخليل أُنسه أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد المشري الشريف المنيف الكامل العفيف الحسني السائحي السباعي أصلاً الموطن التكرتي من خط الجريد، وهي معروفة من عمالة قسنطينة، ودارهم دار علم وصلاح ورشاد وفلاح، ولا زالوا إلى الآن من العلماء العاملين الأئمة المهتدين، وجلهم أخذ طريقة شيخنا رضي الله عنه، ويقصدونه بالزيارة من بلدهم نحو عشرين يوماً أو أزيد ويأتون بالأموال العظيمة لسيدنا رضي الله عنه من دراهم وكسوة وتمر، وقد وافيتهم مراراً متعددة عند سيدنا، فما رأيت أحسن منهم سمتاً وديناً وعلماً، وجلهم علماء منذ عرفنا سيدنا رضي الله عنه، وتأتيه الوفود من جميع النواحي، والهدايا ما رأيت أحسن منهم في الأدب والتعظيم وحسن النية، ويعاملهم سيدنا بما لا يعامل به غيرهم من الإعراض عنهم وبعدم المبالاة لهم، كما يفعل مع غيرهم، فكلمته رضي الله عنه في ذلك فقال لي: ليسوا كغيرهم إنّما يطلبون المقامات العلية، والأحوال السنية رضي الله عنهم، ولا حرمنا وإياهم من خير هذا السيد الكريم، ولا زال هذا السيد رضي الله عنه مع سيدنا رضي الله عنه من سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف إلى الآن، وهو مع سيدنا بفاس عام ثلاثة عشر ومائتين وألف، فلما وصل سيدنا رضي الله عنه سنة ثمانية ومائتين وألف تصدىٰ للإمامة بنفسه رضي الله عنه لموجب قام به لا ينفك عنه، ولا تصح صلاته إلاّ بنفسه إلاّ إنْ قام به عذر شرعي، فهو رضي الله عنه يصلي إماماً بالناس إلى الآن، ولا يصلي خلف أحد إلاّ في الجمعة، وهو شهر رمضان سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف.

وأما شدة احتياطه في معاملاته، ومناولته فيما يتعلق به وبأهله، فمنها أنّه لا يشتري حاجة ممن علم بكسب الحرام، أو أنّه يخالط أحداً من أهل جانب المخزن أو يكون اختلط ماله بماله، وهذا دأبه وديدنه وكثيراً ما ينهى أصحابه عن مخالطة هؤلاء، ويحثهم على ركوب متن الورع في أمورهم كلها، ولا يرخص لهم في الحرام، فيقول: «ما لا أرضاه لنفسي لا أرضاه لغيري، وما لا أفعله لا آمر به».

(ومن ورعه رضي الله عنه) أنه لا يأخذ شيئاً، ولو كان تافهاً مما يحتاج إليه ممن لا

يتقي الحرام، ولا يتحرى في مكسبه كل ذلك، لا يفعله ولا يحب من يفعله، ومن ورعه رضي الله عنه: أنه لا يستعمل في عبادته وأمور ديانته إلاّ ما خلصت طهارته خلوصاً تاماً كاملاً مبالغاً في الاحتياط لدينه، وإتقان عبادته التي هي صلة بينه وبين ربه، كما هو شأن الخواص من المخلصين، فيتحرى من البقعة والماء أطيب محل وأصفى حل. (ومن ورعه رضي الله عنه) أنّه إذا أعطىٰ شيئاً لا يحب أنْ يعود إليه لا بشراء ولا بغيرهما بالجملة، فورعه في كل شيء قد بلغ الغاية ووصل النهاية، لا تدور معاملته إلاّ عليه ولا تصير إلاّ إليه على بصيرة في سبيله أو معرفته لدليله، ويقول: أنّ الإنسان إذا خص لنفسه في أكل المتشابه فها هو ذاهب إلى أكل الحرام، ويقول: إنّ أصل الورع اتقاء الشبهات والمداومة على أكل الحلال مع الصدق مع الله في ذلك.

(وأمّا زهده رضي الله عنه)، فلا أعظم منه ولا أكثر مباعدة عن الدنيا وأهلها، فيما رأيناه ولا فيما سمعناه، قد أحرز قصبة السبق في مراتبه الثلاثة، ومآثر سيدنا أبي العباس الشاهدة على ذلك كثيرة، ودلائل قضاياه الظاهرة وأفاعله الصادرة فيه غزيرة، لا يستقصي شيء من جزئياتها ولا بعض مرئياتها، وتقدمت حكايات تنبىء عن هذا المعنى في باب كرمه، وسخائه.

(وأما زهده) في الجاه والظهور فإنّه رضي الله عنه لا يزال يلتمس الخفاء والخمول في زوايا الاغفال والإهمال، لا يبالي بإدبار من الخلق ولا بإقبال، ويفر من ملاقاة ذوي الوجاهة والرياسة، ويحذر من ملاقاتهم، ويقول: «إنّها فتنة في الدين» ويكره أنْ يعرفه أحد منهم إلاّ أنْ يتخيل صدقه، ويعلم أنّ مجيئه لله، فيرجو له الخير ويعظه، ويذكره وينصحه وعادته رضي الله عنه ما ذكرناه قبل، فانظر رحمك الله هذا السيد الجليل، ومنفعته العامة للإسلام وهو الكفيل. (ومن زهده رضي الله عنه) في الجاه: ما وقع له بعض الأمراء من تركه لملاقاتهم بعد طلبهم له في الملاقاة، فامتنع منهم امتناعاً كلياً، فقد رقيٰ سيدنا أبو العباس رضي الله عنه مكاناً مكيناً، ولاح في سمائه نوراً مبيناً، يعرف كل ذلك من صاحبه وخالطه ومارس أحواله وأفعاله، وهذا يدل على حريته كما قال القشيري لا يكون العبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات، فيكون فرد الفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا آجل آخره، ولا يملك قلبه شيئاً من لا يرى المالك إلاّ الله، ولا يستولي على قلبه سواه، وسُئل شيخنا وسيدنا رضي الله عنه عن «الحر» فأجاب بما يأتي: إنْ شاء في محله، وما ترى أحد أكمل في هذا الوصف مثل ما كمُل فيه سيدنا أبو العباس، رضي الله عنه هو والحر على الحقيقة، والممتاز بوصف الحرية على الخليقة كما قيل:

أتمنى على الزمان محالاً ... أنْ ترى مقلتاي طلعة حرّ

ولا تظن ببالك أو تتوهم في خيالك أن أحداً من أهل عصرك ومصرك وبلادك

وقطرك، من وصف الحرية ما لشيخنا رضي الله عنه، أو يحاكي فيه تمامه وكماله، ذلك وصف أنواره عليه لائحة وآثاره فيه واضحة، وأمره رضي الله عنه في هذا وفي غيره شهير لا يخفى على ذي مميز من كبير أو صغير، رزقنا الله رضاه في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفصل الثالث: في دلالته على الله وجمعه عليه، وسوقه الأقوام بحاله ومقاله إليه:

وقد شرب سيدنا رضي الله عنه من هذا الحب الشريف ما أرواه، ونهل من بحره العظيم ومدده الجسيم ما أخذ بجميع عوالمه وقواه، وأفناه عن كل معلوم ومرسوم وغيبه أبداً في الواحد القيوم، فانصبغت بالتوحيد حقيقته وامتزجت به ذاته وهويته، وتكيفت به روحه ونفسه ومعناه وحسه وقالبه وقلبه وعقله ولبه، فصارت أحواله وأقواله وخلاله وفعاله وحركاته وسكناته وتقلباته وتصرفاته، كلها دالة على الله ورسوله وجامعة على الله وباباً لوصوله، لا تدعو إلاّ إليه ولا تحوم إلاّ عليه، ولا توقفك إلاّ ببابه ولا تسندك ألا لعليّ جنابه، إذا رأيته ذكرت الله ونسيت ما سواه، واستيقظت لأول وهلة وانقشعت عنك سحائب الغفلة، ووجدت بقلبك تعظيماً وإجلالاً وتكريماً، وإذا جالسته تداركتك لمحاته وسرت فيك نفحاته، وعلق بك طيبه الفاتح ورأيت حسنه الواضح وعلمت أنه الجليس الصالح ونور النبوة فيه لائح، لا يخيب أبداً جليسه، ولا يعدم شيئاً من الخيرات أنيسه، كما قال فيه بعض مادحيه: «هو من أناس لا يخيب جليسهم»، البيت.. يقدح النور في قلب من أبصره، ويبث محبة الله فيمن حضره يزج في الذكر من غشيه ويقذف في الجد من لقيه رؤيته طب للقلوب وكلامه شفاء من العيوب، مجلسه مجلس حلمٍ ووقارٍ وإجلال وإكبار لا يبتديه أحد بالكلام غالباً ولو كان في ذلك صائباً، بل يفتتحه هو إنْ أراد فيحصل به البغية والمراد، لا يكثر الحاضرون من الكلام لديه ولا يتسابقون فيما بينهم إليه، بل دأبهم الإنصات والأدب إلاّ من توجه له منه الخطاب والطلب، عظيم الهيبة جليل الهيئة، ذو مهابة ظاهرة وسطوة قاهرة، لا يفاجئه أحد إلاّ صدمته هيبته ولا يداخله إلاّ ملكته محبته، وراثة محمدية، ومنحة نبوية كلما ازددت إليه قرابة ازددت منه مهابة، ولقد تعرض لنا المهمات فنريد أنْ نخبره فما نستطيع الإقدام عليه حتى يكون هو الذي ينبئنا بما لديه، وكثيراً ما ينبئنا عما نريده قبل أنْ نشرع فيه، فيفتح لنا بذلك الباب في الكلام معه فنتبعه ونقتفيه، يتكلم مع الإنسان بما فيه وينبئنا عما يلاقيه ويوافيه، ويبين له ما خفي عليه أتم تبيين مما كان قد أضر به من أمر الدين، ويتحفه بالدواء والعلاج، فيبرىء الخطب ويزيح الكرب، وتنمحي بأنواره ظلمة النفوس، وتنجلي عنها المضايق والبؤس يذكر الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، ونزع منها الإرشادات واللطائف والحكم والمعارف، فيذاق منه ذلك ذوقاً، ويزيد الحاضر محبة وشوقاً، ويمتلىء القلب منه سروراً وفرحاً وحبوراً حتى

يحلف الحالف عند سماع كلامه لكأنّه يسمع كلام النبي ﷺ، ويشافه نوره الأتم وسره الأعظم، وعلى كلامه سطوة تخضع لها النفوس، وتحط لها الرؤوس، يجيب بالحال أكثر مما يجيب بالمقال في بعض الأحوال، وإذا سمع كلامه أحد وخصوصاً من فيه بلية القبول تحول في الحين قلبه وطار به إلى الله لبه، يأتيه الإنسان في كرب وأحزان وجحود وكفران وضلال وطغيان ودنس وأدران، فيعود حزنه سروراً وجحوده شكوراً وبعده حضوراً ودنسه طهوراً وظلامه نوراً، فتنقلب به في القلوب حقائق الأعيان وتطيب به الأوقات والأحيان، وتجده يتكلم مع الرجل كلاماً عادياً وهو يفعل في قلبه الأفاعيل ويرحل به إلى الله المراحيل، ويجيب الرجل بكلمة أو كلمتين، فيظفر عند ذلك بمرامه ويعثر على غرضه وغرامه، كأنّما تلك الحاجة مجر كلامه، ويشكوه الرجل بعلل معنوية وأمراض نفسية يذكرها في باطنه وهو أمامه، فيجيبه عنها بعينها كأنّما سمع كلامه، فيشفي علته وتنقلب نظرته، فيشاهد منة الله وإحسانه وتفضله وامتنانه، وما كان قط شاهدها قبل ذلك ولا تنبه لما هنالك، ويحضره الحاضرون ما بين متوجه وغافل ودنيوي وغيره، فيعمل في الجميع حاله ويؤثر فيهم مقاله، ويعمّهم الفرح ويزول عنهم الترح، حتى يظن أحدهم أنّه لا يبالي بالدنيا أبداً، ولا يلتفت إليها بعد سرمداً لما يلوح عليه حينئذٍ من اليقين بالله والفرح بأنعم الله؛ ويأتيه من أصيب في ماله وبدنه وعياله في غاية ما يكون من المشقة والضيقة، فإذا سمع كلامه انزاحت عنه الأتراح واعتراه السرور والانشراح كأنما سقىٰ عنده الراح بالراح.

وقد أتاه رجل من الإخوان قد امتحن بأخذ ماله من قبل السلطان، فساءت أخلاقه وأحواله وسره وعلانيته وأفعاله، فجلس بين يدي سيدنا رضي الله عنه في ملأ من أصحابه، فجعل ينصت لكلامه، ويتكلم الشيخ رضي الله عنه على عادته في الدلالة على الله، ويذكر الناس بأنعم الله الظاهرة والباطنة، ويريهم أنّ ما ينزل بالعبد من المحن التي هي في الظاهر نقمة كلها رحمة من الله وفضل منه ونعمة، وأنّه لا يفعل ذلك سبحانه إلا لحكمة، وجعل يوضح ذلك فتحول حال الرجل لحينه، وظهر عليه أثر السرور والفرح وهو يقول: «الحمد لله» يكررها فرحاً منه بنعمة الإسلام التي لم يقدر قدرها قبل ذلك، واستخفافاً بالدنيا التي رزئها، ويقول: ما سمعت هذا قط ولا رأيته ولقد زرت غير واحد من الصالحين الأعيان في هذا الزمان، فما رأيت مثل هذا الكلام عند أحد. وقع مثل ذلك المرة بعد المرة يأتيه الرجل في كرب ووبال، فينصرف عنه منشرح الصدر والبال وتعود كربته عند رؤيته طرباً، ويبصر الحاضرون من آياته عجباً؛ ذلك لما تكيف به من نور الحقيقة واتصف به من الرحمة للخليقة؛ حضرت من ذلك ما لا أحصيه ولا أستوفيه، فهو يجود عليهم بحاله كما يجود عليهم بماله، ويرحمهم بما خوله من المعارف ورزقه من العوارف، فياض الإمداد كثير النفع للعباد رفيقاً بالحاضر والباد، كأنّما الناس كلهم أبناؤه

وإخوانه، وأوداؤه، لا يزال حريصاً على نفعهم وزجهم إلى الله ودفعهم يستشهد كثيراً بحديث: «**الخلقُ كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله**» ويلهج به في كلامه لكون حالته تذهب إليه في كل شيء، ويسوق الخلق إلى الله بما أمكن ويكتفي بما يجده في الإنسان من قابلية الخير ولو لم يكن فيه إلا وصف واحد يقول: العارف إذا وجد فيك خصلة واحدة من الخير كالحياء والسخاء، أو شيئاً من المحبة مثلاً أو سلامة الصدر أو صدق اللهجة أو نحو ذلك، عاملك لأجله وأخذ بيدك وحنّ عليك، ويقول: إن الله يرحم العبد بسبب وصف واحد ورحمة الله غالبة تلتمس السبب، فإذا وجدت أدنى شيء منه نزلت، وإذا شكا له أحد نفسه وذكر له سوء حاله وقبيح فعاله جذبه من النظر إلى ذلك للنظر إلى رحمة الله وعرّفه أن الله يرحم بلا سبب، ثم يذكر قول الشاذلي رضي الله عنه: إنْ لم نكُن لرحمتك أهلاً أنْ ننالها، فرحمتك أهل أنْ تنالنا، ويقول: فائدة تذكر العبد مساويه أن يعلم منّة ربّه عليه، ويتحقق فضله وإحسانه حيث يجد نفسه لا يعمل خيراً، وهو مع ذلك معافىً منعم عليه سابحاً في بحر الفضل والإحسان، فتلك أثواب منحها من الحق من محض الكرم والامتنان، وإذا تكلم أحد بما يشير إلى الدعوى والناء منه على نفسه قابله بالعكس وجعل يتكلم في عيوب النفس ودسائسها، ويظهر له خسائسها ودقائقها، وما اشتملت عليه من العيوب، والنقائص والرذائل التي هي شأنها ووصفها ولا تحب أنْ تتصف إلا بأوصاف الربوبية، كالكبر والعظمة مع أنها لا تحصىٰ معايبها، ولها من النقص مثل ما لله من الكمالات يعني لا نهاية لها، ولولا أنّ الله يحول بين المرء وبينها لهلك، ولو أنّه خلى سبيلها لكفر بالله كما كفر بأنعمه ويقول: إذا أراد الله هلاك عبده وكّله إليها ولم يزده شيئاً، وإذا أراد رحمته عرفه نعمته وألهمه شكرها وجنّبه كفرها وذلك هو أصل كل خير، وما جاء أحد مظهراً للرجاء غافلاً عن اللجأ إلاّ خوفه من سطوة الله وقهره، وسرعة نفوذ قضائه وأمره، حتى يذهب خائباً مذعوراً، وما جاء خائف ولاهف إلاّ سلاّه ورجاه وعرفه فضل مولاه، حتى يذهب فرِحاً مسروراً، يريد بذلك جمع العبد في الحالتين على مولاه، وأن لا يقف مع شيء سواه، وإذا ادعى أحد بين يديه المحبة قال له: من علامات المحبة السعي في رضا المحبوب، والوقوف عند أمره ونهيه واتباع قوله وفعله، وينشد قول القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إذ أنّ المحب لمن يحب مطيع

وإذا ذكر له أحد عن نفسه عملاً صالحاً لامه على ذكره، أو عرفه بما جهل من أمره، فأخرج له دسائس ذلك العمل وعلله حتى يتبين له أنه مملول مدخول لا يترك لأحد شيئاً يعتمد عليه ولا عملاً يستند إليه، ولا حالة يأنس بها ولا الركون لشيء إلا لفضل الله

ورحمته، وكثيراً ما يستشهد بقوله: ما عندنا إلا فضل الله ورحمته، وشفاعة رسوله ﷺ ويدل على الله بصحبة أهل الله الدالين على الله الجامعين عليه والموصلين إليه، ويذكر قوله تعالىٰ: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ [الكهف: الآية ٢٨] وحديث المرء على دين خليله ويقول: أصل كل خير الخلطة واللقمة، كل ما شئت، فمثله تعمله تعمل، وخالط من شئت فمثله تفعل، وشكوت إليه يوماً سوء حالي فقال لي: لا تكلمني الآن في شيء من ذلك، وافعل ما آمرك به وأشار عليّ بمجالسته رضي الله عنه فقلت له يا سيدي: ما أفضل هل النوافل والأذكار وغير ذلك؟ أم مجالسة الأشياخ؟ فقال: بل مجالسة الأشياخ أفضل لا يعادلها شيء، مجلسك بين يدي ولي أفضل من الدنيا وما فيها لما ورد: «جلوسك بين يدي وليٍّ قدر حلب شاة إلخ...» ولا شك أنّ مجالسته رضي الله عنه ترياق مجرب للأمراض القلبية والعلل النفسية، وكم تعرض لنا ولغيرنا أمراض معنوية وتتراكم على القلب ظلمات ردية، فتنجلي بسبب مجالسته، والحمد لله حق حمده، وكما ينبغي لجلاله لا أحصي ثناء عليه ويقالُ في المعنى: النظر في التقي استقامة، وفي المخصوص كرامة ومن رحمة الله بعبده وعنايته أنْ يسخر له قلب مخصوص من أهل ولايته، ويقال: كل الناس يحبون المخصوص والحكمة أنْ يحبك المخصوص، ومن لم يلقَ صاحب بصيرة لم تفتح له بصيرة، وليس شيخك من تجعل بينك وبينه عهد بلسانك وتعتقد مشيخته بجناتك، إنما شيخك من جذبك بقلبك وأخذ بمجامع لبك ونفعتك نظرته وحاطتك همته، ويخاطب كل واحد على قدر فهمه وعلى حسب علمه، وبما يليق من حاله وينبغي لأمثاله، فيخاطب الجاهل بالتعليم والعالم بالعمل، وذا المعصية بالتوبة وذا الطاعة بعدم النظر إليها، وبرجاء رحمة الله فيها، ويعجبه المشفق من عصيانه ويرق له ويحن عليه، ويدل على الله بكل حال وفي كل حال، وفي كل من الطاعة والمعصية دلالة على الله، فالطاعة تدعو إلى شكر الله والمعصية تلجىء إلى التوبة إلى الله، والنعمة والنقمة كذلك هذه تفرحك بمولاك، والأخرى ترفع بها إليه شكواك، ويذكر قولهم رضي الله عنهم: من لم يقبل على الله بسوابغ الامتنان سيق إليه بسلاسل الامتحان، ويجيد الكلام في هذا الأسلوب جداً، ويتفنن في الدلالة على الله تفنيناً، ويتلون فيها تلويناً ويكفيها كيفيات طرائق وخفيات حقائق، فتارة يأتيها من حيث الأرضيات، وتارة من حيث السماويات، ويوضح في طريقي الجذب والسلوك لأهلها مهامه فيحاً، تارة تصريحاً وتارة تلويحاً، ويجري في كلامه ذلك ما لا تدركه العقول ولا تحيط به النقول مجالسه في ذلك رياض مزهرة، كل مجلس وما يتفق فيه بحسب حكم الوقت وما يفتحه الله له وعلى يديه من أرزاق الحاضرين، وربما يقرر في المجلس الواحد من ذلك أنواعاً منوعة معارف وأسرار، وتذكرة واعتبار، وحمل على شكر واصطبار وسكون تحت مجاري الأقدار،

وحمل على العمل وترك الأمل وترغيب وترهيب وتقريب وتحبيب وتبشير وتحذير، كل ذلك مما يجري في محفل واحد، فيأخذ منه كل من الحاضرين نصيبه ويشفع كل على قدر حاله، وقد يغلب عليه في المجلس الواحد نوع واحد منها، ونجده إذا تكلم في باب من أبواب الدلالة أمتع فيه جداً وأوسع فيه المجال، ويشفي منه صدور الرجال بعبارة واضحة وإشارة حسنة ويقضي منه بالعجب العجاب يتكلم بعبارة الناس الجارية بينهم، ويبين لهم بلسانهم، فيفهم عنه العالم والأمي، والفطن والغبي، ويبيّن لهم مراتب الدين ومقامات اليقين، ويريهم الطريق الموصلة إليها والمقدمة المنتجة لها يبيّنها مقالاً، ويبثّها في القلوب حالاً، فيبيّن التوبة وكيفيتها وما يوصل إليها، والزهد وسببه والشكر والصبر وكيفيتهما، والرضا والمحبة وكيفيتهما، وترك التدبير والاختيار مع الله، وهذان الأخيران عمدة كلامه ومدار مرامه، ويبرهن على ذلك بما لا يجهله أحد ويبيّن مواقع ذلك بما يعلمه كل أحد، حتى يعلم ذلك علماً ويحصل ذوقاً وفهماً ويباشر القلب يقيناً وجزماً.

ذلك ديدنه وشعاره ودأبه وتسياره، ناصح للعباد حريص على الهداية لهم والإرشاد، يصرف وجوه الغافلين بالوجهة إلى الله ويوقظهم للتوبة، ويحيي قلوباً أماتها الهوى بمدده الإيمان ونور المحبة، ويتلو عليهم ما ورد فيها آية آية وحديثاً حديثاً، وكم من واحد تاب على يديه ورجع عن سوء عمله بعد أن كان منهمكاً في عصيانه مستغرقاً في الغفلة سائر أحيانه، وما أشد اعتناءه بطالب التوبة، فإذا جاءه صرف كليته إليه وأشفق منه وعطف عليه، ويذكر حديث: «لله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها»، ويقول: انظرْ كيف أكد أمرها اهتماماً بشأنه فكررها في موضع واحد مرتين، فقال تعالىٰ: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ [النسء: ٦] إلى قوله: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ [النساء: ٦] وانظرْ هذه الرحمة منه سبحانه لعبده حيث لا يريد أنْ يعذبه بالمعصية وإنّما يريد أنْ يتوب عليه ليرحمه، فما أوسع هذا الإفضال، وأجزل هذا النوال من الكريم المتعال، وكثيراً ما يحذر من مخالطة أقران السوء وغيرهم يحذر منها الغافلين مخافة أنْ يزدادوا بها غفلة والمنتبهين مخافة أنْ يصدوا عما هم بصدده، ويلجأ في ذلك كله إلى الملك الديان، ويستشهد كثيراً بقوله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل ويقول: إختر لصحبتك من أطاع فإن الطباع تسرق الطباع**»، ويحذر من حب الدنيا، وينفر عنه لكونه قاطعاً عن الله، صاداً عن الوجهة إليه ولا تصح الوجهة إليه مع بقاء شيء من حب الدنيا لديه، فقد انفرد لمولاه، وتجرد عن سواه لم تبق له علاقة تجذبه، ولا أمنية تصحبه، وما عطل الخلق وحجبهم عن الله إلا الغلط والجهل المركب في كمال الإيمان بالله، فلو تحققوا أنهم ليسوا على شيء ولا حصل لهم كمال الإيمان الحقيقي واستغاثوا بالله عند كمال عجزهم وضعفهم وتحققهم بذلك

لأجابهم لاضطرارهم بما هنالك، لقوله تعالىٰ: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ [النمل: الآية ٦٢]، وكلما طلبوا زيادة معرفة أعطوها لاضطرارهم في طلبهم بمشاهدتهم التقصير من أنفسهم في كل شيء وبقدر شهود التقصير يقوى الاضطرار إلى العالم القدير، ومن بديع صنعه في الخطاب أنه إذا أرشد أحد إلى مولاه ونبهه عن غلطه وهواه، أرشده برفق ولين ولاطفه بخطاب مبين، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويحذر من المعاصي القلبية كالكبر والعجب والرياء والسمعة ونحو ذلك، أكثر مما يحذر من الظاهرة، ويقول: إنها خفية والأخرىٰ لا تخفى، ويبالغ في تقبيح العجب والكبر ويقول: إنْ صاحبهما ممقوت وهما من أعظم المعاصي القاطعة عن الله عز وجل، وأعظم دليل على هذا قصة آدم عليه السلام، ومخالفة إبليس حين أمر بالسجود فأبىٰ واستكبر؛ هذا تاب عليه ربه وهداه، وهذا طرده من رحمته وأرداه. ويحذر كثيراً من الدعوة الكاذبة ويقول: إنْ صاحبها يخشىٰ عليه والعياذ بالله من سوء الخاتمة عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه، فإذا تحقق الإنسان بأوصافه الناقصة علم أنْ الأوصاف الكاملة إنّما هي لله سبحانه، فإذا تحقق بعجز نفسه تحقق بوصف القدرة لربه يعلم أنّه القوي بقهره ويبّين تعريفات الحق سبحانه للعبد في نفسه، ويتلو قوله تعالىٰ: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: الآية ٢١] ويقول: إنْ في كل حال من أحوال العبد دلالة على ربه وإنَّ الله سبحانه خلق العبد، وأحاط به العجز في حركاته وسكناته، وسائر أحواله وتلقباته، فإذا جلس أعياه الجلوس، وإذا قام أعياه القيام، وإذا أطال النوم ملّ، وإذا أطال التيقظ اضطر إلى المنام، وإذا توكأ أعياه التركز، وإذا أكل أثقله الشبع، وإذا ترك الأكل جاع؛ وقِسْ على هذا ليكون مفتقراً في كل أحواله إلى مولاه، ويعترف بقدرة سيده وغناه، وينفض يده من كل ما سواه، تعرفا منه سبحانه إليه وجمعاً له لو شعر عليه، فسبحان الحكيم العليم الذي أحاط بكل شيء علمه ونفذ في كل شيء أمره وحكمه. ويبين الشيخ رضي الله عنه كيف تعرف سبحانه بهذه الأمور التي تتوارد عليهم من شدة ورخاء وعافية وفتنة وخوف وأمان ومرض وصحة، وتحول حال القلب من قبض وبسط وعزم ونقضه ويتلو قوله تعالىٰ: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت: الآية ٥٣] ويقول: إنّ الناس إذا كانوا في شدة أحسن منهم إذا كانوا في عافية لو كانوا يعلمون، لأنهم إذا أوسعتهم النعم كانوا غافلين لاهين ساهين، فإذا مستهم الضراء اضطرهم ذلك إلى دعاء مولاهم جبراً، ولا تمكنهم الغفلة حينئذٍ كما أمكنتهم مع النعمة، مجالهم حينئذٍ أحسن لوقوفهم بباب مولاهم، وسؤالهم منه دفع بلواهم، ويذكر قوله تعالىٰ: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ [فصلت: الآية ٥١] ويعلم الناس اليقين ويريهم كيف يعرفونه ويتوصلون إليه، ويقول: أليس الله بكاف عبده؟ أليس الله برحيم للعباد؟ ألم

يحسن إلينا سائر عمرنا فما بالنا نتهمه؟ ولو أقسمت على الله سبحانه باسمه العظيم الأعظم أن لا يعطيك ما كان قسم لك لأعطاك إياه، ولو طلبت ما لم يقسمه لك لم تنله أبداً جف القلم بما أنت لاق، ويقول: إنّ الله يختبر العبد بالفاقة، وبتيسير شيء من غير محض الحلال، فإذا صبر قليلاً فتح له فتحاً لم تصبه خصاصة بعده، ويقول: إنْ الشيء إذا أطلق على الإنسان من عند الله، بتسخير منه دام استمراره ولم ينقطع، ويقرب ذلك بالتمثيل بالأمور المشاهدة ويدل برحمة الله على الله، ويعرف الناس إياها، ويقرب ذلك للإفهام برحمة الوالد للولد، ولا يخفي على أحد، فتكون شفقته عليه من شفقة الله لعباده ورحمته إياهم، ويذكر حديث: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»، ويذكر الناس بنعمة مولاهم وما حولهم وأولادهم، يرشد بذلك إلى محبة الله سبحانه، والحياء منه بسبب أن يعصي ما أسداه لعبيده، وما يجريه عليهم دائماً وأبداً من فضله وإحسانه، ويتلو ﴿وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة﴾[لقمان: ٢٠]، ويكثر الكلام في ذلك جل أوقاته، وغالب أحيانه، ويبّين ما هو مستمر على العبد دائماً وأبداً من نعمة النفع والدفع، والمحسوسة والمعنوية والظاهرة، يفصل كل ذلك تفصيلاً ويأتي عليه بياناً وتحصيلاً، فيبّين أنّ الإيمان بالله ورسله من النعم الباطنة الدائمة المستمرة على العبد، وأنّ الله يمده به لحظة لحظة، ويمسكه سبحانه كل خطرة خطرة، ولم يسلط عليه فيه شيطاناً مريداً يفسده عليه، ولا جباراً عنيداً يسلب عنه ما منه لديه عناية منه سبحانه ورحمةً وفضلاً ونعمةً، ولو سلط الشيطان على إفساده كما سلطه على إفساد الأعمال لكفر كثير من الناس بعد إيمانهم وانقلبوا بعد ربحهم إلى خسرانهم، ولكن الله امتن على الإنسان بحفظه كما امتن بتخصيصه بسابق الفضل والإحسان، وبأي سبب استحق العبد هذه النعمة حيث أعطيها يوم قدرت المقادير، وقسمت القسم، حيث لا وجود لذاته هناك ولا عمل يتقرب به إلى معطيها، ولا شيء يدلي به ويستند إليه بل هو محض الجود والامتنان والفضل والإحسان، ولو شعر الإنسان بهذه النعمة العظمىٰ وعرفها لاستغرقه الفرح بالله واستولى عليه سلطان المحبة والشغف بهذا المعطي الكريم والمولىٰ العظيم، الذي خلق فهدى وتفضل وأعطى وخصص أزلاً واجتنى؛ ولا يزال رضي الله عنه في محافله يعد نعم الله على عبده المتصلة والمنفصلة، وما ناوله منها في أرضه وسمائه، ثم يتلو: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤] والناس كلهم غرقى في بحر النعم إلا أنهم لا يشكرون ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] وإذا أراد الله بعبد خيراً وأن يجعله من خواص عباده عرفه ما عليه من النعم، وألهمه شكرها ولم يزد شيئاً على ذلك يكون به مخصوصاً، فكل منعم عليه والمخصوص من شاهدها ويقول الشكر باب الله الأعظم، وصراطه الأقوم، ولهذا قعد الشيطان بسبيله يصد عنه المؤمنين، ثم يذكر شاهداً على ذلك قوله تعالىٰ: حكاية قول اللعين: ﴿لأقعدن لهم صراطك

المستقيم﴾ [الأعراف: الآية ١٦] ويقول: أقرب الأبواب إلى الله باب الشكر، ومن لم يدخل في هذا الزمان منه لم يدخل، لأن النفوس قد غلطت يعني لا تتأثر برياضة ولا بطاعة ولا تزجر بمحاسبة ولا بمناقشة، فإذا استغرقها الفرح بالمنعم غابت عن ذلك كله وطوت مسافتها وكل وعد في كل كلام الله تجده مقروناً بالمشيئة إلا الشكر فقال تعالىٰ: ﴿لئن شكرتم لأزيدّنكم﴾ [إبراهيم: الآية ٧] وأكده بلام القسم ونون التوكيد، ويقول لنا: عندما يتلو هذه الآية هذه اللام هنا للقسم كأنّه يستفهمنا، فنقول له: نعم، ويقول: أنظرْ كيف قدم الله الشكر على الإيمان اعتناء بشأنه؟ فقال: ما يفعل الله بعذابكم إنْ شكرتم وآمنتم، وربما عبر به عن الإيمان، وفسره به كما تشير إليه المقارنة في هذه الآية فيقول: الإيمان، والفرح بالمنعم، فيجعل الفرح الذي هو الشكر القلب إيماناً، ولا إشكال أنّ الإيمان لا يكون حقيقياً إلا معه إذْ هو نتيجته ولازمه، وقد يكون العطف في الآية للتفسير، فيؤخذ منه ما قاله رضي الله عنه من أنْ الإيمان هو الشكر، ولو عرف الإنسان حقيقة الشكر لملىء قلبه وطار عقله محبة في الله وسروراً وفرحاً وحبوراً، جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وما أحسن إليك في الحقيقة إلاّ ربك وهو الذي سخر لك قلوب عباده، فلو شاء لعكس فلم ينفعوك بشيء، يدل بذلك كله على شهود النعمة من الله، ويرقى عن شهود الواسطة إلى المنعم سبحانه، وأنّه لا منعم إلا هو ولا محسن ولا نافع سواه وأنّ غيره لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره ضراً ولا نفعاً ولا جلباً ولا دفعاً، كل من يعاملك ويأخذ بيدك فإنما ذلك لعلة وغرض، حتى العارف إذا أخذ بيدك ورحمك إنما فعل معك ذلك لأجل مولاك، فإنما رعاك لوجهه، فذلك لعلة، إلاّ سبحانه وتعالىٰ هو محض جود من واجب الوجود، فلا ينبغي للعبد أن يعرف إلا مولاه، وأنْ لا يرى إلا إحسانه ورحماه، فهو الذي أحسن إليه وأجرى منّته عليه يحبب بذلك كله العبد في مولاه ويرشده إلى أنْ لا يطلب سواه ولا يلتفت بقلبه لما عداه، وأنْ يجمع المطالب كلها في مولاه ولا تتعلق له همة بسواه، ويدل على الله وحده وعلى توحيده خالصاً وعلى محبته صرفاً ويقول: ينبغي للعبد أن لا يطلب إلا مولاه مخلصاً لا لحظّ عاجل أو آجل، فإذا طلبه كذلك حصل له في ضمنه الدنيا والآخرة، وفرق بين من يطلبك ومن يطلب لك، فليس من أتاك زائراً ثم قال: أردت منك كذا وكذا كمن أتاك محبة فيك ورغبة في رؤيتك لا لشيء آخر شتان ما بينهما، فيصرف رضي الله عنه عن اللحوظ والحظوظ وكل ما يشعر بالشعور بالنفس، ويتلو قوله تعالىٰ: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنيفا﴾ [البينة: الآية ٥]، ويسمي العمل على الحظ شركاً ويتلو على طريق الإشارة، وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، وكثيراً ما يتكلم فيه، فيرشد إلى المحبة، ويقول: أصل كل شيء وأساسه المحبة وهو قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «كنت سمعه» وأصل سبب المحبة هو شهود الحسن والإحسان،

وبها يرتقي درجة الإيمان؛ وما تكلم رضي الله عنه في فن من فنون الطريق إلا أشار في كلامه إليها ودل بحاله ومقاله عليها، أو حض على التقرب للمحبوب، والتودد والتملق والتواضع له والتذلل والانقياد له وكثيراً ما ينشد قول القائل:

تذلل لمن تهوى، فليس الهوى سهل — إذا رضي المحبوب صح لك الوصل

تذلل له المخطىء برؤيا جماله — ففي وجه من تهوى الفرائض، والنفل

ويرشد إلى ترك التدبير، والاختيار مع الله تعالىٰ، ويكثر الكلام فيه دائماً ويتلو شاهداً على ذلك: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾ [النساء: الآية ٦٥] وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة وقوله: ﴿إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ [النور: الآية ٥١]، وقوله: ما كان لهم الخيرة ويقول: إنّما يدبر من يعلم عواقب الأمور، ومن لا يعلمها؟ كيف يدبر؟ وأيّ شيء يدبر كما في بعض الآثار القدسية: «ابن آدم تريد وأريد ولا يكون إلاّ ما أريد فإن سلمت لي فيما أريد أعطيتك ما تريد، وإنْ نازعتني فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلاّ ما أريد» ويعد التدبير مع الله من الشرك لأنه تعالىٰ منفرد بالإيجاد والتدبير، ألا له الخلق والأمر فمن دبر في ملكه شيئاً، فقد تعدى ونازع أحكام الربوبية، فمن دبر لنفسه عاد تدبيره عليه وبالاً، ويدل على الرضا بفعل الله والتسليم لأحكام الله لأنه سبحانه الحكيم وبأنّه الرحيم، فإذا ذكرت له حادثة ألمت، ومصيبة نزلت قال: من أسمائه سبحانه الحكيم والحكيم هو الذي لا يفعل الشيء إلاّ لحكمه، ولا تخلو أفعاله عنها أبداً، ولو كشف العبد عن أسرار القدر لرأى تلك الأفعال التي هي في الظاهر نقمة على غاية ما يكون من الإحكام، والإتقان وأنها لا ينبغي أنْ تكون إلا كذلك، ولا يختار لنفسه غيرها، وتنزل النازلة بالعبد هي في ظاهرها مصيبة وفي باطنها رحمة ينقذه الله بها مما هو أشد مثلاً، أو يدفع عنه بها فتنة في دينه والله ما قضى الله لعبده المؤمن قضاءً إلاّ كان خيراً له، ويدل على الله بأسمائه وشهود صفاته، ويقرر ذلك بما يبهر العقول، وتعجز عنه النقول مما لا يصل فهم مثلي إليه، ويقول: إنّ بوصف واحد منها موجب للتحقق بجميعهما ومستلزم له، ويأتي على تبيينه حتى يصح بنوره للإفهام، ثم يتجاوز ذلك إلى مرتبة أعلى منها وهي شهود الذات العلية، والغيبة فيها وبقول شهود الصفات: حجابه عن شهود الذات؛ وكثيراً ما يتكلم في هذا المعنى وفي البقاء بعد الفناء، ومحو أوصاف العبد بظهور أوصاف ربه فيه، ويستشهد بالحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من عادى لي ولياً فقد آذنتهُ بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»** وفي رواية: «كنته»، وهذه الرواية أصرح في

وجه الشاهد والله أعلم، ويقول: إنّ الوقوف عند كل مقام من المقامات يوجب القطع عن المقصود، ثم يتلو قوله تعالىٰ: ﴿وإنّ إلى ربك المنتهى﴾[النجم: ٤٢] ويرحم الله القائل حيث قال:

ومهما ترى كل المراتب تجتلي | عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا

وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب | فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنىٰ

وربما يتكلم في الفناء عما سوى الله تعالىٰ، وينشد:

دع العلوم، ولا تبق الفهوم ولا | تبق لإياك لا عيناً ولا خبرا

هذا ما أمكنني في هذا الباب جمعهُ، وما جمعتُ منه إلا اليسير مما تكرر على السماع الأيام والليالي غاية التكرير، وقرر للإفهام المرة بعد المرة غاية التقرير، حتى علق منه ما علق بالبال ورسم منه ما رسم في الخيال مما استرقت سمعه وأحببت هنا ضمه وجمعه ليكمل به غرض الكتاب وما هو منه إلا الخالص واللباب، رزقنا الله به الانتفاع وجعلنا من أهل المحبة والاتباع آمين.

الباب الرابع

في ترتيب أوراده، وأذكاره وذكر سند طريقته وأتباعه، وفضل ورده، وما أعد الله لتاليه ووصف المريد وحاله وما يقطعه عن أستاذه، والشيخ الذي يتبعه في سائر أقواله وأفعاله، وكيفية السماع لأهله وما يفعله في لياليه وأيامه، وأدعية شتى أجراها الله على لسانه كما هي عادته الكريمة بأهل عرفانه، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ترتيب أوراده، وأذكاره، وذكر طريقته وأتباعه:

اعلم أني أصدر هذا الفصل وأبيّن فيه أنه لا خلاف بين علماء الشريعة والحقيقة، فأقول وبالله التوفيق (تنبيه شريف) اعلم أنّ علماء الشريعة والطريقة لما رأوا أنّ الوجود لما نزل من الوحدة بالتجلي إلى منتهىٰ النزول، فحصلت الكثرة ورأوا أنّ الأهم والأتم هو العروج إلى البداية ليتم ظهور الكمالات الأسمائية اشتغلوا في بيان ما هو الأهم من كيفية إصلاح العروج عاجلاً وآجلاً، وكيفية شرائطه من الطهارة الظاهرة والباطنة بأقصى الغاية، فصنفوا فيه التصانيف، ولم يلتفتوا في بيان كيفية النزول في المراتب اكتفاء على أن معرفة ذلك تحصل بالعروج قال الله تعالىٰ: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [القيامة: الآية ١٣] أي بالمنازل والمعارج الأخروية، وظن الجهال أنهم لا يعرفون كيفية الحقيقة وأسرارها، وأما علماء الحقيقة لما عرفوا كيفية المعارج وأسرارها بالعروج إلى الوحدة كشفاً ومشاهدة اشتغلوا بغلبة سكر الحال في بيانها بمقتضى حالهم ومقامهم، فصنفوا فيه التصانيف، فظن الناقصون أنّ ذلك هو الشريعة والطريقة، وأنّ ذلك بحسب فهومهم وعقولهم وحسبوا نفوسهم محققين كاملين بتخيل أنّ نفوسهم في مرتبة الحقيقة بمجرد العلم الدراسي والفكر العقلي بلا كشف ومشاهدة، فتركوا العمل بالشريعة والطريقة، وهذا غلط فاحش ولا يخفى على المتفطن أنّه لا خلاف بين مسائل الشريعة والحقيقة، علماء الشريعة توغلوا في بيان أحكام الكثرة وإصلاحها لترتفع الكثرة وتظهر الوحدة وهي النهاية إلى البداية، وعلماء الحقيقة في بيان أسرار الوحدة وإحاطة الوجود وسريان نوره في المراتب، فكل منهما في طرف، فالواجب على الصادق أن يستغرق في أنوار الحقيقة باطناً ويعمل بالشريعة ظاهراً حفظاً للمراتب وهو الصراط المستقيم لاتباع الرسول ﷺ ا.هـ.

(أما أوراده رضي الله عنه) فهي من أعظم الأوراد وفيها من الخير ما لا يخفى على أهل السداد. وهي من أحسن ما رتب أهل الله في زواياهم قصد الجمع على الله خالطهم

ووالاهم، لتنضبط أوقاتهم وتنصلح بها حالاتهم أحيى بها رضي الله عنه الطريقة بعد دروس آثارها وشيد منار الولاية بعد خبو أنوارها، سلك رضي الله عنه بذلك مسلك السادات الكرام العارفين الكمل الأعلام أئمة الملة المحمدية عليه من الله الصلاة والسلام حتى بدت بظهوره الطريقة، وجاءت بحمد الله موافقة للشريعة والحقيقة، فلأوراده، رضي الله عنه عذوبة في إسماع ممزوجة بعضها ببعض شهية للسماع قد أبدى فيها ما كان كامناً، وأجاد وأبلغ فيها للراجي غاية المراد، فتجلت للعالمين كالعروس، فجلبت بجمالها كثيراً من النفوس، فسقتهم من لذيذ الكؤوس، ولما أنْ أراد الله سعادة من عاصره، وانحلف من جاوره قذف في قلبه من نور التحقيق ما كان عليه من حسن التأييد والتصديق، فلم يسعه الكتم أن أبرز ما كمن فيه على فيه فأبدى للناس عجاباً، وفتح للطالبين باباً، فرتب أوراداً يتخذونها للآخرة زادا، فجاءت بحمد الله رائقة المعنى لذيذة الطعم سهلة الجنى، فإنك إنْ شاء الله ستقف على حقيقتها وأساسها وتشاهد سر حسنها وطلعتها، وتعلم منشيها وما أودع من السر المكنون فيها ما تستدل به إنْ شاء الله على كمال إرثه من رسول الله ﷺ، وحاله ولتعلم ما مَنَّ الله به عليه من عميم أفضاله كما قيل:

من مثلكم يا أبا الخيرات يشبهكم ... قد حزتم السر، والأخلاق والشيما

والله ما رأت العينان مثلكم ... في العصر قاطبة يا بهجة العلما

وقد قال الشيخ زروق رضي الله عنه لما تكلم على الأوراد قال في آخر كلامه: وبالجملة فأحزاب المشايخ رضي الله عنهم صفة حالهم، ونكتة مقالهم وميراث علومهم وأعمالهم، وبذلك جروا في كل أمورهم لا بالهوى قبل كلامهم، وربما جاء بعدهم من أراد محاولة ذلك بنفسه لنفسه، فعاد ما توجه عليه بعكسه، وما هو إلا كما يحكى عن النحلة علمت الزنبور طريق النسج، فنسج على منوالها وصنع بيتاً على مثالها، ثم ادعى أنّ له من الفضيلة ما لها، فقالت له: ذا البيت، وأين العسل. وإنّما السر في السكان لا في المنزل، ثم قال: فأحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم مؤيدة بعلومهم ممددة بإلهامهم مصحوبة بكراماتهم، ولم تزل أوراد سيدنا رضي الله عنه منذ ظهرت للعيان تظهر لها البركات الكثيرة من تيسير الطالب، وبلوغ المآرب إلى الآن، واستخرجت منها بحمد الله جل جلاله نسخ عديدة للوجود، وانتشر صيتها في أقصى البلدان عن إذن سيد الوجود، فلم تزل بين العباد مشهورة، وأسرارها ظاهرة مشهودة، فهي من أعظم الذخائر وأسنى المفاخر، ورأوا لها من الأسرار ما لا يحصىٰ من خير الدنيا والآخرة، فأسأل الله أن لا يعدمها من وجوده وأنْ يبقي أنوارها محفوفة بشهوده بجاه سيد الأنبياء وإمام الأتقياء سيدنا محمد ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم، وهذا أوان الشروع، فأقول: وبالله الإعانة والتوفيق والهادي بمنّه وكرمه إلى سواه الطريق.

(أمّا أوراده رضي الله عنه) التي تلقن لكافة الخلق الذي رتبه له سيد الوجود، وعلم الشهود ﷺ هو: «أستغفر الله مائة مرة والصلاة على رسول الله ﷺ وسلم بأي صيغة كانت مائة مرة ثم الهيللة مائة مرة»، وهذه الأذكار بعينها هي التي رتبها له رسول الله ﷺ، وأمره بتلقينها لكل من طلبه من المسلمين على أي حالة كان كبيراً، أو صغيراً ذكراً أو أنثى طائعاً أو عاصياً لا يمنعه من أحد طلبه منه؛ وكون الصلاة على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق أفضل وأكمل، لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجسيم الذي لا يقدر قدره إلا الذي امتّن به من فيض فضله العميم، وفضلها سيأتي مبيناً في محله إنْ شاء الله. وبعدها في الفضل روح الصلوات، وهي: «اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، ثم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله»، فأنت مخير وباجتهاد الملقن الذي يلقن الورد فله النظر إنْ كان من يأخذ الورد من أهل الدين والصلاح وفيه أهلية ونسبة، فيلقنه الفاتح لما أغلق، ويأذنه في مرتبتها الظاهرة فقط لا غير، وألا يلقنه روح الصلوات إن كان متوسطاً وإلا اللهم صل وسلم عى سيدنا محمد وعلى آله، وكيف ما فعل أجزاه بأي صيغة من صيغ الصلوات.

(ووقته) بعد صلاة الصبح إلى وقت الضحىٰ، وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء، ومن فاته هذين الوقتين لعذر فالنهار كله له وقت والليل كذلك، ومن فاته ورد فليتداركه على ممر الدهر، ومن أخذ هذا الورد وتركه تركاً كلياً أو متهاوناً به حلت به عقوبة ويأتيه الهلاك، وهذا إخبار من سيد الوجود ﷺ لشيخنا رضي الله عنه، ونصه ﷺ كل من أخذ عليك ذكر أقل له في وصيتك له ذكرنا هذا عظيم وإياكم والتفريط فيه وإياكم وتركه لأن الصلاة على النبي عظيمة وهي باب الكمال وهي المدخل الأعظم ومن تركها لا يجد باباً من غيرها يدخل عليه ا.هـ.

(وشرطه) المحافظة على الصلوات في أوقاتها في الجماعة إن أمكن، والطهارة البدنية والثوبية والمكانية، واستقبال القبلة وعدم الكلام إلا لضرورة، وشرطه الخاص به لمن قدر عليه استحضار صورة القدوة بين يديه، وأنه جالس بين يديه من أول الذكر إلى آخره ويستمد منه؛ وأعظم من هذا وأرفع وأكمل وأنفع أن يستحضر صورة المصطفىٰ ﷺ وأنّه جالس بين يديه ﷺ بهيبة ووقار، وإعظام وإكبار، ويستمد منه بقدر حاله ومقامه، ويستحضر مع ذلك معاني ألفاظ الذكر إنْ كانت له قدرة على فهمها وإلاّ فيستمع لما يذكره بلسانه ليشغل فكره عن الجولان في غير ما هو بصدده، ويعينه هذا الحضور وهذا الورد الذي ذكرناه هو لازم الطريقة، فلا معدل لأحد عنه، وأمّا غيره من الأوراد التي سنذكرها، فهو مخير في الفعل والترك.

(واعلم) أنّ هذا الورد العظيم لا يلقن لمن كان له ورد من أوراد المشايخ رضي الله

عنهم إلاّ أنّه تركه وانسلخ منه ولا يعود إليه أبداً، وعاهد الله على ذلك، فعند ذلك يلقنّه الورد من له الإذن الخاص من الشيخ رضي الله عنه، وإلاّ فلا يلقنّه له إنْ لم ينسلخ عن ورده الذي بيده فيتركه ووروده وطريقته، لأن أوراد المشايخ رضي الله عنهم كلها على هدى وبينة من الله وكلها مسلكة وموصولة إلى الله تعالىٰ، وهذا ليس منا تكبراً واستعلاء على المشايخ رضي الله عنهم حاشا وكلا ومعاذ الله، بل هذا الشرط مشروط في طريقتنا لا غير، فمن أراد الدخول في طريقتنا فلا بد له من هذا الشرط ولا خوف عليه من صاحبه ولا من غيره أيا كان من الأولياء الأحياء والأموات في الدنيا والآخرة، وهو آمن من كل ضرر يلحقه في الدنيا وفي الآخرة لا من شيخه ولا من غيره ولا من الله ورسوله ﷺ بوعد صادق لا خلف له، ومن أبىٰ الخروج عن ورده الذي بيده لشيخه، فلا شيء عليه فيترك وردنا ويمكث على ورده وطريقته، فقد قلنا أوراد السادات رضي الله عنهم كلها على هدى من الله وكل من أذنته، وأمرته بتلقين أورادنا وإعطاء طريقتنا فله هذا الشرط بأن لا يلقن أحداً ممن له ورد أو طريقه من المشايخ، فإن فعل وخالف فقد رفعت عنه الإذن، ولا ينفعه هو في نفسه ولا ممن لقنه إياه، فليحكم هذا الشرط، ويعمل عليه الصلاة والسلام وكذا من أخذ وردنا ودخل طريقتنا، فلا يزور أحداً من الأحياء أصلاً وأمّا الأموات، فإن زارهم يعتقد أنّه واصلهم لله لا غير لأنهم أبواب الله وواصلهم لله، ويطلب من الله عند مواصلته إياهم رضا الله ورضا رسوله ﷺ ورضا شيخنا عليه الصلاة والسلام.

(وأما أوراد الزاوية) فهي الاستغفار بأي صيغة مائة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مائة مرة أو خمسين مرة، والهيللة مائتا مرة أو مائة، وجوهرة الكمال إحدى عشرة مرة وهي: «اللهم صلي وسلم على عين الرحمة الربانية إلخ..» وهذه الوظيفة غير لازمة للطريقة، فمن أراد ذكرها فليذكرها ومن لا فلا، وتكفي وقت واحد إمّا في الصباح أو المساء وإن تيسر في الوقتين فحسن؛ بخلاف الورد المعلوم، فهو لازم أخذه في الصباح والمساء، ولا يستغنى بقراءة الوظيفة عن الورد فمن قرأ الوظيفة لا بد له من الورد ومن ترك الورد فعليه قضاؤه ومن ترك الوظيفة فلا قضاء عليه أيضاً فهي كالورد، فإن كان وحده مثلاً في بلد وليس معه غيره من الإخوان يقرأ الوظيفة وحده، وإنْ كان إخوان يجتمع معهم ويقرؤونها جماعة، وهذا شرط في الوظيفة وإنْ كان مسافراً قرأها وحده وإنْ لم يحفظها فلا شيء عليه، ولا تقرأ جوهرة الكمال إلاّ بالطهارة المائية لا بالترابية لأن النبي ﷺ يحضر عند قراءتها كما ستقف عليه إنْ شاء الله في محله.

(ومن أوراده) اللازمة للطريقة ذكر الهيللة بعد صلاة عصر يوم الجمعة مع الجماعة إنْ كان له إخوان في البلد، فلا بد من جمعهم وذكرهم جماعة، وهذا شرط في الطريقة من غير حد ولا حصر على قاعدة الطريقة الخلوتية، وإلا فبحسب كل ما اصطلحت عليه

البلد التي هو فيها، وإنْ كان وحده ولا إخوان له يذكر الهيللة وحده، وهذا شرط من شروط الطريقة أبداً سرمداً. (ومن أوراده) العظيمة القدر «ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق» وهي التي أولها: «الله الله اللّهم أنت الله الذي لا إله إلا أنت إلخ...» كما ستقف عليها إنْ شاء الله في محلها مع فضلها وشرحها وفضل الصلاة التي قبلها، وشرحها أيضاً في الخاتمة إنْ شاء الله. (وكذلك) الحرز اليماني وهو دعاء السيفي وله فضل عظيم وثواب جسيم من فضله، إنَّ من ذكرهُ مرة تكتب له عبادة سنة ومرتين بسنتين وهكذا، ومن حمله معه كتب من الذاكرين الله كثيراً، ولو لم يذكر إلى غير ذلك، ومن أوراده، فليطالع الجوار الخمس لسيدي محمد غوث الله، (وكذلك) حزف البحر وله أنها خاصية عظيمة ولا يلقنه إلا للخاصة من أصحابه لعلو مرتبته، وأخذه عن النبي ﷺ، وكذلك ما قبله من السيفي وغيره (وكذلك) من أوراده العظيمة الأسماء الإدريسية التي أولها سبحانك لا إله إلاّ أنت يا رب كل شيء، ووارثه ورازقه وراحمه إحدى وأربعين اسماً وآخرها يا غياثي عند كل كربة ومجيبي عند كل دعوة ومعاذي عند كل شدة، ويا رجائي حين تنقطع حيلتي، وهذا الاسم غني عن الشرائط، فلا يحتاج إلاّ إلى الإجازة من الشيخ وله فضل عظيم. (ومن أوراده) العظيمة التي هي عديمة النظر فاتحة الكتاب بالخاصية المعلومة التي هي من أعظم الأسرار، والكنز المطلسم التي لا يظفر بها أحد من خواص الأبرار سوى سيدنا وشيخنا، فقد تفضل به عليه النبي المختار ﷺ، وسيأتي فضلها وكيفيتها. (ومن أوراده) صلاة رفع الأعمال وهي: «اللّهم صلي على سيدنا محمد النبي عدد من صلى عليه من خلقك، وصلِ على سيدنا محمد النبي، كما ينبغي لنا أنْ نصلي عليه، وصلي على سيدنا محمد النبي كما أمرتنا أنْ نصلي عليه».

(ومن أوراده) رضي الله عنه اللّهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي ثلاثاً في الصباح وثلاثاً في المساء. (ومن أوراده) وظيفة اليوم والليلة ثلاثاً في الصباح وثلاثاً في المساء، وهي لا إله إلاّ الله والله أكبر، لا إله إلاّ الله وحده لا إله إلاّ الله، ولا شريك له لا إله إلا الله له الملك وله الحمد لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. (ومن أوراده) رضي الله عنه الدور إلاّ عليّ الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه، ومنها استغفار سيدنا الخضر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وهو: اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوفِ لك به، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك، فخالطني فيه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليَّ، فاستعنت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من ذنب أذنبته في ضياء النهار أو سواد الليل في فلاء أو خلاء أو سراً أو علانياً يا حليم؛ في الصباح والمساء بقدر الطاقة.

(ومن أوراده) العظيمة المسبعات العشر المعلومة عند الخاصة والعامة، وهي الفاتحة مع البسملة سبعاً ثم المعوذتين مع البسملة سبعاً، ثم الإخلاص مع البسملة سبعاً، ثم الكافرون مع البسملة سبعاً، ثم آية الكرسي سبعاً، ثم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم سبعاً، ثم اللهم اغفر لي ولوالدي سبعاً، ثم اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات سبعاً، افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبعاً. (ومن أوراده) رضي الله عنه ما ورد في صحيح البخاري، وهو أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنْ محمداً عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنّ الجنة حق وأن النار حق، على قدر الطاقة وسيدنا رضي الله عنه يأمر به عند النوم.

(ومن أوراده) دبر الصلوات في الصباح والمساء، أما دبر الصلوات فالفاتحة أربعاً دبر كل صلاة، ثم آية الكرسي مرة، ثم اللّهم إنّي أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن أو كان، أقدم، إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم إلى آخرها، ثم سورة الإخلاص مرة يضع يده على عينه ويقرأها ويضع أيضاً يده على صدره ويقرأها، ثم أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاثاً دبر كل صلاة، ثم تباركت إلهي من الدهر إلى الدهر، وتعاليت إلهي من الدهر إلى الدهر، وتقدست إلهي من الدهر إلى الدهر، وأنت ربي ورب كل شيء لا إله إلا أنت، يا أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات اغفر لي ولعبادك الذين آمنوا بما أنزلت على رسلك دبر كل صلاة، ثم سبحان من تعزز بالعظمة، سبحان من تردى بالكبرياء سبحان من تفرد بالوحدانية، سبحان من احتجب بالنور، سبحان من قهر العباد بالموت، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً دبر كل صلاة، وفضله من داوم عليه دبر الصلوات يبعث الله له ملكاً يؤدي عنه الصلوات الفوائت يعني الفرائض التي ترتبت في ذمته لكن لا يعتمد هذا، بل إنْ ترتبت في ذمته صلوات، فليقضها وفضل الله أوسع.

ومن أوراده في الصباح والمساء آية الكرسي سبعاً، ثم لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها سبعاً، ثم أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع ثلاثاً ثم حزب البحر في الصباح المساء، وكذلك المسبعات في الصباح والمساء كما تقدم، ثم يا من أظهر الجميل وستر

القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك الستر يا عظيم العفو ويا حسن التجاوز، ويا واسع المغفرة، ويا باسط اليدين بالرحمة ويا سامع كل نجوىٰ، ويا منتهى كل شكوى ويا كريم الصفح، ويا عظيم المن، ويا مبدئاً بالنعم قبل استحقاقها يا رب ويا سيدي ويا مولاي، ويا غاية رغبتي أسألك أنْ لا تشوه خلقتي بالبلاء في الدنيا ولا بعذاب النار، على قدر الطاقة في الصباح والمساء، وكذلك في الصباح والمساء الأسماء الإدريسية التحصين، وكذلك آية الكرسي ،سبعاً بقصد التحصين، وآية الحرص وهي لقد جاءكم سبعاً بقصد التحصين، وكذلك السيف للتحصين مرة في الصباح والمساء، وكذلك حزب البحر ثلاثاً في الصباح والمساء، ثم لا إله إلاّ الله يا دافع يا مانع يا حفيظ يا حكيم مائة مرة في الصباح والمساء.

(ومن أوراده) دعاء ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب وذكر له فضلاً عظيماً ستقف عليه إن شاء الله في الفضائل، وهو: أنت الله لا إله إلاّ أنت رب العالمين أنت الله لا إله إلا أنت الحي القيوم، أنت الله لا إله إلا أنت العلي العظيم، أنت الله لا إله إلا أنت العفو والغفور، أنت الله لا إله أنت مبدىء كل شيء وإليك يعود، أنت الله لا إله إلاّ أنت لم تولد أنت الله لا إله إلا أنت العزيز الحكيم، أنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم، أنت الله لا إله إلا أنت ملك يوم الدين، أنت الله لا إله إلا أنت خالق الخير والشر، أنت الله لا إله إلا أنت خالق الجنة والنار أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا يتخذ صاحبة ولا ولد، أنت الله لا إله إلا أنت الفرد الوتر، أنت الله لا إله إلاّ أنت عالم الغيب والشهادة، أنت الله لا إله إلا أنت الملك القدوس، أنت الله لا إله إلا أنت السلام المؤمن المهيمن، أنت الله لا إله إلا أنت العزيز الجبار المتكبر، أنت الله لا إله إلا أنت الخالق البارىء، أنت الله لا إله إلا أنت الأحد المصور، أنت الله لا إله إلا أنت الكبير المتعال، أنت الله لا إله أنت المقتدر القهار، أنت الله لا إله إلا أنت الحليم الكريم، أنت الله لا إله إلا أنت القادر الرازق، أنت الله لا إله إلا أنت أهل الثناء والمجد، أنت الله لا إله إلا أنت تعلم السر والخفي، أنت الله لا إله إلا أنت فوق الخلق الخليقة أنت الله لا إله إلا أنت الجبار المتكبر ا.هـ.

ويذكر في الصباح والمساء مرة أو دبر الصلوات، ومنها هذا التسبيح، وهو سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنه ما علم في كل وقت من غير حصر عدد ولا وقت، وفضله سيأتي إنْ شاء الله.

(وأما سند طريقته المحمدية) فإنّه أخبرنا فقال: إذا أخذنا عن مشايخ عدة رضي الله عنهم، فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود، وإنما سندنا واستنادنا في هذا الطريق عن

سيد الوجود ﷺ، قد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه ليس لغيره من الشيوخ فينا وكفى كلامه في هذا المحل.

(وأما فضل أتباعه) رضي الله عنه، فقد أخبره سيد الوجود ﷺ أن كل من أحبه، فهو حبيب للنبي ﷺ، ولا يموت حتى يكون ولياً قطعاً، وفي هذا القدر كفاية.

الفصل الثاني: في فضل ورده، وما أعد الله لتاليه وصفة المُريد وحاله وما يقطعه عن أستاذه، فأقول، وبالله التوفيق، وبه الإعانة والهادي إلى سواء الطريق: (قال) رضي الله عنه: أخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناماً قال لي: أنت من الآمنين، وكل من رآك من الآمنين إنْ مات على الإيمان وكل من أحسن إليك بخدمة، أو غيرها، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب، ثم قال رضي الله عنه: فلما رأيت ما صدر لي منه من المحبة ﷺ، وصرح أكثرهم يقولون لي: نحاسبك بين يدي الله إن دخلنا النار وأنت ترى، فأقول لهم: لا أقدر لكم على شيء، فلما رأيت منه هذه المحبة ﷺ سألته لكل من أحبني ولم يعادني بعدها، ولكل من أحسن لي بشيء من مثقال ذرة فأكثر ولم يعادني بعدها، وأكد ذلك من أطعمني طعامه قال رضي الله عنه: كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، ثم قال رضي الله عنه: وسألته ﷺ لكل من أخذ عني ذكراً أنْ تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر، وأنْ تؤدي عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم، وأنْ يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة، وأن يدخلوا بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولىٰ، وأنْ يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي ﷺ فقال لي ﷺ: «**ضمنتُ لهم هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين**». ثم اعلم أني بعدما كتبت هذا من سماعه وإملائه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه، أطلعت على ما أرسمه من خطه ونصه أسأل من فضل سيدنا رسول ﷺ أنْ يضمن لي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، أنا وكل أب وأم ولدوني من أبوي إلى أول أب وأم في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمي، وجميع ما ولد آبائي وأمهاتي من أبوي إلى الجد الحادي عشر والجدة الحادية عشرة من جهة أبي، ومن جهة أمي من كل ما تناسل منهم من وقتهم إلى أنْ يموت سيدنا عيسى بن مريم من جميع الذكور والإناث والصغار والكبار، وكل من أحسن إليَّ بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر وكل من نفعني بنفع حسيّ أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر، من خروجي من بطن أمي إلى موتي، وكل من له علي مشيخة في علم أو قرآن أو ذكر أو سر من كل من لم يعادني من جميع هؤلاء، وأمّا من عاداني أو أبغضني فلا، وكل من أحبني ولم يعادني وكل من والاني، واتخذني شيخاً أو أخذ عني ذكراً، وكل من زارني وكل من خدمني أو قضى لي حاجة أو دعا

لي، كل هؤلاء من خروجي من بطن أمي إلى موتي وآبائهم وأمهاتهم، وأولادهم وبناتهم وأزواجهم، ووالدي أزواجهم وكل من أرضعني وأولادهم وبناتهم ووالديهم ووالدي أزواجهم، يضمن لي سيدنا رسول الله ﷺ، ولجميع هؤلاء إلى أنْ نموت أنا وكل حي منهم على الإيمان والإسلام وأن يؤمننا الله وجميعهم من جميع عذابه وعقابه وتهويله وتخويفه ورعبه، وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنة، وأنْ تغفر لي ولجميعهم جميع الذنوب ما تقدم منها وما تأخر، وأنْ تؤدي عني وعنهم جميع تبعاتنا وتبعاتهم، وجميع مظالمنا ومظالمهم من خزائن فضل الله عز وجل لا من حسناتنا.

وأن يؤمنني الله عز وجل وجميعهم من جميع محاسبته، ومناقشته وسؤاله عن القليل والكثير يوم القيامة، وأنْ يظلني الله وجميعهم في ظل عرشه يوم القيامة، وأنْ يجيرني ربي وكل واحد من المذكورين على الصراط أسرع من طرفة العين على كواهل الملائكة، وأنْ يسقيني الله وجميعهم من حوض سيدنا محمد ﷺ يوم القيامة، وأنْ يدخلني ربي وجميعهم جنته بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، وأنْ يجعلني ربي وجميعهم مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس ومن جنة عدن، أسأل سيدنا رسول الله ﷺ بالله أن يضمن لي، ولجميع الذين ذكرتهم في هذا الكتاب، جميع ما طلبت من الله لي ولهم في هذا الكتاب بكماله كله ضماناً يوصلني وجميع الذين ذكرتهم في هذا الكتاب إلى كل ما طلبته من الله لي ولهم فأجاب ﷺ بقوله الشريف: «**كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبداً إلى أنْ تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في أعلى عليين، وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضمانة لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام**» ثم قال رضي الله عنه: كل هذا وقع يقظة لا مناماً، وأنتم وجميع الأحباب لا تحتاجون إلى رؤيتي، إنما يحتاج إلى رؤيتي من لم يكن حبيباً لي، لا أخذ عني ذكراً ولا أكلت طعامه، وأما هؤلاء، فقد ضمنهم لي بلا شرط رؤية مع زيادة أنهم معي في عليين، ولا يظن ظان أنّ عليين هي وعموم الجنة على حد سواء بل النسبة بينهما لو خرجت حبة عنب أو غيرها من الثمار التي في الجنة الأولى إلى الدنيا فضلاً عن الحور لأطفأت نور الشمس، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الثانية إلى الأولى لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الثالثة إلى الثنية لأطفأت جميع أنوارهم، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الرابعة إلى الثالثة لأطفأت جميع أنوارهم، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الخامسة إلى الرابعة لأطفأت جميع أنوارهم، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من السادسة إلى الخامسة لأطفأت جميع أنوارهم، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من السابعة إلى السادسة لأطفأت جميع أنوارهم وهي الفردوس أي السابعة وعليون فوق الفردوس، ولو خرجت منه حبة عنب

أو غيرها إلى الفردوس، لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم عن كل ما عندهم، وعليون مقام الأنبياء وأكابر الأولياء من هذه الأمة، ومن اهتدىٰ من الأمم السابقة من غير نبوة لا من عداهم، فاعرف النسبة بين عليين والجنات، وقس عليه كل ما خلق الله في الجنات من حور وقصور وغيرها، فإذا تأملت هذا عرفت قدر جنة عليين والجنات وأي نسبة بينهم قد تفضل لي ﷺ حتى ضمن لي دخول من ذكرتهم إليه بلا حساب ولا عقاب واستقرارهم فيها، وأنَّ من رآني فقط غايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا يعذب ولا مطمع له في عليين إلا أنْ يكون ممن ذكرتهم وهم أحبابنا ومن أحسن إلينا ومن أخذ عنا ذكراً، فإنه يستقر في عليين معنا، وقد ضمن لنا هذا بوعد صادق لا خلف له إلا أني استثنيت من عاداني بعد المحبة والإحسان، فلا مطمع له في ذلك وطلبته أيضاً أنْ يموتوا كلهم على الإسلام، فإن كنتم متمسكين بمحبتنا، فأبشروا بما أخبرتكم به فإنّه واقع لجميع الأحباب قطعاً.

ثم قال رضي الله عنه: ومن أخذ عني الورد المعلوم الذي هو لازم للطريقة، أو عمن أذنته يدخل الجنة هو ووالداه وأزواجه، وذرياته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حساب ولا عقاب بشرط أنْ لا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة وبدوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات، وكذلك مداومة الورد إلى الممات.

ثم قال رضي الله عنه (قلت) لرسول ﷺ: هذا الفضل هل هو خاص بمن أخذ عني الذكر مشافهة، أو هو لكل من أخذه ولو بواسطة؟ فقال لي: **«كل من أذنته وأعطىٰ لغيره، فكأنه أخذه عنك مشافهة»** وأنا ضامن لهم وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآني أو لم يرني، وأخبره ﷺ بقوله عليه الصلاة والسلام بعزة ربي يوم الاثنين ويوم الجمعة لم أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعي سبعة أملاك، وكل من يراك في اليومين يكتب الملائكة اسمه في رقعة من ذهب، ويكتبونه من أهل الجنة، وأنا شاهد على ذلك، وتكثر من الصلاة عليّ في هذين اليومين، فكل صلاة تصليها عليّ أسمعك وأرد عليك، وكذا جميع أعمالك تعرض عليّ والسلام، قلت وهذه الكرامة العظيمة المقدار، وهي دخول الجنة بلا حساب، ولا عقاب لمن أخذ ورده، ودخول والديه وأزواجه وذرياته لم يقع لأحد من الأولياء ولا بلغنا من أخبار ساداتنا الأولياء رضي الله عنهم، وإن وقع لهم أنْ من رأى من رآهم يدخل الجنة كالشيخ عبد القادر الجيلاني، وسيدي عبد الرحمن الثعالبي، ومولاي التهامي رضي الله عن جميعهم لم ينقل عن أحد من هؤلاء عدم الحساب والعقاب لأصحابه أو لمن رآه، كما وقع لشيخنا رضي الله عنه، وإنْ كانوا كلهم ذكروا دخول الجنة كما قدمنا؛ لكن هذه خصوصية لسيدنا رضي الله عنه ولأصحابه، ومع هذا قال رضي الله عنه محذراً لأصحابه ومرشداً لهم لما فيه صلاحهم أقول لكم: وأنّ

سيد الوجود ﷺ ضمن لنا أنّ من سبنا وداوم على ذلك، ولم يتب لا يموت إلا كافراً وأقول للإخوان أنّ من أخذ وردنا وسمع ما فيه من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب، وأنّه لا تضره معصية أن من سمع ذلك وطرح نفسه في معاصي الله لأجل ما سمع، واتخذ ذلك حباله إلى الأمان من عقوبة الله في معاصيه أليس الله قلبه بغضنا حتى يسبنا، فإذا سبنا أماته الله كافراً، فاحذروا من معاصي الله ومن عقوبته ومن قضىٰ الله عليه بذنب منكم والعبد غير معصوم، فلا يقربنه إلا وهو باكي القلب خائفاً من عقوبة الله والسلام.

ولنذكر هنا أبياتاً في فضل الورد لبعض الأدباء قال:

تجاننا بيته بالذكر معمورُ ... وبالصلاةِ وبالخيرات مغمورُ

موقت فيه ذكر الله ما طلعت ... شمس وما غربت، وهذا مشهورُ

أحيا طريقة أهل الله فهي به ... مؤلف جمعها، والكسر مجبورُ

شيخ المشايخ من في طرفِ بُردته ... جيب على النور والأسرار مزرورُ

من داره جنة الفردوس وهو بها ... رضوان خازنها أزهارها الحورُ

يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها ... فاشرب مفجرها فأنت مأجور

أوراده من رسول الله قد رويت ... كذاك أفعاله والسر مأثورُ

فانقل فديتك في آثاره قدما ... فإن نقلت فذاك النقل مدخورُ

واحرص بأن تنتمي يوماً لجانبه ... فحظ من ينتمي إليه موفور

ولازم أوراده في نفس أو ملا ... فذاكر الله عند الله مذكورُ

فلتغتبط بها أيها المريد، واعلم أنها في حقك من الأمر الأكيد ولا تزال عاكفاً عليها صباحاً ومساء، فإنها من أعظم الوسائل لكل طالب وسائل، فطيّب بها حياتك وعمر بسردها أوقاتك عسى الله أنْ يجعل فيها نجاتك، فليس للعبد من دنياه إلا ما أفناه في طاعة مولاه، وما سوى ذلك فلينبذه وراءه، وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له من الله العناية، وهذا الذي ذكرناه هو فضل الورد الذي هو لازم للطريقة الذي لقنه لسيدنا رضي الله عنه سيدنا رسول الله ﷺ وأمره بإعطائه لكافة الخلق.

(وأما فضل الأذكار على التفصيل) فأقول وبالله التوفيق: قال مولانا جل من قائل: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وبالغداة والعشي﴾ [الكهف: الآية ٢٨] عن قتادة رضي الله عنه قال: **«إنَّ القرآن يدلكُم على دائكم ودوائكم أمّا داؤكم فذنوبكم وأما دواؤكم فالاستغفار»**، وأخرج الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«أنزل الله عليّ أمانين لأمتي، وما كانَ الله ليعذبُهم وأنت فيهم، وما**

كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة» وأخرج أحمد عن فَضَالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**العبد آمن منْ عذابِ الله ما استغفرَ الله**» وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم، وأتوب إليه خمس مرات غفر له إنْ كان عليه مثل زبد البحر**» وقال تعالىٰ: ﴿ومنْ يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء: الآية ١١٠].

(وأما فضل صلاة الفاتح لم أغلق) إلخ، فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو أنّ المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في وردة الجيوب، قد ذكر صاحب الوردة أنّ صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً رضي الله عنه قال: إنّ من ذكرها مرة ولم يدخل الجنة، فليقبض صاحبها عند الله، وبقيتُ أذكرها إلى أنْ رحلت من تلمسان إلى أبي سمغون، فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق إلخ، واشتغلت بها وهي اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم، لما رأيت فيها من كثرة الفضل، ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق، فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها، فأخبرني أولاً بأنّ المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أنّ المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبيراً أو صغيراً، ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنّه من الأذكار.

ومن جملة الأدعية دعاء السيفي ففي المرة الواحدة منه ثواب صوم رمضان، وقيام ليلة القدر، وعبادة سنة وسورة القدر مثله في الثواب، كما أخبرني به سيدنا رضي الله عنه عن سيد الوجود ﷺ وأعظم من السيفي دعاء يا من أظهر الجميل إلخ قال الراوي: جاء به جبريل إلى النبي ﷺ، وقال له: أتيتك بهدية قال: وما تلك الهدية؟ فذكر هذا الدعاء، فقال له ﷺ: ما ثواب من قرأ هذا الدعاء؟ فقال له جبريل: لو اجتمعت ملائكة سبع سموات على أنْ يصفوه ما وصفوه إلى يوم القيامة، وكل واحد يصف ما لا يصفه الآخر، فلا يقدرون عليه، ومن جملة ذلك أنّ الله يقول فيه: أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في سبع سموات، وفي الجنة والنار، وفي العرش والكرسي، وعدد القطر والمطر والبحار، وعدد الحصى والرمل، ومن جملتها أيضاً أنّ الله تعالىٰ يعطيه ثواب جميع الخلائق، ومن جملتها أيضاً أن الله تعالىٰ يعطيه ثواب سبعين نبياً كلهم بلغوا الرسالة إلى غير ذلك، وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، وجدّه هو

عبد الله بن عمرو بن العاص من أكابر الصحابة رضي الله عنه صححه الحاكم، وقال: رواته كلهم مدنيون انتهىٰ. ما أملاه علينا شيخنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه، ثم قال سيدنا رضي الله عنه، وأمّا صلاة الفاتح لما أغلق إلخ.. فإني سألته ﷺ عنها، فأخبرني أولاً أنها بستمائة ألف صلاة، فقلت له: هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بصلاة مفردة، فقال ﷺ ما معناه «نعم يحصل في كل مرة منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة.

وسألته ﷺ هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في الحديث؟ لكل صلاة، وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث؟ أمْ يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة، وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي ﷺ، فقال ﷺ: بل يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة، ثم قال رضي الله عنه: فسألته ﷺ عن حديث أنّ الصلاة عليه ﷺ مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة كل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا؟ فقال ﷺ: بل صحيح، فسألته ﷺ عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق؟ إلخ مرة أربعمائة غزوة أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة، وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة، فقال ﷺ: ما معناه أنّ صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة، وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة، ثم قال بعده ﷺ: «**إنَّ من صلى بها أي بالفاتح لما أغلق إلخ مرة**» واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها أي كأنّه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة من جميع المصلين عموماً ملكاً وجناً وإنساً وكل صلاة من ذلك بأربعمائة غزوة، وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات، ومحو عشر سيآت، ورفع عشر درجات، وأنّ الله يصلي عليه وملائكته بكل صلاة على عشر مرات؛ قال الشيخ رضي الله عنه: فإذا تأملت هذا بقلبك علمت أنّ هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة، فكيف من صلى بها مرات؟ ماذا له من الفضل عند الله، وهذا حاصل في كل مرة منها، ثم قال الشيخ رضي الله عنه: وأخبرني ﷺ أنها لم تكن من تأليف البكري أي صلاة الفاتح لما أغلق إلخ.. ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أنْ يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيه ثواب جميع الصلوات، وسر جميع الصلوات، وطال طلبه مدة، ثم أجاب الله دعوته، فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور، ثم قال الشيخ رضي الله عنه: فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة، وقال رضي الله عنه: وقد كان أخبرني ﷺ عن ثواب الاسم الأعظم فقلتُ: إنها أكثر منه فقال ﷺ: بل هو أعظم منها، ولا تقوم له عبادة قال رضي الله عنه في المرة الواحدة من

الاسم بستة آلاف من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ... والمرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل تسبيح، ومن كل استغفار ومن كل دعاء في الكون صغيراً أو كبيراً ستة آلاف مرة كما سبق، فقال الشيخ رضي الله عنه: ويكتب لذاكر الفاتح لما أغلق مرة، ستة آلاف من ذكر كل حيوان وجماد وذكر الجمادات هو ذكرها للاسم القائم بها لأن كل ذرة في الكون لها اسم قائمة به.

وأمّا الحيوانات، فأذكارها مختلفة، وهذا ما أخبر به سيد الوجود ﷺ سيدنا رضي الله عنه من فضل الفاتح لما أغلق، ثم قال سيدنا أيضاً رضي الله عنه وأمّا قدر صلاة الفاتح لما أغلق إلخ، فالمرة الواحدة منها إذا ذكرتها تعادل عبادة ثمانية وعشرين مائة عام أعني للمستغرق فيها على تقدير أنّه كل يوم يذكر عشرة آلاف بين الليل والنهار من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ، فقلت له: هذا بالنظر للذاكرين معك، قال: نعم لأنّه أخبرنا مهما ذكر ذكراً إلا وذكر معه سبعون ألف ملك والمرة الواحدة من أذكارهم أي من كل واحد من الملائكة المذكورين تضاعف بسبعين ألف مرة، وثواب أذكارهم كلها لسيدنا كرامة من الله وموهبة له، وقد تفضل شيخنا، وسيدنا، وأستاذنا على أصحابه بكل من ذكر منهم ذكراً إلا ويذكر معه سبعون ألف ملك فضلاً من الله ورحمة وموهبة وكرامة والسلام. ثم قال رضي الله عنه، ومن الأدعية ما فضله يعدل قيام ليلة القدر مرة واحدة كالسيفي كما تقدم، فإذا تأملت فضل مرة واحدة من الاسم من فضل ليلة القدر بالنسبة لفضل دعاء واحد كالسيفي وجدت المرة الواحدة من الاسم ستة وثلاثين ألف ألف ليلة القدر لأن المرة الواحدة من الاسم بستة آلاف من الصلاة المذكورة، والمرة منها بستة آلاف من الدعاء المذكور، فإذا ضربت ستة آلاف في ستة آلاف كان الخارج ستة وثلاثين ألف ألف هذا في المرة الواحدة بالنسبة إلى دعاء واحد، وأما ما فوق المرة من الاسم، فلا يعلم قدره إلاّ الله تعالىٰ، فسبحان من يؤتي فضله من يشاء، فهنيئاً ثم هنيئاً لمن أوتي هذا الفضل العظيم لا أحرمنا الله منه وكافة المحبين بمنه، وكرمه آمين.

(وسألته): رضي الله عنه عن صلاة الفاتح لما أغلق لأنّها خالية عن السلام لأمرٍ أوجبه (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: وأما سؤالكم عن صلاة الفاتح لما أغلق إلخ فإنّها وردت من الغيب على هذه الكيفية، وما ورد من الغيب كماله ثابت خارج عن القواعد المعلومة ليست من تأليف مؤلف ووراء هذا أن كيفيات وردت عنه ﷺ في الصلاة الخالية من السلام، وهي كيفيات نبوية متعبد بها، فلا التفات لما يقوله الفقهاء والسلام. (وخاصية) الفاتح لما أغلق إلخ أمر إلهي لا مدخل فيه للعقول، فلو قدرت مائة ألف أمة في كل أمة مائة ألف قبيلة وفي كل قبيلة مائة ألف رجل، وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم في كل يوم ألف صلاة على النبي ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق

إلخ، وجميع ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار، ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق، فلا تلتفت لتكذيب مكذب ولا لقدح قادح فيها فإنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فإن لله سبحانه وتعالىٰ فضلاً خارجاً عن دائرة القياس، ويكفيك قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل: الآية ٨] فما توجه متوجه إلى الله بعمل يبلغها وإنْ كان ما كان، ولا توجه متوجه إلى الله بعمل أحب إليه منها ولا أعظم عند الله حظوة منها، إلاّ مرتبة واحدة وهي من توجه إلى الله تعالىٰ باسمه العظيم الأعظم لا غير هو غاية التوجهات، والدرجة العليا من جميع التعبدات ليس لفضله غاية، ولا فوق مرتبته نهاية، وهذه صلاة الفاتح لما أغلق تليه في المرتبة والتوجه والثواب والفوز بمحبة الله لصاحبها وحسن المآب، فمن توجه إلى الله تعالىٰ مصدقاً بهذا الحال فاز برضا الله وثوابه في دنياه وأخراه بما لا تبلغه جميع الأعمال، يشهد بهذا الفيض الإلهي الذي لا تبلغه الآمال، ولا يحصل هذا الفضل المذكور إلاّ مع التسليم، ومن أراد المناقشة في هذا الباب وهذا المحل، فليترك فإنّه لا يفيد استقصاء حجج المقال واترك عنك محاججة من يطلب منك الحجج فإنّ الخوض في ذلك رداً وجواباً كالبحر لا تنفع منه الأمواج، والقلوب في يد الله هو التصرف فيها، والمقبل بها والمدبر بها، فمن أراد الله سعادته والفوز بثواب هذه الياقوتة الفريدة جذب الله قلبه إلى التصديق بما سمعه فيها، وعرفه التسليم لفضل الله سبحانه بأنّه لا يأخذه الحد والقياس، فصرف همته في التوجه إلى الله تعالىٰ بها، والإقبال على الله بشأنها، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ومن أراد الله حرمانه من خيرها صرف الله قلبه الوسوسة، وبقوله من أين يأتي خبرها؟ فاشتغلْ بما قلنا لك، ومن أطاعك في ذلك، واعرضْ عن مناقشتك في البحث بتحقيق ذلك فإنا أخذناه من الوجه الذي تعلمه وكفى.

مما كتبه إلينا سيدنا بعد سؤالنا له والسلام ا.هـ.

وسألته رضي الله عنه هل خبر سيد الوجود ﷺ بعد موته كحياته سواء؟

فأجاب رضي الله عنه بما نصه قال: الأمر العام الذي كان يأتيه عاماً للأمة طوى بساط ذلك بموته ﷺ، وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص، فإنّ ذلك في حياته وبعد مماته دائماً لا ينقطع، وإنّ صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من جميع وجوه الأعمال والعبادات، وجميع وجوه البر على العموم والإطلاق، وجميع وجوه الشمول والإمكان إلاّ ما كان من دائرة الإحاطة فقط، فإن ذكره أفضل منها بكثير دون غيره من الأعمال والسلام.

فإنْ قلت: ربما يطلع بعض القاصرين ممن لا علم له بسعة الفضل والكرم، فيقول: إذا كان هذا كما ذكرتم، فينبغي الاشتغال به أولى من كل ذكر حتى القرآن؟ قلنا: بل تلاوة القرآن أولى لأنها مطلوبة شرعاً لأجل الفضل الذي ورد فيه ولكونه أساس الشريعة وبساط

المعاملة الإلهية، ولما ورد في تركه من الوعيد الشديد، فلهذا لا يحل لقارئه ترك تلاوته؛ وأما فضل الصلاة التي نحن بصددها، فإنها من باب التخيير لا شيء على من تركها، وثانياً أن هذا الباب ليس موضوعاً للبحث والجدال، بل هو من فضائل الأعمال وأنت خبير بما قاله العلماء في فضائل الأعمال من عدم المناقشة فيها، وقد أجاب سيدنا رضي الله عنه عن هذه المعارضة قائلاً: لا معارضة بين هذا أو بين ما ورد من فضل القرآن والكلمة الشريفة، لأنّ فضل القرآن والكلمة الشريفة عام أريد به العموم، وهذا خاص ولا معارضة بينهما لأنّه كان ﷺ يلقي الأحكام العامة للعامة في حياته يعني إذا حرم شيئاً حرمه على الجميع، وإذا افترض شيئاً افترضه على الجميع، وهكذا سائر الأحكام الشرعية الظاهرة، ومع ذلك كان ﷺ يلقي الأحكام الخاصة، وكان يخص ببعض الأمور بعض الصحابة دون بعض وهو شائع ذائع في أخباره ﷺ، فلما انتقل إلى الدار الآخرة وهو كحياته ﷺ في الدنيا سواء، صار يلقي إلى أمته الأمر الخاص للخاص، ولا مدخل للأمر العام للعام، فإنه انقطع بموته ﷺ، وبقي فيضه للأمر الخاص للخاص، ومن توهم أنه ﷺ انقطع جميع مدده على أمته بموته ﷺ كسائر الأموات، فقد جهل رتبة النبي ﷺ، وأساء الأدب معه، ويخشىٰ عليه أن يموت كافراً إنْ لم يتبْ من هذا الاعتقاد.

قلتُ لسيدنا رضي الله عنه: وهل كان سيد الوجود ﷺ عالماً بهذا الفضل المتأخر في وقته؟ قال: نعم هو عالم به. قلتُ: ولم لم يذكره لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لما فيه من هذا الخير الذي لا يكيف؟ قال: منعه أمران الأول: أنّه علم بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت،الثاني: أنّه لو ذكر لهم هذا الفضل العظيم في هذا في العمل القليل لطلبوا منه أنْ يبينه لهم لشدة حرصهم على الخبر، ولم يكن ظهوره في وقتهم، فلهذا لم يذكره لهم، ونظر آخر غير ما تقدم، وهو أنّ الله تبارك وتعالىٰ لما علم ضعف أهل هذا الزمان وما هم عليه من التخليط والفساد، رحمهم وجاد عليهم بخير كثير في مقابلة عمل يسير يختص برحمته من يشاء في الوقت الذي يشاء، ولا يقال أنّ خبره بعد موته ليس كخبره في حياته بل هما سيان في جميع ما أخبر به ﷺ إلاّ في التفضيل المتقدم من العام للعام والخاص للخاص، ثم قال سيدنا رضي الله عنه: وهذا الفضل المذكور فيما دون الفرائض، وأمّا هي فلا، لحديث: «**أيّ الأعمال أفضل يا رسول الله قال** ﷺ: **«الصلاة في أول مواقيتها»** الحديث.. قلتُ لسيدنا رضي الله عنه: يفهم مما تقدم أنّ صاحب هذه الصلاة التي يذكرها له فضل أكثر من جميع من تقدمه من عباد الله المؤمنين، لكون جميع صلواتهم على النبي ﷺ وجميع أذكارهم وأورادهم تضاعف له كما تقدم في فضل صلاة الفاتح لما أغلق إلاّ نوع واحد وهو قول دائرة الإحاطة فلا مدخل له هنا ولا يتناوله هذا التضعيف، قال سيدنا رضي الله عنه: هو كما ذكرتم من

تضعيف الأعمال لصاحبها، ولكن كل واحد من الصحابة الذين بلغوا الدين مكتوب في صحيفة جميع أعمال من بعده من وقته إلى آخر هذه الأمة، فإذا فهم هذا ففضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم، ولو كان من أهل هذا الفضل المذكور من هذا الباب لمرتبة الصحابة، ثم ضرب مثلاً رضي الله عنه لعمل الصحابة مع غيرهم قال: عملنا مع عملهم كمشي القملة مع سرعة طيران القطاة، وصدق رضي الله عنه فيما مثل به لأنهم رضي الله عنهم حازوا قصب السبق بصحبة سيد الوجود ﷺ قال في حقهم ﷺ: إنّ الله اصطفى أصحابي على سائر العالمين ما عدا النبيين والمرسلين، وقال ﷺ **«لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**.

وذكر سيدنا رضي الله عنه وجهاً آخر لبيان فضل أهل المراتب فقال: إنّ الثواب المتقدم ذكره بسبب خاصية بعض الأذكار كما قدمنا إنّما هو المعتاد لكل عامل مثلاً إذا كان يحصل له في ذكره عشر حسنات أو مائة أو ألف أو أكثر، فهذه هي التي يتضاعف فضلها لعامل الخاصية كصلاة الفاتح وغيرها، وهذا بالنظر لغير أهل المراتب، وأما هم، فيتضاعف لهم العمل بحسب مراتبهم، فليس مرتبة الرسالة كمرتبة النبوة، ولا الصديقية كالنبوة، ولا يشملهم القياس، وأمّا ما هو بالنظر للغالب أو للجميع مع قطع النظر عن المرتبة، فلا ولذلك قال سيدنا جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: إنّ عمر حسنة من حسنات أبي بكر بعد أنْ قال له: لو حدثتك بفضائل عمر قدر عمر الدنيا ما فرغت مع أنّهما كانا في العمل سواء أو متقاربين، وإنّما سبقه بحسب المرتبة لا بحسب العمل، ولهذا قال ﷺ: **«ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، وإنّما فضلكم بشيء وقرّ في صدره»** رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وسمعت سيدنا رضي الله عنه يذكر تفاوت الأولياء في العمل والثواب قال: منهم من يومه كالمعتاد لغيره، ومنهم من يومه كليلة القدر، ومنهم من يومه بألف سنة،ومنهم من يومه كيوم المعراج خمسين ألف سنة، فقلتُ له: هذا في نفس العمل، أو في تضاعف الثواب؟ قال: منهم من يعمل قدر ما يعمل غيره من العمل في المدة المذكورة يعمله هو في يوم واحد، ومنهم من يكون أجر عمله في يوم واحد كما إذا عمل في المدة المذكورة قلت له: الذي عنده الاسم الأعظم له أكثر من هذا القدر على ما سمعناه منكم رضي الله عنكم، وما تقدم في فضله قال: ذلك لا يقاس عليه لأنّه من النادر لأنّ الفضل الذي يعطى لذاكره لا يعلمه إلا الله، رزقنا الله ما رزقهم بمحض فضله وكرمه آمين.

فائدة: قال الشيخ رضي الله عنه: عدد ألسنة الطائر الذي يخلقه الله من الصلاة على النبي ﷺ الذي له سبعون ألف جناح إلى آخر الحديث ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف إلى أنْ تعد ثمانية مراتب، وستمائة، وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف

إلى أنْ تعد سبع مراتب، وسبعمائة ألف ألف ألف ألف إلى أنْ تعد خمس مراتب، فهذا مجموع عدد ألسنته وكل لسان يسبح الله تعالىٰ بسبعين ألف لغة في كل لحظة، وكل ثوابها للمصلي على النبي ﷺ في كل مرة، هذا في غير الياقوتة الفريدة، وهي الفاتح لما أغلق إلخ، وأما فيها فإنّه يخلق في كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة كما تقدم، فسبحان المتفضل على من يشاء من عباده من غير منّة ولا علة انتهى من خط سيدنا وحبيبنا، وخازن سر سيدنا أبي عبد الله سيدي محمد بن المشري حفظه الله، وأدام ارتقاءه.

وسألته رضي الله عنه عن معنى صلاة الفاتح لما أغلق إلخ، فأجاب رضي الله عنه: قال: معناه الفاتح لما أغلق من صور الأكوان، فإنها كانت مغلقة في حجاب البطون وصورة العدم، وفتحت مغاليقها بسبب وجوده ﷺ، وخرجت من صورة العدم إلى صورة الوجود، ومن حجابية البطون إلى نفسها في عالم الظهور إذْ لولاه ما خلق الله موجوداً، ولا أخرجه من العدم إلى الوجود، فهذا أحد معانيه، والثاني أنّه فتح مغاليق أبواب الرحمة الإلهية، وبسببه انفتحت على الخلق، ولولا أنّ الله تعالىٰ خلق سيدنا محمد ﷺ ما رحم مخلوقاً، فالرحمة من الله تعالىٰ لخلقه بسبب نبيه ﷺ، والثالث من معانيه هي القلوب أغلقت على الشرك مملوءة به، ولم يجد الإيمان مدخلاً لها، ففتحت بدعوته ﷺ حتى دخلها الإيمان، وطهرها من الشرك وامتلأت بالإيمان والحكمة، قوله والخاتم لما سبق من النبوة والرسالة لأنّه ختمها، وأغلق بابها ﷺ، فلا مطمع فيها لغيره، وكذلك الخاتم لما سبق من صور التجليات الإلهية التي تجلى الحق سبحانه وتعالىٰ بصورها في عالم الظهور، لأنّه ﷺ أول موجود أوجده الله في العالم من حجاب البطون وصورة العماء الرباني، ثم ما زال يبسط صور العالم بعدها في ظهور أجناسها بالترتيب القائم على المشيئة الربانية جنساً بعد جنس إلى أنْ كان آخر ما تجلى به في عالم الظهور الصورة الآدمية على صورته ﷺ، وهو المراد في الصورة الآدمية، فكما افتتح به ظهور الوجود كذلك أغلق به ظهور صور الموجودات ﷺ (وبعبارة) قال رضي الله عنه: أول موجود أوجده الله تعالىٰ من حضرة الغيب هي روح سيدنا محمد ﷺ، ثم نسل الله أرواح العالم من روحه ﷺ الأجسام ههنا هي الكيفية التي بها مادة الحياة في الأجسام، وخلق من روحه ﷺ الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم، وأمّا الأجسام الكثيفة الظلمانية، فإنما خلقت من النسبة الثانية من روحه ﷺ، فإنّ لروحه ﷺ نسبتين أفاضهما على الوجود كله، فالنسبة الأولىٰ نسبة النور المحض، ومنه خلقت الأرواح كلها والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها، والنسبة الثانية من نسبة روحة ﷺ نسبة الظلام، ومن هذه النسبة خلق الله الأجسام الظلمانية كالشياطين وسائر الأجسام الكثيفة والجحيم، ودر كاتها

كما آنّ الجنة وجميع درجاتها خلقت من نسبة النورانية، فهذه نسبة العالم كله إلى روحه ﷺ.

وأمّا حقيقته المحمدية ﷺ، فهي أول موجود أوجده الله تعالىٰ من حضرة الغيب، وليس عند الله من خلقه موجود قبلها لكن هذه الحقيقة لا تعرف بشيء، وقد تعسف بعض العلماء بالبحث في هذه الحقيقة، فقال: أنّ هذه الحقيقة مفردة ليس معها شيء، فلا تخلو ما أنْ تكون جوهراً أو عرضاً فإنّها إنْ كانت جوهراً افتقرت إلى المكان الذي تحل فيه، فلا تستقل بالوجود دونه، فإنْ وجدت مع مكانها دفعة واحدة فلا أولية لها لأنهما اثنان، وإنْ كانت عرضاً ليست بجوهر، فالعرض لا كلام عليه إذْ لا وجود للعرض إلاّ قدر لمحة العين، ثم يزول، فأين الأولية التي قلتم؟ والجواب عن هذا المحط أنّها جوهر حقيقة له نسبتان نورانية وظلمانية، وكونه مفتقر إلى المحل لا يصح هذا التحديد لأنّ هذا التحديد يعتد به من تثبط عقله في مقام الأجسام، والتحقيق أنّ الله تعالىٰ قادر على أنْ يخلق هذه المخلوقات في غير محل تحل فيه، وكون العقل بقدر استحالة هذا الأمر بعدم الإمكان بوجود الأجسام بلا محل فإنّ تلك عادة أجراها الله تعالىٰ تثبط بها العقل، ولم يطلق سراحه في فضاء الخلائق، ولو أطلق سراحه في فضاء الحقائق لعلم أنّ الله تعالىٰ قادر على خلق العالم في غير محل، وحيث كان الأمر كذلك، فالله تعالىٰ خلق الحقيقة المحمدية جوهراً غير مفتقر إلى المحل ولا شك أنّ من كشف له عن الحقيقة الإلهية علم يقيناً قطعياً أنّ إيجاد العالم في غير محل ممكن إمكاناً صحيحاً، أما الحقيقة المحمدية، فهي في هذه المرتبة لا تعرف ولا تدرك، ولا مطمع لأحد في نيلها في هذا الميدان، ثم أستأثرت بألباس من الأنوار الإلهية واحتجبت بها عن الوجود، فهي في هذا الميدان تسمى روحاً بعد احتجابها بالألباس، وهذا غاية إدراك النبيين والمرسلين والأقطاب يصلون إلى هذا المحل ويقفون، ثم استأثرت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى وبها سميت عقلاً، ثم أستأثرت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى، فسميت بسببها قلباً ثم أستأثرت بألباس عن الأنوار الإلهية أخرى، فسميت بسببها نفساً ومن بعد هذا ظهر جسده الشريف ﷺ، فالأولياء مختلفون في الإدراك لهذه المراتب، فطائفة غاية إدراكهم نفسه ﷺ، وفي ذلك علوم وأسرار ومعارف، وطائفة فوقهم غاية إدراكهم قلبه ﷺ، ولهم في ذلك علوم وأسرار ومعارف أخرى، وطائفة فوقهم غاية إدراكهم عقله ﷺ ولهم في ذلك علوم وأسرار ومعارف أخرى، وطائفة وهم الأعلون بلغوا الغاية القصوىٰ في الإدراك، فأدركوا مقام روحه ﷺ فيه، وهو غاية ما يدرك ولا مطمع لأحد في درك الحقيقة ماهيتها التي خلقت فيها وفي هذا يقول أبو زيد: غصتُ لجة المعارف طالباً للوقوف على عين حقيقة النبي ﷺ، فإذا بيني وبينها ألف حجاب من نور، لو دنوت من الحجاب الأول لاحترقت به كما

تحترق الشعرة إذا ألقيتْ في النار، وكذا قال الشيخ مولانا عبد السلام في صلاته: وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق، ولا لاحق. وفي هذا يقول أويس القرني رضي الله عنه لسيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما لم تريا من رسول الله ﷺ إلا ظله قالا: ولا ابن أبي قحافة؟ قال: ولا ابن أبي قحافة، فلعله غاص لجة المعارف طالباً الوقوف على عين الحقيقة المحمدية فقيل له: هذا أمر عجز عنه أكابر الرسل والنبيين، فلا مطمع لغيرهم فيه، والسلام، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه؛ وقد قال الشيخ الأكبر في صلاته: الدرة البيضاء التي تكونت عنها الياقوتة الحمراء أراد بالدرة البيضاء ههنا هي الحقيقة المحمدية، والياقوتة الحمراء هي وجود العالم بأسره، وأمّا ما أشار الشيخ مولانا عبد القادر في قصيدته بقوله «على الدرة البيضاء كان اجتماعنا» هي الدرة الموجودة قبل خلق السموات والأرضين، فإذا بها سبحانه وتعالىٰ صيرها ماء، فاضطربت أمواج الماء ألف حقب في كل حقب ألف قرن في كل قرن ألف سنة في كل سنة ألف يوم في كل يوم ألف ساعة في كل ساعة مثل عمر الدنيا سبعين ألف مرة، فاجتمع في هذه المدة كوم من الزبد، فبسطها على وجه الماء، فصيرها أرضاً وخلق منها الطباق السبعة، ثم خلق السموات بعدها، فهذا هو المشار إليه بقول الشيخ رضي الله عنه: انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه. وقد قال سيدنا رضي الله عنه: أول ما خلق الله تعالىٰ روحه الشريفة، وهي الحقيقة المحمدية ﷺ، ثم بعد ذلك نسل الله منها أرواح الكائنات من روحه الشريفة الكريمة، وأمّا طينته التي هي جسده الشريف، فكوّن الله منها أجساد الملائكة والأنبياء والأقطاب وخمّر طينته الشريفة عليها من الله الصلاة والسلام بماء البقاء مدة قدرها، وهو أنْ تضرب الاسمين الشريفين، وهما سيدنا محمد ﷺ، وأحمد ﷺ تضرب عددهما في سبعة، والخارج في نفسه، ثم تضرب العدد كله في ألف عام كل فرد من هذه الأعداد في ألف عام، ثم كل يوم من أيام تلك السنين فيه ألف عام من سنين هذه، وهي أيام الرب وفي كل سنة من هذه ثلاثمائة ألف عام، وستون ألف عام، والخارج من هذه الضروب كلها وهو ألف ألف ألف ثلاث مراتب، وثلاثون ألف ألف ألف مرتبة، ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفاً هذا هو الخارج من الضروب كلها، وهذا الخارج كله يضرب في أيام الرب، والخارج هو ثلاثمائة ألف ألف ألف ألف أربع مراتب، وسبعون ألف ألف ألف ألف أربع مراتب، وإحدى وثمانون ألف ألف ألف ثلاث مراتب، فهذه هي مدة تخمير الطينة المحمدية الشريفة عليها من الله أفضل الصلاة والسلام انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

فائدة: في بيان تضعيف فضل الفاتح لما أغلق قال سيدنا رضي الله عنه: اعلم أنّك، إذا صليت بصلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة واحدة كانت بستمائة ألف صلاة من كل

صلاة وقعت في العالم من جميع الجن والإنس والملائكة، ثم إذا ذكرت الثانية كان فيها ما في الأولى، وصارت الأولى بستمائة ألف صلاة من صلاة الفاتح لما أغلق إذا ذكرت الثالثة كان فيها ما في الأولىٰ من الصلوات، ويزاد لها الفاتح لما أغلق ستمائة ألف مرتين، فهي إثنا عشر مائة ألف، ثم سر على هذا التضعيف إلى العشرة، ثم إلى مائة وواحدة كان في الواحدة ما في الأولى قبلها وفيها صلاة الفاتح لما أغلق ستمائة ألف متضاعفة مائة مرة، وذلك، ستون ألف ألف من الفاتح لما أغلق، وسرْ على هذا المنوال إلى ألف وواحدة، فيكون فيها ما في الأولى يعني من الألف، وفيها ستمائة من الفاتح لما أغلق ألف مرة متضاعفة، وذلك ستمائة ألف ألف، وهكذا على هذا المنوال وهذا الضابط، فإذا ذكرها في وقت السحر تكون كل واحدة منها بخمسمائة مرة، فإذا ذكرها ألفاً وواحد مثلاً كان في الواحد بعد ألف ثلاثمائة ألف ألف ألف ثلاث مراتب، وأما في الألف وواحدة، فيكون فيها مائة وخمسون ألف ألف ألف ألف أربعة مراتب، وأربعمائة وخمسون ألف ألف ألف ثلاثة مراتب، فهذا خاص بوقت السحر، وأما في غيره فهو وما ذكر أولاً من التضعيف السابق، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

وحدثني شيخنا رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ما صلَّى علي أحد بأفضل من صلاة الفاتح لما أغلق**»، وقال رضي الله عنه لو اجتمع أهل السموات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما فيهن على أنْ يصفوا ثواب الفاتح لما أغلق ما قدروا، انتهى ما سمعناه من لفظه رضي الله عنه في هذا الوقت، وأبرزه الحق على لسانه.

وقال رضي الله عنه: كل ما سمعتموه في فضل صلاة الفاتح لما أغلق، فهو بالنسبة لما هو مكتوم كنقطة في بحر سُبحان المُتفضل بهذا الخير العظيم على هذا الشيخ الكريم، ولنرجع إلى فضل الأوراد، فأقول: قال الله تعالىٰ في فضل الهيللة ﴿فأعلم أنّه لا إله إلاّ الله﴾ [محمد: الآية ١٩]، وفي الحديث عنه ﷺ قال: «**أفضلُ ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلاّ الله**»، وفضلها مشهور معلوم في الملة المحمدية، فلا نُطيل بذكره.

وأما السيفي فقد مر بعض فضله، وأمّا حزب البحر، فهو من إملاء رسول الله ﷺ على شيخ لطريقة والحقيقة مولانا أبي حسن الشاذلي رضي الله عنه، وقيل: أنّ فيه اسم الله العظيم الأعظم، وفيه خاصية التحصين في البر والبحر مع الإذن الصحيح منْ أربابه، وفيه كيفيات في قراءته وفي تحصينه، فمنْ أراده، فليطلبها منْ أربابها، ويأتي البيوت من أبوابها «**وأما الأسماء الإدريسية**»، فلها خواص عظام، وفضائل كثيرة، ومَنْ أرادها فعليه بمطالعة كتاب الجواهر الخمس لسيدي محمد الغوث مع شارحه سيدي محمد الشناوي رضي الله عنه، فقد ذكر فيها من الفضل الذي لا يحصره حد والعجب العجاب، فمنْ أرادها، فليطالعها في محالها مع الإذن الصحيح من أربابه.

وأما فضل فاتحة الكتاب فقد ورد في الحديث أنّها أعظم آي القرآن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم إلى غير ذلك مما ورد في فضلها من الأحاديث المشهورة، فمن أراد ذلك، فليطلبه في محاله، وأمّا ما أخبرنا به سيدنا رضي الله عنه في فضلها عن سيد الوجود ﷺ. قال رضي الله عنه: وأما الفاتحة، فقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أنّ فيها بكل مرة أجر ختمة من القرآن فقلت له ﷺ: أنه بلغني في بعض الأخبار أنّ من تلاها مرة، فكأنما سبح بكل تسبيح سبحة به جميع خلقه في كورة العالم، فهل يحصل فيها هذا الثواب كله؟ فقال لي ﷺ: فيها أكثر من ذلك ويحصل لتاليها في كل مرة بعدد حروفها، وحروف القرآن بكل حرف سبع قصور وسبع حور قلت: وقد قيل: إنّ حروف القرآن ثلاثمائة ألف، وإحدى وعشرون ألفاً، وخمسة وسبعون، فإذا ضربتها في سبعة وهي عدد الحور لكل حرف سبعة يخرج ألف ألف ومائتا ألف وسبع وأربعون ألفاً، وخمسمائة وخمسة وعشرون حوراء، وفي سورة القدر ثلاثمائة ألف وستون ألفاً لكونها فيها فضل صيام رمضان، وكل يوم منه باثني عشر ألفاً، إذا جمع هذا العدد مع الأول يكون ألفي ألف، وستمائة ألف وسبعة الآف، وخمسمائة وخمسة وعشرين فهذا في غير الصلاة، وأما في الصلاة، فيتضاعف مرتين إنْ صليّ جالساً وأربع مرات إنْ صلى قائماً، وهذا للفذ، فإذا قرأها في صلاة الجماعة، فيتضاعف بمائة وثمان مراتب، فإذا نظرت إلى عدد الركعات، وهي سبعة عشرة ركعة بين النهار والليل يصير ثمانية عشر مائة، وستة وثلاثين أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف، وهو ألفا ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر ومثله تسبيح العالم، ومثله قيام ليلة القدر ومثله عبادة سنين ومثله ختمات من القرآن، الحاصل من قرأها في صلاة الجماعة، فيعطى من الأجر في اليوم الواحد أربعة آلاف ألف ألف مرتبتان، وسبعمائة ألف ألف مرتبتان، وستة وثمانون ألف ألف مرتبتان، وثلاثة وستون ألفاً وتسعمائة حوراء من الأجر المتقدم من تسبيح العالم، وختمات القرآن إلى غيرها. قال الشيخ رضي الله عنه: وفي الحديث من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام له قراءة، ثم قال سيدنا رضي الله عنه: وهذا لمن فهم معنى التفسير، فيتضاعف له الأجر مرتين وهو مائتا حسنة لكل حرف، ثم قال سيدنا رضي الله عنه: ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة أعني قارىء الفاتحة مرة، ثم قال رضي الله عنه: وهذا في غير نية الاسم، وأمّا قراءة الفاتحة بنية الاسم، فلا يحيط بفضلها إلاّ الله، ولا يستعظم هذا في جنب الكريم جل جلاله، فإنّ فضل الله لا حد له والسلام.

ثم قال رضي الله عنه: قال لي سيد الوجود ﷺ: «**ويجاورني في عليين**» وهذا الثواب كله لمن تلاها مرة واحدة، وأمّا من تلاها وهو يعتقد أنّه يتلو الاسم الأعظم معها لكون حروف الاسم تامة فيها فإنّه يحصل في كل مرة ثواب تلاوة الاسم وثواب تلاوتها

وكل من تلاها، فقد تلاه معها وهذه الخاصية في الفاتحة فقط دون ما عداها من التلاوات التي كملت فيها حروف الاسم، واعلمْ أنّ من تلاها متعبداً لله من غير شعور بتلاوة الاسم معها كان له الثواب الأول، ومن تلاها معتقداً أنه يتلو الاسم معها لوجود كمال حروفه فيها كان له ثواب تلاوتها وتلاوة الاسم في كل مرة، لكن مع اعتقاده أنه الاسم الخاص بالذات العلية، وليس للذات العلية المنزهة غيره انتهى، فهذا ما أبرزه لنا رضي الله عنه.

وما هو مكتوم فيها فلا يعلم قدره إلا الله تعالى انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وأما فضل صلاة رفع الأعمال)، فقد ورد في بعض الآثار أنّ من صلى بها عشراً في الصباح، وعشراً في المساء رفع له مثل عمل أهل الأرض، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه، وأمّا اللهّم مغفرتك أوسع من ذنوبي إلخ، فهي من مكفرات الذنوب، وأما فضل وظيفة اليوم والليلة وهي: لا إله إلا الله والله أكبر إلخ، فمن ذكرها في الصباح ثلاثاً لا يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم، ومن ذكرها في المساء ثلاثاً كذلك لا يكتب عليه ذنب في تلك الليلة حتى يصبح انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

وأما فضل الدور الأعلى للشيخ الأكبر، فلم نطلع عليه إلا ما فيه من الحفظ والتحصين لقارئه، وأمّا استغفار الخضر عليه السلام، فقال سيدنا رضي الله عنه: من ذكره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فهذا هو المنسوب لسيدنا الخضر عليه السلام، وأما المسبعات العشرة، فقد قال الشيخ أبو عبد الله الخروبي الطرابلسي: هي من الأوراد العظيمة التي جرت عادة الصالحين، والعباد بها يقرؤونها، ويضيفونها إلى وظائفهم، وأورادهم قديماً وحديثاً غدوةً وعشيةً، ولم تزل الشيوخ رضي الله عنهم يأمرون إخوانهم، وأصحابهم بقراءتها، ويحضونهم عليها وقد أسند حديثها أبو طالب المكي في القوت عن كرز بن وبزة قال: وكان من الأبدال عن أخ له من أهل الشام عن إبراهيم التيمي عن الخضر عليه السلام عن النبي ﷺ، انتهى كلام الخروبي رحمه الله، ولنا فيها سند عالٍ غير هذا، وهو عن شيخنا وسندنا عن شيخه سيدي محمود الكردي عن الخضر عليه السلام مشافهة بالرواية المتقدمة هكذا أخذناها عن سيدنا، وأجازنا فيها رضي الله عنه، وهذا السند لم يوجد إلاّ من هذا الطريق.

وأمّا فضل أشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأنّ عيسى إلخ الحديث ففي البخاري عن عبادة بن الصامت عنه ﷺ **«من قال أشهد أنَّ لا إله إلاّ الله أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء على ما كان من العمل»**. وأما الأذكار التي بعد الصلاة، فالفاتحة تقدم فضلها، وآية الكرسي من ذكرها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، وأما سورة الإخلاص ففي الحديث الصحيح أنّ المرة الواحدة تعدل ثلاث ختمات من القرآن، وأما أعوذ بكلمات الله التامات إلى وهو السميع

العليم من قالها ثلاثاً في الصباح والمساء لم يضره، وأما فضل تباركت إلهي إلخ من قالها دبر كل عمل كان مقبولاً، ثم آية الكرسي تقدم فضلها، ثم لقد جاءكم رسول إلخ من ذكرها سبعاً في الصباح والمساء لم يمت ما دام يذكرها، ثم أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق تقدم فضلها، ثم حزب البحر تقدم فضله ثم يا من أظهر الجميل تقدم فضله، ثم الأسماء الإدريسية تقدم أيضاً ثم الإخلاص كذلك، ثم آية الكرسي، ثم آية الحرص، ثم السيّفي، ثم حزب البحر كذلك، ثم لا إله إلا الله يا دافع إلخ ثم الدعاء الذي ذكره أبو طالب المكي، وهو أنت الله لا إله إلا أنت إلخ فضله من ذكره كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون سيدنا محمد ﷺ وإبراهيم وموسى في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والأرضين ا.هـ.

وأمّا فضل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر إلخ من ذكره مرة واحدة يكتب عند الله من الذاكرين الله كثيراً أو يكون أفضل من ذكره بالليل والنهار، وينظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه وتحاتت عنه ذنوبه، ويكون له غرساً في الجنة، انتهى من إملائه رضي الله عنه وعلينا.

(وأمّا صفة المريد، وحاله، وما يقطعه عن أستاذه) فاعلم أنّا سألنا سيدنا رضي الله عنه عن مسائل من جملتها ذلك ونص السؤال: ساداتنا رضي الله عنكم، وأرضاكم ومتع المسلمين بطول بقائكم ومثواكم جوابكم عن مسائل منها ما حقيقة المريد الصادق، وخروجه من المقت اللاحق بوعد صادق وسلوكه، وتربيته قبل لقاء الشيخ الصادق، وإدامته على ما ينجيه من ربه بعزم صادق، فإذا من الله عليه بقرة عينيه، وكشف له الغطاء بأنّه كفيله ومربيه، فهل له إلقاء القياد إليه وتسليم نفسه بالكلية إليه واتباعه فيما أشار به عليه، ولا يخالفه لحظة فيما أمره به، وندبه إليه ولا يسأله ما الحكمة فيما أشار به عليه؟ فيما ظهر له في زعمه أنّه مخالف لشريعة نبيه أو يختبره، وينظر في الشواهد والدلائل التي لديه لئلا يغتر بالضالين المضلين الذين بين يديه، فإن قلنا سيدي بالتصديق من أول وهلة لادعائه المشيخة، والتربية والترقية والنظر والحال لرأينا ما يكذبه في الحال والمآل، وإنْ قلنا لا بد من الاختبار والامتحان خفنا على أنفسنا من الطرد والبعد من حضرة الملك الديان، وأي علامة للعارف وهو في أيام دهره في الملابس والمآكل والزخارف؛ بيّن لنا ما حقيقة الشيخ الكامل، والتلميذ الصادق الواصل بياناً شافياً، ونصاً من محله وافياً، وهل طلب الشيخ فرض عين على كل مسلم؟ فيجيب على كل فرد فرد أن يطلب من يوصله إلى الله تعالىٰ بعد تعليم الفرائض، أو هو خاص ببعض دون بعض، فإنْ قلنا بالوجوب على كل فرد فرد بين لنا ما وجهه، وإنْ قلنا: بتخصيص البعض دون البعض بين لنا أيضاً ما وجهه والسلام عائد عليكم ورحمة الله. فأجاب سيدنا رضي الله عنه: ونص الجواب: اعلم أيدك

الله بروحه أنّ المريد الصادق هو الذي عرف جلال الربوبية، وما لها من الحقوق في مرتبة الألوهية على كل مخلوق، وأنها مستوجبة من جميع عبيده دوام الدؤوب بالخضوع والتذلل إليه، والعكوف على محبته وتعظيمه، ودوام الانحياز إليه، وعكوف القلب عليه معرضاً عن كل ما سواه حباً، وإرادة، فلا غرض له ولا إرادة في شيء سواه لعلمه أن كل ما سواه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فلما عرف هذا، وعرف ما عليه من دوام العكوف على الانقطاع إلى الحضرة الإلهية، وعرف خسة نفسه وكثرة شؤمها وشرها، وأنّها في جميع توجهاتها مضادة لحضرة الألوهية، وأنّ جميع حظوظها ومرا داتها مناقضة للحقوق الربانية، وعرف ما فيها من التثبط عن النهوض بالقيام بحقوق الحق، ومعرفة ما يجب له تعالىٰ من الخدمة والأدب لما ألفته من الميل إلى الراحات والعكوف على الشهوات والانقطاع عن خالق الأرض والسموات، وأنّ جميع حظوظها لا تدور إلا في هذا الميدان، وعرف عجزه عن تقويم هذه النفس الأمارة بالسوء، وعن ردها إلىٰ الحضرة الإلهية منقطعة عن هواها وشهواتها، وعرف أنّه إنْ قام معها على هذا الحال استوجب من الله في العاجل والآجل من الغضب والمقت وشدة العذاب، والنكال المؤبد الخلود مما لا حد له ولا غاية، وارتعب قلبه ن هذا البلاء الذي وقع فيه والعلة المعضلة التي لا خروج له منها، فلا يمكنه المقام مع نفسه على ما هي فيه مما ذكر قبل استجابة الغضب، والمقت من الله ولا قدرة على نقل نفسه من مقرها الخبيث، إلى استيطان الحضرة الإلهية، فحين عرف هذا رجع بصدق، وعزم وجد واجتهاد في طلب الطبيب الذي يخلصه من هذه العلة المعضلة، ويدله على الدواء الذي يوجب كمال الشفاء والصحة فهذا هو المريد الصادق، وأمّا غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات المتقدمة فهو طالب لا غير قد يجد وقد لا يجد تعلقت نفسه بأمر فطلبه، وأمّا الأول فلمكان صدقه كان الشيخ أقرب إليه من طلبه، فإن عناية الحق به التي وهبته ذلك العلم المذكور هي التي تقوده إلى الشيخ الكامل وتلقيه في حضرة الشيخ الواصل، وتقلب له قلب الشيخ بالمحبة والتعظيم، فيقع الائتلاف بينهما والأدب، فينفتح باب الوصول لأن عناية الحق متى وقعت على أمر جذبته جذباً قوياً لا يمكن توقفه، ولو كان ما كان، فالذي يجب على المريد الصادق في الطلب مع كمال العلم المتقدم، وشدة الاهتمام بالأمر المطلوب وعماية القلب عن سوى مطلوبه فلا يشتغل بشيء سوى ما يريد، هذا هو الصدق المفيد وهو الذي يخرجه من المقت اللاحق، فالذي يجب على المريد قبل لقاء الشيخ أن يلازم الذكر والصلاة على النبي ﷺ بشدة حضور القلب في تأمل المعاني حسب الطاقة مع اعتقاده أنّه جالس بين يديه ﷺ مع دوام الإعراض عن كل ما يقدر عليه من هوى النفس وأغراضها، والسعي في كل ما يحببه إلى الله تعالىٰ من نوافل الخيرات، وهي

معروفة في الأوقات كوقت الضحىٰ، وقبل الظهر وبعده وقبل العصر وبعد المغرب، وبعد العشاء، وبعد النهوض من النوم وفي آخر الليل.

وليقلل من ذلك، ويجعل اهتمامه بالذكر والصلاة على النبي ﷺ أكثر من النوافل، فإنّ الذكر والصلاة على النبي ﷺ مفتاح أبواب الخير مع العزلة في وقت الذكر، وتقليل الغذاء والماء، واستعمال شيء من الصيام، والصمت إلى غير ذلك مما هو مسطر عند أهل الطريق، والحذر الحذر من كثرة التخليط في الأذكار وكثرة وتشعيب الفكر بين أقاويل المتصوفة، فإنّه ما اتبع ذلك أحد فأفلح قط، ولكن يجعل لنفسه ذكراً واحداً يهتم به ووجهه واحدة يهتم بها، وأصلاً ثابتاً يعول عليه من الطرق هذا سلوكه، وتربيته قبل لقاء الشيخ، ثم يسعىٰ في طلب الشيخ الكامل كما قال طمطم الطالب الصادق لا ينظر في غير مطلوبه الطالب لا يسعى في غير مطلوبه الطالب لا يهتم في غير مطلوبه، فهذه صفة المريد وأحواله، وأمّا ما يقطعه عن أستاذه فأمور، فقد قال سيدنا رضي الله عنه الأمور التي تكون سبباً لطرد المريد عن الشيخ منها الأغراض ومنها الاعتراض بالقلب واللسان، ومنها كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة، ومنها سقوط حرمته من القلب، فأمّا الأغراض سواء كانت دنيوية أو أخروية، وذلك أن الشيخ لا يصحب، ولا يعرف إلاّ لله عز وجل لا لشيء، وهي في أمرين يعني الصحبة، فإمّا أنْ يواليه الله تعالىٰ بأنْ يقول: هذا ولي الله، وأنا أواليه، وسر ذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله: «**من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب، وفي طيه من والي لى ولياً لأجل أنّه وليّ اصطفيته، واتخذته ولياً**» وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالىٰ، والأمر الثاني يعلم أنّ الشيخ من عبيد الحضرة، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب، وما يفسد المرء فيه من الأوطار والأرب، فإذا علم هذا يصحبه ليدله على الله وعلى ما يقربه إليه، والصحبة في هذين الأمرين لا غير ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة، فإذا عرفت هذا فاعرف أنْ الرب سبحانه وتعالىٰ يعبد لا لغرض بل لكونه إلهاً يستحق الألوهية والعبودية من ذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهية، وهذه هي العبادة العليا، وكذلك الشيخ يصحب لا لغرض بل لتجلبه موالاته إلى الله تعالىٰ، ويتعرف منه الآداب المرضية، وما يشين العبد في حضرة الله، وكل ما كان من متابعة الهوى، ولو كان محموداً، فهو شين على العبد في حضرة الله تعالىٰ، ولذا أمرت الشيوخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى في أقل قليل لأن المريد في وقت متابعة الهوى كافراً بالله صريحاً لا تلويحاً لكونه نصب نفسه إلهاً وعصى أمر الله خالقه، فهو يعبد غير الله تعالىٰ على الحقيقة ليس من الله في شيء وإنْ قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحال كذبت بل أنت مشرك، ومن هذا القبيل خرج قوله ﷺ ما تحت قبة السماء إله

يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع، فإذا عرف المريد هذا، فلا يغضب على الشيخ، ولا يتغير إذا لم يوافق هواه في غرضه فإن الشيخ أعرف بالمصالح وأدرى بوجوه المضار، والتلميذ جاهل بذلك، فإذا طلب منه غرضاً من أي فن كان، ولم يساعده الشيخ عليه، فليعلم أنّ الشيخ منعه منه لأجل مصلحته، ودفع مفسدته، فإذا عود نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طرد عن حضرة الله تعالىٰ، وانقطع عن الشيخ، فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغبره انقطع انقطاعاً كلياً لا رجوع له أصلاً، وأمّا الاعتراض بالقلب أو باللسان، فإنه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده، فلا يعترض شيئاً من أمور الشيخ فإنْ لم توافق ما عنده من ظاهر العلم أو باطنه، فليعلم أنّ هناك دقائق بين الشيخ وربه لا يدري بها التلميذ والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه، فإذا خالف صورة ظاهر الشرع، فليعلم أنّه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق، وأمّا كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ، فإنها من جهله بالله تعالىٰ ومراتبه الخلقية وذلك، أنّ الحق سبحانه وتعالىٰ تجلى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجل به في غيرها من المراتب، وذلك التجلي تارة يكون كمالاً في نسب الحكمة الإلهية، وتارة يكون صورته صورة نقص في نسب الحكمة الإلهية، ثم إنّ ذلك التجلي، وإنّ كانت صورته صورة النقص في نسب الحكمة الإلهية، فلا محيد لتلك المرتبة عن ظهور التجلي فيها بصورة ذلك النقص، لأن ذلك ناشىء عن المشيئة الربانية، وكل تعلقات المشيئة يستحيل تحولها لغير ما تعلقت به، فلا بد لكل عارف من ظهور النقص في ذاته، ثم إنّ ذلك النقص تارة يلابسه بصورة كمال للدقائق التي بينه وبين ربه، وتارة يلابسه متعمداً أنّه نقص، وليس له في هذه الملابسة إلا معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث أنّ لا محيد للعبد عنه، فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضي النقص إما شرعياً، وإما بما يخل بالمروءة، فليلاحظ هذه المعاني التي ذكرناها، وليعلم أنّ ذلك لا يخرج الشيخ عن حضرة ربه، ولا يزحزحه عن محل قربه ولا يحطه عن كمال أدبه، فإذا عرف هذا، فلا يرفض شيخه لظهور البشرية، وكل مريد يطلب مرتبة للحق يتعلق بها للقرب والوصول، يريد أنْ لا يظهر فيها نقص كان لسان حاله ينادي لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالىٰ لأنّ كل المراتب لا بد لها من نقص، فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحساً بريئاً من النقص بكل وجه، وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط لا ما عداها، وهي الرسالة لمن دخل حضرتها، والنبوة لمن دخل حضرتها، والقطبانية لمن دخل حضرتها، فإن هذه الثلاثة لا صورة للنقص فيها، والباقي من المراتب يظهر فيه النقص في الغالب، وقد لا يظهر فإنّ هذه المراتب الثلاثة، ولو ظهر للمرء فيها صورة نقص، فذلك

النقص هو غاية الكمال، وإنما يتنقصه المرء بجهله، وإليه يشير قوله ﷺ **«ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله فوالله أني لأعلمهم بالله، وأخشاهم له»** وأمّا سقوط حرمته، فهي أكبر قاطع عن الله، وسقوط الحرمة هي عدم ظهور المبالاة، إذا أمره أو نهاه، ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أنْ لا يشارك في محبته غيره، ولا في تعظيمه، ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه بقلبه، ويتأمل ذلك في شريعة نبيه ﷺ، فإن من ساوى رتبة نبيه ﷺ مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد، والانقطاع إليه بالقلب والتشريع، فهو عنوان على أنّه يموت كافراً إلاّ أنْ تدركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية.

فإذا عرفت هذا، فليكن المريد مع شيخه كما هو نبيه ﷺ في التعظيم، والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل به غيره في هذه الأمور، ولا يشارك غيره، ومن أكبر القواطع عن الله أنْ ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه لأن تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كل نور منها يحن إلى مركزه، وهي الحضرة الإلهية التي منها برز، وفيها نشأ، فلكل شيخ من أهل الله حضرة لا يشترك فيها مع غيره، فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور التي ذكرناها، ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرة الإلهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محله، وصورة ذلك في نسب الحكمة الإلهية أنّ الله قضىٰ في كتابه بنسبة كل واحد إلى أبيه قال تعالىٰ: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ [الأحزاب: الآية ٥]، فمن نسب نوراً إلى غير محله من الحضرة الإلهية، فقد أساء الأدب في حضرة الحق، وكذب على الله والحضرة لا تحتمل الكذب، فلذا يطرد، ويسلب، والعياذ بالله تعالىٰ، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه؛ وقد آن لنا أنْ نذكر هنا في هذا المحل أبياتاً من الرائية للإمام الشريشي رضي الله عنه لمناسبة ما ذكره سيدنا رضي الله عنه من الشروط، ونص الأبيات:

ولا تقد من قبل اعتقادك أنّه	مرب ولا أولى بها منه في العصرِ
فإنّ رقيب الالتفات لغيره	يقول المحبوب السراية لا تسرِ
وإنْ تسم نحو الفقر نفسك، فاطرح	هواها وجانبه مجانبة الشرِ
وضعها بحجر الشيخ طفلاً فما لها	خروج بلا فطم عن الحجر والحجرِ
ومن لم يكن سلب الإرادة وصفه	فلا يطمعن في شم رائحة الفقرِ
ولا تعترض يوماً عليه، فإنّه	كفيل بتشتيت المريد على هجرِ
ومن يعترض، والعلم عنه بمعزل	يرى النقص في عين الكمال، وما يدري
ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده	يظل من الإنكار في لهب الجمر

فذو العقل لا يرضى سواه وإنْ نأى ... عن الحق نائي الليل عن واضح الفجرِ
ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره ... ولا تملأن عينا من النظر الشزرِ
ولا تنطقن يوماً لديه، فإنْ دعا ... إليه فلا تعدل عن الكلم النزرِ
ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ... ولا تجهروا جهر الذي هو في قفرِ
ولا تقعدنّ قدامه متربعاً ... ولا بادياً رجلاً، فبادر إلى السترِ
ولا بسطاً، سجادة بحضوره ... فلا قصد إلا السعي للخادم البرِ
وسجادة الصوفيّ بيت سكونه ... ولا وكر إلا أنْ يطير عن الوكرِ
وفر إليه في المهمات كلها ... فإنك تلقى النصر في ذلك الفرِ
ولا تك ممن يحسن الفعل عنده ... فيفسد إلا أنْ يفر إلى الكرِ
ومن حل من صدق الإنابة منزلاً ... يرى العيب في أفعاله وهو مستترِ

ا. هـ ما أردنا كتبه من الرائية المباركة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الفصل الثالث: في معرفة حقيقة الشيخ الذي يتبع في سائر أقواله وأفعاله، وكيفية السماع لأهله، وما يفعله في أيامه، ولياليه، وأدعية شتى أجراها الله على لسان سيدنا في بعض أحيانه.

اعلم أنّ سيدنا رضي الله عنهُ سئل عن حقيقة الشيخ الواصل ما هو، فأجاب رضي الله عنه بقوله: أمّا حقيقة الشيخ الواصل، فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقينياً، فإن الأمر أوله محاضرة، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف، ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق، ثم مشاهدة، وهو تجلي الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصيه، ثم معاينة وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية، ولا بقاء للغير، والغيرية عيناً وأثراً وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء، فليس في هذا إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق.

فلم يبق إلا الله لا شيء غيره ... فما، ثم موصول، ولا ثم واصل

ثم حياة وهي تمييز المراتب بمعرفة جميع خصوصياتها، ومقتضياتها ولوازمها، وما تستحقه من كل شيء، ومن أي حضرة كل مرتبة، ولما وجدت وماذا يراد منها، وما يؤول إليه أمرها وهو مقام أحاطه العبد بعينه ومعرفته بجميع أسراره وخصوصياته، ومعرفته ما هي الحضرة الإلهية، وما هي عليه من العظمة والجلال والنعوت العلية، والكمال معرفة ذوقية، ومعاينة يقينية، وصاحب هذه المرتبة هو الذي تشق إليه المهامة في طلبه لكن مع هذه

الصفة فيه، كمال إذن الحق له سبحانه وتعالىٰ إذناً خاصاً في هداية عبيده وتوليته عليها بإرشادهم إلى الحضرة الإلهية، فهذا هو الشيخ الذي يستحق أنْ يطلب، وهو المراد بقوله ﷺ: لأبي جحيفة: «**صل العلماء، وخالط الحكماء، وأصحب الكبراء**»، وصاحب هذه المرتبة هو المعبر عنه بالكبير ومتى عثر المريد على من هذه صفته، فاللازم في حقه أنْ يلقي نفسه بين يديه، كالميت بين يدي غاسله لا اختيار له ولا إرادة، ولا إعطاء له ولا إفادة، وليجعل همته منه تخليصه من البلية التي أغرق فيها إلى كمال الصفاء بمطالعة الحضرة الإلهية بالإعراض عن كل ما سواها، ولينزه نفسه عن جميع الاختيارات والمرادات مما سوى هذا، ومتى أشار عليه بفعل أو أمر فليحذر من سؤاله بلم وكيف وعلام ولأي شيء، فإنه باب المقت والطرد، وليعتقد أنّ الشيخ أعرف بمصالحه منه وأيّ مدرجة أدرجه فيها، فإنه يجري به في ذلك كله ما هو الله بالله بإخراجه عن ظلمه نفسه وهواها.

وأمّا الشيخ الذي هذه صفته كيف يتصل به؟ وبماذا يعرف؟ فالجواب: أنّ الشيوخ المتصفين بهذا الأمر كثيرون، وأغلبهم في المدن الكبار، فإنها مقرهم، وأمّا معرفتهم والاتصال بهم، فإنه عسير أغرب وجوداً من الكبريت الأحمر لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم، ومن سألهم عن هذا الحال نفروه، وطردوه وحلفوا له ما عندهم من هذا الأمر شيء، والعلة الموجبة لهم لهذا أنّه قد فسد نظام الوجود بمشيئة الحق سبحانه وتعالىٰ التي لا منازع لها، وليس لكل آدمي إلاّ السعي في أغراضه وشهواته بالإعراض عن الحضرة الإلهية، وما تستحقه من توفية الحقوق والآداب، وليس للعامة في هذا الوقت من السعي للأولياء إلاّ لأغراض فاسدة يريدونها من التمتع بالدنيا ولذاتها وشهواتها والنجاة من المصاب، والعطف في هذه الدار مع إقامتهم وإصرارهم على الدواهي المهلكات العظام من الكبائر الفاحشة التي لا عقبى لصاحبها إلا دار البوار، وليس لهم عن هذا الميدان خروج، ولا لهم في الرجوع إلا الحضرة الإلهية ولوج، فلما عرف العارفون ما في العامة من هذا الأمر احتجبوا عن العامة، وطردوهم بكل وجه وبكل حال، وكان اقتضاء ذلك أنْ يسكنوا في البراري والقفار، وكان مراد الحق منهم أنْ يبقوا في وسط العامة، ويسكنوا في وسطهم لأمور أرادها الحق منهم سبحانه وتعالىٰ، وحكم بها عليهم، فلا منازع له في حكمه، ولم يجدوا مساغاً في الخروج عن العامة في البراري والقفار لما عليهم من حكم الله الذي لا خروج لهم عنه، ولا يجدون سبيلاً إلى إصلاح العامة، وردهم إلى الحضرة الإلهية فهم بمنزلة من أقيم بين جماعة الحمقاء يرمونه بالحجر، وكلف بالصبر والإقامة بينهم، فهم في عذاب، فلهذا احتجبوا عن العامة، وطردوهم بكل حال، وربما شم العامة روائح وصولهم من وراء الحجب، فنهضوا إلى التعلق بهم فيما يريدونه من أغراضهم، فخلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتاراً عن العامة بإظهار أمور من الزنا والكذب

الفاحش والخمر، وقتل النفس وغير ذلك من الدواهي التي تحكم على صاحبها أنّه في سخط الله وغضبه والأمور التي يقتحمها العارفون في هذا الميدان إنّما يظهرون صوراً من الغيب لا وجود لها في الخارج إنما هي تصورات خيالية يراها غيرهم حقيقية، فيفعلون في تلك الصور أموراً منكرة في الشرع، وهم في الحقيقة لم يفعلوا شيئاً، فاستتروا بذلك عن العامة حفظاً لمقامهم، وتحريراً لآدابهم، وإذا عرفت هذا، فقد اختلط الصادقون والكاذبون في هذا الميدان، ولا يعرف هذا من هذا من هذا، ولا حيلة لأحد في معرفة العارف الواصل أصلاً ورأساً، إلا في مسألة نادرة في غاية الندور وهو أنّ بعض الكمل ظهروا في مظاهر الصور الشرعية الكاملة، فمن ظهر بهذا المظهر، وادعىٰ المشيخة بالمعرفة فيه أنّه يعرف بدلالته على الله تعالىٰ، والرجوع إليه، والتزهيد في الدنيا وأهلها وعدم المبالاة بها وبوجودها مع ظهور صفة الفتح في غيره على يديه، فإن ظهر للمريد على هذه الصفة، فليلق نفسه إليه بمجرد اللقاء، والذي يجب على المُريد في حقه أنْ لا يلقي نفسه إليه حتى يتعرف تواتر أخباره من ثقات الواردين عليه، والمجاورين له، فإنّ ظهرت الصفة المعروفة عليه، فليصحبه وإلاّ فلا.

ومن رام الوصول إلى شيخ في هذا الوقت، ولم يجد حيلة في معرفته، وخاف من الوقوع في حبائل الكذابين، فعليه بالتوجه إلى الله بصدق لازم، وانحياز إليه بقلب دائم ودوام التضرع إليه والابتهال إليه في الكشف له عن الشيخ الواصل الذي يخرجه من هذه الغمة وأنْ بدله عليه وأن يوفقه لامتثال أمره حتى يقع في الغرق في لجج بحره، فلا حيلة له إلاّ هذا، وأكبر من ذلك وأولى وأنفع وأبلغ للوصول إلى المراد وأرفع، لمن لم يجد حيلة في العثور على الشيخ الكامل استغراق ما يطيق عليه من الأوقات في كثرة الصلاة على النبي ﷺ بالتأديب، والحضور وتوهم القلب أنّه جالس بين يديه ﷺ، وليداوم على ذلك، فإنّ من داوم على ذلك، وكان اهتمامه بالوصول إلى الله تعالىٰ اهتمام الظمآن بالماء أخذ الله بيده وجذبه إليه، إمّا أنْ يقيض له شيخاً كاملاً واصلاً يأخذ بيده، وإمّا أنْ يقيض له نبيه ﷺ يربيه، وإمّا أنْ يفتح له باب الوصول، ورفع الحجب بسبب ملازمته للصلاة على حبيبه ﷺ، فإنّها أعظم الوسائل إلى الله تعالىٰ في الوصول إليه، وما لازمها أحد قط في طلب الوصول إلى الله تعالىٰ، فخاب قط.

وأمّا السؤال عن الاختبار للشيخ ووزن أفعاله وأحواله، فلا يصلح وما تبع أحد ذلك فأفلح قط لأنّ ذلك مغلاق لأبواب الله تعالىٰ، فإنّ من أراد ذلك واتبعه في جميع الخلق أراه الله تعالىٰ صفة النقص في كل مخلوق، فلا يطمئن لأحد، وأمّا التصديق للشيخ فإنّه أمر إلهي يضعه الله في القلوب، فلا يقدر صاحبه على الانفكاك عنه، ولو رأى منه ألف معصية لكن إنْ كان المريد صادقاً، فثواب صدقه أنْ لا يرى من الشيخ إلاّ ما يطمئن به

قلبه، ولا يقع إلاّ على الشيخ الصادق، ومن كان خبيث السريرة وطلب، فلا يرى إلاّ ما ينكره وينقصه، ويوجب له النفور عنه والهروب.

وأمّا السؤال عن طلب الشيخ هل هو فرض على كل فرد أو على البعض دون البعض؟ وما السبب في كل، فالجواب إنّ طلب الشيخ في الشرع ليس بواجب وجوباً شرعياً يلزم من طلبه الثواب، ومن عدم طلبه العقاب، فليس في الشرع شيء من هذا، لكنه واجب من طريق النظر مثل الظمآن إذا احتاج إلى الماء وإنْ لم يطلبه هلك، فطلبه عليه لازم من طريق النظر وطريق النظر في هذا ما قدمناه من كون الناس خلقوا لعبادة الله والتوجه إلى الحضرة الإلهية بالإعراض عن كل ما سواها، وعلم المريد ما في نفسه من التثبط والتثبيط عن النهوض إلى الحضرة الإلهية، وعلم عجزه عن مقاومة نفسه بما يريده منها من الدخول في الحضرة الإلهية بتوفية الحقوق والآداب، وعلم أنّه لا ملجأ له من الله ولا منجا إن قام مع نفسه متبعاً لهواها معرضاً عن الله تعالىٰ، فإنّه بهذا النظر يجب عليه طلب الشيخ الكامل، وهذا الوجوب النظري أمر وضعي طبيعي ليس من نصوص الشرع إذ ليس في نصوص الشرع إلاّ وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالىٰ ظاهراً وباطناً على كل فرد فرد من جميع العباد ولا عذر لأحد في ترك ذلك من طريق الشرع، ولا عذر له في غلبة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه، فليس في الشرع إلاّ وجوب ذلك وتحريم ترك ذلك لوجوب العقاب عليه، فهذا ما كان في الشرع، ولا شيخ يجب طلبه إلاّ شيخ التعليم الذي يعلم كيفية الأمور الشرعية التي تطلب فعلها من العبد أمراً ونهياً وفعلاً وتركاً، فهذا الشيخ يجب طلبه على كل جاهل لا يسمع أحد تركه، وما وراء ذلك من الشيوخ لا يلزم طلبه من طريق الشرع لكنْ يجب طلبه من طريق النظر بمنزلة المريض الذي أعضلته العلة، وعجز عن الدواء من كل وجه، انعدمت الصحة في حقه، فنقول: إنْ شاء البقاء على هذا المرض بقي كذلك، وإنْ طلب الخروج إلى كمال الصحة قلنا له: يجب عليك الطبيب الماهر الذي له معرفة بالعلة وأصلها وبالدواء المزيل لها، وكيفية تناوله كماً وكيفاً ووقتاً وحالاً والسلام.

وأمّا السؤال عن السماع وحكمه واستعماله وكيفيته ومن يسمع وممن يسمع وعلى أي حالة يكون؟ وبأي كلام يكون؟ فالجواب الله الموفق بمنه وكرمه إلى الصواب: اعلم أنّ أمر السماع قد افترقت فيه أقاويل الشيوخ الكبار المتحققين بكمال المعرفة بالله العيانية الشهودية والتوحيد الخاص الذوقي، وكمال الهدى والتبري من جميع وجوه متابعة النفس والهوى، فمن قائل بإباحته مطلقاً من غير طلب فعل ولا طلب ترك، ومن قائل بتحريمه مطلقاً وذم فاعليه، ومن قائل بكراهته دون التحريم، ومن قائل بندبه وإيثار الميل إليه، ولا قائل بوجوبه؛ والفتوى فيه مفصلة في كتب التصوف، فلا نطيل بها ومن قائل بتفصيل الأمر فيه بين إيثار فعل وإيثار ترك، وتحريمه وكراهته وندبه، وإيثاره والميل إليه على حسب

عوارض الوقت، ودواعي الحال وكل ذلك مفصل في كتب التصوف، والأمر المحقق فيه في هذا الوقت إنْ ما كان خالياً من آلات الطرب، وما يشوش الفكر من ذكر القدود والخدود، والتشبب بالنسوان، وسماع أصواتهن وأصوات الشبان ذوي الجمال، فكل ما خرج من هذه الأمور وسلم من الصورة المحرمة شرعاً كاختلاط النساء والرجال، فالحكم فيه أنْ ينظر الشخص في حاله عند حضور سماعه، فإنْ وجد فيه زيادة في حاله أو تحريكاً لساكن همته إلى النهوض لطلب الحضرة الإلهية، أو للبعد عن المألوفات والعادات، والصور المهيئات والمحرمات، أو للتعلق بالله تعالىٰ، وتحريك شيء من محبته في القلب، فليلزم صاحب هذا الحال حضوره، وإيثاره ما لم يؤد إلى تعطيل أوراده، والخروج عن مراعاة أوقاته، فإنّه إنْ كان بهذا الحال، فضرره أكثر من نفعه، وإنْ وجد الشخص فيه فتور عزيمته، والميل إلى الراحات ورأىٰ نفسه ركنت إليه في هذا الباب بتقليل نهوضها إلى الحضرة الإلهية، فصاحب هذا الحال لا يحل له حضوره، والإلمام به، وإنْ كان حال الشخص في حضوره لا زيادة ولا نقص من كل ما ذكرنا إلاّ التمتع بالأصوات لمطربة والألحان المعجبة، فالحكم في هذا الإباحة إنْ شاء حضره وإنْ شاء تركه، وما كان من أصوات الشبان ذوي الجمال والنسوان فسماعه محرم أو كالمحرم للكل، ولو رأى منه زيادة في حالة من الأمور التي ذكرناها، فإنّ الولوع بذلك مع رؤية ظهور الزيادة في الحال كالذي يشرب عسلاً مخبأ فيه سم ساعة، فإنّه يقتله من حيث لا يدريه، وأمّا ما خرج من هذا، وكان فيه شيء من آلات الطرب، فإنّه يحق على العاقل اجتنابه إلاّ أنْ يكون بحضرة شيخ واصل كامل فإنّه إنْ كان بهذه المثابة، فيستحب حضوره لأن السماع بآلات الطرب وإنْ لم يتمكن ضرره، فسيعقب الفساد باطناً بمنزلة السحابة المفروح بها للسقي والأمطار، فيسقط منه على الثمار برد عظيم وصواعق فيفسد الثمر الذي كان ينتظر إصلاحه، إلاّ أنْ يكون بحضرة الشيخ الواصل الكامل فإنّ حضوره عاصم من الضرر والهلاك، وكل هذا الأمر في حق أصحاب الحجاب؛ وأمّا الغرقى في بحار الحقائق والتوحيد، فلا يحكم عليهم بهذا الحكم لكن يتركون تحت حكم حالهم ومقامهم، فإنّ العارف في مقامه يفعل ما يقتضيه بنص أو تصريح أو إشارةٍ أو تلويحٍ، غير ملتفتٍ لمن ينكر عليه أو يندبه، فإنْ أعطاه مقامه حضور السماع وإيثاره ترك على حاله ولا ينكر عيه، لأنّه أعرف بمصالحه وعلله، وإنْ أعطاه مقامه الهروب عنه والنفور فليس لأحد أن يندبه إليه ولا أنْ يحثه على حضوره، فإنّ الأحوال في المعارف مختلفة والأذواق متباينة، وفوائد المراتب وفيوضاتها وفتوحاتها غير ملتئمة ولا متشابهة، فكم من صاحب مقام يتضرر بالسماع بأدنى لمة من حضوره، ويكون ذلك عليه أشد من سم ساعة في قتل الأجسام الكثيفة، وكم من عارف يفاض عليه في حضوره بالسماع من الحضرة القدسية

من فيوض الأحوال والمعارف، فيرتقىٰ به من المقامات ما لا يرتقيه بالعبادة وصفاء الأوقات في مائة ألف عام من المقامات، فهذا تفصيل الحكم في العارفين رضي الله عنهم، وكل واحد له ذوق ومقام وحال، والفطر مختلفة والمباني غير مؤتلفة، فإنّ لكل مقام مقالاً ولكل ذوق ووجد رجالاً، ولكل وقت حكم يخصه، ولكل حال وقت يبسطه، فالواقع من هذا أنّ العارف بالله في حضور السماع بحكم وقته ومقامه وحاله وذوقه ووجده، فلا يعترض عليه لا في الحضور ولا في الترك، وأما أصحاب الحجاب فقد سبق تفصيل الحكم فيهم.

(وأمّا قول السائل) إذا أمر به الشيخ بعض أصحابه، أو فعله في نفسه خاصة ولم يأمر به أصحابه، هل لهم بعد موته أنْ يفعلوه؟ ويزيدوا فيه برأيهم أم لا؟ فالجواب في هذا: أنْ يجري القانون فيه على حكم ما تقدم لأصحاب الحجاب، وأصحاب المعارف، فمن كان منهم من العارفين جرى على منوال ما تقدم أولاً، وما كان من أصحاب الحجاب جرى على التفصيل الذي ذكر أولاً، وأما ما ذكر في السماع من أثره حضوره لصاحبه الذي وجد به الزيادة في حاله مع حفظ أوقاته وأوراده، وقلنا: بأثره وحضوره له، فليكن ذلك مع ذوي المواثيق والعهود الراسخين في حفظ الحدود من تكتل أمر التقوى والاستقامة الذين يقصدون السماع قصداً صحيحاً لله وفي الله فهذا وجه حضور، وأمّا السماع المعهود اليوم في فقراء الوقت، فإن صاحبه الهلاك أقرب إليه من نجاته، ونفعه أبعد من عطبه، وكان العطب أقرب إليه من شراك فعله، فالحذر الحذر من حضور السماع مع هؤلاء لكونهم لا عهد لهم ولا ذمة، ولا وقوف على الحدود، ولا مراعاة لهم لحفظ أمر الله، فهؤلاء لا يحضر معهم للسماع، لأنّ المريد الصادق إذا حضر معهم كسته أحوالهم فوقع فيما هم فيه من التخليط والفساد والعصيان والفسوق، وطرد عن باب الله أي طرد والسلام، انتهى ما أملاه علينا شيخنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وأمّا) الأدعية التي أجراها الله على لسانه، ونصها: بسم الله الرحمٰن الرحيم اللّهم إنّي أسألك أنْ تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله عدد ما في علمك، وأنْ تعطيني وتعطي فلاناً كذا وكذا جمعاً أو أفراداً من كل ما شئت من ابتداء خلقك إلى انتهاء يوم القيامة في كل مقدار طرفة عين لكل واحد على انفراده عشرين فيضة من رضاك، وأنْ تعطي كل واحد في كل فيضة أوفر حظ ونصيب من كل خير سألك منه سيدنا محمد نبيك ورسولك ﷺ، ما علمت من ذلك وما لم أعلم من خيرات الدنيا والآخرة، والنجاة من كل شرٍ استعاذك منه سيدنا محمد نبيك ورسولك ﷺ، ما علمت من ذلك وما لم أعلم من شرور الدنيا والآخرة، ومغفرة جميع ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر في الدنيا والآخرة، وأداء جميع تبعاتنا من خزائن فضلك وكرمك لا من حسناتنا، والذي في كل

فيضة غير الذي في الأخرى، وهذا كله الذي تقدم، وأسألك أنْ تطعيني وكل واحد منهم جميع ذا وذاك، وأنْ تجيبني وكل واحد منهم في جميع ذا وذاك بمحض فضلك وكرمك ا.هـ.

وهذا في غير عموم أهل التوحيد، وأمّا في عمومهم فتصل فيه إلى خيرات الدنيا والآخرة فقط، ولا تزد للنجاة، ثم تتمادى على الدعاء تقول: والذي في كل فيضة غير الذي في الأخرى، لأنّ الدعاء بما بقي لعموم أهل التوحيد دعاء بما علم أنّ الله لا يفعله، فهو كمن يسأل من الله النبوة والرسالة بعد نبينا ﷺ، فهو إذا لم يكن كافراً لم يبعد عن الكفر لأنّ الله عز وجل مضى حكمه بذلك، وأخبرنا به، وأنّ من سأل الله مناقضة ما مضى به حكمه كان داخلاً في الكفر به، لأنّه سأل من الله جوراً وهو قدوس عن الجور، فهو يريد من الله أنْ لا يكون قدوساً لكون ما مضى به حكمه هو عين العدل، ونقيضة عين الجور والسلام ا.هـ.

وهذا الدعاء فيه ثلاث مراتب مرتبة لجميع الموحدين، ومرتبة لنفس الداعي، ومن أراد تخصيصه مرتبة لجميع من أحسن إليه، أو بينهما محبة، أو له حق عليه، فمن أراد الدعاء بمرتبة من المراتب الثلاثة، فليركب لكل واحدة ما يناسبها من المطالب، فافهم كذا سمعته من الشيخ رضي الله عنه، انتهى من خط محبنا وسيدنا أبي عبد الله سيدي محمد بن المشري من إملاء سيدنا عليه.

(ومن أدعيته) رضي الله عنه مما أملاه علينا من حفظه ولفظه قوله رضي الله عنه: اللّهم اجذبني إليك قلباً وقالباً بجواذب عنايتك، وألبسني خلعة استغراق أوقاتي في الاشتغال بك واملأ قلبي وجوارحي بذكرك وحبك، والشوق إليك امتلاء لا يبقي فيّ متسعاً لغيرك، وأسقني كأس انقطاعي إليك بتكميل البراءة من غيرك، وعدم التفات قلبي لسواك، واجعلني بك لك قائماً وعنك آخذاً ومنك مستمعاً وإليك ناظراً وراجعاً، وعليك معولاً وفيك متحركاً وساكناً مطهراً بفيوض تجلياتك من جميع الحظوظ والبغايا، ومن جميع المساكنات والملاحظات لغيرك وحل بيني وبين النفس وهواها، والشيطان بسرادقات عصمتك لي منهم، وأدِمْ لي صفاء الوقوف بين يديك بك لك من حيث ترضني كما مثل أكابر الصديقين بين يديك، وحفني بجنود نصرك لي، وتأييدك لي وعونك لي بكمال توليك لي بعنايتك لي ومحبتك لي واصطفائك لي، وحل بيني وبين غيرك من أول الأمر إلى آخره حتى تميتني على ذلك، واجعلني في الدنيا والآخرة من أهل ولايتك الخاصة الكاملة الصرفة التي لا شائبة فيها لغيرك إنّك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، فمن أراد قراءة هذا الدعاء فليجعل ألفاً من الصلاة على رسول الله ﷺ في الصباح، وألفاً في المساء، وليدع بهذا الدعاء خلف كل ألف سبعاً،

ويهدي ثواب الصلاة لرسول الله ﷺ تعظيماً وإجلالاً لله ولرسوله ﷺ، ويكون ذلك بترتيل وحضور قلب قدر الاستطاعة وداوم على هذا مع لزوم الاعتزال والصمت، وتخفيف الأكل والشرب في غير إفراط ولا تفريط بحفظ قلبه من الجولان في أمر الدنيا والنساء والشهوات، ومن سخط المقدور ومن الجزع من كل ما لا يطابق الهوى في الوقت، فمن فعل هذا يرى من الأسرار والأنوار ما لا يدخل تحت حصر وبالله التوفيق، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومن أدعيته) رضي الله عنه لجميع المطالب ونصه: اللهم أنّي أسألك بما وارته حجب جلالك من سبحات وجهك التي لو ظهرت للوجود لتذكرك وانحرق وصار محض العدم نسألك بتلك السبحات وجلالتها وعظمتها، أنْ تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وأسألك أنْ تعطيني كذا وكذا ويسمي حاجته انتهى.

(ومن أدعيته) رضي الله عنه التي سألها من الله عز وجل، وهي مشتملة على جميع المقامات والمنازل والمواقف والحضرات والترقيات والأحوال والدرجات التي نالها العارفون الكمل، والأقطاب والأفراد، وأشير لك بشيء من أولها، لتعرف وتتحقق، ومع معرفة هذا السيد ووسعه وقدره عند الله، وما أعدّ الله له من كرامته وموهبته، ونصها: يا رب أسألك من فضلك بفضلك، وبجودك من جودك، وبكرمك من كرمك، وبمجدك من مجدك أنْ لا تميتني حتى تبلغني أقصى قطبية سيدي فلان، وأقصى قطبية سيدي فلان، وتمادى هكذا إلى أنْ عد جماعة من أكابر السلف رضي الله عنهم، أزيد من خمسين، ثم قال: وخلافة هؤلاء، وغوثيتهم، وفردانيتهم، وجامعيتهم في كل ما جمعت جميع تلك القطبية، والخلافة من سائر العلوم الضرورية والنظرية والنقلية والكشفية واللدنية، وسائر المعارف معارف ذاتك وصفاتك، وجميع أسمائك وأفعالك، وجميع الأسرار والأنوار والأعمال والأحوال والمقامات والمنازلات والكسوفات والفتوحات واليقين والتوحيد والمشاهدة والمحبة والتخصيص، والأدب بين يديك، والفهم عنك، والفقه في دينك، وطوالع تجلياتك في جميع المطالع، والقيام بحقوق ربوبيتك، والاستغراق في شهود عظمتك وكبريائك، ودوام الذبول والذوبان من هيبتك، وسطو جلالك والخمود تحت عواطف رياح مقاديرك، وكمال القيام بك لك إسلاماً وإيماناً وإحساناً وعلماً وعملاً وحالاً ومنازلةً ومقاماً وتحققاً وتخلقاً؛ حاصل الأمر أن لا تميتني حتى تعطيني جميع ما أعطيتهم في جميع قطبانيتهم في حياتهم إلى مماتهم من كل ما ذكرته وما لم أذكره، من كل ما أحاط به علمك وأنْ تعطيني مع ذلك قطبية كل قطب من بعثته ﷺ إلى النفخ في الصور كائناً ما كان، وخلافة كل خليفة وغوثية كل غوث، وجامعية كل جامع، وفردية كل فرد من بعثته ﷺ إلى النفخ في الصور، وتمادى على هذا النمط إلى أنْ قال:

وتعطيني مع هذا القطبية جميع ما أعطيت لسيدنا طلحة وسيدنا الزبير، وتمادى إلى أنْ عد نحو الستين من أكابر الصحابة والتابعين ومن تبعهم، إلاّ أنّ العدد الأول ما ذكر فيه إلاّ من اشتهر بالقطبانية من الصحابة وغيرهم، ثم قال في هذا الثاني: بأنْ تجعلني وارثاً لجميع هؤلاء في جميع العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأعمال والأحوال، وتمادىٰ هكذا إلى أنْ ذكر أموراً كثيرة من هذا النمط، ثم قال: وأنْ تجعل مقامي في هذه القطبانية، والفردية والغوثية والخلافة والجامعية، في العظيم بحيث تتلاشى وتضمحل في جنبهم مقامات الأقطاب والأفراد والأغواث والخلفاء والجامعين وجميع العارفين من المحبين والمحبوبين، والسالكين والمجذوبين، وأنْ تجعل فتحي فيها في كل طرفة عين ولمحة على نسبة ليلة القدر من غيره، بل يزيد بألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف، وتمادى على هذه الألوف عداً كثيراً إلى أن عدّ كثيراً من هذه المراتب ثم قال: وأنْ تجعلني في هذه القطبية القطب الفرد الغوث الجامع الخليفة الأعظم الذي مدده من رسول الله ﷺ بلا واسطة والنائب عنك وعنه في جميع العوالم الذي له التصرف المطلق الشامل العام الكامل في جميع العوالم المستمد من سيدنا محمد ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وإسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل، والروح الذي هو سلطان جميع العوالم، وجميع الأكوان الذي نسبته في جميع أولياء عصره كالشمس في سائر الكواكب، وتمادىٰ على هذا المنوال إلى أن عدّ كثيراً من المطالب ثم قال: بعد هذا يا رب أنْ توصل على يدي إلى المعرفة كذا وكذا من الإنس والجن عدداً كثيراً ما طلبه أحد من أولياء الله تعالىٰ فيما سمعناه. وأمّا ما طلبه رضي الله عنه في الجنة من ملك وخدم وحور وقصور، ومن كل نوع من أنواع الجنات في جميع ما احتوت عليه من كل شيء ذكر في الجنة أو لم يذكر، وهو ممكن، طلب من هذا الأمر ما تقصر عنه العقول وتكل عنه الألسن، وكل نوع ذكر منه ألوفا مضروبة في نفسها إلى أنْ يحسب كل مرتبة مضروبة فيما فوقها إلى أنْ يصل عدداً من مراتب الألوف ما أظن أحداً يحصيه غيره رضي الله عنه، ثم أخبرنا أنّ كل ما طلبه من هذه المطالب فهو مضمون له أنْ يبلغه كله من سيد الوجود ﷺ، فلله الحمد والشكر، فهذا ما يمكن كتبه في هذا المجموع المبارك من ذكر مطالب سيدنا رضي الله عنه في إبتداء أمره، وأمّا الآن فهو متصف بما طلبه فلله الحمد والشكر، وأما مطالبه كلها فلم يسعنا ذكرها هنا لطولها، ولما احتوت عليه من الأمور التي لا ينبغي كشفها، وإنّما ذكرنا هذه النبذة تبركاً بها، ولتعلم قدر سيدنا رضي الله عنه، وما هو عليه من الكمال والتحقق بمقام القطبانية العظمى والسلام.

(ومن أدعينه) رضي الله عنه مما أملاه علينا ونصه رضي الله عنه: اللّهم حققني بك تحقيقاً يسقط النسب والرتب والتعينات والتعقلات والاعتبارات والتوهمات، والتخيلات

حيث لا أين ولا كهف ولا رسم ولا علم ولا وصف ولا مساكنة، ولا ملاحظة، مستغرقاً فيك بمحق الغير والغيرية بتحقيقي بك من حيث أنت بما أنت وكيف أنت؟ حيث لا حس ولا اعتبار إلا أنت بك لك عنك منك لأكون لك خالصاً، وبك قائماً، وإليك آيباً، وفيك ذاهباً، بإسقاط الضمائر والإضافات، واجعلني في جميع ذلك مصوناً بعنايتك بي، وتوليك لي، واصطفائك لي، ونصرك لي آمين أربعين مرة متوالية أو موزعة على الأوقات، وهذا الدعاء للمنقطعين إلى الله تعالىٰ، من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومن أدعيته) رضي الله عنه حزب التضرع والابتهال وقرع باب الكريم المتعال قال رضي الله عنه: تقرأ الفاتحة بعد البسملة والتعوذ مرة، ثم صلاة الفاتح لما أغلق إلخ... مرة، ثم تقول: إلهي وسيدي ومولاي هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه، وعصيانه وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه، حالي لا يخفىٰ عليك، وهذا جلي ظاهر بين يديك، ولا عذر لي فأبديه لديك، ولا حجة لي في دفع ما ارتكبته من مناهيك وعدم طاعتك، وقد ارتكبت ما ارتكبته غير جاهل بعظمتك وجلالك وسطوة كبريائك، ولا غافل عن شدة عقابك وعذابك، لقد علمت أنّي متعرض بذلك لسخطك وغضبك، ولست في ذلك مضاداً لك ولا معانداً، ولا متصاغراً لعظمتك وجلالك، ولا متهاوناً بعزك وكبريائك، ولكنْ غلبت عليَّ شقوتي، وأحدقت بي شهوتي فارتكبت ما ارتكبته عجزاً عن مدافعة شهوتي فحجتك عليّ ظاهرة، وحكمك فيّ نافذ، وليس لضعفي من ينصرني منك غيرك، وأنت العفو الكريم والبر الرحيم الذي لا تخيّب سائلاً ولا ترد قاصداً، وأنا متذلل لك متضرع لجلالك مستمطر جودك ونوالك مستعطفاً لعفوك ورحمتك، فأسألك بم أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك ومجدك، وبمرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك، أنْ ترحم ذلي وفقري وتبسط رداء عفوك وحلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساوىء والمخالفات وعلى كل ما فرطت فيه من حقوقك، فإنّك أكرم من وقف ببابه السائلون، وأنت أوسع مجداً وفضلاً من جميع من مدت إليه أيدي الفقراء المحتاجين، وكرمك أوسع، ومجدك أكبر، وأعظم من أن يمد إليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه، فترده خائباً، فاغفر لي وارحمني وأعفُ عني فإنّما سألتك من حيث أنت لاتصافك بعلو الكرم والمجد وعلو العفو والحلم والحمد، إلهي لو كان سؤالي من حيث أنا لم أتوجه إليك، ولم أقف ببابك لعلمي بما أنا عليه من كثرة المساوىء والمخالفات، فلم يكن جزائي في ذلك إلا الطرد واللعن والبعد، ولكنْ سألتك من حيث أنت معتمداً على ما أنت عليه من صفة المجد والكرم والعفو والحلم ولما وصفت به نفسك من الحياء على لسان رسولك ﷺ أنْ تمد إليك يد فقير، فتردها صفراً وإنّ ذنوبي وإنْ عظمت وأربت على الحصر والعد، فلا نسبة لها في سعة كرمك

وعفوك، ولا تكون نسبتها في كرمك مقدار ما تبلغ همة من عظمة كورة العالم، فبحق كرمك ومجدك وعفوك وحلمك اللواتي جعلتها وسيلة في استمطاري لعفوك، وغفرانك، اعفُ عني واغفر لي بفضلك وعفوك، وإن كنت لست أهلاً لذلك فأنت أهل أنْ تعفو عمن ليس أهلاً لعفوك وكرمك فأنت أهل أن تمحو في كل طرفة عين جميع ما لمخلوقاتك من جميع المعاصي والذنوب يا مجيد يا كريم يا عفو يا رحيم يا ذا الفضل والطول الجسيم ا.هـ.

ثم صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة (ثم قال رضي الله عنه): وأكدّ التوجه به الثلث الأخير من الليل، فإنّه وقت يبعد فيه الرد من الله تعالىٰ، وينبغي أنْ يدعو به في أوقات الإجابة المعلومة، وأجاز رضي الله عنه كل من يحسن القراءة من أصحابه، انتهى، وما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه بمجلس واحد بدار الصلاة بأبي سمخون، وأجازنا فيه، وكتب لنا بخطه في هذا المحل رضي الله عنه وأرضاه ومتعنا برضاه آمين، وينبغي لمن دعا بهذا الدعاء أنْ يجمع همته، فقد قال سيدنا رضي الله عنه: همة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت في طلب ذلك المطلوب على الجادة المستقيمة بحيث أنْ لا ينالها في طلبها سآمة، ولا رجوع عن المطلوب، ولا تصعب عليه صعوبة طلبه، ولم ينلها شك ولا تردد بل باعتقاد جازم أنْ تناله أو تموت في طلبه اتصلت بمطلوبها، ولو كان وراء العرش، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه، وله أدعية غير هذه، فلا نطيل بذكرها لأنّها طويلة جداً، ومن أرادها، فليبحث عنها في محالها وقد ختمنا هذا الباب بهذه الأدعية المباركة رجاء من الله أنْ يهب لنا فضلها آمين.

الباب الخامس

في ذكر أجوبته عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وفي ذكر رسائله وكلامه وإشاراته، وما سمعته من فيوض علومه وأسراره وتقريراته، وفيه فصول وفروع وأصول وهذا الباب هو لب اللباب وعليه مدار هذا الكتاب.

(لا خفاء) أن سيدنا وشيخنا أبا العباس مولانا أحمد التجاني الحسني رضي الله عنه ممن أوتي التحقيق، وأعطي كمال المعرفة بهذا الطريق، وخاض من بحر المعارف لججه، وركب منه ثبجه حتى صار فيه إماماً راسخاً، وطوداً شامخاً باعه فيه عريض، ومجلسه من روض أريض، حوى من اللطائف حدائق ذات بهجة، واستوعب كيفية السلوك نهجه، واشتمل على دقائق الأسرار العرفانية، وغوامض العلوم الربانية، والحقائق العلية، والأذواق السّنية، فإذا تكلم في آية أو حديث سحر الألباب وأتى بالعجب العجاب، وإذا وعظ أثر كلامه ونفذت سهامه، وإذا أرشد إلى مولاه أفاد، وأخذ بمجامع اللب والفؤاد، وانطاع له القلب وانقاد، كلامه هدىً ونوراً وشفاءً للصدور له الإشارات العليا، والعبارات السمية يقرب البعيد للإفهام، ويفحم بالحجة الواضحة أكابر الأعلام، بليغ الخطاب مصيب للصواب لا تعوزه عن مراده عبارة ولا تنبهم عن السامعين منه إشارة، كل يحسب الكلام صادقاً عليه، ومتوجهاً إليه ينطق بجوامع الكلم وبدائع الحكم، ويدل على الله أبداً ويجمع عليه، ويدعو بالحكمة والموعظة الحسنة إليه، يؤيد كلامه بالكتاب والسنة، ويجلي بنورهما كل دجنةٍ، وإذا حضر مجلسه أهل العلم لا يخلون منه غالباً أظهر لهم ما خفي منها عليهم، وأشدهم ما كان غائباً يتكلم في طريق القوم مما يبهر العقول من جواهر الحكم الوهبية لا من جواهر النقول، فيتكلم على المحبة والحب والمحبوب والسلوك والجذب والفناء والبقاء، وعلى عالم الملك والملكوت والجبروت وعالم الروح، وعلى الكشف الأكبر والأصغر، وعلى أسرار أسماء الله الحسنى والصفات العلى وعلى الاسم الأعظم وأسراره، وما احتوى عليه من العلوم وأنواره، وطريق معرفتها وآثارها ومؤثراتها وتعريفاتها ومقتضياتها وأحكامها ولوازمها، وما يراد منها وبها، وعلى أحوال القيامة ومواطنها، على طريقة أهل الكشف تارةً وتارةً بما ورد في الكتاب والسنة، وتارةً ينسب ذلك لبعض أكابر تستراً لحاله رضي الله عنه، ويتكلم على عيوب النفس، ودسائسها ورعوناتها، ويتكلم في ترك التدبر والاختيار ومنازعة الأقدار وفي شكر النعمة، وشهود الفعل من الله كما يعلم بعض ذلك مما تقدم في الباب قبل هذا.

وكلامه رضي الله عنه في هذا وغيره من المعارف والأذواق، لا يأتي عليه العدد العديد، ولا يفي به الكثير من الأوراق، ومجلس واحد من مجالسه لا تستوفي علومه، ولا تستقصي فهومه، ولكنّ المراد التقاط ما حضر، وجمع شيء مما سلف في بعض مجالسه وغيرهما يمكن مثلي رسمه جمعه وضمه، وله رضي الله عنه كلام بطريق الإشارة وغيرها على آيات عديدة من القرآن العظيم، وعلى كثير من الأحاديث النبوية والإشارات العلوية إن وافقت اللفظ، ولم تغير خطاباً ولا إعراباً مقبولة على ما حرر الأئمة الأقدمون والعارفون، وكما سلكه غير واحد من السادات الأئمة، وأعيان الصوفية كالورتجي وغيره من العلماء العاملين رضي الله عنهم، ونفعنا بهم وبذكرهم، وحشرنا في زمرتهم وأماتنا على نهجهم ومحبتهم وسنتهم إنّه ولي ذلك، والقادر عليه. وهذا الباب أعني باب الكلام أوسع من أنْ تستوفى أنواعه وفوائده، وتجمع مسائله وشوارده إذْ لم نزل نسمع من كلام سيدنا رضي الله عنه حكماً وفوائد ودرراً من المعارف وفرائد، ولكن النسيان مستول على الإنسان وما علق منه بالأذهان والأفهام إلاّ ما كثر سماعه وتكراره على ممر الليالي والأيام، ولو أفرد هذا الباب بالتصنيف لكان حقيقاً ولعلنا نتعرض له إنْ شاء الله في غير هذا الوقت في جزء مستقل إنْ وجدنا لذلك طريقاً، وقد حكينا بعض ما تقدم في غير هذا الباب بعضه بالمعنى، وجرينا فيما أوردنا على ذلك المبنى مع محاذاة عبارته ما أمكن، وإيرادها بعينها إنْ وافق اللسان لفظه المعين والحكاية بالمعنى أمر مألوف، وكذا الرواية برعاية شرطها المعروف، وقد أجازها للعارف أهل الحديث ورووا بها كلامه ﷺ في القديم والحديث، فما بالك بحديث من دونه فما زالوا لو يرتكبون فيه ذلك، ويستعملونه، ومنه بعض ما حكيناه عنه رضي الله عنه من أجل ما ذكرناه، أفاض الله علينا من بركاته، وخولنا من نفحاته، ونفعنا بعلومه وأسراره ومعارفه وأنواره، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الفصل الأول: في ذكر الآيات القرآنية على طريق أهل الإشارة الربانية

ولنقدم مقدمة قبل الكلام على الآيات في معنى قول أهل السنة رضي الله عنهم وأرضاهم، أنّ القرآن دال على كلام الله تعالىٰ، لتعلم بذلك معنى القرآن، ومعنى تلاوته، ومعنى الكلام الأزلي البارز من الذات العلية، قال شيخنا رضي الله عنه: أمّا قول أهل السنة رضي الله عنهم القرآن دال على كلام الله تعالىٰ فيه إطلاق تسامح، وإلاّ فوجه التحقيق في ذلك أنّ كلامك بالقرآن دال على مدلولات الكلام الأزلي، لا على عين الكلام الأزلي البارز من الذات، فإنّ ذلك لا تمكن الدلالة عليه، ولا وصول للخلق في تلاوة القرآن إلى القرآن إلاّ بهذه المثابة فقط، لا أنهم يصلون إلى النطق بالكلام البارز من الذات دون مدلولاته، فإن ذلك غير ممكن لبعد تغايرهما لأنّك إذا سمعت شخصاً قال: هذا الحائط

والفرس مثلاً فقلت أنت أيضاً مثل قوله هذا الحائط والفرس: فإنّه بالضرورة يعقل أنّ اللفظ البارز من ذاتك الدال على الحائط والفرس غير اللفظ البارز من ذات الشخص المتكلم بالحائط والفرس، وإنما اتحدت دلالتهما على الحائط والفرس واللفظان متغايران، فبان لك بهذا أنّ الكلام الذي تتلوه في القرآن ليس هو دالاً على المعنى القائم بذات الله تعالىٰ، ولا أنّه عين المعنى القائم بالذات العليا، وإنّما اتحدت دلالة لفظك بالقرآن، ودلالة المعنىٰ القائم بذات الله على المدلولات في الكلام، فأطلق عليه اسم القرآن من هذا الباب إذْ لم يكن لذلك سبيل إلاّ هذا، ومثاله قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ [المزمل: الآية ٥]، والمعقول في هذا الكلام هو الخلق، وهو إخراج الممكن من العدم إلى الوجود والله هو الاسم الدال على الذات المقدمة، والسموات والأرض هي الأجرام المعلومات، فإذا قرأت أنت خلق الله السموات والأرض بالحق، فإنّك تكلمت بكلام تكون دلالته مماثلة لمدلولات كلام الله تعالىٰ، وليس كلامك هو عين الكلام البارز من الذات المقدسة، ولا دال عليه، وإنّما هو دال على مدلولاته فأطلق عليه اسم القرآن، وذلك هو اللائق به، فإنّ اسم القرآن ما أطلق إلاّ على الكلام البارز من الخلق الدال على مدلولات كلام الله تعالىٰ، وليس اسم القرآن يطلق على المعنى البارز من الذات المقدسة، فإنّ ذلك لا يطلق عليه اسم القرآن، وإنما هي صفة قائمة بالذات العلية والقرآن لا يطلق إلاّ على تلفظنا بكلام الله تعالىٰ، وقراءتنا له، ويوضح لك هذا وهو أنّ علمك بالمعلومات ليس هو دالاً على علم الله، وإنّما هو دال على مدلولات علم الله، فمدلولات علمك هي مدلولات علم الله تعالىٰ، وعلمك هو علم الله تعالىٰ، فإنهما متغايران وهكذا في السمع والبصر وهكذا في الإرادة، فإنْ مدلولات إرادتك هي مدلولات إرادة الله تعالىٰ، وليست إرادتك عين إرادته ولا دالة عليها وخذ هذا المثال حتى في الكلام الأزلي، انتهى من إملائه رضي الله عنه.

ثم قال رضي الله عنه الكلام على التفضيل بين الصلاة على النبي ﷺ وبين تلاوة القرآن، أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي ﷺ وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس، كما هو معلوم في استقرآآت الشرع وأصوله شهدت به الآثار الصحيحة، وتفضيله من حيثيتين الحيثية الأولى: كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال، فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام، والحيثية الثانية: ما دل عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب وطرق الهدى ومكارم الأخلاق والأحكام الإلهية والأوصاف العلية التي لا يتصف بها إلاّ الربانيون، فهو في المرتبة أيضاً لا يوازيه كلام في الدلالة على هذه الأمور، ثم إنّ هاتين الحيثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيهما إلاّ عارف بالله فقد انكشف له بحار الحقائق فهو أبداً يسبح في لجحها، فصاحب هذه المرتبة هو الذي

يكون القرآن في حقه أفضل من جميع الأذكار والكلام لحوزه الفضيلتين لكونه يسمعه من الذات المقدسة سماعاً صريحاً في كل وقت، وإنّما ذلك في استغراقه وفنائه في الله تعالىٰ، والمرتبة الثانية في القرآن دون هذه وهي من عرف معاني القرآن ظاهراً وألقى سمعه عند تلاوته كأنّه يسمعه من الله يقصه عليه، ويتلوه عليه مع وفائه بالحدود فهذا أيضاً لاحق في الفضيلة بالمرتبة الأولى إلاّ أنّه دونها. والمرتبة الثالثة في تلاوة القرآن: رجل لا يعلم شيئاً من معانيه ليس له إلا سرد حروفه، ولا يعلم ماذا تدل عليه من العلوم والمعارف، فهذا إنْ كان مهتدياً كسائر الأعاجم الذين لا يعلمون معاني العربية إلاّ أنّه يعتقد أنّه كلام الله يلقي سمعه عند تلاوته معتقداً أن الله يتلوه عليه تلاوة لا يعلم معناها، فهذا لاحق في الفضل بين المرتبتين إلاّ أنّه منحط عنهما بكثير كثير بشرط أنْ يكون مهتدياً موفياً بالحدود والواجبات غير مخلٍ بشيء منهما. والمرتبة الرابعة رجل يتلو القرآن سواء علم معانيه أو لم يعلم إلاّ أنّه متجرىء على معصية الله غير متوقف عن شيء منها، فهذا لا يكون القرآن في حقه أفضل بل كل ما ازداد ذنباً، وتعاظم عليه الهلاك يشهد له قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ إلى قوله ﴿فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ [الكهف: الآية ٥٧] وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ إلى قوله ﴿ولهم عذاب عظيم﴾[البقرة: ٧] وقوله تعالىٰ: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل﴾[المائدة: ٦٨] وكل من يحفظ القرآن ولم يقم بحدوده، فقد اتخذه هزواً، قال الله تعالىٰ: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن﴾ إلى قوله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ [البقرة: الآية ٢٣١] وقوله ﷺ: «**ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويقولون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض الحديث**» أراد ﷺ أنّه يصدق عليهم الوعيد الذي في الآية قال تعالىٰ: ﴿فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ إلى قوله ﴿أشد العذاب﴾ [البقرة: الآية ٨٥] وقوله ﷺ: «**إنّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالماً لم ينفعه الله بعلمه**»وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ إلى قوله ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾[طه: ١٢٦] فمن ترك العمل بالقرآن، فقد نسيه، والوعيد ثابت عليه، فمثل هذا لا يكون القرآن في حقهم أفضل من الصلاة على النبي ﷺ، فأصحاب المراتب الثلاثة الأولى القرآن في حقهم أفضل من الصلاة على النبي ﷺ، وصاحب المرتبة الرابعة الصلاة على النبي ﷺ في حقه أفضل من القرآن، وبيان ذلك أنه يزداد من الله تعالىٰ بتلاوة القرآن طرداً ولعناً وبعداً إلا أنْ يكون صاحب مرتبة إلهية في الغيب مدخرة له في المعرفة بالله العيانية، فإنّه إنْ كان بهذه المثابة، وحاله في المرتبة الرابعة كما ذكرناه فتمحى جميع ذنوبه في الغيب، وتكتب جميع تلاوته حسنات لأجل المرتبة التي حصلت له من الله بطريق المحبوبية، فإنْ خلا عن هذه المرتبة فهو عند الله بين أمرين: إمّا أن يعامله بالعفو في الآخرة وعدم المؤاخذة

بالعذاب على ذنوبه لسبب من الأسباب المعلومة في الغفران وهي كثيرة، وإمّا أنْ يناقشه ربه الحساب في الآخرة ثم يقول: لنؤاخذنّك بها ذرة ذرة، فصاحب هذه المرتبة الصلاة على النبي ﷺ أفضل له من تلاوة القرآن لكونه الله يصلي عليه بكل صلاةٍ عشراً عشراً، وجميع العالم في كورة العالم عشراً عشراً لكل صلاة، فيفوز بذلك بالسعادة الأبدية فإنّ هذا الوعد من الله محقق الوقوع، وهذا واقع لكل مطيع وعاص، فكل من صلى عليه ربه صلت عليه الملائكة فهو من أهل السعادة، فصاحب هذا الحال يقع له الهلاك والشقاء بتلاوة القرآن، وتقع له السعادة والغفران بالصلاة على رسول الله ﷺ.

(فإن قلت) الثواب المرتب على تلاوة القرآن إنّما هو للقرآن فقط، دون التالي، وذلك حاصل في تلاوته حتى من الفاسق؛ (قلنا) الجواب في هذا الأمر محتمل أنّه يكتب له من تلاوة القرآن، لكن يظهر إبطاله من جهة أخرى وهو عدم علمه بالقرآن، فإنّ تلاوة القرآن مع عدم العمل هو المثل الذي ضربه الله تعالىٰ لأهل التوراة فقال: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[الجمعة: ٥] ومعلوم أنّ الحمار لا نفع له في حمل الأسفار على ظهره، وقوله: ثم لم يحملوها أي لم يعملوا بما فيها، وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوة أولئك يؤمنون﴾ [البقرة: الآية ١٢١]، به وحق تلاوته هو العمل بما فيه، ومن أعرض عنه بعدم العمل، فما تلاه حق تلاوته. ثم اعلم: أنّ الكلام في القرآن على وجهين الوجه الأول: هو ما عليه العامة وأحوالهم من الظلم وجزائه والتقريع والتوبيخ، وإسناد الفعل إلى المكلفين والغضب عليهم، وإيقاع الوعيد عليهم باللعنة والسخط والعذاب وإيقاع الحمد والثناء على القائمين بأمور الله منهم، وبسط الكلام على ثوابهم ودرجاتهم في الجنة وما يلاقون من الرضا من الله سبحانه وتعالىٰ إلى غير ذلك، فهذا ما في الطريق للعامة، وأمّا في طريق الخاصة فلا غاية له، فإذا عرف ذلك بان للعارف به أنّ ما في طريق العامة غطاء غطىٰ الله به أسرار القرآن، وتركت أسرار القرآن، ومذاقات أهل الخصوص من وراء أطوار الحس والعقل المدركين في أمر العامة، فيجب كتمه على كل من علمه إنْ لم يرد سبحانه وتعالىٰ إظهاره إلاّ للخاصة العليا من خلقه قيل: إنّ أبا يزيد باسطه الحق في بعض مباسطته قال له: يا عبد السوء لو أخبرت الناس بمساويك لرجموك بالحجارة، فقال له: وعزتك لو أخبرت الناس بما كشفت لي من سعة رحمتك لما عبدك أحد، فقال له: لا تفعل، فسكت، انتهى ما أملاه علينا شيخنا أبو العباس التجاني رضي الله عنه، وأرضاه.

(ثم قال) رضي الله عنه: القرآن هو أفضل الذكر لكن السلوك به على شرط أنْ يقدر التالي نفسه في نفسه أنّه يشهد نفسه في وقت التلاوة أنّ الرب سبحانه وهو الذي تعالىٰ يتلوه عليه وهو يسمع، فإنْ دام له هذا الحال واتصف به اتصل بالفناء التام، وتعالىٰ هو

باب الوصول إلى الله والسلام، انتهى من إملائه رضي الله عنه.(ثم اعلم) أنّ في الصلاة عليه ﷺ تكفل الله من صلى على حبيبه ﷺ أنْ يصلي عليه عشر مرات من تلك الصلوات التي من الله عز وجل على العبد لها سران، السر الأول: إنْ المصلي عليه ﷺ يجب على نبينا ﷺ مكافأته على من صلى عليه على قاعدة حكم الكرم عند الكريم إنّ الإحسان إلى الكريم لا يضيع الإحسان عند الكريم باطلاً فهو ﷺ بما اتصف من الكرم وجب عليه مكافأة من صلى عليه من هذه الحيثية.

فلما توجب عليه ﷺ هذا ناب الحق سبحانه وتعالىٰ عنه مكافأة من صلى عليه ﷺ على إحسانه أنْ يصلي عليه سبحانه وتعالىٰ بكل واحدة عشراً، والسر الثاني: أنّه سبحانه وتعالىٰ عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ ممن رآه سبحانه وتعالىٰ توجه إليه بالصلاة على حبيبه ﷺ اعتنى به، وأحبه لأجل تحببه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ﷺ، وكانت له تلك المحبة والعناية منه سبحانه وتعالىٰ، إذا ثابر على الصلاة عليه ﷺ لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة لأدخلها كلها سبحانه وتعالىٰ في بحر عفوه وفضله، وواجهه سبحانه وتعالىٰ في بلوغ أمله في الدار الآخرة بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالىٰ، وكان حكمه في الغيب كلما صعدت الملائكة إلى الله بصحيفة أعماله مملوءة بالسيآت يقول سبحانه وتعالىٰ للملائكة: إنّ له عناية بحبيبنا ﷺ فلا تكون سيآته كسيآت غيره، ولا تقع المؤاخذة عليه في سيآته كما تقع على غيره من أصحاب السيآت، فإذا عرفت هذه الحيثية عرفت أن الصلاة عليه ﷺ لمثل أهل هذا الوقت أفضل لهم من تلاوة القرآن من هذه الحيثية التي سمعتها فقط، لا أنها هي أرفع درجة من القرآن، فإن القرآن هو أفضل الدرجات في التقرب إلى الله تعالىٰ لكن لمن صفت أعماله وأحواله مع الله تعالىٰ، فيكون تاليه حينئذٍ من أكبر السابقين، وأعظم الفائزين برضا الله تعالىٰ ولا قدرة لأهل هذا الوقت على هذا، فإنّه يقع بهم من المقت بتلاوة القرآن ما لا تدركه العقول، فإنّ لله سبحانه وتعالىٰ غيرة على كتابه لكونه حضرة لقرب والتداني، فمن خالط كتابه وأساء الأدب معه طرده ومقته لكونه لم يعط الحضرة حقها، فإذا عرفت هذا عرفت النسبة بينه وبين الصلاة عليه ﷺ، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: الآية ٣١] (فأجاب) رضي الله عنه بما نصه: اعلم أنّ الكلام على محبة الحق سبحانه وتعالىٰ لعبيده، أما ما يعهده محبة المخلوقات التي هي شدة الميل والشغف بالشيء، حتى لا يجد عنه صبراً وشدة الاشتياق إلى المحبوب عند فقده والولوع به حتى يذهب عن عقله هائماً في حب المحبوب، فهذه كلها مستحيلة في حق الله سبحانه

وتعالىٰ لا يتأتى في ذاته العلية أنْ يطرأ فيها ميل أو شغف أو شَوق إذ هو في مرتبة ذاته جل وعلا في العلو الذاتي والكبرياء، والعز الكامل والجلال الذي لا يوصف ولا يكيف، وكل هذه الصفات العلية من حيث ما هي هي في الذات اقتضت أن لا يوجد شيء معه من الأكوان، لأن الكبرياء الذاتي والعز الذاتي والعلو الذاتي، والجلال الذاتي تقتضي كلها غيرة من وجود غيره سبحانه وتعالىٰ معه فضلاً أن يلتفت إليه بمحبة أو يلتويَ إليه بشوق لما هو عليه من الصفات المذكورة، وفيها يقول سبحانه وتعالىٰ: «كنت كنزاً لم أعرف» إذ هو في تلك الغيرة بوجود تلك الصفات يأنف من وجود غيره معه، ثم تنزل سبحانه وتعالىٰ بقوله: «فأحببت أنْ أعرف» وهذا التنزل منه ليس نزولاً عن المرتبة الأولى بل هو فيها أزلاً وأبداً، لكن اقتضت مشيئته سبحانه وتعالىٰ التي يستحيل نفي ما تعلقت به أن يوجد عالماً من الموجودات يتصرف فيه بإفاضة رحمته وعمومها وبظهور سطوات جلاله وعلوها وعبر عما تعلقت به هذه المشيئة هو التنزل، ثم قال: «فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فيَّ عرفوني»، وكان تنزله إليهم بحكم المشيئة اقتضى ذلك التنزل فيضاً من نقط جوده وكرمه التي ينتفع بها من وقعت عليه، ومن هذا الفيض حكم سبحانه وتعالىٰ واختلف حكمه سبحانه وتعالىٰ في وجوده، فطائفة شاء ترفيعهم وتعظيمهم وتمكينهم من الرتبة العليا والعلو والشرف والتعظيم، وهؤلاء هم النبيون والملائكة من شاء اختصاصه من عوالمه في هذه الرتبة، وطائفة قضى بترفيعهم وتعظيمهم وإعلائهم إلى رتب هي دون الأولى، وأهل هذه الرتبة هم الصديقون والأقطاب، ثم حكم برتب دونهم في الترفيع والتعظيم وإفاضة الفضل والجود وفي هذه المرتبة عامة الأولياء على اختلاف مراتبهم، ومن شاء تخصيصهم مثلهم من العوالم ودونهم طوائف قضى بترفيعهم وإعلائهم إلى رتبة دون هذه الرتبة وفي هذه المرتبة طوائف الصالحين الذين قضىٰ لهم سبحانه وتعالىٰ بتوفية امتثال أمره واجتناب نهيه مع ضيق الحجاب وغمه، فهم دائماً يتقلبون في أطوار المجاهدات وضيق الأمر، لم يخرجوا إلى روح الأحوال واتساع المجال وإطلاق الأرواح في سراح الوجود الذي لا غاية له، لأن تلك مرتبة الأقطاب والصديقين، وطائفة دونهم في المرتبة قضى بترفيعهم وإعلائهم واصطفائهم أيضاً وهم عوام المؤمنين وهم الذين يقعون مع إيمانهم في مخالفة أمره، والكل قد اكتنفتهم مراتب التعظيم والإجلال، والكل مأواهم الجنة لكن مراتبهم مختلفة كما قلنا؛ وكل هذا تصرف المشيئة الإلهية واختصاصها لمن شاء سبحانه وتعالىٰ، وهذا التصرف بحكم المشيئة هو المعبر عنه بمحبة الحق لخلقه، وإنْ تباينت مراتبهم في المحبة لكن هي المحبة الخاصة منه، وأصحابها كما قلنا، إلاّ أنّ هناك أمراً دقيقاً صعب المرام لا مطمع للعقول والأفكار فيه اختص به المرسلين والصديقين، ومن وراءهم من عموم النبيين، وهو محبة ذاته العلية خالصاً لذاتها لا ليعود عليها منه شيء وهذا المطلب هو أقصى

المرامات كلها، فمن منحه سبحانه وتعالىٰ ذرة من هذا المطلب ارتفع به إلى الرتبة العليا في التعظيم والإجلال، ومن دون الصديقين لا حظ لهم في هذا الخطاب.

وهناك المحبة العامة منه سبحانه وتعالىٰ، وفي هذه المحبة جميع العوالم حتى الكفار، فإنّهم محبوبون عنده في حضرة قوله تعالىٰ: «فأحببت أنْ أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فيَّ عرفوني». لا تظن أنّ مخلوقاً أهمل من هذه المعرفة فإنّ الأرواح كلها أخلقت كاملة المعرفة بالله تعالىٰ، ولكن طرأ عليها الجهل بمخالطتها للجسم، فإنما لك الجهل بمنزلة الذي كان كامل العقل والعلم بالأمور فطرأت عليه مصيبة، فصار أحمق لا يميز شيئاً، فإنّ الجهل الذي وقع للأرواح ليس هو الأصل فيها، وإنّما الأصل فيها المعرفة بالله تعالىٰ من كل وجه ولعل المعارض يقول: فما بال أجسامهم جهلت بالله وهي داخلة تحت قوله: «فأحببت أنْ أعرف»، فالجواب: أنّ أجسام الكفار ليس فيها جهل بالله تعالىٰ وإنما لها إدراك وحدها خلاف إدراك الروح، وبذلك الإدراك صارت عارفة بالله تعالىٰ، فتسجد له وتسبحه، ولا علم لها بما للروح فيه من الشرك بالله قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وإنْ من شيء إلاّ يسبح بحمده﴾ [الإسراء: الآية ٤] فهي من جملة الأشياء التي تسبح الله تعالىٰ، وتسجد له، وإنّما مصيبة الشرك والجهل خاصة بالروح، وليست هي الأصل فيها بل هي مصيبة صرأت عليها قوله: «فتعرفت إليهم في عرفوني» معنى أن الكفار داخلون في هذه المعرفة لأنهم ما جهلوه في هذه المرتبة وهم داخلون في عموم هذه المحبة، وهذا الأمر فيهم هو الأصل الذي إليه المرجع وما طرأ عليهم من وراء ذلك بسبب الكفر من الذلة والإهانة والطرد والغضب والسخط وشدة العذاب، وتأييده فإنّما هي تلك عوارض طرأت على الأصل والأصل هي المحبة، فما خرجت الكفار عن محبته سبحانه وتعالىٰ، لكنّ المحبة العامة إذ الخاصة لا حظ لهم فيها التي مقتضاها الترفيع والإجلال، والمحبة العامة هم داخلون تحت حيطتها، وإليها مرجعهم ومآلهم من وجه لا يحل ذكره وما يعقله إلا الأكابر، ويترك ذلك تحت غطائه لا يذكر لأهل الظاهر لعدم قبول عقولهم له، وأطلع عليه الخاصة بالفيض الإلهي، ولقد غنا غنات من هذا الأمر الشيخ الأكبر والشيخ عبد لكريم الجيلي فقد وقع عليهم الخبط والصعق عقوبة لهم لما أبدوا من العلم المخزون؛ إلا أنّه جاء ما يدل على هذا في الظاهر في قوله ﷺ في سهيل بن عمرو، وكان من أشراف قريش، وكان خطيب العرب إذا تكلم حرك الساكن حين أخذه أسيراً يوم بدر قيل له: يا رسول الله انزع ثنيتي سهيل لا يقوم عليك خطيباً في موضع قال ﷺ: **«لا أمثل به فيمثل الله بي وإنْ كنت نبياً»** علم أنّه ما خرج عن محبة الحق، ولو كان كافراً إذْ لو لم يكن محبوباً عنده ما صحت عقوبة نبيه لأجله. وكذلك حين وجد عمه حمزة ممثلاً به قال ﷺ: **«لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بهم بثلاثين قتيلاً في حمزة»**

فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ عليه: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ إلى قوله ﴿للصابرين﴾ [النحل: الآية ١٢٦]، فدّل هذا على أنّهم في محبة الحق وإنْ كانوا كفاراً إذْ لولا ذلك ما نهىٰ نبيه ﷺ عن الزيادة في التمثيل، فهذان الحديثان يرمزان لما قلنا من العلم المخزون. قال أبو يزيد رضي الله عنه يوم باسطه الحق في حضرة قربه قال له: يا عبد السوء لو أظهرت مساويك للناس لرجموك بالحجارة قال هو: وعزتك لو أخبرت الناس بما كشفت لي من رحمتك ما عبدك منهم أحد اتكالاً على تلك الرحمة، قال له سبحانه وتعالىٰ: لا تفعل، قال له: فلا تفعل أنت.

وأما محبة الخلق لله سبحانه وتعالىٰ فهم فيها أيضاً على مراتب الأكابر الأعلون منحهم محبة ذاته سبحانه وتعالىٰ، فهم بها غرقى في بحار التوحيد لا يعرفون غير الله تعالىٰ، لا يلتفتون إلى سواه ولا عبرة عندهم بغير محبة واعتماداً والتجاء وافتقاراً وتهمماً ليس لهم في هذه الأمور إلاّ الله سبحانه وتعالىٰ لا يخطر في أسرارهم غير الله تعالىٰ، ودونهم في المحيط عامة الأولياء يحبون الله تعالىٰ لفضله ولما منحهم من جوده وكرمه، ومحبتهم مقتضاها الشكر وعلى هذه المحبة دلت الأنبياء جميع الخلق، قال سيدنا هود عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿واذكروا إذْ جعلكم خلفا﴾ إلى قوله ﴿لعلكم تفلحون﴾ [الأعراف: الآية ٦٩]، قال سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿واذكروا إذا جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ إلى قوله ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [الأعراف: الآية ٧٤]، وهكذا جميع الرسل ذكرت الخلق بما منحهم الحق سبحانه وتعالىٰ من نعمه وهذه المحبة مقتضاها الشكر وهي التي فيها يعمل العبد ليست كالمحبة الأولىٰ التي هي محبة الذات، فإنّ تلك لا تعمل للعبد فيها إنّما هي فيض من فيوض الحق تعالىٰ وفي هذه الرتبة جميع الأولياء.

والمحبة الثالثة: هي محبة الإيمان بالله تعالىٰ، وهي محبة جميع المؤمنين التي انتفى بها بغض الحق سبحانه وتعالىٰ، فما يتصور مع الإيمان بالله بغض له سبحانه وتعالىٰ والمحبة الرابعة العامة: وهي للكفار خاصة فإنّهم يحبون الله تعالىٰ محبة الألوهية لما هو عليه من كمال الألوهية وعمومها إلاّ أنّهم مختلفون في هذه المرتبة منهم من أحب الله تعالىٰ مع معرفتهم بألوهيته كاليهود مثلاً ومنهم من أحب الله تعالىٰ غلطاً منه بنسبة الألوهية لغيره، إلاّ أنّ الحق سبحانه وتعالىٰ تجلى لهم في تلك الألباس لكمال ألوهيته فأحبوه وعبدوه من حيث لا يشعرون فلولا أنهم تجلى لهم في تلك الألباس وجذبهم بذلك التجلي إلى محبة ألوهيته ما كانوا يلتفتون إلى تلك الأوثان، ولا أنْ يلموا بها فضلاً عن أنْ يعبدوها فهم محبون لله، عابدون له من حيث لا يشعرون، وهذه العبادة هي المعبر عنها بالسجود كرهاً، في الآية قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً، وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: الآية ١٥]، فكل عابد أو ساجد

لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا لله تعالىٰ لأنّه هو المتجلي في تلك الألباس، وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالىٰ وتعبده وتسبحه خائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالىٰ، ولو أنّها برزت لعبادة الخلق لها، وبرزت لها بدون تجليه فيها لتحطمت في أسرع من طرفة العين لغيرته سبحانه وتعالىٰ لنسبة الألوهية لغيره تعالىٰ، قال سبحانه وتعالىٰ لكليمه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ [طه: الآية ١٤]، والإله في اللغة هو المعبود: بالحق، وقوله لا إله إلاّ أنا يعني لا معبود غيري، وأنّ عبد الأوثان من عبدها فما عبدوا غيري، ولا توجهوا بالخضوع والتذلل لغيري بل أنا الإله المعبود فيهم هذا معنى قوله تعالىٰ: ﴿لا إله إلاّ أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥] على هذا المنوال يريد إياك أن تعتقد ما يعتقده الجهال من أنّهم يعبدون غيري، أو أنهم يتوجهون لغيري، فالمحبة لهؤلاء حافظة لهم لأنهم محبوبون عنده وتوجهوا إليه بهممهم، وما توجهوا لغيره سبحانه وتعالىٰ، فهذه الخلق لله تعالىٰ، فهي على مراتب بحسب مشاربهم محبة الذات ومحبة الآلاء.

ثم محبة الإيمان، ثم محبة الألوهية، هي التي فيها الكفار فهذه المراتب هي محبة الخلق لله تعالىٰ، ثم قوله تعالىٰ بأمره لنبيه ﷺ: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: الآية ٣١] وكل طائفة تبعته في المحبة على مقدارها، الذين لهم محبة الذات اتبعوه واقتدوا في الاتصاف بالأحوال العلية والأخلاق الإلهية والصفات القدسية التي لا تدرك إلاّ ذوقاً، ولا ينالها إلاّ أهل محبة الذات، وأهلها هم الصفوة العليا عند الله تعالىٰ، فهذا اقتداء الطائفة الأولىٰ به ﷺ: يحببكم الله في هذه المرتبة هو أنه يمنحهم الله سبحانه وتعالىٰ من تجلياته العيانية ومواهبه العرفانية وجذبهم إليه جذباً كلياً حتى لا يبقى فيهم بقية لغيره، أما ما يمنع هؤلاء من العطايا والمنح فلا يذكر ولا تدرك له غاية ولا يعرف له تقرير لقوله يحببكم الله»، وأما الطائفة الثانية الذين أحبوه لآلائه ونعمائه، ومقتضىٰ ذلك هو الشكر لله تعالىٰ فهؤلاء قتدوا به ﷺ، واتبعوه في مقام الشكر حيث قيل له في قيام الليل أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً؛ وقال ﷺ: **«أحبوا الله لما يغذيكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»** فدّل ﷺ كما دلت الأنبياء قبله على محبة الله تعالىٰ لآلائه ونعمائه، فهذا وجه الدلالة، ولم يدل على المحبة الأولى وهي محبة الذات لعلمه أنّ تلك موهبة من فيوض الحق سبحانه وتعالىٰ ليس للخلق فيها تعمل، فلذلك لم يدل عليها، وهكذا جميع الرسل ما دلت على المحبة الأولى لأنّها ليست من تعمل الخلق وقوله: «يحببكم الله» في هذه الطائفة فإنه يهبهم في الدار الآخرة من جزيل الثواب وعلو الدرجات ما لا تنتهي إليه الأفكار، إذْ يكون في بعض المؤمنين من له في الجنة من الحور ما يزيد على عدد الملائكة بأضعاف

مضاعفة، ولكل حوراء من الخدمة سبعون ألف جارية، ولكل حوراء قصر مخصوص بها في الجنة، وهذا للرجل الواحد من المؤمنين يهبه سبحانه وتعالىٰ شكراً لجزاء أعماله قال تعالىٰ: ﴿وسنجزي الشاكرين﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان: الآية ٢٠] وهذا معنى قوله تعالىٰ: ﴿يحببكم الله﴾ [آل عمران: الآية ٣١] محبة كل طائفة على قدر مرتبتها، وأمّا محبة أهل الإيمان، فقال سبحانه وتعالىٰ في حقهم: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾، إلى قوله تعالىٰ ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: الآية ٧٢]، فهذا معنى محبته لهم سبحانه وتعالىٰ وهؤلاء اتبعوه ﷺ في مرتبة الإيمان والمحافظة على بعض الفرائض، وإن وقعوا في بعض المخالفات، فما خرجوا عن متابعته ﷺ ومحبة الحق لهم هو ما جازاهم به في الجنة، وينتهون إلى رؤية وجهه الكريم، فهذا معنى قوله: ﴿يحببكم الله﴾[آل عمران: ٣١].

وأما الطائفة الرابعة: وهم الكفار فلا حظّ لهم في متابعته ﷺ ولا يتوجه لهم الخطاب يعني قوله: ﴿فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران: الآية ٣١] هو لأهل المراتب الثلاثة، وليس لأهل المرتبة الرابعة حظ من هذا الخطاب، وقولنا فيما تقدم وهم داخلون في عموم هذه المحبة «أي الكفار» إلى آخر العبارة يعارض هذا الذي ذكرناه أهل الظاهر في كونهم وقع النص على الكفار في كتاب الله أنّهم أعداء الله تعالىٰ بقوله: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: الآية ١] وقوله ذلك: جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد، والجواب عن هذا: أنّ الخلق جملةً وتفصيلاً على المشيئة الإلهية كان بروزهم، ما خرجت منهم ذرة عن هذا المنوال، وليست محبة الله في الوجود إلاّ تفصيل مشيئته،وتخصيصها وقد كنا قدما أنّ المحبة المعهودة في حق الخلق من شدة الولوع بالشيء وشدة التعشق وشدة الميل إلى الاتصال بالمطلوب، وما يتبع ذلك من الشغف والاحتراق بالشوق، كل ذلك مستحيل على ذات الله تعالىٰ أنْ يحل فيها هذا الأمر لقيام البراهين القطعية على نزاهة ذاته المقدسة على هذا المنوال، ويطول جلب تلك البراهين المانع في ذاته المقدسة عن هذا أمور: الأول من شدة الولوع بالشيء وشدة الشغف به وطلب الاتصال به أنّ الداعي لذلك هو الافتقار إلى ذلك الشيء المحبوب، وتحصيل المنفعة به ودفع المضرة به، والذات المقدسة غنية عن هذا إذْ هو الغني عن العالمين، فلا يحل بشيء من هذا.

والأمر الثاني: ما عليه ذاته المقدسة من العظمة والكبرياء والعز والجلال والعلو وكل هذه الصفات ذاتية، وكل هذه الصفات اقتضت لذاته العلية أنْ لا يوجد شيء معها فضلاً على أنْ يحتاج إلى شيء.

والأمر الثالث: نزاهة ذاته العلية عن تعاقب الأحوال عليها، فلا يطرأ عليها التغير في

لحظة من اللحظات بل هي على وصف قائم بها لا تنفك عنه ولا تتغير عنه بحال، ولذا يقول ﷺ في الحديث: «**أعوذ برضاك من سخطك**»، وأراد ﷺ بالرضا ما عليه ذاته المقدسة من الصفات الذاتية المتقدمة، وكمال الغنى فيها عن جميع العالمين، فإنّه وصف ذاتي لها وهو مستحيل الانتقال والزوال، ولذا استعاذ به ﷺ إذاً وكان يصح انتقاله وزواله لكنا نقول في بعض الأوقات: يوافق زوال ذلك الشيء منها فلا تكون مقيدة له لعدم وجود ما استعاذ به فيها، فلما كان مستحيل الزوال والانتقال استعاذ به ﷺ، ولما كان السخط من الله لا وجود له في ذاته إنّما هو من صفات الفعل لا من صفة الذات، فإن الذات في غاية الرضا على أبد الأبد في حق المؤمن والكافر، ولعل المعارض في هذا يقول، فما وقع في الأخبار من ذكر سخط الله تعالىٰ وغضبه في الآيات البينات كقوله تعالىٰ في قاتل النفس: ﴿وغضب الله عليه ولعنه﴾ [النساء: الآية ٩٣] يعني لقتله النفس بغير حق، وكقوله في حق الكافرين: ﴿إنّ الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً﴾ [الأحزاب: الآية ٦٤] وأمثال هذه الآية كثيرة؛ والجواب عن هذا أنّ تلك العقوبات منه سبحانه وتعالىٰ لم تكن لإشفاء غيظ، ولا للحوق حقد في ذاته أو غل فإنّ الذات المقدسة منزهة عن هذا، وإنما تلك كمالات ألوهيته، فالألوهية لها وصفان: وصف، هو لجنود الحق والنور والسعادة والوصف الثاني: جند الظلام، والباطل والشقاوة، فكلها كمالات ألوهيته سبحانه وتعالىٰ، وتعلقات مشيئته لا يخرج شيء عن هذا المنوال، وما أطلق في الكفار من العداوة والغضب والسخط، فإنما هي أحوال اقتضتها كمالات الألوهية تتعاقب عليها لا أنها أمور قائمة بذاته، فإنما هي من صفات الفعل فقط.

والأمر الرابع من أمور الذات المانع من شدة الميل إلى الخلق واستحالة مشابهتها للحوادث لو حل فيها ذلك الشوق والشغف والولوع بالشيء لماثلت الحوادث وصارت حادثة مثلها وهو محال، فتعين من هذا أنّ الذات مقدسة عن هذا كله لا يحب شيئاً ولا يبغض شيئاً فلم يبق إلاّ تصرف مشيئته، وتعلقها بالموجودات إذ كل ما تعلقت المشيئة به هو محبوب لأن المحبة هي عين الإرادة متى أحب الشيء أراد، والإرادة عين المشيئة، فإذا عرفت هذا عرفت أنّ كل ما في الكون محبوب لله تعالىٰ لأنّه مراده كافرهم ومؤمنهم إذْ لولا تعلق آرائه بهم ما أوجدهم، قال سبحانه وتعالىٰ لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام حين طلبه إهلاك قارون قال له: إني جعلت الأرض أنْ تطيعك فافعل بها ما تريد، فدخل عليه دار الذهب وحوله عظماء بني إسرائيل، ممن كان يعظمه لدنياه، فقال لهم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: «من كان لي فليخرج ومن كان لقارون فليثبت معه»، فخرج الناس كلهم متبرئين من قارون إلا قليلاً فقال عليه السلام: يا أرض خذيهم، وكان على كرسي عظيم من الذهب، فلما رأى الأرض أخذت تبتلع الكرسي، وكان الملعون عالماً

بالأمر ليس جاهلاً به على أنّ أمر الله لحقه كما لحق الكفار، فتاب فلم يجد للتوبة سبيلاً فقال له يا موسى ناشدتك الله والرحم، فلم يلتفت له ولا اكترث به، وهو يقول عليه السلام: «يا أرض خذيهم» حتى أكمل قارون سبعين مرة وهو يناشده بالله والرحم والكليم عليه السلام يقول يا أرض خذيهم، فعند كمال السبعين ابتلعته الأرض وغاب فيها بكرسيه، فإلى الآن يتجلجل فيها إلى قيام الساعة لا يبلغ قعرها إلى النفخ في الصور، فعاتب الله موسى عليه السلام عتاباً شديداً قال له سبحانه وتعالىٰ: يستغيث بك سبعين مرة فلم تغثه ولو استغاث بي مرة واحدة لأغثته، ثم قال الحق لموسى هل تدري لِمَ لَمْ ترحمه لأنّك لم تخلقه، ولو خلقته لرحمته، ثم قال له وعزتي وجلالي لا جعلت الأرض بعدك طوعاً لأحد، فوجه الشاهد قول الحق سبحانه، وتعالىٰ لموسى عليه السلام، «لأنّك لم تخلقه ولو خلقته لرحمته»، وقد روي أنّ قارون سمع يونس عليه السلام حين أُلقي في بطن الحوت وهو يستغيث فسأل قارون الملائكة الموكلين بعذابه أنْ يتركوه حتى يسأل سيدنا يونس عليه السلام، فتركوه فناداه يا يونس ما الذي بلغ بك إلى هذا الحال؟ قال عليه السلام ذنوبي قال له قارون: ارجع إلى مولاك في أول قدم تجده قال له يونس: فما لك أنت لم تتب إلى الله تعالىٰ قال له رجعت إلى الله تعالىٰ على قدم الصدق لكنّ توبتي وكلت إلى ابن خالتي موسى، فلم يقبلها، فدّل هذا على أن الخلق كلهم محبوبون لله تعالىٰ مؤمنهم وكافرهم وأيضاً لأجل أنّهم مظاهر ألوهيته سبحانه وتعالىٰ خلقهم ليظهر فيهم بكمالات الألوهية، ولذا يقول أهل الحقائق لم يخلق خلقاً عبثاً سبحانه وتعالىٰ، يريدون أنّه ليس ثم مخلوق لله تعالىٰ مجرد عن الفائدة لأنّهم مظاهر أحكامه وألوهيته، فبان لك بما قررناه أنّ الخلق كلهم محبوبون لله تعالىٰ، ولا يلتفت لأبحاث أهل الظاهر من قصور أفهامهم، فإنّ هذه من علوم العارفين ليس لأهل الظاهر فيها مجال، وقد استدل شيخنا رضي الله عنه فيما ذكره في شرح هذه الآية المتقدمة من أنّ الكفار داخلون تحت حيطه محبة الله تعالىٰ ورحمته بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦] قال رضي الله عنه معناه، فسأكتبها خالصة من العذاب للذين يتقون دلت الآية على أنّ خلق الله قسمان هنا وهناك قسم معذب مرحوم، وقسم مرحوم فقط لا عذاب عليه.

أما القسم المرحوم المعذب قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿عذابي أصيب به من أشاء، ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦] وأمّا الصنف الثاني: الذي هو مرحوم بلا عذاب، فقال سبحانه وتعالىٰ في حقهم: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦]، وما ورد في قوله تعالىٰ مما يناقض عموم الرحمة في قوله سبحانه وتعالى ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه، أولئك يئسوا من رحمتي، وأولئك لهم عذاب أليم﴾ [العنكبوت: الآية ٢٣]، فالرحمة في هذه الآية التي يئسوا منها هي الجنة فقط، فإنها محرمة على كل كافر، وليست الجنة هي غاية رحمة الله تعالىٰ، فإنّ رحمة الله تعالىٰ لا تحيط بها العقول، يرحم الكفار حيث يشاء، وقد ذكر بعض أهل الحقائق أنّ بعض أحوال الرحمة في أهل

النار من الكفار أنّهم يغمى عليهم في بعض الأوقات، فيكونون كالنائم لا يحسون بأليم العذاب، ثم تحضر بين أيديهم أنواع الثمار والمآكل، فيأكلون في غاية أغراضهم، ثم يفيقون من تلك السكرة، فيرجعون إلى العذاب، فهذا من جملة الرحمة التي تنال الكفار والسلام.

(تكميل لما تقدم) من تقسيم مراتب المحبة، وأهلها الذين سبقوا في صدر الآية، قال سيدنا رضي الله عنه: محبة الله على أربعة مراتب، الأولى: محبة الإيمان، وقد تقدم الكلام عليها، والثانية: محبة الآلاء والنعماء لخواص المؤمنين، وتقدم الكلام عليها أيضاً، والثالثة: محبة الصفات، وأهلها هم المسمون عند العامة بالأولياء وهم الأكثرون في النفع للعامة، والرابعة: هي محبة الذات، وأهلها هم الصديقون عند الصحو والبقاء، وقد تقدم الكلام عليها، وبقي الكلام على محبة الصفات التي هي مرتبة الأولياء، وأهلها دأبوا على خدمة الله تعالىٰ، والتوجه إليه بقلوبهم لأجل ما هو عليه من محامد الصفات إلاّ أنّهم تعلقوا بالصفات الفعلية كالخلاّق والرزّاق والوّهاب، وأمثالها فهم ملتحقون بالطائفة الثانية إلاّ أنّهم أرفع منهم، ومنهم طائفة تعلقوا به لما هو عليه من صفات كرمه ومجده وحمده فهؤلاء أصحاب التعلق بالصفات، إلاّ أنّ معهم بقية من ملاحظة العطاء منه سبحانه وتعالىٰ، وهو ضرب من محبة الآلاء والنعماء، وطائفة تعلقوا به ودأبوا على خدمته لما هو عليه من الصفات الذاتية، وهي الكبرياء والعظمة والعز والجلال والعلو، والمتعلقون بهذه الصفات محبة وخدمة معهم رشحة من محبات الذات، فإنّ هذه صفات الذات الأصلية، فلا حظّ فيها لمخلوق،، إنما الصفات التي يكون بها مفيضاً لخلقه هي اللطف والخلق والرزق والهبات والعفو والكرم وأمثالها، فالمتعلقون بها مطالبون بعطائه ومنه، والمتعلقون بالصفات الذاتية لم يريدوا منه شيئاً مثل العظمة والكبرياء والعز والجلال والعلو لأنّ هذه الصفات متى برزت للعيان امتحق المشاهد تحتها للقهر الذي يلزمه فإنّه لا يطيق أحد من الخلق مطالعة عظمته وجلاله وعلو كبريائه وعزه، ولذا يسحق ويمحق المشاهد تحتها، فلو سُئل المتعلق بها مثلاً لماذا تخدم ربك وتنقطع إليه؟ لقال: لما هو عليه من العظمة والكبرياء لا لينالني منه شيء فإنّ معهم رشحة من محبة الذات، وبعد هذا محبة الذات، وهي للصديقين، ومن وراءهم من المرسلين والملائكة والنبيين والأقطاب، ثم قال رضي الله عنه: وبيان التدريج في هذه المراتب المذكورة، فصاحب محبة الإيمان إذا أدام التوجه بها إلى الله تعالىٰ، ولازم قلبه ذلك انتقل منها إلى محبة الآلاء والنعماء لأنّها أعلى منها، وصاحب محبة الآلاء والنعماء إذا أدام التعلق بها والتوجه إلى الله بالقلب على طريقها انتهت به إلى محبة الصفات، فانتقل إليها حينئذ وهي أعلى منها، وصاحب محبة الصفات، إذا أدام التوجه بها إلى الله تعالىٰ واستقام سيره وسلوكه انتقل منها إلى محبة الذات، وهي الغاية

القصوى ومتى وصل إلى محبة الذات أعني أنّه يشم رائحة منها فقط انتقل إلى الفناء مرتبة بعد مرتبة، فيكون أمره أولاً ذهولاً عن الأكوان، ثم سكراً، ثم غيبة فناء مع شعوره بالفناء، ثم إلى فناء الفناء، وهو أنّه لم يحس بشيء شعوراً وتهمماً وحساً واعتباراً، وغاب عقله ووهمه وانسحق عدده وكمه، فلم يبق إلا الحق بالحق للحق في الحق، وهو مقام الفتح والبداية عين بداية المعرفة، وصاحبه إذا أفاق من سكرته يأخذ في الترقي والصعود في المقامات إلى أبد الأبد بلا نهاية ا.هـ.

(تنبيه وبيان) في الاستدلال على أنّ الكفار محبوبون، ومرحومون كما سبق في شرح قوله تعالىٰ: ﴿قل إنْ كنتم تحبون الله﴾ [آل عمران: الآية ٣١] إلى أنْ قال شيخنا رضي الله عنهُ: وفي هذه المحبة جميع العوالم حتى الكفار، فإنّهم محبوبون عنده إلى آخر ما ذكر في حقهم، ثم قال رضي الله عنه مستدلاً على قوله الطهارة طهارتان: طهارة أصلية،، وطهارة عرضية، فالطهارة الأصلية هي في جميع الموجودات جملة وتفصيلاً منزعها ومحتدها من سر اسمه القدوس، فإنّ اسمه متجل في كل ذرة من الوجود، والقدوس هو الطاهر الكامل من جميع النقائص يقول في الأسماء الإدريسية يا قدوس الطاهر من كل سوء، فلا شيء يعازه من جميع خلقه بلطفه، فما في الوجود إلا طاهراً كامل لتجلي اسمه القدوس على كل ذرة، فكل ما خلقه تجلى فيه باسمه القدوس، فلو وقع التنجيس في ذرة من الوجود، لوقع النقص في صفاته الكاملة، وهي القدس عن جميع النقائص، وبه يلزم تعطيل الألوهية، والألوهية شاملة لكل ذرة لأنّ الألوهية في المرتبة الجامعة المحيطة لله تعالىٰ في جميع الموجودات، فما في الوجود إلاّ داخل تحت الألوهية بالخضوع والتذليل والعبادة والتسبيح والسجود، فلو تنجست ذرة واحدة ما صح لها أنْ تتوجه لعبادته، وللسجود له وتسبيحه، فالطهارة شاملة لها من حيث حيطة الألوهية، وتجلي اسمه القدوس على جميعها، فهذه هي الطهارة الأصلية، ومعنى تجلي اسمه القدوس على جميعها، فسيطلب كيفية ذلك من لا فهم له من أهل الظاهر وكيفية ذلك قوله ﷺ «**إنّما قام الوجود كله بأسماء الله الظاهرة والباطنة**»، ومعنى ذلك فما في الوجود ذرة فما فوقها مما دق، أو جل فرداً فرداً إلاّ انبسط عليها نور اسم من أسماء الله تعالىٰ، ولولا ظهور ذلك النور عليها، وانبساطه عليها لما ظهرت للوجود، ولبقيت في طي العدم، فلا يشترك موجودان في اسم واحد، ولا يكون لذرة منها اسمان في ذات واحدة، فانبساط أنوار الأسماء الإلهية ظهر على كل ذرة من الوجود عظيمها وحقيرها فما في الوجود كلها إلا ظهور الأسماء الإلهية بأنوارها، وبواسطة ذلك النور ظهرت الموجودات، فإذا عرفت هذا، وعرفت أنّ الوجود قام كله بأسماء الله تعالىٰ، والأسماء الإلهية داخلة تحت حيطة الألوهية، وكل الأسماء الإلهية تجلىّ عليها باسمه القدوس، فإنّ القدوس من أسماء الذات،

فالقدوس تتصف به الذات والصفات والأسماء، فالحق سبحانه وتعالىٰ قدوس في ذاته، قدوس في صفاته، قدوس في أسمائه والوجود كله أعيان الأسماء، وسر اسم القدوس متجلي عليها، فهذا معنى تجلي اسمه القدوس على جميع الوجود، وهي الطهارة الأصلية التي قلنا، وهذا الكلام من علوم العارفين لا مدخل فيه لأهل الظاهر.

وأما الطهارة العرضية هي ما نص عليه سبحانه وتعالىٰ في شرعه، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إنّما المشركون نجس﴾ [التوبة: الآية ٢٨] وما دلت عليه الرسل من اتقاء الأشياء المتنجسة يعني المحكوم بنجاستها شرعاً لا أصلاً عند العبادة، فإنّ نجاستها عارضة ليست ذاتية لأنّها باقية ببقاء الشرع الذي هو مقتضى الأمر والنهي، فإذا نفخ في الصور وزال حكم الشرع انتقلت الأشياء كلها للطهارة الأصلية، فالشرع عارض بقاؤه ببقاء هذا الدار، فإذا نفخ في الصور زال الشرع وانتقلت الأشياء إلى أصلها، فلم يبق تكليف، وأمّا من حق عليه العذاب من الكفرة، فإنّما هو عرض فيهم، والأصل الرحمة والمحبة، فهم محبوبون مرحومون إنْ وقع فيه ما وقع قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦] وقال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أنْ نقول له: «كن فيكون»، فإنّ الكفرة وقعت عليهم صفة الإرادة، والكلمة العظيمة من الحق وهي «كن» فما وقعت إلاّ على محبوب مراد الله تعالىٰ ولهم سعة الرحمة التي وسعت كل شيء، وإن وقع فيهم ما وقع، فإنّما تلك أحكام حيطة ألوهيته، فما في الخلق كلهم من نعيم وعذاب وراحة وبلاء ورحمة وانتقام، كلها أحكام الألوهية المحيطة، فليس لغيره سبحانه وتعالىٰ فيها شيء، فالأصل حينئذ الرحمة والمحبة في كل موجود وعلى هذا الحد يتنزل قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿إنّ الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ [الحج: الآية ٦٥] شملت المؤمن والكافر لأنّهم من الناس، وقوله جل وعلا: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ إلى قوله ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ [الإسراء: الآية ٧٠]، وهي شاملة للمؤمن والكافر، فهذا هو الأصل وما في قوله جل جلاله وعز كماله: ﴿إنّ شر الدواب عند الله الذين كفروا﴾ [الأنفال: الآية ٥٥] وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾ إلى قوله ﴿أولئك هم شر البرية﴾ [البينة: ٦]، فإنّما هذه أحكام أولوهية طرأت عليهم، وهي عارضة والأصل الأول قال ﷺ في طابع الوجود: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه اختار منهم بني آدم**» هذا حديث صحيح، وهذا الاختيار يشمل من بني آدم مؤمنهم وكافرهم، وهذا هو الأصل وهي المحبة والرحمة والتكريم الذي ذكره في الآية هو الأصل، وما طرأ عليه بعد ذلك عوارض ستزول، ويكون الرجوع إلى الأصل والسلام، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه.

ومما يناسب ما تقدم في الآية السابقة شرح قوله تعالىٰ رضي الله عنهم ورضوا عنه،

قال سيدنا رضي الله عنه: الخلق في الآخرة ثلاثة أصناف، الأول: سهم الرضا منه سبحانه وتعالىٰ، وهم الصديقون والأقطاب والنبيون والمرسلون، وصنف هم سهم الرحمة: وفي هذا عموم الأولياء والصالحين والشهداء، وصنف هم أهل العفو والمغفرة: وهم عصاة المؤمنين، ومعنى الرضا من الله هو إرادته للعبد غاية الترفيع والتعظيم والإجلال، والرحمة هي التقلب في أطوار الشهوات والملاذ المطلوبات والنعم المتواترات، وأهل العفو والمغفرة يعفو عنهم، ويغفر أوزارهم، وأمّا رضا العبد عن الله بالثبوت لما يجري عليه من البلايا والمحن، فهذا مخصوص ببعض الصديقين، ومعنى الصديق هو كمال صحوه من غرق المشاهدة حتى يصير كحالة العامة من يراه يقول: هذا ليس بمدرك شيئاً، ويعطي المراتب حقها من الحقية والخلقية. قال بعض التابعين، لابن سيرين رضي الله عنه وهو من أكابر التابعين صحب كثيراً من الصحابة قال له: كيف كانت الصحابة؟ قال: كالناس ثم أنشد بيتاً:

يحب الخمر من كأس الندامى ويكره أن تفارقه الفلوس

وأما الصنف الرابع: وهم الأعلون حيث قال تعالىٰ في حقهم: «يحبهم ويحبونه»، وهم أكبر من أهل الرضا المخصوصين بمحبة الذات العلية، وما ذكر قبل من الصديقين والأقطاب والنبيين والمرسلين فيه تسامح لأنّهم أهل المحبة الذاتية، فالناس حينئذٍ مذنبون، وموفون بعهود الله، وخاصة وخاصة الخاصة، فالمذنبون معلومون، والموفون بعهد الله هم طوائف المؤمنين من حفظ العهود ورعي الحدود إلاّ أنهم أصحاب حجاب، فالمذنبون سهم العفو، والموفون بعهد الله سهم الرحمة، والخاصة هم الذين انكشفت لهم صفات الله تعالىٰ من وراء سبحات الجلال، فأذاقتهم لذة تلك المشاهدة أنْ حملوا الله ما لا تطيقه الجبال من البلايا والمحن فهم خاصة الله من خلقه، وهم أهل الدرجة العليا، والطائفة الرابعة: هم الذين انخرقت لهم جميع الحجب حتى وصلوا إلى محبة الذات العليا وهم خاصة الخاصة، فهم أكبر رتبة وأعلى منزلة من الذين قبلهم، وهم أهل شهود الصفات هم أهل الرضا منه سبحانه وتعالىٰ رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأمّا خاصة الخاصة فقد قال في حقهم: «يحبهم ويحبونه» فهم أهل الرتبة العالية لا رتبة فوقهم، وفي هذه المرتبة الصديقون والأقطاب والنبيون والمرسلون، لأنّ الصديقية تجمع الجميع، فكل نبي وولي ورسول صديق ولا عكس، يقول سبحانه وتعالىٰ في حق إبراهيم عليه السلام: «وهو من أكبر الرسل مقاماً» قال فيه ﴿إنه صديقاً نبياً﴾ [مريم: الآية ٤١]، فالصديقية جامعة، ولا عكس، وأمّا محبة الله لهؤلاء الأكابر فهو إرادته بهم غاية التعظيم والإجلال والتكريم والترفيع، وأمّا محبتهم له سبحانه وتعالىٰ، فإنّما يحبون ذاته العلية المقدسة لا لشيء، وهي لا تغفل ولا تكيف، وإنّما يعقلها من ذاقها، وفي معنى هذا قال المرسي رضي الله عنه: «إنّ لله عباداً يظهرهم في البداية، ويسترهم في النهاية وإنّ لله عباداً يسترهم في

البداية، ويظهرهم في النهاية، وإنّ لله عباداً يسترهم عن العامة، ويظهرهم للخاصة، وإنّ لله عباداً ضن بهم عن الخاصة والعامة، فلا يظهر حقيقة ما بينهم وبينه حتى للحفظة فمن سواهم حتى يتوفى أرواحهم بيده، فهم شهداء الملكوت الأعلى وهم أهل الصف الأيمن من العرش»، فهؤلاء خاصة الخاصة جعلنا الله منهم جميعاً بمنه وكرمه، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [النساء: الآية ١٢٥]، فأجاب رضي الله عنه بقوله ما معناه: أنّه لا أحد أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن كما قال في الآية الأخرى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله، وهو محسن﴾ [لقمان: الآية ٢٢]، والوجهة هنا التي يسلمها إلى الله هي توجه القلب إلى الله تعالىٰ بالإدبار عن كل ما سواه يقول ﷺ: «**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكنْ ينظر إلى قلوبكم**» وفي رواية «**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم لكنْ ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم والإحسان فيها**» هو ما قاله ﷺ في قوله في تفسير الإحسان أنْ تعبد الله كأنك تراه هذا إحسان إسلام الوجهة إلى الله تعالىٰ وقوله: ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ [النساء: الآية ١٢٥] هو ما قال الله سبحانه وتعالىٰ في حق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إذْ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ [البقرة: الآية ١٣١] بفسره قوله ما ذكر الله عنه بقوله حيث قال لقومه: ﴿إنّي بريء مما تشركون إنّي وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ إلخ الآية [الأنعام: الآية ٧٩]، وأمرت هذه الآية كلها باتباع ملة إبراهيم كما أمر نبينا ﷺ باتباع ملة إبراهيم، وملته هو ما ذكر قبل: ﴿يا أيهـ الذين آمنوا اركعوا واسجدوا الآية﴾ [الحج: الآية ٧٧] وهذا الأمر باتباعه إنّما هو تشريف لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد أعطى سيدنا إبراهيم من مقامه ﷺ الخضوع والتذلل لعظمة تجليه سبحانه وتعالىٰ، فما رفع صوته بالغيظ على أحد قط لعظمة ما هو فيه من التجلي لعظمة تجلي الحق على قلبه بالعظمة والكبرياء، لذلك لم يتجرأ ﷺ بقوله: «**ارجع إلى ربك**» فاسأله التخفيف، كما قال له موسى عليه السلام لعظمة التجلي على قلبه وقد أعطى جميع الأنبياء والرسل كل واحد أعطى نبذة من مقامه ﷺ لأنّه هو الجامع المحيط والنبيون والمرسلون كلهم نقط من بحره ﷺ، وأمّا موسى تجرأ عليه ﷺ بطلب التخفيف كان في الوقت نظره إلى الرحمة الإلهية، فلذلك تجرأ عليه، ورده إلى طلب التخفيف، وسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يتجرأ عليه لعظمة تجلي الحق على قلبه، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿ففروا إلى الله إنّي لكم منه نذير مبين﴾ [الذاريات: الآية ٥٠]، (فأجاب) رضي الله عنه بما نصه: اعلم أنّ معناه فروا إليه بعبادته

دون غيره عبادة واستناداً واعتماداً والتجاء واختياراً له من جميع خلقه، وفي التعويل عليه والبراءة من جميع غيره مساكنة وملاحظة واعتباراً، فهذا هو الفرار إلى الله، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله) عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: هو خطاب منه سبحانه وتعالىٰ في بساط الحكمة، ثم خطابه في بساط الحقيقة، والمشيئة هو قوله تعالىٰ: ﴿ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: الآية ١١٩]، فهذا هو الواقع لأنّ خطاب المشيئة لا يتأتى انتفاؤه، وأمّا خطاب الحكمة يمكن انتفاؤه في بعض الموجودات لأن أمر الله مسوق إلى المشيئة لا إلى الحكمة، والحكمة سجاف على المشيئة قال صاحب الحكم رضي الله عنه: إلى المشيئة يستند كل شيء ولا تستند هي لشيء، انتهى. يعني لا يقال لِمَ شاء الله هذا؟ ولم يعمل هذا؟ فلا علة لاختياره ومشيئته سبحانه وتعالىٰ، وكل الكون بأسره بارز عن المشيئة، فما شذ منه شيء قل أو جل عن المشيئة الإلهية لأن التكوين من حيث ما هو هو في جميع المكونات إنّما برز عن الكلمة الإلهية بقول: «كن»، والكلمة الإلهية مشروطة بتقدم المشيئة الإلهية، ما قال لشيء كن إلاّ بتقديم مشيئته على تكوينه، قال جل جلاله: ﴿إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أنْ نقول له كنْ فيكون﴾ [النحل: الآية ٤٠] وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إنّما أمره إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كنْ فيكون﴾ [يس: الآية ٨٢] فما تخلفت المشيئة عن الحكمة الإلهية، يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: الآية ٦٤] وذلك خطاب في عالم الحكمة، فلذلك وقع فيه التخلف، وكفر كثير من الخلق بالرسل لو كانت طاعة الخلق مقررة في المشيئة ما أمكن أنْ يعصي الرسل أحد، ولأنْ يتخلف عنهم، قال سبحانه وتعالىٰ: لأكبر رسله ﷺ: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص: الآية ٥٦]، فبيّن هذا أنّ هداية جميع الخلق للرسل ليست مقررة في المشيئة، إذْ لو كانت في المشيئة لما وقع العصيان من أحد للرسل يقول سبحانه وتعالىٰ لنبينا ﷺ: ﴿وإنْ كان كَبُرَ عليك إعراضهم﴾ [الأنعام: ٣٥] حين كفروا وأعرضوا يريد ولم تصبر نفسك لهذا ﴿فإنْ استطعت أنْ تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء﴾ [الأنعام: الآية ٣٥]، يريد لكي يتبعوك، ويؤمنوا بك، ثم أظهر أنّ ذلك الواقع منهم كان بمشيئته سبحانه وتعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ [الأنعام: الآية ٣٥] أبان بهذا أنّ كفرهم كان عن مشيئته، وصار له في هذا الخطاب إلى قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿من يشاء يضلله، ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم﴾ [الأنعام: الآية ٣٩]، أبان بهذا الخطاب سبحانه وتعالىٰ أنّ كفر الكافر وضلال الضال وإسلام المسلم وهداية المهتدي كل ذلك بارز عن

مشيئته الإلهية يقول ﷺ: «**بعثت داعياً، وليس لي من الهداية شيء، وبعث إبليس داعياً له من الغواية شيء**» إنما ذلك صار عن مشيئته التي لا يمكن التخلف عنها لأحد. قال ابن العريف رضي الله عنه يقول في الله تعالىٰ ليس بينه وبين العباد نسب يصطفيهم لأجله، أو يعطيهم لأجله ليس إلاّ العناية وهي المشيئة، ولا سبب إلاّ الحكم، ولا وقت إلاّ الأزل، وما بقي، فعمى وتلبيس، ومعنى الأزل هو الذي فيه وجود الحق وحده ليس لشيء فيه نسبة قال ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه ففي ذلك الوقت أعطى ما أعطى، وفضل ما فضل، فلم يبق إلاّ الرضا والتسليم لمجاري الأقدار**»، وتفسير الأزل من كلام سيدنا رضي الله عنه انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب﴾ [الشورى: الآية ١٣] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معنى الاجتباء هو جذب الله تعالىٰ للعبد إلى حضرة قدسه بحكم الفضل والجود والعناية بلا تقدم سبب من العبد، والمجتبي يسمى محبوباً ومصطفى ومراداً ومعتنى به، فهذه الأسماء للمجتبى وهذا الاجتباء سبق به الحكم الإلهي في الأزل بلا علة ولا سبب، ولذا قيل كم من صديق في الغباء وكم من عدو في العبا، والغباء هو الجهل والضلال والكفر والمخالفة، فهذه الأمور كلها لا تضره لأنّ العناية كافلة وشاملة له، وفي هذا يقول ﷺ في هند بنت عتبة، وكانت في أعظم العداوة لله ورسوله، وأكلت كبد حمزة رضي الله عنه غيظاً وحقداً قال: «**لا يجمع كبد حمزة والنار في جوفها أبداً**» أخبر ﷺ بأنّها سعيدة بأرباح العناية الأزلية، ولم يضرها ما فعلت والعبادة هي العبادة والتقرب إلى الله تعالىٰ، فكم فيها لله من عدو يعني في الغبب أنّه يموت كافراً، وكذلك ما وقع لعمير بن وهب حين كان قاصداً قتل النبي ﷺ، وكان من صناديد قريش ومن شياطينهم، فلما رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الباب، والسيف في عنقه اغتاظ، ودخل على النبي ﷺ، وقال له: هذا عمير بن وهب دعني أقتله فإنّه ما جاء لخير، وهو الذي حزرنا للقوم يوم بدر قال ﷺ: دعه، ثم أدخله عليه، قال ﷺ:«**ما جاء بك**»؟ **قال له: جئتكم لتحسنوا إليّ في هذا الأسير، وكان ابنه أسيراً، فقال له ﷺ: بل جلست أنت، وصفوان ابن أمية في الحجر، وليس معكما غيركما» وذكر له جميع ما تحدثا به إلى أن قال له: وجئت لتقتلني** فقال له عمير: لو كان معنا ثالث لقلت: أخبرك بذلك، وأنا الآن أيقنت أنّ أخبرك حق فأشهد أن لا إله إلا الله. وأنّك رسول الله حسُن إسلامه.

ثم رجع إلى مكة، وصار يدعو الناس إلى الإسلام حتى أسلم معه خلق كثير، ثم دام على إسلامه رضي الله عنه فانظر هذا الاجتباء الذي اجتباه ربه فما أثر فيه عظم ذنبه، ولا ما أقرفه من حوبة بل تمكن من صفاء صفوة النور الإلهي، وألبس حلة القرب، وصار عبداً خالصاً لله تعالىٰ قوله تعالىٰ: «من يشاء» أي بلا سبب ولا علة بل بمحض الفضل والجود

قوله تعالىٰ: ﴿ويهدي إليه من ينيب﴾ [الشورى: الآية ١٣] أي من أناب إلى الله بصدق تقواه، ومعاملته لله تعالىٰ بالصفاء هداه إليه حتى يوصله إلى حضرة قدسه، ولم يذكر الله تعالىٰ في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا الاجتباء، قال سبحانه وتعالىٰ في حق آدم عليه السلام: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [طه: الآية ١٢٢] وفي حق يونس عليه السلام: ﴿فاجتباه ربه وجعله من الصالحين﴾ [القلم: الآية ٥٠]، وفي حق الأنبياء حين ذكرهم في سورة الأنعام بقوله ﴿واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ [الأنعام: الآية ٨٧]، فسلكوا الطريق إليه بذلك الاجتباء عليهم الصلاة والسلام، وما ذكر في الآية من الاجتباء والإنابة في الطائفة الأولى هم أهل الإنابة وصاحبها يسمى مريداً ومحباً ومخلصاً، وسائر إلى الله تعالىٰ قال سبحانه وتعالىٰ في جزائهم أنّه يهديهم إليه جزاء لتقدم تقواهم، والطائفة الثانية أخبر أنّه اجتباهم بمحض المشيئة بلا تقدم وسبب، وصاحبها يسمى مصطفى، ومجتبى ومخلصاً بفتح اللام ومقرباً ومحبوباً ومراداً ومعتنى به، وفي هذا يقول بعض الصوفية في سيدنا موسى عليه السلام ونبينا ﷺ أنّ سيدنا موسى عليه السلام، لما أراد به الارتحال إلى الله، والعروج إليه أمره بصيام ثلاثين يوماً متصلة ليلاً ونهاراً، فلما كملت ثلاثين أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب طلباً لزوال ما أنكره من فمه، فعاتبه الله تعالىٰ على ذلك السواك، وأمره بزيادة عشر لتكمل أربعين ليلة، وأمّا سيدنا محمد ﷺ ليلة المعراج فلم يأمره بعمل شيء إلاّ الملك نزل عليه وقال له: قم، فعرج به سيدنا موسى عليه السلام مقامه مقام المريد المحب، فأمر بتقدم السبب منه، وسيدنا ﷺ مقامه مقام المراد المخلص المجتبى، فما أمره بتقدم شيء فاجتباه بلا سبب، وقربه إليه بلا علة بل بمحض الفضل والجود والكرم، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(لطيفة) قال سيدنا رضي الله عنه: ما خلق الله لنفسه إلا سيدنا محمد ﷺ، والباقي من الوجود كله مخلوق لأجله ﷺ معلل بوجوده ﷺ، ولولا أنّه خلق سيدنا محمداً ﷺ ما خلق شيئاً من العوالم، فبان لك أنّ الوجود كله مخلوق لأجله ﷺ انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿فكيدوني جميعاً، ثم لا تنظرون﴾ [هود: الآية ٥٥]، (فأجاب): رضي الله بما نصه: أعلم أنّ سيدنا هوداً عليه السلام يريد بهذا أنّكم، وإنْ فعلتم ما فعلتم ومكرتم ما عسى أن تمكروا، أو توجهتم بقوة هممكم إلى أي أمر تريدونه قليلاً أو كثيراً جليلاً أو حقيراً، لم تخرجوا في ذلك كله عن قبضة الله سبحانه وتعالىٰ، ولن تفعلوا إلاّ ما سبق في مشيئته وعلمه ولا سبيل لكم إلى شيء سوى ذلك، ولنْ تجدوا إلى سوى ذلك حولاً ولا قوةً، ولا فيكم حركة ولا خطورة خاطر ولا توجه عزم إلا بالله عز وجل ومن الله عز وجل ومصدر ذلك كله عن حكمه وقضائه لا سبيل

لكم إلى ما خرج عن هذا الميدان، ما أنتم إلاّ بمنزلة الهباء في الهواء تصرفكم رياح الأقدار الإلهية، وحيث كان أمركم هكذا فإني رجعت إلى الله بالتوكل عليه، والرضا بقضائه، والثبوت لمجاري أحكامه على غير ملتفت إليكم في شيء مما تخوفونني به، أو فيما تسعون فيه من هلاكي، فإني متحقق أنّ الله تعالىٰ إذا سلطكم عليَّ نفذ حكمه بكم فيما أراده علي، ولا حيلة لي ولا لكم في صرف ذلك، ما لم ينفذ به حكمه فيّ مما يجريه على أيديكم، فلا سبيل لكم إليه؛ إنّ ربي في هذا الحد على صراط مستقيم يجري الأمور كلها على طبق مشيئته وحكمه في سابق علمه من أفعال المختارين، وأفعال الجمادات الذين لا اختيار لهم، كل ذلك مستو عنده، لا ينفلت من ذلك شيء عن حكمه، وطبق مشيئته، فلا يكون شيء إلاّ ما سبق علمه وحكم به في مشيئته، وما سوى ذلك فمحض العدم، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسئل رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿فأمّا الذين شقوا ففي النار﴾ [هود: الآية ١٠٦] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معناه يحتمل ما دامت سموات الآخرة وأرضها، وهي باقية إلى الأبد كأنّه يقول خالدين فيها أبداً، وقال بعض المفسرين: هي صيغة تستعملها العرب إذا أرادت الدوام الذي لا غاية له قالوا: ما دامت السموات والأرض، وقوله: ﴿إلاّ ما شاء ربك﴾ [هود: الآية ١٠٨] فمعنى الاستثناء في الآيتين هم عصاة المؤمنين الذين ينفذ فيهم الوعيد، فإنّ لهم حظاً من الشقاوة لكثرة جرائمهم ومعاصيهم يدخلون النار مع الكفار، ثم إنهم يخرجون منها بإيمانهم فهو الاستثناء في أهل النار ولهم حظ من السعادة بإيمانهم، وهو محط الاستثناء في أهل السعادة، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [فاطر: الآية ٣٢] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معناه يصح أنْ يقال هم جميع الأمة المكلفون بأحكامه، والقول في هذا: أنّهم جميع الأمة إذ ذلك الذي تقتضيه الأخبار، فيما ورد في فضل الأمة المحمدية، فإنّه جميع من دخل تحت دائرة الشهادة بالتوحيد، والرسالة، فقد روى أنّ القلم لما أمره الله بالكتابة كتب في أمم الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى في كل أمة كتب في اللوح من أطاع الله دخل الجنة، ومن عصى الله منهم دخل النار، وأمره الله بهذه الكتابة في أمم الرسل كلها، ولما كتب أمة محمد ﷺ، وأراد أنْ يكتب فيهم كما كتب في الأمم قبلهم، فقال له ربه تأدب يا قلم، فارتعد القلم من هيبة الله تعالىٰ، وقال رب ما أكتب؟ قال: أكتب أمة مذنبة، ورب غفور، هكذا كتب في الأمة المحمدية، وقد قال ﷺ: «**ما من نبيّ إلاّ أعطي دعوة معجلة يريد يعجلها فيما يشاء، وأنا خبأت دعوتي شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فهي نائلة إنْ شاء الله**

من لا يشرك بالله شيئاً» هذا نص الحديث لكنْ لا بد من طائفة من هذه الأمة ينفذ فيهم الوعيد؛ الاحتمال الثاني في الآية أنّهم حملة القرآن فقط بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب﴾ [الأعراف: الآية ١٦٩] وعلى كل حال فهم مصطفون عند الله تعالىٰ ظالمهم ومقتصدهم وسابقهم كلهم عمتهم الصفوة الإلهية قال سبحانه وتعالىٰ في وعدهم: ﴿جنات عدن يدخلونها﴾ [الرعد: الآية ٣٣] إلخ الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: الآية ١١٠]، يصح أنْ يقال فيهم: هم الصحابة فقط لاستكمالهم هذا المطلب العظيم من الآية، ويصح أنْ يقال هم جميع الأمة، والكل صحيح، فإنّ الأمة لا تخلو ممن هذا وصفه إلى الأبد، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿قال رب أرني كيف تحي الموتى﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] في حق سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعن قوله تعالىٰ: ﴿يا زكريا إنّا نبشرك بغلام اسمه يحي﴾ [مريم: الآية ٧]، وعن قول سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ [يوسف: الآية ٥٥] (فأجاب) رضي الله عنه: بما نصّه قال: اعلم أنّ أحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يليق لأحد أنْ يبحث فيها، لأن حركاتهم وسكناتهم سائرة مع الذوق، وليس لغيرهم ذلك، فلا يبحث في أحوالهم إلاّ من ذاق مذاقهم، وهذا الباب ممنوع عن كافة الخلق مسدود إلاّ التسليم لهم في أحوالهم، وقد قال بعض من لا علم له في حق سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿أيكم يأتيني بعرشها قبل أنْ يأتوني مسلمين﴾ [النمل: الآية ٣٨] لما بان ذلك منه بعض رغبة في الدنيا تحيل على الكرسي أنْ يأخذه في زمن كفرهم ليكون حلالاً له قبل إسلامهم، إنْ أسلموا حرم عليه أخذه، وهذا الترامي على الأنبياء حرام مستحيل لا يحل، ولا يتأتىٰ ولا يحث هذا البحث في جنابهم بشيء فلم يبق إلاّ الرضا والتسليم، وكذلك ما قالوا في حق سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام: حيث قال: **«إنّكم لسارقون»** مع علمه بأنهم لم يقع شيء، وإنّما أراد السرقة بقوله حين سرقوه من أبيه والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى﴾ [طه: الآية ٥٠] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: الخلق ههنا ما ظهرت به عين ذات الموجود، وهي الصورة المرئية الحمارية في الحمار والآدمية في الآدمي، والجملية في الجمل، والشجرية في الشجر، والجمادية في الجمادات، والحيوانية في الحيوانات، وسر مع تفاصيل الوجود ذرة ذرة هذا معنى «أعطى كل شيء خلقه»، ثم هدى المراد بالهداية هنا الهداية العامة، وهي تعم الحيوانات والجمادات والمؤمن والكافر وهي السير في المسار

الذي أقامه الحق فيه سبحانه وتعالىٰ من حيث أنّه آخذ بجميع نواصي الموجودات يقودها لما يريده إطلاقاً وعموماً ما يشذ وجوداً عن هذا المسار لقول المعصوم سيدنا هو عليه السلام: ﴿ما من دابة إلاّ هو آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراط مستقيم﴾ [هود: الآية ٥٦] في هذا الميدان لا يشذ عن هذا المسار شيء من الموجودات، وكل ما في الموجودات جامدة ومتحركة، فالجمادات ألبسها سبحانه وتعالىٰ أرواح الحياة بها تسبح الله وتقدسه، وبها تخر ساجدة لله تعالىٰ لعموم الآية: ﴿ألم تر أنّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر﴾ [الحج: الآية ١٨]، وبأرواح هذه الحياة فيها صارت عارفة بالله لأنّها لا تسجد ولا تسبح إلاّ لكونها عارفة بالله تعالىٰ، إلاّ أنّ معرفتها وسجودها وتسبيحها له من حيث لا ندركه. قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وإنْ من شيء إلاّ يسبح بحمده﴾ [الإسراء: الآية ٤٤]، ولكنْ لا تفقهون تسبيحهم، ومعنى قوله تعالىٰ، ﴿إنّ ربي على صراط مستقيم﴾ [الإسراء: الآية ٤٤] سيره في هذه الجادة لا يختل نظامه، ولا يقدر شيء من الموجودات أنْ يستعصي عن أمره. قال الشاذلي رضي الله عنه: إنّ الكافر وإنْ لم يجب داعي إيمانك فقد أجاب داعي سلطانك، فالكل ممتثلون لأمرك ويشهد لهذا قوله تعالىٰ: ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: الآية ٥٦] لا يستعصي عليه شيء في الموجودات قوله تعالىٰ: ﴿وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده﴾ [الإسراء: الآية ٤٤] فكل موجود يسبح الله تعالىٰ غير الكافر، فإنه لا يسبحه لكن أعضاءه تسبح الله من غير شعور منه، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ [الأعراف: الآية ٤٠] مع حديث آدم عليه السلام في السماء الأولى، وحوله نسم بنيه الحديث، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ الروح الإنساني من حيث ما هي يمكن لها أنْ تتراءى في الآن الواحد في أمكنة شتى لا يصعب عليها هذا القدر، وكونها تحت الأرض لا يصعب عليها أنْ تتراءى فوق السماء هذا الجواب الأول، والجواب الثاني: في أمر النبوة على أربابها أفضل الصلاة والسلام أنّه يتأتى له في الآن الواحد أنْ يرى العالم كله بين يديه عن يمينه وعن شماله قاصيه ودانيه لا يصعب عليهم هذا، فكون آدم عليه السلام وهو رسول الله وخليفته يرى نسم بنيه على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم واختلاف أمكنتهم بالقرب والبعد يراهم كلهم حذوة عن يمينه، وعن شماله وهو من هذا الحد الذي ذكرناه والسلام، قلتُ، والإشكال بين الآية والحديث هو أنّ أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء وآدم عليه السلام يراها عن شماله وهو في السماء، فهذا هو الإشكال الذي أجاب عنه سيدنا رضي الله عنه، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) هل في أجداده عليه الصلاة والسلام من ليس بمؤمن كما

يفهم من جهال بعض أهل السير من جلبهم لكثرة الأخبار صحيحة أو غير صحيحة، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ أجداده ﷺ، كلهم مؤمنون من أبيه عليه السلام إلى سيدنا آدم عليه السلام. فقال له السائل: ما معنى قوله تعالىٰ: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ [الأنعام: الآية ٧٤]، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: أن آزر هو عمه ولو كان أباه أصلياً ما ذكر آزر بعد أبيه يكفيه الأب، ويدل على هذا استغفاره والديه في آخر عمره بعد ما أخبره الله أنّه تبرأ من أبيه بقوله: ﴿فلما تبيّن له أنّه عدو لله تبرأ منه﴾ [التوبة: الآية ١١٤] وفي آخر عمره قال رب اغفرْ لي ولوالدي، وللمؤمنين، ولو كان أباه ما تبرأ منه وفي عين التحقيق أن الله قدس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما أخرج نبياً من نطفة منجسة بالكفر، وفي الحديث، يقول ﷺ: «**لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية**» إلى آخر الحديث، وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «**بعثت خير قرون بني آدم قرناً فقرناً لم يفترق شعبتان إلاّ كنت في خيرهما**» إلخ.. الحديث، ولعل من يقول أنّ الخيرية فيهم مع كفرهم بما تنال الناس من الخير والسخاء والصفح والتجاوز ومكارم الأخلاق، وهذه توجد في الشخص الكافر بالله تعالىٰ قلنا: أنّ الخيرية فيهم هي خيرية الإيمان إذ لم يكن عصر من عهد آدم إلى عصره ﷺ ما خلت فيه الدنيا يوماً واحداً من ظهور الأولياء في الأرض يدفع الله بهم البلاء عن أهل الأرض، وخيرية الكافر على المؤمن مستحيلة شرعاً، فدل خبره ﷺ على أن كل أب من آبائه أفضل من أولياء عصره ما عدا النبوة، فدّل أنّهم مؤمنون بقوله: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً لم تفترق شعبتان» إلخ.. قلنا: وهكذا جميع النبيين ما أخرج الله نبياً من نطفة منجسة بالكفر قط لأنّ الكافر نجس لقوله تعالىٰ: ﴿إنّما المشركون نجس﴾ [التوبة: الآية ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إنّ شر الدواب عند الله الذين كفروا﴾ [الأنفال: الآية ٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب، والمشركين﴾ إلى قوله ﴿أولئك هم شر البرية﴾ [البينة: الآية ٩٨]. دلّ هذا أنّ الخيرية في الإيمان فقط، ولا خيرية في الكفر، فحصل لنا من هذه الأدلة القطع بأنّ آباءه عليه الصلاة والسلام كلهم مؤمنون، وأمّا ما ذكر في آزر أنّه ليس من أجداده كما تقدم، وحصل لنا من هذا البحث صحة القطع أنّه لم يقع ﷺ في صلب كافر قط من لدن آدم عليه السلام إلى وجوده ﷺ، ودلّ أيضاً على أنْ كل أب من آبائه ﷺ أفضل من أولياء عصره كما قدمنا، وهذا خاصة به الحديث لم يلتقيا على سفاح قط من آدم إلى وجود ذاته الشريفة ﷺ دون غيره من الأنبياء، وأمّا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلم يكن هذا إلاّ في آبائهم المباشرين لهم، وأنّه لم يكن كافراً فيهم، انتهى.

قال شيخنا رضي الله عنه في فضل سيدنا علي كرم الله وجهه قال، وفي الحديث عنه ﷺ: «**كنت أنا وعلي نورين بين يدي الله تعالىٰ، ثم أودعنا في صلب آدم، فلم**

يزل ينقلنا من صلب إلى صلب إلى عبد المطلب، فخرجت في عبد الله، وخرج علي في أبي طالب، ثم اجتمع نورنا في الحسن والحسين، فهما نوران من نور رب العالمين» وقال سيدنا رضي الله عنه ما يصل شيء في الوجود من العلم مطلقاً إلاّ من صهريج علي رضي الله عنه، لأنّه باب مدينة علمه ﷺ لا من الخلفاء الأربعة، ولا الصحابة بأجمعهم، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: انقسم العلم كله عشرة أجزاء تسعة كلها لعلي ما شاركه فيها أحد والعشر كله مقسوم بين الخلق، وكان أعلم الخلق بالعشر الباقي، وأمّا قوله عليه الصلاة والسلام في أبي بكر: «**ما طلعت شمس، ولا غربت بعد النبيين عليَّ أفضل من أبي بكر**» الحديث قلنا: إنّ الأفضلية في الشخص ليست من كل وجه إلاّ في شخص واحد، فهو أفضل، وأعلا في جميع الوجوه وهو ﷺ يقول عليه الصلاة والسلام: «**في كل أمة محدثون فإنْ كان في أمتي فعمر منهم**»، فهذه الأفضلية لعمر، والمحادثة مرتبة علية ودرجة زلفى يختص الله من أحبه من الصفوة الكبرى فعمر منهم واختص أبو بكر بمرتبة الإيمان والسر، واختص علي بمرتبة العلم الباطن الحقيقي لا العلم الظاهر المحدث بفتح الدال هو الذي قيده الله في حضرته فهو أبداً يحدثه، والمحدث بكسر الدال هو الذي يتلقى الخطاب عن الحق في حضرته، ثم إلى غيره، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ﴾ [الرحمٰن: الآية ٥٥] فأجاب رضي الله عنه بقوله: معنى البحرين بحر الألوهية وبحر الوجود المطلق وبحر الخليقة، وهو الذي وقع عليه كن وهو البرزخ بينهما ﷺ، لولا برزخيته ﷺ لاحترق، بحر الخليقة كله من هيبة جلال الذات. قال سيدنا رضي الله عنه بحر الخليقة بحر الأسماء والصفات، فما ترى ذرة في الكون إلاّ وعليها اسم، أو صفة من صفات الله بحر الألوهية هو بحر الذات المطلقة التي لا تكيف ولا تقع العبارة عنها يلتقيان لشدة القرب الواقع بينهما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿نحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ [الواقعة: الآية ٨٥]، ولا يختلطان لا تختلط الألوهية بالخليقة، ولا الخليقة بالألوهية، فكل منهما لا يبغي على الآخر للحاجز الذي بينهما، وهي البرزخية العظمى التي هي مقامه ﷺ، فالوجود كله عائش بدوام بقائه تحت حجابته ﷺ استتاراً به عن سبحات الجلال التي لو تبدت بلا حجاب لاحترق الوجود كله، وصار محض العدم في أسرع من طرفة عين، فالألوهية قائمة في حدودها، والخليقة قائمة في حدودها كل منهما يلتقيان، ولا يختلطان للبرزخية التي بينهما لا يبغيان أعني لا يختلط أحدهما على الآخر، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه لفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن دائرته ﷺ فأجاب رضي الله عنه بقوله: هي دائرة السعادة

التي وقع عليها قوله تعالىٰ: ﴿ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس: الآية ٦٢] قال البوصيري رضي الله عنه، ولن ترى من ولي غير منتصر البيت كل من لم ينتصر بالنبي ﷺ لا حظ له في ولاية الله، وهو معنى قول الشيخ رضي الله عنه ولن ترى من ولي إلخ، وقوله: «**أحل أمته في حرز ملته البيت**» أراد أنّه ﷺ أدخل أمته المخصوصة بالسعادة أدخلها في حرز ملته كالشيء المحبوب العظيم الذي يكنز في غاية الحرز فإنّ الذهب والياقوت في علوه لا يوضع إلاّ من وراء الأقفال حرزاً له وقصيّنا كذلك هو ﷺ أحلّ أمته المخصوصة في حرز ملته، فانطبقت عليهم السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، وهذا من حيث التخصيص الإلهي لأمته التي هي قسم السعادة جعلنا الله منهم بمحض فضله وكرمه آمين، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسُئل رضي الله عنه) عن بعض الآيات الواردة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ قال السائل: بعد أنْ وقفت على كلام بعض العلماء، وما قالوا فيها وما نسبوه لصفوة الله من خلقه مما لا يليق بمنصب الرسالة والنبوة والملكية منها قوله تعالىٰ: ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ [الفتح: الآية ١]، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وتخشى الناس، والله أحق أنْ تخشاه﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧] وغيرهما مما سيأتي ذكره إنْ شاء الله بعد (فأجاب) رضي الله عنه: ومتعنا بطول بقائه، وسقانا من بحر عرفانه، وأدام علينا حبه من الآن إلى الاستقرار معه في أعلى عليين آمين وقال رضي الله عنه: اعلم أنّ الذنوب في حق الأنبياء التي هي اقتحام المنهي عنه شرعاً مستحيلة في حقهم لا تتصور منهم لثبوت العصمة لهم مما دق أو جل منها، والذي وقعت فيه المغفرة منه في حقهم عليهم الصلاة والسلام هي التي تصدر من الأنبياء بلسان الإباحة الشرعية، لكن يتناولها طلب الترك من وجه إجمالي لا تصريحي، وطلب الترك ههنا ليس المحرم شرعاً، وإنّما يطلب ترك ذلك الأمر وإنْ كان في نفسه مباحاً تنزيهاً لعلو مقامهم بالتدنس بملابسه ذلك المباح الذي تناوله وجه طلب الترك من وجه آخر،، فإنّ المباحات في حق الأنبياء منقسمة قسمين قسم يتمحض فيه حكم الإباحة من كل وجه لا يعارضه طلب الترك في وجه من الوجوه، فهذا لا عتاب عليه، وقسم من المباح يتناوله حكم الإباحة من وجه، ويتناوله طلب الترك من وجه أو وجوه، فهذا إنْ تفطنوا له وإن علموه تركوه ولم يقتحموه، وإنْ غفلوا عن وجه طلب الترك فيه واقتحموه لأجل ما فيه من الإباحة وقع العتاب لهم وهذا هو الذنب المعهود في حقهم، ولتعلم أنّ هذا الذنب لم يكن من قسم المحرم عليهم شرعاً ولا من قسم ما سمعوا من طلب الترك في عينه، بل هو داخل في جملة طلب الترك فهو ليس بذنب شرعاً وإنّما مما أطلق عليه اسم الذنب مجازاً، وإنْ كان مباحاً لغيرهم من العامة، وطلب منهم تركه لعلو مقامهم فهو كما قيل حسنات الأبرار سيآت المقربين، فهذا الذنب هو في

نفسه مباح شرعاً، ولكن طلب منهم تركه لأجل تنزيه المقام لعلو جلالهم، وأمّا ما ذكر من الغفلة فليست هي الغفلة المعهودة في حق العامة وهي الإعراض من مطالعة الحضرة الإلهية، ولكنّ الغفلة في حقهم هي النسيان، والنسيان غير مستحيل في حقهم لأنّهم جبلة بشرية، فقد قال ﷺ: «**إنّما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني**» وكما في قضية حديث ذي اليدين حيث سلّم من ركعتين في الرباعية ﷺ فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال له ﷺ لم تقصر ولم أنس فقال له: بل نسيت، فلما قال له ذلك سأل ﷺ أبا بكر وعمر فقال لهما أحق ما يقوله ذو اليدين؟ فقالا له: نعم، فرجع للصلاة، وأكملها. فظهر لك من هذا الخبر أنّ النسيان يطرأ على الأنبياء بتصرفات الأحكام الشرعية وهي الصلاة، وهي أعظم ما يطلب شرعاً ونسي ﷺ بعض أجزائها فهو دليل أنّ النسيان في تصرف الأحكام الشرعية غير مستحيل في حقهم بشاهد الحديث، ولتعلمْ أنّ النسيان المذكور هنا هو غير الملحوظ في قوله تعالىٰ: ﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم﴾ [الأعراف: الآية ٥] هذا فإنّ ذلك هو تعمد الترك للعمل بأمر الله مع العلم به وعدم نسيانه، ولكنْ النسيان ههنا هو الترك فقط.

والنسيان المعبر عنه في حق الأنبياء ينقسم قسمين فقط لا ثالث لهما القسم الأول: هو الطارىء بالجبلة البشرية، وهو نسيان الحكم في الأمر وعدم وقوعه في بال الشخص، فهذا صاحبه معذور لا يؤاخذه به شرعاً، والقسم الثاني من النسيان: أن يطرأ على أكابر الصديقين والأنبياء في حضرة ذي الجلال سبحانه وتعالىٰ من التجليات، والواردات مما يذهل العقل وينسيه الأحكام التي كان يعلمها أو بعضها بسبب السطوة الطارئة من التجلي أو الوارد، فهذا أيضاً كالنسيان الجبلي إذ صاحبه معذور، وهذه هي وجوه النسيان في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قلت للشيخ رضي الله عنه: وهل يطرأ النسيان على الرسل قبل تبليغ ما أمروا به كما طرأ بعد التبليغ؟ قال: لا، ولو نسيَ شيئاً مما أمر بتبليغه للخلق لبعث الله إليه الملك وذكره به ليتم الدين الذي أراده سبحانه وتعالىٰ، لأنّه هو الحافظ له حتى يكمل ما أراده من شرعه.

قال تعالىٰ: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة: الآية ١٦] ﴿إنّ علينا جمعه وقرآنه﴾ [القيامة: الآية ١٧]، لأنّه كان ﷺ يعجل بقراءة ما يسمعه خوفاً من النسيان، ثم قال رضي عنه، وإنّما وقعت المعاتبة على النسيان الطارىء بسبب الجبلة، أو بسبب الواردات لعلو مقامهم، ولطلب تنزيهه مما يدنسه، فهذا وجه الغفلة على وجه طلب الترك فيما تمحض فيه حكم الإباحة، ومثال ذلك في قضية نوح عليه الصلاة والسلام حيث غرق بعد ما سمع من الله أنّ أهله ناجون، فتحير وسأل الله تعالىٰ عن ذلك كما في القرآن إذْ وجه الإباحة أنّ السؤال مباح له في طلب تحقيق ما أشكل عليه مما ذكر عنه في الآية، وهذه القضية يتناولها وجه طلب الترك مما عرف في شرائع جميع الأنبياء من طلب

البحث عن سر القدر، لاستبداد الحق به قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣] ولما غفل عن هذا الوجه لكونه يتناول القضية، والغفلة طرأت عليه لأحد القسمين اللذين ذكرناهما لا القسم الثالث عوتب حينئذٍ لغفلته. قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود: الآية ٤٦]، وكقضية موسى عليه الصلاة والسلام في قتل النفس، فإنّ وجه الإباحة فيها أنّها كافرة أصلية لا عهد لها ولا ذمة تترك لأجلها، وظلمت بما فعلت بالإسرائيلي الذي استغاث به، ولما عليه من نصرة المظلوم إذا كان يقدر عليه، ولم يكن فك الإسرائيلي منه إلا بضربه فوكزه غير قاصد لقتله فقضى عليه، وكل هذه الوجوه مصرحة بالإباحة وقتله كان خطأ غير قاصد له، ووجه طلب الترك فيه أنّ أرواح الكفار وإنْ كفروا لم يبح إراقة دمائهم إلاّ بالإذن الإلهي، والإذن الإلهي لا يكون إلاّ بعد تبليغه دعوة الرسالة، وإبايتهم عن أمر الله تعالىٰ ونبذهم بعد الإنذار والتلوم، فحينئذٍ يأذن الله في قتلهم وقتالهم للرسل، فلما لم يكن شيء من هذا الذي يرفع لطلب الترك، وإنْ كثرت فيه وجوه الإباحة، كان العتاب واقعاً من هذا الباب، فلما تفطّن موسى عليه السلام لهذا قال: ﴿هذا من عمل الشيطان إنّه عدو مضل مبين﴾ [القصص: الآية ١٥]، كقضية نبينا عليه الصلاة والسلام حيث استشار أصحابه رضي الله عنهم في أسارى بدر فأشار بعضهم بالقتل، وبعضهم بالعفو وأخذ الفداء، فنزلت الآية قوله تعالىٰ: ﴿وما كان لنبي أنْ يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ إلى قوله ﴿العظيم﴾ [الأنفال: الآية ٦٧، ٦٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وتخشى الناس والله أحق أنْ تخشاه﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧] بعد قوله: ﴿إمسك عليك زوجك﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧] وأمثال هذه، وكقول سيدنا يوسف عليه السلام للذي نجا منهما ﴿اذكرني عند ربك﴾ [يوسف: ٤٢]، وقس ما لم يذكر على ما ذكر.

وحاصله أنّ الأمور المطلوبة فعلاً وتركاً في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الأول: طلب الفعل كالواجبات فلا يمكن تركه من النبي، الثاني: طلب ترك الفعل كالمنهيات فلا يمكن ارتكابه من النبي، وما بينهما فهو فيه بالخيار، ولكن هذا ينقسم أيضاً قسمين: قسم يقع الإذن فيه بعينه إمّا بفعله أو تركه وهذا لا عتاب فيه، والقسم الثاني: لا يسمع الإذن فيه وهذا تارةً المطلوب تركه من النبي أو فعله كالأمثلة المتقدمة في الآيات لعدم علمه به أو لغفلته عنه، وتارة العكس وهو طلب فعله من النبي، أو يتركه لما ذكرناه من غفلته عنه، أو عدم علمه به، فهذا القسم من المباح هو الذي يقع العتاب عليه لصفوة الله من خلقه أو العتاب والمؤاخذة، ما عدا سيد الوجود ﷺ، والمؤاخذة المذكورة هي ببعض مصائب الدنيا وبلاياها فقط، وهذا التحصيل فهمته من كلام الشيخ وليس هو لفظه. ثم قال رضي الله عنه: ولا يقال الغفلة عن بعض هذه الأمور التي عوتب عليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جهل في حقهم، فإنّ الجهل المستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام، إنّما هو الفعل الصادر عن متابعة الهوى والغفلة عن حضرة الله تعالىٰ بانهماك

النفس في شهواتها، والولوع بمألوفاتها، أمّا من استغرق في مشاهدة حضرة الله تعالىٰ في جميع لحظاته مع كمال مراعاته لأدب الحضرة الإلهية مع توفيته بما يلزمه من القيام بالحقوق الإلهية، ويلتفت لهوى نفسه حتى في أقل قليل، فإنّ هذا لا يلم بساحته الجهل؛ إلاّ أنّ هناك أموراً في الحضرة الإلهية لم يصل إليه العلم بها، ولا يقال إنّه جاهل بها لأنّ الجهل انتفى بالصفة المذكورة، وإنّما ذلك من عدم الإحاطة بأمر الله إذْ علم الله لا يحيط به محيط فلا يعلمون من وراء المرتبة التي ينتفي الجهل بها إلاّ ما أعلمهم الله به، وما لم يعلمهم به بقي محتجباً لعدم إحاطتهم بعلم الله. قال تعالىٰ: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] (قلتُ) للشيخ رضي الله عنه: فما هو الفتح المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ [الفتح: الآية ١] قال: هو فتح الحديبيّة قال تعالىٰ: ﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ [الفتح: الآية ٢٧] قلت له: ذكر صاحب الإبريز أنّه المشاهدة، قال لي: معاني القرآن واسعة والشيخ مسلم له فيما قاله لأنّه صاحب بصيرة نافذة، وكذلك ما قاله في قوله تعالىٰ: «وتخشى الناس» الآية لأن النبي ﷺ مفتوح عليه في صغره، ولم يكن صاحب حجاب حتى يقال أنّه فتح عليه في ذلك الوقت، والله أعلم بما أراد ذلك الشيخ؛ وإذا فهمت هذا علمت أنّ الذنوب التي ذكرت في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، والأفعال التي تصدر منهم في صورة المخالفة ليست بذنوب حقيقية، وإنّما هي مباحة في نفس الأمر لهم، أي في شرع كل من فعل ذلك الفعل، وإنّما وقع العتاب عليها، والعتاب المؤاخذة في الدنيا ببعض مصائب الدنيا كما قدمنا، حاشا سيد الوجود ﷺ، فإنّه لم يقع له شيء من المؤاخذة على ما فعله وهو المعبر عنه بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما حكى الله عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في قوله تعالىٰ: ﴿ولقد فتنا سليمان، وألقينا على كرسيه جسداً﴾ [ص: الآية ٣٤] هي مؤاخذته على ما صدر منه عليه الصلاة والسلام من قوله: لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله، ولم يقل إنْ شاء الله فعوتب بشق إنسان كما في الخبر قال ﷺ: **«ولو قال سليمان إنْ شاء الله»** لكان ما قال، انتهى. فقول سيدنا سليمان عليه السلام مباح، ولكن عوتب للأمر الذي ذكره شيخنا رضي الله عنه فيما تقدم كما بيّنه الحديث والله أعلم بذلك.

وكذلك من هذا القبيل ما وقع لصاحب الحوت عليه السلام حين خرج من قومه فاراً بنفسه كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وذا النون إذْ ذهب مغاضباً فظن أنْ لن نقدر عليه﴾ [الأنبياء: الآية ١٧]، فعاقبه الله بالتقام الحوت، وإنْ كان خروجه مباحاً لأنّه لله لا لنفسه، ولكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يؤاخذون بمثل مثاقيل الذر لعلو مرتبتهم عند الله تعالىٰ كما قدمنا، وذكر صاحب الإبريز عن شيخه رضي الله عنه معنىٰ «مغاضباً» أي «غاضباً عليهم» حيث تركوا ما فيه رشدهم وصلاحهم من الإيمان

به والاستسلام لأمره حتى نزل بهم أمر الله تعالىٰ، وعذابه بحسب ما يظهر للناظر فإنّ العذاب كان فوق مساكنهم، فلما رأى يونس ذلك غضب وأبق إلى الفلك المشحون، وأما قوله تعالىٰ: ﴿فظن أنْ لن نقدر عليه﴾ [الأنبياء: ١٧] فمعناه أنّه ظن أنْ لن نهلكه بما أهلكناهم، وذلك أنّه لما رأى إمارة العذاب فرّ عنهم ظاناً النجاة، وأنّه لا يصيبه ما أصابهم، فأراه الله تعالىٰ نوعاً آخر من القدرة لم يكن في ظنه عليه السلام، فلما رأى ذلك نادى في الظلمات ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧]، فاستجاب له ربه، ونجاه عز وجل، انتهى ملخصاً من الإبريز.

قلت: وفعله هذا كله مباح، ولكن عوتب لأجل الوجه الذي ذكره سيدنا رضي الله عنه، والله أعلم. وأما ضر سيدنا أيوب عليه السلام الذي شكا منه، فإنّه فيما حُكي عنه أنّ زوجته عليها السلام باعت ضفيرة من شعر رأسها لتأخذ له بعض ما يحتاجه، فلما سألها، وأخبرته بالواقع أدركه ما يدرك أهل الهمم العلية والنفوس المتعالية عن سفاف الأخلاق من العار الذي وجده في نفسه من العيش بشعر حليلته، ففزع إلى الله تعالىٰ حينئذٍ من هذا الضر الذي لحقه، وقال: ﴿رب إني مسني الضر﴾ [الأنبياء: الآية ٨٣]، انتهى.

(وسألت شيخنا رضي الله عنه) عما ذكره بعض المفسرين في حق سيدنا داود عليه السلام، وإنّه تمنى كذا بقلبه، وأمر الرجل بكذا ليفعله، وكذا وكذا (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معاذ الله أنْ يصدر هذا من المعصوم، وإنّما حكى الله عنه أنّ الخصمين اختصما في نعاج من الغنم لا غير كما قال الله: ﴿إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة﴾ إلى قوله ﴿وأناب﴾ [ص: الآية ٢٣] ومن المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلاّ بالخبر الصحيح ولا يصرف عن ظاهره إلاّ إذا كان ظاهره يلزم منه المحال، وكلا الأمرين منتف هنا، فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه، ولا قرينة تصرفها عن الظاهر، وإذا فهمت هذا تبيّن لك أنّ الآية على ظاهرها وليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أنْ يذكر حتى في صالحي عامة المؤمنين، فكيف يقال في صفوة الله هذا التأويل الشنيع؟ نعوذ بالله من التخليط. (وقلت) للشيخ رضي الله عنه: فمم تاب سيدنا داود عليه السلام؟ قال رضي الله عنه: من ظنه أنّه أخطأ في الحكم فقط لا غير هذا كما أخبر الله عنه: ﴿وظن داود إنّما فتناه﴾ [ص: الآية ٢٤]، فانظر رحمك الله هذه الطريقة البيضاء التي كل من سلكها باعد وارد لظى، فاستمسك بهذا الحبل المتين، واترك عنك كل تأويل صادر من تخيل العقل الخشين، لتكون من المحسنين (قلت) لسيدنا رضي الله عنه: فإذا كانت توبته مما ذكرت، فما معنى قوله تعالىٰ: ﴿فغفرنا له ذلك﴾ [ص: الآية ٣٨] قال لي: غفر له ظنه. (قلت) له: ظنه ليس بذنب في نفس الأمر. قال: أكابر الصديقين ليسوا كغيرهم فإنهم يؤاخذون بمثاقيل الذر كما قدمنا لأنّ الحضرة مطلوبة بالأدب، فمن كان في حضرة الحق

وغفل أو نسي ولو في أقل قليل يؤاخذه، ولم يعذر كغيره، وإنْ كان في ظاهر الشرع غير ذنب كما حكى الله عن سيدنا آدم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ذكر عذره وعاقبه بالنزول إلى الأرض، ويأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

وذكر الشيخ رضي الله عنه ما يعضد هذا من الحكايات في آداب أهل الحضرة منها أنّه قال: كان سري السقطي رضي الله عنه ذات يوم جالساً فمد رجله ثم ردها بالعجلة، وأخذ يتضرع إلى الله عز وجل ويقول: لا أعود لمثلها أبداً فقال له بعض الفقهاء وكان بحضرته: فما هذا فلا شيء عليك ولا حرج؟ فقال له: لا بأس عليك أنت ولا شيء والفقيه قال له ذلك: لأنّ مد الرجل مباح في الشرع، والمباح لا مؤاخذة فيه، ولم يدر أنّ الأكابر مطالبون بالأدب في كل وقت ولو في النسيان كما قدمنا. ومنها أنّه قال: كان رجلان بسفينة وكانا أخوين في الله، فلما كان ذات يوم رأى واحد منهما حبة طعام ساقطة فرماها في فيه فنهره الآخر، وقال له: ما هذا التجاسر، فأخذ يعتذر إليه بالنسيان والغفلة، فلم يقبل عذره، وقال له: لا أصحب من يغفل عن الحضرة، ورمىٰ بنفسه في البحر وتغيب عنه، فلما وصل إلى البيت الشريف رآه يطوف، فتعلق به، فقال له: لولا أخوة في الله بحقها لم ترني ولم أصاحبك فقال له: إني تائب لله، فقبله وصحبه فإذا كانت هذه الآداب في حق أولياء الله تعالىٰ، فما بالك بصفوة الله من أنبيائه ورسله؟ فهم أولى بمطالبة الآداب وعدم الغفلة.

فإذا فهمت هذا أذكر لك ما وقع لسيدنا آدم عليه السلام من هبوطه إلى الأرض وخروجه من الجنة لتتأدب مع الحضرة، وتعلم ما تقول؛ قال شيخنا رضي الله عنه: فهو في الصورة مؤاخذة في الحقيقة للكمال والاصطفاء والاجتباء لأنّه أهبطه إلى الأرض ليكون خليفة تصديقاً لقوله جل وعلا: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: الآية ٣٠]، فأظهر في حكمته ما سبقت به مشيئته، وأما قوله تعالىٰ: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه: الآية ١٢١] فهي في الصورة لا غير بدليل أنّ سبحانه وتعالىٰ ذكر عذره بقوله جل وعلا ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ [طه: الآية ١١٥]، ولم نجد له عزماً، والمعلوم في الشرع أنّ الناسي لا يؤاخذ ولكنّ الكمل من عباده ليسوا كغيرهم، كما قدمنا. فقلت لسيدنا رضي الله عنه: فإذا كانت مخالفته ليست بذنب فمم ذكر الله توبته؟ قال: من صورة المخالفة لأنها في الظاهر ذنب، وإنْ كانت في نفس الأمر ليست بذنب لأنّه فعلها ناسياً كما ذكر الله عنه في الآية، والناسي لا ذنب عليه في الشرع، وإنما العتاب والمواخذة للغفلة عن الآداب، وعدم العلم بوجه المطلوب فعلاً أو تركاً كما تقدم. وقال شيخنا رضي الله عنه: اعلم أنّ في أكل آدم من الشجرة آية للمعتبرين، وأسوة للتائبين من إظهار باهر قدرة الله تعالىٰ وعجائب صنيعه وموافقته لما سبق في مشيئته من اجتباء آدم

وخلافته بسبب مخالفته، وطرد إبليس ولعنه وإهانته بعد اصطفائه وتعبه بكثرة عبادته، لتعلم أنّ الشقاوة والسعادة ليستا مرتبطين بالعلل والأسباب، وإنما السعيد من سعد في الأزل والشقي كذلك، ولهذا لم تنفع الملعون كثرة الأسباب، وذلك أنّ إبليس لعنه الله لما طرد بسبب مخالفته لأمر ربه لعن وكتب قلم الشقاوة الأبدية عليه، وصار من المغضوب عليهم أخذ يغضب مولاه ويعاند ويتوعد عباده بالغواية، ويتهدد ويقسم لربه أنّ هذا الذي كرمت عليَّ لأغوينه وذريته، ولا أزال به حتى تطرده كما طردتني قالت له العناية بلسان الحال: إنّ آدم محبوب عند الله في الأزل لا تضره المخالفة وإنْ صدرت منه لأنّ الله خلقه من أجله ليظهر فيه بمظاهر ألوهيته وسبق في علمه أنّه خليفته في خلقه ومصطفى ومجتبى عنده فأبرزه في ظاهر حكمته على وفق ما أبطن في مشيئته ولو وقع في مخالفته رغماً على أنفك يا ملعون وزيادة في طردك وبعدك إذهب، فإنك رجيم، وإنّ عليك اللعنة إلى يوم الدين، لأنّك مخلوق لنفسك وتعبك كان لحظك وشهواتك وما رأيته في بدايتك هي ملابس مستعارة لك، والأصل هو شقاوتك وطردك، ولذلك خلقتك؛ وأمّا آدم عليه السلام فمخلوق للسعادة الأبدية والنعم السرمدية والخلافة العظمى على جميع البرية، فشتان ما بين من كان سعيداً في المشيئة الأزلية، وبين من كان شقياً فيها، ولذا يقال في المثل: «من سبقت له العناية لم تضره الجناية»، ومن الجاري على ألسنة العامة: «المحبوب ما له عيوب»، فآدم لبس تاج الخلافة بسبب المخالفة، وإبليس لبس خلعة الشقاوة بسبب العبادة مع الطرد واللعن والخذلان والحرمان والخزي والنكال، وأعدت له دار الهوان والعذاب والغضب مقراً للخلود فيها بزلة واحدة وهي إبايته عن السجود فسبحان المتصرف في العباد بما أراد، فمن ذلك الوقت صار إبليس مظهراً للغواية والضلال والشقاء والبعد والخسران والعناد والغضب والفساد والزيغ والبهتان وأنواع العصيان والكفر، والباطل، ومخالفة أمر ربه في كل ما ينهي عنه، أو يأمر به؛ كما كان سيد الوجود ﷺ مظهراً للهداية والتوفيق والسعادة والقرب إلى الله والربح، والانقياد والرضا والصلاح والرشد، والصدق وأنواع الطاعات والإيمان والحق والامتثال لأمر الله وجميع وجوه التقربات وجماع الخيرات، فهما في عالم الحكمة عينان متقابلتان في غاية المضادة والتنافر، وأمّا بالنظر للمشيئة، فليس لهما شيء من ذواتهما ولهذا قال ﷺ: «**بعثت داعياً وليس لي من الهداية شيء، وبعث إبليس داعياً، وليس له من الغواية شيء**» وما ذكرناه من المظهرين في الحكمة الظاهرة، وأما ما يفاض على الوجود بأسره فرداً فرداً، انتهى من إملائه على محبنا وسيدنا أبي عبد الله سيدي محمد بن المشري، وكتبته من إملائه علينا حفظ الله علاه.

(وسمعته) يقول رضي الله عنه: إنّ نبوة سيدنا آدم عليه السلام تؤخذ من مضمن

الآيات لا من ظاهرها قلت له: والأحاديث الصحيحة هل فيها ما يدل على نبوته أم لا؟ قال: إلاّ ما روي على نبينا ﷺ قال: «**إنّ سيدنا آدم نزلت عليه صحيفة الحروف، وفيها تسعة وعشرون حرفاً**» قال له بعض الصحابة: إنها ثمانية وعشرون قال ﷺ: «**بل تسعة وعشرون**» قال الصحابة: بلام الألف قال له: نعم إنّ لام الألف مركب من حرفين، ثم قال الشيخ رضي الله عنه: إنّ نبوة سيدنا آدم تؤخذ من لفظ الخلافة لأنّ من استخلفه الحق لا بد أنْ يكون فيه معنى ما من مستخلفه وهو هنا أخذه على جميع الأسماء الكونية والإلهية التي بها نظام الكون وقوامه كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: الآية ٣١]، وعلمه بهذه الأسماء فرع عن الصديقية، ولكنّ الفرع هنا أعلى من المتفرع عنه، والصديقية لا تكون إلاّ عن أحكام التكليف، والأحكام التكليفية لا تكون ناشئة إلاّ عن الأخبار النبوية، والأخبار النبوية لا تكون إلاّ من الله لبعض أنبيائه أو من نبي لبعض أتباعه وسيدنا آدم ثبت له جميع ما ذكر من الخلافة والصديقية وهي وليس قبله نبي، فثبت أنّه نبي عليه الصلاة والسلام، وتركيب هذا الشكل معلوم لمن يعقله، وكذلك آية قوله عز وجل: ﴿فأمّا يأتينكم مني هدى﴾ [البقرة: الآية ٣٨]، بعد قوله تعالىٰ: ﴿اهبطوا﴾ الآية فإنّ الهداية لا تكون من الله تعالىٰ إلاّ لمن أراد أنْ يكون هادياً مهدياً، وهذا لا يكون إلاّ نبياً أو وارث نبي، وسيدنا آدم لم يرث نبياً فثبت أنّه هو نبي، فرضي الله عن سيدنا وشيخنا ما أغوصه على المعاني الغامضة التي لم يسبق بها، انتهى من إملائه عليّ محبنا سيدي محمد بن المشري، وبإملائه علينا كتبته.

(وسألته) رضي الله عنه عما حكى الله عن الخليل عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿فقال إنيّ سقيم﴾ [الصافات: الآية ٨٩]، وقوله تعالىٰ ﴿فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء: الآية ٦٣]، وفي الخبر هي أختي في زوجته، (فأجاب رضي الله عنه): فكل هذه المقولات الثلاثة مباحة للخليل عليه الصلاة والسلام فإنّه مشرع وخليفة فعل ذلك بإذن إلهي، فلا توزن أفعاله ولا تقاس على غيره لأنّه ما أراد بها إلاّ الحق، فكل ما يصدر منه فهو موافق لشريعته، فهذا غاية ما يذكر في حقه عليه الصلاة والسلام يشهد لهذا قوله ﷺ حين نهى الناس عن الوصال قالوا: «**نراك تواصل قال: إني لست كهيئتكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**»، وفي المثل السائر لا يصح للضب أنْ يقيس النون على نفسه، فإذا فهم هذا، فكيف يمكن لأحد أنْ يتكلم بالمناقشة على من منّ الله عليهم برسالته وأمنهم على سر وحيه، وجعلهم قدوة لخلقه، وأيضاً، فإنّ شرائع من قبلنا لم نعلم كيف كان الحكم فيها عند أهلها حتى تتكلم فيها بنفي أو إثبات، فإنّ شريعتنا التي بأيدينا لم يحط بأحكامها إلاّ أفراد من الكمل، وهم أقطاب هذه الأمة، فما بالك بالشرائع التي لم نعلمها، وما وصلت إلينا ولم ندرِ ما حكم الله فيها لأهلها، فمن أراد أنْ يتوصل

إلى معرفة أحكامها من غير خبر صحيح في شريعتنا، فهو فضولي مدخل نفسه فيما لا يعنيه، ولا يرتكب هذا إلاّ من إسلامه غير حسن لخبر: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، ومن العجب أنّ الأعمى يريد أنْ ينقد على البصير، ويدله على الطريق، ومن هنا تفهم أنّ ما فعله سيدنا سليمان عليه السلام من ضرب السوق، والأعناق للخيل حين شغلته حتى توارت الشمس كما حكى الله عنه جائز في شرعه، وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ثم قال الشيخ رضي الله عنه: واعلم أنّ أحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام لا تتبع بالمناقشة والتفتيش ويجب الاقتداء بهم في كل ما أتوا به، فإنّ الله ذكر هداهم حين ذكرهم قال تعالىٰ: ﴿أولئك الذين هدى الله فهداهم اقتداه﴾ [الأنعام: الآية ١٩٠] فلا يحل لامرىء مسلم أنْ يناقش في أحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام. قال تعالىٰ: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: الآية ٦٤] وقال جل وعلا ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، [النساء: الآية ٨٠] وهذا عام في كل رسول، ومن أراد أنْ يقيس أفعال النبوة على غيرها فهو جاهل بحقها، ومقصر في آداب رتبتها ولم يعلم أنّ الإذن في كل ما يصدر منهم على العموم وإنْ وقع العتاب لهم على بعض الأمور، فإنما هو للوجه الذي ذكره الشيخ في تقسيم وجوه المباح لا غير، ولهذا الاقتداء والتصديق من المؤمنين للرسل تشهد أمة محمد ﷺ يوم القيامة على الأمم التي كذبت رسلها، وأنكروا بلوغ الرسالة، فإذا قالت أمة: لم يبلغ لنا ما أرسلته به يا ربنا يقول المولى جل جلاله وهو أعلم بهم: «من يشهد لك أنك بلغتهم» فيقول الرسول: أمة محمد، فيقول لهم المولى تبارك وتعالىٰ: «هل عندكم من شهادة لرسولي هذا» فتقول أمة محمد أو أرسلته يا ربنا، فيقول الرب سبحانه وتعالىٰ: «قد أرسلته إليهم» فتقول أمة محمد: فتشهد له على أنّه بلغهم ما أرسلته به إليهم وشهدوا له لأنّهم يعلمون أنّ الله لا يؤمن على سر وحيه إلا منْ كان صديقاً أمينا وصاحب هذا الوصف يستحيل في حقه عدم التبليغ.

وإذا فهمت هذا علمت أنَّ الذنوب التي ذكرت في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، والأفعال التي صدرت منهم في صورة المخالفة إنَّما فعلوها للوجه الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه فيما قدمنا في صدر الباب، أو هي مباحة لهم في شرعهم كما قدمنا في قولات سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفعل سيدنا سليمان عليه السلام، وأما سيدنا آدم عليه السلام، فقد ذكر الله عذره كما قدمنا، وأمَّا قوله تعالىٰ فيما حكاه الله عن سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: الآية ٢٤] قال شيخنا رضي الله عنه: هم بها يحتمل هم بالمعصية ويحتمل هم بالبطش بها أي بالمرأة غضباً لما طلبته بفعل الفاحشة فإمَّا إنْ قلنا همَّ بالمعصية، فإنَّ العصمة مانعة منه، فلم يبق إلا كونه همَّ بالبطش بها غضباً لولا أنْ رأى برهان ربه، فلما رأى البرهان تركها

إذْ علم من البرهان أنَّه معصوم، وأما قوله: برهان ربه تفسير البرهان قيل: أنَّه رأى صورة يعقوب عليه الصلاة والسلام عاضاً على أصبعه، ويقول: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء، وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء، فزاده الله قوة على التخلص منها وقيل: إنَّه رأى قائلاً يقول له: فمثلك إنْ لـم تواقعها، كمثل الطير في الهواء لا يصل إليه شيء ومثلك إنْ واقعتها، كمثل الطير إذا سقط ميتاً في الأرض لا يدفع عن نفسه شيئاً، وقيل: إنَّ البرهان رآها حين أرادت التحرك إليه بعدما أظهرت صورة الفاحشة كان لها صنم تعبده، فقامت وغطته بغطاء كثيف، فقال لها: ما شأنك فعلت به هذا، فقالت: أكره أنْ يراني على المعصية، فقال لها عليه السلام أنا أحق أنْ يراني الله تعالىٰ على معصيته، فنفر عنها، انتهى، وأما قوله: وما أبرىء نفسي، فإنَّه أخبر عن حال بشريته بتحركها لطلب الفعل لما أنْ دعته المرأة والقلب أدبر عن إجابة البشرية إلى ما طلبت توفية بأمر الله، فإنَّ القلب هو المخاطب بالتكليف لا البشرية، فإنَّ القلب إذا توقف ووقف في الحدود المأمور بها لم يضره تحرك البشرية لخلاف ذلك لأنَّ القلب قد سلم، وهو المراد بالتكليف يشهد له قوله ﷺ: «إنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا، وهي القلب».

وبعبارة، فالبشرية في الأنبياء موجودة لطلب الانغماس في الشهوات هم فيها، كسائر البشر سواء كانت الشهوة محرمة أو حلالاً والقلب هو القائم على البشرية يفصل أحوال الشهوات يصرف البشرية في الشهوات الحلال، ويقمعها عن الوقوع في الشهوات المحرمة، هذا هو عين العصمة التي يتصف بها الأنبياء، لا زوال البشرية كما يظنه بعض الجهال، فإنَّ البشرية لو كانت مفقودة فيهم لم تكن لهم عصمة لعدم وجود سببها وهو ظهور البشرية لطلب الوصول إلى الشهوات المحرمة، فامتناع القلب من موافقة البشرية عن الوصول إلى الشهوات المحرمة مع وجود داعية البشرية إليها هو الأمر المسمى في عرف الشرع بالعصمة يشهد لهذا قوله ﷺ: **«ما بعث الله نبياً ولا خليفة إلاّ وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً»**، ومن يتق بطانة السوء، فقد وقى، فدل الحديث الكريم على وجود البشرية الداعية للشهوات في الأنبياء إلا أنَّ القلب يستعصم من تصريف البشرية في الشهوات المحرمة، وهذه هي العصمة، فظهر من هذا الخبر أنَّ الخواطر حتى في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكنَّ سلطان الروح قاهر لميل النفس وهواها، فلا تقدر تتحرك لشيء إلا إذا حركها سلطان الروح لا يميل للقبيح، فلذا كانوا منزهين عن الأفعال القبيحة لأنَّ الله أيدهم بروح منه، ومنْ أيده الله لا تتأتى منه مخالفة للحق. ولو فيه حتف أنفه، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن أخوة سيدنا يوسف عليهم الصلاة والسلام هل هم أنبياء

أوليسوا بأنبياء؟ (الجواب) أنهم أنبياء بدليل قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء: الآية ١٦٣] إلى قوله «الأسباط» وهم أولاد سيدنا يعقوب عليهم الصلاة والسلام، وأمّا ما فعلوه مع سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، فيحتمل أنّه كان ذلك جائزاً في شرع أبيهم، أو فعلوه قبل توبتهم لأنَّ العصمة ليس بمجتمع عليها قبل النبوة، وهذا غاية ما يذكر في حقهم عليهم الصلاة والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه، وأرضاه.

(وسألته) رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿ولو أنَّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: الآية ٦٤] (فأجاب) رضي الله عنه بما نصه قال: فمن وقع في ذنب، وجاء إليه ﷺ مستغفراً، وتائباً وجد الله غفوراً رحيماً والإتيان له ﷺ بعد موته كحياته، وقبول التوبة والعمل من كل مؤمن مقطوع بها إنْ صدر كل منها على القانون الشرعي ظاهراً أو باطناً وسلمت من عوارض الإبطال منها ما يكون في ذات الفعل نفسه، ومنها ما يكون خارجاً عن الفعل.

فالتي هي من ذات الفعل هي الرياء والتصنع لجلب غرض من الخلق جلباً أو دفعاً، والعجب هو عدم شهود المنة وهذا الأخير هو لخاصة الخاصة فقط، وعوارض الإبطال الخارجة عن الفعل، كترك صلاة العصر حتى غربت الشمس من غير عذر، كالنسيان والنوم وكقذفه للمؤمن المحصن، ورميه بالزنا، وكأكله أجرة الأجير بعد وفاء عمله، وكتعمده لأكل الحرام ولم يتب منه، وكالردة والعياذ بالله وكذلك سب الصحابة رضوان الله عليهم لما ذكر في الحديث أنَّه لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً فكل ما كان من المحبطات في ذات الفعل تحبط العمل الذي وقعت فيه لا تتعدى لغيره، والمحبطات الخارجية عن الفعل هي التي تحبط كل عمل تقدمها والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه وأرضاه.

(وسألته) رضي الله عنه عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء: الآية ١١٠]، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: **«معنى الآية أنَّ من اقترف ذنباً كبيراً أو صغيراً، ثم رجع إلى الله تعالىٰ خائفاً من عقوبة ذنبه، فتضرع إلى الله تعالىٰ، وسأله المغفرة لذنبه الذي اقترفه وجد الله غفوراً رحيماً»**، بحسب وعده الجميل، ولم يخرج استغفاراً خائباً من المغفرة بشاهد قوله ﷺ: **«لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم الله»** يريد إظهار فضله سبحانه وتعالىٰ على خلقه، وفي الآية رجاء عظيم ووعد جزيل في أنَّ من استغفر الله من ذنوبه وتضرع إليه صادقاً غفر الله له أي ذنب كان، وهذا المشهد فيه رجاء عظيم، والناس غافلون عنه وفي هذه الآية طلب الاستغفار لا غير من غير توبة، فإذا صدق الله

بالتضرع إليه في طلب المغفرة وجد الله غفوراً رحيماً إنَّ العبد إذا نظر في صحيفته يوم القيامة ما وجد فيه من الذنوب أنَّه سأل المغفرة من الله غفر، ولم يوضع في الميزان، وما لم يستغفر الله فيه وضع في الميزان، انتهى.

(وسألته) أيضاً عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ [آل عمران: الآية ١٣٥]، (فأجاب) بقوله: معناها إنَّ الله مدح الذين أعدت لهم الجنة من جملتهم الذين إذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم. قلنا: الذكر هنا على مراتب مقام العامة ذكر العذاب، وشدة العقاب، فيتألم باطنه من ذكره، فيستغفر الله مع ذنوبه، ومقام الخاصة فوقهم ذكرا التوبيخ والعتاب لا العذاب فإنَّهم يفرون من توبيخه وعتابه كما تفر العامة من عذابه وأليم عقابه، وإذا ذكروا هذه الحالة استغفروا من ذنوبهم، وذكر خاصة الخاصة الحياء من علم الله بها، والحياء من نقص الأدب مع الله تعالىٰ، فيذكر هذه الحالة فيستغفر من ذنوبه قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه: «لأنْ أطيع الله وأدخل النار أحب إليَّ من أنْ أعصيه وأدخل الجنة» استحيوا من الله من سوء الأدب، ومن وقوع السيآت منهم لعلمهم أنَّها تسوء الحق سبحانه وتعالىٰ وفي الحديث يقول ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قالوا: إنا لنستحي والحمد لله قال: ليس ذلك كذلك، ولكن الحياء أنْ تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى وتتذكر الموت والبلا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ [التوبة: الآية ١١٧] ما معنى هذه التوبة في حقه ﷺ، (فأجاب) رضي الله عنه قال «**هي الحماية من مواقعة الذنوب**» قلت له: أما في النبي ﷺ، فنعم لأنه معصوم، وأما من ذكر معه في الآية، فما معنى الحماية في حقهم، فهل هي عدم وقوع الذنب في حقهم كما في حقه ﷺ، فقال رضي الله عنه: «**معناها دوام التوبة لهم وعدم الإصرار على الذنوب**» ومن كان هذا حاله كان مثل من لم يصدر منه ذنب أصلاً لقوله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»وقوله: ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة ولفائدة أخرى، وهي رجوع العبد إلى ربه، والرب سبحانه وتعالىٰ يحب من عباده الراجعين إليه الذين لا ملجأ لهم غيره في جميع أمورهم، ومن كانت هذه حالته مهما أذنب تاب من حينه إلى ربه كان محبوباً عند ربه انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: الآية ٣٥]، فأجاب رضي الله عنه بقوله: «**معناها اتقوا الله وخافوه من شدة عقابه، وابتغوا إليه الوسيلة وهي الأعمال الصالحات التي فيها رضاه سبحانه**

وتعالى» ويؤخذ من هذه الآية على طريق الإشارة، وابتغوا إليه الوسيلة التي تنقطعون بها عن غيره لتتصلوا به ولا وسيلة أعظم من النبي ﷺ ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ، ومن جملة ما يبتغي من الوسيلة إلى الله تعالىٰ الشيخ الكامل، فإنّه من أعظم الوسائل إلى الله تعالىٰ والسلام انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: ٦]، (فأجاب) رضي الله عنه: النبي ﷺ له الاستيلاء على جميع المراتب، والانفراد بالحكم والتحكم فيها بكل وجه وبكل اعتبار والمراتب هي أفراد المخلوقات من كل جوهر، وكل ذات وكل ذرة وكل جرم، وكل ذات على انفرادها هي مرتبة للحق، وكلها مراتب إلهية، فبهذا القدر كان أولى بكل أحد من نفسه، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ [الأنعام: الآية ٥٩] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: **«نفى الله العلم بالغيب عن الخلق بهذه الآية فلا يعلمها أحد سواه»** لكن العلم المنفي ما كان للخلق إليه طريق، وطرق العلم إلا الخلق من أحد ثلاث: إمَّا بحاسة من الحواس، وإمَّا بطريق السمع وتبليغ الخبر، وإمَّا بطريق الفكر وهو النظر في أمور معلومة يتوصل بالنظر فيها إلى العلم بأمور مجهولة، فهذه الطرق هي المنفية عن الخلق، وبقيت الطريق الرابع وهي ما يقذفه الله في قلب العبد بخير حاسة ولا واسطة ولا فكر، ويسمى هذا بالعلم اللدني، فإنَّ هذا العلم غير منفي على الرسول، ولا على غيره من النبيين والمرسلين يشهد بهذا قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد﴾ [الجن: الآية ٢٦] إلاّ من ارتضى من رسول قال المرسي: أو صديق أو ولي يشهد لهذا قوله ﷺ: **«إنَّ من العلم كهيئة المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله»** بعبارة أخرى قال: المراد بالعلم الذي نفاه الله عن خلقه في الخمسة، وغيرها من المغيبات هو العلم المكتسب الذي يتوصل إليه الخلق بأحد أمور ثلاثة كما تقدم؛ إمَّا من أخبار سمعية، أو بأدلة فكرية، أو بمعاينة حسية، فهذه الطرق هي التي حجر الله عن صاحبها أنْ يعلم الغيب، وأما من وهبه الله العلم اللدني، فإنَّه يعلم بعض الغيب، كهذه المذكورات أو غيرها كما في قصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام لأنَّه فعل ما حكاه الله عنه عن علم، ولم يعلمه كليم الله قال تعالىٰ: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ [الكهف: الآية ٦٥] هذا دليل على أنَّ من علمه الله العلم اللدني أنَّه يعلم بعض الغيوب التي أخفاها الله على كثير من خلقه، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ [الحج: الآية ٥٢]، (فأجاب) رضي الله عنه الكلام في هذه الآية من طريق التأويل، فإنَّ

التأويل كله يسعه القرآن وتأويلها أنَّ كل رسول يتمنى إسلام المرسل إليهم وهدايتهم حرصاً على أمر الله وشفقة عليهم، فإذا تمنى هذا ألقى الشيطان في قلوب المرسل إليهم نقيض ما تمناه ضلالاً وكفراً فيتنقص الرسول بذلك، ثم ينسخ الله ما يلقي الشيطان في قلوب المرسول إليهم من المعاصي والكفر والتكذيب، ثم يحكم الله آياته، ومعناه ما تدل عليه الآية المنزلة من الإيمان بالرسول وألقي إلى أمر الله والوقوف عند حدوده هي الآيات المحكمات، والسلام. وأما حديث الغرانيق، فباطل لا أصل له من وجهين كلاهما يقطع ببطلانه الأول قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾ [الشعراء: الآية ٢١٠] فهذا شاهد في الآية بعصمة الوحي من تطرق الشيطان؛ والثاني قوله سبحانه وتعالىٰ في الآية التي زعموا فيها الغرانيق: ﴿إنْ هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ [النجم: الآية ٢٣] فإنَّه لو كان معها حديث الغرانيق لضحكت من جميع العرب، وسخروا بالنبي ﷺ وبوحيه، وبيان ذلك أنهم يقولون: أفرأيتم اللات والعزى إلى آخر الآية يقولون فيها نسمع المشركون تلك الغرانيق العلى، وإنْ شفاعتهن لترتجى، ثم يقول بعد ذلك: إنْ هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، فإنَّ الكلام المقدس الجليل ينزه عن مثل هذا القدر الفاحش إذْ لا يوجد فيه أول الآية يدل على مدح الشيء، وآخرها يدل على ذمه والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ [طه: الآية ١٢٤] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: «**وهي في الآخرة**» قلت له: سياق الآية يدل على أنَّها في الدنيا قال: المعاينة تدل على أنَّها في الآخرة لأنا نشاهد كثيراً من الكفرة في سعة من سعة الدنيا، ولو كان الضنك في الدنيا لم يكونوا كذلك، فدلت سعة الدنيا التي نشاهدها بأيديهم على أنَّ معيشة الضنك في الآخرة عمن أعرض عن ذكر الله ويدل عليها قوله تعالىٰ: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق ومما كنتم تمرحون﴾ [غافر: الآية ٧٥] ولو كان الضنك ما سألهم ما فرحوا وكذلك من الدليل عليها قوله سبحانه وتعالىٰ فيهم: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ [الواقعة: الآية ٤٥] والمترف هو الناعم البدن، والنعيم في البدن مستحيل مع ضنك المعيشة لما يصحبه من الحزن، فلا يتأتى نعيم بدنه، انتهى من إملائه رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن معنى قوله تعالىٰ في حق النبي ﷺ: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: الآية ٥٢] وفي الآية الأخرى، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلى غير ذلك من الآيات التي نحت هذا النحو، مع حديث عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: «من قال إنَّ النبي ﷺ يعلم ما في غد فقد كفر» أو ما هذا معناه مع أنَّ علم

الأولين والآخرين محمول في ذاته الشريفة، وهو الموصول إلى كافة الخلق كل على قدره؛ الجواب اعلم أنَّ النبي ﷺ كان يعلم علوم الأولين والآخرين إطلاقاً وشمولاً، ومن جملة ذلك العلم بالكتب الإلهية فضلاً عن القرآن وحده ويعلم مطالبة الإيمان بدايته ونهايته وماهية الإيمان وما يفسده وما يقويه، كل ذلك هو ثابت في حقيقته المحمدية ﷺ، وأما قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: الآية ٥٢] فإن هذا الحال كان قبل النبوة لم يعلمه الله بحقيقة الإيمان ولا بكيفية تنزيل الكتب، ولا بماهية الرسالة وتفصيل مطالبها كل ذلك حجبه الله عنه قبل النبوة وهو مكنوز في حقيقته المحمدية ولا يعلمه ولا يشعر به حتى إذا كان زمن النبوة رفع الله عنه الحجب، وأراه في حقيقته المحمدية، يشهد لذلك قوله ﷺ: «**رأيت ربي في صورة شاب**» إلى أنْ قال: «**وضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، فعلمني علوم الأولين والآخرين**»، وهذا كان في زمن النبوة رفع الله عنه الحجاب، وأراه ما أدرجه الله له في حقيقته المحمدية من كنوز المعارف والعلوم، والأسرار التي لا يحاط بساحلها، ولا ينتهي إلى غايتها، وإياك أنْ تفهم من هذا أنَّ حقيقته المحمدية كانت عرية عن هذا قبل النبوة، فلا يصح هذا الظن بل حقيقته المحمدية لم تزل مشحونة من جميع هذه المعارف، والعلوم والأسرار من أول الكون من حيث أنَّه أول موجود أوجده الله تعالىٰ قبل وجود كل شيء، وفطره على هذه العلوم والمعارف، والأسرار ولم يزل مشحوناً بها إلى أنْ كان زمن من وجود جسده الكريم ﷺ، فضرب الحجاب بينها وبين علمه بها ﷺ إلى أنْ كان زمن النبوة فرفع الحجاب، وأطلعه على ما أودعه في حقيقته المحمدية مما ذكر أولاً وما خاطبه في قوله: «ما كنت تدري ما الكتاب، ولا الإيمان» أخبر عن حالة احتجاب ما كان في حقيقته أولاً عن علمه ﷺ بها فقط لا أنَّها لم يكن العلم بها في حقيقته.

قد كان ﷺ قبل النبوة من حين خروجه من بطن أمه لم يزل من أكابر العارفين، ولم يطرأ عليه حجاب البشرية الحائل بينه وبين مطالعة الحضرة الإلهية القدسية، وكان من أفراد العالم والفرد نسبته إلى عموم العارفين والصديقين، كنسبة العارف بالله إلى العامة لا يعرفون شيئاً كان في تلك المرتبة ﷺ متحققاً بمرتبة أنْ يأخذ العلم عن الله بلا واسطة، ولا يجهل شيئاً من أحوال الحضرة الإلهية، ولم يطرأ على شمسه في هذا المحل أقوال ﷺ والعلم بالله تعالىٰ الذي هو عند الأفراد العارفين ثابت له في هذه المرتبة، وإنَّما حجب الله عنه في هذا الميدان ماهية الرسالة، ومطالبها وما يؤول إليه وما يراد منا، وكذا حجب الله عنه العلم بكيفية نزول الكتب، وما يؤول إليه وما يراد منه، وما الأمور التي تطلبه في نزول الكتب حتى إذا بلغ مرتبة النبوة رفع الحجاب بين علمه، وبين ما كان مودوعاً في حقيقته المحمدية من العلوم والمعارف والأسرار، ويدل على هذا الذي ذكرناه

قوله ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» وحيث كان في ذلك الوقت نبياً يستحيل أنْ يجهل الرسالة والنبوة والكتاب، ومطالبات جميع ما يؤول إليه كل منها وما يراد من جميعها، فالحديث شاهد على ما ذكرناه ويدل على ذلك أيضاً أنَّه ﷺ قبل وجود جسده الكريم ما بعث الله نبياً، ولا رسولاً في الأرض إلا كان هو ﷺ ممد ذلك الرسول، أو النبي من الغيب من حيث أنَّه لا يتأتى نبي ولا رسول أنْ ينال من الله تعالىٰ قليلاً ولا كثيراً من العلوم والمعارف والأسرار، والفيوض والتجليات والمواهب والمنح، والأنوار والأحوال إلا بواسطة الاستمداد منه ﷺ، وهو الممد لجميعها في عالم الغيب فكيف يمدهم بما هم علماء به، وهو جاهل به ﷺ، ولم يزل يركض في هذا الميدان ركضاً لا تماثله فيه الأرواح ولا تشم لمقامه الأعظم فيه رائحة، وهو فما قبل وجوده ﷺ، كحالة علمه بعد رسالته في الفيض والمدد على جميع الأنوار وإنَّما حجب الله عنه هذه الأمور أعني عن علمه ﷺ بعد وجود جسده الشريف وقبل نبوته، وهي مكنوزة في حقيقته المحمدية لسر علمه الله.

فالاحتجاب لا يطلع عليه غيره، وسر ذلك سدل الحجاب على النبي ﷺ إذْ لو كشف الله له قبل النبوة ما أدرجه في حقيقته المحمدية، وتكلم به قبل زمن الرسالة البعث لوقع الريب في نفس المدعوين فيما تحدى لهم به من الرسالة يقولون له: إنَّما كنت تتكلم بهذا الأمر من أول أمرك نقلته عن غيرك لست نبياً، فستره الله عنه كي لا ينطق به، فلما كان زمن النبوة رفع الله الحجاب عنه، وما رأى الله الناس فيه ﷺ قبل نبوته من كونه أمياً لا يعلم شيئاً ولا يدري شيئاً، ولا وقعت له مخالطة أحد مِنْ أهل الكتب أو القرب منه ليكون إذا كلمهم بما كلمهم به من أحوال الرسالة والنبوة يعلمون أنَّ ذلك حق، لكونه صدر مِنْ أمي لا يعلم شيئاً ولم يكن ذلك ولا نبوة، فهذا سر الاحتجاب وشاهد هذا قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ [العنكبوت: الآية ٤٨] وأما قوله تعالىٰ: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ [الأحقاف: الآية ٩]، فالجواب أنَّه ﷺ عنده العلم القطعي بأنَّه عروس المملكة الإلهية، وأنَّه ليس في جميع الخليقة أكرم منه على الله تعالىٰ ولا أحب عليه منه ولا أعز ولا أكبر حظوة عند الله منه، وأنَّه مأمون العاقبة في الآخرة لا يلحقه لا ألم ولا عذاب وأنَّه في الدرجة التالية من النعيم الدائم المقيم ورضا الله الأبدي السرمدي، كل هذا لا يدخله فيه ريب، ولا شك وما ذكر ﷺ من قوله «**وما أدري ما يفعل بي ولا بكم**» يحتمل أنَّه أراد تفصيل ما يقع به من النعيم، وتفصيل العطايا والمنح الواردة عليه من الله تعالىٰ، فإنه إنْ علمه بجملها يمكن أنْ لا يحيط بتفاصيلها على دوام الأبد في الجنة، فإنَّ في علم الله ما لا تسعه العقول، وإنْ قلنا أنَّه ﷺ محيط علماً بجميع هذا، فيقع له في باله أنْ يكون

عند الله ما لا يعلمه من العطايا، والمنح التي لا يصبها عليه في دار النعيم ولا يعلمها إلا عند وجودها، فهذا غير مستبعد ويحتمل أنْ يكون أراد بقوله، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، فإنّه رد الأمر إلى إحاطة العلم الأزلي الإلهي، فإنَّ علم الله في هذا الميدان لا يحيط به محيط لا نبينا ﷺ ولا غيره يشهد لذلك قوله ﷺ **«ولا أعلم إلا ما علمني الله»** وقوله حاكياً عن نفسه بما ذكر الله عنه في الآية: **«قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب»** فيحتمل أنّه رد الأمر إلى حقيقة العلم الأزلي لأنّه لا يحاط به، وإنْ كان عالماً بما ذكر أولاً، وإما أنْ يتوهم من هذا الخبر أنّه لا يعلم هل يرحمه الله، أو يعذبه ويقربه أو يطرده في الدار الآخرة، فهذا لا تقبله الحقيقة يدل عليه قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحىٰ: الآية ٥] وقوله: ﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾[النساء: ١١٣] ومحال أنْ يكون هذا الأمر منه سبحانه وتعالىٰ، وهو يتخوف عليه العذاب، فإنَّ وعده لا يخلف، وأمّا الخبر الوارد عن عائشة إنْ صحَّ وهو قولها: «من قال إنَّ النبي ﷺ يعلم ما في غد فقد كفر» أو ما هذا معناه، فلا يتأتى هذا إنْ سمعته من النبي ﷺ إلا أنْ يكون كتم الأمر عنها لسر ظهر له في ذلك الوقت لا يمكن كشفه لها كما كتم عنها رؤيته للذات العلية بعيني رأسه، وهو واقع له ﷺ بالإجماع، فيكون كتمه له عنها لسر ظهر له في ذلك الوقت، والأخبار والآثار وكتب الحديث كلها مشحونة بإخباراته بالغيوب التي تأتي من بعده المتقاربة والمتباعدة حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنه: ما ترك ﷺ أميراً يكون في أمته من بعده إلا ذكره إلى قيام الساعة، وقوله ﷺ: **«ما منْ شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار»** الحديث، والأخبار كثيرة متواترة حتى لا يكاد أنْ يرتاب فيها أحد من المسلمين والسلام. ويبقى اعتراض على ما ذكرنا، وهو أنْ يُقال إنَّ صح ما ذكرتم، وكان هذا السر هو المانع من ظهور ما في حقيقته المحمدية قبل النبوة، فلم لا يكون رسولاً ولا نبياً من أول نشأته حتى لا يحتجب عنه ما في حقيقته المحمدية كما كان حال الغيب قبل وجود جسده الكريم، فالجواب عن هذا الاعتراض أنَّ منع الله له من الرسالة والنبوة قبل بلوغه أربعين سنة أنَّ النبوة والرسالة لا تكون إلا عن تجل إلهي لو وضع أقل قليل منه على جميع ما في كورة العالم كله لذابت كلها بثقل أعبائه، وسطوة سلطانه، فلا تقدر الأنبياء على تحمل أعبائه، والثبوت لسطوة سلطانه إلا بعد بلوغهم أربعين سنة.

وأمّا قبل بلوغ أربعين سنة، فلا قدرة لأحد على تحمل أعباء ذلك التجلي لما فطرت عليه البشرية من شدة الضعف حتى إذا بلغ الإنسان أربعين سنة، وكان في علم الله نبياً ورسولاً أفاض على روحه من قوته الإلهية ما يقدر به على أعباء ذلك التجلي، فلهذا السر لم يتنبأ أحد إلا بعد أربعين سنة، وهذا هو المانع له من النبوة قبل ذلك ﷺ ولغيره من

النبيين، وأما سيّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، فكونه نبياً قبل الأربعين، (فالجواب) لم يكن بشرياً محضاً إنّما كان نصفين نصف بشري ونصف روّحاني إذْ نشأ من نفخة الروح الأمين في فرج أمه، فقوي فيه ضعف البشرية، وزاد بذلك قوة على النبيين، فلذلك بعث قبل الأربعين للقوة التي أعطيها من نفخ الروح الأمين في فرج أمه. فإنْ قلت: يلزم من هذا أنْ يكون أقوى منه ﷺ، فالجواب أنّه لم يكن أقوى منه ﷺ، ولكن لما كان ﷺ كامل البشرية من جهة أبيه وأمه كان فيه ضعف البشر وأعطى فيه القوة الإلهية المودعة فيه التي تزيد على قوة عيسى، وغيره والسلام.

(فإنْ قيل): لا يصح ما ذكرتم ولا يتصور أنْ تكون العلوم والمعارف، والأسرار مودعة في حقيقته المحمدية، وهي محتجبة لا يعلمها، (فالجواب) أنَّ هذا الذي قدمناه واقع في الإدراك والحس لا يحتاج إلى التصور، وشاهد ذلك أنَّ الروح الإنساني المدبر للجسم كان قبل التركيب في الجسم مخلوقاً من صفاء صفوة النور الإلهي وأودع فيه سبحانه وتعالىٰ من أسراره وعلومه ومعارفه ما لا تدرك له غاية ولا يوقف له على حد، ولا نهاية، وكانت الروح في ذلك الوقت تامة المعرفة بالله تعالىٰ كاملة الصفاء والتمكين من مطالعة الحضرة الإلهية تامة العلم بما تشتمل عليه الحضرة الإلهية من العلوم والمعارف غير جاهلة بشيء منها، وليس الأرواح في هذا الميدان على منهاج واحد، ولا نهايتها في ذلك إلى غاية واحدة بل علوم الحضرة الإلهية ومعارفها مقسومة على الأرواح بحسب ما فصلته المشيئة الإلهية بالفيض للأرواح من تلك الحضرة جاري على ما سبق من القسمة في المشيئة إلهية فمقلل ومكثر، ثم لما تركبت في قارورة الجسم، وتلطخت بأدرانه انعكست نسبتها التي هي غاية الصفاء والضوء إلى نسبة الجسم الذي هو في غاية الظلام والكثافة، احتجبت عنها تلك العلوم والمعارف التي كانت فيها قبل تركيبها في الجسم، واستمد لها هذا الحجاب من نشأة الجسم دائماً فإذا أراد الله بالعبد الوصول إلى صفاء المعرفة، ثم وصلها رفع الحجاب بينه وبين ما كان مودعاً في حقيقة روحه من العلوم والمعارف، فعرف الأمور على حقيقتها، ولم تكن تنزلت فيه بعد المعرفة وإنّما كانت مخزونة في حقيقته، ثم رفع له الحجاب عنها، فإذا رفع له الحجاب عنها عرف ما كان في حقيقة روحه من العلوم والمعارف، أو عرف ما يفاض عليه من الحضرة الإلهية بعد المعرفة مما لم يكن في روحه قبل، وأدرك الفرق بين الأمرين وهذا يعلمه جميع العارفين.

والدليل الثاني على ذلك أيضاً أنَّ الإنسان هو عين روحه وماهيته لا غير، وإنّما هذا الجسد الظاهر لروحه، كالثوب الملبوس فلبس الإنسان إلا الروح، ثم هو الآن في حجاب عن درك حقيقة روحه لا يعلمها، ولا يدركها وهي عينه، فإذا أراد الله له بلوغ المعرفة وصفاءها رفع له الحجاب عن حقيقة روحه، فأدرك حقيقتها إدراكاً ذوقياً وكشفاً عينياً

يقينياً، وأدرك ما أودع فيها من العلوم والأسرار، فهي الآن محتجبة عنه وهي عينها، فهذا أعظم شاهد على ما قلناه في حقه ﷺ، ثم قال الشيخ رضي الله عنه: للألوهية المشهودة لغير الله تعالىٰ قسمان: قسم متعلقة الألوهية محضاً لا تعلق فيه للخلق، وقسم من الألوهية متعلقة الخلق تعرف تلك المعاني الإلهية بالخلق، وتعرف المخلوقات بتلك المعاني الإلهية، لا بد لكل كامل من شهود الأمرين، ومن أعظم الشواهد على ما ذكر فيه ﷺ قبل النبوة من كون علوم النبوة، والرسالة والكتب وإيمان موجوداً مغطاة عليه بحجاب، كحالة النائم في نومه، فإنَّ علومه التي كان يعلمها في اليقظة مغطاة عليه في وقت النوم، حتى إذا استيقظ وزال عنه حجاب النوم وتعلقها ووجدها لم تزل في ذاته فهذا حاله ﷺ من خلقه إلى زمن النبوة والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ [السجدة: الآية ١١] مع قوله تعالىٰ: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [الزمر: الآية ٤٢] مع قول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه: وتول قبض أرواحنا بيدك وحل بيننا وبين غيرك، فأجاب رضي الله عنه قال: اعلم أنَّ الله تعالىٰ هو القابض للأرواح أصلاً وعيناً وولي ذلك عزرائيل عليه السلام سجافاً وستراً حكيماً غطى به صرف قدرته، فإنَّ سر القدرة الذي هو عين العين لا يظهر سبحانه وتعالىٰ لأحد ظهوراً عينياً، وإنَّما سبحانه وتعالىٰ علماً مغطى بسجاف الحكمة، فهو القابض للأرواح باطناً وقدره صرفاً، وهو المولي لعزرائيل قبضاً ظاهراً ستراً حكيماً، وقد رفع هذا الستر في بعض الأشخاص فضلاً منه وجوداً واختصاصاً لما شاء من حيث لا حجر عليه في عموم الإطلاقات فيتولى قبض أرواحهم بيده دون توليه عزرائيل عليه السلام، ولا يلزم من هذا أن يكون الذي يتولى سبحانه وتعالىٰ قبض روحه دون توليه عزرائيل عليه السلام أفضل ممن تولى قبض روحه عزرائيل عليه السلام، فإنَّ هذه مزية والمزية لا تختص بالفاضل دون المفضول في كل شيء، وفي كل مرتبة كما نشير إليها فيما يأتي، ثم نقول إنَّ الحق لا حجر عليه كما قدمنا يفعل في ملكه وتصرفه ما يشاء سواء كان في عموم الخير والإطلاق، فيخصص بمناقضة عموم الخير من يشاء من خلقه لو كان في خصوص الخير، وهو ظاهر، فإنَّ المزايا يختص الله بها الفاضل في كل مرتبة وقد يختص بها المفضول في بعض المراتب.

فقد ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: «إنَّ لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون»، والشهداء لمكانهم من الله عز وجل، ونعني به يوم القيامة فقد بان ذلك أنَّ المزية يختص الله بها المفضل دون الفاضل، وهذه أعظم المزايا حيث كان النبيون على جلالة قدرهم وشفوف رتبتهم من حيث إنَّ الظنون لا تطرقها علواً يتمنون عند الله مقام من لا يكون

نسبته إليهم حتى نقطة قلم في بحر طوله ألف ألف عام وعرضه كذلك، وعمقه كذلك بالنسبة إلى علو مقامهم، وكشف سر هذه الحكاية من حيث أنَّ هذه المزية لم تقع لأكابر النبيين لعلو مقامهم عن التدلي لمثل هذه، فإنَّ هؤلاء المغبوطون بمنزلة الأطفال في حجر الحق يلاطفهم بأنواع التحف لعدم طاقتهم لحمل أعباء الحضرة الإلهية بما يتجلى به في ذلك الوقت، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ [الحج: الآية ٢]، فلما عظم الموقع في هذا التجلي الذي لا طاقة للأرواح به ليلاطف صغار أحبابه بما يغبطهم به الأكابر ترويحاً من ضغطه الوارد، ورفقاً بضعف مقامهم أنْ يعظم بكاؤهم، وأنينهم لصعوبة ما يرون من التجلي، وأمَّا النبيون عليهم الصلاة والسلام لقوة مقامهم على تحمل أعباء الحضرة الإلهية، وتلقي كل ما يبرز منها من التجليات بما يعطيه الوقت من كمال الأدب فهم ثابتون، كالجبال الرواسخ لا تدهشهم التجليات، ولا تزعجهم عواصف المعضلات.

فلم يحرك لهم الحق هذه المزية التي أستأنس بها صغار الأحباب علماً من الحق سبحانه وتعالىٰ أنَّ مقامهم الأعلى، ومركزهم الأسمى بما اشتمل عليه من علو الأدب ومعرفتهم بعضمته وجلاله لا يتنزلون إلى توقيع هذه المزية، فإنّما حاصلها من شهوات النفوس التي هي ملاطفة من الحق لضعفاء خلقه، وأمَّا الأكابر الأعلون، فلا ترضى منهم ولا ترضى لهم كما وقع في بعض الكتب المنزلة أنَّ الله تعالىٰ يقول فيها: «ما للأقوياء والشهوات وإنَّما أبحت الشهوات لضعفة خلقي يستعينون بها على طاعتي» شاهد ذلك وهو علو مقام النبيين ما وقع في قضية إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث زج به في المنجنيق مقذوفاً إلى النار التي شأنها معروف، فما أنَّ ولا استغاث ثبوتاً لحكم تجليه في ذلك الوقت، ووفاء بآداب التجلي، فتعرض له الأمين جبريل عليه السلام في الهواء، وقال له: ألك حاجة يا إبراهيم، فإنَّه يعلم أنَّ إرسال الأمين إليه ينقذه من وحلته إنَّما كان من عناية الله به، ورفعه مقامه لديه وأنَّه إنْ مال إليه في تخليصه لم يكن ذلك منه سوء أدب، ولا انحطاطاً لرتبته لأنَّه تلقى منه الحق حيث وردت عليه، ولكن لما رآه تنزلا عن علو المقام، وتنزيلاً عن كمال الأدب، وهو تلقية لمنة الحق بالفرح، والقبول على حكم قوله ﷺ: **«إنَّ الله تصدق عليكم برخصة فاقبلوها»** وكالحكم الواقع في حكمه تعالىٰ: ﴿بلى إنْ تصبروا وتتقوا﴾ إلى قوله: ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ [آل عمران: ١٢٦] فإنّ هذه علامة النصر وبلوغ الفرح والسرور بضعف مقام الصحابة فإنَّهم ليسوا بأنبياء، فأول الآية موقف الضعفاء من الأحباب حيث يلاطفون في حضرة الحق دفعاً لما لا تطيقه أرواحهم من ثقل الوارد، وآخر الآية هو موقف الأكابر من العارفين فإنَّهم لا يبالون بغير الله تعالىٰ، ولما كان الميل إلى الرخصة تنزيلاً عن الأكمل في الأدب، وهو وفاؤه بكمال الأدب في الحضرة الإلهية،

وكمال تحمله لأعبائها حيث لا تطرقه لذة نفس ولا شهواتها، وإنْ كان في ذلك حتف أنفه تركه، فلذا أجابه بقوله: أما إليك فلا، أي لم يرض التنزل لشهوات نفسه، وإنْ كانت من منّة الحق، ولم يرضَ إلا الوقوف في أعلى مراتب الأدب وهو انقطاعه إلى الله تعالىٰ عن كل أو جهة من أحوال النفوس، وإنْ كان في ذلك حتف أنفه وأكد ذلك في قوله حيث قال له: سله قال: حسبه من سؤالي علمه بحالي.

فإذا عرفت هذا، عرفت بُعد ما بين مقامات النبيين من مقامات المغبوطين، وإنَّ الذي وقع من تمنيهم لمقامات المغبوطين مما لحقهم من الشفقة على أممهم وأتباعهم وقرابتهم لا يتحملون أعباء ذلك المقام، ولا يثبتون له ويكثر أنينهم وبكاؤهم، وقد عرف ما في البشر من الميل إلى الأقارب والأحباب والشغفة عليهم فيما يحل بهم من البلايا والنقم، وإنْ كان مقام صاحب هذه البشرية في أعلى مقامات، فلهذا اغبطوا من ليسوا بأنبياء لكونهم لا أتباع لهم يخشون عليهم من شدة الوارد.

ومن المزايا التي وعدنا بها في صدر الجواب ما وقع لعمر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما دونه ﷺ، فإنَّه قال لعمر: ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان غيره، وقال لعمار: إنَّ الله عصمه من الشيطان لا يوسوس إليه ولم يكن ذلك في رتبته ﷺ، ولكنهما مزيتان خصهما بهما دون نفسه ﷺ، فإنَّ هاتين المزيتين ثابتتان في حقيقته ﷺ هو الأصل الجامع، وما كان عمر وعمار إلا فرعين منه، فأظهر المزية في فرعيه، ولم يظهرها في أصله الجامع ﷺ، كمزية إبراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه أول من يكسى يوم القيامة من جميع الخلق، ولم تكن هذه المزية فيه ﷺ، وكمزية موسى عليه الصلاة والسلام في كونه ذا لحية في الجنة دون جميع الخلق، ولم تكن له ﷺ، وشفوف رتبته ﷺ معروف وكحكاية آصف بن برخيا مع سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، فإنَّه طلب أنْ يحضر لديه عرش بلقيس، فقال: أنا آتيك به قبل أنْ يرتد إليك طرفك، فإنَّها مزية اختص بها آصف وهو غير نبي، ومنع منها سليمان عليه السلام حيث كان آصف تلميذه، وأخذ عنه الاسم الأعظم وبقوة الاسم فعل ما فعل، والجواب عن هذا الإشكال أنَّ مقام سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في شفوف رتبته علو درجته لا يحتمل مثل هذه المزية، ولا يتأتى له التدلي إليها لأنَّ مقام النبوة ليس له إلا تلقي ما هو في الحضرة الإلهية من جميع التجليات ذاتية أو صفاتية أو أسمائية أو فعلية، تلقيه على ما هو عليه لا يخطر بباله أنَّ بغير تجلياً من التجليات، أو بغير لأجل غرضه وارد من الواردات البارزة من حضرة الحق بل أدبه في مقامه ثبوته لجميع التجليات طابقت غرضه، أو خالفته.

ولذا لم يكن من النبيين خروج عن دائرة الأسباب الحكمية ميلاً إلى خرق العادات لقوة كمالهم وكمال أدبهم واستغراقهم في العلم بالله تعالىٰ، وفناء إرادتهم في إرادة الله

تعالىٰ حتى لا تريد إلا ما أراد، وهذا الوصف لهم وصف ذاتي استقر عليه مقامهم، فلا يزحزحهم عن هذا المقر تجل من التجليات وإنْ عظم لأنَّهم في هذا الميدان قائمون لله بالله راكضون في هذا المجال مستغرقون في النظر إلى الله تعالىٰ، فقواهم الله بقوته، وأثبتهم بإثباته، وتحملوا أعباء الحضرة الإلهية على غاية ثقلها وصعوبة مباينتها لأغراض النفوس، ولم يبالوا بما هو دونها.

وحال الأنبياء هذا كما ذكرنا من بعدهم عن الميل إلى خرق العوائد فضلاً عن فعلها ما لم يؤدهم إلى خرق العوائد ضرورة إثبات الرسالة وإيضاح صحتها في قلوب المرسل إليهم، فيفعلون ما يفعل من خرق العوائد قياماً بمؤنة تصحيح الرسالة لتوقفها على خرق العادة الشاهد بصحتها، وهذا الخرق هنا هو المسمى في اصطلاح المسلمين «بالمعجزة» حتى إذا فرغوا من إثبات المعجزة فارقوا خرق العوائد ما لم يكن ذلك بأمر إلهي، فيبتدرونه وإنْ لم يكن في إثبات الرسالة، كقضايا موسى عليه السلام الثلاث، وهي قوله تعالىٰ: ﴿أن اضرب بعصاك البحر﴾ [الشعراء: الآية ٢٣] وقوله تعالىٰ: ﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾ [الأعراف: الآية ١٦٠] وقوله تعالىٰ: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ [البقرة: الآية ٦٧] وهذه القضايا عن أمر إلٰهي، وإنّ لم تكن في إثبات المعجزة حيث لا تمكنه مخالفة؛ وأما الأولياء، فما مالوا لخرق العوائد، إلا لضعفهم عن تحمل أعباء الحضرة الإلهية وعدم طاقتهم لصعوبة تجلياتها، فمالوا إلى خرق العوائد ترويحاً لأرواحهم من ضغطة الوارد وإبقاء على أنفسهم بدوام التمتع ببعض شيء من شهواتها، وهم معذورون، فإنَّ الله عز وجل لم يمدهم بقوة الأنبياء، فلذا يتنزل لم سليمان لفعل هذا الخرق الذي فعله آصف ثبوتاً على مقر مقامه الذي ذكرناه، (فإن قلت): إذا كان هذا مقامه، ولا يرضى لنفسه بهذه المزية لكونها مغايرة لمقامه، فلم تدلى لطلب ذلك من الحاضرين، (والجواب) في هذا أنَّ مقامه على ما ذكرناه، ولكن لما كان منّة الحق عليه في ملكه أنْ سخر له جميع خلقه كما قال له في حقه يعملون ما يشاء من محاريب، وتماثيل وجفاف، كالجواب إلى آخر الآية.

وكان آصف من جملة ما هو مسخر تحت حكمه حيث فعل له هذه المزية، وإنَّ الرياح مسخرة تحت حكمه، وقد كانت تحمله وجيشه وتقذفه مسيرة شهر غدواً، ومثلها رواحاً، فلما كان التسخير له بمنزلة يديه ورجليه في هذا الخلق، ولم يرض التنزل عن مقامه سخر في ذلك من هو مسخر تحت حكمه يفعل له ما يريد، وهذه من منَّة الحق عليه وقد وقع له ذلك بإذن إلهي ليس من غرضه فقط وقلبه ثابت على مقامه والسلام.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] (فأجاب) رضي الله عنه بما نصه قال: «**الأمانة هي القيام**

بحقوق مرتبة الحق في كلية معانيها خلقية وإلهية» فلم تطق حمل هذه الأمانة السموات والأرض فأشفقن منها، وحملها الإنسان وهو الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود وبه يرحم جميع الوجود، وبه صلاح جميع الوجود وهو حياة جميع الوجود، وبه قيام جميع الوجود، ولو زال عن الوجود طرفة عين واحدة لصار الوجود كله عدماً في أسرع من طرفة العين وهو المعبر عنه لسان العامة قطب الأقطاب والغوث الجامع.

ومعنى قوله: «ظلوماً جهولاً» يعني ظلوماً بتخطيه حدود البشرية، وحدود الخلقية وخروجه إلى القيام بحقوق مرتبة الحق، حيث لا أين ولا كيف ولا صورة ولا حد فإنَّ هذا لا قدرة لأحد عليه إلا الله وحده، فهذا معنى ظلمه لكونه تخطي مرتبة البشرية من الخلقية وهو لا يقدر لأنَّ الأمر الذي تخطى إليه لا غاية له ولا نهاية، لكون الإحاطة مستحيلة فيه قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: الآية ١١٠] فهذا معنى الجهل، والظلم الذي نسب إليه هو أعلى مراتب اصطفاء الحق لعبده، والجهل الذي نسب إليه هو نفي الإحاطة بكنه جلاله، وذلك غاية المعرفة بالله فإنَّ معرفته بالله من وراء خطوط الدوائر كلها يعني دوائر الصديقية، وهي أنَّ كل معرفة للصديقين، فلها دائرة تنطبق عليها وتلك الدائرة هي حدها وغايتها لا تتخطاها، والإنسان الكامل تخطى جميع الدوائر، ووصل من المعرفة بالله تعالىٰ إلى حيث لا إحاطة بكنه جلاله ولا حد ولا كيف ولا أين ولا رسم ولا دائرة، فهو يجول في هذا البحر الذي لا حدَّ له، ولو أنَّ جميع الموجودات أمدت من هذا البحر مثقال هيئة لتهدم الوجود بأسره، وصار محض العدم في أقل من طرفة عين لاحتراقه من هيبة الجلال، فليس يطيق القيام في هذه المرتبة، وإعطاء جميع تجلياتها إلا الفرد الجامع المعبر عنه بلسان العامة بقطب الأقطاب.

ولو جمعت عبادة جميع العالمين ما عدا الملائكة، والنبيين والمرسلين والصحابة، وجمعت تلك العبادة كلها من منشأ العالم إلى النفخ في الصور ما عادلت من عبادات قطب الأقطاب في هذه المرتبة مقدار طرفة عين من عمره، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه والسلام.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾[الرعد: ٣٩] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: «**قال: اعلم**» أنَّ معنى الآية على طريق التأويل أنَّ ذلك في أفعال المختارين فيما تتعلق به أغراضهم مما يريدون نفيه، أو إثباته أو نفعه أو أضراره كل ذلك يمحو منه ما يشاء، فلا يقع شيء منه في الوجود مما تعلقت به أغراضهم، ويثبت منه ما يشاء، فيظهر وجوده أو نفيه مرسوماً في لوح الظهور، فهذا هو المحو الإثبات، وأمَّا ما تعلقت به إرادته كله ثابت لا محو فيه، ومن بعض معانيها ارتسمت المقادير الإلهية في اللوح المحفوظ، فكان منها ما محاه بعدما أظهر رسمه لكونه

متوقفاً على سبب، أو زوال مانع ومنها ما أثبته وأظهره في لوح الوجود لكونه نفذ به حكم مشيئته، والأول لم ينفذ به حكم المشيئة، ثم اللوح المحفوظ منقسم إلى ما هو أم الكتاب وكل ما هو فيه واقع ثابت لا يمكن تحويله إلى ألواح المحور والإثبات من غير أم الكتاب، وفيها ما كان مطابقاً للمشيئة الإلهية كان ثابتاً لا محو فيه ومنها ما لم يطابق المشيئة الإلهية، وإنّما أظهره سبحانه وتعالىٰ في اللوح المحفوظ موقوفاً على شرط، أو سبب من حيث له شرطه، أو سببه لم يقع منه شيء وهو لم يقع في حكم المشيئة، ومن بعض معاني الآية على طريق التأويل أيضاً يمحو الله ما يشاء من أعمالي المكلفين ما كان حسناً أحبطه وأبطله وما كان سيئاً غفره ومحاه ويثبت في هذه الأفعال ما كان منها حسناً أثبته، وأثاب عليه إثابة تامة، وما كان سيئاً أثبته وعاقب عليه عقوبة تامة، ففيه يمحو الله ما يشاء، ويثبت، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: الآية ٢٨] (فأجاب) رضي الله عنه يقول: «**أما في بساط الشريعة يعني ويحذركم الله نفسه بالخوف منه وعدم الأمن من مكره في جميع عطاياه إليكم من النعم ودفع جميع المضار عنكم من النقم وبسط ذلك عليكم على ممر الليالي والأيام فاحذروا من مكره في ذلك الحال فإنَّه لا يأمن من مكر الله إلا من حق عليه عذاب ذي الجلال، وأمَّا في بساط الحقيقة ويحذركم الله نفسه**» يعني من البحث، والاطلاع والطلب على كنه الذات: فإنَّ ذلك غير لائق بكم لأنكم لا تطيقون ذلك الأمر، فاحذروا من حلول نزول البلايا بكم بطلبكم ذلك الأمر، وقفوا عند ما حكم لكم من أمر الشارع ﷺ، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾[الحجر: ٢٩]، (فأجاب) رضي الله عنه قال: «**اعلم أنَّ الخلافة تقدم الكلام عليها في بعض الأجوبة فمن أرادها فليطالعها وأما النفخ فالمراد به وضع الروح في الجسد سمي نفخاً لأنه من النفس الرحماني**» وإضافة الحق إلى نفسه إضافة الخلق، وإضافة الاختصاص بمعنى أنَّه مخلوق، وأنَّه مخصوص منه بعظمة العناية والمحبة والتكريم، وأعلاه الرتب على جميع ما عداه من المخلوقات هذا وجه الإضافة إلى الله تعالىٰ للروح، والمذكور ههنا هو الروح الحيواني المدبر للأجسام المظهر لصورة الحياة فيها، وهذا الروح هو المنفوخ في جسد آدم عليه الصلاة والسلام، ثم في طيه الروح القدسي اللاهوتي الذي استوجب الروح الآدمي به الكمال والعلو على جميع المراتب الخلقية بحيث أنْ لا يضاهيه شيء من المخلوقات في ذلك الكمال والعلو، ثم الروح القدسي هو منفوخ في روح آدم لا في جسده، فإنَّ الروح الحيواني منفوخ في الجسد وبذلك الروح استوجب الجسد الحياة، والعقل وجميع ما يشتملان عليه من العلم والحس والحركة والتخيل

والفكر إلى آخر ما يستوجبانه من المعاني، وأمَّا الروح القدسي، فهو منفوخ في الروح الحيواني من آدم، فكما أنَّ الجسم من آدم قارورة لروحه الحيواني كذلك روحه الحيواني قارورة للروح القدسي، وبذلك الروح القدسي استوجب الروح الحيواني من آدم العلو والكمال على جميع المراتب الخلقية، وكان للروح الحيواني بسبب الروح القدسي حيا حياة أبدية لأنَّ الروح الحيواني ما فيه إلا ما أعطي للجسم من الحياة والحس والحركة وما معها من المقتضيات واللوازم ليس في الروح الحيواني وما هي زائدة على هذا، وأمَّا الروح القدسي فإنَّه أعطى الروح الحيواني كمال العلم بالحضرة الإلهية، وما هي متصفة به من العظمة والكبرياء والعز والجلال والعلو والتعالي وما هي مشتملة عليه من أسماء الحسنى، والصفات العلى، وأعطاه أيضاً كمال العلم بما تستحقه الحضرة الإلهية من كمال الأدب وكمال التعظيم، والإجلال وكمال المحبة والاعتناء وكمال الانقطاع إلى الله تعالىٰ والفراغ من ملاحظة الحظوظ، ومن الالتفات إليها، وأعطاه العلم أيضاً بما يراد منه، ولماذا خلق ومحله في كل دور من الدورات الزمانية، والحالية والقدرية، وعرفه حقيقة الأدب الذي يراد منه في كل من محل ذلك.

وبسبب هذا الذي أعطاه الروح القدسي للروح الحيواني صار الروح الحيواني خليفة لله على جميع العوالم يحكم فيه بما يريد، ويتصرف فيها بما يشاء، فتستجيب لله طائعة من غير استعصاء، ولا يكون هذا إلا لأحدية الحق وحده ولما أعطى الروح الحيواني الكمال الذي ذكره أولاً صيرها خليفة له على جميع العوالم يحكم فيه كحكمه، ويجري أمره فيها كجريان أمره، وليس هذا الشيء من العوالم غير الروح الآدمي، وهذه هي حياة الروح الحيواني بسبب نفخ الروح القدسي فيه، وهذه الحياة هي المشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢] فهذا نفخ الروح في آدم عليه السلام، وإنَّما كان الروح الحيواني حيا بهذا النفخ لأنَّه بدونه كسائر أرواح الحيوانات ليس فيه زيادة عليها من الكمال وغيره، وأمَّا الروح القدسي، فهو نور عظيم الشأن يفيض من حضرة الحق يأتي حاملاً لما لا غاية له من الأنوار والأسرار والعلوم، فإذا استقر في الروح الحيواني أعطاه ما ذكر أولاً من الكمالات صيَّره خليفة لله على خلقه كما ذكرنا. إذا عرفت هذا وتأملته عرفت رتبة الإنسان، وعلوَّه على جميع العوالم وعرفت الكامل منه، وما لا كمال فيه وعرفت الحي والميت من الإنسان، وأمَّا أمر الله للملائكة بالسجود له، فهو إشارة إلى إظهار علو رتبة آدم على جميع العوالم، وخصوصيته عند الله من دونهم لما لا غاية له من عناية الحق به، ومحبته له وتعظيمه إياه وإجلالاً له ما لم يعط غيره من المخلوقات شيئاً من ذلك، وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء: الآية ٧٠] إلى قوله ﴿تفضيلا﴾ والسلام، انتهى من املائه رضي الله عنه.

ومما سأل به سيدنا رضي الله عنه بعض الفقهاء في مجلسه قال رضي الله عنه: ما معنى قوله تعالىٰ في حق سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ [طه: الآية ٦٧] فكيف يستقيم خوف موسى من السحرة وفعلهم مع كونه لا يخاف غير الله تعالىٰ ولا يكترث بهم، ولم يكن عنده ريب في أنَّه مبعوث من عند الله تعالىٰ بحجة عينية قاطعة لجميع وجوه الريب مع علمه أنَّه منصور بالله للعلم القطعي الذي عنده من وعد الله الصادق الذي لا خلف فيه لقوله تعالىٰ: ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾ [المجادلة: الآية ٢١] بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات: الآية ١٧١] فكيف يستقيم الخوف في قلبه مع علمه القطعي بهذا الأمر، ومع كمال علمه أنَّ الباطل لا يثبت لظهور الحق كما قيل في المثل السائر: للحق جولة وللباطل صولة، فإذا جاء الحق بجولته ذهب الباطل بصولته.

فكيف يتأتى منه ما ذكره الله عنه من الخوف مع كمال علمه بالأمور التي ذكرناها، فأجابوه بما ذكره المفسرون في الآية، فقال: ليس ذاك والجواب عن هذا المحط أنَّ خوفه عليه الصلاة والسلام لم يكن من وجه من الوجوه التي ذكرت، وإنَّما خوفه مما هو معلوم عند الأكابر العالين من أهل الحضرة الإلهية إنَّ لله سبحانه وتعالىٰ تنزيلات بحكم القهر لعبيده الخاصة، وتلك التنزيلات يذيقهم الله فيها من مرارة قهره، وفساحة بأسه على ما هو مضمون عنده في حضرته إنَّ للخاصة العليا عنده تنزلات تشبه في وقائعها شدة انتقامه من الكفرة من خلقه، وليس ذلك ازدراء بمراتبهم، ولا إسقاطاً لعظيم وجاهتهم عنده، وإنَّما حقيقة تلك التوقعات أنَّه لا بد لمن اصطفاه الله لمحبة ذاته أنْ يذيقه ضرباً من المرارة لتكون المرتبة عالية عن أنْ يطمع بها ضعفاء السفلة من الناس حتى لا يظهر بها، ولا يتمتع بها إلاّ من هزته صواعق تلك التوقعات، وليعلموا أنَّ المرتبة صعبة المدرك عزيزة المنال لا يظفر بها إلا منْ ذاق مرارة تلك التوقعات؛ فإذا علمت هذا عرفت طريق تنزل البلاء على النبيين والأولياء فهو من هذا المأخذ، وأنَّ موسى عليه الصلاة والسلام كان تام العلم بهذه التوقعات التي تتراكم فيها صواعق البلاء على الأكابر على قدر مراتبهم، فلما تبدى له ظهور السحر في صور تلك التخيلات التي أرته حركات تلك الجمادات، وهي العصا والحبال، فإنَّهم جاؤوا بها في معارضة شمس النبوة وتغطيتها، وكان في نفسه أنَّها تثبت كما تقرر أنَّه لا بقاء للباطل مع الحق، فلما رأى ظهورها ظهرت بين يديه للعام والخاص تخوف في نفسه أنَّه تجلى بظهور البلاء عليه بظهور سطوة الأعداء عليه إذا ظهروا عليه بسلطان سحرهم وعجزه عن دفعهم، كما في قضية إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث ظهر نصر الأعداء عليه حتى قذفوه في النار ولا ناصر له، فخاف أنْ يكون

ذلك الوقت الذي ظهر فيه السحر مثل وقت إبراهيم حيث ظهر سلطان الأعداء عليه حتى قذفوة في النار، ولم يجد حيلة ولا ملجأ، فخاف من مثل هذا البلاء في وقته، فإنَّهم إنْ ظهروا عليه بذلك وغلبوه ظهر علوهم عليه، وانخفاضه تحت حكمهم يتصرفون فيه كيف شاؤوا وكما وقع لإبراهيم تصرف فيه الأعداء كيف شاؤوا ولم يجد نصرة.

كذلك موسى خاف من ظهور الأعداء عليه وعلوهم عليه بظهور سلطانهم عليه وعدم قدرته على الانتصار منهم، فهذا هو خوفه الذي تخوفه فسمع خطاب الحق عن هذا بقوله: ﴿لا تخف إنَّك أنت الأعلى﴾[طه: ٦٨] يعني لا يظهرون بعلوهم عليك ولا يستشفون بسلطانهم لديك، ثم زاده بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وألق في يمينك تلقف ما صنعوا﴾ [طه: الآية ٦٩]. فانظر إلى كمال صدق وعد الحق سبحانه وتعالىٰ قال له: ﴿لا تخف إنَّك أنت الأعلى﴾ فلما وقع من العصا ما وقع وألقى السحرة سجداً قالوا: آمنا بربِّ هارون وموسى انقشعت سحابة الأعداء وظهر ذلهم، وهو أنهم إذْ كانوا يرجون العلو بظهور السحر على موسى، وإبطال السحر لمعجزته فلما وعده الحق سبحانه وتعالىٰ، وأخبره أظهر الله ذل الكفرة بإيمان السحرة، وظهر من العصا أمر عظيم، فلّما فرغت من تلقف السحر قصدت فرعون على كرسيه إذْ كان يدعي الألوهية، وظهور سلطان الغلبة، فلما رأى العصا وتوجهت بشرها نحوه، وتيقن أنَّها تهلكه مع عجزه عن نصرة نفسه فرّ هارباً، وقفز على كرسيه قالوا: أضرت سبعين ضرطة وهو هارب إلى دارة، فبطل ما كان يدعيه من ألوهيته فهذا وعد الحق الذي وعد به موسى بقوله: ﴿لا تخفْ إنك أنت الأعلى﴾، وقد يورد هنا إيراد وهو أنْ يقول قائل: لا يصح ما ذكرتم من الخوف في نفسه بعد أنْ سمع كلام الحق في وقت الرسالة قال له: سنجعل لكما سلطاناً، فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون، فلا يصح ما ذكرتم من الخوف بعد سماعه لهذا الخطاب؛ قلنا الجواب عن هذا: أن للأكابر علماً ثابتاً من وراء العلم الذي ظهر لخلق الله تعالىٰ لا يعلمه غيرهم، إنّهم وإنْ سمعوا خطاب الله وصدق وعده فإنّهم يعلمون أنّ في غيب علم الله تعالىٰ ما لا يتناوله الوعد الذي وعده لكمال علمهم بالله تعالىٰ، وشاهد هذا أنّه ﷺ، وعده الله تعالىٰ بظهور سلطانه على قريش وغلبته عليهم، ودخولهم تحت حكمه بوعد صادق لا خلف له، ثم لما رآها يوم بدر تصوب من كثيب الرمل آتية لبدر قال ﷺ: «**اللّهم هذه قريش جاءت بفخرها، وخيلائها تجادل، وتكذّب رسولك، اللّهم نصرك الذي وعدتني**»، ثم لما سوى الصفوف للقتال، فانعزل ناحية وحده في العريش، يستغيث بالله، وينادي يا حيّ يا قيوم، اللّهم إنْ لم تهلك هذه العصابة، فلنْ تعبد في الأرض أبداً، وأبو بكر قائم على رأسه خوفاً أن يميل عليه الكفار، إذا اشتغل المسلمون عنه، وجعل يقول له: دع مناشدتك ربك، فإنّ الله منجز

لك ما وعدك به، ولا يقلع عن المناشدة لله تعالىٰ والاستغاثة به فقال: كيف حصل له هذا الخوف وهو على يقين من وعد ربه؟ قلنا: وقع خوفه مما ذكرنا من كمال علمهم بالله تعالىٰ أنّ في دائرة علم الله ما لا تحيط به العقول، فمن هذا توقع خوفه ﷺ، وكقول شعيب، عليه الصلاة والسلام حيث طلبه قومه بالرجوع إلى ملتهم قال عليه الصلاة والسلام: وما يكون لنا أنْ نعود فيها إلاّ أنْ يشاء الله بنا قال هذا القول مع كمال علمه بالعصمة من الكفر، ولكن علمه بالوجه الآخر من عدم الإحاطة بعلم الله، فهذا هو الذي أوجب الخوف لموسى، والنبي ﷺ، انتهى من إملائه علينا من حفظه ولفظه رضي الله عنه.

(وكذلك) سأل سيدنا رضي الله عنه بعض الطلبة عن معنى هذه الآية الكريمة في حق سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أواب﴾ [ص: الآية ٣٠] قائلاً، وما الحكم في قوله تعالىٰ: ﴿إذ عُرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ [ص: الآية ٣١] الإشكال فيها من النسيان الذي وقع منه للصلاة حتى فات وقتها، ولا يصح للنبيين عليهم الصلاة والسلام، أنْ يشتغلوا عن أمر الله بغيره، ولا يتأتى لهم الغفلة عن الحضرة الإلهية حتى تفوت حقوقها، والإشكال أيضاً عن قوله فطفق مسحاً بالسوق والأعناق، وذلك فساد في الأرض، فلا يتأتى ظهور الفساد في الأرض على يد نبي، والجواب عن الإشكال الأول أنّ سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، كان في غاية الرعاية لآداب الحضرة الإلهية كما هو شأن النبيين عليهم الصلاة والسلام، لا يغفلون عن الله طرفة عين، وفاتته صلاة العصر لاشتغاله بعرض الجياد عليه، وكان هناك في طاعة عظيمة، إنّما كان معداً لها للجهاد في سبيل الله تعالىٰ، فكانت تعرض عليه، وينظر في شؤونها لأجل الجهاد، والجهاد من أعظم القربات في جميع الشرائع، فكان في وقت عرضها عليه في طاعة عظيمة فإنّه كان ينظر في شأن الجهاد، فهو في جهاد حقيقي، وإنْ لم يكن وقع السيوف معه لأنّ نظره في أمر الجهاد، واشتغاله به صيره في جهاد حقيقي يشهد له قوله ﷺ: «**لا زال العبد في صلاة ما دام ينتظر الصلاة**» وقال ﷺ: «**فيمن صلى، وجلس في مكانه ينتظر صلاة أخرى في المسجد فهو في صلاة**» **قال** «**فذلكم الرباط: قالها ثلاثاً**»: والرباط معلوم فضله في الأخبار، فظهر من هذا أنّ صورة الطاعة والنظر في تهيئة ما يتقدمها من الشؤون فيما هي محتاجة إليه أنّ الناظر فيها كالواقع في تلك الطاعة نفسها عيناً بعين، فكان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام في نظره في شأن الخيل كأنه واقف في الجهاد في سبيل الله، والواقف في الجهاد إذا طرأ عليه من شدة السيوف بعض السهو حتى فوّت الصلاة نسياناً لا لوم عليه شرعاً، فقد قال ﷺ في يوم الخندق حين كان في مواقعة الجهاد، وفاتته صلاة العصر قال: «**شغلونا عن الصلاة**

الوسطى» أراد أنّ ذلك كان منه نسياناً لشدة وقع السيوف، فهو في ذلك إنّما هو اشتغال بطاعة، واشتغل بما هو لله عما هو لله فلا لوم عليه في هذا، إنّما يقع اللوم عليه لو كان نسيانه لها لاشتغاله بحظوظه وشهوات نفسه يثبت عليه العتاب ا.هـ.

وهو إنّما كان في الجهاد لله تعالىٰ كقضيته ﷺ في يوم الخندق سواء، ثم إنّ هناك نكتة لا يتعقلها إلاّ الأكابر وهي: أنّ الأكابر لهم صدمات من قوة التجلي لسطوة جلاله، فربما أفرطت تلك الصدمة عن النظر في غير تلك الطاعة التي هم فيها لقوة التجلي، لأن المطلوب منهم في الحضرة مراعاة حقوق الأوقات في كل آن لا يغفلون عن حق من الحقوق، وقد تقع بهم لمات من قوة سلطان التجلي الإلهي، فتؤثر فيهم غفلة عن الطاعة التي تأتي بعد، فيمضي وقتها وهم ذاهلون عنها لقوة ما هم فيه من هذه القضية سهوه ﷺ حتى سلم في الرباعية من اثنتين حتى نبهه ذو اليدين فقال: يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ قال: لم تقصر، ولم أنس أخبره أولاً عن الحكم الشرعي أنّ القصر في الصلاة لم ينزل عليه، ولا أمر به، فلذا قال: لم تقصر، وقوله: ولم أنس أخبر عن ذهوله عن تمام الحكم لقوة سلطان التجلي، وإلاّ فما كان يمكن منه التغافل عن الصلاة لقوة موقعها في الحضرة الإلهية من كونها آكد الحدود التي تجب مراعاتها، وأعظمها اعتناءً، وأمّا قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ [ص: الآية ٣٣]، والإشكال في هذا أنّه كان من أكبر المرسلين قدراً، فكيف يتأتى منه قتل الخيل وتقطيعها من غير ذنب منها يوجب ذلك؟ لكونها غير مكلفة، ولا فاعلة باختيارها لأنّها مسخرة تحت حكم غيرها فكيف امتد به الحال حتى أخذ في قتلها، وقتلها فساد في الأرض، وهو رسول الله لا يتصور منه ذلك. (الجواب عن هذا الإشكال) اعلم: أنّ الخيل وجميع الحيوانات، والأموال كلها مسخرة تحت حكم الآدمي بحكم الإرادة الإلهية له أنْ يفعل فيها ما يشاء إلاّ أنّ قتلها بغير ذنب لا يحل، لكن هذا رسول الله، وفعله فيها بالقتل من كونها شغلته عن أمر الله تعالى بالنظر في أمرها حتى فاته حق من حقوق الله تعالىٰ نسياناً بسببها مع كونه لا يسعه ذلك الحق، فتوجه اجتهاده حينئذٍ أنّ كل ما شغل العبد عن أمر الله يجب محقه وإهلاكه من كونه كان من رجال الغيرة الإلهية، واجتهاده هذا خاص بشريعته لأنّه مشرع، وإنْ كان في شرعنا لا يحل، فلا يتعدى نظرنا في شرعنا إلى إنكاره ما فعله في شرعه لكونه رسولاً مشرعاً، وقد أثنى عليه ربنا في الطائفة التي أثنى عليها بالهداية، وأمر نبينا ﷺ بالاقتداء بهم قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ [الأنعام: الآية ٨٤] إلى آخر ما ذكر من الأنبياء، ثم قال في حقهم: ﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة﴾ [الأنعام: الآية ٨٩]، ثم قال بعده في حقهم ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: الآية ٩٠]، وكفى بهذا حجة في

تصويب فعله، فلا يعترض عليه فيما فعل لكونه مشرعاً والله أثنى عليه بالهداية، فهذا جواب هذا الإشكال والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه)، ونص السؤال بسم الله الرحمٰن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، ساداتنا رضي الله عنكم وأرضاكم، وجعل الجنة متقلبكم ومثواكم، وأطال بقاءكم نفعاً للعباد في جميع البلاد نصكم الكافي وجوابكم الشافي بما يشفي الغليل، ويبرىء العليل في معنى المعية التي وردت في كلام المولى الجليل سبحانه وتعالىٰ في قوله: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾[الحديد:٤]، و ﴿هو معهم أين ما كانوا﴾[المجادلة:٧]، ومظاهرهما وكذلك معنى القرب في قوله تعالىٰ: ﴿ونحن أقرب إليه منكم، ولكن لا تبصرون﴾ [الواقعة: الآية: ٨٥]، و ﴿نحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[ق: الآية ١٦]، فقد اختلفت أقاويل العلماء لاختلاف فهومهم، فمنهم من قال: معكم بعلمه، ومنهم من قال: معكم بذاته، وكل واحد له أدلة وشواهد لا أنّ من قال: وهو معكم بعلمه هرب من التحيز والجهة، ومن قال بالذات ألزم له المعارض في زعمه ما يناقض مذهبه، فأردنا من سيدنا أنْ يبيّن لنا وجه الحق بنص شافي وجواب كافي ولكم الأجر والمثوبة من الله تعالىٰ والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته.

(الجواب): والله الموافق بمنّه وكرمه للصواب: اعلم أنّ معية الحق سبحانه وتعالىٰ لكل شيء من الوجود وقربه لكل شيء من الوجود صفتان نفسيتان، ويتبعان ماهية ذاته كما لا تعقل ماهية الذات ولا سبيل للعقل إلى شم من روائح الوقوف على حقيقتها، كذلك لا سبيل للعقل لإدراك حقيقة معية الحق لكل شيء، وقربه لكل شيء، فهو سبحانه وتعالىٰ مع كل شيء بذاته، وأقرب إلى كل شيء بذاته من وجه لا يدركه العقل في هاتين الحقيقتين، فذاته جل جلاله متعالية مقدسة على جميع حدود الجرم والجسم ولوازمه ومقتضياته من دخول وخروج وقرب وبعد واتصال وانفصال وتحيز، واختصاص بجهة، أو إحاطة بالظرفية أو صور أو لون، أو كبر أو صغر إلى ما يتبع ذلك من كونه جامداً أو سيالاً أو متحركاً أو ساكناً، أو ملء العالم، أو في جزء إلى غاية حدود الجسم، وهي كثيرة لا نطيل بذكرها، ولذا لا يقع عليه الوهم والعقل لأنّهما في وقت الفكر لا يخرجان عن قيود الجسم ولوازمه، فتعينت ماهية الذات العلية من وراء طور العقل والحس والفكر، كما قال بعض الأكابر في هذا الحد لا يتمثل في النفس ولا يتخصص في الذهن ولا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل لا تلحقه العقول ولا الأفكار، ولا تحيط به الجهات ولا الأقطار، ولما كان انحصار العقل والفكر في هذه المدارك لا يخرج عنها طردها ﷺ عن الجولان في هذا الميدان بقوله ﷺ: **«تفكروا في خلقه، ولا تتفكروا فيه، فإنكم لا تقدرون قدره»**، وحيث كان الأمر هكذا في تحقيق ماهية الذات، فإنّ معية الحق بذاته

لكل ذرة من الموجودات، وقربه لكل ذرة من الموجودات صفتان نفسيتان يتوقف تعقلهما على تعقل ماهية الذات، وحيث كان تعقل ماهية الذات ممنوعاً لا سبيل إليه للعقل والفكر، كذلك تعقل هاتين الصفتين معية وقرباً لكل شيء من الموجودات تعقلهما من وراء طور العقل والحس، فلا اتصال ولا انفصال ولا مسافة للقرب والبعد، ولا أينية ولا حلول ولا مكان، ولا دخول ولا خروج ولا تتعدد الذات بتعدده بالمعية، ودونك وجهاً موضح لك شيئاً من هذا الميدان إنْ عقلته فهو من الحادث فقط دون القديم، فإن الرجل من أهل الجنة عنده مثلاً من الحور ما يتضاعف على عدد الملائكة بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك يجامعهن في الآن الواحد، ويدرك لذة كل واحدة بانفرادها على اختصاصها في ذلك الآن الواحد، ويجامع كل واحدة منهن جماعاً متمكناً بمحله الواحد، وذاته الواحدة من غير تعدد في ذاته ولا في محله ولا تعدد للآن الواحد، ولا تأخير ولا تقديم، ولا اشتراك في ذواتهن في محل واحد إلاّ أنّ تعقل هذا في هذه الدار من وراء طور العقل والحس، لكنه في سعة القدرة الإلهية واقع، وهذا وإنْ لم يسلمه أرباب الحدود العقلية، فقد دلت عليه الأخبار الصحيحة بما تقرر في الحديث أنّ معناه أنّ الرجل من أهل الجنة يجامع نسائه في مقدار يوم من أيام الدنيا، ويمكث في جماع كل واحدة مقدار سبعين سنة في اليوم الواحد أيام الدنيا، فإذا عرفت هذا في حق الحادث وصححته، فخذه سلماً ترتقي به إلى تصحيح القرب المعية في حق القديم لكل ذرة من الوجود في كل آن من الزمان من غير تقديم، ولا تأخير ولا افتراق ولا تعدد وفي هذا القدر كفاية لمن تعقل الأمر.

وأما ما وقع في السؤال من الاعتراض بأنّه يلزم التعدد في ذات الحق بتعدد الممكنات، وممازجته وملابسته للممكنات إلخ (فالجواب عن هذا) أنّ هذا الخيال الذي يتوهم به هذا الوهم الفاسد إنّما هو مقام الحس والعقل، وقد قلنا: أنّ قرب الحق ومعيته للموجودات من وراء طور الحس والعقل لا مطمع للعقل والحس في إدراك حقيقتهما أعني القرب والمعية ما لم يدركا حقيقة ماهية الذات، وقد قلنا: إنّ إدراك ماهية الذات العلية في غاية البعد عن إدراك الحس والعقل، كذلك هذه المعية والقرب بالذات في غاية البعد عن إدراك الحس والعقل، فيبطل هذا الخيال والوهم اللذان يلزم منهما ملابسة الذات وملابستهما للموجودات، وتعددهما بتعدد الممكنات لأنّ هذا في مقام إدراك الحس والعقل، وقد قلنا: إنّ ماهية الذات العلية، وقربها للموجودات من وراء طور الحس والعقل بذلك بطل ما تخيله الحس والعقل من إلزام ما ذكر، وأمّا القول بأنّه مع الموجودات بالصفات من قدرة وإرادة وعلم إلى آخر الصفات، فالجواب: أن هذا القول يستلزم الجهة والتحيز للذات العلية، وهو باطل وبيانه أنّه متى أحلت معية الذات للحوادث يلزم أنْ تكون

خارجه عن جميعها، ويلزم من ذلك خروجها عن كورة العالم بأسرها، فيلزم إمّا أنْ تكون من محيطه بالكون وهو ظرف لها، والكورة فني جوفها وهو محال لأنّ هذا من قيود الجسم، وإن كانت غير محيطة بالكورة، فيلزم إمّا تخصيصها بجهة من جهات الكورة إمّا فوقاً أو تحتاً أو يميناً أو شمالاً أو خلفاً أو أماماً وهو الذي هرب منه من هرب من الجهة فوقع فيها، لأنّه متى قال القائل بخروج الذات العلية عن كورة العالم لزم إحاطتها إحاطة الظرف بمظروفة، أو تخصيصها بجهة من جهات الكورة، وكلا الوجهين محال عقلاً، فلم يبقَ إلاّ أنْ تكون مع كل شيء من المحدثات على الوصف الذي يليق بجلال الذات العلية تنزه وتقدس عما يقول علواً كبيراً، انتهى.

وأمّا المعية التي وردت في الآيات إنّما بعضها للعصمة كقوله تعالىٰ: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: الآية ٤٦]، وقوله: ﴿لا تحزن إنّ الله معنا﴾ [التوبة: الآية ٤٠]، وقوله: ﴿إنّ معي ربي سيهدين معية النصر والعصمة﴾ [الشعراء: الآية ٦٢] وكذا قوله: ﴿وأنتم الأعلون والله معكم﴾ [محمد: الآية ٣٥]، وقوله: ﴿واصبروا إنّ الله مع الصابرين﴾ [الأنفال: الآية ٤٦] وقوله: ﴿والله مع الصابرين﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] وكقوله: ﴿إنّ الله مع الذين اتقوا﴾ [محمد: الآية ٣٥]، فكل المعية في هذه الآيات إنّما هي معية الاختصاص، والعناية والنصر والعصمة، وأمّا معية الذات فلا تختص بنصر ولا عصمة فهو مع كل شيء على أي حال كان ذلك الشيء من عدو، أو حبيب أو قريب أو بعيد، فهو على الحد الذي ذكر فيها سابقاً والسلام، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه في مجلس واحد أدام الله علاه بمنه وكرمه آمين.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اختباركم﴾ [محمد: الآية ٣١]، (فأجاب): رضي الله عنه بما نصه قال: البلاء على ضربين بلاء يكون امتحاناً واختباراً مثل قوله تعالىٰ: ﴿ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ [المائدة: الآية ٩٤] ومثل قوله تعالىٰ: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ [محمد: الآية ٣١]، وأمّا البلاء غير الامتحان فهو مجرد العذاب مثل قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿أم حسبتم أنْ تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا﴾ [البقرة: الآية ٢١٤] حتى يقول الرسول والذين آمنو معه حتى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب، وأمّا قوله تعالىٰ «حتى نعلم المجاهدين»، فهذا العلم ههنا علم الظهور لا العلم الأصلي، لأنّ العلم الأصلي محيط بهم بما يقع منهم، وما يصدر منهم وما يؤول إليه أمرهم، وهذا العلم كامن لا يظهر في الوجود بخلاف علم الظهور، ومثل علم الظهور هو الواقع في قوله تعالىٰ: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ ولنكوننّ من

الصالحين﴾ [التوبة: الآية ٧٥] فلما آتاهم من فضله بخلوا به، وتولوا وهم معرضون فضحتهم، وأظهرت ما هم عليه، فهذا هو علم الظهور والسلام، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: الآية ٣١] هل المراد من تعليم الله لآدم أسماء الله تعالىٰ كلها إحاطياً كلياً من أسماء الله الظاهرة والباطنة، والتي استأثر الله بها عن جميع المخلوقات حتى النبي ﷺ، أو خاص بالأسماء التي يطلبها الكون؟ فإنْ قلنا: خاص بأسماء الكائنات، فما فائدة قوله تعالىٰ: «كلها»، وإنْ قلنا بالإحاطة فكيف مع علمنا أنّ النبي ﷺ أعلى من آدم، وأكمل؟ (فأجاب رضي الله عنه) بقوله: اعلم أنّ الأسماء التي علمها الله لآدم هي الأسماء التي يطلبها الكون، والكلية المذكورة فيها هو إحاطته بجميع متعلقات الكون حتى لا يشذ عليه منها شيء، يشهد لهذا قوله سبحانه وتعالىٰ، في كلية الأسماء حيث عرض صورة الكائنات على الملائكة وقال: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين﴾ [البقرة: الآية ٣١] فدلت هذه الآية على أنّها الأسماء التي يطلبها في الكون بدليل قوله أسماء هؤلاء وهي صور الأكوان، وأمّا الأسماء الخارجة عن الكون، فلا تمكن الإحاطة بها، ولا نهاية لها قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: الآية ١١٠] فإنّ العارفين والأقطاب والنبيين والمرسلين مع فتحهم في المعرفة، وينكشف لهم في مقدار طرفة عين من أسماء الله الباطنة، أمر لا حد له، ثم يبقون على هذا الحل أبداً سرمداً في طول عمر الدنيا، وفي طول عمر البرزخ، وفي طول عمر يوم القيامة، وفي طول عمر الأبد في الجنة بلا نهاية في كل مقدار طرفة عين ينكشف لهم من أسماء الله الباطنة ما لا حد له، ولا غاية في طول هذه المدة، ولا نهاية لانكشاف الأسماء على طول أبد الأبد، فكيف يقال أحاط بها كلها؟ وإنّما الكلية في الأسماء التي يطلبها الكون فقط؟ انتهى.

(وأمّا) السبب الموجب لسجود الملائكة لآدم، فالكلام فيه من وجه التحقيق أنّه غيب لا يدرك إلاّ بالنص القطعي، ولا نص فلا مجال في هذا الميدان يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿إنّما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها، وما بطن﴾ إلى قوله تعالىٰ ﴿وأنْ تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: الآية ٣٣]، فإنّ الله لم يعلمنا بالسبب الذي وقع السجود به لآدم، وذلك محجور في حجره سبحانه وتعالىٰ لا مجال فيه للعقول، لا نقول لأجل الخلافة، ولا لغيرها؛ بل نسكتْ حيث لم يذكر شيء في سببه.

(وأمّا) تفضيل الملك على الآدمي، أو العكس (فالجواب): اعلم أنّ هذا الأمر لا مجال فيه للعقول من طريق النظر والتخمين والقياس، والحق الفصل في ذلك أنّ التفضيل واقع باختيار الله سبحانه وتعالىٰ، وحكم مشيئته، يفضل من يشاء على من يشاء بلا علة

ولا سبب أو بعلة أو سبب أو بأي شيء يريده، أو بلا شيء سواء كان المفضل عالي الرتبة على المفضول، لقوة كماله، أو كان المفضل سافل الرتبة على المفضول لقوة كمال المفضول وجمعه للكمالات، وهذا التفضيل بين الملك والآدمي ما عدا سيد الوجود ﷺ، فإنّه أكمل المخلوقات على الإطلاق، وأفضلهم عند الله على العموم من غير تخصيص، وأعلاهم رتبة ومكانة عند ربه، وأكرم الخلق على الله، وأعظمهم زلفى لدى الله، فلا يقع عليه هذا الخلاف ففضله الله تعالىٰ واصطفاه واختاره ورفع مكانته على الخلق لا لشيء، بل بمحض اختياره قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وربك يخلق ما يشاء يختار﴾ [القصص: الآية ٦٨] وأمّا الملائكة هل لهم النظر في وجه الله تعالىٰ في الآخرة أم لا؟ (الجواب) عن هذا أنّه لا قطع فيه لا بالنفي، ولا بالإثبات، لتوقف ذلك على اختياره سبحانه وتعالىٰ، فلا علة له إنْ شاء الله جعلهم يرونه كالآدمي، وإنْ شاء منعهم ولا مستند لهذا إلا الخبر الصحيح، والخبر الصحيح لم يقع منه شيء في هذا الباب فلا يجاب عنه لا بالنفي ولا بإثبات يجب الوقف. وهل لهم وجهة واحدة أو وجهات؟ فإنْ أردت توجهات الاسمية، فليس لكل ملك إلاّ اسم واحد يكون من ذلك الاسم وجهته للحق، فليس له في هذا الميدان إلاّ وجهة واحدة، وإنْ أردت بالوجهة وجهة التعبد لله، فوجهة الملك والآدمي على حد السواء إلى الحضرة الإلهية، واختلف في وصف الملائكة هل هم أرواح مجردة، أو أجرام بسيطة؟ فهذه حقيقة الملك عند المتكلمين، وجميع سكان السموات والأرضين، وما فيهن من الملائكة، وغيرهم كلهم يموتون في نفخة الصور إلا من شاء الله.

ثم قال بعد هذا رضي الله عنه ليس لكل موجود إلى الله تعالىٰ من جميع المخلوقات جناً وإنساً وملكاً ليس له إلا الله إلاّ وجهة واحدة ما عدا العارف بالله تعالىٰ، فلا تحصى توجهاته في سائر الأوقات، وهذا التوجه يعني في الآن الواحد، فإنّ توجهاته لا حد لها ولا حصر، بحسب ما انكشف له من أسماء الله في باطن حضرته، فليس توجهاته لأحد إلا على قدر ما انكشف له من صفات الله وأسمائه، فله في كل اسم وجهة خاصة لا تشترك مع الاسم الآخر فهو في الآن الواحد مثلاً إنْ كان من الأكابر يعبد الله تعالىٰ في الآن الواحد بما لا تستوفيه المخلوقات في سنين متطاولة، ومن ههنا تعرف حقيقة ما يشير إليه ذو القرنين في قوله: «إذا كان الله غاية الغايات، فالمعرفة به أجل العبادات» وشاهد ذلك قوله ﷺ: «**ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**» انتهى. ويشهد له أيضاً قوله ﷺ في الحديث القدسي: «**لم تسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن**»، فهذه معنى اتساع التوجهات إلى الحق، فالعارف يعبد الله في كل آن بما لا حد له، ولا غاية حتى قال الجمنيدي رضي الله عنه: لو أقبل مقبل على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة واحدة لكان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما أدركه في ألف سنة، وهكذا هذا الترقي دائماً للعارف بالله، ومعنى الفقيه المذكور في

الحديث هو العارف بالله تعالىٰ، انتهى.

واعلم أنّ حضرة الحق سبحانه وتعالىٰ متحدة من حيث الذات والصفات والأسماء والوجود، والوجود كله بأسره متوجه إليه بالخضوع والتذلل والعبادة، والخمود تحت سلطان القهر وامتثال الأمر، والمحبة والتعظيم والإجلال، فمنهم المتوجه إلى صورة الحضرة الإلهية نصاً جلياً في محو الغير والغيرية، ومنهم المتوجه إلى الحضرة العلية من وراء ستر كثيف، وهم عبدة الأوثان ومن ضاهاهم، فإنّهم في توجههم إلى عبادة الأوثان، وما توجهوا لغير الحق سبحانه وتعالىٰ، ولا عبدوا غيره، لكن الحق سبحانه وتعالىٰ تجلى لهم من وراء تلك الستور بعظمته وجلاله، وجذبهم بحسب ذلك بحكم القضاء والقدر الذي لا منازع له فيه، وهذا هو التوجه إلى الله كرهاً يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ [الرعد: الآية ١٥]، فالوجود كله متوجه إلى حضرة الحق سبحانه وتعالىٰ بصفة ما ذكرنا فرداً فرداً وإنّ الكفار والفجرة والمجرمين والظلمة، فهم في ذلك التخليط الذي خالفوا فيه نصوص الشرع وصورة الأمر الإلهي، فإنّهم في ذلك ممتثلون لأمر الله تعالىٰ ليسوا بخارجين عن أمره ومراده، إلاّ أنّهم خرجوا عن صورة الأمر الإلهي ظاهراً، وغرقوا فيه باطناً. فإذا عرفت هذا؛ فاعلم أنّ الكون كله فرداً فرداً كل ذرة منه مرتبة للحق يحكم فيها بحكم خاص، لا يحكم به في غيره أو يفعل فيها فعلاً خاصاً لا يفعله في غيرها، ويوجه إليه تلك الذرة بتوجه خاص إليه لا يوجه به غيرها فيه، ويجب الرضا والتسليم له في حكمه، فقد خالفوا أمر الله ظاهراً ووفوا به باطناً من حيث لا يشعرون، وما يرد عليهم بعد ذلك من الثواب والعقاب والجزاء في دار المآب عذاباً ونعماً، كل ذلك بحسب مشيئته التي لا مرد لها لا يسأل عما يفعل.

فإذا عرفت هذا وتأملته وجدت كل ذرة في الوجود فرداً فرداً لها توجه إلى الحق خاص بها لا يشاركها فيه غيرها، وربما ماثلتها ذرة أخرى أو ذرات في صفة ما هي فيه من التوجه فستباينها في أمور أخرى، فاحكم هذا القانون وسر به في جميع أجزاء الوجود من الملك والآدمي وغيره، واعرف كيفية التوجه للوجود إلى حضرة الحق، فإذا عرفت هذا أو ميزته حق تمييزه اتسع لك ميدان عظيم من المعرفة بالله تعالىٰ، واتساع تجلياته في الوجود بلا حد ولا حصر إلاّ أنّه تختلط الشريعة والحقيقة في هذا الميدان،

والقول الفصل فيها أنّه سبحانه وتعالىٰ هو المحرك لجميع الوجود، والقائم عليهم في كل أمر، والمقيم لهم في كل حركة وسكون لا يملكون من دونه شيئاً، وما يملكون من قطمير ولا حركة لهم ولا حكم، ولا تقديم ولا تأخير بل هم في قبضته سبحانه وتعالىٰ، وتحت حكم مشيئته يصرفهم كيف يشاء، ويقلبهم كيف يريد فيما يشاء من خير أو شر أو نفع أو ضر أو طاعة أو معصية أو إقبال أو إدبار، ثم إنّه من وراء هذه الحقيقة

تجلى سبحانه وتعالى، فجعل تلك الحكمة والشريعة منوطة بالشروط والأسباب، والضابط واللوازم والمقتضيات لا انفكاك في تلك الحكمة عما أراد سبحانه وتعالىٰ، وكل ذلك يجري على قانون المشيئة، ثم رتب في صورة هذه الحكمة على وجوه تلك الضوابط والروابط أحكاماً إلهية سماها حدوداً وعقوبات، وثواباً وعقاباً وخوفاً ورجاءً لا خروج لأحد عن تلك الضوابط والقيود وله الحكم والاختيار في كل ما فعل في صورة الحقيقة والشريعة لا ينازع، ولا يقال له لم ولا لأي شيء ولا على ماذا فليس إلا مد العنق، وتغميض العين وخضوع القلب تحت سلطان الألوهية والجلال انتهى.

(وأما) قولهم لله سبحانه وتعالىٰ: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ [البقرة: الآية ٣٠] مع تعليم الله لهم بقوله: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: الآية ٣٠].

(فالجوب): اعلم أنّهم ما سألوا اعتراضاً، ولا رداً للحكم لأنّهم من هذا في خوف عظيم، لا يتجاسرون على مرتبة جلاله أنْ يعترضوا عليه، وإنّما سألوه عن السر الموجب لخلق هذا الخليفة وجعله في الأرض، ماذا يريد به وقد رأوا ما كان عليه أهل الأرض قبله من الظلم والفساد وسفك الدماء، وتعدي بعضهم على بعض ورأوا ذلك في كل من سكن الأرض منذ خلقت إلى أنْ قال «إني جاعل في الأرض خليفةً» ما رأوا أمة في الأرض خرجت عن هذا الميدان، فحكموا على الباقي بصورة ذلك وسألوا ماذا يريد بجعل هذا الخليفة في الأرض على ما يقع من ذريته من الظلم والفساد وسفك للدماء، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: الآية ٣٠] لم يعلموا ما أودع الله في آدم من أسرار وخزائن علومه وماذا يراد به ومن ذريته من ظهور أحكام كمالاته وألوهيته وأنه يريد منهم عمارة الدارين بصورة العذاب والنعيم وما يتبع ذلك من الأحكام واللوازم والمقتضيات ولما استفهموه وهم يعلمون ما في اللوح المحفوظ ومطلعون على المغيبات.

(فالجواب): أنّهم ما علموا ما كان في آدم وذريته ولا اطلعوا عليه قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: الآية ٣٠]، فإنّهم وإن علموا ما في اللوح فما أطلعهم على جميع غيوبه أنّه لا يحيط بعلمه غيره، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه) عن بعض حروف من القرآن قال فيها علماء المعقول: أنَّها زائدة وبعضها مستعارة لحروف غيرها هروباً مما يعطيه ظاهر اللفظ من العلة، والزائد في اللغة هو الذي لا معنى له، وحاشى أنْ يوجد في القرآن حرف لا معنى له، منها قوله تعالىٰ: ﴿فيما رحمة من الله لنت لهم﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩]، واللام في قوله: ﴿ليعبدون﴾ وفي قوله تعالىٰ: ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾[القصص: ٨] وفي قوله تعالىٰ: ﴿ليطاع بإذن الله﴾[النساء: ٦٤] والألف والواو والياء في مواضع كما هي عند علماء الرسم (فأجاب رضي الله عنه) بقوله: اعلم أنّ العلة المستحيلة في حقه تعالىٰ هي أنّ لو قدرنا شيئاً يعود النفع منه على

الله والضر، تعالىٰ الله عن هذا علواً كبيراً، فهذه هي العلة المستحيلة في حقه تعالىٰ، وأما العلة التي يعود نفعها أو ضررها على العباد، فهذه جائزة لا شيء فيها، لأنّ حكمة الله التي هي شرائع أنبيائه، وأظهر فيها سبحانه وتعالىٰ الارتباط بين الأشياء من النسب والإضافات كالسبب بمسببه والعلة بمعلولها كقوله تعالىٰ: ﴿ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات﴾ [النساء: الآية ١٣] إلخ.. ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده ندخله ناراً﴾ [النساء: الآية ١٤] إلى غير ذلك من الآيات والأخبار مما هو كثير في مثل هذا، وكتوقف المشروط على الشرط، فإذا فهمت هذا المعنى في الآيات المذكورات، وجواب الحكم على العباد بما حكم به عليهم بقوله: ﴿ليعبدون﴾ أي وما خلقت الجن والإنس إلا لنحكم عليهم بالعبادة، فمن لم يعبدن منهم عاقبته بعذابي، وكذلك ليطاع أي وما أرسلنا من رسول إلا لنحكم بطاعة الخلق له، فمن لم يطعه فاصنع به ما أردت من العقاب وأنواع الهلاك هذا هو المراد من الآيات، وإنّما التبس معناها على من صرفها عن ظاهرها لعدم التفريق بين الصفتين: صفة الحكمة وصفة المشيئة، وعدم الفرق بين العلة التي تجوز والتي لا تجوز، ومن عرف الفرق بينهما زال عنه الإشكال في ارتباط الأحكام الشرعية بعضها ببعض كما قدمنا، فعلى المؤمن أنْ ينظر بعين قلبه إلى أنّ الأشياء بالنسبة لمشيئة الله عارية عن العلل والشروط والإضافات والنسب والأسباب كلها، وإنّما حكم الله في أزله بما اختاره، حكم على هذا سعيداً وهذا شقياً وهذا غنياً وهذا فقيراً من غير علة، ولا غرض، وينظر بعين قلبه لما أظهر الله في حكمته من الارتباطات بين الأمور، ويرى في الظاهر أنّه إذا فعل كذا من الخير أعطاه الله كذا من الثواب بمحض الفضل، وإذا فعل كذا من الشر عاقبه بمحض العدل لأنّه له الحكم والاختيار إن شاء فعل وإنْ شاء ترك في مملكته لا يُسأل عما يفعل. ثم قال الشيخ رضي الله عنه: وحروف القرآن ليس فيها زائد، ولكنْ إذا كان المعنى يؤدى بحرف واحد وركبه في بعض المواضع مع غيره لذلك المعنى بعينه، فيكون الحرفان معاً لذلك المعنى، وليس الأخير منهما زائد بل الأول والثاني لذلك المعنى المصدر بهما، ولذلك قال صاحب الإبريز عن شيخه رضي الله عنه: إذا زيد حرف في كلمة ولم يزد فيها في موضع آخر، والكلمة هي بعينها في الموضعين أو المواضع لفظاً ومعنى كالألف والواو والياء الزائدات في بعض الكلمات، فالموضع الذي زيدت فيه لسر آخر لم يكن في التي لم يزد فيه، هكذا قال رضي الله عنه، انتهى من إملائه على محبنا في الله سيدي محمد بن المشري حفظه الله بمنّه آمين.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى الحروف اللفظية والحروف الرقمية والحروف الفكرية، ماذا يوجد عن كل واحد منهم (فأجاب رضي الله عنه) بقوله: اعلم أنّ الحروف اللفظية يوجد منها عالم الأرواح معناه أنّ كل كلمة تلفظ بها خلق منها ملك يسبح الله

تعالىٰ، فإنْ تكلم بكلمة من الخير خلق منها ملك رحمة، وإنْ تكلم بكلمة شر خلق منها ملك عذاب، وكان من جملة ملائكة العذاب، فإنْ قدر الله تاب من تلك القولة خلعت على الملك الذي خلق منها خلعة، والقلب بها ملك رحمة، والحروف اللفظية لا ظهور لها في عالم الحس؛ وأما الحروف الرقمية يوجد منها عالم الحس معناه هو الحروف التي تدرك بالبصر؛ وأمّا الحروف الفكرية يوجد منه عالم العقل في الخيال معناه يوجد فيها ما يوجد عن حكم التخيل، أمّا تخيل العامة فلا يوجد منه شيء، ويقال فيه تمني، وأمّا تخيل العارف فكل ما تخيله يوجد في الحين، (ومثاله)، وما وقع للجوهري رضي الله عنه قال: كان عليه جنابة، وكان بمصر خرج يغتسل في النيل، وحمل خبز داره للفرن، فأعطى خبزه للفران، وذهب للنيل ليغتسل، فإنما وقع في وسط النيل، واغتسل بعضاً من الغسل وقع عليه شبه السنة قليلة فرأى نفسه دخل بغداد، وتزوج بها امرأة بقي معها ست سنين وولد له منها أولاد غاب عن عددهم، ثم سرى عنه فوجد نفسه قائماً في النيل يغتسل، فكمل غسله بانياً على الذي تقدم، ثم جاء إلى الفرن وجد الخبز كما أخرجه صاحب الفرن، فأخذ خبزه ورجع إلى داره، ثم أخبر زوجته بالقضية التي وقعت، وأخبرها بالقضية كما هي فمكثت شهرين، ثم جاءت المرأة التي تزوجها ببغداد تسأل عنه حتى وصلت إلى حارته فسألت عن داره فقال لها أهل الحارة: من أين تعرفينه؟ فقالت لهم: أنا زوجته وهؤلاء أولاده فقالوا لها: ما خرج من ههنا، فضربت عليه الباب، فخرج فعرفها فما أنكرها فسأله أهل الحارة ماذا تقوله هذه المرأة؟ فقال لهم: إنّها زوجتي وهؤلاء أولادي منها، ثم دخل على زوجته وقال لها المرأة التي ذكرت لك ها هي قد جاءت بأولادها ودخل بها لداره.

وأما العارفون فلهم تصرف بالحروف الرقمية، ولهم تصرف بالحروف اللفظية، ولهم تصرف بالحروف الخيالية، والتصرف الرابع يسمونه التصرف بالجانب الأحمى، ولا يعلم هذا التصريف إلاّ الرسل دون الأنبياء جعله الله محل أسراره وهو موضع النسب الإلهية، وكل رسول بعث إلى قومه أطلعه الله تعالىٰ على ما في بواطنهم من الطبع، وما دارت عليه جبلاتهم، فعاملهم بحسب طباعهم ليدوم قيامهم بالتكليف، فإنّه لو لم يكن يجريه على طباعهم لبطلت رسالته من أول وهلة فما في علم كل رسول إلاّ معرفة طباع الأمة التي أرسل إليها فقط، ولا علم له بطباع غيرهم، فلهذا لم تعم رسالاتهم إلاّ ما كان من نبينا ﷺ، فإنّه أطلعه الله سبحانه على طباع الوجود كله، فهو يعامل كل طائفة على حسب طبيعتها يشير إلى هذا قوله ﷺ: «**حدث الناس بما يفهمون أتريدون أنْ يكذب الله ورسوله**»، والحديث الآخر قوله ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»،وقوله ﷺ: «**الخير عادة وعودوا كل بدن ما اعتاده**»، وأسماء الله تعالىٰ إنّما قامت بالحروف، والحروف كلها قدسية في كلامه تعالىٰ، وفي صورة علمه وكلها قديمة أزلية لأنّها وجدت

في كلامه وفي علمه، وتكلم بها الحق جل جلاله بقوله ﴿ألم حمعسق كهعيص طس ق ن﴾ إلخ الحروف، فكلها قديمة بقدم الذات، وليس قدمها ما يوجد في ألفاظنا، ويكتب ببناننا ويتصور في خيالنا فليست هي الحروف التي نقول، ولكن الحروف القدسية ما كانت هذه الأمور دالة عليها فقط فالحروف اللفظية والبنانية والخيالية، هي دالة على تلك الحروف القدسية التي بها كلام الحق إذْ لولا صورة الحروف القدسية ما عرفت صورة الكلام، ولا تميز بعضه من بعض ولا عرفت معانيه، فإنّ التمييز بالحروف، فإنّ قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يا عيسى ابن مريم﴾ [المائدة: الآية ١١٢] مخالف لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين﴾ [الحجر: الآية ٣٢]، فالفرق بين إبليس وعيسى تميز بالحروف، ولولا الحروف لكان كل منها يمد الآخر، فالحروف القدسية عنها وجدت الأسماء الإلهية كلها، وعنها برز الأمر الإلهي بقوله: ﴿كن﴾ فبالحروف ظهرت الأسماء الإلهية ما في الوجود كله إلاّ ما قال له الحق سبحانه وتعالىٰ: ﴿كن﴾ والوجود كله كلمات الحق، فزيد مثلاً وبكر وخالد وعمرو كلها كلمات الحق، وعن كلمة الحق وجدت الموجودات كلها، فما فيهما خارج عن هذا الميدان، فأسماء المسميات من الوضع الإلهي، وكذا وضع اللغات وأساميها هي أوضاع إلهية وضعها الحق، وأجراها على الألسنة، فلو اتفق الوجود كله على أنْ يضعوا اسماً أو لغة لعجزوا، ولكن الحق سبحانه هو الواضع لها وسماها بأسمائها، وأمّا الكلام الأزلي فهو بحروف قدسية منزهة عن الآلات التي يقع النطق بها، وهي واقعة في كلام الله تعالىٰ يعني الحروف.

وأمّا ما قالوا: من أنّ الكلام الأزلي من غير حرف ولا صوت، أرادوا به طرد المعتزلة عن قواعدهم، فإنّ اتباعهم لتلك القواعد نفوا بها الكلام الأزلي البارز من الذات المقدسة، وجعلوه سبحانه وتعالىٰ ليس بمتكلم، والقرآن يكذبهم، فإنّه أخبر في القرآن بقوله عن موسى عليه السلام: ﴿إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني﴾ [طه: الآية ١٤] إنّ الكلام لو برز من ذات أخرى غير الذات لكانت تلك الذات المتكلمة هي المعبودة وتعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً، فإنّه لا يقدر أحد من الموجودات أنْ يقول إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني إلاّ الذات المقدسة، فإنّ هذا صريح في تكذيبهم فيما يدعونه من نفي الكلام الأزلي عندهم، قبّحهم الله إذا أراد الحق أنَّ يتلكم ألقى الكلام في ذات من الجمادات مخبرة عنه بضميره، وهذا في غاية البعد، فإنّا لو سمعنا كلاماً من جماد تكلم وقال: إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدني، لكان ذلك الجماد هو الإله لإخباره بضمير المتكلم، وما يقدر أنْ يفوه به مخلوق إلاّ الذات المقدسة تعالىٰ الله عما يقولون علواً كبيراً، والكلام الأزلي ليس فيه تقديم ولا تأخير، ولا حصر ولا مادة ولا كيفية، إذا برز الكلام بعينه يعني كلام الحق من حيث ما هو وسمعته زالت عنك الألباس كلها، وهي القيود ورأيت الوقت حينئذٍ ذلك الوقت الذي

كان قبل وجود الكائنات أنت فيه الآن، وهو الوقت الذي كان في الأبد هو الآن أيضاً، وأمّا الألباس وهي القيود التي في الكلام الأزلي، فإنّما هي في وقت الحجاب فقط لا غير. قال ابن العريف رضي الله عنه يقول في الله تعالىٰ: ليس بينه وبين العباد نسب يصطفيهم لأجله أو يعطيهم لأجله ليس إلاّ العناية، وهي المشيئة ولا سبب إلاّ الحكم ولا وقت إلاّ الأزل، وما بقي فعمي وتلبيس، ومعنى الأزل هو الذي فيه وجود الحق وحده ليس لشيء فيه نسبة قال ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه، ففي ذلك الوقت أعطى ما أعطى، وفضل ما فضل، فلم يبق إلاّ الرضا والتسليم لمجاري الأقدار**»، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(ومما أملاه علينا رضي الله عنه) في محبة الذات العلية قال رضي الله عنه: محبة الذات صعبة المرام، ولا تكون إلاّ للعارف الكامل، وفي ذلك قال بعضهم:

وتجرعهم كأساً لو ابتليت لظى ... بتجريعه طارت كأسرع ذاهب

وقال الشاذلي رضي الله عنه في هذا المعنى حين كوشف بالحضرة العلية قال: يا رب لا طاقة لي بهذا فاحجبني عنك فقيل له: لو سألته بما سأله به موسى لكليمه وعيسى روحه ومحمد ﷺ صفيه أنْ يحجبك عنه ما حجبك، ولكن ما سأله أنْ يقويك فسألته فقواني فعند ذلك لو احتجب عني طرفة عين لمت من البين، ثم قال رضي الله عنه: والناس في هذا على أربعة أقسام: الطائفة الأولى شغلهم اهتمام السابقة، والطائفة الثانية شغلهم اهتمام الخاتمة، والطائفة الثالثة شغلهم اهتمام الوقت ينظر ما يتوجه عليه في كل وقت، والطائفة الرابعة غرقوا في بحر شهود الوجود المطلق، فلا يلم بقلوبهم ذكر السابقة، ولا ذكر الخاتمة، ولا ذكر الوقت، ولا يلتفتون لسوى ما هم فيه، وفي هذا يقول سري السقطي رضي الله عنه أنا الموقت الوقت ثم ينشد:

لست أدري أطال ليلي أم لا؟ ... كيف يدري بذاك من يتقلى؟

لو تفرغت لاستطالة ليلي ... ولرعي النجوم كنت مخلى

إنّ للعاشقين عن قصر الليـ ... ـل، وعن طوله لفي الحب شغلى

وصاحب هذا المقام هو صاحب المراقبة العظمى هو ارتقابه للحضرة الإلهية، وما يبرز منها من التجلبات على اختلافها، ويعطي كل تجل منها ما يستحقه من الخدمة والآداب لا يفرط في شيء منها، ولا يفوته شيء منها، وصاحب هذا الحال لا يعلم الوقت ولا مروره والسلام. وصاحب هذا الحال أيضاً هو الغريب، والغربة، والغربة هي شدة التغرب في طلب الحق فليس معه مساكنة الأكوان، ولا ملاحظتها بشيء جواهر وأعراضاً، فلا تخطر بباله وفيها يقال: حرام عليك الاتصال بالمحبوب، ويبقى لك في العالمين

مصحوب، وصاحب هذا لشدة تغربه لو تسأل الأيام عنه لما علمت به، ولا عرفت أين هو ولا عرفت مكانه، وفيه يقول بعض الأكابر:

تسترت عن دهري بظل جنابه ... فصرت أرى دهري، وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت ... وأين مكاني ما عرفن مكاني

وإلى هذا الإشارة بما ذكر ذو النون المصري عن الشخص الذي لقيه بمكة قال: رأيت فتىً يبكي بفناء الكعبة فقلت: ما الذي أبكاك؟ فقال لي: أنا الغريب المطلوب، فما لبثت أن خرجت روحه، قال: فتركته هناك في محل، وذهبت أنظر في جهازه وكفنه لأغسله وأدفنه فلما رجعت لم أجد له أثر، ولا وقفت له على خبر، قال: ثم تأسفت، وقلتُ يا رب من سبقني بثوابه فقيل لي هيهات قد طلبه إبليس في الدنيا فلم يره، وطلبه منكر ونكير فلم يرياه وطلبه رضوان خازن الجنان فلم يره، فقلت: وأين هو؟ فقيل لي: هو في مقعد صدق عند مليك مقتدر، انتهى من إملائه رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه): عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ [النساء: الآية ٩٣] إلخ مع قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ [الفرقان: الآية ٦٨]، (فأجاب رضي الله عنه) بقوله: اعلم أنّ الله تعالىٰ ذكر في الآية الأولى، وهي قوله «ومن يقتل مؤمناً إلخ» ذكر فيها سبحانه وتعالى الوعيد فقط، والآية الثانية وهي قوله تعالىٰ: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر» إلى آخر الآية ذكر فيها الوعيد والتوبة والآيتان محكمتان، لا تعارض بينهما إلاّ لقليل الفهم يرى المعارضة ولا معارضة، وتحمل الأولى على هذه إلا من تاب والوعيد في تلك الآية إنْ لم يتب، وتوبته تسليم نفسه للقتل، فإن لم يسلم نفسه للقتل فليس بتائب، فإن قتله أرباب الدم ارتفع عنه أحد الوعيدين، وبقي أحدهما، فما بينه وبين الله ارتفع وما بينه وبين المقتول بقي، وهناك أمر لا يعرفه إلا أرباب القلوب فلا يظهر للعامة، وهو أن القاتلين مختلفون عند الله تعالىٰ ليسوا على قانون واحد، منهم طائفة لا تقبل لهم توبة، وإنْ تابوا لا يرتفع الوعيد عنهم بوجه من الوجوه، فعلى هذا يحمل قوله ﷺ الثابت في صحيح مسلم بقوله **«أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»** وطائفة سبق في حكمه في الأزل أنّه يقبل توبتهم إن تابوا بسابق العناية فيهم، ويغفر لهم ما ارتكبوه من الجرم، وعلى هذا تحمل الآية «إلاّ من تاب»، وظاهر ما في العناية باطناً يظهر إما بكونه من الأولياء في الغيب، ثم يدرك الولاية، أو يكون له تعلق بولي عظيم القدر عند الله تعالىٰ تقبل شفاعته، والتعلق بالولي إمّا أنْ يكون خادماً له أو صاحباً أو محباً أو آخذاً ورداً أو غير ذلك من وجوه التعلقات كصهره أو جاره، أو نفعه ببعض المنافع، وأمّا الطائفة الذين لم تقبل لهم توبة، وإنْ تابوا إمّا بتمردهم على الله تعالىٰ تجبراً وتكبراً في الأرض، وإمّا لإذايته لبعض الأولياء أو للمساكين ولكثرة ارتكابه للزنا، أو

لكثرة إذايته للمسلمين، وإمّا لكذبه على الرسول ﷺ يقظةً أو مناماً، وإمّا لدعواه المكذب بالولاية، وذكر هذه المعاصي إنْ تاب منها تقبل توبته، وأمّا في القتل، فلا تقبل توبته إنْ كان مرتكباً واحداً من هذه الأمور المذكورة والسلام.

ثم قال رضي الله عنه: وأمّا ولد الزنا لا حسنة له أصلاً ولا دخول له للجنة أصلاً ولو فعل ما فعل لأنّه لم يتكون من نكاح شرعي، إلاّ إنْ صحب أحداً من هؤلاء العارفين، وهم مفاتيح الكنوز الأربعة، والأفراد الأربعة والقطب والخليفة والإمامان، فمن صحب واحداً منهم واحتمى به طهرّه الله وأدخله الجنة إذا خدم واحداً من هؤلاء المذكورين، أو تحاب معه أو صحبه أو أكل معه أو صلى خلفه أو تصرف له في حاجة قضاها له والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿قال ربِ أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣]، (فأجاب رضي الله عنه) بقوله: معنى الآية أنّ سيدنا موسى عليه السلام طلب رؤية الله، وهو التجلي الذي اختص الله به نبينا ﷺ، فطلبه من الله قال: لن تراني أراه سبحانه وتعالىٰ بأنّه لا يطيق ذلك، ثم أراه الآية في ذلك بالجبل من حيث أنّه أشد منه قوة ضربه له مثلاً، فقال له ولكن أنظر إلى الجبل، فإنْ استقر مكانه حين أتجلى عليه فسوف تراني أنت، فلما تجلى ربه للجبل قبل أخرق من الحجاب للجبل مقدار عين الإبرة حتى طالع الجلال الذاتي القدسي، فتهدم الجبل من حينه، وصار دكاً من هيبة الجلال، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك يعني من هذا وأنا أول المؤمنين بأنّك لا ترى، وقيل لمّا كلم الله موسى عليه السلام فقيل له: كيف سمعت كلام الحق تعالىٰ؟ قال لم يكن لموسى شعور بموسى، وسمع كلام الحق بعشرة آلاف لسان يعني سمع الكلام الأزلي فيهم منه عشرة آلاف لسان، ولم يسمع إلاّ معنى واحداً لكن المعنى الواحد فهمه الحق تبارك وتعالىٰ في ذلك المعنى الواحد في كل لغة، وما تسميه به كالنار مثلاً تسمى كل لغة بلغتها، فاختلفت اللغة في تسمية الشيء الواحد المتحد، وسمع الكلام الأزلي من كل جهة فسألوه عن هيبة الكلام، كيف كان؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إذا قدرت نفسك واقفاً في محل، والصواعق العظيمة مترادفة عليك، فعند ذلك يتحقق الهلاك، فهكذا يسمع كلام الرب سبحانه وتعالىٰ، وسألوه عن اللذة فقال: أشد اللذات الوقاع، ويزيد عليها بأضعاف مضاعفة، والسلام وانتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تعالىٰ: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر: الآية ٨٧]، (فأجاب رضي الله عنه) بقوله السبع المثاني هي السبع الصفات التي هي حقيقة باطنه ﷺ، وهي الروح والآدمية والعلم والنبوة والرسالة والقبض والبسط، ومعنى قد آتيناك شيئاً هو السبع المثاني، وهو القرآن العظيم يقول الشيخ الأكبر:

إنّ القرآن والسبع المثاني إلخ، وهذان اسمان متغايران كقولك، زيد الطويل السمين اسمان متغايران، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن أول ما نزل من القرآن (فأجاب بقوله): أول ما نزل من القرآن هي: ﴿إقرأ باسم ربك﴾ [الفلق: الآية ١] فإنّه أول ما نزل عليه لم ينزل عليه قبلها شيء من القرآن، فليس فيها إلاّ النبوة فقط دون الأمر بالرسالة، ثم أنزل عليه في مبدأ الرسالة: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤] فخص عشيرته بالتبليغ دون غيرهم، فأولية هذه الآية من كونها أول آية نزلت بالأمر بالرسالة الخاصة دون العامة، ثم أنزل عليه بعد ذلك: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ [المدثر: الآية ١] فهي أول آية نزلت بالرسالة العامة، وأمّا هو ﷺ، فما طرأ عليه حجاب ولا جهل، بل كان عارفاً بالله بالمعرفة الكشفية العيانية من بطن أمه، وكذا كل النبيين عليهم الصلاة والسلام على هذا المهيع ما طرأ عليهم حجاب قط لم يزالو في مرتبة الصديقية من بطون أمهاتهم إلى الآباد عليهم من الله أفضل الصلوات وأزكى التحيات، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله تعالىٰ: ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [الأعراف: الآية ٢٤] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: العداوة بين الأربعة آدم وحواء وإبليس والحية، فأمّا العداوة فأصلها اختلاف الأغراض، واختلاف الأغراض سار في جميع سكان أهل الأرض عاقلها وغير عاقلها، فأمّا العداوة بين إبليس وغيره من الحية، فظاهره لأنّه أخرجها من الجنة لما طرد هو من الجنة بسبب آدم، وأمّا بين آدم وحواء، فسببه ما ذكره الله في القرآن من أكله من الشجرة، والعداوة بين الرجل والمرأة فهو اختلاف الأغراض، فالمودة بينهما أصلية لقوله تعالىٰ: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [الأعراف: الآية ٢٤]، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل رضي الله عنه) عن سيدنا الخضر عليه السلام هل هو نبي أم لا؟ وهل يجوز في نفس الأمر زيادة غير النبي على النبي في العلم؟ (فأجاب)، رضي اللهِ عنه بما نصه: اعلم أنّ الخضر عليه السلام ولي فقط، وليس بنبي عند الجمهور، وقال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: الخلاف فيه يعني في نبوته عند أهل الظاهر لا عندنا فإنّه عنده مقطوع به من الأولياء لا من النبيين، وكذا غيره من الأكابر، وإنْ كان غير الجمهور يقول بنبوته، قال الشيخ زروق رضي الله عنه: وقد حكى قول بعض العلماء قال ذلك العالم: أنّ الخضر عليه السلام رسول من رسل الله أرسل إلى طائفة من البحر، فمن لم يقل برسالته فقد كفر قال الشيخ زروق مجيباً عن هذا القول: سلمنا صحة ما يدعيه، ولا نسلم القول بكفر من لم يعتقده لأنّ تلك زيادة عقيدة في الإيمان وإلزام لها، وهي لم تجمع الأمة عليها، ودليل عدم نبوته قول سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام له حيث قال له في خرق السفينة: قد

جئت شيئاً أمراً، وفي قتل الغلام لقد جئت شيئاً نكراً، إذ لو كان نبياً ما جهله موسى عليه الصلاة والسلام لأنّه تام العلم فكيف يجهل قدر نبي حاضر معه يظنه ليس نبي هذا يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لوجوب الإيمان به علينا لو كان نبياً، ويستحيل أنْ يكون جاهلاً بمرتبة في الإيمان، واجبة مع كونه يعلم أنّ لو كان نبياً لعلم أنّ النبوة معصومة يستحيل علينا متابعة الهوى، وللسير في الأمور بمخالفة أمر الله تعالىٰ، فهذا مستحيل على النبوة، فلو علم موسى أنّه نبي ما تجرأ عليه بقوله: لقد جئت شيئاً أمراً وشيئاً نكراً، لأنّه يعلم أنّ هذا مستحيل على النبوة لا يتأتى ولا يتصور منها لثبوت العصمة، فهذا أكبر دليل على أنّه ليس بنبي.

وقد روى إبراهيم التيمي رضي الله عنه، وكان أحد الأبدال في قصة تلقيه المسبعات العشر من الخضر إلى أن أخبره بأمرها قال له: سمعتها من جبريل حين لقنها النبي ﷺ، وذكر أنّه رأى لتاليها خيرات كثيرة في الجنة، فرأى النبي ﷺ في النوم، ورؤياه حق، فسألته عما ذكر لا يدخل رؤياه باطل، ولا فساد قال: رأيت النبي ﷺ في النوم لأنّه كان من العارفين الخضر عنه فقال: صدق الخضر إلى أنْ قال له في آخر الحديث: هو سيد الأولياء، وهو أدل دليل على عدم نبوته، وأمّا السؤال الثاني: هل يتأتى زيادة غير الأنبياء على الأنبياء في العلم أم لا؟ فالجواب: والله أعلم أنّ زيادة غير الأنبياء في العلم جائز في نفس الأمر لا إحالة فيه ولا يزري ذلك بمرتبة النبي إلاّ أنّ هناك فرقاً أمّا في العلم بالله وصفاته وأسمائه وتجلياته، وما تشتمل عليه من المنح والمواهب والفيوض، فلا مطمع لغير النبي أنْ يزيد على النبي في هذا الميدان، فإنّ النبوة أكبر علماً، وأوسع دائرة، وأعظم إدراكاً فيما ذكرنا إذْ لو كان غير النبي في هذا الميدان يلحق درجة النبي أو يزيد عليه لساواه في الفضل، أو كان أفضل منه، وأمّا فيما دون تلك المرتبة من العلم بمراتب الكون، وما يقع فيه جملة وتفصيلاً وتقلبات أطواره، وانكشاف ما سيقع فيه في المستقبل قبل وقته وهو كشف الغيوب الكونية، فإنّ غير النبي قد يزيد على النبي في هذا الميدان هي قضية الخضر بعينها، وحقيقة ذلك، أنّ بصائر النبيين والمرسلين أبداً تنظر إلى جناب الحق شديدة العكوف والدؤوب عليه، فقلوبهم أبداً تنظر إلى الله لا التفات لها إلى الأكوان، وكأن شدة نظرها إلى الله أبداً مشتغلة بتجلياته لا تتلمح بطرفها لغيره، فكل واحد منهم لا همة له، ولا عناية إلا بما يبرز من الحضرة الإلهية في كل حين وأوان من التجليات والمنح والمواهب والواردات لتعطي كل شيء مما ذكرنا حقها من الآداب، ووظائف الخدمة لا تفتر عن ذلك حتى لحظة واحدة فلأجل هذا الاستغراق لا يلتفتون إلى الأكوان، ولا يعلمون ما وقع فيها، وأعظم من ذلك الاشتغال بمحادثة الحق لهم في حضرة قدسه، فلا شك أنّ من ذاق ذلك لم يقدر أنْ يلتفت إلى غير الله تعالىٰ حتى

لحظة واحدة، فلأجل هذا لا يعلمون ما وقع في الكون، ولا ما تقلب فيه لاشتغالهم عنه بالله تعالىٰ، وغير الأنبياء لا طاقة لهم على الدوام على هذا الحال، إنّما لهم فيه أحوال تارةً وتارةً، فلأجل ذلك يكثر كشفهم للكون وأموره، إذ لا قدرة لهم على الاستغراق على ما فيه الأنبياء، فإذا عرفت هذا عرفت وجه اختصاص الخضر بكشف الغيوب دون موسى عليه الصلاة والسلام لأنّها غيوب كونية، فلا ينتفي زيادة الخضر فيها على موسى لأنّ موسى شغله عنها ما ذكرنا والخضر لا يقدر على ذلك أي على استغراق موسى في حضرة القدس، ومع هذا فلا حجر على الله في ملكه، ولا في حكمه أنْ يزيد غير النبي في العلم على درجة النبي، فإنّه لا تحجير عليه في هذا يهب ما يشاء لمن يشاء كيف يشاء وله الاختيار التام والمشيئة النافذة لا تأخذه القيود ولا الضوابط، ولا يحيط بعلمه محيط قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل: الآية ٨] وهذا منة فليس ما ترتب في قلوب العلماء من استحالة زيادة غير النبي على النبي في العلم يلزم أنْ يحكم به على الله تعالىٰ إذْ هو من باب التحجير عليه والإحاطة بعلمه، وليس للعلماء شيء من هذا إنّما هي قاعدة محكمة في قلوبهم لم يقم عليها دليل لا من الكتاب ولا من السنة، قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: آتاني الله علماً لم يعلم به آدم، فمن دونه، ويريد بهم النبيين والمرسلين.

وأمّا قوله تبارك وتعالىٰ حاكياً عن الخضر في قوله، وما فعلته عن أمري (فالجواب) أنّ الله تعالىٰ أمره بذلك في سره بعلم قطعيّ يعلمه من الله تعالىٰ ولا واسطة بينه وبينه كما قال في حقه سبحانه وتعالىٰ: ﴿آتيناه رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً﴾ [الكهف: الآية ٦٥] وهذا أكبر دليل على أنّه ليس نبي إذْ لو كان نبياً ما قال فيه هذا الوصف، ولكان يكفي فيه أنْ يقول: وجدنا عبداً من عبادنا يقول مكانها وجدنا بعض أنبيائنا لأنّ مرتبة النبوة هي كافية في أخذ العلم عن الله بلا واسطة، فلما لم يكن نبياً قال له علمناه من لدنا علماً فلذا قال: وما فعلته عن أمري أخبر أنّ الله تعالىٰ أمره بذلك في باطن سره من وجه قطعي عنده لا يشك أنّه من الحق سبحانه وتعالىٰ، كما قال جل جلاله في حق النحل، وهي بكماء وصورتها كأنها لا تعقل قال ﴿وأوحى ربك إلى النحل أنْ اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ [النحل: الآية ٦٨] أخبر سبحانه وتعالىٰ أنّ النحل آتاها علماً من لدنه، فما شكت أنّ الأمر من عنده فيما تفعله كذلك الخضر عليه السلام، وأمّا تجرؤه على قتل الغلام بلا قتل نفس ولا ظهور كفر محرم بإجماع الشرائع من جميع النبيين والمرسلين لتطابق جميع النبوات على هذا في جميع شرائعها، فكون الله سبحانه وتعالىٰ يبيحه للخضر نبوة محال لأنّ الحكم المقرر في الشرائع من الرسل عليهم الصلاة

والسلام لا ينحل عقده إلاّ بنبوة، وأمّا الولاية فليس في وقتها هذا، وهو أنْ يحدث الله فيها حكماً قرره في الشرائع والنبوة بدون نبوة فلا يتأتى هذا لكن ذكرنا الدليل على عدم نبوته، وذكرنا وجه استحالة رفع الحكم المقرر في الشرائع والنبوة في رتبة الولاية بدون نبوة، فلزم حينئذٍ أنّ، تلقى ذلك الحكم من نبي لم يعلمه موسى عليه الصلاة والسلام، وأمّا قولنا يستحيل على موسى أنْ يكون نبياً حاضراً معه في مكانه لا يعلم أنّه نبي مستحيل هذا في حقه، وأمّا إنْ كان نبياً آخر غائباً عنه، وهو في زمانه، فلا يستحيل أنْ يكون لا يعلمه فلا يحيط بعلم الله تعالىٰ والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿اعلموا إنّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم﴾ [الحديد: الآية ٢٠] إلى قوله، ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[آل عمران: ١٨٥]، ومع قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ [الدخان: الآية ٢٥]، مع قوله تعالىٰ في الآية الأخرى: ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ [الشعراء: الآية ٥٧]، فهو اجتماع المدح والذم في شيء واحد، والإزراء بالشيء والتعظيم له في شيء واحد من واحد سبحانه وتعالىٰ محيط بعلم كل شيء خبير بباطن كل شيء حكيم فهو إشكال عظيم. (فأجاب رضي الله عنه) بقوله: اعلم أنّ الأمرين وقعا في مقامين لكل مقام نسبة تخصه، وحدود تحده، فمقام المدح والتعظيم ذكر فيه سبحانه وتعالىٰ ما صبّ من نعمته العظيمة، وأسدى من خيراته الجسيمة التي هي من مقتضيات اسمه الرحمٰن وذي الفضل العظيم، فكان إخباره سبحانه وتعالىٰ في ذلك الحد تعريفاً لعباده بمقادير نعمه، وما متع به خلقه من آثار رحمته فهو معرف فيها بوجه منته، كما قال: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [النحل: الآية ١٨] بعد أنْ ذكر منته التي منّ بها على عباده بحكم المنة، ووفور النعمة حيث يقول جل جلاله: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض، وأنزل من السماء ماءً، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار آتاكم من كل ما سألتموه﴾ [إبراهيم: الآية ٣٢]، فهو تعريف لعباده بنعمه إلزاماً لهم بحق الشكر وليعلموا من ذلك سعة فضله وجوده ورحمته، فهو تعريف بصفاته وأسمائه وهو من آكد الأمور الشرعية، فهذا المقام هو وجه الذكر في هذه الآيات، وفي الآية الأخرى حيث ذم الدنيا، وسماها متاع الغرور بقوله: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ [النساء: الآية ٧٧] نقلهم عن الاشتغال عما في المقام الأول صورة يعني صورة ما أبرزه من النعم إذ كان من مقتضياتها الاشتغال بها عنه، واشتغال القلب بها عن الانصراف إلى الله تعالىٰ، فنقلهم عن هذا المقتضى سبحانه وتعالىٰ ليشتغلوا به عن غيره، كما قال جل من قائل: ﴿والله خير وأبقى﴾[طه: ٧٣]، فالمقام الأول دلّ فيه على

التعريف بنعمه وترادف منه ليشتغل القلب بشكر المنعم عن نعمته، وفي المقام الثاني دلّ على الانقطاع إليه سبحانه وتعالىٰ، وترك كل ما سواه وإنْ عظم موقعه في القلب حيث يقول جل وعلا: ﴿وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور﴾ [الحديد: الآية ٢٠]، فلا إشكال بين المقامين إذ كل مقام له مرتبة تخصه والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل رضي الله عنه) عن معنى قوله تبارك وتعالىٰ في حكاية سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال: أولم تؤمن قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ ما في هذه الآية هو أنّ الله سبحانه وتعالىٰ ما خفى عليه حال إبراهيم عليه السلام من كونه مؤمناً بأنّ الله قادر على إحياء الموتى، ولا كان الشك من إبراهيم أنّ الله قادر على إحياء الموتى، ولكنه عليه الصلاة والسلام أراد الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين، والأمر الواجب في هذا أنّه ما تجرأ على هذا السؤال إلاّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام لمكان خصوصيته من الله تعالىٰ بين الرسل، وإلاّ فما كان يتأتى لأحد أنّ يسأل عن مثل هذا فإنّه من كشف سر القدر الذي استأثر الله به عن جميع خلقه، فإنّ التجليات الإلهية البارزة للوجود ليس لخلقه منها إلاّ الشهود صورة وعيناً، وأمّا ما في باطنها من بوارق الأسرار التي لا مطمع أنْ تنتهي إليها الأفكار، فإنّ تلك الأسرار انفرد الحق بعلمها سبحانه وتعالىٰ، ومن طلب من خلقه أنْ يكشف له عن تلك الأسرار طرده، أمّا عن قربه وهو الحجاب نعوذ بالله منه، وأمّا عن توقع السؤال، وترك الجواب عنه إنْ كان من ذوي الخصوصية، وأمّا بتأديب شديد بنزول عقوبة به لأن أسرار القدر التي هي بواطن التجليات الإلهية استأثر الحق سبحانه وتعالىٰ بعلمها لم يكشفها لأحد من خلقه، ولذا أدب صاحب الخصوصية الكبرى وإنْ عظم مقامه وهو سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام أدبه بقوله: ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ [هود: الآية ٤٦]، وصفح عن إبراهيم لمكان خصوصيته، وأراه ذلك بعينه وهو الذي طلبه إبراهيم، وأسعفه بسؤاله وقوله سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿أولم تؤمن﴾؟ فهو استفهام إنكاري يعني أنّ الله عالم بإيمان إبراهيم، ولكنه استفهمه استفهاماً إنكارياً مصدره العتاب كأنّه يقول له إنّك مؤمن بأني قادر على إحياء الموتى، فما وجه سؤالك؟ إنْ كان لإحياء الموتى فإنّك مؤمن بأني قادر على ذلك، وإنْ كان سؤالك لكشف سري فأنا لا أكشفه لغيري، وقوله: «ولكن ليطمئن قلبي» معنى الاطمئنان هو سكون الروع، وتمكن السكينة من الروع من وجود الاضطراب والشك والوهم، والوجل والفرق، فهذا هو الاطمئنان، واطمئنان إبراهيم في هذا عليه الصلاة والسلام بأنّه إذا حدثه محدث السر فإنّ لكل إنسان محدثاً في سره يخبره، أو يسأله أو يوجب له شكاً أو ظناً أو وهماً، وهو المعبر عنه بالوسواس، لقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ [ق: الآية ١٦]

فإنّ إبراهيم أراد إذا حدثه محدث السر عن موجب إيمانه بأنّ الله قادر على إحياء الموتى يقول له مثلاً هل رأيته أو لـم تره؟ فمن أين يقع لك به القطع بأنّه واقع؟ فأراد طمأنينة قلبه ليجيب سائل السر بأنّه رآه بعينه حقيقة والسلام، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسُئل رضي الله عنه) عن معنى قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى﴾ [النجم: الآية ١]، وعن أقسام الوحي، وكيفياته (فأجاب): رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ الله سبحانه وتعالىٰ برأ رسوله ﷺ من جميع تعلقات الهوى وأسبابه، ومعنى الهوى المذموم وهو ما ترتكبه النفس لشهوتها وتكميل أغراضها لا زائد، وقد برأ الله رسوله ﷺ من هذا بل نفسه ﷺ خلصت إلى مواطن القرب، وتمكنت من صفاء مشاهدة الحضرة الإلهة بحيث أنْ لا تغيب عنها طرفة عين، ولا يشغلها عنها شاغل حتى طرفة عين، والخلوص إلى مواطن القرب هو وصول العبد إلى رتبة حق اليقين، فما يتخلص العبد من جميع المشاغل وملابسة النقص إلا بالغرق في بحر حق عين اليقين فإنّ رتبة عين اليقين، وإنّ كانت تخلص النفس من جميع البقايا المناقضة لأمر الربوبية لكونها ليس فيها إلاّ الربوبية محضاً، فصاحبها ناقص النظر من كونه لا يعطي المراتب حقها، ولا يستوفي في العلم بخواص المراتب الحقية والخلقية، فإذا كان ناقصاً، وصاحب مرتبة حق اليقين قد استكمل الخلاص من جميع غبش طباع البشرية لأنّها استهلكت منه في مرتبة عين اليقين، فلما وصل مرتبة حق اليقين أشهده الله تعالىٰ المراتب الحقية والخلقية، فأعطى كل ذي حق حقه ووفى بالوظائف، والآداب، فما يحيف ولا يميل ولو لحظة إلى متابعة الهوى، ثم مراتب اليقين أولها علم اليقين، وهو في آخر مراتب السلوك للعبد، ثم بعده مرتبة عين اليقين وهو استهلاك العبد بالكلية، ولـم يبق فيه إلاّ حق بحق عن حق، فلا علم ولا رسم، ولا أين ولا كيف، ثم بعد هذا مقام الصحو والبقاء، وهو مقام رتبة حق اليقين، ومثال هذه المراتب في الشاهد مثال النار العالم بها عن بعد من كونها محرقة طابخة مسخنة هذا مثال علم اليقين، والمراد بعلم اليقين هو تبدي الحقائق من وراء ستر رقيق، وأمّا عين اليقين، فهو بمنزلة من وصل إلى النار وكوي بها وذاق حرارتها فهو مثال عين اليقين، وعين اليقين هو انكشاف الحقائق من غير حجاب، ولا خصوصية فهو عين اليقين، ومثال حق اليقين مثال من ألقي في النار برمته، وكانت في غاية القوة والكثرة والالتهاب، فصار يحرق فيها ففي زمن حرقه لا علم له بغيرها، ولا يعلم في قلبه غيرها كذلك صاحب رتبة حق اليقين في نظره ليس إلاّ الحضرة الإلهية، وإنْ نظر إلى متفرقات الكون، فما في الوجود كله في نظره إلاّ الله سبحانه وتعالىٰ قد محق منه السوى من كل وجه، وبكل اعتبار ما عنده إلا الله وحده وإنّ

الله سبحانه وتعالىٰ كان في الأزل في حجاب الكُبرية معظمي لا يعلمه سواه كما قال ﷺ في الحديث حيث سأله السائل: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «**كان في عماء ما فوقه هواء، وما تحته هواء**» الحديث، وخوض أهل الظاهر في هذا الحديث بتخيلات توهموها لا تعطي من التحقيق شيئاً لأنّهم أخذوا لفظ العماء من السحاب لغة، فإنّ العرب تسمي السحاب عماء لكونها تعمي الشمس عن النظر إليها، فجعلوا تأويل الحديث أنّه كان متجلياً في سحاب، ولم يتفطنوا أنّ السحاب من جملة الخلق الذي سأل عنه السائل، وإنّما العمى في هذا الحديث هو احتجاب الرب سبحانه وتعالىٰ في حضرة ذاته بما هي متصفة به من العلو الذاتي والكبرياء والعظمة الذاتيين والعز الذاتي، فلا وجود لشيء معه، إليه يشير قوله ﷺ: «**كان الله ولا شيء معه وهذه الحضرة الذاتية هي حضرة الطمس، والعمى لا ظهور فيها لاسم ولا صفة إلاّ الذات بالذات في الذات عن الذات لا شيء غير ذلك**» وإليها يشير في الحديث القدسي الوارد عنه سبحانه وتعالىٰ بقوله: «كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أنْ أعرف، فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم في عرفوني»، فالخلق المخلوقون هم ظواهر الأكوان، وصورها وما نعرف إليهم إلا بظاهر الألوهية، والذات في حضرة الطمس، والعمى لا مطمع لأحد في معرفتها لا يعلم ذاته في تلك الحضرة إلاّ هو سبحانه وتعالىٰ لا غير، والتعريف للمخلوقات بمرتبة الألوهية وهي عكوف الوجود على عبادته سبحانه وتعالىٰ بالخضوع تحت كبريائه وعظمته وجلاله والتذلل لكمال عزه والخمول تحت قهره وبتسليم القياد إليه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لا منازع له في حكمه، وهذا التعريف بمنزلة الألوهية له ظاهر وباطن، فالتعريف بظاهر الألوهية لأصحاب الحجاب من جميع الأكوان، فكلها تقرّ له بالألوهية، وتعترف بأنّهم عبيد مقهورون تحت حكمه وهذا الأمر فيهم جبلة من أصل خلقتهم وتواتر بذلك أولهم وآخرهم وبذا تعرف إبطال قول من قال من العلماء بوجود التقليل في الخلق في معرفة الألوهية وظنّوا أنّ معرفة الألوهية يخاض فيها بالبراهين، وإنّ في الخلق من لا يعرف الإله وهو باطل، فإنّ الرسل التي أرسلت إلى الخلق ما بعثوا إليهم إلاّ بتوحيد العبادة للإله، وخلع كل ما يعبدون من دونه فما كذبتهم الأمم إلا في صحة الرسالة من عند الله تعالىٰ، وما جحدوا وجود الله تعالىٰ، ولا جحدوا ألوهيته قال سبحانه وتعالىٰ مخبراً عنهم: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفىٰ﴾ [الزمر: الآية ٣]، وقوله أيضاً في الإخبار عنهم في الأوثان ويقولون: ﴿هؤلاء شفعاؤنا﴾ [يونس: الآية ١٨] عند الله فما جحدوا وجود الإله ولا جحدوا ألوهيته ولكنهم كذبوا الرسالة في الرسل بكون الله أرسلهم وكذبوا في توحيد العبادة لله تعالىٰ قال سبحانه وتعالىٰ في حق عاد وثمود: ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ [فصلت: الآية ١٤] يريدون لو شاء ربنا الرسالة إلينا بتوحيد العبادة لأنزل

الملائكة وقول عاد لهود عليه الصلاة والسلام ﴿جئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ [الأعراف: الآية ٨٧]، فأنت تسمع ما جحدوا وجود الإله وإنما جحدوا توحيد العبادة وتحقيق الرسالة منه سبحانه وتعالىٰ قال سبحانه وتعالىٰ في وصف الكافرين: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله﴾ [الزخرف: الآية ٨٧]، وقال سبحانه وتعالىٰ في وصفهم حيث أمر نبيه ﷺ بسؤالهم قال: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إنْ كنتم تعلمون﴾ [المؤمنون: الآية ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩] سيقولون الله وقال: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ [المؤمنون: ٨٦] سيقولون الله وقال: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون﴾ [المؤمنون: الآية ٨٨] سيقولون الله، إلى غير ذلك. فأنت ترى في هذه الآيات أنّهم ما جحدوا وجود الإله ولا جحدوه في مرتبة ألوهيته، وإنّما عبدوها كما قال عنهم: ليتقربوا بها إلى الله تعالىٰ، فهذا هو التعريف بظاهر الألوهية؛ وأمّا التعريف بباطن الألوهية فهو للصديقين والعارفين خرقوا أحجاب الظواهر، وبلغوا من باطن الألوهية إلى رتبة حق اليقين فما الكون عندهم كله إلاّ صفات الله وأسماؤه حقيقة الاعتقاد، فتجلى لهم سبحانه وتعالىٰ بباطن أسمائه وصفاته، وأفاض عليهم أسرارها، فاختطفوا عن دائرة البشرية، وصارت جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم وأفعالهم وأقوالهم بالله محضاً، وحيث كانوا بالله كانوا في جميع أمورهم لله في الله عن الله موتى عن جميع ما سواه، فهذه هي غاية الصديقين في التعريف ليس لهم مطمع في الوصول إلى ما وراء هذه المرتبة، والتعريف للأقطاب والنبيين تجلى عليهم بالسر المصون والغيب المكنون الذي تنقطع الأعناق دون ذكره، ويسمى في الوضع باطن باطن الألوهية، وأسرار هذا الباطن الثاني وعلومه ومعارفه، لو تبدى منها الأكابر الصديقين مقدار هيئة لذابو من هيبة الجلال، وصاروا محض العدم في أسرع من طرفة العين، وهذا الباطن الثاني للأقطاب والنبيين لا مطمع لغيرهم فيه، وبلغوا ما بلغوا إلاّ أنّ الأقطاب في أسفل هذه الحضرة والنبيون في أعلاهم، ثم الباطن الرابع: هي حضرة الخاصة به ﷺ لا مطمع للأقطاب، والنبيين أنْ يشموا منها رائحة، ولو تبدى منها مقدار هيئة على أكابر الرسى لذابوا من هيبة الجلال، وصاروا محض العدم في أقل من لمح البصر.

(ثم الوحي) من الله لأصحاب هذه المراتب كل على قدر مرتبته من الوحي، فأمّا أصحاب الرتبة الأولى، وهم جميع الخلق المحجوبون فوحي الله إليهم ما يعطيهم في حال المنام يكشف لهم ما شاء من أمور الغيب في وقت ما لا في جميع الأوقات، وهم أصحاب ظاهر الألوهية، وأمّا أصحاب باطن الألوهية، وهم الصديقون، فوحيه إليهم أنْ كشف لهم أحوال الغيب جهاراً، وأسمعهم سبحانه وتعالىٰ لذة مساررته لهم لتبدي حقائق تلك الأسرار لـٰكنْ، وإن بلغوا ما بلغوا من وحي الله إليهم تقصر رتبتهم عن مرتبة الأقطاب

كما أنّ الأقطاب، وإنْ بلغو ما بلغوا من وحي الله إليهم تقتصر رتبتهم عن مرتبة النبيين عليهم الصلاة والسلام، كما أنّ رتبة الرسل الأكابر وإنْ بلغت في الوحي ما بلغت تقصر رتبهم عن رتبته ﷺ، فوحي الله إليه ﷺ في مرتبته لا يساويه فيها مخلوق ولا يشم أحد رائحة وحيه في تلك المرتبة ﷺ، ثم إنّه يسمع السر المصون ﷺ جهاراً كما رأى بعيني رأسه ﷺ السر المصون جهاراً، ثم الوحي من حيث ما هو تارةً يكون بمجيء الملك يخبره بقول الله تعالىٰ: ﴿وهذا هو القرآن﴾ [الإسراء: الآية ٩] وتارة يكون الوحي بسماع السر المصون، وهو الرتبة العليا في الوحي، ولا مرتبة فوقها، وتارة يكون الوحي باللقاء، واللقاء مرتبة مصونة عند أهلها لا تذكر يتلقى فيها الأمر الإلهي من الله عز وجل بلا واسطة، وتارة يكون الوحي بالإلقاء، وهذا الإلقاء هو المسمى بالنفث وإليه يشير قوله ﷺ: «**ألا وإن روح القدس قد نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء أنْ تطلبوه بمعصية الله فإنّ الله لا ينال ما عنده، إلا بطاعته**» الحديث وتارة يكون الوحي بالنيابة بحكم المرتبة، وهذه النيابة لا تذكر وذوقها عزيز الوجود وإلى هذه المرتبة في الوحي تشير جميع الأحاديث القدسية مثل قوله ﷺ: «**في صبيحة سحاء نزلت هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم**» قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي**» فأمّا من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأمّا من قال: مطرنا بنوء كذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب، ومثل قوله ﷺ مخبراً عن الله «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**» الحديث، والأحاديث القدسية كثيرة، فهذه مرتبتها.

ثم من أقسام الوحي ما يكون من فيض المقام الذي تقتضيه المشاهدة، ومنه ما يكون بالإلقاء الذي هو الإلهام، ولا يعلم صاحبه من أين دخل عليه؟ وإلى هذا يشير قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ [الكهف: الآية ٦٥] وعلمك ما لم تكن تعلم ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [الفلق: الآية ٥]، فكل هذه حقائق الإلقاء بطريق الإلهام، ومن قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أنْ أرضيعه﴾ [القصص: الآية ٧] لكن هذا الفرد منه إلى أم موسى أوضح من الوجه الذي ذكرناه لا يعرف إلاّ بالذوق، ومن هذا الإلهام قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ [النحل: الآية ٦٨] إلى غير ذلك، ومن الوحي أيضاً ما يكون بالنظر في مراتب الأسماء والصفات، وما تستحقه من الخواص، فيأخذ منها فيضاً إلهياً ووحياً ربانياً يعلم به حكم الغيب، وصريح الأمر الإلهي، ومن الوحي ما يكون بطريق الورود يرد عليه الوارد في حضرته من عند الله تعالىٰ في منزلة الرسول من عنده، فيلقي إليه ما يلقي من التعريفات والأسرار والعلوم وكشف الغيوب وتحقيق الأمر، ومن الوحي ما يكون تلقيه بالنظر في قواعد الحكمة السارية في الوجود بالنظر فيما تستحقه الصفات والأسماء من الخواص، فهذه هي مراتب الوحي، ثم الناس

في هذا على قدر مراتبهم ودرجاتهم، ثم لنعلم أنّ من تجلى الله له بالسر المصون والغيب المكنون عصم من المعاصي بكل وجه، وبكل اعتبار، فلا تتأتى منه المعصية التي هي مخالفة أمر الله تعالىٰ صريحاً، أو ضمناً وليس له فيها إلاّ العصمة من مخالفة أمر الله تعالىٰ، ولذا ثبتت العصمة للنبيين وفي ضمنهم الأقطاب ولم يصرح بهم ﷺ في قوله حيث قال: «**لا عصمة إلاّ لنبي**»، فقد ستر الأقطاب هناك من كونهم لا تعرف مراتبهم، وما أخبر الله الخلق بها أعني بمرتبة الأقطاب، ولا وصل العلم إليهم بها فهي مكتومة لذلك لم يصرح بعصمة أهلها ﷺ لكن السر المصون مانع لمن ذاقه أنْ يعصي الله حتى طرفة عين، وأمّا من عداهم من الصديقين الذين نزلوا عن رتبتهم، فلا عصمة عندهم، وتجري عليهم الأقدار كما تجري على غيرهم كما قال الجنيد: حيث قيل له: أيزني العارف؟ فأطرق ساعة، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ولتحقيق العصمة للنبيين عليهم الصلاة والسلام، وعدم تأتي المخالفة منهم.

قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: الآية ٦٤] وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: الآية ٨٠] إلى غير ذلك، أمّا ما في قضية آدم عليه الصلاة والسلام، فهي وإنْ كانت صورتها صورة المخالفة ظاهراً فهي من أعظم الكرامة له باطناً، وأوحي إليه فيها من كمال العلم والمعرفة بالله، بما عليه الحضرة من الشؤون والاعتبارات، وبما عليه العبودية من الذل والمسكنة، وإنْ علمت رتبتها فأمّا الكرامة فيها فإنّه لما سعى إبليس لعنه الله في إيقاع آدم في الذنب ليطرد عن الله كما طرد فأبلغ في ذلك غاية جهده فأوقعه الله في المخالفة ليعلم إبليس بشفوف رتبته عليه، كأنّه يقول له سبحانه وتعالىٰ بلسان الحال إنْ كنت تروم طرده عن جنابنا، وتريد ذلك بإبعادنا، فهيهات هيهات إنّما هو صفوتنا من جميع خليقتنا، ولأجله أوجدنا العوالم كلها، ولولا هو ما خلقنا، ولا لنا مراد في وجودها، فالعوالم كلها وإنْ ظهر في بعضها أشرف عليه كالملائكة، فإنّ الجميع خدام له، وإنّما هو جوهرة الأكوان والكون كله صدف له، وإنّ السر الذي أودعناه في حقيقته والكنز المكنوز الذي وضعناه في ضميره ولو عصانا بمعصية جميع العوالم ما طردناه، ولا أبعدناه ولا أبغضناه، فإنّما هو بنا لذاتنا على أي حالة كان أطاع أم عصى، فإنّه وإنْ وقع منه ما وقع فلا عيب فيه، ولنا في ذلك سر مصون ولأجل هذا قال: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [البقرة: الآية ٣٧]، ولأجل السر المصون المستكن في باطنه الذي فضله الله به على جميع العوالم حيث وقع منه الذنب، وتناءت منه جميع أحوال الجنة حتى فر منه جميع ثيابه، وطارت عنه ورأى إحاطة البلاء به، فما زاغ من موقف العبودية بل رجع بالذل والاستكانة إلى عظمة الربوبية، وتصاغر لجلال الله واعترف بنقص نفسه، فخاطب ربه سبحانه وتعالىٰ معترفاً بنفسه بقوله:

﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإنْ لم تغفر لنا وترحمنا﴾ [الأعراف: الآية ٢٣]، ولم يكن مثل عدو الله إبليس حيث لم يكن له السر المصون لما طرده ربه عن جنابه، وحكم عليه بلعنه، وإبعاده، فما ذل ولا استكان لجلال الله وعظمته بل رجع اللعين معظماً لنفسه غضبان على ربه، وأظهر كفره بالله تعالىٰ حيث قال مغاضباً لربه: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [ص: الآية ٨٢] وهل أيضاً ﴿فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [الأعراف: الآية ١٦]، وهذا غاية الكفر بالله تعالىٰ، فما في جميع العوالم كلها من خاطب الله بهذا الخطاب، ولا تجاسر عليه أحد بمثل هذا العتاب، وبروز ذلك مما جعله الله تعالىٰ في حقيقته حيث جعله جل جلاله مظهراً للشر والخذلان والطرد واللعن، والحرمان وجعله إماماً متبعاً لكل من طرده الله عن بابه، وأبعده عن قربه وجنابه، فكان جوابه ما ذكره الله سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿خرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأنّ جهنم منكم أجمعين﴾ [الأعراف: الآية ١٨]، فهذا وجه الكرامة في وقوع ما وقع من آدم عليه الصلاة والسلام، وأمّا التعريف بقضيته، فالتعريف الأول في قضيته جعله الله قدوة لذريته عرفهم فيها أنّ من زلت قدمه في مخالفة أمر ربه ثم رجع تائباً مقراً بذنبه وجد العفو والقبول من ربه من حينه، والتعريف الثاني: أنّ المحبوب في الحضرة الإلهية، وإنْ كان مقرباً مصاناً فلا بد له أنْ ينصب عليه من حضرة الله عز وجل ابتلاء والتواء تضطرب منه جميع جوارحه، وتتألم بسببه جميع ظواهره وبواطنه ليخبره بذلك أنّ الحضرة الإلهية لا بد لها من هذا، فإنّ المحبوب لو لم يجد من ربه إلاّ ما يلائم أغراضه لكانت دعواه في محبة ربه غير صادقة لأنّه بملاءمة أغراضه يحبه، فما يظهر مصداق المحبة حتى ينصب عليه البلاء العظيم، ثم لا يزيغ باطنه عن موقف المحبة كما قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله:

ولو قطعتني في الحب إرباً ... لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

فإنّ بالبلاء يعرف صدق المحبة، فإنّه روي عن سري السقطي رضي الله عنه أنّه دخل عليه بعض الرجال يوماً قال: وجدته يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: كنت نائماً الساعة فرأيت نفسي بين يدي الحق سبحانه وتعالىٰ فقال لي يا سري، أو كما قال: لما خلقت الخلق كلهم أدعو محبتي، فخلقت الدنيا بزينتها وزخارفها، ففروا إليها كلهم ولم يبق إلاّ العشر، فلما بقي ذلك العشر خلقت لهم الجنة، فلما نظروا إلى زينتها وزخارفها، فروا إليها كلهم، ولم يبقَ إلاّ العشر، فلما بقي ذلك العشر سلطت عليهم ذرة من البلاء، ففروا كلهم ولم يبق إلاّ العشر، فقلت لذلك العشر الباقي: لا الدنيا أردتم، ولا الجنة اخترتم ولا من البلاء فررتم فما تريدون؟ فقالوا: أنت أعلم بما نريد، فقلت لهم: إنيّ مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم فهل أنتم صابرون؟ فقالوا إذا كنت أنت المبتلي، فاصنع ما تريد،

فقلت: أنتم عبادي حقاً فهكذا هو الابتلاء في موقف المحبة، ولا يعرف صدقها إلاّ بالثبوت للبلايا. قال بعض الأكابر لبعض الأولياء، وقد شكا إليه الولي شدة ضيقه وكربه من محبة الله تعالىٰ، فقال له: ضاقت عليّ الدنيا، ولم نجد للموت سبيلاً، أو كما قال له: فقال له ذلك الكبير: أوذقت محبة الله تعالىٰ؟ قال له نعم: فقال له: هل نزل بك بلاء لا تطيقه الجبال؟ فما تمنيت بقلبك أنْ تنقص عنك منه ذرة؟ فقال: لا: قال له: لا تطمع نفسك بالمحبة، فما شممت له رائحة، فهذا هو التعريف بصدق المحبة في الحضرة.

والتعريف الثالث: أنّ لا أمان من مكر الله تعالىٰ، وإنْ بلغ العبد من الله ما بلغ في الاصطفاء والاجتباء، فلا أمان عنده من مكر الله تعالىٰ كما في قضية آدم، وقد كان حين وقع به ما وقع من البلاء حين أنزله الله من الجنة بكى على فراقها مائة عام، وهو في كرب وحزن وشدة ألم حتى شكت الملائكة من ريح كبده، وقالوا: ما حل بهذا المسكين بعد أن أمرهم الله تعالىٰ بالسجود له؟ فهذه فوائد قضية آدم فظاهرها ذنب ومخالفة، وفي باطنها من العلم بالله تعالىٰ والعلم بأمره أمر عظيم، ثم اعلم أنّ سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام أعطاه الله من القوة الإلهية أمراً لا يحاط بساحله، وبتلك القوة حمل أعباء النبوة والخلافة، فله القوة من المحلين وهما روحه وجسمه، فأمّا روحه فاكتسبت القوة من موضعين الموضع الأول: حيث خلقها الله من صفاء صفوة النور الإلهي، وأودع فيها جميع أسمائه وصفاته وأسرار جميع أسمائه وصفاته وأنوار جميع أسمائه وصفاته، فهذه هي القوة الأولى لها، والموضع الثاني: من قوتها من قوله سبحانه وتعالىٰ للملائكة، ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾[ص: ٧٢]، وهذا النفخ أعطى فيه أيضاً كمال القوة الإلهية، وأمّا جسده الشريف، فاكتسب القوة أيضاً من موضعين الموضع الأول: من التراب، ثم أنّ التراب سمع كلام الباري جل جلاله وعز كماله حيث قال للسموات والأرض ائتينا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين، والموضع الثاني: من الماء، ثم إنّ الماء سمع كلام الباري جل جلاله وعز كماله وذلك حين أراد خلق السموات والأرض أمر الماء، فاضطربت أمواجه ألف حقب في كل حقب ألف قرن في كل قرن ألف سنة في كل سنة ألف شهر في كل شهر ألف يوم في كل يوم ألف ساعة كل ساعة مثل عمر الدنيا سبعين ألف مرة، ثم اجتمع من اضطرابه في هذه المدة كوم من الزبد فوق الماء، فكان مجموعاً في موضع الكعبة اليوم، ثم مد سبحانه وتعالىٰ ذلك الزبد على وجه الماء وقلبه تراباً وهو الدحو الذي ذكره الله تعالىٰ بقوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ [النازعات: الآية ٣٠] أي بسطها على وجه الماء، وأثار سبحانه وتعالىٰ من الزبد دخاناً، فكون منه السموات فبسماع كلام الله تعالىٰ للماء اكتسب هذه القوة الإلهية ودام اضطرابه في المدة المذكورة فما ضعف وما كل وما سئم فهاتان القوتان تركب منهما جسد آدم، فكانت له أربع قوى إلهية اثنان

في روحه، واثنان في جسده، وبهذه القوى اكتسب عليه الصلاة والسلام الكمالات الإلهية، فحفظ آداب الحضرة الإلهية وقوي على حمل أعبائها في موطن النبوة وفي موطن الخلافة، ولما كانت له هذه الكمالات الإلهية فحين وقع منه ما يوجب النفور والطرد والبعد لأمثاله رجع عاكفاً على باب مولاه متذللاً متصاغراً لجلال الله وعظمته وكبريائه، ولما حفظ هذه الآداب عليه الصلاة والسلام خرج جوابه من الحضرة الإلهية، ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [البقرة: الآية ٣٧] لكونه أعطي الكمالات الإلهية من جهة جسده، ومن جهة روْحه وبسبب ذلك علمه الأسماء كلها يعني أسماء الكائنات التي يتوقف عليها الكون، وأسجد له ملائكته، وأعطاه الخصوصية التي لم يعطها لغيره من سائر الأكوان يقول ﷺ: «**إنّ الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه اختار منهم بني آدم**» إلى قوله في الحديث: «**اختار من قريش بني هاشم ثم اختارني من بني هاشم**» الحديث، واللعين وإنْ كان من أعبد العابدين ضيع آداب الحضرة الإلهية، وشغله عنها تعظيم نفسه حيث كان جوابه لما قال له مولاه: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص: الآية ٧٥] أجاب اللعين بقوله معظماً لنفسه ناسياً للآدب مع ربه بقوله: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[ص: ٧٦]، فخرج جوابه من الحضرة الإلهية قال: ﴿فاخرج منها فإنّك رجيم وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾[ص: ٧٧،٧٨] إذْ كل منهما صار بسيرة أصله، فآدم عليه الصلاة والسلام أصله الطين وهو الماء والتراب، فالتراب اختص من الله تعالىٰ بأخلاق الكرم حيث ترى عليه شدة الإذابة من الخلق بما يقذفون عليه من النجاسات، وبما يوقعون عليه من الفجور، وسوء الآدب مع الله تعالىٰ بالتعظيم لأنفسهم، والاستكبار وكان مقتضى ذلك من الحكمة أنْ يرميهم عن ظهره سخطاً لجرأتهم على الله تعالىٰ، أو يخسف بهم الأرض، أو تهتز بهم هزة تهلكهم عن آخرهم، فلا يقع منه شيء في ذلك بل ينبت لهم الأرزاق العظيمة، والنعم الجسيمة، والخيرات الوافرة، والمواهب المتواترة التي لا يقدر أحد على إحصائها، ولم يقابلهم بأفعالهم، وتلك صفة الكرم.

وأمّا الماء فإنّه به حياة العالم وبه أصل وجوده إذْ الموجودات التي في هذا العالم السفلي كلها تكونت من الماء وبه أمدت حياتها، فكان كل شيء منها حياً بالماء، وبه تقوم الخيرات التي في التراب لأن الماء والتراب من أثر الرحمة الإلهية بما ذكر فيها، وأمّا النار التي هي أصل اللعين قد جعلها سبحانه وتعالىٰ سهم غضبه وتجلى فيها بصورة قهره وانتقامه وشدة بطشه، فلا ينتفع بها موجود إلاّ في أقل قليل، كالطبخ، فإنّ ذلك فيها جزء يسير من الرحمة وهو قليل جداً بالنسبة لما فيها من الإهلاك، فكان نظرها إلى قوتها معظمة لنفسها، أو لذلك حين يخاطبها سبحانه وتعالىٰ في آخر يوم القيامة بقوله لها: هل امتلأت، وتقول: «هل من مزيد»، فنسيت الأدب ورجعت إلى طلب الإهلاك للخلق بقولها:

«هل من مزيد» تريد إهلاك الخلق، فكان جوابها كما في الحديث لا تزال تقول هل من مزيد هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قط قط واستعار لفظ القدم لهذا التجلي لكونه آخر تجلي يتجلى فيه سبحانه وتعالىٰ بسطوة جبروته وقهره، ولم يبق بعده إلاّ الرحمة المحصنة، فإنّ النار حينئذٍ تذل وتخضع حيث قابلها بسطوة الجلال، ووراء هذا من العلم ما لا يحل كشفه إذ هو من العلم المكتوم الذي لا يتأتى كشفه لمن علمه، ولما كان اللعين أصله خلق من هذه البنية وهي النار حيث كانت مسلوبة من الرحمة الإلهية إلاّ ذلك النزر القليل فيها كذلك هذا اللعين سلبه أحكام الأدب مع الله تعالىٰ، فرجع لتعظيم نفسه كما هو أصله وهو النار، فكان جوابه: كما خرج جواب النار بقوله: ﴿أخرج منها فإنك رجيم﴾ [ص: الآية ٧٧] كذلك فيه نزر قليل من أثر الرحمة الإلهية كما في أصله حيث يحمل الناس على الرجوع إلى باب الله تعالىٰ بالتضرع، والاستكانة بين يديه سبحانه وتعالىٰ فإنّ العقلاء وأرباب البصائر كلما أحسوا بشيء من شره ووسوسته، فزعوا إلى الله تعالىٰ بالتضرع والابتهال والاستعاذة بالله من شره، وهذا أمر عظيم في الخير لأن الوقوف بباب الله تعالىٰ من أعظم الخيرات، وكان السبب في ذلك هو اللعين حيث ساقهم إلى باب الله تعالىٰ من وجه لا يريده، كذلك النار ما انتفع بها الخلق في الطبخ والاصطلاء إلاّ من وجه لا تريده لأن مرادها في اشتعالها الإهلاك، فهيأ سبحانه وتعالىٰ سبباً لانتفاع الخلق بها وهو الاصطلاء والطبخ، فهذا الجزء فيها من أثر الرحمة، وهو يسير جداً، فظهر حينئذٍ ذله وإهانته، ولم يبق له تعظم، فكان تجليه عليه بسطوة جبروته وقهره، كما وقع بأصله وهو النار.

فإنْ قلت: إنّكم قلتم إنّ الماء والتراب اكتسبا القوة الإلهية من سماع كلام الباري لهما، وكذا اللعين والنار سمعا كلام الباري جل جلاله، فلم لم تكن لهما قوة (قلنا) الجواب: أنّ الباري كلّم الماء والتراب كلام تعظيم ومحبة وتكريم حيث أقامهما في خدمته على طريق محبة المخدوم للخادم لأنّهما سمعا كلام الباري بالأمر لهما بالخدمة فأجابا وأطاعا، وأمّا اللعين والنار فإنّهما كلمهما كلام كراهية وإهانة، فإنّه استفهمها فقط، وما أمرهما حتى يكون لهما أشرف الخدمة واستفهامه لم يعطهما فيه قوة ولا أدباً، فكان جوابهما ما سمعته فيهما وهذه القوة التي ذكرت في آدم أعطي تحمل أعباء النبوة والخلافة، فإذا عرفت هذا عرفت أنّه لا حظ للنساء في النبوة والخلافة لضعفهن عن حمل أعباء الحضرة الإلهية لأنّ جسد الأنثى تكون من ضلع آدم فقط، وفيها اعوجاج، ولم يكن من الأصل الذي هو الماء والتراب لأنها من الماء والتراب بالواسطة لا بالأصل، ففقدت القوة وروحها إنّما خلقت لأجل آدم لا غير للتأنيس والإعانة، وما منحها قوة تحمل أعباء الحضرة الإلهية، وبها تعرف إبطال قول من قال بنبوة مريم وأم موسى.

(فإنْ قلت) إذا كان هكذا، فكيف نُبِّيء عيسى عليه الصلاة والسلام وهو إنّما خلق من ماء الأنثى فقط، فكيف تحمل أعباء الحضرة الإلهية. (قلنا): إنّه تكملت فيه قوة الذكورية بنفخ الروح الأمين في فرج أمه وذلك النفخ نيابة عن الله تعالىٰ حيث كان بأمر إلهي لم يكن فيه اختيار للروح ففي ذلك النفخ سرت كمالات القوة الإلهية، كما سرت لآدم عليه الصلاة والسلام، ولهذا الأمر وقع التمثيل بينهما في الآية بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ [آل عمران: الآية ٥٩]، ولأجل القوة الإلهية التي أودعها في جميع الذكور، فلذلك كانت لجميع الذكور قوة على تحمل أعباء الحضرة الإلهية ومقاساة الشدائد ومعاناة الأمور الصعاب، والصبر والتحمل على البلايا في إدراك المطالب والمراتب، ومقاساة الشدائد أيضاً في تحمل مؤنة النفقات على من تحت حكمهم من النساء والصبيان.

ومن ذلك أيضاً ترتيب المملكة في الأرض، وتحمل أعبائها وثقل مؤنتها، وملاقاة البأساء والقتال، وتجرع المرارات إلى غير ذلك مما لا قدرة للنساء عليه فما في الوجود كله إلا الحضرة الإلهية في ظاهر الكون وباطنه، فالكون كله حضرة الحق، وأعباء الحضرة الإلهية ما ذكرناه من مقاسات الرجال له مع دوام صبرهم على ذلك، وعدم السآمة إلى أنْ ينزل الموت بأحدهم، والنساء في غاية العجز عن مقاسات هذه الأمور، ولذلك ترى الرجال صامتين ساكنين مع قذفهم في بحور الأخطار لا يصيحون، ولا يئنون ولا يتكلمون بشيء، والنساء يرى منهن لأقل قليل من لهم ثوران البكاء والصياح والجزع، فقد عرفت الفرق بينهما، ولذا قال آدم عليه الصلاة والسلام لما أخبر حواء بموت ولده هابيل حين قتله قابيل، قال لها: مات هابيل، قالت له: ما معنى مات؟ قال لها: لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك، أو كما قال لها: فصاحت حينئذٍ، صياحاً شديداً لحر المصيبة لما لم تكن لها قوة على تحملها، قال لها عليه الصلاة والسلام: عليك وعلى بناتك، وأنا وأولادي منه براء لما علم في الذكورية والأنوثية ما ذكرنا من وجود القوة وفقدها، فإنّه علم موت هابيل قبلها، فما جزع ولا صاح ولا اضطرب، فظهرت قوة الذكورية: ﴿خلق الإنسان ضعيفاً﴾ [النساء: الآية ٢٨]، وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ [الروم: الآية ٥٤]، وقوله الآن خفف الله عنكم، وعلم أنّ فيكم ضعفاً (قلنا) الجواب عن هذا: اعلم أنّ ما ذكره الله تعالىٰ من الضعف لا ينافي القوة، ثم إنّ الضعف الذي ذكره الله تعالىٰ إنّما طرأ على الجسد الذي هو ظاهره الإنسان فقط، فما ذكر الله سبحانه وتعالىٰ في خلق الإنسان إلاّ جسده فقط، وما ذكر خلق روحه إلا رمز لها بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: الآية ٨٥]، وقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ [الإنسان: الآية ٢]، والمراد بذلك جسده لا روحه، وقوله: ﴿خلق الإنسان من علق﴾ [العلق: الآية ٢] المراد به الجسد وقوله: ﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾

[الحج: الآية ٥] كل ذلك يراد به الجسد، فإنّه وإنْ كانت له قوة الماء والتراب، فليسا دائمين لأنهما ينهدمان يوم القيامة، فقوتهما ليست دائمة كذلك جسد الإنسان قوته هي من الماء والتراب ليست دائمة، ولذا ترى جسد الإنسان يتلاشى في حياته، وينتقل في الأطوار والتغيرات من الصبا إلى الطفولية إلى الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة إلى أرذل العمر نعوذ بالله من ذلك، فإنّ قوته ليست دائمة كما كانت قوة الماء والتراب، وأمّا روحه فإنّها من صفاء صفوة النور الإلهي الذي هو خالص الحضرة الإلهية فلها من القوة ما لا غاية له، فإذا بقيت للأبد لا يدركها الفناء فإنْ قلت: إذا كان حد الأنوثية في الضعف على ما ذكرتم فكيف يصح لسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن تتحمل قوة أعباء الخلافة الإلهية؟ (قلنا) الجواب: عن هذا: اعلم أنّ في روحها قوة ليست كقوة النساء، ثم إنّ جسدها رضي الله عنها تكون عن استمداد الجنة، والجنة كلها في غاية القوة لأنها دار التجلي للحق سبحانه وتعالىٰ، فقواها جل جلاله بقوته الكاملة، فكل شيء منها هو في غاية القوة والمتانة والثبوت للتجليات الإلهية، وكان جسدها رضي الله عنها من هناك لأنّ نطفتها تكونت عن تفاحة من الجنة، فاستمدت بذلك من القوة الإلهية في روحها وجسدها ما ليس للنساء فيه نصيب، فبذلك تحملت أعباء الخلافة الإلهية وقد بسطنا الكلام على ذلك في أجوبتنا فمن أراد فليطالعه والسلام.

وأمّا نبوة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام، فتؤخذ من مضمن الآيات لا من ظاهرها، ومما روي عنه ﷺ في الحديث أنّه قال: إنّ آدم عليه الصلاة والسلام: «**نزلت عليه صحيفة الحروف، وفيها تسعة وعشرون حرفاً**» قال له بعض الصحابة إنّها بمثابة ثمانية وعشرون قال له عليه الصلاة والسلام: بل تسعة وعشرون قال الصحابي: بلام الألف قال له نعم، والدليل على نبوته أيضاً يؤخذ من لفظ الخلافة لأنّ من استخلفه الحق لا بد أنْ يكون فيه معنى ما من مستخلفه وهو هنا احتواؤه على جميع الأسماء الكونية الإلهية التي بها نظام الكون وقوامه، كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: الآية ٣١]، وعلمه بهذه الأسماء فرع عن الصديقية، ولكنّ الفرع هنا أعلى من المتفرع عنه، والصديقية لا تكون إلا عن أحكام التكليف وأدبه، وإنْ كان العقل يجوزها بدونه لكنّ الحكمة الظاهرة لا تكون الصديقية إلاّ عن أحكام التكليف، والأحكام التكليفية لا تكون ناشئة إلا عن أخبار نبوة، وأخبار النبوة لا تكون إلاّ من الله لبعض أنبيائه، أو من نبي لبعض أتباعه، وسيدنا آدم ثبت له جميع ما ذكر من الخلافة والصديقية، وليس قبله نبي، فثبت أنّه نبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك قوله عز وجل: ﴿فإمّا يأتينكم مني هدى﴾[البقرة: ٣٨] بعد قوله: اهبطوا فإنّ الهداية لا تكون إلا من الله لمن أراد أنْ يكون هادياً مهدياً، وهذا لا يكون نبياً أو وارث نبي، وسيدنا آدم لم يرث نبياً، فثبت أنه نبي عليه الصلاة والسلام. ثم

نرجع إلى تتميم الكلام على أقسام الوحي وتفصيله، فأقول: اعلم أنّ بالنظر في أقسام الوحي وتمامه يعرف كمال اجتهاد النبيين عليهم الصلاة والسلام في طلبهم الحق، والصواب في الحكم بأمر الله فإنّهم لا يفارقون أقسام الوحي التي ذكرناها ومن كان كذلك كان حكمه هو حكم الله تعالىٰ في باطن الأمر لكونه أخذ الحكم عن الله أينما أخذه من أقسام الوحي، لأنّ الخطأ في الحكم لا يتأتى إلا بممازجة الطباع البشرية لنور العقل، وتخبطه في بعض دواعي الهوى ووقوعه في شيء من بنيات الطريق التي ذكرها ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: «**لما أنزل الله سبحانه وتعالىٰ، وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**» قال: خط ﷺ خطاً مستقيماً، وقال: «**هذا هو الصراط المستقيم**» ثم خط حوله خطوطاً صغاراً رقاقاً: أو كما قال، وقال: «**هذه السبل التي نهى الله عنها**» وهي حول ذلك الخط، وتسمى في اللغة بنيات الطريق، فإنّها طرق لكنها خفية، وقد قال ﷺ: **على كل طريق منها شيطان يدعو إليها، فمن تخلص منها عرف حكم الله تعالىٰ في النوازل بتأييد إلهيّ ونور رباني**» قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [الأنفال: الآية ٢٩] الفرقان الذي ذكره الله تعالىٰ هو نور بمحبة من أحبه من خلقه، فيظهر له بذلك النور صورة الحق والباطل، وأصحاب هذا إذا أدركتهم العناية الإلهية مهما نظر في نازلة بحكم الله تعالىٰ تبدى له في الباطن كسوتها بأنوار عظيمة المقدار، فيعلم من ذلك النور أن تلك المسألة واجبة، وإنْ ظهر لباس النور عليها ضعيفاً علم أنّها مستحبة مندوبة، وإن رأى عليها ظلاماً متراكماً علم أنّها محرمة، وإن رأى عليها ظلاماً خفيفاً علم أنّها مكروهة، وإنْ لم ير عليها الأنوار ولا ظلمة علم أنّها مباحة وهذا لأرباب الكشف بالغيب لا مطمع فيه لغيرهم، فإذا عرفت هذا عرفت أنّ اجتهاده ﷺ في الأمور ليس كاجتهاد غيره، فإنّه ﷺ حيث ما أخذ الحكم والأمر من أي أقسام الوحي كان من الأقسام التي ذكرناها كان آخذاً الحكم عن الله تعالىٰ لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه ﷺ فكيف ما حكم ﷺ كان هو حكم الله تعالىٰ لا يتطرق إليه الغلط ولا السهو ولا الضلال بوجه من الوجوه أصلاً ولذا قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وإنْ تطيعوه تهتدوا﴾ [النور: الآية ٥٤]، فكل أحكامه ﷺ وجميع تصرفاته كلها بطريق الوحي ليس فيه شيء من مخامرة الهوى ولا من طباع البشرية التي تخرج عن الحق وكذا غيره من جميع النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على هذا المهيع.

ثم اعلم أنّه ﷺ حيث كمل خلوصه إلى أوطان القرب والتمكين من حضرة الله تعالىٰ التي لا مطمع فيها لغيره، أنّه قائم فيها بتكميل الأدب، وتكميل وظائف الخدمة في كل ما برز عن الحضرة من الأسرار والتوقعات والتجليات في ظاهر العالم وباطنه وباطن

الحضرة الإلهية، فلا يفتر من ذلك مقدار طرفة عين، ولا يقع منه التفريط في تكميل حق من حقوق التجليات، كل ما برز من التجليات على غاية كثرتها وعدم نهايتها يعطيها حقها من العبودية من غير إخلال ولا ضعف ولا تزحزح عن موقف الكمال، فإنّ أطوار الوجود بكل ما تطورت من خير أو شر، أو دفع أو جلب، أو إعطاء أو منع، أو تحريك أو تسكين أو تمكين أو تلوين إلى سائر أقسام التطورات مما يعرفه العامة في ظواهر الوجود وما يتبلور في بواطن الوجود من الإرادات والتخيلات والتوهمات والخواطر والأفكار، كل ذلك تجليات الحق سبحانه وتعالىٰ بآثار صفاته وأسمائه ما تم غيره سبحانه وتعالىٰ في كل ما سمعت وهو ﷺ في موقف كماله دائماً أبداً سرمداً يعطي جميع التجليات حقها، ويوفي آدابها وهو في كل ذلك لله وبالله ولذا برأه الله من الهوى بقوله جل علاه ﴿وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: الآية ٣] وليس من الوحي عند أرباب الظواهر إلا مجيء الملك من عند الله بالخبر للنبيين عليهم الصلاة والسلام ما يعلمون من الوحي غير هذا، فلذلك تخبطوا في معاني هذه الآية تخبطاً كبيراً لم يقعوا منه على تحقيق، وإنّما الأمر الذي يكون فيه ﷺ بوحي يوحى، إنّما هو ما ذكرناه من أقسام الوحي، فإنْ كان موقعه مع الله تعالىٰ في الحضرة بالكمال الذي ذكرناه له ﷺ طهره الله بسبب ذلك من كل ما يوجب له نقصاً أو شيناً أو لوماً أو إبعاداً أو ذماً، فبكمال طهارته ﷺ كان لا يتكلم إلاّ بوحي عن الله تعالىٰ من كونه يأخذ من أقسام الوحي التي ذكرناها وليس وحي الله تعالىٰ في التحقق لمن أوحى إليه إلاّ إعلامه بأمره لمن أوحى إليه بأنّ الأمر كيت وكيت مما هو مراداً لله تعالىٰ فهذا هو الوحي، ويكون صاحبه لا خروج له عن أمر الله تعالىٰ، ثم إنّه تورد علينا هنا اعتراضات ممن لا علم له بحقيقة الأمر.

(الاعتراض الأول) هو أنْ يقول المعارض إذا كان كل شيء منه بوحي، فما بال القضية التي بعث فيها ﷺ حبيباً، وأصحابه مع الطائفة الذين أظهرو الإسلام، وطلبوا منه أنْ يبعث معهم من يفقههم في الدين، فبعث معهم ﷺ حبيباً وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح في رجال معهم، فلما بلغوا أرضهم أظهروا كفرهم وقتلوهم إلاّ خبيباً فإنّهم باعوه لقريش فقتلته قريش، فلو كانت القضية عن وحي ما بلغت هذا المبلغ (قلنا) الجواب عن هذا الاعتراض: اعلم أنّه ﷺ عمل في ذلك بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، وبقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: الآية ٤٤]، فكان عمله ﷺ فيها بهذا الوحي وكونه لم يعلم عاقبة الأمر ولا عرفه الله بصرف البلاء عنه في هذه القضية الذي أصاب أصحابه، فإنّ الله عز وجل ليس عليه أنْ يخبر خلقه إذا كلفهم بأمر، بجميع ما يلاقون من البلايا، إنّما كلفهم ليوفوا بأمره، وإنْ كانت عاقبتهم فيها الهلاك الدنيوي، فلا لوم عليه في ذلك

لأنّه كلف عباده بتوفية أمره، وليكمل ثوابهم في الدار الآخرة ويصرف عنهم عذابه في الدار الآخرة، وأما بلاء الدنيا، فما أخبرهم في تكليفه بأنّهم لا يصيبهم بلاء في توفية أمره سبحانه وتعالىٰ لا يسأل عما يفعل؛ ألا ترى كيف أرسل رسله للخلق وفي الرسل من كانت عاقبته أنْ قتلته أمته، فليس للرسول أنْ يلوم ربه في هذا بقوله معاتباً: «كيف ترسلني إليهم وقد علمتهم أنّهم يقتلونني» فلو علمت بهذا ما ذهبت إليهم، فليس له أنْ يعاتب الله بهذا العتاب، ولكنه بلاء لحقه في تأدية التكليف، فثوابه واقع على الله تعالىٰ وليس له أنْ يخاصم ربه، فهذا جواب هذه القضية.

(والاعتراض الثاني): هو أنْ يقول المعارض مثلاً: كيف تصنع في قضيته ﷺ حيث بعث أصحاب بئر معونة مبلغين إلى أهل نجد رسالته وأحكامه ويدعونهم إلى الإسلام، وكان الذي أثاره على ذلك أبو براء العامري حيث قال له أنا جار لهم: إذا كان قال ﷺ: يا محمد لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أنْ يستجيبوا لك قال له ﷺ: إني أخاف عليهم من أهل نجد قال له: أنا لهم جار والجار هو المانع، فبعثهم ﷺ فقتلوا عن آخرهم قتلهم أهل نجد إلاّ عمرو بن أمية المضري كان أعتقه عدو الله عامر بن الطفيل، وقد كان أراد قتله ظن أنّه من الأنصار فقال له عمرو رضي الله عنه: لست من الأنصار إنّما أنا من مضر فقال له عدو الله: كان نذر على أمه أنْ يعتق رقبة من ولد إسمعيل، فحيث أنت من مضر أنت هو فأعتقه في نذر أمه فما نجا من أولئك الرهط غيره، فلما أبلغ إلى رسول ﷺ أخبره بمقتل أصحابه قال ﷺ: **«هذا عمل أبي براء لي قد كنت لبعثهم كارهاً»**، وقد توجع باطنه لذلك ﷺ يقول المعارض: لو كان هذا عن وحي ما حل بهم هذا الأمر، ولا قال «كنت لبعثهم كارهاً».

(والجواب) عن هذا الاعتراض: اعلم أنّ أذواق العارفين في ذوات الوجود «أنّهم يرون أعيان الموجودات كسراب بقيعة» الآية، فما في ذوات الوجود كله إلاّ الله سبحانه وتعالىٰ تجلى بصورها وأسمائها، وما ثم إلا أسماؤه وصفاته، فظاهر الوجود صور الموجودات وصورها وأسماؤها ظاهرة بصورة الغير والغيرية وهو مقام أصحاب الحجاب الذين حجبوا بظاهر الموجودات عن مطالعة الحق فيها، وإنّما مرتبة الصديقين الكون عندهم معتقد فقط، والظاهر المحض إنّما هو وجود الحق وحده في كل شيء، فإذا رأيت ما يظهر من صور الموجودات على اختلاف أحواله، وتباين أشكاله وتشتيت أموره من مذمومه ومحموده، فما فيها إلاّ تجليات الحق سبحانه وتعالىٰ بشؤونه قال جل جلاله كل يوم هو في شأن وتلك الشؤون في الموجودات هي تجلياته فيها سبحانه وتعالىٰ بضروب أموره واختلاف شؤونه، فيقول المعارض مثلاً: إذا كان هذا أمر الصديقين، فكيف يتعقل أنّ هذا عدو له، وهذا محب له هذا يحمده وهذا يذمه، وهذا يفيض عليه الخيرات، وهذا يترصد له الهلاك والشرور والحق واحد لا يتبدل ولا يتعدد، فكيف يكون هذا في الصديق وهو يرى

اختلاف أحوال الأكوان؟ (والجواب): اعلم أنّ عند الصديق بل كل صديق من العلم القطعي من عند الله بطريق الوحي التحقيقي بما أفاض عليه من العلوم، وعرفه من حقائقها كأنّه يقول له سبحانه وتعالىٰ: «أنا الواحد الحق الذي لا شيء غيري، وأتجلى في كل مرتبة بما أشاء من الشؤون سواء طابقت الأغراض، أو خالفتها» فكأنه يقول لكل صديق: إن تجلياتي في فلان لك لا أعطيك منه إلاّ صورة المحبة، وإفاضة الخيرات منه وآثرتك منه على نفسه وكذا في فلان، ولا أتجلى لك فيهم إلاّ بصورة المحبة والنعمة وبذل الخيرات، وكذا في بلد كذا لا أتجلى لك فيهم إلاّ بصورة المحبة والتعظيم والإجلال وما ثمّ غيري إنّما هم صوري لا شيء فيها فاحمدني واشكرني على ذلك، وإنّ فلاناً مثلاً لا أتجلى لك فيه إلاّ بصورة العداوة المحضة والشر البالغ والقهر والقتل، فجف مني، واحذرني فبه ولا تأمن مكري فيه فإنّي لا أفعل بك في تلك الصورة إلاّ شراً، ولا ترى مني فيها إلاّ شراً وكذا في بني فلان لا ترى مني فيهم إلاّ شراً وهلاكاً وضرراً، وكذا في بلد كذا لا ترى مني فيها إلاّ ذلاً وإهانة وانخفاضاً واستكانة، ولا ترى مني فيهم ما تحب أصلاً، فخف مني واحذرني في جميعهم، ولا تأمن مكري فيهم وكنْ شديد الاحتراز مني فيهم فما ثمّ غيري في جميعهم، فأنا المتجلي فيهم بشؤوني فإنّك إنْ أمنت مني فيهم أهلكتك، وسلّم لي تدبيري في ملكي، وسلّم تصريف مشيئتي، فإنّما أنت عبد مقهور تحت حكمي وإرادتي، ولو بلغت من الشرف عندي إلى الذروة العليا، فإنّما أنت عبدي لا خروج لك عن العبودية، كما أني أنا الإله الكامل الذي لا يقدر على مناقشتي أحد في مرتبة الألوهية، وليس لك أيها الصديق أنْ تقول: أنا لك محب ولأمرك مطيع، فكيف تفعل بي شراً في صور الموجودات؟ ليس لك ذلك إنّما أنا الإله أفعل ما أشاء، وأحكم ما أريد رضي العبيد أم سخطوا، وليس لكم معشر العبيد إلاّ الرضا والتسليم، ولا سبيل لكم أنْ تحجروا تجلياتي في خلقي، فتجعلوها جارية على أغراضكم فهذا مشهد الصديقين، فإنّهم في كل ما يرون من الوجود لم يروا على البديهة إلاّ الحق سبحانه وتعالىٰ فعل ذلك وتجلى به فهم يأخذون العلم عن الله تعالىٰ في كل مرتبة من الوجود ظاهراً وباطناً.

فإذا عرفت أنّ هذا مشرب الصديقين، فاعلم أنّه ﷺ كان غريق هذا البحر وما حصل للنبيين والصديقين إلاّ نقطة من هذا البحر، فاعلم أنّه كان في مظهر أبي براء العامري حيث خوطب بالخطاب الظاهر الذي هو روح الأمر بقوله: «**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**»، فهو يبلغ وحيث عرض عليه أبو براء يبعث أصحابه إلى أهل نجد ليؤمنوا به قال: «إني أخشى عليهم من أهل نجد» فإنّه ما تعقل ﷺ في ذلك الوقت من الله إلاّ محض تجليه عليه بالشر فيهم فلذلك قال ﷺ: «**أخشى عليهم من أهل نجد**» فإنّه كما قدمنا حق الصديق أنّ القطعي عنده من الله أنّ أهل نجد لا أتجلى عليك فيهم إلاّ بالشر، فخفني فيهم واحذر مني فيهم، ولا تأمن مكري فيهم، فلما خاطبه أبو براء قال له: أنا

لهم جار والجار قلنا: هو المانع وأبو براء مرتبة من مراتب الحق وسمع خطاب الحق فيه أنا لهم جار بعد أنْ أعلمه الله أنّه لا يفعل معه إلاّ شراً فيهم فوثق بقول أبي براء.

ووثوقه به من حسن ظنه بالله تعالىٰ ظن أنّ ذلك القول يحميه مما خوفه الله منه أولاً، فإنّه أولاً امتنع من بعثهم بما عنده من العلم بالله أنّه لا أتجلى له فيهم إلا بصورة الشر، فلهذا العلم المقرر عنده قال في آخر الأمر: «كنت لبعثهم كارهاً» وكراهيته ﷺ لأجل هذا العلم، فلما سمع قول أبي براء، وما هو إلاّ خطاب الله تعالىٰ فيه وهو صريح الوحي الذي هو قذف العلم من عند الله إلى بصيرة الصديق في صور المراتب، فإذا أحسن الظن بالله تعالىٰ بما سمع من أبي براء، وظن إنّما خوفه منه أولاً ستطفأ ناره ويعقبه الخير فما تمكن ما ظنه وأوقع الأمر على ما خوف منه أولاً ورد الذم إلى أبي براء ظاهراً، ولم يرده إلى الله قياماً بحق الأدب ومراعاة لباطن العلم الإلهي من حيث أنّه ما تم إلاّ الله وكان الوحي في ذلك ما ذكرناه، ففعل الأمر في ذلك من بعثهم بوحي يوحى حيث أخذ العلم عن الله في مرتبة أبي براء، وظنّ أنّ ما خوف منه أولاً لا يقع، فما خرج عن الوحي انتهى.

(وكذا يقول المعارض) أيضاً في قضية غنيمة بدر حيث ابتدروها، ولم يتقدم لهم وحي إلهي في تجلياتها، فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ [الأنفال: الآية ٦٨]، فلو كان أخذ الغنيمة عن وحي إلهي ما وقع هذا، (الجواب): اعلم أنّه ﷺ أخذ العلم عن الله اعتقاداً لا تصريحاً حيث أمره بجهاد المشركين وتضييق الأمر عليهم، فظنّ أنّه يبيح له أموالهم لأنّه إنْ لم يقاتلهم لأخذ أموالهم لم يتأت له القتال لأنّه يحتاج في القتال إلى السيف والسلاح والخيل والدواب، لحمل الجيش وتمكين الزاد، فلا يتأتى هذا إلاّ بأخذ أموالهم، فظنّ أنّ الإذن في القتال إذن في أخذ أموالهم، وإلاّ فما كان يقدر من القتال على شيء لولا الغنائم، فهذا كان اعتقاده ﷺ في تحليل الغنيمة، ثم قوي اعتقاده وظنه بعد هذا في تحليل الغنائم بما أخذ أصحابه من عير عمرو بن الخضرمي وهي عير لقريش كانوا أخذوها قبل بدر، واقتسموا أموالها، فما سمعوا فيها نهياً ولا وقع لهم هلاك بسببها فيقوى اعتقاده في تحليل الغنائم، فلما وقعوا فيما وقعوا فيه من غنيمة بدر أنزل الله سبحانه وتعالىٰ في شأنها التهويل والترويع والتغليظ والأراجيف الشديدة بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولا كتاب من الله سبق﴾ [الأنفال: الآية ٦٨]، فهذا وجه الجواب في هذه القضية.

(ومن ذلك) أن يقول المعارض مثلاً: أنّه ﷺ استغفر لعبد الله بن أبي، فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ في شأنه ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾[التوبة: ٨٠]، فلن يغفر يقول المعارض: لو كان هذا عن وحي ما تعقبه الله بهذا النهي؛ (الجواب): اعلم أنّ عمله ﷺ في ذلك كان عن وحي إلهي والوحي ههنا الذي

عمل عليه هو قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] وقال له: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، وقال له في حق اليهود: ﴿ولا تزال تطلع على حائنة منهم إلاّ قليلاً منهم، فاعف عنهم واصفح إنّ الله يحب المحسنين﴾[المائدة: ١٣]، وقال له سبحانه وتعالىٰ: ﴿قل للذين آمنوا يغفرون للذين لا يرجون أيام الله﴾ [الجاثية: الآية ١٤]، وقال له سبحانه وتعالىٰ لما ذكر من أعدت لهم الجنة: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [آل عمران: الآية ١٣٤]، فعمله ﷺ على مقتضى هذه الآيات كان يعامل الناس ﷺ بالرحمة والشفقة والعفو والإحسان، وعدم المؤاخذة بذنوبهم، والصفح عن زلاتهم، فهذا كان له ﷺ بالوحي لأنّ الله سبحانه وتعالىٰ أمره في هذه الآيات بالرحمة والشفقة والعفو والإحسان والصفح والتجاوز، ومكارم الأخلاق الإلهية، فلذا استغفر لابن أبي معاملة بما أمره الله به لقد أخذ ذلك من الوحي، وهي الآيات التي ذكرناها قبل.

فإنْ قيل: إذا كان هكذا في هذه القضية بالوحي، فما باله تعقبه الله بما سمعت من الخبر حتى قال له سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولا تصل على أحد﴾ [التوبة: الآية ٨٤] (الجواب): اعلم أنّ عمله ﷺ كان أولاً بالوحي بمقتضى الآيات التي سمعتها أولاً وذلك الأمر شامل لجميع فروع تلك الشؤون، وهذه القضية فرع من فروع تلك الشؤون نسخ ذلك الحكم فيها سبحانه وتعالىٰ، وتعقبه بحكم آخر، وبقيت تلك الأحكام جارية على جميع فروعها إلاّ في هذا لفرع، فقد نسخ في الحكم وحده ولا حجر على الله تعالىٰ في أنْ ينسخ حكماً ويرفعه بعد تقريره فيما شاء من الأحكام، ومن جملة ما يعترضه المعارض قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [التوبة: الآية ١٠٧]، فلو كان فعله ﷺ عن وحي ما عاتبه تعالىٰ، ولا أخبره الله بالعفو عن فعله، (الجواب): اعلم أنّ الذين أذن لهم النبي ﷺ في القعود عن الجهاد في غزوة تبوك أنه ﷺ كان كل من جاءه يعتذر إليه، ويذكر له عذراً في قعوده عن الجهاد في تلك الغزوة عملاً بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]، وعملاً بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩]، فإنّه ﷺ في ذلك الإذن لمن أذن له منهم مستنداً لهذه الآيات وأضرابها في العفو عنهم ومسامحتهم فيما يعتذرون فيه، ورفع الأثقال عنهم فيما يشكون منه؛ كل ذلك عملاً منه ﷺ بالرحمة الإلهية التي أمر بها حيث يقول فيه سبحانه وتعالىٰ: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، وكذا كان استناداً للوحي ﷺ، فلما كثر المتلاعبون في بث هذه الشكوى، وعدم تحمل هذه الأثقال كما قال في حقهم سبحانه وتعالىٰ: ﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك، ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ [التوبة: الآية ٤٢] ثم فضح أسرارهم سبحانه

وتعالىٰ بقوله: ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنّهم لكاذبون﴾ [التوبة: الآية ٤٢]، فلما كثر هذا التخليط منهم واستأثر الكاذب منهم بالصادق عاتب الله رسوله ﷺ على هذا، وأخبره بالعفو عن فعله طلباً منه وأمراً له بأنْ لا يأذَنَ لهم حتى يستثبت أمرهم، ويفحص عن صحة دعواهم ليتبين الصادق من الكاذب، فإنّه ﷺ استند للوحي في فعله ﷺ، فلما كثر الكذابون، واشتأثروا بالصادقين عاتبه الله تعالىٰ ومراد الله منه لا يأذن لهم حتى يستثبت الأمر كما ذكرنا.

(ومن جملة) ما يعترضه المعترض أيضاً ما أنزل الله تعالىٰ في سورة التحريم بقوله: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾ [التحريم: الآية ١] يقول المعترض: لو كان هذا عن وحي ما عاتبه الله تعالىٰ لأنّ ما كان من عند الله لا يوجد فيه الاختلاف؛ (الجواب): اعلم أنّه ﷺ كان مستنداً للوحي في هذه القضية حيث قال لزوجته لما عاتبته، ما مقتضاه: إني أتركها من أجلك، وهي أمته التي واقعها في غيبة زوجته، فلما اطلعت على ذلك غضبت، وقال لها: إني أتركها من أجلك أو ما معناه هذا كان عمله في ذلك بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ [النساء: الآية ١٩] وبقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة: الآية ٢٢٩]، فأشفق عليها ﷺ مما حل بها من الغيرة وعاملها بالمعروف الذي هو مقتضى الآية، فلما ورد عليه قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ [التحريم: الآية ٢] رفع حكم الآية الأولى في هذه القضية وحدها ونسخه بالآية الثانية حيث قال: قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم، وهو أمر له بالرجوع إلى أمته إلى ما كانت عليه، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [القلم: الآية ٤٢] (فأجاب) رضي الله عنه بما نصه: اعلم أنّه ورد في الصحيح عنه ﷺ أنّه قال: في يوم القيامة بعد ما ذكر ﷺ قال: **«يقال من كان يعبدشيئاً فليتبعه فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع الطواغيت من كان يعبد الطواغيت حتى إذا لم يبقَ إلاّ من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في غير الصفة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصفة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيخرون له سجداً فلا يبقى من كانّ يسجد من تلقاء نفسه إلا خرّ ساجداً، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء وسمعة إلاّ انتكص على عقبه، وهي آخر فتنة تقع بأهل الموقف»**، فهو مراد الآية وهو قوله تعالىٰ: ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم: الآية ٤٢] إلى قوله: وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾[القلم: ٤٣]؛ وأما الكلام على العبارة بالكشف والساق، فالمراد بالكشف والساق ههنا هو تبدي ذلك الجلال العظيم والكمال العديم المثال، فهو المراد بالساق والعبارة خرجت مخرج الأمثال على طريق السياق عند العرب، لأنّهم كانوا إذا

اشتد الأمر واحتيج إلى القتال الشديد، والمصابرة العظيمة للأمر قالوا: الآن كشف عن ساق يعني الريب وانزاح الرجاء الذي كان يعتقده المعتقد، وأنّ الشدة لا تقع بهم، فانكشف الغطاء، وتبين الاحتياج والاضطرار إلى مقاساة الشدائد والثبوت في موقف الشجاعة وشدة الصبر لتحمل الأثقال العظيمة حيث لا ريب في وضوحها، ولا رجاء في عدم وقوعها، فيقولون: كشف عن ساق؛ هذا من حيث صورة الشيء الظاهر المقابل بفتح الباء وكذا أيضاً هذا المثل في الشخص العامل على مقاساة الشدائد حيث ظهرت والوقوف في موقف الشجاعة، وتحمل الصبر على الأثقال العظيمة، فإنّه من شأن صاحب هذا الأمر أنْ يكشف عن ساقه يشمر ويشد حيازيمه، ويكشف عن عضديه لملاقاة ما هناك من الشدائد، فيقال كشف عن ساق لأنّ كشف الساق والعضدين واشتداد الحيازم لازم لهذا الأمر لا يتأتى بدونه، فيقولون كشف عن ساق تعبيراً عن الملزوم يلازمه، ثم وجه ضرب المثل في هذه الآية بقوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾[القلم: ٤٢] كان كل عابد لغير الله تعالىٰ من الأوثان والطواغيت يظن أنّه ناج بعمله راج الفوز ببلوغ أمله، فانكشف لهم الأمر من الله بقوله لهم: «من كان يعبد شيئاً فليتبعه» فإذا اتبع العابدون ما عبدوه قذف بهم مع معبوداتهم في النار، فذلك هو الكشف عن ساق في ضرب المثل في الآية حيث بطلى ما كانوا يرجونه بالفوز بالبلوغ للآمال بسبب عبادتهم لغير الله تعالىٰ، فلما قذف بهم في النار بطل الرجاء، وزال الريب ولم يبق إلاّ الحق المحض الخالص، فهذا وجه ضرب المثل لمن عبد غير الله تعالىٰ من الطواغيت.

ثم تبقى الفتنة الثانية لمن عبد الله تعالىٰ هو قوله «فيأتيهم الله في غير الصفة التي يعرفون» فيقول: «أنا ربكم» فيقولون: «نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه» الحديث، ومعنى هذا الحديث أنّه تجلى لهم سبحانه وتعالىٰ من وراء حجب الأستار، ولم يكشف لهم صريح الجلال، وأسمعهم مع هذا خطاب ذاته بقوله: «أنا ربكم» والموقف جمع أصحاب اليقين، وأصحاب الإيمان، فأما أصحاب اليقين فسكتوا علماً منهم بأنّ ذلك هو الحق سبحانه وتعالىٰ وهو الذي يخطابهم بذاته ولم يعتبروا تلك الأستار التي تجلى لهم بها من ورائها يقول لهم سبحانه وتعالىٰ في هذا المعنى: ﴿هل ينظرون إلاّ يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ [البقرة: الآية ٢١٠] وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وما كان لبشر أنْ يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب﴾ [الشورى: الآية ٥١]، فعامة المؤمنين لجهلهم بالله في مراتبه ظناً منهم أنّه لا يكلمهم إذا تبدى لهم جلاله، وزالت حجب الأستار، فلذا قالوا نعوذ بالله منك والصديقون والنبيون، وقد شملهم الموقف مع أهل الإيمان موقنون به أنّه هو المتجلي من وراء حجب الأستار، كما قال «في ظلل من الغمام» فلم يشكوا فيه لأن لهم صفو اليقين لا يقع لهم معه ريب ولا توهم، والفرق بين الإيمان واليقين أنّ رتبة الإيمان في منزلة اللبن الحليب، ومرتبة اليقين في مرتبة السمن إذا كمل

خلوصه وصفاؤه، فإنّه كان أولاً حليباً مختلطاً صفوه وغثاؤه، ثم انتقل رائباً فزالت عنه ممازجة المائية التي صحبته من الجسد، فلما مخض زالت عنه اللبنية التي هي مع السمن بمنزلة النخالة مع الدقيق، فلّما صفا زبده زال عنه ما بقيَ من القشور عليه، فظهرت صورة السمنية في غاية الصفاء والتجوهر، فهكذا اليقين كان أولاً إيماناً فما زال ينتقل رتبة فرتبة إلى أنْ زال الران والريب والوهم مثله مثال الشمس ما دام الليل ظلاماً، فصار بها مؤمن بوقوع الضوء، ثم ينشق الفجر عنه، فينكشط الظلام شيئاً فشيئاً حتى إذا طلعت الشمس لم يبق أثر للظلام ولا عين، كذلك صاحب اليقين سلبه الله صورة الغيرة والغيرية ولم يبقَ في حسه وشهوده وإدراكاته وذوقه إلاّ الحق محضاً سبحانه وتعالى من كل وجه بكل اعتبارٍ كما قال بعض العارفين:

فلم يبقَ إلاّ الله لا شيء غيره   فما ثم موصول ولا ثم بائن

فإنّه عند صفو اليقين وكماله يظهر كله مترائياً كسراب بقيعة يظهر بصورة الشيئية، كما قال تعالىٰ: ﴿يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ [النور: الآية ٣٩]، ووجد الله عنده، فهذا ظن الموقن في الأكوان قال العارف بالله التستري رضي الله عنه:

ولم تلق كنه القوم إلاّ وهماً   وليس بشيء ثابت هكذا ألفينا

فلهذا التحقيق لم يقع للموقنين في ذكر الموقف شك ولا ريب، لأنّهم يعلمون بل يتحققون أنّ تلك الأستار التي تجلى من ورائها لا شيء فيها، إنّما هي كسراب بقيعة وصورتها في ذلك صورة الهباء في الهواء أنت تراه صوراً مرئية فإذا قبضته بيدك لم ترَ شيئاً، هكذا صورة الكون عند الموقنين، وأمّا أصحاب الإيمان فليس الله عندهم إلاّ أنّه ليس صورة معينة ولا جسماً ولا جهة ولا يوجد في حدّ ولا يقع عليه الكيف هذا حده عندهم، فلما تجلى بخلاف هذا قالوا: «نعوذ بالله منك»، فالكلام سمعوه منه سبحانه وتعالىٰ، ولكنْ أنكروه في الصور فما مقتهم سبحانه وتعالىٰ لأنَّ تلك رتبة إيمانهم، فتجلى لهم حينئذٍ في الصفة التي يعرفون، وهي الحدود المذكورة آنفاً فيقول: «أنا ربكم» فيقولون: «أنت ربنا، فيخرون له سجداً» الحديث؛ لكن إنكارهم في المرة الأولى سلبهم أنوار اليقين فلا يتحققون شيئاً، فأنكروه لما خاطبهم. وفي التجلي الثاني قذف فيهم أنوار اليقين، فعرفوه بتلك الأنوار فقالوا: «أنت ربنا»، ولا تظن أنّ من عرف الله أياً كان من المؤمنين والموقنين أنّ ذلك من قوته أو فكره، وإنّما هو بنور مقذوف من عنده سبحانه وتعالىٰ لمن اختصه من خلقه، فبتلك الأنوار عرفه من عرفه وآمن به من آمن به، وبفقد تلك الأنوار كفر من كفر به يقول في الخبر: إن الله خلق الأرواح في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور آمن ومن أخطأه ذلك النور كفر، فما عرف الله إلاّ من عرف الله فهو المعرف والمتعرف، ومن أبى عنه سبحانه وتعالىٰ تركه يخوض في

ظلام الفكر، وقد ذكرنا في هذا أنّ هذه آخر فتنة تقع بأهل الموقف، فإنّ الفتن التي قبلها في يوم القيامة كلها قد انفصلت وانقضى زمانها وصفا الموقف من المشركين إلاّ منْ كان يعبد الله مثل اليهود، فحينئذٍ يفصل بينهم سبحانه وتعالىٰ، ثم يبعثهم إلى النار حتى لم يبقَ إلاّ المؤمنون، فيفصل بينهم سبحانه وتعالىٰ؛ وظاهر ما في الأخبار يعطي الأشكال العظيمة في أخبار يوم القيامة، فإنّه ﷺ أخبر في حديث الشفاعة الكبرى حين يشفع في تعجيل الحساب لأهل الموقف يقول له سبحانه وتعالىٰ بعد أن يشفعه: «قدم أمتك للحساب»، فتتقدم الأمة المحمدية للحساب بما فيهم من بر وفاجر وولي وفرعون تتقدم كبكبة واحدة وقد جمعتهم الملائكة، فيقفون للحساب بين يدي الله تعالىٰ، فلا يلتفت للأمم حتى يفصلهم، فيبعث أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، لكن يعارضه حديثان قوله ﷺ: **«يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فتطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»** وهذا صريح في اجتماع الأمم كله على هذا المنوال، وقوله ﷺ: في حديث سؤال الرسل مع أممهم عن الرسالة وتبليغها، فكل رسول تجحد أمته التي كفرت به، ويقولون ما جاءنا بشيء، ولا أخبرنا بشيء، ولا أتانا برسالة بعد سؤال الله عن الرسالة فيقول: **«بلّغت وأديت الأمانة»** فيقول الله له من يشهد لك بهذا فيقول: **«أي رب محمد وأمته»**، فيؤتى بهذه الأمة تشهد للرسل على أممهم بأنّهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، فيخرج الجواب من عند الله تعالىٰ: بأنكم عدول مقبولوا الشهادة على من شهدتم عليه، وفك الإشكال في هذا أنّ مبدأ الحساب العرضات الثلاث يوبخ كل واحد على فعله سبحانه وتعالى كما قال: **«وعرضوا على ربك صفاً، فكل واحد يجادل عن نفسه، ويعتذر عن قبيح فعله»** حيث يقول عليه السلام: «فأمّا عرضتان فجدال ومعاذير»، وبقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ [النحل: الآية ١١١]، وأمّا العرضة الثالثة، فتطاير الصحف فكل يأخذ صحيفته بيمينه أو شماله فهذا للجماعة لا يختص بأمة وكلهم في موقف واحد في هذا العرض، ثم ينقل الحال إلى سؤال الرسل وأممها عن الرسالة، والأمة المحمدية في هذا كل مختلط بالأمم حتى تقع الشهادة منهم للرسل واحداً بعد واحد، ثم تنفصل الأمة المحمدية إلى الحساب وحدها، فيفصلهم عن آخرهم، ثم ينقل الأمر سبحانه وتعالىٰ إلى محاسبة الأمم أمة بعد أمة، فإذا فصل الكفار من الموقف ولم يبقَ إلاّ المؤمنون من كان يعبد الله من الكفار مثل اليهود تجلى عليهم بهذه الفتنة، ثم يبعثهم إلى النار، فإذا لم يبقَ إلا المؤمنون فصل بينهم في الحقوق التي بينهم، ثم يبعث منهم أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

وأما خبر الحوض في الحديث، فإنّما هو في مدة محاسبة الأمة المحمدية للحساب، فيأتونه في غاية العطش والكرب من شدة الظمأ، فيشرب منه من يشرب ويطرد عنه من

يطرد ممن لم يغفر له من أهل النار، ويشرب منه من المخلصين من غفر له أو أدركته شفاعة الشافعين فغفر له، وهو قبل الصراط على التحقيق لتواتر الأخبار عليه وما ذكر بعض العلماء من أنّه بعد الصراط لا يصح لأنّ من جاوز الصراط لا يتأتى طرده عن الحوض، لأنّ من جاوز الصراط فقد كمُلت نجاته، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وإذا قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ [آل عمران: الآية ٤٢]، وعن قوله تعالىٰ: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ [القصص: الآية ٧]، هل كلام الملائكة يستلزم نبوتها؟ وكذلك الوحي لأم موسى هل يستلزم نبوتها أم لا؟ وهل السيدة مريم وسيدتنا فاطمة رضي الله عنهما أيهما أفضل؟ والترتيب الذي ذكره العلماء في التفضيل بينهنّ أنّ السيدة مريم أفضل نساء العالمين، ثم آسية بنت مزاحم، ثم خديجة، ثم عائشة، ثم فاطمة رضي الله عن جميعهن. (فأجاب) رضي الله عنه بما نصه: الجواب والله الموفق بمنه وكرمه للصواب: اعلم أنّ نبوة السيدة مريم واحتجاج القائل بها بقوله تعالىٰ: ﴿وإذ قالت الملائكة﴾ [آل عمران: الآية ٤٢]، وكذلك القول بنبوة أم موسى تمسكاً بقوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ [القصص: الآية ٧]، فكل هذه الأقاويل باطلة لا يعول منها على شيء،، والقول الحق الذي يجب المصير إليه أنّ النبوة مستحيلة على النساء لا سبيل لهن إليها، ثم إنّ مريم وآسية قال فيهما ﷺ: «**كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير آسية ابنة مزاحم، ومريم ابنة عمران**»، والمراد بذلك أنهنّ أدركن مرتبة الصديقية التي ليس فوقها في المعرفة بالله والعلم به والرسوخ في العلم إلاّ القطبانية والنبوة، وهذا غاية ما أدركن؛ وأما خديجة فقد صرح ﷺ بفضلها في أحاديث حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «ما كنت أغار من امرأة من نسائه ﷺ إلاّ من خديجة من كثرة ما يذكرها ﷺ، ويعظمها»، وقد نقل ابن سبع في شفائه أنّه ﷺ قال يوماً للناس: «**ألا وإنّ صفوتي من نسائي عائشة ابنة الصديق إلاّ ما جعل الله من الفضل لخديجة ابنة خويلد، فأظهر فضلها هنا عليها**» وقد نقل أيضاً ابن سبع في الشفاء حديثاً أنّه قال ﷺ يوماً لفاطمة رضي الله عنها: «**أنتِ سيدة نساء العالمين فوضعت يدها على رأسها حياء**، ثم قالت له: «أين آسية ابنة مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة ابنة خويلد» فقال لها ﷺ: «**آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنتِ سيدة نساء عالمك**»، وقد قال يوماً لعليّ رضي الله عنه بعدما عقد له على فاطمة قال له: «**زوجتك سيدة نساء العالمين**»؛ وأمّاعائشة فقد قال فيها ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»، وقد تعارضت أقاويل العلماء في التفضيل بين فاطمة وعائشة، كل طائفة مالت إلى تفضيل إحداهنّ محتجين بهذين الحديثين، وقد قال مالك رضي الله عنه: أمّا أنا

فلا أفضل أحداً على بضعته ﷺ مع كون جماعة من العارفين أجمعوا من طريق الكشف لا من طريق السمع على أن فاطمة أدركت من بعد أبيها ﷺ مرتبة القطبانية العظمى، وحيث كان الأمر هكذا فلا نسبة بين فاطمة وعائشة قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: الآية ١٣] وليس في خلق الله عز وجل كلها عموماً وإطلاقاً من بعد الأنبياء من البشر والملائكة من يتأتى منه أنْ يصل إلى مقدار ألف جزء من تقوى قطب الأقطاب، ولو بلغ ما بلغ فهو أفضل جماعة المسلمين في كل عصر، إلاّ ما كان من مفاتيح الكنوز فهو أفضل منهم في أمور وهم أفضل منه في أمور، فإذا تعقلت هذا، ففاطمة أفضل من عائشة قطعاً، ومن مريم وآسية، وكونها رضي الله عنها أدركت القطبانية دون سائر النساء لكونها لا تحيض، ومن كونها أعطيت مرتبة الكمال من أبيها ما لا مطمع فيه للنساء، فلذلك أدركت القطبانية والقطب سيد الوجود في كل عصر إلاّ ما كان من مفاتيح الكنوز، وسبب عدم حيضتها أنّ تكوين نطفتها التي تكونت في صلبه ﷺ تكونت من أكله تفاحة من تفاح الجنة، فلذا قال فيها أبوها: **«هي حوراء آدمية»**، وكونها حوراء لأنّها لم تخلق من فضلات التراب التي مادتها سارية في جسد آدم عليه السلام إلى سائر بنيه، فإنما كانت مادة نطفتها من معاني الجنة وأسرارها التي خلق الله منها الحور، فكمت طهارتها من ملابسة أحوال البشرية التي تلابس النساء فكانت بذلك حوراء آدمية، وبذلك وصلت المرتبة العليا بين يدي الحق سبحانه وتعالىٰ التي ليس فوقها إلاّ النبوة، وعائشة وغيرها لا مطمع لهن في هذا، فبان لك حينئذ أنّها أفضل من جميع النساء الفاضلات.

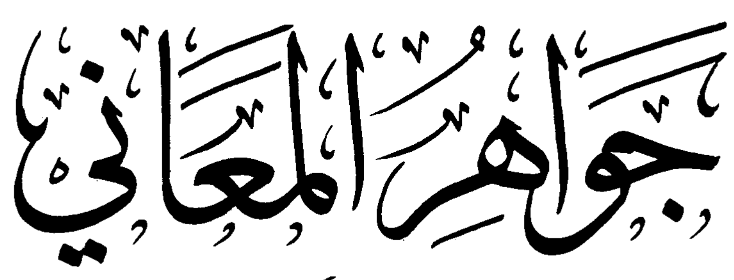
وأمّا القول بنبوة مريم، قلنا: إنّه باطل ووجه إبطاله أنّ القطب في كل عصر له وجهة إلى كل ذرة من الموجودات يمدها ويقومها كل الوجود ذرة ذرة في هذا، فما من ساجد سجد لله تعالىٰ في الوجود، أو راكع ركع لله تعالىٰ، أو قائم قام لله تعالىٰ، أو متحرك تحرك لله تعالىٰ، أو ذاكر ذكر الله تعالىٰ بأي ذكر في جميع الوجود، فالقطب في ذلك هو المقيم له فبه سبح المسبح، وبه عبد العابد، وبه سجد الساجد، وبه وقعت الوجهة الأخرى التي لا تذكر، فحاصل الأمر فيه أنّه للوجود كله بمنزلة الروح للجسد كما أنّ الجسد لا قيام له ولا تعقل له إلاّ بالروح، ولا حركة له إلاّ بالروح، وجميع خواص الجسم الظاهرة والباطنة من حيث ما هي كلها بالروح الحيواني المتعلق به، فإذا انعدمت الروح منه انعدمت جميع خواص الجسم وصار ميتاً معدوماً، كذلك جميع أجساد الوجود في نسبتها إلى القطب هو لها كالروح للجسد، فلو زالت روحانيته منها لانعدم الوجود كله فهو روح الوجود وكل خواص الوجود بأسرها على التئامها وافتراقها وعمومها وخصوصها وإطلاقها وتقييدها كلها لا تلازم ذوات الوجود إلاّ بوجود روحانية القطب فيها، فإذا أزال القطب

روحانيته عنها انهدم الوجود كله، وصار ميتاً لا خاصية له، وهذه القوة له من تحمله لسر الاسم الأعظم وسريانه في كلية عوالمه، وبسر الاسم الأعظم صار بين يدي الله تعالىٰ قائماً مستكملاً آداب الحضرة الإلهية، ومستكملاً أداء حقوقه سبحانه وتعالىٰ في جميع تجلياته الأسمائية والصفاتية والذاتية في كل آن وفي كل مقدار طرفة عين، ولا نهاية لما يتجلى به ربنا سبحانه وتعالىٰ في كل مقدار طرفة عين من استمرار الزمان من أسمائه وصفاته وذاته، وتقلب شؤونه، والقطب في ذلك كله بين يدي الله تعالىٰ يعطي جميع تلك التجليات ما تستحقه من الآداب والوظائف والخدمة في كل مقدار طرفة عين، وإنْ كثرت التجليات إلى غير نهاية فهو يوفي جميع حقوقها وآدابها، فليس في الوجود من يقدر على تحمل جميع ما يتجلى به الحق سبحانه وتعالىٰ في جميع غيره فهو في هذا في كل مقدار طرفة عين من عمره، ولو أنّ جميع الصديقين وقفوا مع الله في هذا الموقف لانعدموا في أسرع من طرفة عين، وهذا دأبه ديدناً؛ فإذا عرفت هذا فالنساء لا قدرة لهن على هذا التحمل لضعفهنّ ولكون الحيض شاغلاً لهن عن إقامة الحقوق الإلهية فلو أنّ امرأة قامت مقام القطبانية لتعطل القيام بحقوق الله تعالىٰ في تجلياته في أيام من عمرها، وهي أيام الحيض، فإذا تعطل القيام بواجبات حقوق الله تعالىٰ انهدمت المرتبة أعني القطبانية وبهدمها ينهدم الوجود، فإذا عرفت هذا عرفت أنّه لا نسبة للنساء في تحمل مرتبة القطبانية، هذا في القطبانية فانقطاع طمعهنّ في النبوة أحرى وأولى لأنّ النبوة أكبر من القطبانية؛ وأمّا فاطمة رضي الله عنها، فإنها وصلت مرتبة القطبانية لأنّها استمدت الكمالات الإلهية التي تحمل بها سر الاسم الأعظم والثبوت في مرتبة القطبانية، ولا مطمع للنساء في استمداد تلك الكمالات منه ﷺ إلاّ فاطمة رضي الله عنها فقط فبذلك كانت هي أفضل النساء على الإطلاق، وإذا عرفت هذا منه أنّه لا مطمع للنساء في درك الاسم الأعظم.

وأمّا ما استدلوا به على نبوة سيدتنا مريم بكلام الملائكة، وعلى نبوة أم موسى بالوحي؛ (فالجواب) عن ذلك أنّ الله كلم إبليس بذاته فلا نبوة فيها إذ الرب سبحانه وتعالىٰ أعلى من الملك، وليست بنبوة في حق إبليس، فأمّا نبوة أم موسى فوجه إبطال نبوتها بالوحي قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وأوحىٰ ربك إلى النحل﴾ [النحل: الآية ٦٨]، وليست بنبوة في النحل، وبقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وأوحىٰ في كل سماء أمرها﴾ [فصلت: الآية ١٢]، ولا قائل بنبوة السموات وبقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿بأنّ ربك أوحىٰ لها﴾[الزلزلة:٥] يعني الأرض ولا قائل بنبوتها، فدّل على أنّ الوحي لا يستلزم النبوة والسلام، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه بمجلس واحد والسلام.

تمّ الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني في الأحاديث النبوية، وعلومه الاختصاصية المصطفوية



جواهر المعاني

وبلوغ الأماني

في فيض سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه

للعالم العلامة القدوة
سيدي علي حرازم ابن العربي براده
المغربي الفاسي رحمه الله تعالى

ضبطه وصححه وخرج آياته
عبد اللطيف عبد الرحمن

الجزء الثاني

بسم اللهِ الرحمن الرحيمِ

الفصل الثانـي: فـي الأحاديث النبوية، وعلومه الاختصاصية الـمصطفوية

(في الحديث القدسي) مخبراً عن الله تعالى بقول الله سبحانه وتعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، ومنْ تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإنْ أتاني يمشي أتيته هرولةً» انتهى.

وقد سألته عن معنى هذا الحديث الكريم، وما انطوى عليه من السر العميم، فأجاب رضي الله عنه بقوله: معناه إنّ العندية هنا هي من إطلاقات الكناية الإلهية، وذلك علم اختصت به الرسل يعني علم الكناية الإلهية، وفي علم الكناية وقعت على الحق عبارات استحال ظاهرها من النزول والدنو والتدلي والمعية والعندية والمجيء والضحك والعجب، وأمثالها كثيرة في الشرع وظواهرها مستحيلة على الحق سبحانه وتعالى، إلاّ أنّ تلك العبارات وقعت من الرسل عن معاني غيبية لا تعرف حقائقها في حق الله سبحانه وتعالى وعبّروا عنها لكن عبّروا للخلق، فمن كان من الصديقين عرف معاني تلك الألفاظ، ومن لم يكن منهم لا يعلم منها شيئاً، ومن جملة العندية قوله: «أنا عند ظن عبدي بي»، فالعندية اقتضت الحلول معه في المكان لأنّ العبد في مكان مستكن وذلك مستحيل على الله تعالى إذ يستحيل عليه الحلول في الأمكنة والخروج عنها، ومعنى العندية هنا إسعافه للعبد بمطلبه فيما ظنّ به فيه، فمن ظنّ بربه خيراً وجد من ربه خيراً، ومن ظنّ به غير ذلك وجد منه غير ذلك. قالت الجلود للمشركين حين شهدت عليهم بين يدى الله تعالى حين قال المشركون لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ قالت الجلود في الجواب: ﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ولكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً بما تعملون﴾[فصلت: ٢١] وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم، وقال سبحانه وتعالى في وصف المنافقين: ﴿يظنون بالله غير الحق ظنّ الجاهلية﴾ [آل عمران: ١٥٤]، الآية ذكرها في ذمهم؛ وورد في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى يوقف العبد بين يديه فيقول له: «ما الذي جرأك على معصيتي حتى خالفت أمري»؟ أو ما هذا معناه، فيقول العبد: رب ظننت أنّك تغفر لي فيغفر له لحسن ظنه، وقد روي أنّ يحيى بن أكثم وكانت حالته معروفة قال بعض من رآه في النوم وسأله ما فعل الله به، فقال: غفر لي، قال قلت له: بماذا؟ قال قال لي سبحانه وتعالى: فعلت وفعلت وفعلت قال قلت إلهي ما بهذا حدثت عنك قال وبماذا حدثت عني؟ قال قلت حدثني فلان عن فلان وذكرت الرواية إلى النبي

ﷺ أنه ﷺ يقول: «إنّ الله يستحي من ذي الشيبة في الإسلام أنْ يعذبه» أو ما معناه هذا قال فقال: صدق فلان وفلان وذكر الرواية، ثم قال لي: «اذهب فقد غفرت لك»، وهذا حسن الظن بالله تعالى فمن ظن به خيراً عامله بخير ومن ظن به شراً عامله بظنه، فمن ظنّ بالله أنّ ليس له منه إلا العقوبة والعذاب عامله الله بذلك، ومن ظنّ به العفو عامله الله بذلك. قال ﷺ حين سأله الأعرابي من يلي حساب الخلق يوم القيامة، قال له ﷺ: «**الله يعني الله يتولى حساب الخلق يوم القيامة**» قال له الأعرابي: «**بذاته**» قال له: «بذاته»، فضحك الأعرابي ضحكاً شديداً، فقال له ﷺ «**مم ضحكت يا أعرابي**» قال الأعرابي: إنّ الكريم إذا حاسب سمح، وإذا قدر عفا، فسكت ﷺ وتركه مع حسن ظنه، ولم يزعجه عنه.

ثم إنّ حسن الظن بالله تعالى وإنْ كان صاحبه منهمكاً وكان ذلك غريزة قلبه يفيده ذلك مع الله تعالى ولا يخرج حسن ظنه بالله تعالى باطلاً لكن في بساط الشرع يطرد عن ذلك، ويزجر إلى الخوف من الله والتخويف ويسمون حقيقته اغترار بالله تعالى. (قال أبو النواس الشاعر المشهور) وكانت حالته معروفة قال بعض الصالحين: رأيته في النوم بعد موته في حالة حسنة محمودة قال: قلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت له: بماذا؟ قال لي: بأبيات قلتها عند موتي، قال قلت له: ما هي؟ قال لي: هي عند رأسي في الوسادة قال فأتيت إليها فوجدتها أربعة أبيات وهي:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً	فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إنْ كان لا يرجوك إلاّ محسن	فمن الذي يرجو المسيء المجرم
مالي إليك وسيلة إلاّ الرجا	وجميل ظني ثم أني مسلم

غفر الله له بهن. (وبالجملة)، فالمعول عليه في بساط التحقيق أنّ من لقي الله يحسن الظّن به في العفو عن ذنوبه وإنْ كان من أكبر المنهمكين لقي من ربه عفواً، ومن لم يكن كذلك، فأمره إلى الله ولا سيما إنْ كان يكثر التضرع من ذنوبه في أوقات من أيامه بطلب العفو، وترك المؤاخذة فما خرجت حالته من الله باطلة، ومن أراد هذا الحال فعليه بملازمة حزب التضرع والابتهال الخ فليطالعه.

(وقد روي) عن بعض العامة أنه كانت حالته معروفة فيما لا يرتضى، فمات ورؤي بعد موته في حالة حسنة فقال له الرائي: ما فعل الله بك؟ قال له: فعل بي الخيرات، قال له: بماذا؟ قال له: بدعاء كنت أتضرع به؟ قال له: ما هو؟ قال: كنت أقول: اللّهم يا سيدي حبست من حبست عن خدمتك، وأطلقت لها من أحببت من خلقك غير ظالم ولا مسؤول عن فعلك، وقد تقدمت لي فيك آمال فلا تجمع عليَّ المنع من الطاعة مع خيبة

الآمال فيك يا كريم، انتهى.

(قوله: وأنا معه إذا ذكرني) معناه أنّ المعية ههنا من إطلاقات الكناية الإلهية إلا أنّها غير قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] فإنّ تلك هي له صفة ذاتية وهذه المعية هنا هي معية العناية والمحبة، فإنّه مع الذاكرة بعنايته ومحبته له كما أنّ معيته مع الصابر في الجهاد بالنصر والتأييد، وكقوله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ [آل عمران: ١٣٩] والله معكم هنا بالنصر والتأييد بعد المحبة والعناية، فإنّه مع الصابر في الجهاد بالعناية والمحبة والنصر والتأييد؛ وكقوله في الحديث: «إنّ الله مع الدائن حتى يقضيه»، فإنّ المعية ههنا بالمعونة والتيسير، حتى كان عبد الله بن جعفر رضي الله عنه مع كونه من أكابر الأغنياء لم يرد أنْ يخلو من دين، قيل له: ليست بك حاجة إلى هذا، فأشار إلى الحديث وقال: أريد أنْ يكون الله معي؛ فهذه المعية هنا هي معية الصفات فهي مع الذاكر بالمحبة والعناية ومع الصابر في الجهاد بالمحبة والعناية والنصر والتأييد ومع الدائن بالمعونة والتيسير وهكذا، فالمعية في قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: الآية ٤] فهي معية الذات فهو مع كل شيء بذاته، وتلك لا تقبل انفصالاً، يعني الانفصال عن تلك المرتبة، فهو في تلك المرتبة مع كل شيء لا بحلول ولا اتصال ولا انفصال ولا مسافة ولا قرب ولا بعد إذ تلك صفاته الذاتية، وهي المعية يعني معية الصفات مقيدة بالشروط التي هي معها فمع الذاكر بالمحبة والعناية إذا كان ذاكراً، وتنعدم إذا انعدم الذكر يعني إذا انقطع انقطاعاً كلياً عن الذكر بلا عودة له، وأما إذا كان لاستراحة أوقاته بين أذكاره فمعية الله لا تنقطع عنه فهو معه بالمحبة والعناية، فإنّه يقول في الحديث القدسي: «إذا اطلعت على قلب عبدي فرأيت الغالب عليه ذكري ملأته بحبي»، وحب الله هو غاية المطالب، ومن حلّ فيه حب الله تعالى سعد السعادة الأبدية.

فإنّه ﷺ يوماً جلد رجلاً في الخمر وكان قد أتوا به إليه مرات وقع في الخمر وجلده ﷺ فقال له بعض الصحابة: لعنك الله فقال له ﷺ: **«لا تلعنه فإنّه يحب الله ورسوله فما ذنبه أخرجه عن حرمة محبته لله تعالى»** وهو يقول في الحديث: **«لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الخ»** وأعظم النوافل تقرباً الذكر، وكذلك الصلاة يتعاهدها بالحضور القلبي لأنّها مثل الذكر لا يزال العبد مرة يذكر ومرة يستريح حتى إذا رأى الحق منه ذلك صبّ في قلبه من مواهبه أنواراً إلهية شغلت القلب عن غير الله تعالى وملأته بذكر الله تعالى، وصار القلب بسبب ذلك مطمئناً بذكر الله، ومن الطمأنينة ينتقل إلى المراقبة وهي حالة عزيزة ما نالها إلا الأفراد يعني أفراد السالكين، فإنّها إن دامت للعبد وتمكن أمرها من القلب خرجت به إلى الذهول عن الأكوان، ثم إلى السكر عنها وهو أعلى من الذهول، ثم إلى الفناء عن الأكوان مع شعوره

بفنائه، ثم إلى الفناء عن الفناء، فإذا وصل إلى هذا الحد انمحق الغير والغيرية بهدم جميع الرسوم والأطلال وانمحاق جميع الآثار، فلم يبق إلاّ الحق بالحق في الحق عن الحق وهو باب المدخل إلى محبة الذات وهي غاية الغايات، فإذا وصل العبد إليها ارتفع الحجاب له عن الحضرة القدسية وطلعت له شمس المعارف فرفعت له الأستار عما في الحضرة الإلهية من العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأحوال العليا والأخلاق السّنية الكريمة، والتوحيد والتجريد والتفريد والحكم والحقائق والعجائب التي لا تعرف ولا تذكر وهي غاية الغايات وأكثر ما يوصل إليها من النوافل الذاكر بملازمته ومعانقته له، فإنّ الذكر هو الذي يأتي بالمواهب.

«**قوله فإنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي**»، معنى قوله ﷺ مخبراً عن الله عز وجل: «فإنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»، فإنّ هذا المحل من إطلاقات الكناية الإلهية فإنّه في حقيقة الأمر ما أخرج موجود عن ذكره مطلقاً لأنّ الموجودات مرتسمة في حقيقة العلم الإلهي ولا تسقط عن العلم الإلهي ولو لحظة واحدة، فإنّ حقيقة الذكر في نفسه سبحانه وتعالى هو حقيقة علمه بالموجودات؛ فإذا علم هذا دلّ الحديث على أنّ هذا الذكر ذكر خاص ليس الذكر الأصلي الذي هو في حقيقة العلم الإلهي لأنّ هذا الذكر الخاص جعله جزاء سبحانه وتعالى لذكر العبد حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] والمراد به بسط الثواب على الذاكر فقط، ثم إنه إذا ذكره العبد في نفسه أعطاه من الثواب ما لا تطيقه العقول وجعله مكتوماً عن خلقه لا يظهره له إلا إذا أدخله الجنة يقول له: هذا ثواب ما ذكرتني به ولا تطلع عليه الملائكة حتى الحفظة.

(**وإنْ ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**) يريد إذا أظهر ذكري في ملأ من الناس واطلعوا عليه، ذكرته في ملأ خير منه لقوله سبحانه وتعالى: «أشهدكم أني أعطيت فلاناً بذكره لي كذا وكذا وكذا من الخيرات» فإن هذا الذكر الذي أظهره الله للملائكة جمع الثناء على العبد والعطاء له. (وقوله خير منه:) المراد به من الملائكة أهل الملأ الأعلى وذكرهم هنا بالخيرية على بني آدم، وهذا محل الخلاف بين العلماء في تفضيل الآدمي على الملك على الإطلاق إلاّ الرسل يعني من الملائكة فإنّهم أفضل قطعاً لأنّهم رسل، وفي تفضيل الملك على الآدمي مطلقاً إلاّ النبيون والمرسلون، قلنا: اختلف العلماء فيما عدا رسل الملائكة من الملائكة، وفيما عدا الأنبياء من البشر، فذهبت طائفة إلى تفضيل الملك مطلقاً محتجين بهذا الحديث: «ذكرته في ملأ خير منه»، وذهبت طائفة إلى تفضيل البشر على الملائكة ما عدا الكفار محتجين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ [البينة: ٧] والملائكة من جملة البرية وبقوله ﷺ: «**إنّ الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه اختار منهم بني آدم**» الحديث، قلنا: هو محل الخلاف بين العلماء، ولكل واحد حجة تقتضي قوله. وقد ذكر

الشيخ الأكبر أنّه رأى في بعض وقائعه رسول الله ﷺ، فسأله عن هذه المسألة أيهما أفضل البشر أم الملائكة؟ فقال له ﷺ: «**الملائكة أفضل**» قال: قلت له يا رسول الله: العلماء ينازعونني في هذه المسألة فما الذي أحتج به عليهم؟ قال، فقال لي ﷺ: بقولي في الحديث: «وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» ثم إنّهم بعد الخلاف الملائكة أفضل والبشر أكمل، ونعني بالبشر ههنا العارفين بالله، فإنّ العارفين بالله في هذا الميدان أكمل من الملائكة فإنّ العارف يتجلى الله تعالى عليه في ذاته بجميع أسمائه وصفاته التي اقتضاها ظهور الكون على العموم والإطلاق، وليس للملك إلاّ اسم واحد تجلى الله به عليه لا غير وليس في جميع الموجودات من الملائكة وغيرهم أنْ يتجلى الله فيهم في ذات واحدة بإسمين فأكثر ليس إلا اسم واحد في كل موجود، وذات الآدمي محيطة بجميع الموجودات فإنّ في حقيقة كل عارف الإحاطة بجميع الملائكة وبجميع الموجودات من العرش إلى الفرش يراها في ذاته كلها فرداً فرداً، حتى أنّه إذا أراد أنْ يطالع غيباً في اللوح ينظر إليه في ذاته، ويفتش فيه وليس هذا الكمال إلاّ للآدمي، ولهذا جعلت الخلافة العامة المطلقة عن الله فيه لأجل هذه الإحاطة. (وقد روي) في الخبر أنّ الملائكة رأت ما أعد الله سبحانه وتعالى لبني آدم في الجنة مما لا يكيف، ولا تحيط به العقول ولا تنتهي إليه الأفكار، قالوا: ربنا اجعل لنا قسطاً مما جعلته لهم فأجابهم ربنا سبحانه وتعالى بقوله: «لا أجعل ذرية من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان» فسكتوا وأيسوا، ما عدا الروح الأعظم فإنّه خارج عن هذه القاعدة، والعلماء الذين يقولون: أنّه ﷺ رسول إلى الملائكة كما هو رسول للبشر والجن يشيرون إلى هذا، فإنّ الروح الأعظم هو الذي يسمع كلام الرب سبحانه وتعالى ويتلقى عنه الأمر والنهي ويلقيه إلى الملائكة فهو الواسطة بين الله وبين الملائكة، فليس لملك أنْ يتلقى الأمر من الله إلاّ من الروح الأعظم، فبهذا الاعتبار كان رسولاً إلى الملائكة وقد قلنا أنّ الروح الأعظم مظهر من مظاهر الحقيقة المحمدية وهي باطنه ﷺ وهو واحد من مائة ألف ذات وأربعة وعشرين ألف ذات انتهى الحديث.

وفي حديث آخر يعني حديثاً قدسياً (**من تقرّب إليّ شبراً تقرّبتُ إليه ذراعاً ومن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت منه باعاً الخ**) التقرب هنا من الله للعبد هو من علم الكناية التي عبرت بها الرسل عن الله تعالى، وذكر التقرب والهرولة كلاهما مستحيلاً على الله تعالى، والمراد بها ههنا يعني «من تقرّب إليّ شبر تقربت إليه ذراعاً»، وله مطلبان المطلب الأول: في مقام الشريعة، والثاني: في مرتبة السلوك والحقيقة؛ ففي الشريعة من تقرب إليَّ بيسير من أعماله أعطيته ضعفها أضعافاً مضاعفة من الثواب كقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] وكقوله في الإنفاق في الجهاد ﴿كمثل حبة أنبتت سبع

سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ [البقرة: ٢٦١] أخبر هناك أنّ الحسنة بسبعمائة أمثالها، وهكذا، فهذا معنى «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً»، «وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً» ومعنى الباع فيه خطوتان في كل خطوة ذراع ونصف، وقلنا الشبر هو إشارة إلى أقل قليل من العمل يتقرب به العبد إلى الله، فيعطيه ضعفه أضعافاً مضاعفةً وهو معنى الذراع كما ورد في الخبر أن اللفظة الواحدة من الذكر يعطي الله عليها بكل حرف عشر حسنات وهكذا على طوله وامتداده القلة والكثرة وهذا لعامة الناس فقط، وأمّا أهل التخصيص فلا يعرف قدرهم أي ما يعطيهم من الثواب حتى أنّ الواحد من أهل التخصيص إذا نطق بالكلمة الواحدة منهم عدلت أعمال الثقلين وهكذا، وهذا معنى الباع كلما تقرب العبد إلى الله تعالى بالعمل ضاعف له أضعافاً مضاعفة، ومثاله في كلمة الإخلاص لا إله إلاّ الله، فإنّها خمسة عشر حرفاً فيكون ثوابها مائة وخمسين حسنة إذا ذكرها مرة واحدة وإذا ذكرها مثلاً ألف مرة كان ثوابها مائة ألف وخمسين ألف حسنة، فهذا معنى الذراع والباع؛ وفي الصلاة عليه ﷺ وسلم كقوله: اللّهم صلِّ على سيدنا محمد تحسب حروفها بكل حرف عشر حسنات، ووراء ذلك أنّ كل ملك في الكون يصلي عليه عشر مرات، وصلاة الملك ليست كصلاة الإنسان، فإنّ كل حرف في صلاة الملك بمائة حسنة والحسنة من الملك ليست كالحسنة من الآدمي، فإنّ حسنة الآدمي منها كالحبوب وكالأواقي وكالأرطال وكالقناطير وكالجبال على قدر قلوبهم، فالعدد واحد والميزان مفترق وحسنات الملك هي على قدر الجبل الذي طوله مسيرة عشرين سنة وعرضه كذلك وعلوه كذلك، فإذا كتبت في صلاة الملك مائة بكل حرف فليس يحسب ثواب هذا العمل لكثرة عدد الملائكة، فإنّ عددهم لا يحيط به محيط إلاّ الله جلّ جلاله، فانظر ماذا بلغت الصلاة على رسول الله ﷺ من الأذكار فلا نسبة بينها وبين الأذكار.

(**وقوله وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً**) يريد إذا استغرق أوقاته في ذكري أعطيته ما لا تحيط به العقول من الثواب، ولا تنتهي إليه الأفكار فإنّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقوله ﷺ: «**هذا حمدان جبل كان يسير عليه ﷺ سيروا سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ «**قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون القيامة خفافاً**»، فهذا معنى الهرولة من الله تعالى هو إعطاؤه من الثواب ما لا تطيقه العقول ولا تنتهي إليه الأفكار فلا يعلمه إلاّ هو سبحانه وتعالى كما قال في الآية: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] وكقوله في الحديث مخبراً عن الله تعالى «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر فإنّه يعطيه تعالى**

بلا حد ولا حساب» فهذا معنى الهرولة في حقه سبحانه وتعالى؛ وأما مطلب الحقيقة والسلوك، فإنّ حدها هو الرجوع إلى الله تعالى من طبائع النفوس، فإنّ العبد خلق مطبوعاً على الإدبار عن الله، والاشتغال عنه باشتغاله بمقتضيات طبعه وهواه، والشرع أوجب الرجوع إلى الله تعالى مما هو فيه على حد قوله سبحانه وتعالى: ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ [الذاريات: ٥٠] يعني من مقتضيات طبعكم وهواكم، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ [الزمر: ٥٤] والإنابة إلى الشيء هي الرجوع عن ضده، والإنابة إلى الله تعالى هي الرجوع عن متابعة النفس والهوى، فإنّ هذا المسلك هو مسلك جميع الصديقين، فإنّهم سلكوا إلى الله تعالى بالرجوع من نفوسهم وهواهم إلى الاشتغال بالله تعالى والدؤب على خدمته والأدب بين يديه، فإنّ العبد أبداً هو بين يدي الله تعالى علم ذلك أم جهله، ومقتضى الحديث على هذا: «من تقرب إليّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً» يعني إنْ تقرب إليّ من متابعة نفسه وهواه بالرجوع إليّ تقربت إليه ذراعاً، وتقرب الله للعبد في هذه المرتبة هو إعطاؤه قسطاً من مناسبة الحضرة الإلهية، فإنّ نسبة الحضرة الإلهية نسيان جميع الأكوان وذهابه من عقل الإنسان لبروز ما هنالك من العلوم والمعارف والأسرار التي لا تذكر ولا تعرف والعجائب التي تعجز العقول عن ذكرها، فإنّ الإنسان إذا ألقى في الحضرة ذهبت عنه نسب جميع الأكوان، وهو غاية القرب من الله تعالى، وغاية قرب الرب من عبده، ومحط الإنسان هو في غاية البعد عن الله تعالى لاشتباك حقائق الوجود في عقله، وتعلق شهواته بها تمتعاً وتلذذاً واكتساباً، فلهذا بعدت نسبته للحضرة الإلهية، فإذا أخذ في التقرب إلى الله تعالى بمفارقة الأكوان وعدم الاشتغال بها إنْ أخذ في ذلك بيسير من العمل فهو معنى الشبر تقرب إليه سبحانه وتعالى ذراعاً، فإنّه يذيقه سبحانه وتعالى من لذة الاشتغال به ولذة إقبال العبد عليه ونسيانه في وقتها لجميع الأكوان، يذيقه في هذا أكثر مما تقرب به، فهو قسط من مناسبة الحضرة الإلهية والذكر في نفسه أي ذكر الله هو نسب الحضرة الإلهية.

(قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه:) «الذكر منشور الولاية، ومنار الوصلة فمن أعطي الذكر فقد أعطي المنشور» يريد بجلوسه على بساط الولاية، فإنّه يقول في الحديث القدسي: «أنا جليس من ذكرني» وهو معنى القرب وقوله: «وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً» يريد إذا فارق كثيراً من مقتضيات طبعه عملاً بما يناسب الحضرة الإلهية من الأذكار والعبادة تقرّب الله إليه باعاً، والباع هو ما يظهره الله سبحانه وتعالى للذاكر من المؤانسة في نومه أو يقظته وربما أظهر له خرق العادة حتى يشاهد الأنوار طالعة ونازلة، ثم ينتهي بها حتى يراها تحوم حول قلبه داخلة في صدره، ثم ينتهي إلى أنْ يراها حلت في قلبه وجالت فيه فإذا وقعت فيه هكذا أكسبته من العلوم أمراً عظيماً حتى يعبّر عما يعجز

عنه أهل الدراسة، ولا يعلم من أين دخلت عليه تلك العلوم، لأنّها تنصب في قلبه بالوضع الإلهي فهو معنى التقرب بالباع، ثم ينتقل بعدها إلى أنواع من خوارق العادات بدوام مخالفته لهواه وطبعه كالمشي على الماء والمشي في الهواء وهو أعلى، وتكثير القليل ونبع المياه في الأرض حيث أرادها بلا سبب، وتكوين الدراهم والأموال والأرزاق إذا احتاج إليها بلا سبب، وكعلمه بالمغيبات قبل أنْ تكون، وهو معنى التقرب بالباع من الله تعالى للعبد.

(**وقوله: وإنْ أتاني يمشي أتيته هرولة**) المشي ههنا هو وقوع العبد في آخر مراتب السلوك فإنّه في البداية كان مقيداً بمقتضيات طبعه، فلا يقدر على المشي لكن يترك من مقتضيات طبعه أموراً قلائل، ثم إذا داوم عليها سهل عليه ترك ما بعدها من مقتضيات الهوى، فبدايتها هو التقرب بالشبر بعد ما يترك منها كثيراً بعد ترك القليل هو التقرب بالذراع، فإنْ دام أمدّه الله تعالى بالقوة الإلهية حتى يترك جميع مقتضيات طبعه حتى يبلغ إلى حالة أنْ يرى نفسه قد انسلخت عنه بجميع هواها، وينظر في روحه فيراها تخلصت من جميع تبعات الهوى، فحينئذٍ يكمل سيره إلى الله تعالى بكليته سيراً لا يثبطه فيه شيء من متابعة الهوى، وأقبل على الله إقبالاً كلياً حيث لم تبق فيه بقية لغيره، فحينئذٍ يرفع الله عنه الحجب ويدخله حضرة القدس فيكون من الصديقين، فهذا معنى الهرولة من الله تعالى، وهذا كله كناية في العلم الإلهي الذي تعلمه الرسل عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم وبالله التوفيق، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قول عليه الصلاة والسلام مخبراً عن الله عزّ وجلّ قال جلّ جلاله وعزّ كماله: «**لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنته**»، وفي الرواية الأخرى «**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن استعاذني لأعيذنه، ولئن سألني لأعطينه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفسِ المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**» الحديث، «فأجاب عنه: رضي الله عنه» قال معناه أنّ العبد يتقرب إلى الله بالنوافل، والنوافل هو ما زاد على الفرائض المعلومة وأفضل النوافل التي يتقرب بها إلى الله تعالى الذكر والصلاة والصوم بشروطه فهو أعظم النوافل وأحبها إلى الله تعالى قال: «لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»، والمراد بالنوافل ههنا بقيام روحها في السلوك وروح الأعمال في السلوك هو عملها خالصة لله لا لحظ عاجل أو آجل، بل يريد الخروج بها إلى الله محضاً من جميع حظوظها وشهواتها ومتابعة هواه، فالعبد في هذه المرتبة بمنزلة الشخص الملطخ بالنجاسات، وتلك النجاسات شديدة الالتصاق في ذاته فهو يسعى في زوال النجاسات عن ذاته ليخرج إلى الله طاهراً مطهراً، فلا شك أنّ صاحب هذه

الحالة وهو التلطخ بالنجاسات لا يلتفت لعمل الثواب بل يشتغل بتطهير نفسه، فلا شك أنّ الروح ولعت بالبعد عن الله تعالى واتخذت ولوعها وطناً ومسكناً، وصعب على العبد التخلص من هذه الورطة فأخذ في تخليص نفسه مما تعلقت به فإنّ مرتبة الروح هذه تسميها الصوفية فيها «الغراب» لا بياض فيها أصلاً بوجه من الوجوه وهي في غاية البعد عن الله تعالى، فنوافل العبد بهذه الحيثية هو الرجوع بالتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحات لله محضاً لا لطلب الثواب فهو ساع في ذلك لتطهير روحه مما استوطنته من الولوع بغير الله تعالى فيأخذها بالمجاهدة والمكابدة والقمع عن هواها ومزاولة المألوفات والشهوات، والمعين له على هذه المجاهدة هو الذكر على أصله، فإنّه لا تخلص للعبد من ورطاته إلى الصفاء الذي يدخل به إلى الحضرة الإلهية القدسية إلاّ بفيض الأنوار من حضرة القدس، وفيض الأنوار أكبر ما يأتي بها الذكر فإنّه لا يزال العبد يتعاهد أوقات ذكره ثم يستريح، والأنوار تقدح في قلبه وقت الذكر، ثم تنتقل لعدم استقرارها فيه لكن ورودها عليه يعمل في روحه شيئاً من الصفاء فإنّها كانت أولاً تقدح ثم تنتقل إلى حالة أخرى تمكث في القلب قدر الدقيقتين أو الثلاثة، ثم تنتقل إلى حالة أخرى، ثم تمكث في القلب قدر ساعة، ثم تنتقل فلا يزال حالة بعد حالة حتى تستقر الأنوار في قلبه، فتكسبه حالة لم يعهدها من نفسه من القوة على الذكر والحنين إلى الوقوف بباب الله وتوجع القلب من مخالطة الخلق وما شاهده من تخليطاتهم، ثم لا يزال العبد باستمراره مع الذكر إلى أنْ تخرج به الأنوار إلى استغراق أوقاته في الذكر آناء الليل والنهار، فيجد في روحه اكتساباً لم يعهده من الرضا بقضاء الله تعالى والصبر للبلايا وعدم الانزعاج منها والتوكل على الله تعالى في نفقاته وأمورها، والبعد عن التكالب عن الدنيا واكتسابها، ثم لا يزال به الأمر حتى يطمئن بذكر الله فإذا اطمأن القلب بذكر الله تعالى بحيث يصير الذكر له وطناً لا يقدر على التخلف عنه ولو لحظة، ذاق باكورة أهل التحقيق، ولمعت له لوامع من أحوال الخاصة العليا، ويشهد في نفسه من القرب إلى الله تعالى أمراً عظيماً، ويجد في قلبه من العلوم الإلهية أمراً جسيماً فهناك يتجرد من كل مخيط ومحيط وأحرم بالبراءة من كل ما سوى الله وصلى على الأكوان صلاة الجنازة، ودخل على الله عن باب المراقبة يفتش في جميع مقاصده فلا يجد في نفسه قصداً غير الله تعالى، ثم مع هذا كله لا يتغافل عما تدعوه إليه قصوده أن يكون فيها حظ من حظوظ النفس الخفية فإنّها في هذا الميدان شديدة المكر بصاحبها تتلبس له بأمر الله تعالى مظهرة له أنّها ما تريد فيها إلاّ الله تعالى، ثم أنواره لقوتها تظهر له خواطر النفس من الخواطر الإلهية لا تغيب عنه، ثم بعد ذلك هو شديد الحذر من خواطرها لصعوبة مكرها، فإنّها عدوة لله ولصاحبها، والعدو لا تتأتى منه النصيحة فلا يزال ملازماً لمراقبته وهو علم القلب باطلاع الرب عليه إلى أنْ

ينتقل إلى المشاهدة وهي الاستهلاك في التوحيد، وغاية المشاهدة ينمحق الغير والغيرية فليس إلا الحق بالحق في الحق للحق عن الحق، فلا علم ولا رسم ولا عقل ولا وهم ولا خيال ولا كيفية ولا كمية ولا نسبة، انتفت الغيرية كلها، فلا يزال كذلك مصطلماً حتى ينتقل إلى الصحو وهو في ذلك الحال يقيم بقيام الحقية والخلقية بتأييد إلهي لا شعور له بشيء من ذلك، فإذا انتقل إلى الصحو تسميه الصوفية الحياة بعد الموت، وهو معرفة المراتب الحقية والخلقية، وتمييز خواصها وأحوالها ومراتبها وما في كل مرتبة من الأحكام واللوازم والمقتضيات، فيقيم حقوق الله في جميعها فهو الصديق الأكبر، انتهى.

(**قوله: حتى أحبه**) معناه أنّ محبة الله للعبد هو إفاضة محبة ذاته المقدسة عليه فهي غاية الغايات وإليها ينتهي سير كل سائر، من وصلها كملت له مطالب الدنيا والآخرة قال: «حتى أحبه» يعني أفيض عليه محبة ذاتي على حد قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] فلولا محبته سبحانه وتعالى لهم ما وصلوا إلى محبة ذاته. (قوله: فإذا أحببته كنت سمعه الخ) يشهد العبد من نفسه قوة إلهية كأنه هو الذات المقدسة بجميع صفاتها وأسمائها كأنه هو وليس هو ولكنه سبحانه وتعالى أفاض عليه من أنوار صفاته وأسمائه لعلو مقامه، إنّما يحمله ما لا يحمله جميع الخلق من الثقل حتى قال بعض العارفين: من كشف له عن ذرة من التوحيد حمل السموات والأرضين على شعرة من أجفان عينيه لأنّه نهض في هذا المقام بالقوة الإلهية فهو ينظر بالله كأن ذاته ذات الله تعالى، ويسمع بالله وعلامة هذا النظر والسمع بالله، ففي النظر أنْ ينظر الوجود كله من عرشه إلى فرشه من حيث أنْ لا يخفى منه ذرة واحدة ويستوي أمرها فيما كان خلفه وأمامه ويمينه وشماله وفوقه وتحته، يرى ذلك في الآن الواحد دفعة واحدة ويراه كالجوهر الفرد الذي لا يقبل القسمة فلا تخلط عليه المرئيات وإنْ اختلفت أحوالها وأوضاعها وحركاتها وألوانها، كلها يراها على ما هي عليه دفعة واحدة في الآن الواحد في كل جهة من جهاته فلا تختلط عليه ذرة واحدة، (وسبب هذه الرؤية) أنْ بصر الروح قد انفتح، فإذا انفتح بصر الروح في ذاته طالع جميع الأكوان والعوالم، فلا تختلط عليه الرؤية فهذا هو النظر بالله تعالى. والسمع بالله تعالى أنْ يسمع جميع ألفاظ الوجود في جميع العوالم واختلاف تسبيحها وأذكارها في الآن الواحد، فلا تختلط عليه كثرة ألفاظها وتسبيحها كأنّه في كل لفظ لا يسمع غيره، فإنّ أمر العامة في السماع لا يسمع إلاّ لفظاً واحداً، فإذا كثرت عليه الألفاظ عجز عن تمييزها والسالك في هذه الحالة قلنا: يسمع جميع ألفاظ الموجودات وتسبيحها فلا تختلط عليه انتهى.

(**قوله ويده التي يبطش بها**): فإنّما يبطش بالله تعالى لا بقوته فيكون في قوته لو أذن له في البطش لقتل ألف ألف رجل في لحظة واحدة، وهكذا فهذه القوة الإلهية انتهى.

(قوله: ورجله التي يمشي بها) فإنّه في هذا الميدان أنْ يتخطى الوجود كله خطوة واحدة يضع رجله مثلاً في الأرض، ويضع الرجل الأخرى وراء العرش، لكن بالروح لا بالجسد، انتهى. (وقوله: ولسانه الذي ينطق به) فإنّه ينطق ههنا بنطق الحق سبحانه وتعالى، يقدر في هذا الحال أنْ يقرأ مائة ألف ختمة في مقدار ما يقرأ القارىء سورة الإخلاص قلت: لأنّه متصف بأنوار صفات الحق فلا يعجز عن شيء، فإذا سرى فيه نور القدرة الإلهية عمل في الوجود ما لا تحيط به العقول حتى أنّه يقدر في مقدار ساعة فلكية في محل، ويعمل في محل آخر أنْ يتزوج امرأة يولد له منها عشرون ولداً مثلاً، وهكذا وقد وقع كثيراً للأولياء هذا فإنّ الله لا يعجزه شيء في الموجودات، ولا يتقيد بالعادات ففي غيبه ما لا تحيط به العقول انتهى.

(قوله ولئن استعاذني لأعيذنه)، لأنّه لما وصل إلى غاية القرب من ربه كان مجاباً في جميع مقاصده، إن استعاذ بالله في شيء خاف منه أعاذه وإن سأل من الله شيئاً أراده أعطاه له في الحين وهكذا، ثم هذا القرب الذي اجتمعت عليه الطائفة المصرح به في الكتاب والسنة في غير ما موضع ليس هو قرب المسافة ولا قرب الاتصال، وإنّما هو قرب النسبة فقط فإنّ العبد وضع أولاً في غاية البعد عن نسبة الحضرة الإلهية فإنّ نسبة الحضرة الإلهية تقتضي أنْ لا وجود لشيء مع الله تعالى، ولا حكم لغير الله تعالى، ولا التفات لغير الله تعالى، ولا تعويل على غير الله تعالى وحدها أنْ لا يكون في قلب المقرب إلاّ الله تعالى لا غير والعبد وضع في وضعه الأول حيث خرج من بطن أمه وحيث أفاق من غيبته، هو في غاية البعد عن الله تعالى لكونه مشغولاً بحظوظه وشهواته دائم العكوف على تحصيل أوطاره من حال دنياه لا يلتفت إلى الله ولا يلم به، فهذا هو البعد عن نسبته إلى الله تعالى وليس البعد ههنا بعد للمسافة فإنّ الذات العلية جلت وتقدست أنْ يكون بينها وبين شيء خلقته مسافة تقتضي الانفصال، وكذا جلت وتقدست أنْ يكون لها اتصال بشيء بل الوجود كله في قبضته بين يديه سبحانه وتعالى من نشأته الأولى إلى الأبد وكل واحد من الخلق، ويعني بهم أهل البعد عن الله تعالى المشغولين بشهواتهم وأغراضهم، فهم في جميع تقلباتهم بين يدي الخالق سبحانه وتعالى من مشى منهم مشى بين يدي الحق حيثما مشى، ومن سعى منهم كذلك ومن جلس منهم كذلك جلس بين يدي الحق حيثما جلس، ومن رقد منهم سكن بين يدي الحق كيفما رقد؛ والحاصل منهم أنّ من تحرك تحرك بين يدي الحق ومن سكن منهم سكن بين يدى الحق، وإنّما هم عمون عن هذا؛ وفي هذا الميدان الكافر والمسلم والمؤمن والصديق والقطب والرسول والنبي والملك، كلهم على حد سواء في هذا الميدان ليس أحد منهم بأخص من الآخر إلاّ من كان من الصديقين ومن وراءهم انكشف لهم ذلك فرأوه عياناً، فأعطوا جميع هذا المشهد حقه

والعامة عموا عن هذا وجهلوه، فأدبروا عن الله تعالى بمعانقة أغراضهم وشهواتهم بمتابعة هواهم، لكن لهم عذر في هذا، فإنّ الصفوة العليا من الصديقين إلى الرسل أعرى عنهم الحجاب، فتجلى الله لهم عياناً فإنّ من تجلى الله له حتى رآه لم يقدر أن يلتفت إلى غيره، ولم يقدر أن ينصرف عنه بشيء وطهره ذلك من جميع حظوظه وشهواته. يقال في الإشارة عنه سبحانه وتعالى: «من كشفت له عن صفاتي ألزمته الأدب ومن كشفت له عن ذاتي ألزمته العطب»، وهو الاستهلاك قالوا: إنّ هذا العطب هو غاية الأرب ومطلب العبيد فإنّه عين الوصول، وأمّا العوام فإنّهم أرخى عليهم الحجاب فلم يروا ربهم ولا عرفوه، فاشتغلوا بهواهم وشهواتهم مع كونهم بين يديه إذ لا يرونه ولكن موضع التحقيق أنّ كل واحد منهم ومن النبيين والصديقين ومن بعدهم، كل ذلك مراد الله منهم ليس منهم واحد هو في ذلك بنفسه بل كل واحد منهم هو بإقامة الله له في ذلك الحال، ثم إنّ ذات العارف تبلغ أنْ تكون هي العاملة في الأشياء بلا دعاء ولا ذكر تبلغ حتى أنّه لو اجتمع عليه ألف رجل يقتلونه في محل ليس فيه غيره حيث تعجز إعانته، ثم نطق في ضميره أنْ يعجزوا، أو تحرك ضميره لعجزهم عجزوا عنه في الحين إنْ شاء تفريق شملهم وقع القتال بينهم في الحين وعجزوا عنه، وإنْ شاء أنْ تنزل عليهم العلة المعروفة عند العامة بالنقطة وهي السبات نزلت عليهم في الحين، وتعطلت الحركة منهم فلم يقدروا دون أنْ يستعيذوا بالله تعالى لأنّه يفعل الأشياء بالله، ولو تحرك عليه العطش الشديد المهلك وكان في برية قفراء وشاء بضميره أن ينزل عليه المطر في الحين بلا دعاء، ولو شاء أنْ يفجر الماء في الأرض تفجر من حينه أسرع من طرفة عين، لكن إذا وقع للرجال هذا لم يتركوه دائماً، إذا شرب أو توضأ أو قضى حاجته طمسه في الحين، والحاصل أي شيء أراده في ضميره وقع في الحين.

قال بعض الرجال: كنت أخدم شيخاً من شيوخ العارفين، وقد سافرت معه إلى الحج أخدمه وكان في أقصى العراق، فكان وقع به الطلق في الطريق، قال: فكان أكربني في كل لحظة نعطيه يقضي الحاجة، ثم نعطيه إناء الوضوء فيتوضأ، فشق عليَّ ذلك حتى وصل إلى مدينة نزلوا بساحتها قلت له: إنّ بهذه المدينة دار السبيل قد أعدوا فيها جميع الأدوية لذوي العاهات فقلت له: إني أريد الدخول إليها لآتيك منها بدواء يمسك البطن قال، فقال لي: أدخل إنْ شئت، لكثرة ما رأى مني من كثرة الاحتراق والحرص على ذلك الأمر قال: فلما دخلت قلت: أذهب إلى الأمير ليقضي مرادي قال: فلما دخلت على الأمير فبنفس ما رآني قام وعانقني، وفرح بي وبش بي كأني كنت له صديقاً ملاطفاً منذ سنين، ثم رحب ترحيباً عظيماً، وقال: ما هذا الذي حركك حتى سعيت إلينا؟ قال: رأيت منه عجباً في الإكرام والبر مع كونه ما فعل ذلك مع أحد قط، ثم قال لي: ما تريد؟

فذكرت له الحاجة والأمر الذي أريده من الدواء لإمساك البطن فقال: حباً وكرامة، ثم قال لحرسه عليّ به الآن فجاؤوا به من دار السبيل، وأعطاه لي وانصرفت مكرماً من عنده؛ فلما دخلت على الشيخ أعطيته الدواء، فذكرت له ما فعل الأمير معي من الفرح والتعظيم والإكرام بحال لم يكن معتاداً منه، قال فقال الشيخ له: أنا فعلت ذلك كله لما رأيت حرصك وشوقك واحتراقك على الدواء، وذهبت عنده خفت عليك أنْ يسوء حالك عنده لعدم معرفته بك فتستوحش من ذلك، فانتقلت من ههنا بروحي نقلت روحي من جسدي وسبقتك إليه ودخلت في جسده حتى لبست روحه وجسده، فلما دخلت أنا الذي قمت إليك، فإني كنت حاكماً عليه لا يقدر على التخلف عني لأني أنا الروح وهو الجسد، ففعلت بك ما رأيت فأنا الذي أكرمتك ليس منه شيء، فلما خرجت وسرت خرجت روحي منه ورجعت إلى جسدها والدواء لا حاجة لي به، ولا أريده ولا أفعله.

ووجه الشاهد في هذا أنّ العارف يفعل ما يريد في كل شيء، إلاّ أنّ في هذا المحل موضع الحياء والأدب إنْ دخل الحضرة على أنّ وصفه الرضا والتسليم والثبوت لمجاري الأقدار وترك المرادات والاختيار، فلما كان وصفه هذا لم يتأت أنْ يفعل كل ما تعلقت به بشريته إلاّ إذا وقع به الإضرار في وقت من الأوقات حرك سره وفعل ما أراد. وأمّا قولنا: أنّ القرب قرب النسبة لأقرب المسافة، وقلنا أنّ الخلق كله بالنسبة إلى الله في قربه منها كلها على حد سواء، فالكافر والرسول على نسبة واحدة والحق في ذلك كله لا متصل ولا منفصل، فهو قريب في غاية القرب، وأبعد من كل بعيد وتلك الصفة تتبع حقيقة وجوده، ولا يعرف الوجود المطلق ولا يصل إليه عالم ولا غيره، وأمّا النسبة المذكورة للرجال فإنّها قرب النسبة، فإنّ الحضرة القدسية في غاية الصفاء لا تقبل التلويث بوجه من الوجوه، فإنّ من دخلها غاب عنه الوجود كله فلم يبق إلاّ الألوهية المحصنة حتى نفسه تغيب عنه ففي هذا الحال لا نطق للعبد، ولا عقل ولا همّ ولا حركة ولا سكون ولا رسم ولا كيف ولا أين ولا حد ولا علم فلو نطق العبد في هذا الحال لقال: «لا إله إلاّ أنا سبحاني ما أعظم شأني» لأنّه مترجم عن الله عزَّ وجل، وفي هذا الميدان قال أبو يزيد قولته التي قالها وفي وسط أصحابه وهم دائرون به قال: «سبحاني ما أعظم شأني» فهابوا أنْ يكلموه، وعرفوا أنّه غائب، فلما صحا من سكرته، وتحققوا منه الصحو أخبروه بما سمعوه منه فقال: ما علمت بشيء، وهل لا قتلتموني في تلك الحالة فإنّكم لو قتلتموني لكنتم غزاة في سبيل الله، وكنت شهيداً، قالوا له: لم نقدر على ذلك، وقد قلنا: أنّ الحضرة في غاية الصفاء لا تقبل الغير والغيرية لأنّ الله تعالى إذا تجلى بكمال جلاله للعبد أماته عن جميع الأكوان فلم يعقل لا غيراً ولا غيرية، فهذا غاية الصفاء.

قال سيدنا رسول الله ﷺ مخبراً عن ليلة الإسراء حيث أخبر عن رؤيته لربه «ولم أرَ

عند رؤية ربي أحداً من خلقه حتى ظننت أنّ من في السموات والأرض كلهم قدْ ماتوا»فهذا هو الصفاء والقرب، ومعنى القرب هو نسيان الغير والغيرية، وكان الوجود في محطه الأول هو في غاية البعد عن الحضرة الإلهية إلاّ من رفع الحجاب منهم يعني من الموجودات، فرأى القرب بعينه، والباقي كلهم مشتغلون عن الله تعالى، فإنْ ذواتهم لما ظهرت لهم أنستهم الخالق سبحانه وتعالى، فانعطفت ذواتهم على طلب مصالحها والسعي في دفع مضارها، فبهذا الحد بعدوا عن الله تعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إنّما اشتغل الخلق عن الله تعالى تدبيرهم لأنفسهم فلو أنّهم تركوا التدبير لأنفسهم، وخرجوا عنه لنظروا كلهم إلى الله عياناً فهذا هو البعد عن الله تعالى يعني بعد النسبة، لأنّ صاحبه لا نسبة بينه وبين الله تعالى لأنّ الله تعالى في عظمته وجلاله من تجلى له بالعظمة والجلال أذهب الخلق عنه من باله، فلم ير لا غيراً ولا غيريةً، ولم يرَ إلاّ الله وحده، فناسب الحضرة الإلهية في حالته هذه لكون الحضرة لا تقبل الاشتغال بالغير.

قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه حيث قال في الطاغوت الذي أمر الله تعالى بالكفر به حيث قال: ﴿ومن يكفر بالطاغوت﴾ [البقرة: ٢٥٦] قال رضي الله عنه: «كل ما شغل عن الله طاغوت، ولو لحظة من الدهر» قلنا: هذه نسبة الحضرة الإلهية لأنّها لا تقبل الاشتغال بالغير حتى لحظة واحدة، فإنّ العارف بالله تعالى لو أشار إلى غير الله لحظة واحدة لطرد، أو سلب أو عوقب عقوبة عظيمة إنْ كان ذا عناية.

(قال بعض الرجال:) كنا عند الجريري يوماً فجاءه رجل يبكي، فقال له: كنت على بساط الأنس فزللت زلة حجبت عن مقامي، دلني على الرجوع إلى ما كنت عليه والوصول، فقال له الجريري: وعقد النقرة بين سبابته وإبهامه، ثم قال له: يا أخي الكل في قهر هذه الخطة أشار له إلى أنا وأنت كلنا في قبضة الله، ثم قال له لكنني أنشدك أبياتاً تجد فيها جوابك:

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقاً

كم ذا وقفت بربعها مستخبراً ... عن أهلها أو سائلاً أو مشفقاً

فأجابني داعي الهوى من ربعها ... فارقت من تهوى فعز الملتقى

ثم قام يبكي وذهب، فلما ذهب قال أصحاب الجريري: ما شأنه؟ قال لهم: انبسط مع الحق بغير إذن، فطرد عن مقامه لأنّ انبساطه بغير إذن فيه اشتغال عن الله تعالى، والعارف أبداً على بساط الأدب.

قال بعض أصحاب الجنيد: كنا ليلة مارين معه بأزقة بغداد، فسمع منشداً ينشد

ويبكي وينتحب وهو يقول:

منازلاً كنت أهواها ونألفها أيام كنت على الأيام منصورا

فبكى الجنيد رضي الله عنه، ثم قال: ما أطيب الألفة والمؤانسة يعني بالله تعالىٰ، وما أوحش الوحشة والمفارقة، ثم قال: لا أزال أحنّ إلى بدء إرادتي وركوب الأهوال طمعاً في الوصال أتأسف على الأيام الماضية انتهى.

(قوله وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءاته) هذه إحدى المسائل التي هي من الصفات السمعية التي تستحيل ظواهرها على الحق، وهي التردد عن نفس المؤمن هل يقبضها أم لا والأسف في قوله تعالى: «فلما آسفونا انتقمنا منهم»، والعجب في قوله ﷺ: **«عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل»** وبقوله في الحديث: **«يعجب ربك من شاب ليست له صبوة»**، وكذلك النظر الوارد في بعض الأحاديث حيث يقول ﷺ: **«إذا قال العبد لا إله إلا الله فتق الله السموات حتى ينظر إلى قائلها»** الحديث. ويقول محمد بن الحنفية رضي الله عنه: إنّ لله في خلقه في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، ولم يقلها إلا من الحديث لا من تلقاء نفسه، فإنّه لا يقدر على ذلك، وبقوله في الحديث: أنّ إسرافيل جاء يوماً قال له: قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم قال له ﷺ: **«ما ثواب من قال هذه الكلمات»** قال له إسرافيل: من قالها مرة واحدة كتب له ست خصال، أولها: كتب من الذاكرين الله كثيراً وكانت له غرساً في الجنة، وتحاتت عنه ذنوبه كالورق اليابس عن الشجرة، ونظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه، وكانت أفضل من ذكره بالليل والنهار، قلنا: وجه الشاهد في هذا إنّ نظر الله إليه ومن نظر إليه لم يعذبه ونظر الله دائماً إلى الموجودات في كل فرد فرد، وهذا النظر هو نظر خاص غير النظر المتقدم، يقول أهل الحقق: النظر الأصلي هو عين الصفة يقول إنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهذا النظر المذكور في الحديث هو بعين الإضافة لا بعين الصفة، وكقوله سبحانه وتعالى في الآية ﴿إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ إلى قوله ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ [آل عمران: ٧٧]، فإنّ هذا النظر ليس هو عين الصفة، وإنّما هو عين الإضافة وكذا الضحك وارد في حقه سبحانه وتعالى في قوله في الحديث الطويل للأعرابي الذي كان يسأله فأخبره عن شدة القحط والجدب قال ﷺ: **«يشرف عليهم أزلين يظل يضحك يعني من قنوطهم يعلم أن خيره قريب»**، وكقوله ﷺ في الحديث الآخر في الرجل الذي هو آخر من يخرج من النار جهينة أو هنا.

ويقول في الحديث **«يستغيث الرجل من النار في آخر أمره»** يقول: رب قد قشبني

ريحها وأحرقني ذكاؤها، فأخرجني من النار برحمتك فيقول الرب سبحانه وتعالى: أرأيت إنْ أخرجتك منها أتسأل غيرها؟ فيقول: لا، فيطلبه ربه بالعهود والمواثيق أنْ لا يسأل غير الخروج من النار، فإذا أخرجه منها وأجلسه قريباً منها يشتكي إلى الله من ضررها وحرها فيقول: رب أبعدني عنها، فيقول الرب سبحانه وتعالى: ألست أعطيت العهود والمواثيق أنْ لا تسأل غير الخروج منها، فيعتذر بضرره بقربها، فيقول الرب سبحانه وتعالى: أرأيت إنْ أبعدتك عنها أتسأل غير ذلك؟ فيقول: لا أسأل، فيطلبه ربه بإعطاء العهود والمواثيق أنْ لا يسأل غير البعد عنها، فيبعده الله عنها بحيث أنْ لا يراها ولا يسمعها ولا يشم ريحها، فتكون الجنة بادية له من بعد فيسكت ما شاء الله أنْ يسكت، ثم يقول: رب قربني من الجنة، فيقول الرب جلَّ جلاله ألم تعط عهودك ومواثيقك أنْ لا تسأل غير البعد عن النار؟ فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول الرب: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك، ثم يقول الرب: أرأيت إن قربتك من الجنة أتسأل غيرها؟ فيقول لا، فيأخذ عليه العهود والمواثيق أنْ لا يسأل غير ذلك، فيعطيه العهود والمواثيق، فيقربه الله إلى الجنة، فإذا نظر إليها واتضح إليه أمرها وشم روائحها سكت ما شاء الله أنْ يسكت، ثم قال ربّ قربني إلى باب الجنة، فيقول الرب جلّ جلاله: ويحك ألم تعط عهودك أن لا تسأل غير القرب منها؟ فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فيقربه الله إلى باب الجنة فيرى أهل الجنة وما هم فيه يرى ذلك تحقيقاً، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: رب أدخلني الجنة، فيقول الرب سبحانه وتعالى: ويحك ألم تعط عهودك أنْ لا تسأل غير القرب من بابها، فيقول: رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول الرب: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك، ثم يدخله الجنة، فإذا رأى الخلق يتنعمون في أملاكهم ولا نصيب له فيها أخذه ما يأخذ أمثاله من التضرر برؤية ذلك حيث لا نصيب له فيقول: رب ارزقني منها شيئاً فيقول: ألم تعطِ عهودك أنْ لا تسأل غير الدخول إليها؟ فيقول: رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول الرب سبحانه وتعالى: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك، ثم يقول له الرب سبحانه وتعالى: ما تريد منها؟ فيذكر له ما يريد من تمتع أمثاله فيقول له سبحانه وتعالى: تمن فيها ما تريد فلا يزال يتمنى حتى تنقطع به الأماني، ثم يقول: هذا غاية ما أتمنى فيقول له الرب سبحانه وتعالى: لك هذا وعشرة أمثاله فلا يطمئن قلبه لذلك فيقول: أتهزأ بي وأنت الملك؟ فيضحك الله منه، ثم يظهر ذلك كله ويقول له: هذا الذي تمنيت وعشرة أمثاله.

(ووجه الشاهد في هذا) هو الضحك منه سبحانه وتعالى وبقوله في الخبر في جنة التجلي حيث يتجلى فيها ربنا ضاحكاً، وظواهر هذه كلها مستحيلة على الله تعالى، وإنّما هي من الكناية الإلهية؛ وكذلك الغضب والسخط وكذلك المحبة منه سبحانه وتعالى الذي يستحيل ظاهرها على الله تعالى، وإنّما هي عبارات تنبىء عن أمور مكتومة في جانب

الحق سبحانه وتعالى لا تعرف، ليس فيها إلاّ التسليم لما يسمع وافترق الناس فيها على فرق، فطائفة خاضوها بالتأويل بعد صرف ظواهرها عن الله تعالى، وطائفة من أهل العلم أحالوا ظواهرها وفوضوا أمرها إلى الله تعالى وسلموا الأمر إلى الله تعالى في حقائقها، فلم يخوضوا فيها بشيء، وبعض أهل العلم تكلموا في حقائقها لكن بإشارة دون تصريح، قال العارفون بالله: مَنْ دخل منهم أرض السمسمة انكشفت لهم حقائق تلك الصفات المشكلة ونظروها عياناً، فلم يبق لهم إشكال بعدها لكن لم يتكلموا بها لأنّ تلك الأرض من جبلها ارتفع التلبيس عن جميع الإشكالات في أي علم كان.

ثم نرجع إلى الكلام على الصفات، أما «التردد» الذي ذكر في الحديث فإنّ ظاهره مستحيل على الله تعالى، لأنّ التردد يوهم أنّ الله عند قبض نفس المؤمن يتردد بالجزم بقبض روحه لتعلق مشيئته ونفوذ حكمه وبين تركه للقبض كراهة لمساءة عبده، فإنّ هذا لا يتأتى في حق الحق سبحانه وتعالى لأنّه نفذ حكمه ونفذ قضاؤه بأنّ كل نفس ذائقة الموت وأنّ أجل الحي الذي يقبض فيه معين عند الله في سابق العلم يستحيل تقدمه أو تأخره عن الوقت الذي عينه في سابق العلم لاستحالة تخلف مطلوب العلم الإلهي، فإذا كان الأمر هكذا فكيف يصح منه التردد سبحانه وتعالى، والحديث ثابت صحيح وهو من إطلاق الكناية الإلهية، فإنّها يعبر بها عن أمر ليس هو ظاهر لفظه وتحقيقه أنّه أخبرنا سبحانه وتعالى أنّ هذا أمر موجب للتردد لو كان من غيره، فإنّا نقدر لو كان الواحد منا معشر البشر لو كان له حبيب في غاية ما يكون من المحبة عنده حتى أنه لا يصبر على مفارقته حتى لحظة واحدة، ثم أنّه ظهر له في علمه أنّ محبوبه الذي يحبه لا يصل إلى ما يرومه من الخيرات العظيمة إلاّ بقتله له، وإلاّ بقي محروماً منها إلى الأبد، فيبقى هذا البشر متردد إذ قتل محبوبه كان من أصعب الأمور عليه لكون محبوبه يكره ذلك، وإنْ تركه بلا قتل بقي محروماً من الخيرات فهو يتردد في ذلك لأجل هذا في القتل وعدمه، فإنّ قتل محبوبه أصعب الأمور عليه وعلى محبوبه، وحرمانه من الخير الدائم أصعب فهو يتردد لأجل هذا، وقد حتم الأمر أنّه إنْ لم يقتله لم يصل إلى شيء وبقي محروماً كأنّه يقول لو كان هذا منكم لترددتم فيه غاية التردد ولم تجزموا بشيء، فهذا غاية ما في هذه الصفة وهو التردد المذكور في الحديث عن الحق سبحانه وتعالى.

(وأمّا الضحك) فحقيقته معروفة في حق البشر وتلك الحالة مستحيلة على ذات الحق سبحانه وتعالى لأنّه انتقال من حال إلى حال، ولأنّه كان ساكناً أو ساكتاً قبل الضحك وفي حالة الضحك وقع به حال نقله عما كان عليه من السكون أو السكوت، وانتقل إلى الضحك وحالة الضحك غير الحالة الأولى يعلم هذا كل أحد بالضرورة لكنّ الضحك المعهود في حق البشر مستحيل على الله تعالى لا يتأتى في ذاته العلية، إلاّ أنّ هناك أمراً

يلزم معرفته، والتنبيه عليه لذوي الألباب أنّ المخاطب في البشر لرجل عظيم الشأن والسلطان ضخم الملكة عظيم الخزائن من الأموال شديد السطوة والصولة، فلا شك أنّ من كان بهذه المثابة ترتعب النفوس منه عند رؤيته، فمخاطبه يخاطبه وجليسه يخاطبه وهو في غاية ما يكون من الوجل والخوف والذعر والهيبة، فإذا رآه ضحك له لأجل فرح ذلك المخاطب وتأنس وزال خوفه وذعره لأجل ضحك الملك الذي ضحك له وخاطبه، فالضحك من ذوي الهيبة والسلطان الشديد السطوة مؤنس لجليسه مفرح له؛ فإذا عرفت هذا، فالرب سبحانه وتعالى عظيم العظمة والكبرياء عظيم العز والغنى عن العالمين عظيم العلو والجلال ما عاين أحد جلاله إلاّ نسي نفسه وتلف عنه وجوده لعظمة الجلال والكبرياء، فلا شك أنّ في هذا الميدان من حل بين يديه يخاطبه كأنه كان في غاية الدهش والذعر والتلف عن نفسه أشد من الرجل الذي وضع لضرب عنقه خوفاً من سطوته وجلاله كما ورد في الحديث: «إنّ الله إذا أوقف العبد بين يديه يعرض عليه أعماله عرق من الهيئة حتى لو ورد عرقه سبعون جملاً عطاشاً لأرواهم عرقه هذا السيد»، فإذا كان الحق سبحانه وتعالى هذا وصفه، فمن ضحك له سبحانه وتعالى بنفس ما يرى الضحك أخبره في ضحكه أنّ الله أنجاه من جميع موجبات الخوف وبشره في ضحكه أنّه من الفائزين بخيراته ورضاه، فالضحك منه سبحانه وتعالى أنس لمخاطبه وأمان من عذابه وبشارة له بالفوز بخيراته، فهذا هو الضحك منه سبحانه وتعالى.

ثم قرروه بعبارات غير موفية بالمقصود والتحقيق فيها أنّ لله سبحانه وتعالى صفة من صفات كمالاته الذاتية كالمجد والكرم والعفو وكذا الضحك، ثم أنّه ضرب الحجب دون صفة الضحك سبحانه وتعالى، وقلنا: هي صفة من صفات كمالاته لائقة بجلال عظمته وكبريائه جعلها محجوبة عن خلقه لا يظهرها لهم، فمن رضي عنه سبحانه وتعالى رفع له الحجب عن تلك الصفة الكاملة، وأظهرها له، فبنفس ما يراها الناظر يمتلىء فرحاً وسروراً، ويذهب منه الخوف والوجل، فهذا هو اللائق بصفة الضحك منه سبحانه وتعالى لا الصفة المعهودة في حق البشر، ولهذا قال في الخبر: في جنة التجلي حيث تجلى لأوليائه قال: يتجلى فيها ضاحكاً ليؤنس أولياءه ويفرحهم، ويذهب عنهم جميع الروع من سطوة العظمة والكبرياء، ولذا قال الشيخ الكامل مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: من ألف البهاء من الله تعالى لم يطالع إلا صفات الجمال من الحق تعالى لا يثبت لبدو العظمة والكبرياء، انتهى. ومعنى لا يثبت لبدو العظمة والكبرياء، معناه أنّه لا يثبت لها إلا الأكابر من الرجال لا العارفون فإنّ أكملهم وهو القطب الكامل لا تتجلى له حقيقة الكبرياء إلا بعد بلوغه للرتبة العليا من القطبانية، وذلك المقام يسمونه ختم المقامات، ولم يرتقه من الأقطاب إلاّ القليل لبعد مرامه، فإذا ارتقاه القطب ووصله هنالك يتجلى له بالكبرياء الذاتي

ولا يزال مرتقياً فيها إلى الأبد، ولو تجلى بذلك الكبرياء بمقدار ذرة منه لجميع العارفين والصديقين لصاروا هباءً منثوراً في أسرع من طرفة عين، ولا يقدر عليه إلاّ القطب الفرد الجامع، لكن بعد بلوغه مقام الختم وقبل بلوغه لا قدرة له عليه.

قال علي كرّم الله وجهه: المعرفة كشف سبحات الجلال وغايتها الدهش في كبرياء الله أراد بغايتها مقام الختم في القطبانية فهو غاية الغايات، انتهى.

وأما العجب في حقه سبحانه وتعالى، فقد ورد في الخبر بقوله ﷺ: «**عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل**»، وحقيقة العجب في نفسه أنّ المتعجب يتعجب من الشيء لغرابته وخفاء أسبابه كخرق العوائد الذي يقع للأولياء، والحق سبحانه وتعالى لا غرابة عنده في فعله، ولا عجب عنده إذْ لا تخفى عليه أسباب الأشياء، فإنّ أسباب الأشياء الواقعة كلها هو القضاء والقدر، والقضاء والقدر بيده فمنه منشؤه وإليه مرجعه إلاّ أنّ القضاء والقدر يقعان في كل واقع في الكون، فالقضاء وصدور الحكم بوقوع الشيء وهو بارز عن صفتين: تعلق المشيئة وبروز الكلمة بقوله: «كن» فهذا هو القضاء وتعلقه قديم أزلي لا في المشيئة، ولا في الكلمة، وأمّا القدر فبروز الشيء الذي نفذ بالمشيئة والكلمة برز بالقدرة، فكيف يتعجب من شيء وهو محيط به علماً وليس يخفى عليه سبب من الأسباب وليس فيه إلاّ إخبارنا بأنّ ذلك عجب لأنا نتعجب منه لانتقاص صورته المعروفة المعلومة عندنا، وبيان ذلك أنّ الجنة واضحة البيان باستقراء أخبارها في الكتب المنزلة وأخبار الرسل صارت بحيث أنْ لا يجهل أمرها لا عام ولا خاص، وكل بني آدم يحب السير إليها والتمتع بها لما احتوت عليه من كمال الشهوات جميعها؛ ثم إنّه أخبرنا أنّ قوماً يساقون إليها بالسلاسل يعني أنهم فارون منها، وهم يقادون إليها بالسلاسل قهراً، فهذا غاية العجب والمراد بهذه الطائفة التي عجب منها ربنا هم أصحاب المصائب والبلايا في الدنيا، فإنّ البلايا والمصائب تطهرهم من جميع الذنوب بالمغفرة، فإنّ العوائق التي تعوق العبد عن الجنة هي الذنوب، ولولا ذنوبه لقام من قبره إلى قصره والبلايا والمصائب تمحق جميع ذنوب العبد، وتعطيه من الثواب ما لا يعرف له قدر ولا كيفية؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿إنّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: ١٠] وصاحب البلايا والمحن يريد الجنة بغير تشويش ولا تعويق، ومقتضى الأمر في هذا أنْ يكون العبد هو الذي يطلب البلايا والمحن لما ذكرناه فيها، فكيف يفرّ منها إذا وردت عليه، فهذا غاية العجب.

وأمّا النظر منه سبحانه وتعالى الوارد في قوله ﷺ في الحديث: «**الذي هو سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله الخ**» قال في فضله: ونظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه وحقيقة النظر ههنا ليس هي صفة البصر، فإنّ تلك الصفة قال فيها: «ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء»، والمراد بالنّظر ههنا هو النظر الخاص بحكم العناية

والمحبة. قال محمد بن علي بن الحنفية رضي الله عنه إنّ لله في خلقه في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، والمراد بهذه النظرات هي فيوض الرحمة الإلهية التي يفيضها على خلقه من سوابغ فضله، فيصيب بها من يشاء ويمنعها عمن يشاء، فهذا هو النظر، والمراد به نظر العناية والمحبة لمن شاء من عبيده، فمن أصابته نظرة من هذه النظرات فقد سعد، فهذا هو النظر، وكقوله في الحديث الآخر **«ما قال عبد لا إله إلا الله إلاّ فتق الله السموات حتى ينظر الله إلى قائلها»**، فهذا هو الحديث وتعالى الله أنْ تحجبه السموات عن النظر إلى العبد، وإنّما هذا النظر هو فيض الرحمة الإلهية على العبد وهو رحمة خاصة من عنده لخواص عباده تخرق السموات وتنزل إلى صاحبها، ثم يدخر له ثوابها؛ والنظر ههنا قلنا: هو نظر الرحمة والعناية لا نظر الصفة فإنّ بصر الحق سبحانه وتعالى كل الخلائق منكشفة لبصره لا يخفى عليه شيء وهذا النظر الذي قلنا وفسرنا به الحديث، هو: المنفي في الآية بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إنّ الذين يشترون بعهد الله، وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم «إلى قوله» ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ [آل عمران: ٧٧]، والنظر ههنا نعني به هو نظر الرحمة منه سبحانه وتعالى رفعه عن هذه الطائفة المذكورة في الآية، فلا ينظر إليهم نظر الرحمة كنّى بذلك عن شدة غضبه وشدة عقابه بقوله: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ [آل عمران: ٧٧] لكن نفينا نظر الرحمة يعارضنا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فتلك الرحمة العامة هي للمعذب وغيره حتى لأهل النار وهذه الرحمة الخاصة التي ينظر بها لخلقه فهي المقيدة بقوله: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فإنّ صاحب هذه النظرة لا يناله عذاب من النار ولا تفضح مساويه في موقف القيامة بل يكون من الطائفة الذين إذا عرض أعمالهم عليهم استحيا العبد من ذلك يقول له سبحانه وتعالى: «أنا سترتها عليك في الدنيا فلا أؤاخذك بها اليوم إذهب فقد غفرت لك»، أو كما يقول مما هذا معناه، فهؤلاء هم الذين نظر الله إليهم في الدنيا بنظر الرحمة والمحبة والعناية جعلنا الله منهم جميعاً بمحض فضله وكرمه، فهذا هو النظر المذكور في الحديث وقد قال في حديث التسبيح، **«ومن نظر الله إليه لم يعذبه»** ا.هـ.

ورد في الحديث قال عليه الصلاة والسلام: **«ما من قلب إلاّ وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء»**؛ الكلام ههنا على الإصبع وعلى اسم الرحمن، فالرحمن هو من أسماء المرتبة، وهي مرتبة الألوهية ليس من أسماء الذات كالعظيم والكبير والجليل، فإنّ أسماء الذات لا تعلق بها للخلق، وأسماء المرتبة كلها متعلقة بالمخلوقات، لأنّ الألوهية اقتضت وجود المخلوقات من غير حاجة بالإله لهم، وإنّما المخلوقات اقتضاهم كمال الألوهية لكونهم أبداً يعبدون الله تعالى ويسجدون له ويسبحونه، وهي مرتبة الألوهية، فالألوهية هي مرتبة الإله المعبود بحق ومن أكبرها اسمه «الرحمن»، فإنّه محيط

بجميع أسماء الوجود وفي الحديث إنما قام الوجود كله بأسماء الله تعالى الظاهرة والباطنة وجميع الأسماء التي يطلبها الكون بتمامها وكمالها داخلة تحت حيطة اسمه «الرحمن» لأنّ هذا الاسم منه الفيض على جميع الوجود، وبهذه الحيثية قارب الاسم الأعظم لا إنّه هو، قال ﷺ: **«بسم الله الرحمن الرحيم ما بينها وبين الاسم الأكبر إلاّ كما بين بياض العين وسوادها»**. (قلنا): فالرحمن هو من أكبر أسماء الألوهية لكون أسماء الوجود كلها تحت حيطته، فليس شيء في الوجود يخرج عن حيطة الرحمة الإلهية، «ورحمتي وسعت كل شيء» ولهذا الأمر وقع الاستواء بهذا الاسم على العرش لقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥]، كما أنّه سبحانه وتعالى استوى على حقيقة الإنسان باسمه «الله»، فكان الإنسان هو عرش الله لاستوائه باسمه «الله» وليس في الوجود موجود يستوي عليه سبحانه وتعالى بهذا الاسم الشريف إلاّ هذا الإنسان وهو الذي أطاق حمله وليس في الوجود من يطيق حمل التجلي بهذا الاسم إلاّ الإنسان، كما أنّه سبحانه وتعالى استوى على الحقيقة المحمدية بالاسم الأعظم الكبير الذي لا تعرف له كيفية ولا يطيق حمله في ذلك إلاّ هو ﷺ، فهو محل استوائه ﷺ؛ (قلنا): الرحمن: هو محيط بكليات الوجود وبه استوى على العرش، لأن في العرش نسب جميع الموجودات، فلذا استوى عليه باسمه «الرحمن» ونسبة العرش بين الموجودات لشرفه كنسبة القطب بين العالم، وقد ورد أنّ العرش سأل الله تعالى قال يا رب: لماذا خلقتني؟ قال الله سبحانه وتعالى: «لتقي عبادي من نور الحجب» ا.هـ.

(وأمّا معنى الإصبع)، فهو في اللغة جزء من أجزاء اليد تؤمن أنّ لله أصابع، لكن نقول إن الأصابع هي متعلقات مشيئة، فالمشيئة بمنزلة اليد ومتعلقاتها بمنزلة الأصابع، وكذا القدرة بمنزلة اليد ومتعلقاتها بمنزلة الأصابع حيث يقول «بين أصبعين من أصابع الرحمن» معناه أنّ كل قلب هو مقام بين أمرين إلهيين أمر من متعلقات المشيئة، وأمر من متعلقات القدرة، فكل قلب حينئذٍ بين أمرين أمر مما اقتضته المشيئة الإلهية، وأمر مما اقتضته القدرة الإلهية، هذا معنى الأصابع في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام.

قال: **«لا تزال النار تقول هل من مزيدَ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول: قط بمعنى حسبي حسبي امتلأت»**، ولهذا الحديث معنيان كلاهما صحيحان، المعنى الأول: أنّ القدم ههنا هي المخلوقات التي يخلقها سبحانه وتعالى بعد استقرار الخلائق في الجنة والنار يوم القيامة، يخلق خلقاً يملأ بهم الجنة فهو القدم الأول، والقدم الثاني: يخلق خلقاً يملأ بهم النار يوم القيامة حتى تقول: قط قط حسبي حسبي، هؤلاء أقدام الجبار يعني هم آخر خلق يخلقهم، لذا استعير لهم لفظ القدم، لأنهم آخر خلق يخلقهم الله فلا خالق بعدهم أبداً، فهذا المعنى الأول؛ وأمّا المعنى الثاني: فالقدم مستعار لها من اسمه «الجبار»

وهو القهر والسطوة والجبر، والمراد به هنا لا تزال بقوة صولتها على الخلق وبقوة إحراقها وعذابها حتى يضع الجبار فيها قدمه معناه يتجلى عليها باسمه الجبار فيدكها دكاً من هيبة الجلال، فتخضع وتذل وتقول: قط قط وبهذه السطوة ينقضي عذابها.

وأمّا الفرح الوارد في الحديث في حقه سبحانه وتعالى، فحقيقته كحقيقة الضحك لأن الضحك صفة محجوبة إذا أراد الضحك سبحانه وتعالى رفع الحجب عن تلك الصفة، فبنفس ما يراها المتجلي عليه يعلم إفاضة خيره عليه والأمن من عذابه، وكذا الفرح عند التوبة فلو رآها التائب لأيقن بجميع وجود الخيرات والأمن من جميع عذابه بحسب وعده الصادق أنّه ﴿من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنّه غفور رحيم﴾[الأنعام: ٥٤] ولا يصعب عليك احتجاب الصفات، فإنّ الرب سبحانه وتعالى جعل الحجب دون صفاته كلها فإذا رفع الحجاب عن صفة من صفاته حجب غيرها من الصفات، فإنّه إذا تجلى بصفة الرحمة الإلهية على العبد غطى عليه صفة الانتقام والقهر، وضرب الحجب دونها لما فيها من الانزعاج والخوف، وهكذا عكسه، وهكذا جميع الصفات كلما تجلى بصفة من صفاته ضرب الحجب دون الصفات الأخرى، فلا يتجلى بجمع صفاته التي اتصفت بها ذاته في الآن الواحد فلا يتأتى متى تجلى بصفة من صفاته غطى غيرها من الصفات، وكذلك من طلع بالترقي من الرجال في كل مقدار طرفة عين يكشف له عن صفاته وأسمائه ما لا حد له ولا غاية والباقي في حجاب، وهكذا في عمر الآخرة الأبدي، يرفع له الحجب عن صفاته وأسمائه والباقية محجوبة، وهكذا فما في الوجود كله مخلوق يطيق حمل تجليه بجميع صفاته وأسمائه في الآن الواحد، فلا يطيقها مخلوق أصلاً فإذا عرفت هذا عرفت أنّ صفتي الضحك والفرح من الله كانتا محتجبتين بالحجب، فإذا أراد التجلي بهما رفع الحجب عنهما، أو تجلى بهما بالفرح أو الضحك، والمراد بهما أنْ يبذل عند التجلي بواحدة منهما مما لا حد له ولا غاية من الخيرات ويمنع من الشرور والمضار مما لا حد له ولا غاية، فهذا غاية التجلي بهما، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ا هـ من إملائه علينا من حفظه ولفظه والسلام وبالله التوفيق.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله ﷺ في الحديث: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا الخ**» الحديث؛ (فأجاب رضي الله عنه بقوله): اعلم أنّ للحق سبحانه وتعالى في مرتبة ذاته نسبتين: نسبة للكنه، وهذه المرتبة بعيدة عن التغير بالزمان والمكان والنسب والإضافات والجهات والتوجهات لا تقبل شيئاً من هذه النسب لا ظاهراً ولا باطناً ولا حقيقاً ولا مجازاً، والنسبة الثانية: نسبة للتنزل إمّا بالنيابة وإما بالرحمة والفضل، وإمّا بالغضب والبطش، وإمّا بالاشتراك، فأمّا نسبة النيابة، فهو مثل قوله ﷺ: «السلطان ظلّ الله في الأرض»، ومعناه ينوب عن الله سبحانه وتعالى بإيقاع الخير والشر لإصلاح الأرض كل

بما يختص به من أهله، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠]، فهذا تنزل النيابة، وأمّا تنزل الرحمة والفضل مثل ما قيل في «الحجر» من أنّها يمين الله في الأرض يريد من قَبَّلها كأنّما قَبَّل يد الحق سبحانه، بمعنى أنّه ينغمس في بحر الرحمة والفضل وكقوله: ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فهو من هذا القبيل تنزل الرحمة والفضل كما يقول في آخر الحديث «**هل من داعٍ يدعوني فأستجيب له، هل من مستغفرٍ يستغفرني فأغفر له، هل من تائب يتوب فأتوبَ عليه هل من سائل يسألني فأعطيه**» وكما في البيت الحرام حيث جعلها خاصة به معناه أنّه تنزل فيها برحمته وفضله لتكون له حمى من لاذ بحماه استوجب رضاه وعفوه من الطائفين به، فإنّه كساها كسوة عظمته وجلاله، فإنّ من رآها ذل لها وخضع لما كسيت به من العظمة والجلال، وكساها كسوة رحمته وفضله بما ثبت في الخبر أنّه ينزل عليها في كل يوم مائة وعشرون رحمة منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين، وكساها كسوة البطش والغضب لمن أرادها بسوء، فإما أنْ يعجل هلاكه في هذه الدار، وإمّا أنْ أن يدخر له من شدة العذاب وأليم النكال في الآخرة مما لا حد له ولا غاية، هذه تنزلاته فيها، وأول ما وقع عليه نظر الله تعالى من الأرض هي بقعة الكعبة وموضع قبره ﷺ قبل بساط الأرض، والنظر ههنا عين الإضافة لا عين الصفة، فإنّ عين الصفة لا أولية لها على شيء، فإنّه ينظرها في الأزل قبل وجودها كصورة نظره إليها بعد وجودها لا يختلف عليه الحال، ومدى خلاف ما عليه الجمهور من المتكلمين، فإنّ مذهب الجمهور أنّ السمع والبصر لا يتعلقان إلاّ بالموجودات دون المعدومات، وأمّا نظر الله تعالى إلى العالم بعين الإضافة فهو نظره إليه بعين الرحمة والتعظيم والإجلال والمحبة، وكانت الأشياء في هذا النظر مختلفة والقسم فيها متباينة، وقد روي عن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: «إنّ لله في خلقه في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة»، فهذه النظرات كلها بعين الإضافة، والمراد بها المنح التي يمنحها والفيوض التي يفيضها من خزائن فضله، وأطلق عليها اسم النظر مجازاً، وكان محل نظر الله تعالى من الأرض روضته التي ضمت جسده الشريف ﷺ والكعبة الشريفة هذا محل نظره من الأرض، كما أنّ الإنسان الكامل هو محل نظر الله تعالى من العالم في وقته، كما أنّه ﷺ محل نظر الله تعالى من جميع الوجود من الأزل إلى الأبد.

وأمّا تنزله بالغضب والبطش والعياذ بالله، مثل قوله تعالى: ﴿وظنوا أنّهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ [الحشر: ٢]، ومعلوم أنّه ما سلط عليهم إلاّ النبي ﷺ وأصحابه، وأمّا تنزل الاشتراك مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ [الفجر: ٢٢] فإنّه في ذلك المقام يظهر فضله ورحمته على طائفة، ويظهر بطشه وغضبه

على طائفة في مقام واحد وآن واحد، فإنّه من تنزل الاشتراك، وكقوله في التوراة: «جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساغين واستعان من باران» طور سيناء: هو محل نزول التوراة بما فيها من الأحكام الإلهية والشرائع، وساغين: هو محل نزول الإنجيل بما أظهر الله فيه من الأحكام الإلهية والشرائع، وباران: هي جبال مكة وهي محل نزول القرآن بما أظهر الله فيه من الأحكام الإلهية والشرائع، وعبّر عن ذلك بمجيء الحق سبحانه وتعالى وظهوره، فإنّه من تنزل الاشتراك لأن كل شرع من هذه الشرائع الثلاث مشتمل على تنزل الرحمة والفضل على طوائف، وعلى تنزل الغضب والبطش على طوائف، ومن تنزل الاشتراك قوله في الحديث القدسي: **«ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»** فإنّه تنزل فيه بالتجلي بجميع صفاته وأسمائه جلالاً وجمالاً واشتراكاً فضلاً منه ورحمةً وجوداً في عبده، وهذا خاص بالآدمي وهو العارف بالله فقط، ولم يتجل الله في كل ذرة من ذرات العالم إلاّ بإسم واحد، ولم يتجلَ بإسمين في ذرة واحدة، وبعبارة لم يتجلَ ربنا بإسم واحد في حقيقتين، ولا بإسمين في ذرة واحدة، ما عدا الإنسان، وهذا معنى قوله في الحديث، وأمّا تنزل الحق سبحانه وتعالى له تنزلان التنزل الأول: تنزل الوجود والثاني: تنزل الإمداد، فأمّا التنزل الأول، فهو تنزله من مظهر الأحدية إلى مظهر صورة الألوهية فإنّه يقال في الخبر القدسي عنه: «كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أنْ أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني» فوجوده الأول سبحانه وتعالى الذي هو الذات الساذج لا مظهر فيه للغير والغيرية لشدة الغيرة منه سبحانه وتعالى، وسطوة العزة وصولة الجلال، فإنّه في ذلك المظهر له العلو الكامل وله الكبرياء والعظمة التامان وله العز الشامل الذي لا يدرك أمره ولا تعرف حقيقته، ومن سعى من خلقه في أنْ يعرف ربه في هذه المرتبة ضاع سعيه وخسر عمره وليس له منها إلاّ الخيبة والحرمان، فإنّ هذه المرتبة هي مرتبة كنه الحق الذي لا يعلمها غيره، وهذه المرتبة التي هي كنه الحق تسمىٰ حضرة الطمس والعمى الذاتي والبطون الأكبر الذي لا مطمع لأحد في درك حقيقته، وكل ما فيها من الصفات العظام من العلو والكبرياء والعظمة والجلال والكرم والمجد وأشباهها من الصفة الجامعة، فإنّ هذه الصفات كلها صفة الذات الساذج الذي حرم على العقول والأفكار شم أقل قليل منها فضلاً عن ذوقها، وفي هذه المرتبة يقال لا يعلم كيف هو إلا هو وكل صفة من الصفات المذكورة للذات الساذج من فوق ما يعمل ويدرك ويفهم، ولو برز للوجود منها أقل من مثقال هبأة لاحترق الوجود كله وصار محض العدم، فلا يطيق مخلوق العلم به في هذه المرتبة، ثم تنزل سبحانه وتعالى من حضرة علوه إلى حضرة تعاليه ومن حضرة كبريائه إلى حضرة تكبره حيث يدرك الخلق العلم به لأن التكبر والتعالي وصفان قديمان قائماً يدرك العلم بهما بوجود الخلق، وإنْ كانا وصفين للذات لكنه أظهر ما يتكبر عليه

من خلقه ويتعالى عنه من أوصاف خلقه، وهذه المرتبة هي التي اقتضت منه وجود الخلق، ولا يقال أنّ هذا التنزل حادث بل كان قديماً وصفاً من أوصاف الذات، إلاّ أنّ وجود الخلق في هذه المرتبة التي تنزل الحق إليها هو أمر اقتضاه كمال الذات العلية، فإنّ وصف التكبر والتعالي وصفان من كمالات الذات العلية، فكما اقتضت الذات في مرتبة الكنه التي فرغنا منها عدم وجود الغير والغيرية لعظم العز وعظمة العلو، كذلك الذات في هذه المرتبة اقتضت وجود الخلق، لأنّ وجود الخلق في هذه المرتبة هو من كمالات الذات إذ لولا وجود الخلق ما عرف تكبره ولا تعاليه لعدم وجود من يتعالى عنه ولا من يتكبر عليه، فالمرتبة الأولى هي مرتبة البطون الأكبر للحق، والمرتبة الثانية التي هي حضرة التعالي والتكبر هي حضرة ظهور الحق لغيره، وهي المقتضيات لوجود الخلق، فهذه مرتبة تنزل وجود الخلق، وإليها يشير قوله: «فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليهم فبي عرفوني»، فهذه مرتبة التنزل إلى وجود الخلق، والمرتبة الأولى التي لا وجود للغير والغيرية فيها هي قوله: «كنت كنزاً لم أعرف» يعني لا يعرفني غيري لا غيرية هنالك، وهذا التنزل اقتضى وجود الخلق عموماً وخصوصاً وجملةً وتفصيلاً من أولى وجود العالم إلى الأبد، وهي مرتبة وجود الذوات أي ذوات الموجودات شقيها وسعيدها ومرحومها ومعذبها.

والتنزل الثاني: هو تنزله بفيض الرحمة الإلهية المسماة بالنفس الرحماني، وهي التي اقتضت ملاءمة أغراض الخلق من كل ما يطابق أغراضهم من الشهوات والملذوذات والمسرات مطلقاً، هذا هو التنزل بالرحمة التي عمت كل شيء ما في الوجود إلاّ مرحوم كافره ومؤمنه، وهذا التنزل الثاني، والتنزل الأول كلاهما مجموعان في الحقيقة المحمدية، فإنّها أول موجود أنشأه الله من حضرة العما الرباني، وأوجدها سبحانه وتعالى مشتملة على جميع ذوات الوجود من الأزل إلى الأبد، والوجود كله متنسل منها كما أنّ آدم عليه الصلاة والسلام وجوده مشتمل على وجود ذريته إلى قيام الساعة، فما في الوجود آدمي خارج عنه كذلك ما في الوجود ذرة موجودة من الأزل إلى الأبد خارجة عن الحقيقة المحمدية إذْ هو الأب الأول للوجود كله، فهذا هو التنزل الأول وهو تنزل وجود الذوات، وكان التنزل الثاني الذي هو فيض الرحمة الإلهية الذي اقتضاه النفس الرحماني مجموع أيضاً كله في الحقيقة المحمدية، فكما أنّه ﷺ هو السبب في إيجاد الخلق كذلك هو السبب في إمدادهم بالرحمة الإلهية، فيشار للتنزل الأول الذي هو وجود الذوات بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قل إنْ كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ [الزخرف: ٨١]، فهو أول موجود عَبَدَ الله لكونه لم يتقدمه أحد في الوجود، ويشار للتنزل الثاني الذي هو النفس الرحماني بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ [الانبياء: ١٠٧]، انتهى.

وأما مرتبة الأحادية، فهي مرتبة كنه الحق وهي الذات الساذج الذي لا مطمع لأحد في نيل الوصول إليها، وتسمى حضرة الطمس والعما الذاتي المرموزة في قوله ﷺ حيث سأله السائل بقوله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فقال له ﷺ: «**كان في عما ما فوقه هواء وما تحته هواء، وهذا العما هو غاية بطون الحق**» حيث لا عثور لأحد على حقيقة، إليها يشار بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠]، وهي مرتبة بطون الحق، وهو البطون الأكبر، وأمّا حضرة التعالي، وحضرة التكبر فهو مرتبة ظهور الحق لغيره، وإذا سألت عن حقيقة الأحدية، فهي مرتبة ظهور الحق بمرتبة تفريده في الوجود حيث لا وجود لشيء معه، والفرق بين الأحدية والذات الساذج أنّ الذات الساذج لا امتياز فيها الأحدية ولا كثرة إذا طمست النسب كلها فيها فليس فيها اختصاص نسبة على نسبة وهي غاية البطون وهي العما كما قدمنا، والأحدية تماثلها في الذات الساذج إلاّ أنّ فيها ظهور الحق سبحانه وتعالى، وأمّا الوحدة فهي تجليه بكمال ذاته في الحقيقة المحمدية، وهي ذات ساذج أيضاً تجلى فيها في الحقيقة المحمدية فهي تجليه بذاته عن ذاته لغيره في غيره، فهذه هي مرتبة الوحدة، وأمّا الواحدية فهو تجليه بكمال صفاته وأسمائه في مظهرية ذاته، وهو المعبر عنه بحضرة اللاهوت، وهذه هي الحقيقة الآدمية والفرق بين المراتب الأربع أنّ الذات الساذج هو تجليه بذاته في ذاته لذاته مع عرو النسب، فلا أحدية ولا كثرة ولا وصف ولا اسم عرية عن النسب والإضافات، وأمّا الأحدية فهو تجليه بذاته في ذاته لذاته عن ذاته مع ظهور نسبة الأحدية، ومحو جميع النسب من الأسماء والصفات والكثرة والغيرية، فالأولىٰ مرتبة بطون الحق، وهذه مرتبة ظهور الحق، وأمّا الوحدة فهو تجليه بذاته عن ذاته في الحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية هي الرائية له في ذاتها فهو تجليه لغيره في غيره، وأمّا الواحدية فهو تجليه بأسمائه وصفاته في غيره لغيره، وهي الحقيقة الآدمية، فهذا هو الفرق بين المراتب الأربعة والله الموفق.

وحقيقة الذات الساذج معناها الصرف والمحض والخالص مثالها في الشاهد ولله المثل الأعلى، مثال الشمس إذا غابت الشمس في الليل ظهرت النجوم، وإذا طلعت الشمس انطمست النجوم كلها مع وجودها لكنها انطمست في نسبة الشمس، كذلك الأسماء والصفات الإلهية موجودة لا يراها الرائي، ولا يتعقلها المتعقل إلاّ في احتجاب الذات عنه، فإذا طلعت الذات العلية انطمست عن الرائي لها نسب الأسماء والصفات مع وجودها فلا اسم ولا وصف، وهذا هو الوجود المطلق والبطون الذاتي والعما الذاتي، وبالله التوفيق، وفي هذا المعنى يقول الجيلي رضي الله عنه:

فللّه خلف الاسم والوصف مظهر وعنه عيون العالمين هواجع

وليس يرى الرحمن إلاّ بعينه وذلك حكم في الحقيقة واقع
وإياك لا تستبعد الأمر إنّه قريب على من فيه للحق تابع

انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه، ثم قال رضي الله عنه: ومجموع المراتب كلها هو الحضرات الخمس؛ الحضرة الأولى: هي حضرة عالم الناسوت، وهي مرتبة وجود الأجسام الكثيفة. والحضرة الثانية: هي مرتبة عالم الملكوت، وهي مرتبة فيض الأنوار القدسية، وهي من السماء الأولى إلى السابعة، وهو عالم المثل وهو عالم الروحانية والأفلاك. والحضرة الثالثة: هي حضرة عالم الجبروت، وهي من السماء السابعة إلى الكرسي، وهي حضرة فيض الأسرار الإلهية وهو عالم الأرواح المجردة، وهو عالم الملائكة. والحضرة الرابعة: حضرة عالم اللاهوت وهي حضرة ظهور أسماء الله تعالى وصفاته بأسرارها وأنوارها وفيوضها، وتجلياتها. والحضرة الخامسة: هي حضرة الهاهوت وهي حضرة البطون الذاتي والعما الذاتي، وهذه المرتبة لا مطمع في نيلها إلاّ التعلق بها فقط والسلام.

(وتسمية المراتب في التنزل) الأول، وهذه مرتبة الساذج، الثاني مرتبة الأحدية، الثالث مرتبة الواحدة، الرابع مرتبة الواحدية، الخامس مرتبة الأرواح، السادس مرتبة المثال، السابع مرتبة الحس، ولكل مرتبة من هذه المراتب أسامي، (أمّا تسمية) الأول منها الذات الساذج، وكان الحق وحضرة الطمس والعما الذاتي والبطون الأكبر. (الثاني): مرتبة الأحدية أقدم قدم أحدية مطلقة أحدية وحدية مكون المكنون، أحدية صرف حق الحق ذات بحت وجود بحت عدم العدم ذات صرف ذات بلا تعدد بطون البطون، ذات ساذج وجود مطلق مجهول النعت ذات الهدية ذات مطلق عين الكافور ذات أحدية مجرد الشؤون، أزل الأزل لا تعين أبد الآباد، أو لا نهاية لاهوت آخر بلا نهاية غيب الغيب غيب مصون مشكاة الغيب. الثالث: مرتبة الوحدة الاسم الأعظم الحقيقة المحمدية، أم الفيض القلم الأعلى البرزخ الكبرى أم الكتاب كنز الكنوز عالم الجبروت كنز الصفات عالم مطلق، موجود إجمالي موجود أول الوحدة الصرفة أحدية الجمع الدرة البيضاء حقيقة الحقائق، برزخ البرازخ الخلق الأول الظل الأول العقل الأول، المبدأ الأول الظهور الأول عالم الرموز عالم الوحدة عالم الصفات. الرابع: مرتبة الواحدية حضرة الألوهية، حضرة الجمع حضرة الربوبية منبعث الوجود الموجود الفياض ظاهر الوجود ظل الواحدة أحدية الكثرة الظل الممدود عالم الأسماء، صور الأسماء الإلهية الأعيان الثابتة أسماء الصفات منشأ الكثرات التعين الأول البدء الثاني النشاط الثاني منزل القدس الآن الدائم قابلية الظهور نفس الرحمن، أسماء المبدأ الثاني، منتهى المعرفة منتهى العارفين، منتهى العابدين حق اليقين، عالم اليقين عين اليقين. الخامس: مرتبة الأرواح التعين الأول عالم الأمر النفوس المجردة عالم الباطن،

حقيقة الإنسان قاب قوسين معدن الأرواح كنز الأرواح مجمع الأرواح عالم المعاني عالم الملكوت، عالم العقول معاد الأرواح مقام الأرواح رتبة الأرواح. السادس: مرتبة المثال التعين الرابع الكون الجامع منشأ النور، رتبة الخيال المنفصل المركبات الطبيعي، مالك الجنان باطن الملك حضرة الأسماء العقل الكلي النفس الكلي الطبيعة الكلية، الشكل الكلي الهيول الكلي الجسم الكلي. السابع: مرتبة الحس، عالم الحس عالم الأجسام، المركبات الكثيفة عالم الشهادة، عالم الملك عالم الخلق التعين، مرتبة الإنسان المرتبة الجامعة، انتهى هن الشناوي على الجوهر الخمس، ثم قال رضي الله عنه ومعنى النفس والعين والذات والحقيقة والماهية والمائية، كلها ألفاظ مترادفة أسماء لمسمى واحد، والكل يطلق على الذات بشاهد قول سيدنا عيسى عليه السلام: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك يعني الذات.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله ﷺ: **«تنام عيني، ولا ينام قلبي»**، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معناه اعلم أنّ حاسة البشرية تركض في النوم كعادة البشر وقلبه ﷺ لا يزال مستغرقاً في مطالعة الحضرة القدسية، بمراقبة ما يبرز منها من الفيوض والتجليات والأحوال والمعارف وتجليات الأسماء والصفات بملازمته لما يلزمه في مقابلتها من الأدب والتعظيم والإجلال، ووظائف ما تستحقه من الخدمة والعبودية، فهو على هذا المنوال دائب في يقظته لا يفتر عنه لحظة، ولا يشغله عنه شاغل حتى أقل من لحظة، وكما كان دائباً على هذا في يقظته لا يفتر عنه، كان دائباً عليه في حالة نومه لا فرق في ملازمة ذلك في يقظته ونومه، وأمّا نومه ﷺ فإنّما حده وغايته وقوعه على حواسه البشرية، ولا يتعدى نومه إلى قلبه حتى يغفل عن مطالعة الحضرة الإلهية كما هو حال البشر، ولا خصوصية له في هذا بل جميع النبيين هكذا عليهم الصلاة والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(ومما أملاه علينا رضي الله عنه) قال: عدد الحجب التي فوق العرش سبعون حجاباً بين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام، وغلظ كل حجاب سبعون ألف عام، ومن فوق ذلك عالم الرقا عالم مملوء بالخلق يعني الملائكة، وكل هذه الحجب مملوءة بالملائكة الكرام عليهم السلام، وكل حجاب هو عالم، ومن وراء هذه الحجب كلها الطوق الأخضر وهو انتهاء عوالم المخلوقات، ومن ورائه لا خلا ولا ملا كان الله ولا شيء معه، وهذا معنى قوله ﷺ ليلة الإسراء، «ولم أرَ عند رؤية ربي أحداً من خلقه حتى ظننت أنّ كل من في السموات، ومن في الأرض كلهم قد ماتوا»، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قوله ﷺ **«حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات**

وجهه ما أدركه بصره من خلقه»؛ (فأجاب رضي الله عنه بقوله:) معنى هذا أنّ الموجودات لو نظرت إلى الله عز وجل بلا حجاب، وأدركته أبصارها لأحرقت سبحات وجهه سبحانه وتعالى جميع الموجودات التي أدركته أبصارها بلا حجاب، ولرجعت في أسرع من طرفة عين إلى عدميتها الأولى، وقوله «ما» صادقة على جميع الموجودات والضمير الأخير في «أدركه» يعود على الله تعالى، وفاعل أدرك هو «بصره» والضمير في بصره هو المفسّر بقوله «من خلقه»، انتهى. قوله حجابه النور، فهما نوران حاجبان للخلق عن النظر للحق، الحجاب الأول هو: الحقيقة المحمدية، فإنّها هي البرزخ الأكبر بين الله وبين خلقه، والحجاب الثاني: رداء الكبرياء على وجهه سبحانه وتعالى، فلا سبيل إلى انخراقه، وقول الشيخ مولانا عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه: «وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك» أراد به الحقيقة المحمدية، فإنّ حجابيته ﷺ وضعت لتمام الإفادة لا للمنع من الإفادة فإنّه لولا الحجاب لم يقدر الخلق أنْ يباشروا ربهم بالإفادة منه بنفس وقوع أبصارهم على سبحات وجهه تحترق الموجودات، فلا وجود أصلاً فضلاً عن الإفادة، فإنّ الإفادة من وراء الوجود، فنصب حجاباً بين يدي الله عز وجل ليستفيد الخلق بسبب وجوده مادة وجودهم، وإبقاء وجودهم ومادة الإفادة من الله تعالى إذ جميع الإفادة من الله مطلقاً يتلقاها الحجاب الأعظم من الله لكونه قواه بقوته ثم يفيضها على جميع الوجود ولولا هو ما استفاد أحد من الله شيئاً، فهذا معنى الحجابية نصبت للإفادة يقول ﷺ «**إنّما أنا قاسم، والله معطي**» يشير ﷺ إلى أنّ الإقطاعات الإلهية للقوابل الأصلية كانت مقسومة بحكم المشيئة الربانية ليس لغير الله فيها مدخل، ثم جعله سبحانه وتعالى أعني نبيه ﷺ قائماً له في توصيل تلك القسم المفصلة بحكم المشيئة التي قلنا هي: الإقطاعات الإلهية إلى أربابها وهي القوابل الأصلية فليس يعطي ﷺ لشيء من الوجود أمراً من الأمور إلا ما أعطاه الإقطاع الإلهي، فبان لك أن بروز العطاء من الحق جملة وتفصيلاً لمن أريد ذلك وتفصيله على أربابه، وفي مرتبة حقيقته المحمدية ﷺ يعطيه لأربابه بحسب النسب فهذا معنى الحديث «**إنّما أنا قاسم، والله مُعطي**»، الحجابية الأولى للحق: حجاب الكبرياء ولا سبيل إلى انخراقه والحجاب الثاني للحق: حجاب الحقيقة المحمدية بين الله وبين الوجود والحقيقة المحمدية دونها حجب الأنوار فلا مطمع لأحد أنْ يصل إلى الحقيقة المحمدية بتخطي حجب الأنوار التي دونها، وإنّما تجليات الحق كلها من وراء حجاب الكبرياء، ومن وراء حجاب الحقيقة المحمدية، ومن وراء الحجب التي دونها، وأمّا الوصول إلى الله تعالى من باب النبي ﷺ بكونه باباً في الوصول إلى الله تعالى، ولا مطمع لأحد في الوصول إلى الله بدونه، فإنّما معنى ذلك بمتابعة شرعه واقتفاء سبيله، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه مع إخلاص الوجهة في ذلك كله إلى الله تعالى،

فبهذا المقدار يصل العبد إلى الله تعالى، وبغير هذا المقدار لا سبيل للوصول إلى الله تعالى، فالواصل إلى الله تعالى إذا كان يريد أنْ ينزاح عنه الحجاب مطلقاً، ويصل إلى الله محضاً بلا حجاب، أو يتخطى الحجاب إلى ما وراءه، فهذا أمر لا سبيل إليه، ولا مطمع في دركه، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومن إملائه رضي الله عنه) قال: قال أبو العباس المرسي: «لا يدخل على الله إلاّ من بابين باب الفناء الأكبر وهو الموت الطبيعي، أو من الفناء الذي تدعيه هذه الطائفة» رضي الله عنهم. (وسألته رضي الله عنه) عن قوله ﷺ: **«حبب إليّ من دنياكم ثلاث»** الحديث (فأجاب رضي الله عنه بقوله:) أمّا محبته ﷺ للنساء والطيب المذكورين في الحديث، والحديث صحيح، فيقتضيان أنّ له بشرية مثلنا ﷺ، اعلم أنّ له بشرية ﷺ كغيره من الأنبياء والرسل، لكن تلك البشرية معصومة من مخالفة الأحكام الإلهية مطلقة فيما أذن لها فيه كالجماع والأكل والشرب، وليس أنّ تلك البشرية معصومة من جميع توابعها، فإنّه لو كان كذلك ما وقع التناسل من جسد آدم عليه الصلاة والسلام، ولا خرجت حواء منه، ولبطلت عمارة الدارين التي هي مراد الله من العالم، واعلم أنّ لكل عارف محبتين محبة في روحه متعلقها الذات القدسية منشؤها مطالعة الجمال، وهذه المحبة تستأصل جميع وجوه المحبة وعروقها، وإليه يشير قوله ﷺ: **«اللهم اجعل حبك أحب إليّ»** إلى أنْ قال: **«من الماء البارد للعطشان»** الخ، فهذه هي المحبة الواقعة في الروح، ومحبة له من حيث البشرية هو قوله ﷺ: **«حبب إليّ من دنياكم ثلاث»** الخ، فهذه المحبة لا تناقض تلك المحبة، ولا تسمى نقصاً لأنّ هذه المحبة في البشرية وضعها الله للرسل للتأليف مع الخلق، وتأدية الأحكام الإلهية، وتبليغ الرسالة والتناسل الذي تقع به عمارة الدارين، فإنّ ذلك هو عين الكمال الإلهية، فإنّ الرسول ﷺ لو بقي على المحبة الأولى مجرداً عن المحبة البشرية لبطلت الأحكام الإلهية، وبطلت الرسالة وبطل التناسل وبطلت عمارة الدارين، لأنّ صاحب تلك المحبة لا يلتفت لغير الله أصلاً ولا يبالي بغير الله أصلاً، شاهد ذلك أنّ الملائكة العالين غرقوا في محبة ذاته فهم دائبون الهيمان في جمال الله وجلاله سُكارى لا يفيقون من الحب، ولما لم تكن فيهم المحبة الثانية لم يعلموا بآدم، ولا إبليس، ولا كلفوا بالسجود لآدم، ولا يحضرون بيعة القطب لأنّهم غائبون عن التآلف بغير الله تعالى، فلو كانت الرسل هكذا لبطلت الرسالة لعدم التآلف بغير الله، ولما أراد الله إنفاذ ما سبق في علمه من إرسال الرسل لخلقه ووضع الله فيهم المحبة البشرية ليتآلفوا بغير الله تعالى، فيتم مراد الله بتبليغ الرسالة وثبوت الأحكام الإلهية، والقيام بحق التكليف، وظهور التناسل، وكمال عمارة الدارين، وهذا غاية الكمال، فإنّ هذه المحبة البشرية فيهم موجودة ولم ينقصوا بها عن محبة الملائكة العلن لذات الله تعالى، فإنّهم مماثلون لهم فيها وكان

كمالهم بهذه المحبة البشرية، فكل محبة فيهم من البشرية والأصلية لا تهدم أختها، ولذلك صحت له الخلافة ﷺ لتآلفه بالعوالم بالمحبة البشرية، وهذا هو معنى اسمه «محمد» يحمده جميع العوالم بما أفاض الله عليه من الحضرة الإلهية، والمحبة الأصلية هي التي يسمى فيها أحمد، لأنّ تلك الحضرة لا يشاركه فيها مخلوق فهو أحمد من حمد الله في ذلك المقام لعلو علمه بالله تعالى بما ليس لغيره فيه مطمع، وهذا ينبئك عن حضرتيه ﷺ حضرته المحمدية، وحضرته الأحمدية، ثم قال رضي الله عنه وخلافة الإنسان على العوالم إلاّ إذا كان كل جزء من العالم يجد نسبة فيه، فنسبة ما فيه للبهائم من الأكل والشرب والجماع، ونسبة ما فيه للملائكة من الولوع بالحضرة القدسية وكمال الهيمان في جلال الله وجماله، فاشتغاله بالحضرة القدسية، وهي الحضرة التي فيها الملائكة لا يشغله عن تأدية حقوق حضرة البهائم من الأكل والشرب والجماع وسائر التقلبات البشرية، وهذه الحضرة لا تشغله عن الولوع والهيمان في الحضرة الإلهية، فإنّ لكل من الحضرتين مظاهر الكمالات الإلهية، وإنّما ينام الراتع في الحضرة البهيمية، إذا شغل بها عن الاستغراق في الحضرة الإلهية، وأمّا إنْ كان يعطي لكل ذي حق حقه، فذلك غاية الكَمال، وما سمعت من إطلاق حضرة البهيمية، فلا يطلق ذلك على الكامل ﷺ، ولا يقال أنّ له صفة البهيمية، وإنّما يقال: إنّ في مطلق الإنسان من نسبة الحضرة الإلهية نسبة ما عند البهائم كغيرها من جميع الموجودات، وهذا من حيث التكميل في مطلق الإنسان من كونه مظهراً لجميع الحضرة الإلهية، لا من حيث الذم انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة الرؤيا التي وردت في الحديث وهي قوله ﷺ: «**الرؤيا الصالحة**» الخ الحديث؛ (فأجاب رضي الله عنه) قال: إنّ الأشياء التي يراها النائم هي خواطر ترد على قلبه في حالة النوم، ويصوغ الملك الموكل بالرؤيا للرائي صورة تناسب ذلك الخاطر على قدر ما يراه في الصورة المتخيلة وهذه حقيقتها، ثم الرؤيا وجود الأجساد من الملك للرائي على قدر قوته المتخيلة وضعفها، والقوة المتخيلة على قدر قوة قلب صاحبها، فإنْ كان قلب صاحبها تام الخلوص إلى الحضرة الإلهية متمكناً من صفاء اليقين صاغ له الملك أجساداً لخواطره على قدر صفائه، ثم أمده من الغيب بعلم لدني يعطيه العلم بتلك الصور، وما تأويلها وما يراد بها يعني في اليقظة وهذا التعبير منه والتأويل لا يخطىء ويكون مضاهياً للكشف الصحيح، أو يعطيه الحق أمراً آخر في الرؤيا، إذا أراد أنْ يعلمه بأمر من أمور الغيب أمر الملك الموكل بالرؤيا أنْ يصوغ له جسداً على نسبة ذلك الغيب الذي وقع به الإخبار، ولم يكن ذلك من طارق الخاطر على القلب، وإنّما هو وحي إلهي يوحيه للروح المتمكنة من حضرة القدس، ويعطيها العلم معه بصورة الشيء

المرئي وما تأويله وما يراد منه. ومثال هذه قوله ﷺ: «**بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا، فوقع أحدهما باليمامة والآخر باليمن**» فقيل له ما أولتهما يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**أولتهما كذابين يخرجان من بعدي**» والنسبة التي وقع التعبير بها لما كان الذهب أشرف المراتب المعدنية، وأعلاها ناسب رتبة الرسالة في المرتبة الآدمية لأنّها أعلى الكمالات الإنسانية، ولا كمال أكبر منها، ثم أضيف السوارين إليه، ثم جعلا في ذراعيه إشارة إلى أنّهما واقعان في وقته ﷺ، ويدعيان مرتبته ﷺ، وما في الحديث من قوله: «كذابين يخرجان من بعدي» لما أنّه من إعطاء الحكم مرتبة القرب ما قارب الشيء يعطي حكمه لما قربت وفاته ﷺ فأمّا هناك فكانا كأنهما خرجا من بعده، وأمّا أنّ البعدية ههنا بعد فراغ الرسالة وفراغ زمانها فإنه ﷺ حين نزلت عليه: ﴿إذا جاء نصر الله﴾ [النصر: ١] اعلم أنّها نعيت إليه نفسه، وفيها أخبار بانقضاء زمن رسالته بقوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ [النصر: ٣] إلى آخر الآية لأنّه في زمن الرسالة والتردد بين أحوالها وأحكامها وإصلاح مجاريها، وتمهيد طرقها ومكابدة ما يبدو له من الخلق على اختلاف مراتبهم، وتبليغ كل مرتبة ما تختص به من الحكم الإلهي، وهذا التعب إذا تحمله لله بالله، فإنّ روحه القدسية كانت قبل الرسالة في نعيم لا يماثله نعيم، وفي صفاء من الوقت وهناءٍ من العيش لا يدرك قياسه، فلما وجهه الله تعالى مع هذا إلى الرتب الخلقية، وتربيتهم وإرشادهم وتحمل ثقل أعبائهم على ما فيهم من البعد عن الحضرة الإلهية، فلما قال له: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ [النصر: ١] المراد به فتح مكة ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره إنّه كان تواباً﴾ [النصر: ٢]، أخبره في هذا وأشار له إلى أنّه بزغت شمس الوقت الذي يرده فيه إلى الحالة الأولى وهي تفرده بالحق في حضرة قدسه، وعدم التوجه لغيره حيث يطيب له النعيم كالنعيم الأول، فلما انتهى وقت الرسالة، وانقضى وتمكن ما يراد منها كأنّه ﷺ فرغ عمره، فهناك قام الملعونان بعد انقضاء مدة الرسالة، فصدق «يخرجان من بعدي»، فكان مسيلمة باليمامة ادعى الرسالة، والأسود العنسي ادعى الرسالة باليمن.

وكقوله ﷺ: «**رأى الليلة رجل صالح نيط أبو بكر برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر**» ومعنى هذا تتابعهم بالخلافة، وإن أتت القوة المتخيلة في غاية الضعف لقوة ضعف قلب صاحبها، والقلب الضعيف هو الذي ألف العادات وأغرق في بحر الجبلات وألف اللهو واللعب والخوض في قيل وقال وفي خذ وهات، حتى كشف له الحجاب بينه وبين الحضرة الإلهية، وعدم خبر النور صاغ له الملك على قدر خواطره الغريقة في بحر الظلام، فكانت رؤيا أكثرها كذباً لا يبالي بها، وهذه هي مرتبة النفس البعيدة عن الله، وما بين هذه والتي قبلها أمور كثيرة لكل مرتبة حكم على قدر ما يناسبها، وأصل الرؤيا كلها إمّا من عالم الخواطر، وإمّا من عالم الوحي والوحي فيها هو

كاليقظة للروح المتمكنة من الصفاء، ويبعد غوره على قدر بعد الروح من التمكن من الصفاء، وعالم النوم شامل لعالم الخواطر وعالم الوحي، وأمّا ما يصدق من مرائي بعض الكفار، فإنّما فيها حق لبعض أهل الله كرؤية العزيز حق لسيدنا يوسف ﷺ، ورؤيا موبذان كسرى إنّما فيها حق للنبي ﷺ وتمكين دينه، وأمّا تفسير الرؤيا فلا يحل لأحد أنْ يتكلم فيها إلاّ إذا علم تأويلها، ولا يعلم تأويلها إلا صديق أو من قارب مقام الصديقية، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام**» مع أنّ المعتقد والذي يجب المصير إليه، أنّ النبي ﷺ حي في قبره بذاته الشريفة التي كان عليها في دار الدنيا، مع أنّ روحه الشريفة دائمة في حضرة القدس أبد الآبدين، ومعنى حياته في قبره أنّ الروح تمد الجسد في القبر بنورها من الحضرة القدسية، فهذا معنى الحياة في القبر وكذلك حياة العارفين، وأمّا قوله ﷺ «إلا رد الله عليَّ روحي» يعني روحه التي في حضرة القدس ترجع إلى جسده الشريف لرد السلام على المسلم عليه، وترجع إلى مقرها وهي حضرة القدس والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومما أملاه علينا رضي الله عنه) قال: ورد في الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «**لا أعلم عزير نبي أم لا**»، وهذا قبل علمه عليه السلام بنبوته عليه السلام، وهو صاحب الحمار الذي ذكره الله في الآية وهو قوله: ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾[البقرة: ٢٥٩] أيّ لم يتغير، ﴿وانظر إلى حمارك﴾، فوجده لم يبق له أثر، ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها، ثم نكسوها لحما﴾[البقرة: ٢٥٩] فأحيا الله له الحمار في الحين قال: اعلم أنّ الله على كل شيء قدير أنّه تشكى إلى الله مرة حين كان أسيراً في يد بختنصر قال: رب فعلت في بنو إسرائيل ما هو كيت وكيت أموراً مستقبحة عادية تكرهها الطباع، وهدمت بيت عبادك، فنزل إليه ملك قال له يا عزير جئتك لأسألك، فتخبرني أخبرني كم في البحار من قطرة، وكم في الأرض من رملة إلى أمور ذكرها بعيدة لا يحصيها العقل، فقال عزير: من يحصي هذا، ويعلم هذا؟ قال له: من يسأل عما لا علم له به، ثم قال له: أرأيت لو اشتكت لك الأرض والبحر قال لك البحر ضقت بما فيّ من خلق ربي، وأريد أنْ امتد في الأرض، ليتسع الحال على الخلق الذي في جوفي، فقالت لك الأرض ضقت بما فيَّ من خلق ربي، وأريد أنْ أمتد في البحر، ليتسع الحال على ما فيَّ من خلق ربي ما ذا كنت تحكم بينهما؟ قال له أقول لهما: كل منكما أتىٰ بحجة لا تنفعه، إنّ الله قدر لكل منكما قدراً وحدّ لكل منكما حداً لا يتعداه فلا سبيل إلى ما تريدان، فقال له الملك: فهلاّ حكمت بهذا على نفسك؟ أراد الملك أنّ الذي أنت فيه وبختنصر فيه كل منكما له حد عند الله لا يتعداه والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وقال) لما ذهبت التوراة من يد بني إسرائيل، وردها الله على بني إسرائيل بعد ذهابهم، فالتفتوا إلى التوراة فلم يجدوا لها محلاً ولا أصلاً، فتضرع عزير إلى الله عز وجل في رد التوراة عليهم فصبه الله في صدره فيضاً إلهياً فأخرجها لبني اسرائيل، فكتبوها من حفظه، انتهى من إملائه علينا.

قال عليه الصلاة والسلام، لو أرسل حجر من السماء إلى الأرض لوصل من الصبح إلى الليل، وهذا الحجر ألقي من رأس جهنم منذ سبعين سنة ما بلغ قعرها إلى الآن، ثم ذكر صلى الله عليه وسلم، وإنّها تملأ من الإنس والجن كلها، وفي كل يوم وليلة يقطع ألف عام، ثم تضرب هذا العدد في سبعين، فيخرج أربعة وعشرون ألف عام وسبعمائة ألف وثمانون ألفاً، فهذه مدة جهنم بين الفلكين أعني رأسها وقعرها أعاذنا الله منها بمنه وكرمه آمين انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه. (وفي الحديث) قال عليه الصلاة والسلام: «**غشيتكم السكرتان سكرة حب العيش وسكرة حب المال**»، فعند ذلك لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ويكون القائم بالكتاب والسنّة كالسابقين الأولين من المهاجرين والانصار، انتهى. (وفي الحديث أيضاً) قال ﷺ: «**العمل في الهرج كالهجرة معي، أو كالهجرة إليّ**» انتهى. (وفي الحديث أيضاً) قال ﷺ: «**ما عبد الله شيء أفضل من فقيه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**» انتهى؛ قال سيدنا رضي الله عنه: المراد بالفقيه هنا العارف بالله تعالى، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله ﷺ في الحديث: «**لا يقبل الله منه لا صرفاً ولا عدلاً**»؛ (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معناه «لا يقبل الله منه شيئاً من أعماله» والعرب كانت تستعمل هذين اللفظين يقولون: «لا أقبل منك لا صرفاً ولا عدلاً» يعني بالصرف صرف الدنانير بالدراهم، والعدل هي الموازنة إذا أرادوا أنْ لا يقبلوا من أحد شيئاً، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه. قيل للشاذلي رضي الله عنه: ورد في بعض الأخبار في الحديث أنّه يقول: «**من خرج لي عن كل شيء بهجرانه لكل شيء تجليت له في كل شيء حتى يراني كأني كل شيء**» قال الشاذلي للسائل: هذه طريقة العوام، ليست طريقة الخواص الأكابر، وأمّا طريق الخواص كأنّه يقول فيها: من أقبل لي على كل شيء، فالأول مشهد العارفين، والثاني مشهد الأفراد جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

ثم قال رضي الله عنه، وتوبة الخواص الرجوع من كل شيء إلى الله بالبراءة من جميع غيره، دلّ على هذه التوبة الحديث بقوله ﷺ: «**هاجروا إلى الله من الدنيا وما فيها**»، والآية أيضاً دلت على هذه التوبة قال سبحانه وتعالى: ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾ [الذاريات: ٥٠]، وعند العارفين كل ما شغل عن

الله ولو لحظة من الدهر فهو إله دونه فما يشتغلون عن الله طرفة عين، فهذه توبة العارفين والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومما أملاه علينا رضي الله عنه): ورد في الحديث الشريف: «**أنّ من قرأ سورة الإخلاص مائة ألف مرة أعتقه الله من النار**»، وبعث منادياً ينادي في القيامة من كان له دين على فلان فليأتني أؤديه عنه، وليفعل ما يقدر عليه في كل يوم حتى يكمل، وتلاوتها مع البسملة في كل مرة واستقبال القبلة، وعدم الكلام في وقت الذكر وفيها عدد ثلاثة وثلاثون ألف سلكة، وثلاثمائة سلكة وثلاثة وثلاثون سلكة وثلث سلكة، وفيها عشرة آلاف قصر في الجنة، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل رضي الله عنه) عن معنى قوله ﷺ: «**ألا وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**» الحديث، (فأجاب رضي الله عنه بما نصّه): اعلم أنّ البساط الذي أثار هذا الحديث منه ﷺ أنّ العرب كانت عادتها اتباع الرؤساء في الحج في كل ما يأمرون به وينهون عنه، وكانت هذه عادة العرب وسبب ذلك أنّ بعض أبناء العرب كانت أمه وهبته طفلاً للكعبة يخدمها لله تعالى مملوكاً فكان لا يخرج من الكعبة للخدمة، ولعبادة الله تعالى ولا يلتفت لشيء من أمور الدنيا، ولا يتوجه لقليل ولا لكثير مما الناس مكبون عليه، وليست همته إلا خدمة الكعبة وتعظيمها فنشأت كذلك إلى أنْ كبر، فأعظمت العرب شأنه لما رأوه كذلك واعتقدوا أنّه من أكبر المقربين إلى الله تعالى فكانوا يخرجون به في الحج في كل عام يقتدون به ويتبعونه لتعظيمه في قلوبهم فما زال كذلك إلى أنْ مات، وكانت العرب في ذلك الوقت شأنها التطير والتفاؤل بالأمور، فرأوا في أنفسهم أنّهم أصابوا خيرات كثيرة في دنياهم بسبب متابعتهم له في الحج، وربما توجه بعضهم إليه في أمور يسألها لهم من الله عند الكعبة، فتقضى به حوائجهم فزاد تعظيمه في قلوبهم، فكانوا كذلك يتبعونه في كل ما فعل في الحج يقتدون به، ويمتثلون أمره فما زال كذلك حتى توفي فاجتمعت العرب على قبيلته وهم يقال لهم النساة في العرب، فقالت العرب لقبيلته: قدموا لنا منكم واحداً نقتدي به في حجنا فقدموا واحداً منهم فما زالوا كلما توفي واحد قدموا مكانه آخر من تلك القبيلة فما زالوا واحداً بعد واحد إلى أنْ قام عليهم الإسلام، فكانت رؤوسهم بعد ذلك الشخص الأول ربما ضاق عليهم الحال من الأشهر الحرم لكونهم لا يقتتلون فيها ولا يقتلون فيها أحد أصلاً، فربما ضاق حالهم من تركهم الأمور في الأشهر الحرم، فطلبوا من رئيس الحج أنْ يحل لهم الشهر الحرام، وهو المحرم يجعله لهم حلالاً، ثم يجعل مكانه صفر هو المحرم ويحرمه لهم، ثم تنتقل الشهور على هذا المهيع، فكانت السنة عندهم ثلاثة عشر شهراً في كل سنة فإذا فرغوا من الحج اجتمعوا عليه، فأحل لهم المحرم وجعله في مكان صفر من العام السابق، ثم

في كل عام ينقل المحرم إلى محل صفر في العام السابق، فلا يزال هكذا ينتقل المحرم في الشهور، والشهور تنتقل بانتقاله، فيصير الشهر الحلال حراماً والشهر الحرام حلالاً، فلا يزال كذلك إلى أنْ يرجع المحرم إلى محله في الدورة الأولى، ثم يحدث له دورة ثانية وثالثة وهكذا، فما زالت عادة الرؤساء والعرب على هذا المهيع والشهور كلها تحسب بذلك الحساب لا يتخطاها أحد إلى أنْ كانت الحجة التي قبل حجة الوداع حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس بعثه ﷺ ليحج بالناس، وقد حج المسلمون والمشركون وقد حج بالناس رئيس النساة كان يركب على حمارته ويجيز بالناس في الحج، فيقتدون به في كل ما فعل، وقد حج على حمارته تلك أربعين سنة وكانت تلك الحجة في ذي القعدة، وهي المسماة بذي الحجة عندهم، وأحل لهم الشهر الذي يليها وهو المحرم في عادتهم، والشهر الذي أحله في عادتهم هو شهر ذي الحجة المقرر عند الله تعالى في الغيب وهو عندهم المحرم عادة، فأحله لهم ونقله إلى شهر صفر، وجعله هو المحرم عندهم، وذلك المحرم في تلك السنة هو الشهر المحرم عند الله تعالى في الغيب، وتابعته الشهور في ذلك العام على سنته كل شهر في محله المسمى به في الغيب عند الله تعالى، فحج ﷺ في العام الذي بعد أبي بكر وقد كان شهر ذي الحجة في ذلك العام جاء في محله المقرر عند الله تعالى في الغيب حيث كانت الشهور كلها في محلها وقد كان ﷺ في السنة التي حج فيها أبو بكر بالناس حج الناس مختلطين مؤمن ومشرك وبعد أيام من سفر الحجاج من عنده ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسورة براءة، ليقرأها على الناس في الموقف وأنّ لا يحج بعد هذا العام مشرك، ﴿إنّ الله بريء من المشركين ورسوله﴾[التوبة: ٣] إلى آخر ما ذكره الله تعالى من الأحكام المقررة في تلك السورة وقرأها على الناس بالموقف ووقع النداء بعدها في الموقف أنْ لا يحج بعد هذا العام مشرك، وأخبرهم فيها أنّ النسيء زيادة في الكفر من تبديل الشهور، وتصير الشهر الحرام حلالاً، والحلال حراماً والسنة ثلاثة عشر شهراً في كل سنة، فأنزل الله تعالى في هذا الأمر في سورة براءة ﴿إنّ عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله﴾، [التوبة: ٣٦] ثم استمرت الآية إلى أنْ ذكر الله سبحانه وتعالى ما أسسوه في دينهم من قوله تعالى: ﴿إنّما النسيء زيادة في الكفر﴾التوبة: ٣٧]، وكان رئيس المشركين حج في ذلك العام ونقل شهر المحرم على عادته إلى شهر صفر وكان صفر الذي نقل إليه المحرم هو المحرم الأصلي ووقعت الشهور بعده في أصولها، وحجّ ﷺ في العام الثاني، فطابقت حجته ﷺ شهر ذي الحجة الأصلي، ولما علم ﷺ ما اعتادته العرب من تبديل الشهور، ونقلها عن أماكنها إلى غيرها قال لهم ﷺ حين فرغ من الحج: **«ألا وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»** يريد بذلك ﷺ أنّ الشهور كلها رجعت إلى أصولها الأولى بصيرورة كل شهر في مكانه

الذي قرره الله تعالى فيه يوم خلق الله السموات والأرض، ونهى ﷺ عن النسيء في الشهور التي كانت تعتادها العرب، وأبطله وترك الشهور في أماكنها إلى يومنا هذا، فهذا معنى الحديث والسلام.

(ثم اعلم) أنّه لم يكن في الأمم الماضية قبل نوح عليه الصلاة والسلام كفر وقد بعث الله قبله رسلاً كثيرين جداً لتقويم الأحكام الإلهية مع الإيمان، فكانت الأمم تهلك بعصيانها لرسلها بتحدي الأحكام في الأفعال فقط دون الإيمان إذ لا كفر فيهم، إنما كانوا ينهون عن أمور محرمة عليهم، فيتخطون الحد فيها فيهلكهم الله مع إيمانهم، فكان أول رسول بعث إلى الكفرة هو سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام، وكان قومه يعبدون الأوثان، فبعثه الله إليهم بتفريد العبادة لله تعالى، وترك ما يعبد من دونه، فكذبوه وكفروا به وسرمدوا على عبادة أوثانهم، فأهلكهم الله تعالى كما ذكر في الطوفان وكان من جملة أوثانهم: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان سبب عبادتهم لهؤلاء الخمسة أنّ الأسماء هذه كانت لرجال صالحين قبل نوح عليه الصلاة والسلام، وكانوا معظمين عند العامة لقيامهم بأمر لله تعالى فما زال تعظيمهم بعد موتهم يعظمهم العامة غاية، ويتشفعون بهم إلى الله تعالى في الأمور، فسول لهم الشيطان وقال لهم لو عبدتموهم ليكونوا لكم شفعاء عند الله تعالى ومقربين لكم إليه لكان هو خيراً لكم، فعبدوهم على هذا المهيع وذلك قبل نوح عليه الصلاة والسلام، ثم استمر فيهم ذلك إلى أنْ هلكوا بالطوفان ولما كان أمرهم حين سول لهم الشيطان ما سول أنْ نحتوا بأيديهم وصوروا أوثاناً سموها بأسماء أولئك الرجال الصالحين، ثم عبدوها إلى أنْ هلكوا، فهذا سبب عبادتهم، وأمّا ما يسمع في العرب من أسماء هؤلاء الأوثان من بعدهم فإنّما سموها بأسماء أولئك الأوثان التي كانت في عهد سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام فقط، فهذا خبرهم، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه والسلام.

(وسُئل رضي الله عنه) عن معنى قوله ﷺ في الحديث «**كان جبريل يدارسني القرآن في كل رمضان مرة**» الحديث، ما معنى المدارسة؟ (فأجاب) رضي الله عنه بما نصّه قال: اعلم أنّ حقيقة المدارسة هي المفاعلة عند العرب، وهي أمر واقع بين شخصين، أو أشخاص كل واحد عامل في الآخر كالمشاركة والمشاطرة والمضاربة والمناقلة والمذاكرة والمحادثة إلى غير ذلك من ملابستها للمعاني أعني لفظة المفاعلة، وحقيقة المدارسة تطلق على التلاوة، وعلى المساءلة والبحث في معاني الأمر المتلو يقول ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ حفتهم السكينة**» إلى آخر الحديث، فهذه المدارسة وهي البحث في معاني القرآن والتماس غرائبه قال سبحانه وتعالى: ﴿ولكنْ كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾

[آل عمران: ٧٩] فالمدارسة هي البحث في معاني الكتب، كل من المتدارسين يستفيدون مع الآخر وكون ذلك الأمر في رمضان لأنّ رمضان محل فيوضات مواهب الحق سبحانه وتعالى، ومحل فيوضات رحمته الإلهية، ومن جملة ذلك فيوض الأسرار والعلوم والمعارف والأنوار على قلوب الصديقين في رمضان ما لا يجدونه في غيره، ولذا خصت المدارسة في رمضان لما يفيضه الحق من الأسرار والمعارف والعلوم والمواهب والأسرار على قلوب كل واحد منهم فكل واحد منهما يستفيد من الآخر ما لم يكن عنده، فهذا هو المعنى الأول، والمعنى الثاني أنْ يكون كل منهما يتلو على الآخر القرآن، وهو يسمع له، فيستفيد السامع من القارىء بسبب الاستماع علوماً وأسراراً وكذا القارىء يستفيد من السامع له علوماً وأسراراً، فكل منهما قارىء ومستمع وكل منهما مستفيد ومفيد، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه والسلام.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى قوله ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»، (فأجاب رضي الله عنه بقوله:) اعلم أنّ الله تبارك وتعالى من محض فضله وجوده وكرمه يغفر من الذنوب العظام بالكرب والشدائد والمصائب ما لا يغفره بكثرة الأعمال الصالحات حتى يتمنى العبد يوم القيامة أنّه لم يصف له وقت من الأوقات، فإنّ الله إذا عرض على العبد أعماله في صحيفته يقرأ ما فيها من الذنوب، فإذا وجد في صحيفته كرباً ألّم به يقول سبحانه وتعالى: «بهذا الكرب غفرنا لك ما تقدم من ذنوبك وأعطيناك عليه كذا وكذا»، ثم يمضي قارئاً يقرأ ذنوبه كلما مر بكرب من الكروب في صحيفته يقول له: «غفرنا لك ما تقدم من ذنوبك وأعطيناك عليه كذا وكذا من الثواب» إلى آخر صحيفته حتى يتمنى أنّه ما صفا له وقت من الدنيا، وهذا هو مظهر الحديث في قوله ﷺ: «**عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل وهم أصحاب الكروب والشدائد**»، وهذا مصداق قوله ﷺ: «**حفت الجنة**» الحديث، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

الفصل الثالث: في إشارته العلوية وحل مشكلاتها بعبارات وهبية

اعلم أنّه وردت أسئلة على سيدنا رضي الله عنه وأرضاه، ومتعنا برضاه، فأجاب عنها منها قوله:

تطهر بماء الغيب إنْ كنت ذا سر ... وإلاّ تيمم بالصعيد وبالصخر

وقدم إماماً كنت أنت أمامه ... وصل صلاة الفجر في أول العصر

فهذي صلاة العارفين بربهم ... فإنْ كنت منهم فانضح البر بالبحر

قال رضي الله عنه: اعلم أنّ ماء الغيب الذي أشار إلى التطهير به هو الفيض الأكبر

الفائض من حضرة القدس الذي هو حضرة اللاهوت، ويعبر عنه عند العارفين بالفتح فإنّ تسميته بالفتح فيه تسامح فإنّ الفتح هو زوال الحجب الحائلة بين العبد وبين حضرة القدس، وهي مائة ألف حجاب وخمس وستون ألف حجاب، وزوال هذه الحجب بأسرها هو الفتح لأنّه فتح عن انغلاق، فإنّ العبد قبله كان بمنزلة من انحصر في بيت غليظة الحيطان والسقف ليس فيها منفذ للضوء من الطيقان لا قليل ولا كثير، ومن ورائها بيوت مضروبة فوقها وحولها كل بيت منغلقة ما فيها من الطيقان ومثل البيوت المترادفة على البيت الذي فيه العبد مائة ألف بيت وخمس وستون ألف بيت كل بيت لا منفذ فيه للضوء، والعبد منحصر في هذا البيت لم ير إلاّ ظلاماً فإذا انهدمت البيوت كلها دفعة واحدة، فذلك مثال الفتح والفيض الذي يرد عليه بعد الفتح بمنزلة ضوء الشمس إذا انهدمت البيوت المضروبة عليه بالنهار، ورأى الشمس طالعة صاحية فلا شك أنّه لا يبقى معه شيء من الظلام، لإشراق ضوء الشمس عليه بالفيض الوارد عليه بعد الفتح من حضرة القدس عند دخوله في ذات العبد يتطهر بسببه من جميع الأخلاق والأوصاف والنعوت البهيمية والطبيعية والشيطانية، مثل الكبر والعجب، أو التصنع والميل لغيره والرياء لله تعالى، وحب الدنيا ونسيان الآخرة، والكذب والبهتان والخداع والمكر وحب المحمدة وبغض المذمة إلى غير ذلك من الأوصاف والأخلاق المذمومة المذكورة في كتب أهل الشرائع الظاهرة، فعند ورود ذلك الفيض على العبد يتطهر من جميع الأوصاف المذكورة ولا يبقى فيه من الأوصاف لا قليل ولا كثير، يهدمها عيناً وأثراً وبسبب ذلك الفيض يتصف بأضداد الصفات الممحوة من صفات الملائكة والروحانيين والنبيين، ويصير بسبب ذلك كأنّه من جنس الملائكة بما فيه من حب الله وحب رسوله لذاته والقيام بالآداب مع الله، ومحو التعلق بغير الله والزهد في كل ما سوى الله، ونسيان الدنيا وأحوالها، ونسيان الآخرة ونعيمها والحب في الله والبغض في الله إلى غير ذلك وهي كثيرة، ولما كان هذا الفيض متى ورد على العبد لا يبقى من أوصافه المذمومة لا عيناً ولا أثراً ولا يتأتى أنْ يرد على العبد وتبقى فيه بقية من تلك البقايا، فلذلك حضّ الطالب على التطهير بماء الغيب الذي هو الفيض الأقدس لأنّه لا يبقى من المذمومات لا قليلاً ولا كثيراً، فهذا ماء الغيب الذي حثّ الطالب عليه وأمره بالتطهير به لأنّ ذلك التطهير لا يماثل التطهير الذي يكون بتعمل للعبد، فإنّ التطهير الذي يكون بتعمل العبد يدخله الخلل والنقص من حيث ملاحظة العبد لعينه ورؤيته لعمله، ولأجل هذا لا يكون ذلك التطهير موفياً بالمقصود، وأمّا التطهير بالفيض الأقدس فإنّه يأتي قهراً عن تجلي إلهي لا مدخل فيه للعبد يهدم قواعد الرسوم البشرية، ويخرج العبد عن ملاحظته ورؤيته وإدراكاته، ويلقيه في بحر فناء الفناء، ويقذفه في البحر الأعظم والسر الأكبر المشار إليه بقوله ﷺ **«إنّ الله خلق آدم على صورته،**

ويقذفه في بحر»، قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: **«لم تسعني أرضي ولا سمائي، ويسعني قلب عبدي المؤمن»**، ومعاني هذين الحديثين لا تدرك باللفظ ولا تكشف العبارة عن معانيهما شيئاً، وإنّما هي أسرار عاليات وفيوض أقدسيات يهبها الله لمن أحبه واصطفاه من عباده، فيدرك أسرار هذين الحديثين ذوقاً حقيقياً وإدراكاً يقينياً لا يحتاج فيه إلى العبارة ولا يفتقر فيه إلى الرموز بالإشارة وبسبب ذلك يكون عارفاً بالله كاملاً وعبداً محضاً خالصاً، وأدرك بسبب ذلك التجلي الأكبر الذي لا حد له ولا غاية وأحاط العبد بعينه وعرف بسبب ذلك وجود الدنيا والآخرة، ولماذا وجدت وماذا يراد بهما؟ وهذا الفيض هو التطهير الكامل الذي من عثر عليه قيل فيه عبد واصل.

وقوله **«إنْ كنت ذا سر»** معناه: تطهر بهذا التطهير الأقدس المعبر عنه بماء الغيب إنْ كنت ذا سرٍ، فإنّ هذا الفيض الأقدس والفتح المتصل به لا يرد إلاّ على أهل الأسرار لا لمن عداهم، والسر ههنا هو فيض من الأنوار الإلهية يرد على العبد قبل الفتح إذا سرى في ذاته وقلبه حمل الذات على طلب الحق ومتابعته ومنعها من الباطل ومتابعته عملاً وحالاً، فالمراد بقوله إنْ كنت ذا سر يعني أنّه لا يرد على العبد ما ذكر من الفتح والفيض الأقدس إلاّ إذا ورد عليه السر المذكور قبله، وإنْ لم يكن ذا سر فلا مطمع له فيما ذكر من الفتح والفيض الأقدس، ولذا قال الناظم: «وإلاّ تيمم بالصعيد وبالصخر» أشار بالصعيد والصخر إلى ظواهر الشرع التي يكون التطهير بها بتعمل العبد وتكلفه على حد من فقد الماء للوضوء صرفه الشارع إلى التيمم نيابة عن الماء، ومعلوم أنّ طهارة التيمم ليست كطهارة الماء، وإنّما تجوز بها للضرورة ولفقد الماء الذي هو غاية المراد. كذلك قال الناظم للطالب: إنْ كنت من أرباب الأسرار فتطهر بماء الغيب، لأنّه التطهير الكلي الموفي بغاية المقصود، إذْ بسبب هذا التطهير يكون العبد ملكياً ربانياً وعبداً محضاً إلهياً، وحصل على التجلي الإلهي إذا تجلى له الجبار من أستار غيبه، فقد قال بعض الأكابر: إذا تجلى الله لعبد ملكه جميع الأسرار وألحقه بدرجة الأحرار، وكان له تصرف ذاتي وهذا العبد هو الذي عبر عنه أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه بقوله لما سُئل عن المحب قال: «هو عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقه ناظر إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هويته وصفا شرابه من كأس وده وتجلى له الجبار من أستار غيبه»، وهذا العبد هو الذي يكون قلبه معبراً عنه بالبيت المحرم يحرم على غير الحق دخوله وكل هذا أوصله إليه التطهير المذكور، وإنّ لم تكن أيها الطالب من أرباب الأسرار، فتطهر بالصعيد وبالصخر كالذي فقد الماء ونزل للتيمم وهذا التطهير بالصعيد وبالصخر هو المعبر عنه بقوله ﷺ: **«تخلقوا بأخلاق الله»** وبقوله ﷺ في الحديث القدسي مخبراً عن الله تعالى: **«هذا دين ارتضيته لنفسي، ولمن أحب، ولن يصلحه إلاّ السخاء والتكرم فأصلحوه بالسخاء**

والتكرم ما صحبتموه»، وقوله ﷺ: «**إنّ الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها**»، وقوله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قالوا: إنّا نستحي، والحمدلله قال: ليس ذلك كذلك، ولكن الحياء أنْ تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى وتذكر الموت والبلى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء إلى غير ذلك من الأحكام المتفرقة في الأحاديث النبوية والآيات القرآنية، فعلى العبد ملازمتها والدؤب على ما يقدر عليه منها بدوام معانقة الذكر معها، ونعني بالذكر الذي يكون بتلقين شيخ واصل لا الذي يأخذه العبد باختيار»، مع دوام استناد بالقلب إلى شيخ كامل، فإنّ بدوامه على هذه الأمور يصل العبد إلى أنْ ينازله السر الرباني الذي بسببه، يصل إلى التطهير الأكبر المذكور أولاً الذي هو غاية الغايات ومنتهى الرغبات، المعبر عنه في الإشارة عن الله يقال عنه: «من كشفت له عن صفاتي ألزمته الأدب ومن كشفت له عن ذاتي ألزمته العطب»، وهذا العطب هو غاية منتهى الأرب، ومنتهى مطلب العبد فإنّ هذا العطب هو محل الاستهلاك والمحق، حيث يسلب العبد من أوصافه البشرية ويلبس خلعة الاتصاف بالأوصاف الربانية، ويكون عين العين حيث ينمحق الفرق والبين، وهذا هو المعبر عنه بجمع الجمع، فهذا معنى قوله: «وإلاّ تيمم بالصعيد والصخر».

وقوله: «وقدم إماماً كنت أنت أمامه» معناه اعلم أنّ الإمام الذي يلزم تقديمه ههنا يصح أنْ يقال فيه هو الشارع ﷺ، ويصح أنْ يقال فيه هو العقل، فأمّا إنْ قلنا هو الشارع ﷺ، فمعناه حيث وصلت أيها العبد إلى التطهير بماء الغيب المذكور وحصلت على غايته، وأردت الصلاة لربك فقدم الإمام الأكبر والقدوة العظمى الأشهر واقتد به في حضرة ربك لكونك شاهدت حقيقته ﷺ هي الواسطة بينك وبين ربك، ولم يصل إليك خير إلاّ منها، ولا مطمع لك في وصول خير من ربك خارجاً عن دائرتها، ومعنى قدمه تأدب بآدابه والتزم متابعته، واجعله قبلة وجهك وتوجهاتك ليحصل لك بذلك الرضا من ربك، وقوله «كنت أنت أمامه»، فإنّك قبل هذا التطهير كنت متقدماً على الشارع ﷺ ظلماً وعدواناً تحكم لنفسك بهواك، ولا تسعى إلاّ في متابعة مرادك، ولا يكون لك ولوع إلاّ بإرضاء نفسك بعيداً عن الحضرة الإلهية ومتنائياً عن الاتصاف، بالأوصاف الروحانية، وغريقاً في بحر الظلمة بما بعدت عنه من الأنوار الرحمانية، لا تلم بأحكام الشارع ولا تلتفت إليها لغلبة الهوى عليك وسريان اسمه في كليتك، فأنت في الحقيقة عبد مشرك بالله لكونك نصبت نفسك إلهاً تعبدها من دونه، فقد قال ﷺ في هذا المعنى: «**ما تحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هو متبع**»، فلذا عبر الناظم بقوله: «كنت أمامه» إذ لو كنت خلفه متبعاً له لم تخالفه بمتابعة هواك، ورضاك عن نفسك وسعيك في مرضاتها ومحابها، وهربك من مكارهها ومضارها، وإنْ كان في ذلك سخط ربك، وهذا هو التقديم بين يدي الشارع ﷺ المصرح بالنهي عنه في قوله سبحانه

وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات: ١]، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء: ٥]، فهذا معنى قوله: «كنت أنت أمامه»؛ وإنْ قلنا الإمام الذي تقدم هو العقل، والعقل ههنا هو العقل الرباني المستتر في حضرة الغيب الذي كان صفة للروح أولاً قبل التركيب في الجسم، فإنّه كان للروح بمنزلة البصر للعين كما أنّ البصر تنكشف به حقائق الأشياء الظاهرة في العين، كذلك العقل الرباني الذي كان وصفاً للروح قبل التركيب في الجسم تنكشف به حقائق الأشياء الباطنة، وتعرف به حقيقة الحق والباطل باطلاً بلا حقيقياً وكشفاً يقينياً لا تلتبس عليه الأمور، ولا تدهشه معضلات الفتن فهو القسطاس المستقيم بين كفتي الحق والباطل يعرف به كيفية الموازنة للأشياء، ووضع كل شيء في كفة الحق أو في كفة الباطل، ويعرف به صورة الترجيح بين الأشياء والمعادلة، وهذا العقل الرباني يأخذ العلم عن الله بلا واسطة لا يحتاج إلى تعليم معلم ولا إخبار مخبر؛ بل كل ما أراده من العلم أخذه عن الحق بلا واسطة، وهذا هو العقل الذي يجب تقديمه.

ثم إنّ مراتب العقل ثلاثة، الأول: هو العقل الرباني الذي هو محض النور الرباني المتصف في باطن حقيقة الروح، فهو الهادي والمبلغ إلى الغاية ولا يصل إلى هذا العقل إلاّ العارف بالله الكامل، والمرتبة الثانية في العقل: هو العقل الكلي الذي استتر بقشور من الظلمة الخفية فانكشفت له حقيقة الأشياء الكونية ظاهراً وباطناً، والفرق بينه وبين العقل الأول؛ أمّا العقل الأول فتنكشف له الأشياء ظاهراً وباطناً ويعاين أسرار الحضرة القدسية، ويجلس على كرسي السلطنة العظمى، ويحكم في جميع الأشياء بما يريد، فتنفعل له ولا يستعصي عليه شيء، وأمّا العقل الثاني الذي هو العقل الكلي فإنّه احتجبت عنه الحضرة الإلهية بحجب كثيرة، ولم يحط بشيء من أسرار الحضرة القدسية، إلاّ أنّه انكشفت له حقائق الكون الظاهرة والباطنة لكن بنور إلهي قذف فيه، فتحكم في الأشياء بما يريد تارة ينفذ مراده وتارة يستعصي عليه مراده، وعرف موارد الأمور ومصادرها من مظاهر الكون لا من باطن الحضرة القدسية، فإنّ المعرفة التي تأتي عن باطن الحضرة القدسية بحقائق السكون ظاهراً وباطناً، والمعرفة التي تأتي من ظاهر الأكوان الغيبية الظاهرة بينهما بون بعيد، والعقل الكلي في هذه المرتبة يزن الأشياء بالقسطاس المستقيم فيعرف الأشياء وعواقبها، وما تؤول إليه فهو من أكبر المطالب وأعلاها، وإنْ كان قصر به الأمر عن بلوغ رتبة العقل الرباني فإنّه يفيده إفادة عظيمة وله علوم ومعارف جسيمة، إلاّ أنّها في صور الأكوان فقط، وهذا العقل يشترك فيه المؤمن والكافر، فقد يؤتى هذا العقل الثاني بعض الكفرة بدوام مخالفتهم لهوى نفوسهم، وارتقابهم للحضرة الإلهية، ولا يغني عنهم شيئاً

لعدم الإيمان لكن يظهرون بخواصه أي العقل الكلي في الدنيا من كشف بعض الغيوب والتصرف في بعض الخواص والأسرار ونفوذ الكلمة في كثير من الأمور، ولكنه استدراج لهم إلى ما يريد بهم من إهلاكه لهم في الآخرة عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه.

والمرتبة الثالثة في العقل، وهي أحط المراتب وأسفلها: هو العقل المعاشي الذي يدبر أمر الدنيا وظواهرها من الشهوات والعكوف عليها وحب الراحات، والانهماك في متابعة الهوى والفرار من كل ما يناقض هذه الأمور، وهذا العقل يشترك فيه الآدمي والبهائم؛ والعقل الذي يجب تقديمه هو العقل الأكبر الرباني الذي هو من وراء العقل الكلي.

وقوله: «قدمه» لأنّ هذا العقل يدعو إلى كمال التعلق بالله تعالى وكمال الطهارة من كل ما سوى الله تعالى عيناً وأثراً تعلقاً ومساكنة وملاحظة واستئناساً وإرادة، ولذا يجب تقديمه لأنّه يجذب متبعه إلى حضرة الله تعالى محضاً بكمال الطهارة من كل ما سواها، فلذا يجب تقديمه ومتابعته. وقوله: «كنت أنت أمامه» يشير إلى حالة الشخص حيث كانت البشرية مستوية عليه لا يسعى إلا في متابعة هواه نصب عينيه، وإماماً يقتدى به ونبذ العقل الرباني وحكمه وراء ظهره، فلذا كنت أمامه.

وقوله: «وصل صلاة الفجر في أول العصر» معناه صل صلاة كصلاة الفجر في أول العصر، الفجر ههنا هو فجر إيجاد الأرواح حيث بزغت شمسها من حضرة العدم إلى حضرة الوجود واشتق له اسم الفجر لأنّ ضياء الأرواح الذي هو عين الوجود بزغ من ظملة العدم كبزوغ الفجر من ظلمة الليل، وقوله: «في أول العصر» عمر الأرواح من أول نشأتها يشير إلى حالة الروح، وما كانت عليه من كمال الطهارة والصفاء، وكمال معرفتها بالله تعالى، وكمال حبها لذاته ونسيانها لكل ما سوى الله تعالى وعكوفها على خدمته والأدب بين يديه ودؤبها طبيعة جبلية على تعظيمه وإجلاله غير مبالية بغيره، فهذه كانت حالة الروح في أول نشأتها الذي هو أول عصر عمرها وهو انشقاق فجر إيجادها. يقول الناظم: أيها الطالب إذا صليت لله تعالى فصل صلاة كصلاة الأرواح في أول عصر عمرها عند انشقاق فجرها حيث كانت تامة المعرفة بالله تعالى على الحالة المذكورة آنفاً، فإنّ ذلك هو اللائق بالحضرة الإلهية لا غير، فإنك متى مر بقلبك في الصلاة غير الله تعالى، فما أنت بمصل، ولا هي صلاة العارفين، بل صلِ صلاة العارفين على حالة الروح في أول نشأتها المذكورة أولاً، فلذا قال الناظم: «فهذي صلاة العارفين بربهم»، ويوجد في بعض نسخ هذه الأبيات «وصلِ صلاة الظهر في أول العصر» أشار بالظهر إلى أول ظهور الأرواح من ظلمة العدم إلى ضياء الوجود في أول عصر عمرها وهو المعبر عنه بالفجر، فلذا قال: «فهذي صلاة العارفين بربهم» لأنّ العارف إذا قام إلى الصلاة نبذ الوجود كلاً من وراء ظهره، وأقبل على الحق بكليته ظاهراً وباطناً، فلا محبة عنده ولا تعظيم ولا إجلال ولا

اعتبار ولا وجود ولا وهم ولا حس إلاّ الله سبحانه، مثل حالة الروح كما ذكرت أولاً، وقوله: «فإن كنت منهم» أي من العارفين، «فانضح البر بالبحر» معناه البر ظواهر الشرع من المأمورات التكلفية التي هي القيام فيها لله تعالى عبادة وعبودية وعبودة.

وقوله: «بالبحر» هو بحر الحقيقة يشير إلى أنّك لا تفعل فعلاً من المأمورات التكليفية شرعاً إلاّ وأنت تشاهد الحق أمامك، ومحيطاً بك وناظراً إليك، وأنّك في قبضته وفي حضرته، وقدرته هي المحركة لك والمسكنة، وهذا الشهود ليس اعتقاداً بل عينياً حقيقياً وإدراكاً يقينياً بثمرة صفاء الأحوال، ويعطيه كمال التحقيق في مقامات الإنزال ولا إدراك فيه للمقال، فهذا الأمر هو المعبر عنه بنضح بر الشريعة ببحر الحقيقة والسلام. والفرق بين العبادة والعبودية والعبودة؛ أمّا العبادة فهي القيام بأمر الله في مقام الإسلام صاحبها لا حضور له مع الله إلاّ نزر قليل بكد شديد، والعبودية هي القيام بأمر الله في مقام الإيمان وصاحبها يكون حاضراً مع الله أولها من وراء ستر كثيف، وآخرها من وراء ستر رقيق، والعبودة هي القيام بأمر الله في مقام الإحسان، فإنّ صاحبها لم يكن في عينه وجود إلاّ الحق سبحانه وتعالى، وهو يرى الحق عياناً بعين بصيرته ونور يقينه. قال ابن عطاء الله: «شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك فناءك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لإفناءك ولا وجودك»، فشعاع البصيرة هو نور العقل، وعبادة صاحبها هي المعبر عنها بالعبادة، وعين البصيرة هو نور العلم، وعبادة صاحبها هي المعبر عنها بالعبودية، وحق البصيرة هو نور الحق، وعبادة صاحبها هي المعبر عنها بالعبودة والسلام. وقوله: «فيما قدم» وألحقه بدرجة الأحرار، معناه الحر الذي تحرر من رقية الأغيار حباً وإرادةً وميلاً وتعظيماً واستئناساً ومساكنة وملاحظة وغرق في حضرة الجبار، فلا علم له بغيره ليس له مع غير الله سكون ولا قرار، ولا عن غير الله أخبار ويصير الخلق في عينيه كالأباعر على وجه الماء قال بعض الكبار:

أتمنى على الزمان محالا ... أنْ ترى مقلتاي طلعة حر

انتهى ما أملاه علينا شيخنا أبو العباس التجاني رضي الله عنه في شرح هذه الأبيات من حفظه ولفظه أواخر شعبان سنة ست ومائتين وألف والسلام، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

(وسألته رضي الله عنه) عن النفس والروح والقلب والسر، هل هم أسماء لمسمّى واحد أو كل واحد من ذلك على حدته؟ فإنْ قلنا أسماء لمسمّى واحد فما فائدة التعدد؟ وإنْ قلنا كل واحد من ذلك على حدته، فالخطاب إنّما هو للروح، وهي التي تتنعم وتذوق ألم العذاب، بيِّن لنا بياناً شافياً والسلام على سيدنا وأستاذنا ورحمة الله وبركاته؛ (فأجاب رضي الله عنه بما نصّه) قال: اعلم أنّ هذه الأسماء المتعددة إنّما هي لمسمى واحد لا

تعدد فيها، وإنّما تتعدد أسماؤها أي الروح لتعدد مراتبها، وبيان ذلك أنّ الله تبارك وتعالى خلق الروح الإنساني من صفاء صفوة النور الإلهي وأنشأها من فيض العما الرباني، وأسكنها محل الروح لم تزل فيه كاملة المعرفة بالله تعالى مستقرة في محبته ووحدانيته عارفة بأسمائه وصفاته، لا تلتفت لغيره ولا تبالي بسواه، فلم يزل على هذا في غاية الصفاء، وفي غاية البعد عن فهوم العقول، ثم أسكنها قارورة الجسم الإنساني اكتسب الجسم بحسب استقرارها فيه حياة وإدراكاً وتكون في الجسد بحسب الروح نفساً، وهي البخار اللطيف، الحالم لقوة الحياة اجتماع الروح والجسد، فإن افترقا انعدم وجوده أي النفس وهو البخار اللطيف، وهذا الشيء المعبر عنه بالنفس هو منبع الأخلاق الذميمة والأوصاف الفاسدة السقيمة ما دام حكمه مستولياً على العبد، فالروح أسير في يده لا يسعى إلاّ في مرضاته وهو في غاية الهلاك والبعد عن الحضرة الإلهية على قوة نورانية الروح بسبب استقراره في الجسم لما تلطخ بأدرانه وأوساخه واستولى عليه حكم النفس الخبيثة وصار فاسقاً عن أمر ربه، لأنّ ذلك آثار حكم الجسم، لأنّ الجسم متكون في محل الظلمة وهو الماء والتراب وكان في غاية الكثافة، والروح من صفاء صفة النور الإلهي غاية الصفاء والتجوهر فهو أصفى الجواهر وأعلاها واكتسبت الروح الظلمة في عالم الجسم، فما دامت الروح ميالة إلى المعاصي والمخالفات ومتابعة الهوى تسمى في هذا المقام النفس الأمارة بالسوء، فإذا طرأ عليها من الأنوار الإلهية ما يخرجها عن بعض ما كانت متصفة به من المعاصي والمخالفات بوجود التوبة، أخذت في توبيخ نفسها ولومها لذاتها عما فرطت فيه من الحقوق الإلهية، وتأخذ نفسها بالزجر والتوبيخ الشديد للرجوع إلى باب الجواد الكريم، فهي في هذا المقام تسمى النفس اللوامة لأنّها تلوم نفسها على ما فرطت فيه من حقوق الله تعالى، ثم إذا طرأ عليها من الأنوار الإلهية ما يقضي بإخراجها عن كثائف المعاصي والمخالفات المعبر عنها بالكبائر، وبقي عليها لطائف المخالفات ودقائقها، تسمى في هذا المقام قلباً لأنّها شمت رائحة الحضرة القدسية، وتارة يهزها شم تلك الروائح القدسية فتحن شوقاً إلى ما كانت عليه من وجودها الأول، وتارةً تغلب عليها كثافة ظلمات طبيعتها الجبلية المكتسبة من استقرارها في الجسم، فتحن إلى مقتضيات شهواتها ومتابعة هواها، فلتقلبها بين هذين الأمرين سميت قلباً لأنّها تتقلب في حنين إلى الحضرة القدسية، والنهوض إليها ومن حنين إلى ظلمة طبعها من الشهوات والمخالفات، فتركن إلى التثبط بها، فلهذا سميت في هذا المقام قلباً لكثرة تقلبها، ثم إذا فاض عليها من الأنوار الإلهية من حضرة القدس ما يقضي بكمال طهارتها من جميع المخالفات كثيفها ولطيفها ودقيقها وجليلها، ورسخت قدمها في العمل لطاعة الله والتوجه إليه وسكن اضطرابها من ذلك تسمى في ذلك المقام النفس المطمئنة لكنها بقيت عليها من الميل

لغير الله، وإنْ كان حلالاً، وبقي فيها أثر الاعوجاج عن الاستقامة، وبقي فيها ضروب من التدبير والاختيار في مصالحها، ثم إذا فاض عليها من الأنوار الإلهية ما يقضي بهدم أبنية جميع اختياراتها ومألوفاتها بالرجوع إلى الله تعالى عارية عن كل ما سواه، فهي في هذا المقام تسمى النفس الراضية لكنّها بقيت فيها آثار من الأبنية التي تهدمت قبلها، وتلك الآثار كآثار الجروح إذا برئت فهي بتلك النسبة فيها كزازة عن حضرة الحق، ثم إذا فاض عليها من أنوار حضرة القدس ما يقضي بكمال طهارتها من آثار الأوهام وبخورات المحسوسات وقطع ذلك عيناً وأثراً وانمحق وجوده وانعدم شهوده، وهذا الفيض هو النور الأكبر المعبر عنه في اصطلاح العارفين بالفتح الأعظم فهي تسمى في هذا المقام بالنفس المرضية إلاّ أنّها انعدم منها الحس والإدراك، فلا علم ولا رسم ولا اسم إلاّ مشاهدة الحق بالحق في الحق للحق عن الحق، فهذا هو المعبر عنه بفناء الفناء؛ ههنا قد كمل رضا خالقها عنها، ولذا تسمى النفس المرضية، فإذا فاض عليها من أنوار حضرة القدس ما يقضي لها بتمييز المراتب، وتفصيلها ومعرفة خواصها واستحقاقها، وإحاطتها بمقتضيات المراتب ولوازمها جملةً وتفصيلاً تسمى في هذا المقام النفس الكاملة، ثم إذا فاض عليها من أنوار حضرة القدس ما يقضي بهدم بناء الإشارات، ودك محسوسات العبارات واتصفت بذلك ظاهراً وباطناً، ثم إذا فاض عليها من أنوار حضرة القدس بعد ذلك ما يقضي لها بما نسبته في الصفاء الأول في مرتبة الخلفاء كنسبة ضوء الشمس إلى الليل سميت في هذا المقام إخفاء لأنّها بعدت عن إدراك العقول وأفكار الفهوم، ثم بعد هذا هي دائمة في الترقي في المقامات بلا نهاية في طول عمر الدنيا، وفي مدة البرزخ، وفي الخلود الأبدي في الجنة لا ينقضي ترقيها ولا يتناهى، فهي في كل مقام ينكشف لها من صفات الله وأسمائه وأسراره وأنواره وفتوحاته وفيوضاته ما يكون بالنسبة للمقام الذي ارتقت عنه كالبحر للنقطة في الاتساع، وهكذا دائماً، وكلما ارتقت مقاماً اكتسبت بسبب فيوضه وتجلياته ومعارفه وعلومه وأسراره وفتوحاته، ما يكون نسبته لها في المقام الذي ارتقت عنه كنسبة ضياء الشمس إلى سواد الليل في الصفاء، ففي المقام الذي ترتقيه فوق مقام الإخفاء تسمى سراً لشدة بعدها عن مقام الإخفاء في المقام الذي فوق مقامها التي تسمى فيه سراً تسمى سر السر، وفي المقام الثالث بعده تسمى سر سر السر، وفي المقام الرابع تسمى سر سر سر السر أربع مرات وفي المقام الخامس تسمى فيه سر سر سر سر السر خمسة مراتب، وهكذا دائماً كلما ارتقت مقاماً تأخذ فيه أسماء السر إلى عشر مراتب في السر إلى مائة إلى ألف إلى ما لا نهاية له، وهكذا فتبين لك من هذا أنّ هذه الأسماء المتعددة إنّما هي لمسمى واحد هي الروح لا تغاير في المسمى وهو الروح، إنّما تغايرت أسماؤه لتغاير مراتبه كما ذكرنا وبالله التوفيق.

(وأمّا) قول السائل من المخاطب هل الروح، أو النفس أو الجسد الخ؛ (فالجواب:) أنّ المخاطب بالخطاب الإلهي التكليفي إنّما هي الروح لأنّها هي القلب، وهي النفس، كما قدمنا في مراتبها وليس الجسد هو المخاطب، وإنّما خلق مقراً للروح ومطية لها تركب عليه لتؤدي به الحقوق التي كلفها به خالقها، فهي المكلفة أي الروح وهي المأخوذ عليها الميثاق، وهي المثابة والمعذبة، وهي المنعمة والمنغصة، فلا ينالها عذاب ولا نعيم إلاّ بواسطة جسم بالاختيار إلهي فقط، فهي مركبة في هذا الجسم تعذب بعذابه، وتنعم بنعيمه وبعد الموت تركب في البرزخ في جسد آخر تدرك بسببه النعيم والعذاب، يشهد لذلك قوله ﷺ: «**أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر**»، وقوله ﷺ: «**إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة**» الحديث، والمراد بهذا التنصيف نصف النعيم في الجنة لأنّ كمال النعيم في الجنة باجتماع الروح والجسد، فلها نصف النعيم وله نصف النعيم، ولعدم تركبها في جسدها في البرزخ تتنعم بدونه في الجنة، فلها نصف النعيم وهو المعبر عنه في الحديث بنصف الجنة وهذا للعارف فقط وللشهيد، والباقي من المؤمنين محجورون عن السباحة في الجنة ليس لهم إلاّ أنْ تعرض عليهم مقاعدهم في الجنة بالغداة والعشي.

(وأما) السؤال عن المكالمة للعارفين في هذا المقام ا بس يسمعون كلام الذات المقدسة الذي هو المعنى القائم بها، فإنّ ذلك مستحيل بصريح الآية لقوله تعالى: ﴿وما كان لبشرٍ أنْ يكلمه الله إلاّ وحياً﴾ [الشورى: ٥١] ما عدا سيدنا موسى وسيدنا محمداً عليهما الصلاة والسلام سمعا المعنى القائم بذات الله تعالى، وأمّا المكالمة المعلومة للعارفين، فإنّه يخلق فيهم كلامه في الروح إذا صارت خفاء، أو أخفى أو سراً أو غير ذلك من المراتب يخلق في ذلك المعنى كلاماً يعني في الروح لا يشك أنّه من الله تعالى، فنسبة ذلك الكلام إلى الله تعالى نسبة الحادث إلى المحدث، ونسبة المخلوق إلى الخالق لا نسبة الكلام إلى المتكلم وينسب الكلام إلى الله تعالى ءي هذا المحل لكون ذلك المحل في ذلك الوقت لا يتطرق إليه غلط، ولا تخمين ولا فساد ولا غيره من وجود الخطأ، لأنّ الروح في هذا المحل يسمّى البيت المحرم لكونه حرم على غير الحق دخوله؛ ثم إنّ ذلك الكلام عند وروده على العبد مختطف عن دائرة حسه وشهوده وعلمه وسمعه وبصره، فلا يعقل إلاّ بالحق ولا يحس إلا بوجود الحق ممحواً وممحوقاً عن غيره يتدلى له في هذا التجلي من نور القدس، والسر السرمدي من الكلام ما يكون واسطة بينه وبين المعنى القائم بالذات، ويدرك له من الذات ما يدركه عند سماع المعنى القائم بالذات العلية: فيطلق عليه أنّه سمع كلام الله مثاله في الشاهد مثال النائم بأنّ يخبر النائم بالغيوب، ويوحيها إليه لا بعين التصريح، ولكن بواسطة مثال يلقيه إليه في النوم، فيقول له المعبر له في الرؤيا العالم بها: إنّ رؤياك تدل على كذا وكذا من الغيب أو الخبر، فالعلم

بذلك الغيب في النوم لم يكن للنائم بالتصريح، وإنّما جاء بواسطة مثال ألقاه الحق إليه، وألقى إليه من العلم بالغيب بواسطة ذلك المثال ما ألقى، فهكذا تلك المكالمة إنّما هي واسطة بين المكلم، وبين المعنى القائم بذات الله تعالى، وهذا المعبر عنه عند العلماء بالإلهام، فقد اتضح الجواب أتم الإيضاح وانكشف الغطاء، وليس في طاقه البشر أنْ يكلمه الله بلا واسطة إذ لو كلمه بغير واسطة لصار محض العدم فجعل الحق له واسطة بينه وبين المعنى القائم بالذات العلية يدرك منه معاني الكلام الأزلي، ومن هذا الباب أطلق عليه كلام الله تعالى.

(وأما) السؤال عن كون الروح عالمة لم يؤول إليه أمرها في العاقبة من سعادة أو شقاوة حين كانت في البرزخ قبل التركيب في الجسم؛ فالجواب: أنّها غير عالمة لما يؤول إليه أمرها لأنّها حين خلقها في البرزخ لا تدري لماذا خلقت ولا ماذا يراد بها؟ إلى أنْ ظهر أخذ الميثاق وحمل الأمانة، فعرفت حينئذٍ ماذا أراد بها تكليفاً، ولم تدرِ عاقبتها من سعادة أو شقاوة وبالله التوفيق.

(وأما السؤال) عن كون العارف بعد بلوغه المعرفة هل يرجع إلى مقامه الذي كان عليه قبل التركيب في الجسم، أو إلى أعلى منه أو أدنى الخ، (فالجواب) عنه: أنّه ليس بلازم أنْ يصل إلى مقامه الأول وأدنى أو أعلى، وإنّما المراتب لله تعالى في المعرفة يوليها عباده بحكم مشيئته أو اختياره، فالأذواق في ذلك مختلفة والمراتب متباينة وكذلك الإدراكات وليس للعبد في ذلك إلاّ ما ينزله بحكم مشيئة الله، واختياره لا نسبة للعبد في ذلك وبالله التوفيق.

(وأمّا) السؤال عن السلب للعارفين هل يقع لهم السلب من مقامهم أم لا؟، (الجواب): لا أمن لأحد من السلب لجميع العارفين إلاّ قطب الأقطاب وحده، أو لمن كان عنده الاسم الأعظم فقط، أو لمن ضمنه شيخ كامل والسلام.

(أما) السؤال عن حقيقة الإنسان ومم وجد الخ وما يراد به الخ، (الجواب): عن حقيقة الإنسان فهو مجموع الروح والجسد لا استبداداً لحقيقة أحدهما دون الآخر والله سبحانه وتعالى ما ذكر من حقيقة الإنسان إلاّ الجسد مثل قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [المؤمنون: ١٢] ومثل قوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] إلى غير ذلك من آيات القرآن، فإنّه كلما ذكر خلق الإنسان ما ذكر إلاّ صورة جسده، وأما روحه فقد كتم الله أمرها واستبد بعلمها عن خلقه حيث قال حين وقع السؤال عنها: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ ولم يزد في بيانها لاستبداده سبحانه وتعالى بعلمها، فهذه حقيقة الإنسان الظاهرة؛ وأمّا حقيقته الباطنة فهي مرموزة في قوله ﷺ **«إن الله خلق آدم على صورته»**، وقد أشار إلى هذا بإشارة لطيفة بقوله الإنسان حضرة كمال قُوبل بها

حضرة الجمال حوت سر الإله بأسره، وقد قال في الفتوحات: ما صفة آدم؟ قال: إنْ شئت قلت صورة الحضرة الإلهية، وإنْ شئت قلت مجموع الأسماء الإلهية، وأمّا السؤال عما يراد من الإنسان، المراد منه مظهر صفات الحق، فإنّه وقع فيما سبق على ما أخبر به بعض أهل الكشف أنّ الله خلق الروح طوله تسعمائة سنة وثمانون ألف سنة، وعرضه كذلك وتركه في تربيته يلاطفه بعواطف بره وامتنانه، وإظهار آثار محبته له، فقام في هذه التربية، فلما ذاق ألم الفراق اشتكى، وقال: إلهي وسيدي ومولاي لا أطيق هذا الفراق فقال له ربه سبحانه وتعالى: «ما خلقناك لتكون مُريداً لنفسك، وإنّما خلقناك لنظهر فيك سر وحدانيتنا» هذا الذي يراد من الإنسان، ولهذا خلق له باطناً، والذي خلق له ظاهراً قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهذا خطاب في عالم الحكمة، والخطاب في عالم المشيئة باطناً هو ما سبق في العبارة، والمراد من الإنسان في كل وقت هو ما أجاب به الجنيد رضي الله عنه حين سُئل ما مراد الله من العالم قال: «ما هم فيه» أراد أنه لذلك خلقهم، وليس المراد بالجواب أنّه ليس إلاّ صورة التقلبات والحركات بل المراد من كلام الجنيد أنّ جميع تحركات العالم وتقلباته وقصوده وخواطره كلها مظاهر الألوهية لأنّها آثار الأسماء والصفات، ومن هذا المعنى يقول: من قال من العارفين ما في الكون كله إلاّ الكمال ما فيه صورة نقص أصلاً لأنّ تلك كمالات ألوهية إنّما النقص فيها أمر نسبي وفي الحقيقة ما ثم إلاّ الكمال لأنّها كمالات ألوهية، ثم قال رضي الله عنه: فكل من بلغ المعرفة عثر على هذه الحقيقة لا محالة، وبالله التوفيق، انتهى ما أملاه علينا شيخنا وأستاذنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه، وسميت هذا التقييد بإشارة من سيدنا رضي الله عنه «بالدر النفيس في الفرق بين الروح والنفس من غير تلبيس» وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه) عن مسائل، منها قوله عليه السلام: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»، ومنها قول أبي العباس المرسي: «لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين»، ومنها: «خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله»، (الجواب:) والله الموفق بمنه وكرمه للصواب أما ما ذكرت من الحديث وهو «علماء أمتي الخ» فليس بحديث نص عليه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، وسأل صاحب الإبريز شيخه رضي الله عنه، فقال له: ليس بحديث وذكره من جهة الكشف لأنّه لا دراية له بعلم الحديث، وقوله حجة على غيره لأنّه قطب رضي الله عنه كما صرح به صاحب الإبريز المذكور، وأمّا المسألة الثانية فليس فيها نص قول المرسي كما ذكره السائل وتحقيق قول المرسي منذ أربعين سنة ما حجبت فيها عن الله طرفة، ولو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين، (والجواب) عن هذا أنّ هذه

الخصوصية ليست للمرسي وحده، وإنّما هي لقطب الأقطاب في كل وقت منذ جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه وبين رسول الله ﷺ حجابية أصلاً وحيثما جال رسول الله ﷺ من حضرة الغيب، ومن حضرة الشهادة إلاّ وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات، أما المسألة الثالثة وهي «خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله»، فهي من كلام أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه وليست من كلام المرسي كما ذكرت، والجواب عنها: اعلم أنّ الأصل الأصيل الذي لا محيد عنه، ولا بد لكل مؤمن من اعتقاده ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الإيمان، هو أنّ الحق سبحانه وتعالى تجلى بعلو كبريائه وعظمته وجلاله وعموم صفاته العلية وأسمائه وخصوصها، وإنّ ذلك التجلي ليس هو في كل شخص كما عند الآخر، ولا قانون واحد ولا على كيفية مضطردة بل البصائر فيه متفاوته وأسرار الخلق في ذلك متباينة من كثير وقليل، فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدر ما تسعه حوصلته من تجلي الجمال القدسي الذي لا تدرك له غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية؛ وإذا عرفت هذا، فاعلم أنّ الذي في مرتبته ﷺ من تجليات الصفات والأسماء والحقائق لا مطمع في دركه لأحد من أكابر أولي العزم من الرسل فضلاً عمن دونهم من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وأنّ الذي في مرتبة أولي العزم من الرسل لا مطمع لأحد في دركه من عموم المرسلين، وأنّ الذي في مرتبة الرسالة لا مطمع في دركه لأحد من عموم النبيين، والذي في مرتبة النبوة لا مطمع في دركه لأحد من عموم الأقطاب، وإنّ الذي في مرتبة القطبانية لا مطمع لأحد في دركه من عموم الصديقين، وإذا كان الأمر كذلك وعرفت هذا التفصيل؛ فاعلم أن في الشطحات التي صدرت من أكابر العارفين ما يوهم، أو يقتضي أنّ لهم شفوفاً وعلواً على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول أبي يزيد البسطامي: «خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله» ومثل قول الشيخ عبد القادر الجيلي: «معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه»، ومثل قول ابن الفارض رضي الله عنه:

ودونك بحراً خضته وقف الأولى ... بساحله صوناً لموضع حرمتي

وكقوله:

وإني وإنْ كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

إلى أن قال فيه:

وفي المهد حزبي الأنبياء وفي عنا ... صر لوحي المحفوظ والفتح سورتي

وكقوله أيضاً:

فحيّ على جمعي القديم الذي به ... وجدت كهول الحي أطفال صبوتي

ومن فضل ما أسارت شرب معاصري　　　ومن كان قبلي فالفضائل فضلتي

وكقوله في الكافية:

كل من حماك يهواك لكن　　　أنا وحدي بكل من في حماك

وكقول بعض العارفين: «نهاية أقدام النبيين بداية أقدام الأولياء»، والجواب عن هذه الشطحات أنّ للعارف وقتاً يطرأ عليه الفناء والاستغراق حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده، ويخرج عن جميع مداركه ووجوده، لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى لهُ من قدس اللاهوت من بعض أسراره فيض يقتضي منه أنْ يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها، ويصرّح في هذا الميدان بقوله: سبحاني لا إله إلا أنا وحدي الخ من التسبيحات كقوله جلت عظمتي وتقدس كبريائي، وهو في ذلك معذور لأنّ العقل الذي يميز به الشواهد والعوائد ويعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات غاب عنه وانمحق وتلاشى واضمحل، وعند فقد هذا العقل وذهابه، وفيض ذلك السر القدسي عليه تكلم بما تكلم به، فالكلام الذي وقع فيه خلقه الحق فيه نيابة عنه فهو يتكلم بلسان الحق لا بلسانه ومعرباً عن ذات الحق لا عن ذاته، ومن هذا الميدان قول أبي يزيد البسطامي: سبحاني ما أعظم شأني، وقول الحلاج: أنا الحق وما في الجبة إلاّ الله، وكقول بعضهم: فالأرض أرضي والسماء سمائي، وكقول التستري رضي الله عنه:

أنظر أنا شيء عجيب لمن يراني　　　أنا المحب والحبيب ما ثم ثاني

وكقوله أيضاً أنا من أهوى ومن أهوى أنا... البيت، وأقوال ابن الفارض مثل هذه كثيرة، وهذ مما يعطيه الفناء والاستغراق في ذات الحق، وهذا أمر خارج عن المقال يدرك بالذوق وصفاء الأحوال فلا يعلم حقيقته إلاّ من ذاقه وتارة يكون الاستغراق للعارف، والفناء في ذات النبي ﷺ لغيبته عن ذاته في ذات النبي عليه الصلاة والسلام، فيتدلى له ﷺ ببعض أسراره، فإذا كسيت ذاته ذلك السر، فلا يشهد ذاته إلاّ ذات النبي ﷺ، ويعلمه ببعض ما اختص به نبيه ﷺ من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره ﷺ، فيتكلم بلسان النبي ﷺ نيابة عنه ببعض ما اختص الله به نبيه ﷺ من الخصوصيات العظام ما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه ﷺ مخبراً عن نفسه، فمن يسمعه يظنّ أنّه ينسبه لنفسه، وإنّما نسبه للنبي ﷺ لغيبته في ذاته، فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق، ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك لعلمه بمرتبته وسوق هذا المساق في كل ما تسمع من الشيوخ مما يقتضي أنّ لهم شفوفاً على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول الدسوقي رضي الله عنه:

أنا كنت مع نوح لما شهد الورى | بحوراً وطوفاناً على كف قدرتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه | وما أنزل بالكبش إلاّ بفتوتي
أنا كنت مع أيوب في زمن البلا | وما شفيت بلواه إلاّ بدعوتي

وأكثر من هذا رضي الله عنه، فكل ذلك لفنائه في ذات النبي ﷺ مترجماً عن مقامه ﷺ، وهذا يغني في الجواب، ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل، ولا يأتي عليه القبول ولا يحل ذكره لبعده عن الإفهام والسلام، وهذا الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات الله، وفي ذات النبي ﷺ ليس هو لكل العارفين، ولا في كل وقت من أوقات من يقع له بل هو خاص ببعض الأوقات لبعض العارفين فقط والسلام.

(استدراك): البحر الذي خاضه رسول الله ﷺ ووقفت الأنبياء بساحله، بحار الحقائق التي تجلى الله بها عليه دون غيره من أكابر النبيين والمرسلين، فمن دونهم إلى هلم جرا، فإنّ تلك الحقائق لو تجلى الله بها للنبيين والمرسلين، ولو بأقل قليل منها لصاروا محض العدم في أسرع من طرفة البصر، وإنّما وقفوا بساحل تلك التجليات، وهي التجليات التي اختصهم الله بها من طلوع الجلال والجمال والعظمة والكبرياء، فتلك الحقائق التي هي لهم بالنسبة إلى حقائقه ﷺ المنكشفة له خصوصاً كالساحل للبحر، فإنّهم تكلموا بلسانه ﷺ لغيبتهم فيه وفنائهم فيه والسلام.

(ثم قال رضي الله عنه)، وأما ما وراء هذا من العبارة على حقيقة البحر فلا يحل ذكره فضلاً عن كتبه في الأوراق والسلام، انتهى ما أملاه علينا شيخنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه في مجلس واحد بتاريخ ١٩ من ربيع الثاني سنة ١٢١٦ وسميت هذا التقييد المفيد بموافقة شيخنا «غوص البحر لجمع درره ومسائله في مسألة خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله» وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(وسُئل رضي الله عنه) عن قول الإمام الأكبر، والقطب الأشهر أبي حامد الغزالي رضي الله عنه: «ليس في الإمكان أبدع مما كان»، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّه ليس في الإمكان أشرف وأعلى وأجمل وأكمل من صورة الكون كله ولا صورة الكون كله إلا سيدنا محمد ﷺ، وكل ما تراه في الكون فالصور والأشكال المختلفة المباني والمعاني المتحدة الواقعة في جسم واحد ما ثم إلاّ هو ﷺ لأنّه ﷺ خلق من السر المكتوم ﷺ، والدليل على شرفه ﷺ من النقل قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، وقال عليه السلام: «إنّ الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه اختار منهم قسم بني آدم» هذا من النقل، وفي بساط الحقائق أنّه لما تعلقت مشيئة الحق بإيجاد خلقه وكان ذلك من ثوران الميل الحبي حيث يقول: «كنت كنزاً لم أعرف، فأحببت أنْ

أعرف، فخلقت خلقاً، فتعرفت إليهم فبي عرفوني»، وهذه المحبة من الحق في إيجاد الخلق كان أول موجود عن هذه المحبة روح سيدنا محمد ﷺ إذ هو الذي وقعت فيه المحبة الكلية من الحق وعنه وعن تلك المحبة تفرع وجود الكون، فهو الأصل ﷺ، والكون كله فرع عنه فلا يشك في شرف الأصل على فرعه لأنّه لما كان أول موجود أنصف فيه بحكم محبة الحق جميع ما أراد إبرازه للوجود من الجواهر والأعراض والمنح والمواهب، وجميع آثار الكرم والمجد، وجميع آثار السطوة والقهر، فجمع سبحانه وتعالى في تلك الحقيقة المحمدية جميع ما ذكره إجمالاً وتفصيلاً، ثم جعله منبعاً وعنصراً من جميع ما يصل إلى الأكوان من جميع ما ذكر جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً، ومحال بحكم المشيئة الإلهية أنْ يبرز شيئاً في الوجود جوهراً أو عرضاً مما دق أو جُل خارجاً عن الحقيقة المحمدية، وإذا عرفت هذا اتضح لك شرف هذه المرتبة مع ما فيها من تجلي السر المكتوم، وما اختصت به من المنح والمواهب والعطايا والتحف الظاهرة والباطنة التي لا مطمع لغيرها في نيل أقل القليل منها بوجه أوضح من وضوح الشمس؛ وحيث عرفت هذا عرفت أنّه ليس في الإمكان أشرف وأكمل وأعلى وأجمل من هذه الصورة المعلومة الكونية، وهي الحقيقة المحمدية عليها من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام انتهى.

(وسُئل رضي الله عنه) عن معنى قولهم: «معرفة الولي أصعب من معرفة الله»، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: أمّا قول السائل معرفة الولي أصعب من معرفة الله، فيبيّنه قول المرسي رضي الله عنه: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد وحقيقة الولي أنّه يسلب من جميع الصفات البشرية، ويتخلى بالأخلاق الإلهية ظاهراً وباطناً، وقول السائل: معرفة الولي أصعب من معرفة الله معناه أيضاً إنّ الله تعالى معروف بصفات كماله مخالف لجميع خلقه في جسيع أوصافه وهي بينة، وأمّا معرفة الولي بالصفات التي يكون بها ولياً، فإنّها باطنة فيه لا تعرف لأنّ ظاهره مستو مع ظاهر غير الأولياء أكلاً وشرباً ونكاحاً وسعياً في أمور الدنيا كحالة الغافلين من غير الأولياء، فلذا صعبت علينا معرفته بكونه ولياً، فإنّ الله تميزت صفاته عن خلقه، والولي لم يتميز عن غير الأولياء من جنسه شاركهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم، ولم يظهر من أصناف ولايته للظاهر شيء، فلذا صعبت معرفته الذي تميزه من أبناء جنسه، ومعنى قوله: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأنّ أوصافه من أوصاف إلهه، ونعوته من نعوته لأنّه ينسلخ من جميع الأوصاف البشرية كما تنسلخ الشاة من جلدها ويلبس خلعة الأخلاق الإلهية، فلو كشف للعبد لعَبَدَ الولي انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

وأمّا قول السائل: ما معنى قول الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: «وأمري بأمر الله إنْ قلت كن يكن» وقول الشيخ زروق رضي الله عنه: «في طي قبضتي»، وكقول

بعضهم: «يا ريح اسكني عليهم بإذني» إلى غير ذلك من أقاويل السادات رضي الله عنهم مثل هذا، قال رضي الله عنه: معنى ذلك إنّ الله ملكهم الخلافة العظمى، واستخلفهم على مملكته تفويضاً عاماً أنْ يفعلوا في المملكة كل ما يريدون ويملكهم الله تعالى كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن كان من حينه، وهذا من حيث بروزه بالصورة الإلهية المعبر عنها بالخلافة العظمى فلا يستعصي عليهم شيء عن الوجود. قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه «أنا مبرق البروق ومرعد الرعود ومحرك الأفلاك ومديرها»، يريد بذلك أنّه خليفة الله في أرضه في جميع مملكته.

(وأمّا) قول السائل: ما معنى قول ابن عطاء الله: «سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلاّ من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلاّ من أراد أنْ يوصله إليه» معناه هو ما قاله رسول الله ﷺ حين سُئل من أولياء الله؟ قال لهم: «هم الذين إذا رأوا ذكر الله». لكنْ هذا الحديث لا يصدق إلاّ في طائفة خاصة، وهم مفاتيح الكنوز لا من عداهم حتى القطب ومعنى الحكمة هو أنّه إذا أوصل الله عبداً إلى ولي، وأقر سبحانه في قلب ذلك العبد أن هذا من الأولياء قطعاً لا يتردد ولا يشك، ثم خدمه بالصدق والأدب أشرقت محبة ذلك الولي في قلبه ولتكن المحبة فيه من حيث أنّه من أهل حضرة الله، وممن اصطفاه الله تعالى لنفسه، فيحبه لأجل هذا الغرض من غير هذه المحبة، فلا شك أنّ هذا يصل إلى الله ولو بعد حين، وأمّا إذا وصل إلى الولي وأقبل على أغراضه وشهواته ولم ينل من الولي إلاّ ما طابق أغراضه، فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى ولا من أهل الوصول إلى الولي، غاية الولي في هذا أنّه يديم معاشرته من باب الإحسان للخلق الذي أمره الله به ومعاشرتهم بالمعروف، ويقبض عنه أسراره، فهذا لو بقي مع الولي ألف عام لم ينل منه شيئاً لأنّ لسان حال الولي يقول له ما وصلتنا لله ولا وصلتنا لأجلنا، وإنّما وصلتنا لغرضك الذي كنت تناله لا نسبة بيننا وبينك والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) ساداتنا رضي الله عنكم قد استشكل علينا أمور، ونريد من الله ثم من كمال فضلكم أنْ تبينوا لنا ما ظهر لكم، بفضلكم منها ما هذه الأنوار المشرقة على أهل البدايات في الطريق هل هي أنوار أزلية في كل مؤمن يكشف له عنها بسبب التوبة أم لا تشرق إلاّ عند تمكن القلب من الإيمان، وما يعطل نور البصيرة عن شهود المنة، وما يكون المشروب عن طعم برد الرضا بما يفعل المحبوب، وبما يجول المريد في الملك عن الأكوان الظلمانية، وبما يجول في الملكوت هل بالعلوم أو بالفهوم؟ وهل للعقل مجال في ذلك؟ وهل للعلوم إدراك التحقيق الذي سلك عند القوم؟ وهل للفهوم إدراك للعالم الأسنى؟ وما قمر التوحيد الذي هو مستمد من شمس المعارف؟ وما رياح الصبا التي

تشغف الأرواح؟ وهل هي على يد الشيخ أو على يد النبي ﷺ؟ وهل الشيخ دال على الله بمقاله أم دال على الله بأفعاله أم له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح إلى الحضرة القدسية؟ وما يعتقد في الشيخ هل هو مظهر للحقائق التي لا تدركها العقول ولا الفهوم، أم هو حاكم للنفوس لتقوى الأرواح فقط؟ أم هو قوت الأرواح لتقبل من الواردات ما تطيق؟ أم خليفة النبي ﷺ يبلغ من أسراره الباطنة التي لا يدركها من اشتغل بعلم الظاهر، فإن كان كما قلنا دالاً بظاهره فقط، وغالب عليه الحس، فليس للقلوب أنْ ترقى في مواضع الأرواح، وهل للشيخ تصريف في روح الروح؟ أم هو برزخ الأرواح فقط؟ إلى أنْ يبلغ المريد ويرجع عنه أم لا ينفصم عنه أبداً؟ والسؤال عن أحوال الشيخ ما السبب في كونه تارة يجمع على نفسه وتارة على النبي ﷺ وتارة على الله سبحانه، كل ذلك مدرج في صفاته أم لا، بيِّن لنا سيدي رضي الله عنك كل مسألة بعينها، والله يديمك نفعاً للعباد في جميع البلاد.

قال رضي الله عنه: (الجواب) والله الموفق للصواب: اعلم أنّ هذه الأنوار ليست أزلية بل هي مخلوقة تأنيساً من الله لأهل الطريق، وليست لازمة لكل سالك، ولا في كل مقام ولا في كل حال، ولا في كل توجه، فقد تقع وقد لا تقع، وقوله: وما يعطل نور البصيرة عن شهود المنة، الجواب عن هذا أنّ منّة الحق وهو نور العطاء البارز من حضرة المثير للمنح الواردة من خزائن الأسماء والصفات هو مما استبد به الحق لا تتصل به أنوار البصائر حتى تراه عياناً، وإنما ترى البصائر ما برز عنه من المنح فقط، وأمّا ذلك النور الوارد من الحضرة المثيرة للمنح، فإنّما ذلك من مادة المشيئة الإلهية وهو من الكنوز التي استبد الحق بعلمها، فلا يطلع عليها أحد وقد يكشفه الله تعالى لبعض الخاصة الكبار حتى يروها عياناً، وقوله وما يكون المشروب عن طعم برد الرضا بما يفعل المحبوب، الجواب: أنّ المشروب هو تلذذ صاحبه بالمعاطف والمهالك وفدائح المصائب تلذذاً يماثل تلذذ البالغ الغاية في الجوع بألذ المطاعم، وأكبرها شهوة ولذة وليس هذا من تعمل العبد ولا حيلة له في الوصول إليه إنّما هو محض موهبة من مواهب الحق يؤتيه من يشاء بفضله وقد ينتهي به التلذذ بذلك حتى ينسيه الإحساس بآلام تلك المصائب والمهالك، وقوله: وبما يجول المريد في الملك عن الأكوان الظلمانية وبما يجول في الملكوت هل بالعلوم أو بالفهوم؟ وهل للعقل مجال في ذلك وهل للعلوم إدراك التحقيق الذي سلك عند القوم وهل للفهوم إدراك للعالم الأسنى؟ الجواب في هذا كله: أن جولان المريد في الملك والملكوت إمّا بالخيال أو بالأرواح، وكل ذلك لا يكون لا بالعلوم ولا بالفهوم، بل بأنوار قدسية مقذوفة من حضرة الحق ترد على من وردت عليه، فتكسبه بذلك صفاء وتمكيناً وقرباً من الحضرة الإلهية يقدر بسبب تلك على الجولان في الملك والملكوت والجبروت، وحيث أراد الله

به. وقوله وما قمر التوحيد الذي هو مستمد من شمس المعارف، الجواب: قمر التوحيد هو شهود الوحدانية لله تعالى شهوداً ذوقياً وكشفاً عينياً يقينياً في جميع مفترقات الوجود حتى يرى جميع مفترقاتها في اتحادها كالجوهر الفرد الذي لا يقبل القسمة، وهذا الشهود لو رام غيره لم يقدر من مطالعة الكثرة وغيرها، ويعبر عنه عند العارفين بالتقرير المطلق ولا ينال إلاّ بعد صفاء المعرفة وكمالها. وقوله: وما رياح الصبا التي تشغف الأرواح؟ وهل هي على يد الشيخ، أو على يد غيره ﷺ، الجواب: إنّ رياح الصبا هي أنوار المنن الواردة في حضرة الحق المشتملة على الأنوار القدسية والأحوال العلية والأخلاق الزكية والطهارة والصفا والغرق في بحر اليقين، ويعبّر عنها عند العارفين بالجذب تأتي بيد الألطاف الإلهية لمن أحبه الله واصطفاه وأهله لمطالعة حضرته وارتضاه، فإذا وردت على الأرواح أو على القلوب أو على الأسرار، أخذتها وجذبتها إلى الحضرة بحكم القهر والصولة حتى لا تقدر على التخلف عنها، وورودها إنّما هو من محض منة الحق بلا سبب بل بحكم عناية الحق واصطفائه لمن شاء، وترد في الحقيقة المحمدية ثم تنبع منها، وقد يكون الشيخ حاضراً معها وقد لا يكون حاضراً، وقد تأتي بتوجه همة الشيخ إذا أرادها من الله لبعض تلامذته، وقد تمتنع ولا تؤثر فيها همته. وقوله وهل الشيخ دال على الله بمقاله أو دال على الله بأفعاله أو له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح للحضرة القدسية، الجواب: أنّ دلالته على الله بكليته ظاهراً وباطناً بأقواله وأفعاله وأحواله وحركاته وسكناته. قوله: وأمّا جلبه الأرواح الخ، الجواب عن هذا: هو ما سبق في جواب رياح الصبا وقوله: وما يعتقد في الشيخ هل هو مظهر للحقائق التي لا تدركها العقول، ولا الفهوم أم هو حاكم للنفوس لقوى الأرواح فقط أم هو قوت الأرواح، لتقبل من الواردات ما تطيق أم هو خليفة النبي ﷺ يبلغ أسراره الباطنة التي لا يدركها من اشتغل بعلم الظاهر، فإنْ كان كما قلنا إلاّ بظاهره فقط غالباً عليه الحس، فليس للقلوب أنْ ترقى في مواضع الأرواح، الجواب في هذا كله: إنّ الشيخ في الطريق بمنزلة الدليل يعرف الطريق، ومخوفها، ويعدّ لكل محل ما يستحق من الراحلة والزاد، وهو للأرواح والقلوب بمنزلة الطبيب الماهر في معرفة الأمراض العارضة ومن أين مادتها وكيفية معالجتها كماً وكيفاً، ومعرفة الأدوية التي يلقيها على تلك الأمراض حتى تعود القلوب والأرواح إلى كمال صحتها، فهذا غاية ما عند الشيخ، وأما ما وراء ذلك من الفيوض والتجليات والأنوار والأسرار والأحوال والعلوم والمعارف والتوحيد والتفريد، والترقي في المنازل والمقامات، فإنّما هو بيد الخلاق الواحد سبحانه وتعالى يعطي ما يشاء، والشيخ سبب في ذلك على القانون المذكور أولاً.

وقوله وهل للشيخ تصريف في روح الروح أم هو برزخ الأرواح فقط إلى أنْ يبلغ المريد، ويرجع عنه أم لا ينفصم عنه أبداً؟ وأسأل عن أحوال الشيخ ما السبب في كونه

تارةً يجمع على نفسه، وتارةً على النبي ﷺ، وتارةً على الله سبحانه أكل ذلك مدرج في صفاته وأحواله أم لا؟ والسلام، الجواب: إن روح الروح هو روح حضرة القدس الذي يأتي بالفيض الأقدس مشحوناً بالمعارف والعلوم والأسرار والأنوار والحكم والرقائق والتحف والمواهب التي لا تدرك ولا تعقل، والأخلاق والأحوال واليقين والتوحيد والكشف التام والشهود الأكبر والمعرفة البالغة الغاية في جميع المراتب معرفةً ذوقيةً عينيةً لا اعتقادية، هذا هو الروح المعبّر بروح الروح والأرواح له كالأجساد الكثيفة للأرواح الحيوانية تدير الأجساد، وأيّ روح من أرواح البشر يرى فيها هذا الروح، وتركب فيها كتركيب الأرواح الحيوانية للأجسام الكثيفة كأن ذلك الروح حياً بالحياة الأبدية الباقية لا يطرأ عليها موت لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا تذوق الموتة التي تذوقها البشر، وإنّما موته عبارة عن مفارقة روحه الحيواني بجسده الكثيف فقط، ثم تتصل بما لا معرفة بحقائقه لأحد من وجوه النعيم واللذة التي لا تكيف ولا يعقلها إلا من رآها، وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وأمّا برزخية الأرواح فهي الأرواح الواصلة إلى حضرة الحق بكمال المعرفة، وصفاء اليقين وروح المشاهدة برزخها التي بينها وبين الحضرة هي الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام لا غير، ولا برزخية للشيخ في هذا. وهل غاية تولي الشيخ المريد إلى أنْ يصل للحضرة، ثم ينفصم عنه أبداً، الجواب: اعلم أنّه ينفصم عنه عند وصوله إلى مطالعة الحضرة الإلهية، ولا يبقى عليه من ملاحظة الشيخ إلاّ تعظيمه واحترامه وإجلاله، ومعرفة شفوف رتبته عليه، فإنّه إنْ قطع التلميذ نظره عن هذا في حق شيخه سلب وطرد. وكون أحوال الشيخ تارةً يجمع على نفسه، وتارةً على النبي ﷺ، وتارة على الله، الجواب: إنه لا منافاة بين أحوال الشيخ في هذه الثلاثة، فإنّه إنْ دلّ على الله كان ذلك غاية المطلوب، وإنْ دلّ على النبي ﷺبالجمع عليه كان ذلك جمعاً على الله، لأنّه ﷺ الخليفة المطلق عن الله ظاهراً وباطناً، فالمجتمع عليه يجتمع على الله تعالى، أو دلّ الشيخ بالجمع على نفسه فهو خليفة النبي ﷺ في الدلالة على الله والدعوة إليه، فجمع الناس على نفسه جمع على الله تعالى لأنّه خليفة صحيح، انتهى ما أملاه علينا شيخنا رضي الله تعالى عنه.

(وسألته رضي الله تعالى عنه) عن معنى البيتين المشهورين من كلام بعض العارفين وهما:

عينان عينان لم يكتبهما قلم ... في كل عين من العينين نونان

نونان نونان لم يكتبهما قلم ... في كل نون من النونين عينان

(فأجاب) رضي الله عنه: بما نصّه قال: اعلم أنّ العين الأولى عينه الواجبة الوجود لذاتها من ذاتها من كل وجه وبكل اعتبار، والعين الثانية عينك الجائزة الوجود من وجه

الواجبة الوجود من وجه، فإنّها من ذاتها لذاتها جائزة الوجود ومن حيث تعلق المشيئة بوجوده، وإحاطة العلم بها واجبة الوجود، وقوله: في كل عين من العينان نونان، النون الأولى أنانية الحق، والثانية أنانية العبد، وذلك أنّه لما تنزل به السر القدسي اللاهوتي بما صحبه من الأنوار الإلهية التي عجز العقل عن فهم أقل قليل منها فضلاً عن الإحاطة بكنهها، وسرى في كلية العبد ذلك السر والنور أراه الله بسببها محو دائرة الغير والغيرية، فلم يبق في شهود العبد إلاّ أحد في أحد يسلب التعدد بكل وجه وبكل اعتبار، وفي هذا الأمر إذا نظر في ذاته لم يرَ إلاّ أحداً لا يقبل التعدد ولا الغيرية، وإذا نظر في الله لم يرَ إلاّ نفسه، وإذا نظر في كل شيء لم ير إلاّ ما نظر في نفسه، وهذا هو المعبّر عنه بالجمع الكليّ والاتحاد الحق والمحو المحقق، وذلك كله بسبب ظهور ذلك السر والنور فيه، فغطى عليه ما كان يجده قبل وجوده ودائرة حسه، فإنْ نظر في عين نفسه التي هي واجبة الوجود من وجه، جائزة الوجود من وجه، نظر فيها أنانيته عين أنانية الحق، وأنانية الحق عين أنانيته، فهما أنانيتان قائمتان فيه إدراكاً ذوقياً حسياً وشهوداً يقينياً، فهذه العين التي فيها نونان نون أنانيته ونون أنانية الحق، وإذا نظر في الله نظر عين الحق عين نفسه ووجد في عين الحق نون أنانية الحق ونون أنانيته لاتحادهما في مشهده القدسي، وهذا سر من أسرار الغيب لا تدركه العقول ولا القوى البشرية، وإنّما ينال بالفيض الرباني والفتح الإلهي ليس للكسب إليه سبيل، فهذا ما في البيت الأول وهو أمر ينال بالذوق والكشف لا بالمقال. وأمّا البيت الثاني وهو نونان نونان الخ، النون الأولى أنانيتك لأنّك إنْ قلت: أنا في هذا المحل وجدت عينك هي القائلة، ووجدت عين الحق هي القائلة فهي نون فيها عينان، وأما النون الثانية فهو أنانية الحق حيثما سمعته يقول: أنا مثل قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾[طه: ١٤] وجدت في تلك الكلمة عين الحق هي القائلة، وعينك هي القائلة لاتحادهما في نظر واحد، وهذا كله في نظر العبد فقط، وجل الله أنْ يكون هذا في شهوده بل علمه سبحانه وإدراكه وراء هذا لا تلتبس عليه الأحوال، ولا تختلط عليه العبودية بالربوبية، فأنانية الحق هنا تجد فيها عينك وعينه ثابتتين بنظر يقيني وكشف عياني، فأنانيتك فيها عينك وعينه، وأنانيته فيها عينه وعينك، في كل نون من النونين عينان، وهذا ما سمح به الوقت ووراءه ما لم يخطر قط على بال، لا تكشف عنه دائرة المقال ا هـ. من إملائه رضي الله عنه على العالم العلامة الدراكة الفهامة سيدي المختار بن الطالب التلمساني، وهو من أجلّ أصحاب سيدنا رضي الله عنه، وأكبرهم علماً، وأوسعهم حلماً ومن خطه نقلت والسلام.

(وسُئل رضي الله عنه) عن الجن هل يدخلون الجنة، ويتنعمون فيها كالآدميين، أو لا نصيب لهم فيها وهل يرجعون تراباً كالحيوانات أم لا؟ (فأجاب) رضي الله عنه بقوله:

اعلم أنّ القول الذي يجب المصير إليه وهو عين الحق والصواب، إنّ الجان مستوون مع بني آدم في عموم التكليف بالقيام بأمر الله أمراً ونهياً وتحريماً ووجوباً، وفي عموم الرسالة إليهم، ودعوتهم إلى الله تعالى لا فرق بينهم وبين بني آدم في هذا الأمر الذي ذكرناه بقواطع نصوص الكتاب والسنة والإجماع، أمّا الكتاب فما ذكر الله عنهم في سورة الأحقاف وفي سورة الجن وهو صريح لا يقبل التأويل، وأمّا السّنة فقوله ﷺ: **«بعثت إلى الثقلين الجن والإنس»**، وهو حديث مجمع على صحته وتواتره، كل من اعتقد خلافه كفر وانعقد إجماع الأمة على هذا في عموم الرسالة لنا ولهم، وعموم دعوتنا ودعوتهم إلى الله تعالى عى لسان رسوله ﷺ، وفي عموم تكليفنا وتكليفهم بالقيام بأمر الله تعالى؛ وحيث كان الأمر هكذا فهم مساوون لنا فيما يشتمل عليه عموم الخطاب الإلهي والنبوي من تقرير الثواب والعقاب لمن أطاع الله أو عصاه منا ومنهم، ودخول الجنة والتمتع بها لمن أطاع الله أو غفر له معاصيه، وكان مؤمناً منا ومنهم، والعذاب بالنار ودخولها لمن عصى الله ولم يغفر له منا ومنهم، يشهد لهذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: ٦٤]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿من يطع الرسول، فقط أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠]، فهي صادقة في كل من أرسل إليهم لمن آمن بالله، وقام لرعاية حدوده وأحكامه أمراً ونهياً فلا فرق بينهم وبين الآدميين في هذا لشمول الرسالة والدعوة إلى الله تعالى والتكليف بالقيام بأمر الله منا ومنهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿تلك حدود الله، ومن يطعْ الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك الفوز العظيم إلى «قوله» مهين﴾ [النساء: ١٣] مشتملة بجميع أحكامها على كل فرد من أفراد المرسول إليهم الذين أمر الرسول بدعوتهم إلى الله تعالى، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر، أو أنثى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ [النساء: ١٢٤]، فهي مشتملة على كل من أرسل إليهم الرسول، ودعاهم إلى الله تعالى، وقال تعالى في حق أولي الألباب من المؤمنين حيث أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان «إلى قوله» من ذكر أو أنثى﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فهي مشتملة على كل من اشتملت عليه الرسالة، والدعوة إلى الله من الجن والإنس، وقال تعالى: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[التوبة: ٧٢]، فهي مشتملة أيضاً، وقال تعالى: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس﴾ [الكهف: ١٠٧]، وكل هذه الآيات، وأمثالها مشتملة على كل فرد من المرسل إليهم، ولا يلتفت لما سطر في الأوراق مما يناقض هذا، فإنّ تلك تخيلات عقلية بينة البطلان بتصريح نصوص الكتاب والسنة، كما ذكرناه آنفاً وفي غيرها وفي هذا كفاية لمن تأمل والسلام، انتهى من خط محبنا سيدي المختار بن الطالب من إملاء شيخنا رضي الله عنه

عليه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة التصوف، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ التصوف هو امتثال الأمر، واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى من إملائه علينا رضي الله عنه. (وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة الولاية، (فأجاب) رضي الله عنه بما نصّه قال: الولاية عامة وخاصة، فالعامة: هي من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، والخاصة: هي من سيد الوجود ﷺ إلى الختم، والمراد بالخاصة هو من اتصف صاحبها بأخلاق الحق الثلاثمائة على الكمال، ولم ينقص منها واحد إنّ لله ثلاثمائة خلق من اتصف بواحد منها دخل الجنة، وهذا خاص بسيد الوجود ﷺ، ومن ورثه من أقطاب هذه الأمة الشريفة إلى الختم هكذا قال، ونسبه للحاتمي رضي الله عنه، ثم قال سيدنا رضي الله عنه: ولا يلزم من هذه الخصوصية التي هي الاتصاف بالأخلاق على الكمال أنْ يكونوا كلهم أعلى من غيرهم في كل وجه، بل قد يكون من لم يتصف بها أعلى من غيره في المقام، وأظنه يشير إلى نفسه رضي الله عنه وبعض الأكابر، لأنّه أخبره سيد الوجود ﷺ: بأنّ مقامه أعلى من جميع المقامات كما تقدم، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة العلم، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ حقيقة العلم هي ملكة تحصل في الشخص بحسب استقرائه لضوابط العلم، وقوانينه يقدر بسببها أنْ يدفع جميع وجوه الإشكال والتلبيس عن ذلك العلم، وأنْ يأتي فيه باستشهادات تفصل حقائق ذلك العلم من مجاراته وارتباط لوازمه من ملزوماته، وانفصال ما يوجب الفرق بين متفرقاته من غير أنْ يسمع ذلك من مدارسة كتب ولا تعليم ولا مطالعة كتب، ولا تفهم بل بحسب ما تعطيه القوة الملكية لا الصورة المنقولة، والمنقولة عندهم إمّا عن قوة ضرورية، وإمّا عن أسماع خبرية، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه والسلام.

(وسألته رضي الله عنه): عن حقيقة الولي، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: حقيقة الولي هو من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة أفعال الحق سبحانه، ومرة قال مع مشاهدة الأفعال والصفات، قلنا له: أيجهل الولي أو العارف شيئاً من أحكام الشريعة المطلوبة في حقه؟ قال: نعم! إلاّ بالتعليم، والسؤال ولا تفاض من غير تعلم إلاّ على النادر من العارفين، ولا يحاط بمعرفة أحكام الشريعة وجميع العلوم التي يحتاج إليها الناس إلاّ الفرد الجامع لأنّه هو الحامل للشريعة في كل عصر، ولو كان أمياً لم تسبق له قراءة، انتهى. قال الشيخ العياشي رحمه الله: الولاية منه تقدمتها خدمة انتهى، وقال شيخنا رضي الله عنه: هي محض منة تقدمها محض خدمة انتهى. (وسألته رضي الله عنه) عن قولهم إنّ دائرة الولي أوسع من دائرة النبي ﷺ، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: المراد بالولي أولياء

هذه الأمة فقط، والمراد منه من أمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم، فهم الذين دوائرهم أوسع من دوائر الأنبياء، واتساع الدوائر وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى، فكل رسول من الرسل غير نبينا ﷺ رسالته خاصة بموطن، أو جنس أو بلد لا يتعدى إلى غيره، ورسالة نبينا ﷺ عامة في جميع البلدان والأقطار، وفي جميع الأجناس والأمم، وفي جميع الأعصار، فالأولياء الداعون إلى الله من أمته دعوتهم تعم كعموم رسالة نبيهم ﷺ، فلا تختص ببلد ولا جنس ولا أمة بل هي عامة كعموم رسالة نبيهم ﷺ، فهذا اتساع دائرة الولي على دائرة النبي، ثم هذه الدعوة إلى الله في حق الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر لقوله ﷺ: **«بلغوا عني، ولو آية الحديث»**، وبقوله ﷺ: **«مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر»**، لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنّما بالإذن الخاص كإذن الرسالة، فمن نهض إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته في جميع القلوب، ووقع الإقبال من الخلق عليه، والاستجابة له ووقع امتثال أمره واجتناب نهيه في الخلق، وأطيع وحلا كلامه في القلوب، ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله بالإذن العام ليس له شيء من الإذن الخاص لم ينتفع بكلامه، ولم يقع عليه إقبال، فإنّ لسان الحق يقول له بلسان الحال في بساط الحقائق، ما أمرناك بهذا، ولا أنت له بأهل، إنّما أنت فضولي فمن وقف هذا الموقف ابتلى بحظوظ نفسه من الرياسة والرياء والتصنع، وليس من الله في شيء؛ قال ابن الفارض رضي الله عنه:

فعالمنا منهم نبي ومن دعا ... إلى الله منا قام بالرسلية

قال ابن عطاء الله: من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عباراته، وجليت لديهم إشاراته، وحكاية الشيخ الجيلاني رضي الله عنه معلومة قال: كنت بأمس صائماً، فوضعت لي أم يحيى بويضات إلى فطوري على طرف السرير، فأتت هرة فخطفتها، فأخذ الناس في البكاء على عادتهم إلى آخر الحكاية، ومن ادعى الإذن الخاص من الله، وهو كاذب فيه والبسط للخلق بالدعوة فإنه يموت كافراً إلاّ أنْ يتوب، نسأل الله السلامة والعافية بجاه النبي وآله، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة العارف، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم إنّ العارف يكون كامل اليقظة والرضا لأمرين لا بد منهما، الأمر الأول: ما يفاتح به في مقامه من الفتوحات والفيوض والتجليات وعجائب الحقائق والأسرار التي لا يطيق العقل إحاطة الإدراك لها فضلاً عن التلفظ بها، فيعرف ما يلزمه في كل فعل وفي كل أمر من ذلك على حدته، من الوظائف والآداب والمقابلات التي هي مقتضيات العبودية، والأمر الثاني: تيقظه ورصده، لما يتقلب فيه الوجود من الأطوار من خير أو شر أو غير ذلك، فيعلم في

كل فصل من ذلك وفي كل أمر أي تجلي لحق هو البارز فيه، ومن أي حضرة كان ذلك الطور، ولماذا وجد؟ وماذا يراد منه؟ فيعطي لكل شيء من ذلك وكل أمر ما يستحقه بحكم الوقت من الوظائف والآداب والمقابلات التي هي مقتضيات العبودية حتى لا يشذ عليه من ذلك في كل مقدار طرفة عين من الزمان شيء، وهذا الأمر هو المعبر عنه بالمراقبة في مقام العارفين، وهي مشروطة بتقديم المشاهدة وكمال المعرفة، فلا تقع ما لم تقع المعرفة والمشاهدة، فإنّ الروح عند مطالعة الجمال القدسي مقتضاها الذهول عن الأكوان لما في الجمال القدسيّ من الشغل عنها، وهذه المراقبة لأكابر الكمل من العارفين وهي بساط الخلافة الكبرى، فصاحبها هو الذي يتأتى له أنْ يكون خليفة الله على خلقه لاستكماله مرتبة العبودية، فإنْ دامت هذه للعارف يتأتى له التحقيق بالله في كل مرتبة، وهو المعبّر عنه بالقطب وقد لا يكون قطباً انتهى. ثم قال رضي الله عنه: المتحقق بالحق من يراه في كل متعين بلا تعين والمتحقق بالحق والخلق يرى أنّ كل ذرة في الوجود لها وجه إلى الإطلاق، ووجه إلى التقييد، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن مشاهدة الخلق أعني الملائكة والجن والإنس، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ أولياء الجن دورانهم حول الفعل وسر الفعل ونور الفعل، والروحانيون دورانهم حول الاسم وسر الاسم ونور الاسم، والملائكة دورانهم حول الصفات وسر الصفات ونور الصفات، وأولياء الآدميين دورانهم حول الذات وسر الذات ونور الذات، قد علم كل أناس مشربهم الآدمي أول المرتبة يطلع عليها في الكشف مرتبة الجن، ثم يرقى إلى الرابعة لا أحرمنا الله منها والسلام. ثم قال رضي الله عنه: جولان أرواح الرجال ومشاهدتهم متفاوتة، فمنهم من حده عالم الملك وهو من السماء الدنيا إلى الأرض، فهذا أصغرهم، ومنهم من يصل إلى عالم الملكوت وهو من السماء السابعة إلى هنا، ومنهم من انتهت علومه إلى عالم الجبروت وهو من العرش إلى هنا، ومنهم من تخرق روحه الطوق الأخضر، وتخرج عن كور العالم وهم الأكابر جعلنا الله منهم بمحض فضله وكرمه آمين. ثم قال أيضاً رضي الله عنه مراتب الرجال ثلاثة (الأولى) مرتبة العارفين: وهي شهود الحق في المراتب، (الثانية) مرتبة الأفراد: وهي شهود الحق لا في المراتب، (الثالثة) مرتبة القطب: وهي في غيب الغيب مكتومة لا تذكر، ولا يعرفها إلاّ صاحبها وهو القطب الجامع لأنّ له المرتبتين السابقتين وهو شهوده للحق في المراتب للتصرف في الكون، ويشاهده في غير المراتب وله هذه المرتبة المكتوبة لا يشاركه فيها غيره، ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أنْ يعلمه علم ما قبل وجود الكون، وما وراءه وما لا نهاية له، وأنْ يشهده الذات بعين الذات، وأنْ يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات، وهي الأسماء العقالية، وأنْ يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع

فيوضه، وما احتوى عليه، وبهذه خص رؤوس الأفراد الذين هم مفاتيح الكنوز، ولا يعلمون أنها خاصة به إلاّ قول دائرة الإحاطة، فإنّهم يعلمونه أنّه خاص به، وأما مشهده فلا علم لهم به لأنّه يدخل الحضرة من باب الخدع وهو محجوب عنهم، ونسب هذا الكلام رضي الله عنه لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ثم قال أيضاً الخليفة له التصرف العام، والحكم الشامل التام في جميع المملكة الإلهية، وله بحسب ذلك الأمر والنهي والتقرير والتوبيخ والحمد والذم على حسب ما يقتضيه مراد الخليفة سواء كان نبياً أو ولياً مستوون في هذه المرتبة، والرسول ليس له عموم الأمر والنهي إلاّ ما سمعه من مرسله سبحانه وتعالى لا يزيد وراء ذلك شيئاً، وإنّما هو في ذلك مبلغ فقط ليس بآمرٍ ولا ناهٍ إلاّ أنْ يكون الرسول خليفة، فله المرتبة الأولى، فالخليفة الولي أوسع دائرة في الأمر والنهي والحكم من الرسول الذي ليس بخليفة، مثاله في الشاهد مثال الملك الأعظم يولي أحداً من حاشيته رتبة التصرف في جميع مملكته من رعيته توكيلاً له، واستخلافاً ولا يولي ذلك وزيره، ولا أهل مجالسته مع كونهم أعظم عنده من أهل حاشيته في المرتبة، وهذا المثال يدفع ما يتوهم من شفوف مرتبة الولي الخليفة على مرتبة الرسول الذي ليس بخليفة، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

ثم سألته أيضاً عن معنى قوله تعالى: ﴿وإذا قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] معناه ينوب عنه في مملكته سبحانه وتعالى، فحيثما كان الرب إلهاً كان هو عليه خليفة في الأحكام في جميع المملكة، قال الجيلي رضي الله عنه في هذا المعنى:

وأمري بأمر الله إنْ قلت كنْ يكنْ وكل بأمر الله، فالحكم بقدرتي

وكذلك قول الشيخ زروق رضي الله عنه، وكقول غيره «يا ريح اسكني عليهم بإذني» معنى ذلك أنّه خليفة استخلفه الحق على مملكته تفويضاً عاماً أنْ يفعل في المملكة كل ما يريد، يملكه الله كلمة التكوين متى قال لشيء كن كان من حينه، وهذا من حيث بروزه بالصورة الإلهية المعبّر عنها بالخلافة العظمى، فلا يستعصي عليه شيء من الوجود؛ قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أنا مبرق البروق، ومرعد الرعود، ومحرك الأفلاك ومديرها» يريد بها أنّه خليفة الله في أرضه في جميع مملكته، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(ومما) يؤيد كلام سيدنا علي رضي الله عنه قول بعض الكبار: إني أرى السموات السبع والأرضين السبع والعرش داخلاً في وسط ذاتي، وكذا ما فوق العرش من سبعين حجاباً، وفي كل حجاب سبعون ألف عالم وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام، وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرّقا بتشديد

الراء والقاف، فكل هؤلاء المخلوقات لا يقع في فكرهم شيء فضلاً عن جوارحهم إلاّ بإذن صاحب الوقت أعني به القطب انتهى، وهذه المرتبة أعطاها الحق له لكونه خليفة عنه، ومما أكرم الله به الخليفة وهو قطب الأقطاب مع الوصف المتقدم أمور خصّه الله تعالى بها عن أكابر الأولياء وهم رؤوس الأفراد هو ما أجاب به سيد الوجود، وعلم الشهود ﷺ سيدنا شيخنا حين سأله عن مفاتيح الكنوز وقطب الأقطاب، أيهما أعلى مرتبة عند الله تعالى؟ فقال له ﷺ: هو أعلى منهم في مقامات ومراتب أورثه الله التجلي الكامل المحيط بالتجليات كلها، وأورثه الله الاسم الأعظم بجميع إحاطته، وأورثه الله المدد من النبي ﷺ بلا واسطة، وأورثه الله مدد جميع الأولياء يكون على يديه، وتحريك الجمادات وتحريك كل حي والإمارة على كل شيء والتعظيم على كل شيء؛ وبالمعاني التابعة للكلام المتقدم هذا المفتاح الذي ورثه من النبي ﷺ وهو خليفته ﷺ في ذلك، انتهى جواب سيدنا سيد الوجود ﷺ لسيدنا وقدوتنا رضي الله عنه، وقال رضي الله عنه أوصاف القطب يرى عالماً كجاهل أبله فطناً آخذاً تاركاً زاهداً راغباً سهلاً عسراً هيناً صعباً، والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة القطبانية (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملةً وتفصيلاً، حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفةً في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية الله تعالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلاّ بحكم القطب، وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملةً وتفصيلاً، فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها، وإنّما هو الروح القائم فيها جملةً وتفصيلاً، وقيامه فيها في أرواحها وأشباحها، ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فيذوق مختلفات أذواقهم، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها وله الاختصاص بالسر المكتوم الذي لا مطمع لأحد في دركه والسلام. ومعنى البرزخية العظمى قيامه بين الحق والخلق بالنيابة عن الحقيقة المحمدية واختصاصه أيضاً بالتحقق بأمر الله في كل مرتبة من مراتب الوجود، وإعطائه لكل مرتبة من المراتب حقية أو خلقية حقها بما تستحقه من الآداب، وليس هذا لغيره من العارفين ولا لمفاتيح الكنوز فهو في جميع هذه الأمور خليفة النبي ﷺ دون جميع الأولياء، وجملة ما فيه أنّه في جميع مراتبه في حضرة الحق نسبته عند الله إلى جميع الوجود من العارفين ومن وراءهم بمنزلة إنسان العين من العين به يرحم الوجود وبه يفيض الإفادة على جميع الوجود وبه يبقي الوجود في حجاب الرحمة واللطف، وبه يبقي الوجود في بقاء الوجود رحمة

لكل العباد وسحابة ماطرة في سائر البلاد وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية، وتنفس نفسه يمد الله به العلوية والسفلية ذاته مرآة مجردة، يشهد كل قاصد فيها مقصد حضرته صباغة تصبغ كل من أم له فيما توجه إليه، وأمله ما شهدته الأولياء الصادقون كل واحد منهم في قوته قوة مائة رجل الخ فيه خلعة عليك، وما نسبته إليه صيره إليك، وإياك أنْ تحرم احترام أصحاب الوقت، فتستوجب الطرد والمقت من أنكر على أهل زمانه حرم بركة أوانه المتسوف من بضاعة الزمان ممتد بمدد رزق الأوان، ومن أنكر وأكثر الهراء فقد منع نفسه الشراء، ورضي الله عن هذا الإمام، وحشرنا في زهرة هذا الهمام بجاه خير الأنام عليه من الله في كل لمحة أفضل الصلاة وأزكى السلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

ثم قال رضي الله عنه: اعلم أنّ الأولياء الصادقين كل واحد منهم في قوته قوة مائة رجل، والعارفون بالله أهل عالم الملك كل واحد منهم في قوته قوة ثلثمائة رجل، وأهل عالم الملكوت لكل واحد منهم قوة خمسمائة رجل، وأهل عالم الجبروت لكل واحد منهم قوة سبعمائة رجل وقوة كل واحد منهم أي من أهل عالم الأمر قوة ألف رجل، وقوة قطب الأقطاب ألف وخمسمائة رجل، وقوة الأفراد الأربعة سبعمائة رجل، وقوة مفاتيح الكنوز قوة كل واحد منهم قوة ألفي رجل انتهى. (ومعنى عالم الملك والملكوت والجبروت وعالم الأمر)، أما عالم الملك فهو من السماء إلى الأرض، وعالم الملكوت هو من السماء الأولى إلى السماء السابعة، وعالم الجبروت هو من السماء السابعة إلى الكرسي، وعالم الأمر هو من الكرسي إلى العرش إلى ما ورائه، فمعنى الملك هو عالم الناسوت وهي شدة الكثافة وهو التجلي بالأجسام الكثيفة، والملكوت عالم الأنوار وهو التجلي بصور الأجسام اللطيفة، والجبروت عالم الأسرار وهو التجلي بصور الأجسام القدسية من الكروبيين، ومن ضاهاهم، وعالم الأمر هو التجلي بصور الروحانية القدسية المنزهة عن المادة والطبيعة، فكل عالم تجلى فيه بنسب من نسب الحضرة الإلهية، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه وأدام علاه آمين.

ثم قال رضي الله عنه: الأصل في كل ذرة في الكون هي مرتبة للحق سبحانه وتعالى يتجلى فيها بما شاء من أفعاله وأحكامه، والخلق كلهم مظاهر أحكامه وكمالات ألوهيته، فلا ترى ذرة في الكون خارجة عن هذا الأمر، فما ثم إلاّ كمالات ألوهيته ويستوي في هذا الميدان الحيوان والجمادات والآدمي وغيره، ولا فرق في الآدمي بين المؤمن والكافر، فإنهما مستويان في هذا البساط، ويكون على هذا الأصل في الكافر التعظيم لأنّه مرتبة من مراتب الحق، والإذلال والإهانة والصولة عليه للمؤمن من أحكام طارئة عليه لا تهدم قواعد الأصل لأنّ الأصل لا ينهدم والأحكام الطارئة عوارض والمرجع في ذلك للأصل لا

للعوارض، وكمال العلم فيه أنْ يعظم لأنّه مرتبة للحق تجلى فيه بأحكامه، ولكن يعظم باطناً ويهان ويذل ويقاتل ظاهراً لأنّ ذلك حكم الشرع والحكمة، وهذا الأمر في نظر العارفين فقط لا في بساط الشريعة، وإلى هذه الإشارة بقوله ﷺ: **«لا تعلو على الله في بلاده وعباده فإنّ من علا على العباد علا على الله، وتكبّر عليه»**، وتحقيق ما في هذا الحديث هو ما قلناه أولاً، وهو أنّ جميع المخلوقات مراتب للحق يجب التسليم له في حكمه وفي كل ما أقام فيه خلقه لا يعارض في شيء، ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهراً لا باطناً ولا يكون هذا إلاّ لمن عرف وحدة الوجود، فيشاهد فيها الفصل والوصل، فإنّ الوجود عين واحدة لا تجزي فيها على كثرة أجناسها وأنواعها، ووحدتها لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام والخواص، وهي المعبّر عنها عند العارفين بأنّ الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة، فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظره عيناً واحدة على كثرته، ومن نظر إلى عين الوحدة نظرة متكثراً بما لا غاية له من الكثرة، وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجاب، وهذا لمن عاين الوحدة ذوقاً لا رسماً، وهذا خارج عن القال ومعنى الوصل والفصل، فالوحدة هي الوصل، والكثرة هي الفصل انتهى، ثم من وراء هذه الحقيقة تجلى لهم فيهم بظهور حجاب كثيف غطى عليهم في ذواتهم رؤية فعله، وتحريكه وتسكينه، ورؤية قيامه لهم فيما أرادوا أعطاهم بحسب هذا التجلي، والحجاب رؤية استبدادهم بالفعل، ورؤية استبدادهم بالاختيار والحركة والسكون، ورؤية استبدادهم بالتغلب والتصرف حيث شاؤوا؟ كيف شاؤوا؟ بلا واسطة مانع ولا حجر عن الجولان في هذا الميدان يرون أنّ لا فاعل فيهم غيرهم ولا محرك لهم سواهم، ولا دافع لهم في اختيارهم في نفوسهم، وعلى هذا التجلي والحجاب وقعت الشرائع، وبعثت الرسل مبشرين ومنذرين، وثبتت الأحكام والحدود، وطوّق في أعناقهم ربقة التكليف بالأمر الإلهي أمراً ونهياً وفعلاً وتركاً وطاعةً ومعصيةً ووجوباً وتحريماً، ورتب على ذلك ثبوت الجزاء في المآل نعيماً وعذاباً وتوبيخاً وعتاباً وحمداً وثناءً؛ وهذا التجلي والحجاب هو الذي بسط عليه الحكمة والشريعة، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة نقطة دائرة الفطرة القدسية، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معنى دائرة الفطرة القدسية هي دائرة الأرواح حيث خلقت أولاً ونقطتها هي الحقيقة المحمدية، والفطرة هي نشأة الأشياء بعد أنْ لم تكن، والفطرة القدسية هي كونها وجدت على نسبة حضرة القدس في غاية الصفاء والشرف، فلا تعرف إلا الله ولا تحب إلاّ الله، ولا تبالي بغيره ولا تعظّم إلاّ الله تعالى، فهذا هو القدس الذي نسبت إليه، وفي هذا الميدان إنْ كانت لا تعرف ماذا يراد بها حتى أخذ عليها العهد والميثاق، فحينئذٍ عرفت

ماذا يراد بها من العبودية لله تعالى، وحمل التكاليف، وما يتبع ذلك من اللوازم والمقتضيات والأحكام إلى غير ذلك والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل رضي الله عنه) عن قولهم الآن الدائم ما هو، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: الآن الدائم عند العارفين هو دوام استمرار الحضرة القدسية، وفيه يندرج اسم الزمان فهو في حق القديم قديم، وفي حق الحادث حادث وهو حقيقة حدة مثاله دوام وجود الحضرة القدسية هو عين الزمان الذي هو الزمان السابق واللاحق والوقت، فهو صفة الحق إذ هو المعبر عنه بصفة البقاء، وعين هذا الزمان في حق الحادث حادث لانحصاره في تقاطيع الزمان من الدقائق والدرج والساعات والأيام والسنين والقرون والأحقاب، فهو لها أي الزمان والتقاطيع بمنزلة اللوح الذي نقشت عليه السطور والحروف، وفي اللوح عند النظر إلى السطور والحروف متقطع، وإذا محيت الحروف والسطور ما بقي إلاّ اللوح هو الآن الدائم وتقاطيع الزمان هي النقوش على اللوح والزمان، انتهى من إملائه على محبنا سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه.

(وسُئل رضي الله عنه) عن حقيقة النبوة، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: حقيقة النبوة مشتملة على ثلاثة أمور هي شرط فيها إن نقص واحد منها، فليست بنبوة الأول كمال المعرفة بالله الباطنة والعيانية، والإحاطة بجميع صفات الله وأسمائه تحققاً بما ثبتت الإحاطة به للنبوة والصديقية لا ما وراء ذلك الثاني إيحاء الله إليه بأمر إنْ شاء يتعبده به في خاصة نفسه إن كان نبياً، أو بالتبليغ لغيره إنْ كان رسولاً، والثالث يقول الله له أنت نبي أو أنت نبي إما منه إليه أو بواسطة الملك انتهى، وهذا الحد مانع جامع وهو في غاية الوضوح كل من أطلع عليه عرف معنى النبوة، وزال عنه ما يتوهم من دخول الغير ورضي الله عن سيدنا ما أوضح عبارته وما أحسن إشارته؟ انتهى.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة الرّب (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ حقيقة الرب هو العلي عن كل ما سواه ومنه سميت الربوة ربوة لعلوها، ومعناه أنّه هو المالك والمنصرف والخالق والقاهر والنافذ حكمه ومشيئته، وكلمته في كل ما سواه وحضرة الألوهية هي الشاملة لجميع الأسماء والصفات والحضرات الإلهية، وحقيقة الألوهية هو توجه الموجودات إليه بالعبادة والخضوع والتذلل والفقر والتعظيم والإجلال والمحبة، وأمّا معنى ألوهية يشار بها إلى الذات العلية موجودة في كل شيء شهوداً، ورؤيةً عاريةً عن كل شيء متباعدة عن كل شيء عياناً وحقيقةً، فإنّ الشخص الظاهر في المرآة ترى ذاته طالعة في المرآة، وما هو حال فيها ولا مقارب لها بل هو مفارق لها في كل وجه، ومغاير لها بكل اعتبر، وترى ذاته في المرآة وما هي فيها، والمثال يغني عن بسط المقال انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه والسلام.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة المراقبة والمشاهدة (فأجاب) رضي الله عنه بما نصّه قال حقيقة المراقبة في حق أهل الحجاب هي المطلقة عند العارفين، وهي علم القلب بإطلاع الرب عليه في كل لحظة، وبدوامها تقع المشاهدة وهناك مراقبة أخرى لا تكون إلاّ للعارفين، وهي استغراق العبد في المشاهدة القدسية بمحو الغير والغيرية علماً وعملاً وحالاً وذوقاً ومنازلةً وتحققاً وتخلقاً وإحاطةً وحقيقة المشاهدة هي مطالعة القلب للجمال القدسي، والمشاهدة صفة العبد، والتجلي صفة الرّب سبحانه وتعالى، وهو معنى يتصف به المتجلي انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن دائرة العارف (فأجاب) رضي الله عنه بما نصّه قال اتساع دائرة العارف إذا رفع إلى محل القرب أنّ لله صفة السمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة كل صفة من هذه تحيط بجميع الوجود في آن كأحد لا يختلف عليها اختلاط الوجود بذواته أو بألفاظه أو بحركاته، فإنّه يميز كل فرد من ذلك على حدته تميزاً لا يختلط بغيره لا في سمعه ولا في بصره، ولا في صفة من باقي صفاته، وهكذا العارف إذا رفعه إلى محل القرب يصير سمعه يسمع كسماع الحق باتساع دائرته، فإنّه في ضيق الدائرة لا يحمل الأفراد، أو أحداً من كل شيء لا في الألفاظ ولا في الذوات، ولا في الحركات لضيق دائرته ووعائه، فإذا ارتفع إلى محل القرب اتسعت دائرته باتساع معروفه، فحمل من الأكوان في الآن الواحد من الحركات والذوات والألفاظ ضرباً ما وسعه معروفه، فلا تختلط عليه أصوات الوجود في الآن الواحد، ولا تختلط عليه ذوات الوجود في الآن الواحد، ولا تختلط عليه حركات الوجود في الآن الواحد سمعاً وبصراً، وهكذا في قوله: ويده التي يبطش بها، فإنّ بطشه يتسع باتساع القدرة الأزلية يقدر مثلاً على أن يُقّوم الأرض كلها في طرفة عين، وهكذا رجله التي يمشي بها فإنّه يقدر على أنْ يمشي الوجود برجله في طرفة عين وهذا معنى الحديث كنت سمعه الخ، ومعنى الرواية الأخرى كنته معناه كنت نائباً عنه في جميع صفاتي، ومعناه يسمع بسمع الحق، ويرى ببصر الحق إلى آخر ما تقدم إنتهى من إملائه رضي الله عنه وأرضاه.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة المعرفة بالله تعالى (فأجاب)، رضي الله عنه بقوله: المعرفة الحقيقية أخذ الله للعبد أخذاً لا يعرف له أصلاً ولا فصلاً، ولا سبباً ولا يتعلق فيه كيفية مخصوصة، ولا يبقى له شعور بحسه، وشواهده وممحواته ومشيئته وإرادته بل تقع عن تجلي إلهي ليس له بداية ولا غاية، ولا يوقف له على حد ولا نهاية ومحق العبد محقاً لا يبقى له شعور بشيء، ولا بعدم شعوره ولا بمحقه، ولا يميز أصلاً من فرعه ولا عكسه بل لا يعقل إلاّ من حيث الحق بالحق في الحق عن الحق، فهذه المعرفة الحقيقة، ثم يفيض عليه من أنوار قدسه فيضاً يعطيه كمال التميز والتفصيل بين المراتب وخواصها،

وما تعطيه حقائقها في جميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها، وتفصيل الصفات الأسماء ومراتب آثارها ومعارفها وعلومها، وهذا التميز يسمى بالبقاء التام والصحو الكامل، والأصل الأول يسمى بالفناء التام والصحو الكامل، ولا قيام لهذا البقاء إلاّ بفناء الأول على أصله وقاعدته، ومتى انهدم الأول انهدم الثاني والسلازم انتهى ما أملاه وعلينا رضي الله عنه، فمن تجلى بهذا الوصف المتقدم صح له الظهور في الخلق والتقدم عليهم وإليه يلقي المريد نفسه ويقتفي آثاره، ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه، ومعارضته ولو بقلبه، فإذا فعل هذا سأل من محض فضل الله وكرمه بإظهار فقره ولسان ذله وبجاه حبيبه ونبيه أنْ يرحمه بالفتح الأكبر على يد قدوته، ومن لم يطلب الفتح من أبوابه طرد ولم ينتفع بأسبابه، قال سيدنا رضي الله عنه (قاعدة) اعلم أنّ الفتح والوصول إلى الله في حضرة المعارف لا يعطه الله تعالى إلاّ على يد أصحاب الإذن الخاص كإذن الرسالة، ومتى فقد الإذن الخاص لم يوجد من الله له فتح ولا وصول، وليس لصاحبه إلاّ التعب ومن تعلق بمطالعة كتب التصوف وسار إلى الله بالنقل منها والأخذ عنها والرجوع إليها والتعويل عليها ليس له من سيره إلا التعب، ولا يحصل له من الله شيء نعني من الوصول إلى حضرة المعارف والاختصاص، وأما الثواب فيحصل له بقدر إخلاصه والسلام.

(وسألته رضي الله عنه) عن قولهم الفقير ابن وقته، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معناه هو ما يراه واجباً عليه في وقته ينتهجه ويترك ما وراءه مما لا حاجة له به، فالمريد ينظر ما كان مصلحة له في وقته، وإنْ فارقه تضرر، فينتهجه ويترك ما عداه هذا هو المريد الصادق، والعارف بالله هو في كل وقت بحكم تجليه يعطي لكل ذي حق حقه، والعالون من العارفين هم مرتقبون ما يبرز من الحضرة الإلهية، فيقابلونه بالعبودية والأدب التي تختص به، وبعبارة أخرى معناه أنّ الفقير ابن وقته هي لأصحاب المراقبة الكبرى هو في كل وقت بحسب ما يصادمه من التجلي يتلون بتلون تجلياته في مقابلتها بالعبودية والأدب، ليعطي لكل تجملٍ حقه من العبودية والأدب، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن الفقير الصابر، والغني الشاكر أيهما أفضل؟ (فأجاب) رضي الله عنه بما نصّه: التفضيل بين الفقير الصابر والغني الشاكر أيهما أفضل؟ والخلاف في تفضيل أحدهما على الآخر معروف بين العلماء، (قلت): ومحل الخلاف، إنّما هو في أهل الحجاب دون المتمكنين من الوقوف في بساط الحقائق، وأمّا أهل الوقوف في بساط الحقائق فكل من الغني والفقير له شكر وصبر وبيان ذلك أنّ النفس ولوعاً بهواها، وممازجة جبلتها وبشريتها، ففي الفقر بنفورها عنه واشتغالها بما يقتضيه الرب من الفقر طلباً للذاتها وشهواتها، وهروباً من عذاب الفقر ونكاله وفي هذا الأمر للنفس شغل لها عن

قيامها بالحقوق الإلهية، وبعد لها عن الاتصال بالحضرة القدسية، كما أنّها في الغني تريد الخروج إلى الراحة والأمن والتمتع بلذاتها وشهواتها إخلاداً إلى أرض الطبيعة والجبلة، فكان في ذلك أيضاً شغل لها عن القيام بالحقوق الإلهية وبعد لها عن الاتصال بالحضرة القدسية، وهاتان هما الفتنتان في البلاءين اللذين ذكرهما الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا ترجعون﴾ [الأنبياء: ٣٥] يعني فيهما لأنّ اتصال النفس بالحضرة القدسية مميت لها عن شهواتها وحظوظها ومألوفاتها، فخرج لها عن مقتضى جبلتها وطبيعتها، فلم يكن للنفس في ذلك الميدان إلاّ ظهور الوجود بالحق للحق في الحق مع تمييز المراتب، وتفصيل جملها وتفصيلها، ومعرفة خواصها وإعطائها لكل ذي حق حقه، فهو عين القيام بتكميل الحقوق الإلهية فله في تلك الحضرة تكميل القيام بحقوق كل تجلٍّ من التجليات الإلهية، وبحق كل اسم وصفة من الأسماء والصفات الإلهية وهو في كل ذلك متصف بالقيام بما يوجب عليه حكم وقته في تلك الحضرة، وإذا عرفت هذا، فالغني كامل الشكر بتكميل الحقوق الإلهية ثابت الصبر بزم النفس عن الإخلاد إلى أرض طبيعتها وجبلتها مع شدة ميلها لذلك، وكمال هبوطها فهو في مقاسات زمها في تعب شديد فهو صابر شاكر، لأنّه في هذا الميدان لم يكن قيامه في الغني لحظ نفسه وإنّما هو بالثبوت فيما أقامه الله فيه، فبانَ لك أنّه صابر شاكر لكونه يشهد نفسه خليفة له فيما ولاه عليه من الأموال بمنزلة الوكيل لرب المال يعطي إذا أمره رب المال بالعطاء، ويمسك إذا أمره رب المال بالإمساك، يشهد لهذا قوله تعالى: ﴿أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ [الحديد: ٧]؛ وأما الفقير، فإنّه إذا اتصفت نفسه بالاتصال بالحضرة الإلهية، وطالع عين الجمال القدسي فهو في فقره صابر شاكر أيضاً، وشكره تكميله للقيام بحقوق التجليات الإلهية جملةً وتفصيلاً، وبحقوق ما انكشف له من الصفات والأسماء الإلهية، فهو يعطي في جميع ذلك لكل ذي حق حقه لا تطرأ عليه الغفلات، ولا تدهشه معضلات التنزلات إذ صار في ذلك كله قيامه لله بالله من الله عن الله ليس له عن الله اصطبار، ولا مع غير الله قرار، وبحسب تكميله لهذه الحقوق يصير كامل الشكر لربه، وصبره هو زمه لنفسه عن الغير لمقتضى طبعها، وجبلتها وعن هبوطها إلى أسفل سافلين بالميل إلى الراحات، واللذات والشهوات، والتمتع بمقتضيات الحظوظ بشدة الهرب، والبعد عن أضدادها من العذاب والنكال، والتنغيص التي هي لوازم الفقر، فهو أيضاً صابر شاكر إذ لم يكن قيامه في الفقر بنفسه، وإنّما هو ثابت القيام فيما أقامه الله فيه، فظهر لك استواءهما في هذا الميدان إلاّ أنّه ربما تكون هناك بعض هناة للغني بملامحة التلذذ بالراحة من الألم الذي يجده الفقير في نفقة الأهل والأولاد والأصحاب وغيرهم، إلاّ أنّ هذا لازم للبشرية دون الروح، وهناك أيضاً هناة للفقير بوجود الألم والتنغيص والضيق والحرج في

مقام بشريته فقط لمطالبته بما لا قدرة له عليه من نفقة الأهل والأولاد والأصحاب وغيرهم، وبحسب هذه الهناة يكون صبرهما وشكرهما، ويدخلهما الخلاف في التفضيل إذا انتقل الفقير إلى مقام التلذذ بالفقر، وابتهاجه بنعيمه فلا صبر له حينئذٍ إنّما هو شاكر في كل حال فهو بمنزلة الغني الشاكر وهذا ينال بمحض الموهبة ليس للكسب إليه سبيل، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسمعته رضي الله عنه) يقول: الجهل بالله عين الكفر الصراح المجمع على خلود صاحبه في النار أبداً، والجهل بالله تعالى هو عين المعرفة بالله تعالى، وصريح الإيمان المجمع على خلود صاحبه في الجنة أبداً، فأمّا الجهل الذي هو عين الكفر، فهو الجهل بمرتبة ألوهيته بما تستحقه من الكمالات واللوازم والمقتضيات، وما تتنزه عنه من وجوه المستحيلات، فهذا هو عين الكفر بالله، وأمّا الجهل الثاني: فهو الجهل بالحقيقة الذي هو كنه الذات من حيث ما هي هي فإنّ هذا الجهل هو صريح الإيمان، وكمال المعرفة بالله إذ حقيقة العجز عن درك المعرفة بالكنه هو حقيقة الإيمان بالله، ومن ادعى معرفة الكنه فقد كفر، انتهى من إملائه رضي الله عنه وأرضاه.

(ومن كلامه رضي الله عنه) في إيضاح وحدة الوجود وبيانها على مذهب القوم رضي الله عنهم، وإبطال ما قال أهل الظاهر من إحالة الوحدة، وبطلان ما ألزموه لمن قال بها: قال رضي الله عنه: بيانها من وجهين (الوجه الأول:) أنّ العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل، فإنّك إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية من شعر وجلد ولحم وعظم وعصب ومخ، وكذلك اختلاف جوارحه وطبائعه التي ركبت فيه وبها قيام بنيانه، فإذا فهمت هذا ظهر كل بطلان ما ألزموه من نفي الوحدة، لاستلزام تساوي الشريف والوضيع واجتماع المتنافيين والضدين إلى آخر ما قالوه، قلنا: لا يلزم ما ذكره هنا لأنّه وإنْ كانت الخواص متباعدة، فالأصل الجامع لها ذات وحدة كذات الإنسان سواء بسواء، (الوجه الثاني:) اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقاً كله للخالق الواحد سبحانه وتعالى، وأثراً لأسمائه، فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذا الحكم، وإنْ اختلفت أنواعه، فالأصل الذي برز منه واحد، فبهذا النظر هو متساوٍ، فيلزم اتحاده، وإنْ اختلفت أجزاؤه كما ذكر في ذات الإنسان، وإنّما تختلف نسبه بحسب ما فصلته مشيئة الحق فيه من بين شريف ووضيع وعال وسافل وذليل وعزيز وعظيم الشأن وحقيره إلى آخر النسب فيه، ولم تخرجه تفرقة النسب عن وحدة ذاتية، كما أنّ ذات الإنسان واحدة ووحدتها لا تنافي اختلاف نسب أجزائها، واختصاص كل جزء بخاصيته، فإنّ خاصية اليد غير خاصية الرجل، وخاصيتها غير خاصية العين، وهكذا سائر الخواص والأعضاء والأجزاء، وإنّ ارتفاع وجهه في غاية الشرف وانخفاض محله في غاية الضعة

والإهانة لم يخرجه عن كون ذاته واحدة مع اختلاف الخواص مثل ما قلنا في ذات الإنسان، ثم قال رضي الله عنه: وزيد وجه ثالث في إيضاحه وهو اتحاد وجوده من حيث فيضان الوجود عليه من حضرة الحق، فيضاً متحداً، ثم تختلف خواصه وأجزاؤه بحسب ما نفصل ذلك الوجود، فإنّه يتحد في عين الجملة، ويفترق في حال التفصيل مثاله في الشاهد مثال المداد، فإنّ الحروف المتفرقة في المداد، والكلمات المتنوعة والمعاني المختلفة التي دلّت عليه صورة المداد لم تخرجه عن وحدة مداديته، فإنه ما ثم المداد تصور في أشكاله الدالة على المعاني المختلفة والحروف المتفرقة، والخواص المتنوعة غير المؤتلفة ولا المتماثلة، فإنك إذا نظرت إلى عين تلك الصور التي اختلفت حروفها وكلماتها لم ترَ إلاّ المداد تجلى فى أشكالها بما هو عين المداد، فتتحد بالمدادية، وتختلف بالصور والأشكال والكلمات والمعاني، فكما أنّ المداد في تلك الحروف عين تلك الحروف، والحروف في ذلك المداد عين ذلك المداد، وهي مختلفة الأشكال والأسرار والخواص والمعاني إلى غير ذلك؛ كذلك نهاية الوجود في ذوات الوجود عين تلك الذوات، وتلك الذوات في ذلك الوجود عين ذلك الوجود، وهي أيضاً مختلفة الأشكال والأسرار والخواص، فوحدتها في عين ذلك الوجود لم تخرجها عن اختلاف أشكالها وأسرارها ومعانيها وخواصها، ولا افتراقها بتلك الأسرار والخواص والمعاني يخرجها عن وحدتها بذلك الوجود مثل ما في الحروف، والمداد، كما أنّ وحدة المداد لم تخرجها عن اختلاف أشكالها وأسرارها ومعانيها وخواصها، ولا افتراقها في هذه الأمور يخرجها عن اتحادها في ذلك المداد، ثم قال قدس الله سره العزيز: وقد اتضح الحق لمن فهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، انتهى من إملائه على محبنا سيدي محمد ابن المشري رضي الله عنه.

(وسمعته) رضي الله يقول: الدليل على أنّ سيدنا الخضر من الأفراد، وليس نبياً على القطع، ما حكاه الله في القرآن في قصته مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿لقد جئت شيئاً نكرا﴾ [الكهف: ٧٤]، ﴿لقد جئت شيئاً أمرا﴾ [الكهف: ٧١] لو كان نبياً ما أنكر عليه سيدنا موسى فعله لأنّ سيدنا موسى عليه السلام يعلم عصمة النبوة، وأن صاحبها لا يتقدم إلى فعل شيء إلاّ بأمر إلهي، ويكون الأمر في تينك القضيتين الأوليين في القرآن، وهما خرق السفينة، وقتل الغلام، فإنّهما من أعظم الأمور المستقبحة شرعاً وطبعاً، فإنّ العقلاء اتفقت على فتح ذينك الفعلين والأمور الإلهية أطبقت كلها على تحريمهما لأنّهما من أعظم الفساد في الأرض، فلو علم أنّه نبي لعلم أنّه لا يقدم عليهما إلاّ بأمر إلهي لا يمكن تركهما، وحيث أنكر عيه فدّل ذلك على أنّه ليس بنبي؛ وأيضاً في الاستدلال على عدم نبوته وهو أكبر من الأول إذ لو كان الخضر نبياً لأعلم الله موسى

بنبوته لأجل أنّ لا ينكر عليه لأنّ الإنكار على صاحب النبوة تضليل له، والمضلل للنبي كافر وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام معصوم، فما تجرأ عليه بقوله: ﴿لقد جئت شيئاً نكرا﴾ [الكهف: ٧٤] إلاّ لعلمه أنّه ليس بنبي فاتضح لك الأمر، والحمد لله، انتهى من إملائه رضي الله عنه.

(ومن كلامه رضي الله عنه) قال: قاعدة: اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى جعل في سابق علمه ونفوذ مشيئته، أنّ المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته هو في كل عصر يجري مع الخاصة العليا من خلقه من النبيين والصديقين، فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا وصحبهم، واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائض من الله، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنياً بكلام من تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان، وكان مثله كمن أعرض عن نبي زمانه وتشريعه مستغيثاً بشرائع النبيين الذين خلوا قبله، فيسجل عليه بطابع الكفر والسلام. ثم قال رضي الله عنه: والدليل على أنّ الصحبة لا تكون إلاّ للحي قوله ﷺ لأبي جحيفة رضي الله عنه «**سل العلماء وخالط الحكماء واصحب الكبراء**»، فالعالم دلالته على الأمر العام أمراً ونهياً بما يوجب المدح عند الله، وسقوط اللائمة على العبد ونهايته الجنة والحكيم دلالته على التقرب إلى الله تعالى بالطهارة من أهوية النفوس، ومتابعة الهوى ونهايته منازل القربة، والكبير دلالته على الله من حيث محو النفس والبراءة من التدبير لها بكل ما يجلب المصلحة لها دنيا وأخرى، وبكل ما يدفع المضرّة عنها دنيا وأخرى، ونهايته الله، ثم قال: يؤخذ من هذا أنّ الصحبة لا تكون إلاّ للحي إذ الميت لا يصحب، ولا يكلم ولا يخالط انتهى.

(ثم قال) رضي الله عنه: إنّ لنا مرتبة عند الله تناهت في العلو عند الله تعالى إلى حد يحرم ذكره ليس هي ما أفشيته لكم، ولو صرحت بها لأجمع أهل الحق والعرفان على كفري فضلاً عما عداهم، وليست هي التي ذكرت لكم بل هي من ورائها ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يحافظ على تغيير قلبي من أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله من قربه، وسلبه ما منحه، انتهى من إملائه رضي الله عنه.

(وما أملاه علينا رضي الله عنه) من حفظه ولفظه في مجلس واحد ونصّه قال: جواهر القلب سبعة والقلب فيه سبعة خزائن كل خزانة محل الجوهرة من الجواهر السبعة، فالجوهرة الأولى جوهرة الذكر، والجوهرة الثانية جوهرة الشوق، والجوهرة الثالثة جوهرة المحبة لله والعشق، والجوهرة الرابعة جوهرة السر، وهو غيب من غيوب الله تعالى لا تدرك ماهيته ولا تعرف، والجوهرة الخامسة جوهرة الروح، والجوهرة السادسة جوهرة المعرفة، والجوهرة السابعة جوهرة الفقر. (الجوهرة الأولى) جوهرة الذكر إذا انفتحت في قلب العبد يكون أبداً منفرداً عن وجوده غائباً عن شهوده، ويسمى عند السالكين ذهولاً عن

الأكوان وطمأنينة القلب بذكر الله، (الجوهرة الثانية) جوهرة الشوق إلى الله، وهو أنْ يكون العبد أبداً في الشوق، أو الاشتياق إلى الله يطلب الموت في كل نفس لأنّ حرارة الاشتياق مشتعلة فيه، (الجوهرة الثالثة) جوهرة المحبة، فإذا انفتحت في القلب يكون العبد أبداً راضياً عن الله، وراضياً بحكمه بلذة وإيثار لذلك الرضا على كل ما عداه لو وقع به في الوقت الأعظم الهلاك لكان أحب إليه من جميع الشهوات، (الجوهرة الرابعة) جوهرة السر، وهو غيب من غيوب الله لا تعرف ماهيته ولا تدرك، وحكمه أنْ يكون العبد في كل حال لا يتحرك إلاّ لله ولا يسكن إلاّ لله، ولا يقع فيه شيء مخالفة الشرع أصلاً لكمال طهارته، (الجوهرة الخامسة) جوهرة الروح: وهو أنْ يكشف بحقيقتها وماهيتها كشفاً حقيقياً حسياً حيث لا يخفى عليه من جملها، وتفصيلها شاذ ولا فاذ، وهي حضرة ورود الاصطلام سكراً وصحواً ومحقاً، (الجوهرة السادسة) جوهرة المعرفة: وهي تمكين العبد من الفعل بين حقيقة الربوبية والعبودية، ومعرفة كل حقيقة بجميع أحكامها، ومقتضياتها ولوازمها، وهي حضرة البقاء والصحو، (الجوهرة السابعة): وهي جوهرة الفقر لله تعالى إذا انفتحت في العبد يشهد افتقاره إلى الله تعالى، واضطراره إليه في كل نفس من أنفاسه، فلا يزعجه عن هذا التمكين ورد كل خطب من أضداد فقره، ومن تمكن من هذه الجوهرة صار أغنى الخلق بالله عن كل شيء بحيث أنْ لا يبالي بجميع الخلق أحبوه أم أبغضوه أم أقبلوا عليه أم أدبروا عنه لكمال غناه بالله تعالى، فمن تمكن من هذه الجوهرة آمن من السلب في حضرة الحق سبحانه وتعالى، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه، وهذا نهاية السالكين انتهى.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة الذكر، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: حقيقة الذكر أدنى مراتبه أنْ ينسى ما دونه، وأعلاه هي أعلى مراتب الاصطلام، وأعلى مراتب الاصطلام أنْ يشهد نفسه عين ذلك الوجود، وهو المعبّر عنه بالسحق والمحق، وحقيق الاصطلام أوله ذهول عن الأكوان وهو المعبّر عنه بالسكر ووسطه فناء عن الأكوان مع علمه بفنائه، وأعلاه فناء عن الأكوان وفناؤه عن فنائه، والمرتبة العليا منه أنْ يشهد نفسه عين ذلك الوجود، وهو المعبّر عنه بالسحق والمحق، وحقيقة السحق والمحق عبارتان مترادفتان، وهما فناء العبد بالكلية، قال ابن الفارض رضي الله عنه:

ومنذ عفا رسمي وهمت وهمت في وجودي فلم تعثر بكوني حقيقتي

(وقال غيره)

حيرتني في أمري مذ غبت عني حق خاطبتني في سري من أنت قلت: أنتِ

انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه، ومما أملاه علينا رضي الله عنه في محبة الخلق

لله سبحانه وتعالى قال رضي الله عنه: محبة الخلق لله سبحانه وتعالى، أربعة أقسام، القسم الأول: محبتهم للثواب، والقسم الثاني: محبتهم لآلائه ونعمائه، والقسم الثالث: محبتهم لما هو عليه من الكمال والجمال، والقسم الرابع: محبتهم للذات العلية، أما محبتهم للثواب فمعلومة، وكذلك محبتهم لآلائه ونعمائه، وهاتان المحبتان لعامة المؤمنين منهما حظ ونصيب، ولكنْ قد تزول هاتان المحبتان بزوال سببهما، وأمّا القسم الثالث مسببها ثابت ثابت، وهو ما عليه ربنا من أوصاف الكمال والعظمة والجمال، وهذه لصغار الأولياء، ولكنْ لا تلحق المرتبة الرابعة، لأنّ المرتبة الرابعة مجردة عن الأسباب والعلل والأوصاف، وهذه لا تكون إلاّ لمن فتح عليه ورفع عنه الحجاب، شاهد أسرار الأسماء والصفات والمواهب والحقائق والكمالات، قال رضي الله عنه، وفي الحديث دليل المرتبة الأولى والثانية، قال ﷺ «**أحبوا الله لما يغذ بكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي**»، وقالت رابعة العدوية رضي الله عنها:

أحببتك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهلاً لذاكا

أشار للمرتبة الثالثة، والرابعة، ثم قال رضي الله تعالى عنه والمحبة الصادقة هي التي تورث الغيرة لصاحبها، قيل للشبلي رضي الله عنه متى تستريح؟ قال إذا لم أرَ له ذاكراً غيري، وقال أبو يزيد رضي الله عنه لصاحبه حين قال له: وهل سألته المعرفة به؟ قال له: أسكت غرتُ عليه من أنْ يعرفه غيري، وقال ابن الفارض رضي الله عنه في هذا المعنى:

فدع عنك دعوى الحب، وادع لغيره ... فؤادك وادفع عنك غيك بالتي

وجانب جناب الوصل هيهات لم يكن ... وها أنت حيّ إنْ تكن صادقاً مت

هو الحق إنْ لم تقضِ لم تقض مآرباً ... من الحب، فاختر ذاك أو خلِّ خلتي

فقلت لها، روحي لديك وقبضها ... إليك فمن لي أنْ تكون بقبضتي

وقال قبل هذا الموضع:

فقالت هوى غيري قصدت ودونه ... اقتصدت عمياً عن سواه محجتي

وغرك حتى قلت ما قلت لابساً ... به شين مين ليس نفس تمنتِ

وفي أنفس الأطوار أمسيت طامعاً ... بنفس تعدت طورها فتعدتِ

فكيف بحبي وهو أحسن خلة ... تفوز بدعوى وهو أقبح خلةِ

وأين السهى إلخ، وقال قبل هذا:

وعن مذهبي في الحب مالي مذهب ... وإنْ ملت يوماً عنه فارقت ملتي

ولو خطرت لي في سواك إرادة   على خاطري سهواً قضيت بردتي

وقال في الكافية:

كل من في حماك يهواك لكنْ   أنا وحدي بكل من في حماكِ

ا هـ (ومن كلامه رضي الله عنه) قال: التوحيد الخاص قال الجنيد: علم التوحيد مباين لوجوده، ووجوده الفارق لعلمه، فإذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة، قال جعفر الصادق رضي الله عنه: من عرف الفصل والوصل والحركة والسكون بلغ القرار في التوحيد، انتهى.

ووجدت مقيداً ما نصّه بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، هذا توحيد العارفين رضي الله عنهم يقول لهم الحق مخاطباً لهم: يا عبادي، فبماذا وحدتموني، وبماذا وحدتموني؟ وما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ فإنْ كنتم وحدتموني في المظاهر فأنتم القائلون بالحلول، والقائل بالحلول غير موحد لأنه أثبت أمرين حالاً ومحلاً، وإنْ كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات والأفعال فما وحدتموني، فإنّ العقول والأفكار لا تبلغ إليها، والخبر من عندي فما جاءكم بها، وإن كنتم وحدتموني في مرتبة الألوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية من كونها عين وحدة مختلفة النسب والإضافات والأحكام واللوازم والمقتضيات، وسائر أحكام مرتبة الألوهية فما وحدتموني هل بعقولكم أم بي وكيف ما كان فما وحدتموني، لأنّ وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بي، فإنّ توحيدكم إليّ بي هو توحيدي لا توحيدكم، وبعقولكم كيف يحكم عليّ بأمر من خلقته ونصبته، وبعد أنْ ادعيتم توحيدي بأي وجه كان وفي أي وجه كان، فما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ إنْ كان اقتضاه وجودكم، فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم، فقد خرجتم عني فأين التوحيد، وإنْ كان اقتضاه أمري فأمري ما هو غيري فعلى يدي من وصلكم إنْ رأيتموه مني، فمن الذي رآه منكم، وإنْ لم تروه مني، فأين التوحيد يا أيها الموحدون كيف يصح لكم هذا المقام؟ وأنتم المظاهر لعيني وأنا الظاهر، والظاهر يناقض الهوية، فأينَ التوحيد لا توحيد المعلومات، فإنّ المعلومات أنا وأعيانكم والنسب والمحالات فلا توحيد في المعلومات فإنْ قلت في الوجود فلا توحيد، فإنّ الوجود عين كل موجود، واختلاف المظاهر يدل على اختلاف وجود الظاهر، فنسبة عالم ما هي نسبة جاهل، ولا نسبة متعلم فأين التوحيد، وما ثم إلاّ المعلومات، أو الموجودات. (فإنْ قلت): لا معلوم ولا مجهول ولا موجود، ولا معدوم هو عين التوحيد قلنا: بنفس ما علمت أنّ في تقسيم المعلومات من يقبل هذا الوصف، فقد دخل تحت قسم المعلومات، فأين التوحيد؟ فيا أيها الموحدون استدركوا الغلط، فما ثم إلاّ الله والكثرة في ثم وما هم سواء

فأين التوحيد؟ فإنْ قلتم: التوحيد المطلوب في عين الكثرة قلنا ذلك توحيد الجميع فأين التوحيد؟ لا يضاف ولا يضاف إليه استعدوا أيها الموحدون للجواب عن هذا الكلام إذا وقع السؤال، فإنْ كان أهل الشرك لا يغفر لهم، فبحقيقة ما نالوا ذلك لأنّه لو غفر لهم ما قالوا بالشريك فشاهدوا الأمر على ما هو عليه، (فإنْ قلت:) فمن أين جاءهم الشقاء وهم بهذه المثابة، وإنّ عدم المغفرة في حقهم ثناء عليهم قلنا: لأنّهم عينوا الشريك فأشقاهم توحيد التعيين فلو لم يعينوا لسعدوا، ولكنهم أرجى من الموحدين لدرجة العلم جعلنا الله ممن وحده بتوحيد نفسه جل علاه، انتهى.

فسألت سيدنا رضي الله عنه عن هذا التوحيد (فأجاب) سيدنا رضي الله عنه عن التوحيد وهو توحيده لنفسه بنفسه عن نفسه، وهذا التوحيد لا سبيل إليه إلاّ بالفناء. (وقال الجريري رضي الله عنه) كل إشارة أشار بها الخلق إلى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا إلى الحق بالحق، أراد بهذا الذي ذكرناه هو عرو النسب حيث تنطمس النسب في الذات، ثم قال: ولا سبيل لهم إلى ذلك لأنّ الذي أدرك هذا في كمال الفناء انمحقت الإشارة والمشير، فليس إلاّ هو بنفسه في نفسه لنفسه عن نفسه، فلا إشارة ولا مشير، ولذا قال: لا سبيل لهم إلاّ ذلك، وإنّما وحّده الموحدون في مرتبة الألوهية لينالوا بذلك سعادتهم، وقيامهم بتكليفهم فهم في ذلك لأنفسهم لا له لأنّ الذي له خارج عن نفسه، وطورها لا شعور له بها فضلاً عن غيرها لم يكن إلاّ هو وحده. قال الشبلي: حين دخل عليه الرجل قال له: ما تريد؟ قال له: أسأل عن الشبلي قال له: مات لا رحمه الله، وأمّا مرتبة الأحدية فلا توحيد فيها لأنّها إنْ تجلت إن انمحق تحتها وذهب شعوره بنفسه وبفنائه، فلا مشاهدة حينئذٍ إنّما هو الحق بنفسه في نفسه لنفسه عن نفسه، فأين الغير حتى تتجلى له الأحدية، ولذا أجمع العارفون كلهم على أنّ التجلي بالأحدية غير ممكن كذلك الذات التجلي بها غير ممكن يعني الذات المطلقة الساذجة العارية عن النسب والإضافات إلاّ الفرد الجامع، فإنّه تتجلى له لأنّه هو الحجاب بينها وبين الوجود والوجود كله عائش في ظله، ولو زالت ظليته لانمحق الوجود كله في أسرع من طرفة العين، فللفرد الجامع وجهتان وجهة إلى الذات المقدسة فهي متلاشية فيها، يتلقى تجليها بما هي عليه من العز والعظمة والكبرياء والجلال والعلو ولا قدرة لأحد في الوجود على هذا إلاّ هو وله وجه إلى الوجود، بفيض على الوجود ما اقتضته مرتبة الألوهية فهو البرزخ الجامع بين الله وبين خلقه، وهذا الأمر لا يعرف بالقال، وإنّما يعرف بالذوق والحال، انتهى ما أملاه علينا رضي الله تعالى عنه، وأنشدني سيدنا هنا بيتاً وهو:

وإذا صفا لك من زمان واحد ... فهو المراد، وأين ذاك الواحد

قال رضي الله عنه: هذا البيت له معنيان، المعنى الأول: هو الشاهد هنا يعني إذا صفا

لك الواحد من زمانك، فالمراد هو الإله الحق وصفاؤه هو محق الغير والغيرية لا أين ولا كيف ولا نسبة ولا توهم ولا رسم ولا اتصال ولا انفصال إلاّ هو فيه منه عنه له به، فهذا هو المراد الذي توجهت الهمم كلها إليه أين ذاك الواحد الذي صفا له الواحد بالصفاء المذكور، وأين ذاك الواحد؟ دليل على غاية بعده، والمعنى الثاني: إذا صفا لك من زمانك واحد يعني صاحب وهو الواحد يوفي بجميع أغراضك دفعاً وجلباً حتى لا يقصر عنك في شيء، فهذا الواحد هو المراد، وأين ذاك الواحد الذي هذا وصفه؟ والسلام، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وحقيقة التجلي): هو الظهور، والتجلي بالأسماء الإلهية يكون لكل عارف على قدر مرتبته، والفرد الجامع هو المحيط بجميع ذلك، والعارف يرى في نفسه أنّ ليس ثم غيره يتجلى بتلك الأسماء والصفات إلاّ هو، وهكذا الكل عارف لكنه يعلم أنّ ذلك من إفاضة القطب عليه إذ لو أراد القطب إمساكه لأمسكه عنه، وكل عارف على قدر مرتبته في هذا الميدان إلاّ القطب الجامع، فإنّه محيط بجميع المراتب أياً كان حتى مراتب الملائكة، وله وراء ذلك من التجلي بالأسماء والصفات التي يطلبها الكون بقدر ما شاء الله لا نهاية لله في أسمائه وصفاته، وكل عارف يرى الوجود داخلاً تحت مشيئته موجوداً بقدرته حياً بحياته، كل على قدر مرتبته إلاّ الفرد الجامع، فله جميع المراتب، وله الاستيلاء على جميع المراتب، وله الذوق في جميع المراتب، وله الإحاطة الشاملة في جميع المراتب، وله المنع والعطاء في جميع المراتب، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(ومن كلامه رضي الله عنه) قال: الأسماء القائمة التي يطلبها الكون وهي التي لا وجود للكون بدونها، وهي التي تعثر عليها العارفون هي الأسماء العاليات التي من عرفها علم منها لم وجدت تلك الذات، وما مراد الله منها وما عاقبة أمرها من خير أو شر، واستقرارها في الدار الآخرة، فتعلم من هذا أنّ كل ذرة من الكون لها اسم، وهكذا أجزاء الكون كله ذرة ذرة، ثم قال سيدنا رضي الله عنه: إذا أراد الكبير أنْ يتوجه إلى كون من الأكوان، فيتوجه إلى الله باسمه الخاص به، فيأتيه كرهاً، وكذلك عسكرة الأسماء، وهي خارجة عن أسماء الكون، وهي في التوجه للكبير مثل أسماء الكون سواء، هذا من المكتوم الذي لا ينبغي أنْ يذكر للعامة، انتهى كلامه رضي الله عنه. (وقال الشيخ رضي الله عنه) إنّ جميع أسماء الكائنات ليست بحادثة أي معانيها لا حروفها وأصواتها، لأنّ الله تبارك وتعالى تكلّم بها في أزله، فحيث كانت من كلامه فهي قديمة، ولم يسبق رضي الله عنه إلى هذه المعاني والسلام. (ومن كلامه رضي الله عنه) أنّ لله سبحانه وتعالى أحكاماً من القدر في خلقه مما هو مخالف لصورة الشرع ترد على تلك الأحكام، أحكام من المقابلات تسمى بلسان الحكمة عقوبات وجزاء لا بد منها ومن ورودها، فتارة يصرف

ـحق سبحانه وتعالى تلك العقوبات الواردة على تلك الذنوب بوجه من وجوه الصرف، وهي كثيرة كسبق صدقة أو صلة رحم، أو إغاثة ملهوف، أو شفاعة ولي أو غير ذلك من الوجوه، وتارة ترد العقوبات بلا صارف، فتتلقاها ذوات أهل التصرف فتقع في ذواتهم، وتارةً ترد على ذوات أهل التصرف، فتقع على أصحابها، ومن تعرض من الأولياء لدفع ذلك عنهم طلباً لراحتهم سلطه الله عليه، فإنها لا تخرج مجاناً، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(ومما) أملاه علينا رضي الله عنه قال: لله تصريف في بعض خلقه يجعل الدنيا في أيديهم، فمن حفظها منهم مع المحافظة على أمر الله تعالى فيها من غير تضييع حفظها الله في يده وصابه بها وجعلها له بركة، ومن ضيعها من يده تهاوناً بها ضيعه الله تعالى وأحوجه إليها ولم يجدها في يده، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه. (ومن كلامه رضي الله عنه) قال: معنى أنّ كل ولي قدمه على قدم نبي أي يذوق ذلك النبي، ويتوجه توجه ذلك النبي من غير إحاطة بما كان عليه ذلك النبي، بل يحصل له قسط ونصيب مما كان عليه ذلك النبي، انتهى. (وسمعته رضي الله عنه) يقول: اختلاف علماء هذه الأمة، كل واحد منهم مسلوك به طريقة من طرق الرسل أعني العلماء المجتهدين بالحق، فإذا عرفت هذا، فلا يصح إنكار بعضهم على بعض لكون الذي عندهم كله حق وصواب، ولا يعترض عليهم إلاّ جاهل والسلام ا هـ من إملائه رضي الله عنه.

(وسمعته رضي الله عنه) يقول: وصف مشترك بين القديم والحادث، وحقيقته وحدة لا تتبدل ولا تتغير، ولكنْ مع القديم يكون قديماً وبالنظر للحادث يكون حادثاً قال: هو الآن الدائم عند العارفين، وهذا من الإشكالات الصعبة ولا يتفطن له إلاّ أهل العلم بالله جعلنا الله منهم آمين. (وسألته رضي الله) عن معنى الدهر، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معنى حقيقة الدهر هو استمرار وجود الحق بلا بداية ولا نهاية، وهو المعبّر عنه بالبقاء سبحانه وتعالى، وهو معنى قوله في السيفي دائماً من الدهر إلى الدهر بألوان التسبيح معناه، وأمّا معنى من واى فلا يطلع عليه في هذا الميدان، ولا تبحث فيه لأنّه ألفته البصيرة النافذة التي لا يطرقها الباطل بوجه من الوجوه ﷺ، قال الشيخ سيدي أبو مدين رضي الله عنه: لولا أنْ أهتك حرمة الشريعة، لدخلت على المخدرات في بيوتهن لأنّ الله تعالى وعدني أنّ من وقع بصري عليه، أو بصره عليَّ ما حرّم الله جسده على النار، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومن كلامه رضي الله عنه) قال: تفكرت في اختصاص سيد الوجود ﷺ بيوم الإثنين، فتبيّن أنّه لما كان هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلاّ الوجود القديم، وكذلك هذا اليوم هو الثاني من الأيام، ولم يتقدمه إلاّ يوم الأحد، فلهذا كان تقلب أطواره ﷺ في

يوم الإثنين فيه ولادته، وفيه هجرته وفيه دخوله لطيبة، وفيه أرسل؛ وكذلك سيدنا آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام في اختصاصه بيوم الجمعة وتقلب أطواره فيه لمناسبة وجودية، لأنّ سيدنا آدم هو الموجود الأخير من الموجودات، وهو المعبّر عنه عند العارفين بالتجلي الأخير واللباس الأخير، وهذا اليوم هو الأخير من الأيام التي خلق الله فيها خلقه، قال تعالى: ﴿خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾[الأعراف: ٥٤]، و في اليوم السابع قال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾[الأعراف: ٥٤] على ما أراد وعلم، ولم يخلق فيه مخلوقاً، فلهذه المناسبة كانت أطوار سيدنا آدم عليه السلام من خلقه، ودخوله الجنة وخروجه منها، وتوبته فيه، انتهى. ثم قيل لسيدنا رضي الله عنه على هذا القياس يكون الإثنين أفضل من يوم الجمعة لاختصاص أطوار سيد الوجود به ﷺ قال: التفضيل أمر إلهي لا علة له ولا قياس، يفضل الله سبحانه وتعالى ما شاء بما شاء على ما شاء، فما سمع من التفضيل بمخلوق من خبر الله، وخبر رسوله ﷺ، فهو المفضل، وما لا فلا انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه) هل خرج النبي ﷺ عند ولادته من المحل، أو من تحت السرة، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أني رأيت في بعض التقاليد نقل صاحبه من كتاب الشفاء لابن سبع قال: أنّه ﷺ «**خرج من تحت السرة ولم يخرج من محل الولادة**» كذا غيره من جميع إخوانه من النبيين والمرسلين، هكذا نقله ابن سبع، ولعل المستبعدين لذلك يقولون: لو كان هذا كما قيل لنقل وتواتر لأنّه أهم الأمور، ولا شك أنّ الولادة يحضرها جمع من النسوة أشد الناس حرصاً على إفشاء ما يرون من العجب، فلو وقع هذا الخارق لرآه كل نسوة حضرن ولادة نبي من النبيين، ولو وقع لأفشته النسوة الحواضر لعدم صبرهنّ على الكتم، ولو حدثت به النسوة لتواتر في أقطار الأرض، فدّل عدم تواتره في أقطار الأرض وسكوت النسوة عليه على عدم وقوعه، وهو الخروج من تحت السرة. (والجواب:) عن هذا المحط أنّ هذا خرق إذن الله في ستره، وعدم إفشائه للخلق، وذلك يستدعي نظرين النظر الأول: أنّ الإخفاء لما خفي، والظهور لما ظهر هو أمر موكول إلى الله سبحانه وتعالى، يظهر ما يشاء بسبب أو بلا سبب، ولو توفرت دواعي الإخفاء، ويخفي ما يشاء بسبب، أو بلا سبب، ولو توفرت دواعي الظهور وهذا من ذلك القبيل، والنظر الثاني: أنّ خروج الصفوة العليا من تحت السرة تنزيهاً عن محل القذر، فيكون أمره إنّ الله تعالى يفتح الأغلقة كلها من الأم من جلد وصفاق وأرحام حتى يخرجه، ويردها كما كانت في أسرع من طرفة عين ويردها كذلك، وهذا غير بعيد في قدرة الله تعالى؛ ثم أنّه إذا أراد الله تعالى الإخفاء ألقىٰ الغفلة على النساء الحواضر مثل أنْ يمسنها فيقلن ما زال أمرها متأخراً عن الولادة وهي تتوجع، فيغفلن عنها، فيفتح الله المرأة الوالدة من تحت السرة، فيخرج الولد في أسرع من طرفة عين، ويردها إلى حالتها الأولى

في الالتئام في أسرع من طرفة عين، ويجري الدم من محل الولادة، فتقول النسوة: قد خرج الولد، فتأتي النسوة ويرين أنّه خرج من محل الولادة لوجود الدم وعدم وجود الدم من تحت السرة، ويقع الكتم من الأم الوالدة للنبي بأمرين الأمر الأول: إلقاء سر من الأسرار الإلهية على قلبها، فيرتبط القلب عن الإفشاء بأمر الله لوجود ذلك السر، قال سبحانه وتعالى ﴿أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إنْ كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها﴾ [القصص: ١٠] كما ربط الله على قلوبهن في حال الحمل إنْ رأين شيئاً من الأحوال الخارقة الدالة على نبوة ذلك الولد في نوم أو يقظة، والأمر الثاني: إن أرادت الأم الوالدة إفشاء ذلك لتحققت التكذيب من النساء والحواضر لظهور الدم من محل الولادة، وعدم وجود الأثر من تحت السرة لا عيناً ولا أثراً ولا شاهد يصدقها، فتوفر دواعي العادة على تكذيب ما تدعيه إنْ ادعته، فيحملها تحقيق هذا التكذيب على الكتم فإذا لم يتنقل من هذا الأمر شيء، فهذا هو الجواب عن هذا المحط، انتهى.

(فإن قلتم) أنّه طاهر ﷺ، ولذلك لم يخرج من محل القذارة، فكيف دخل منه وهو نطفة، فيلزم أيضاً ما هربتم منه أولاً أو نقول: خُلِق من ريق أبيه كما قال بعض من هرب من أنّ النطفة قذرة، (فأجاب) سيدنا رضي الله عنه: لا يصح كونه خلق من ريق أبيه بل هو من النطفة كغيره من الأنبياء وسائر البشر، ودخلت النطفة من المحل المعلوم كغيرها، ولم تكن النطفة كخروجه حين الولادة لأنّها حين الدخول عارية عن الروح، وأمّا عند الولادة، فبسبب طهارة الروح الكريم خرجت من غير المحل، (قال السائل:) فما تقول في الروح حين كانت في الرحم، والدم معها (فأجابه) إنّ الرحم طاهر، والدم قال خروجه من الرحم طاهر كذلك انتهى كلامه رضي الله عنه من إملائه على محبنا سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه.

(ومن كلام سيدنا رضي الله عنه) في قبول التوبة، وأنّها مقبولة قطعاً، قال رضي الله عنه: الدليل على قبول التوبة أنّه قطعي قوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون﴾ [النساء: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً «إلى» رحيماً﴾ [الفرقان: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ [الشورى: ٢٥] إلى غير هذا من الآيات الدالة على القبول أنّه قطعيّ لأنّه وعد التائب بالقبول، ووعده لا يتخلف عند أهل الحق، (فإن قيل) على مذهب الجمهور أنّ القبول القطعيّ المأخوذ من الوعيد يمكن أنْ يكون في بعض الأفراد، ولا يلزم منه العموم؛ (قلت:) إنّ هذه الآية المذكورة عامة في جنس التائب، ولا دليل على خصوصها بفرد دون آخر، وأيضاً إنّ الكريم إذا وعد بأمر لا بد من وفائه عند أهل الحق بخلاف ما إذا أوعد فإنه من الكرم أنْ يتركه كله، ولا يلزم عليه نقص بل من الكمال تخلف الوعيد دون الوعد، والدليل من السنة قوله عليه

الصلاة والسلام: «**إنّ العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب منه تاب الله عليه**»، وفي التعبير بصيغة الماضي إشارة إلى تحقيق الوقوع لأنّ تلك حقيقة الماضي، (فإن قيل:) على مذهب الجمهور لو كان القبول قطعياً لزم أنْ لا يعصي من تاب (قلت): لا يلزم بل كل ذنب يجب عليه أنْ يتوب منه، ولا يكون نقضاً لتوبته الأولى لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» دليل على قبول توبته قطعاً، وإذا قدر الله عليه ذنباً رجع إلى التوبة، وهكذا. وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «**لو لم تذنبوا**» الحديث إشارة إلى اعتنائه بعبده التائب من ذنبه، ولذلك قال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين﴾ [البقرة: ٢٢٢] ولو لم يقبل الله توبتهم ما أحبهم، ولا يلزم من قبول التوبة أنْ نقطع للتائب بالسعادة لأن ذلك أمر مغيب العاقبة، وإنّما نحن نتكلم على ما يظهر من نصوص الكتاب والسنة، وأيضاً إنّ السعادة ليست متوقفة على فعل المعاصي، ولذلك قال ﷺ: «**لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**» هذا دليل على أن دخول الجنة بمحض الفضل، والنار بمحض العدل، وإنّما الأعمال علامات في الظاهر على ما سبق، وقد توافق في نفس الأمر، وقد تخالف لأنّ اللاحق لا يكون سبباً في السابق كما قاله بعض المحققين، انتهى ما أملاه على محبنا سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه:

هذا جواب عن سؤال مهذب	أتى بنظام رائق محكم الوصف
فمنه سجود المرء توق الفراش لا	صلاته فيه كاللحاف وكالقطف
توقف فيه البعض من علمائنا	وشهر فيه المنع بعض بلا وقف
وذا كله ما دام راحوا فإنْ يكن	تلبد قالوا بالجواز بلا ضعف

وسُئل سيدنا رضي الله عنه بما نصّه: سادتنا الأعلام، ومصابيح الأنام جوابكم عن اختلاف أهل السّنة رضي الله عنهم في حوضه ﷺ هل هو قبل الصراط أو بعده لأنّ بعضهم قال: هو قبل الصراط، ودليله حديث أنّ من بدّل، أو غيّر يذاد عنه، ولو كان بعد الصراط لم يذد عنه، وقالت طائفة هو بعد الصراط، ودليلها حديث «إنّ من شرب منه لم يظمأ بعده»، ولو كان قبل الصراط، فإنّ من شرب منه لا يدخل النار، ومن الأمر الذي يجب الإيمان به أنّ طائفة من أهل الكبائر من أمة سيدنا محمد ﷺ تدخل النار، وتخرج بالشفاعة كما هو مذهب أهل السنة نجانا الله من النار آمين، وقال غير الطائفتين إنّ حوضين أحدهما قبل الصراط، وهو الذي يذاد عنه من بدّل أو غيّر، وآخر بعد الصراط وهو الذي من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً لا ما وراءه إلاّ الجنة، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّه حوض واحد، ولكن يكون في أول الأمر قبل الصراط حتى يذاد عنه من

بدّل أو غيّر ثم إذا لم يبقَ أحد ممن يذاد عنه حول ووضع بعد الصراط للشرب منه، وانتقال الأمور في الآخرة من موضع إلى موضع وردت به الأخبار الصحيحة، وإنْ لم يوجد خبر في هذا بعينه، كما ورد أنّ النار تأتي إلى أهل المحشر، ولا ترجع إلى موضعها حتى يأمرها رسول الله ﷺ بالرجوع إلى محلها، وكذلك ورد أنّ الجنة تكون في ذلك اليوم عن يمين العرش، كما أنّ النار عن شماله، والمعلوم من الأخبار الصحيحة اليوم عند أهل السنة أنّ الجنة سقفها العرش وليس هي عن يمينه كما أنّ النار تحت الأرض السابعة السفلى، فإذا فهمت هذا فالذي قاله سيدنا رضي الله عنه في كون الحوض واحداً، ويظهر مرة قبل الصراط ومرة بعده هو الذي تتمشى عليه الأخبار الواردة، ولم يهمل منها شيء، وسُئل مراراً عن هذا بعد العلم باختلاف العلماء فيه، وبعد العلم بالأخبار الواردة فيه، وباختلاف أهل السنة فيه، فلم يجب إلاّ بالجواب الذي أجاب به أولاً ولم يتردد، فعلمنا أنّ الحق فيما أجاب به حيث لم يتردد ورضي الله عن الجميع بمنّه وكرمه آمين.

(ومن كلامه رضي الله عنه) قال: محبطات الأعمال منها الردة نسأل الله السلامة والعافية، ومنها قذف المحصنات، وتأخير العصر إلى الغروب، والاسترسال في أكل الحرام وعدم إعطاء الأجرة لصاحبها واحذر من العجب جهدك، فإنّه يفسد العمل، أما الردة والعياذ بالله تعالى، فلها أسباب كثيرة قولية وفعلية، أمّا القولية فمنها ما هو معلوم عند عامة المسلمين كنسبة الحدوث إلى الموت تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إمّا تصريحاً أو التزاماً كنسبة الشريك له والشريك إمّا صريحاً، وإمّا بنسبة بعض أفعال الله لغيره كالقدرية، ومن في معناهم من الجهال، أو يقدم شيء من العالم ومنها صدور التهاون بجلال الله وعظمته جهلاً أو عناداً كالشتم والسّب وتهور اللسان في جانب الحق نعوذ بالله منه، أو يريد شتم العبد، فيغير اسم الله، أو صفة من صفاته كما شاهدناه كثيراً في السنة العامة في أسماء العبيد المضافة لأسماء الله كعبد الحق وعبد الكريم وعبد الرحمن، وعبد الحاكم وعبد الباقي وعبد القادر، وعبد البر وعبد الرازق وعبد الغني، وعبد الحميد وعبد الرحيم، وعبد الغفور وعبد الغفار وعبد الستار، وعبد الحليم وعبد الجليل وهكذا حتى تعد أسماء الله المضافة للخلق فإنّ تغييرها ردة ولم يعذر صاحبها بعدم قصده لإسم الله، ولا يجهله وهذا مذهب سيدنا رضي الله عنه في هذا الباب، وكذلك مذهبه فيمن بدّل حكم الله لغرض من أغراضه ممن كان النص في عينه كتحليل المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول من غير أنْ تنكح زوجاً غيره، وقال: إنّ الحكم هو وصف من أوصاف الله تعالى: ومن غيّر وصفاً من أوصاف الله، فهو مرتد والعياذ بالله تعالى، وصدق رضي الله عنه لأنّ علماء الشريعة عندهم من استحل محرماً مجمعاً عليه كفر، وكذلك من جحد ما هو معلوم من الدين ضرورة كالصلاة ومنها التهاون بمرتبة النبوة والملائكة كصدور شتم، أو سب أو تهور

لسان، أو نسب إليهم ما يحط قدرهم عن مراتبهم العلية كارتكاب المنهيات، أو عيب في ذواتهم، وما في معناه، ومما هو في هذا الباب عدم الرضا بالقدر والتسخط عند نزول المصائب بالعبد حتى يقول بعض جهال عامة المسلمين: أيُّ شيء فعلته يا رب حتى فعلت هذا بي من دون الناس، قال سيدنا رضي الله عنه: فهذه ردة تلزم التوبة منها لأنّ كلامه تضمن نسبة الظلم لخالقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وكذلك ما يصدر من بعض الجهال عند الغضب يقول لا أفعل هذا لو قالها المنادي: يتضمن من هذا القول الردة أيضاً كأنّه يقول: لو قالها الله، أو الرسول، فليحذر المؤمن من هذه الأمور الشنيعة قولاً أو فعلاً ويحذر جهال المسلمين منها، ومما يلحق بهذا ما ذكره أهل الكشف في بعض الأمور قال: مَنْ فعل واحدة، ولم يتب منها يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى وهي دعوى الولاية بالكذب، وادعاء المشيخة وهو التصدر لإعطاء الورد من غير إذن، وكذلك كثرة الأذاية للخلق، وكثرة الزنا والكذب على رسول الله ﷺ، وكثرة النميمة والغيبة وعقوق الوالدين، وهذه كلها إنْ لم يتب منها نسأل الله السلامة والعافية من جميعها، ومما يلحق بهذا الباب سب الأولياء نسأل الله السلامة والعافية من سب أولياء الله كلهم، فهذه أعظم أمور الردة والموت على سوء الخاتمة ذكرناها هنا تحذيراً ونصيحة لهم لله، فهذه أسبابها قبل الوقوع فيها ليهرب منها العاقل، وأمّا الخلاص منها بعد الوقوع، فبالتوبة منها؛ أمّا في المهلكات غير الردة، فبمجرد التوبة يتخلص منها إلاّ ما كان فيه حقوق العباد، فبالتحلل منهم (والتوبة من الردة)، أما في السب الصريح في جانب الربوبية أو النبوة، فيزاد مع التوبة القتل حداً وإن تاب ولم يقتل فتوبته صحيحة وأمره موكول إلى الله، وأمّا في غير السب الصريح، فتوبته صحيحة ولا قتل عليه، وإنْ لم يتب من ردته قتل كفراً، وإنْ كان المرتد ذا زوجة، أو ذات زوج بطل نكاحهما، وينبغي لمن استفتاه أنْ لا يحكم لهما بطلقة لا بائنة ولا رجعية بل يحكم لهما بالفسخ بينهما، فإنْ تراجعا فلا تحرم الزوجة وإنْ تكرر من أحد الزوجين ثلاثاً أو أكثر، أمّا إنْ أفتاهما بالطلاق ربما يتكرر من أحدهما الردة، أو أنْ يكون مضت لهما طلقة أو طلقتان ولم يصبرا على الرجوع، فيؤديهما إلى ارتكاب محرم صريح مع دعوى الحلية والزوجية، فيقع في عين الكفر الذي أردنا أنْ نخرجه منه وهو تحليل ما حرّم الله، فهذه نكتة فسخ النكاح بين من ارتد وزوجه بها، كذا قال سيدنا رضي الله عنه، وأرضاه ومتعنا برضاه آمين.

(وسألته رضي الله عنه) بما نصّه: سيدنا أدام الله علوك وارتقاءك بيِّن لنا حقيقة الكشف الصحيح إذا خالف النص الصريح ماذا يقدم، (فأجاب) رضي الله عنه بما نصّه قال: اعلم أنّ النص الصريح، والكشف الصحيح من أربابه لا يختلف لا مادة ولا نهاية فكلاهما واحد من عين واحدة، لأنّ النص الصريح من ذات سيدنا محمد ﷺ برز سواء كان حديثاً أو

قرآناً والكشف الصحيح لأربابه عن فيض حقيقته المحمدية فاض، وكلاهما إنّما كان ﷺ فيهما واسطة وهما من عند الله منشأ، فلذا قلنا لا يختلفان، فإنّ الكشف الصحيح لا يدل إلاّ على ما دلّ عليه النص الصريح بتصريح أو تلويح أو تضمين، فإنّ المكاشف في بعض أحواله إذا توجه مطالعاً لحكم في عين المسألة التي يريدها إنْ رآها نوراً أو اكتست نوراً أو أحاط بها النور دلّ على أنّها مطلوبة شرعاً إمّا وجوباً أو ندباً، وإنْ رأى المسألة ظلمة أو كستها ظلمة أو أحاطت بها ظلمة دلّ على أنّها مطلوب تركها شرعاً أو تحريماً أو كراهة، وإنْ رآها في كشفه لم يقع عليها لا نور ولا ظلمة دلّ على أنّها مباحة لا يطلب فعلها، ولا تركها لذاتها، وقد ينتقل حكم المباح إلى الوجوب أو التحريم لعارض في الوقت إذا كان يؤدي ارتكابه إلى محرم، أو كان يتوقف على تحصيل واجب أو مندوب، وإلا بقي في حيز الإباحة، وإنْ أفتاك المفتون في المسألة فاستفتيت فيها قلبك ولا يكون هذا إلا للعارف الكامل فقط، فإنّه صاحب الكشف الصحيح لبعد نفسه عنه، فإنْ حيل بينه وبين نفسه بأنوار القدس، فكل ما يتوجه له في أموره هو من الله تعالى لكنْ في أمور دينه لا في أمور دنياه، فإنّ أمور دنياه هو فيها كسائر الخلق. (وقد) حكى الشاذلي رضي الله عنه قال: كنت كثيراً أبحث عن كلام القوم حتى قال له الحق في بعض وقائعه ناهياً له عما يبحث عنه من كلام القوم قال له: تعريفي لك يغنيك عن علم الأولين والآخرين ما عدا علم النبيين والمرسلين، انتهى؛ فإنّه هو الأصل المرجوع إليه لا واسطة بين الله وبين العباد إلا النبوة ومن رام الخروج عنها أعني النبوة طالباً للأخذ عن الله من غيرها كفر وخسر الدنيا والآخرة، وما ذكر من أنّ العقل يأخذ العلم عن الله بواسطة، فإنّه نفي الواسطة المشهودة لا يشهد واسطة بينه وبين الحق أصلاً لكنها موجودة في نفسها غير مشهودة له، وهي الحقيقة المحمدية، فإنّه لا مطمع لأحد في درك حقيقتها فضلاً عن مشاهدتها، فإنّها أخفى من اسر الخفي، فإنّه يرى نفسه يأخذ العلم عن الله بلا واسطة وما برز له ذلك العلم إلا من الحقيقة المحمدية من حيث لا يراها، وإنْ رآه من الحق، فإنّه مغطى عليه بحجاب التلبيس، فهذا معنى أخذ العلم عن الله بلا واسطة، وأمّا أنْ يتوهم أنّ العقل أو غيره يأخذ العلم عن الله تعالى من غير واسطة الحقيقة المحمدية مجرداً عنها، فهذا لا سبيل إليه، وهذا الوهم أمر باطل، وإنّما نفي الواسطة في حقه نفياً شهودياً لا نفياً وجودياً، فإنّه في وقت الأخذ عن الله ينمحق الأخذ محقاً كلياً، فلا يبقى له شعور بنفسه فضلاً عن غيره من الوجود، فيسمع ما يسمع في تلك الحضرة من الإلقاءات، وما ثم إلاّ الحق المتكلم، والأخذ لا غير، وقد قلنا في بعض الأجوبة: أنّه يتدلى للعارف سر من أسرار الحضرة القدسية يأخذه عن نفسه، ويغطي عنه وجوده مع جميع الوجود، ويريه ذاته عينية الحق، فيكون ناطقاً لا بلسانه سامعاً، ورائياً لا ببنيته مدركاً لا بجنانه بل هو بالحق للحق

في الحق عن الحق إدراكاً وإحساساً وشهوداً وتلقياً؛ ولا قدرة للعبد إذا صادمه هذا السر عن الخروج عن دائرة حيطته، فإنّ هذا السر إذا ورد على العبد قاهر بقوة سلطانه غالب بسطوة جلاله لا قدرة لأحد أنْ يخرج عنه إلاّ إذا سرى منه والوساطة للحقيقة المحمدية في هذا موجودة غير مشهودة، ولا معقولة ولا محسوسة انتهى.

(قال) الشيخ الأكبر رضي الله عنه لولا علماء الظاهر، أو كما قال: لأتت الأولياء عن الله بما أتت به الأنبياء معناه في غير التشريع، فإنّ التشريع بأحداث حكم لم يكن سابقاً طلباً للفعل، أو طلباً للترك أو تعبداً أو إباحة، أو نقض حكم سابق في الشريعة، فتبدل بحكم آخر، فهذا لا سبيل للأولياء إليه إذ هذا متوقف على النبوة فقط وما وراء ذلك فاستوت فيه النبوة والولاية انتهى. (وسألته رضي الله عنه) عن معنى قول الشيخ الأكبر من وحد فقط ألحد، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معنى الإلحاد هو الخروج عن الجادة المستقيمة، فإنّ العارف إذا وحد بتوحيد العامة فقط ألحد، والعامي إذا وحد بتوحيد العارف فقد ألحد يعني كفر وفي معنى ذلك يقول ﷺ: **«أمرنا معاشر الأنبياء أنْ نخاطب الناس على قدر عقولهم»**، أو كما قال ﷺ مما هذا معناه، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل) شيخنا رضي الله عنه عن المحبة الكائنة بين الناس في الدنيا هل هي تابعة لما وقع من الاجتماع، والافتراق والتقابل والتدابر للأرواح حين خلقها الله أم لا؟ (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: ورد في الحديث المعلوم «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، ثم قال ما معناه: ما تعارف منها في الابتداع الثاني ائتلف في الاختراع الثاني، وما تناكر منها في الابتداع الثاني اختلف في الاختراع الثاني، ثم قال رضي الله عنه: لأنّ لها ابتداعين واختراعين الابتداع الأول: هو كتبها في اللوح المحفوظ لأنّ الله كتب مقاديرها وأزمنتها وأمكنتها، وكل ما أراد الله منها وبها ولها من بدئها إلى الاستقرار في الدارين؛ والابتداع الثاني: هو خلق الأرواح وإخراجها من العدم إلى الوجود قال بعض أهل الكشف رحمه الله: خلق الله الأرواح أولاً من النور المكرم مجملة، ثم ميزها قطعاً قطعاً وخلق من كل قطعة روحاً على عدد الأرواح، ثم قال سيدنا رضي الله عنه: والاختراع الأول هو إخراج جميع الأرواح من ظهر أبينا آدم عليه الصلاة والسلام مثل الذر قيل أنّه يبطر نعماه وأخذ عليها الميثاق سبحانه وتعالى، والاختراع الثاني: هو خلق كل إنسان في وقته، ثم قال وفي الاختراع الأول دعاها النبي ﷺ بالإيمان وبه ﷺ، فمن أجابه في ذلك الوقت فهو المؤمن في عالم ظهور الأشباح، ومن لم يجبه في ذلك الوقت فهو الكافر في الدنيا، ومن أجاب ورجع هناك فهو كذلك في عالم ظهور الأشباح، ومن لم يجب هناك أولاً ثم أجاب بعد مدة فهو كذلك في هذا العالم، وما ظهر هنا إلاّ ما

وقع هناك شبراً بشبر، ثم قال رضي الله عنه: ومن ثم تعارف الشيوخ الأكابر التلاميذ، فإذا جاء التلميذ للشيخ ينظره هناك، فإذا كان مريده قبله هنا وإن كان هناك ليس مكتوباً عند الله تعالى من أصحابه لم يقبله هنا، وفي الابتداع الثاني تمييز المؤمن من الكافر، وفي الحديث «أنّ الله خلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور فهو المؤمن والذي لم يصبه ذلك النور فهو الكافر» وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ الأكبر في «صلاته بالنور المرشوش في الأزل، قال: «صلاة تكحل بها بصيرتي بالنور المرشوش في الأزل»، ثم قال شيخنا رضي الله عنه: ولما تجلى الحق للأرواح عند أخذه العهد منها تطايرت من الهيبة والجلال، فكل من وصل إلى موضع من الأرض في ذلك الوقت استقر فيه حين خلقه الله في الاختراع الثاني فواحد يسكن موضعاً وواحد موضعين أو أكثر بحسب ذلك التطاير، وكذلك المحبة بين الخلق وقعت عند هذا التطاير بحسب المقابلة والمدابرة انتهى كلامه رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن عدد أنفاس الإنسان، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: عدد أنفاس الإنسان أربعة وعشرون ألفاً، نصفها داخل ونصفها خارج، وأما الخواطر فعددها سبعون ألف خاطر تخطر كل يوم على القلب حتماً لا يتخلف منها واحد لأنّ القلب مثل البيت المعمور، كما أنّه كل يوم يدخله سبعون ألف ملك، وإذا خرجت لم تعد له أبداً كذلك القلب، كل يوم يدخله سبعون ألف خاطر وجميعها مقسومة على أربعة أقسام بالنسبة إلى القلب لمحجوب، فقسم منها يلبسه الشيطان عند دخوله للقلب، ويلقي له من وساوسه، وقسم تلبسه النفس، وقسم يدخل معه الملك، وقسم لا يدخل معه شيء، ولذلك قسموا الخواطر على أربعة أقسام: شيطاني ونفساني وملكي ورباني وبيانها أنّ الشيطان لا يأمر إلاّ بالمخالفة، ولا يثبت في أمر واحد بل ينتقل من أمر إلى أمر وكيده ضعيف، كما قال الله تعالى: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ [النساء: ٧٦]؛ وأما النفساني فلا يأمر إلاّ بالانهماك في الشهوات سواء كانت محرمة أو مباحة، وانتقالها عما أمرت به أو ألفته صعب لا يزول إلا بالمجاهدة؛ وأما الملكي فلا يأمر إلا بالخير من فعل أو قول؛ وأمّا الرباني فلا يأمر إلاّ بالتعلق بالله والزهد فيما سواه، فهذا هو الفرق بينها لمن أراد معرفتها ليميزها ولا يميزها إلاّ أهل المحاسبة، وأمّا الغافلون فلا دراية لهم بها. وأما القلب المجرد وهو قلب العارف بخواطره كلها قسم واحد فلا تأتي إلاّ بخير ولا تأمر إلا به لطهارة البيت الذي ترد عليه، وبعده من النفس والشيطان، وأمّا القلب الذي بينهما أي بين المحجوب والمفتوح عليه، فترد عليه بحسب حاله أيضاً، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن المكالمة التي يدعيها الصوفية ومحادثتهم، وما معنى

المكالمة والفرق بين سماع الأنبياء لكلام الله تعالى وغيرهم، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ معنى مكالمة الصوفية أن الله تبارك وتعالى إذا رحم عبداً من عباده بسماع كلامه، فإنّه يزيل عنه الحجاب ويخطفه عن حسه حتى يغيب عن كل شيء، وتغيب عنه حتى ذاته ولا يدري أين هو في ذلك الحال، ثم يسمعه الله من كلامه ما قسم له من غير حرف ولا صوت، ثم يرده للحجاب، فيرجع إلى حسه وحاله الأول، ثم يسمع أيضاً كلاماً في عوالمه اللطيفة التي هي مراتب الروح من السر والخفاء والإخفاء وسر السر، فيغيب أيضاً غيبة مثل الأولى حتى لا يشعر بشيء من الكون حتى ذاته، ثم يرده إلى حسه ويصحى عن غيبته، فيجد عنده كلاماً في سره ويعلم جميع ما شاهده في الحالتين فعند ذلك يعبّر عنه بما أراد، فهذه هي مكالمة الأولياء، وأمّا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنّهم لكمالهم في غاية العقل والصحو والثبات وفي معنى هذا يقول العارف بالله تعالى سيدي أبو العباس بن العريف رضي الله عنه:

بدا لك سر طال عنك اكتتامه	ولاح صباح كنت أنت ظلامهُ
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه	ولولاك لم يطبع عليه ختامهُ
إذا غبت عنه حل فيه وطبت	على موكب الكشف المصون خيامُه
وجاء حديث لا يمل سماعه	شهي إلينا نثره ونظامهُ
إذا ألفته النفس طاب نعيمها	وزال عن القلب المعنى غرامه

ثم قال سيدنا رضي الله عنه: من فتح عليه في هذا الأمر العظيم والنعيم الجسيم لا يقدر أنْ يسمع كلام الخلق إلاّ إذا اعتزل ثلاثة أيام يذكر الله، فحينئذٍ يقدر على سماع كلامهم، وإن لم يفعل ما ذكر فإنّه مهما سمع كلامهم يتقيأ لقبحه بالنسبة للذة ما سمع من كلام الحق وسماع كلام الله لمن سمعه لا بإذن فقط بل بجميع أجزاء ذاته كلها حتى تصير كل ذرة من ذاته تلتذ مثل جميع ذاته بكمالها، رزقنا الله ما رزق أحباءه وأصفياءه وخاصته العليا من خلقه إنّه ولي ذلك والقادر عليه ا هـ ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه): عن الفرق بين العلوم والأسرار والأنوار والفتوحات والمواهب والفيوضات والحقائق والدقائق والتجليات والمشاهدات والمكاشفات والمعارف والحضرات والمقامات والمنازل والأنوار والواردات والأحوال؛ (فأجاب) رضي الله عنه بما نصّه، فقال: اعلم أنّ بيان هذه الأمور الفتح وحقيقة الفتح هو ما بزغ عن الغيب عند زوال حجاب بعد احتجابه، فهو شامل لجميع الحقائق المذكورة من العلوم وغيرها كل ما كان محجوباً عنه وانفتح له فيه فهو فتح، وأيضاً فإنّ الفتح عبارة عن زوال الحجاب وما

بزغ بعده من حقائق المعاني المذكورة يسمى فيضاً لأنّه فاض بعد حبسه، وأيضاً فإنّ الفيض شامل للعلوم والأسرار والحقائق والمعارف والأنوار، وأمّا السر منه فهو ما يقذفه الله في قلب العبد من الفهوم ومنها ما يعرف العبد بما يريده الله في تصاريف الأكوان لماذا وجد هذا المكون جوهراً، أو عرضاً وما يراد منه؟ وما ينشأ عنه؟ ومن أي حضرة هو. ومن الأسرار فيوض الحكم ودقائقها ومن الأسرار ما يريح العبد عن كليته ويخرجه عن دائرة حسه ويغرقه في بحر حضرة الألوهية بحيث أنْ لا شعور له فيما عداها من نفسه وغيرها، فيسمع هناك ويشهد ما لا طاقة للعقول بفهم مبادئه فضلاً عن درك غايته، وبذلك السر الذي أغرقه يدرك مبادئه وغايته شهوداً وسمعاً وإدراكاً وذوقاً، وهذا من أعز الأسرار التي تفاض على العبد، ومن الأسرار ما لا يمكن تصوره ولا توهمه، فضلاً عن أن تصل إليه العبارة وتحيط به دائرة الإشارة لعزة سطوته وجلاله وما ينطوي عليه من فوائده وكماله، ولا حد للأسرار لا يعرفها إلاّ من ذاقها وفيه كفاية. والمعرفة ارتفاع الحجب غيوب حقائق الصفات والأسماء، فإنّ المعرفة مع الفتح ملازمان متغايران، فإنّ حقيقة الفتح هو ارتفاع الحجب الحائلة بين العبد وبين مطالعة حقائق الصفات والأسماء ومحق صور الأكوان من علم العبد وحسه وإدراكه وفهمه وتعقله حتى لا يبقى للغير والغيّرية وجود إلاّ وجود الحق بالحق للحق في الحق عن الحق، فإذا وقع هذا برزت المعرفة العيانية بالضرورة، وفاض على العبد بحر اليقين الكلي لكنْ مع الصحو والبقاء، وأمّا ما كان قبل هذا من مشاهدة غيوب الأكوان وظهورها للعبد، فإنّه يسمى كشفاً ولا يسمى فتحاً، ولا معرفة؛ وأمّا الوارد فهو عبارة عن بروز ما يأتي من عند الله تعالى من حضرة الحق إلى العبد بصورة قهرية أو بصورة جمالية، وهو يشمل جميع العلوم والمعارف والأسرار والأحوال واليقين والأنوار؛ وأمّا الحال فهو عبارة عن أمر يرد من حضرة الحق بصورة قهرية أو جمالية يكيف العبد بصورة ما هو منطبق عليه، ومثاله في الرجل الذي ضرب مائة سوط ماسة لجلده فما تحرك، ولا أنَّ ولا تغير له وجه، فلما أطلق وضرب سوطاً واحداً صاح، فكان في الأول ورد عليه حال من مشاهدة الحق منطبق على كمال المحبة في ذات الحق وكمال التعظيم والإجلال لها فسرى في كليته ذلك الحال فأزال إحساسه بالألم لما غلب عليه من التلذذ بالشهود فما أحس بثقل الضرب وألمه، فلما طوى عليه بساط الحال وحجب عن الشهود ضرب سوطاً واحداً فصاح من فقد ذلك الحال؛ وأمّا الأنوار، فحقيقتها معلومة وهو الضياء، وأما الرقائق والدقائق واللطائف، فهي عبارة عما يغمض من حقائق العلوم والمعارف والأسرار، وأمّا الحضرات والمنازل والمشاهدات والمواقف فقد تقدمت الإشارة إليها في مواضع من الكتاب وبالله التوفيق، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

ثم قال رضي الله عنه: العلم الرياضي يحتاج إلى أمور أولها: معرفة تعديل المزاج، ثم

معرفة غاية القصد، ثم معرفة كيفية السعي إليه، ثم معرفة الحجاب القاطع عنه، ثم معرفة كيفية زواله ليصل غاية المقصد، ثم معرفة أصول الحجاب التي منها مواده، ثم الجد في قطع تلك الأصول، ثم معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب إما كلية أو تفصيلية، ثم سل سيف العزم وركوب جواد المجاهدة بمتابعة ما عرف من هذه الأمور والعمل على مقتضاها، أمّا معرفة تعديل المزاج فهو لزوم طريق الاعتدال في الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط، ثم النظر في الوقت والبلد حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة، وكذلك السن، ثم مقابلة كل بما يقويه عن الانحراف؛ وأمّا غاية المقصد فهو رفع الحجاب عن الروح الرباني ورده إلى حالة الصفاء التي كان عليها قبل التركيب في الجسد فإنّ هذا هو الذي يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقي وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة، ومن فقده لم يصل إلى سعادة الآخرة، وأمّا معرفة كيفية السعي إليه فهو متابعة الرسول ﷺ في سائر قوله وفعله وحاله وخلقه، بإقامة حقوق الله عزّ وجلّ سراً وإعلاناً مخلصاً لله من جميع الشوائب الدنيوية والأخروية، وأنْ يكون ذلك كله تعظيماً وإجلالاً لله تعالى على بساط الرضا والتسليم والتفويض والاعتماد عليه تعالى في كل شيء والرجوع إليه في كل شيء، وأمّا معرفة الحجاب القاطع عن المطلوب فهو غرق الروح في بحر الحظوظ والشهوات، وتعظيم نفسها والسعي في جلب مصالحها، ودفع مضارها، وأمّا معرفة كيفية زوال هذا الحجاب فهو السعي في قطع الحظوظ والشهوات، وترك تعظيم النفس وقطع السعي في جلب مصالحها وقطع مضارها بالزهد فيها بالكلية لكن برفق ولطف، وأمّا معرفة أصول الحجاب فهي كثرة الأكل والشرب وملاقاة الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام ودوام الغفلة عن ذكر الله، وأمّا الجد في قطع تلك الأصول فهي الجوع والعطش بالرفق ودوام الانقطاع عن ملاقاة الخلق ودوام الصمت إلاّ مطلقاً فيما قل من ضرورياته ودوام السهو بالرفق ومداومة ذكر الله بالقلب واللسان، وقطع الفكر في المحسوسات، وأمّا معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب كلية أو تفصيلية فهو دوام ذكر الله بالقلب واللسان دائماً بأي ذكر كان؛ ثم إنّ الأذكار التي بها زوال الحجاب منها كليات، وهي التي تقطع كل حجاب عن الروح من أي أمر كان، ومنها تفصيلات لا تقطع إلاّ حجاباً من نوع واحد، أمّا الكليات فهي لا إله إلاّ الله أو الصلاة عليه ﷺ، أو سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر وبسم الله الرحمن الرحيم أو الله الله والله لا إله إلا هو الحي القيوم، وأمّا التفصيلات فهي سائر الأسماء الحسنى، أو كل اسم يذهب بجزء من الحجاب، ولا يتعدى للجزء الآخر والله الموفق، وأمّا قوله: سل سيوف العزم الخ فلم يتكلم عليها لوضوحها، انتهى من إملائه على محبنا سيدي محمد بن المشري أدام الله علاه وارتقاءه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى هذا التسبيح، وهو سبحان الله ملء الميزان، ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: معناه أسبح الله تسبيحاً يملأ الميزان لها حسنات، وإمّا نوراً وإما تسبيحاً، وقوله ومنتهى العلم معناه أسبح الله تسبيحاً يبلغ عدده عدد معلومات علم الله، وينتهي بنهايتها كما لا نهاية للمعلومات علم الله كذلك لا نهاية لهذا التسبيح، وقوله ومبلغ الرضا أي أسبّح الله تسبيحاً يبلغ مبلغه مبلغ رضا الله تعالى، ورضا الله تعالى هي الآثار الناشئة عن الرضا من المنح والمواهب والعطايا والنعم إلى غير ذلك من هذه الوجوه. قال الشيخ رضي الله عنه: أسبّح الله تسبيحاً يبلغ قدره أو عدده مثل كل ما أحاط به علم الله، ونفذت به مشيئته مما يهبه لجميع خلقه من جميع وجوه النعم والمنن والعطايا والمنح والتحف والمواهب من الأزل إلى الأبد، ورضا الله تعالى له معنيان المعنى الأول: الوصف القائم بذاته الذي ليس فيه تغير بغضب أو رضا أو محبة أو بغض، فليست إلاّ صفة كاملة تامة لا يطرأ عليها تغير ولا نقص ولا زيادة، وذلك المعنى، هو وصف قائم بذاته، فذلك لا قدر له ولا غاية له ولا نهاية، وهي صفة من الصفات الواجبة لذاته، والمعنى الثاني: هي الآثار الصادرة على الرضا من النعم والتحف والعطايا والمنح وصرف المكاره والمضار، وتكميل وجوه النعيم، والآمال والمعنى المستعاذ به في الحديث بقوله ﷺ: «**أعوذ برضاك من سخطك**» هو المعنى الأول الذي هو وصف قائم بذاته لا المعنى الثاني لأنّ المعنى الثاني حادث من جملة الحوادث، ولا يستعاذ بحادث إنّما يستعاذ بالوصف القديم، وهو صفة الذات، وقوله وزنة العرش أي أسبّح الله تسبيحاً يبلغ وزنه زنة العرش إذا وزن، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومن كلامه رضي الله عنه) قال: شرك الأغراض هو أحد الأقسام الستة، والمراد به عند أهل الشريعة هو عمل أعمال البر لغير الله بل لأجل نيل محمدة من الخلق أو تحصيل غرض من قبلهم أو دفع مضرة منهم أو اتقاء مذمة، أو العمل لأجل نيل القصور والحور العين في الجنة مجرداً وخلوه عن امتثال أمره، وأمّا إذا نوى بعبادته وعمله وجه الله تعالى، وامتثال أمره وأداء حق ربوبيته، والتقرب إليه وعبادته لأجله لا لشيء غيره هو رجاء مع ذلك من فضل الله عز وجل ما يهيأ له في الجنة من الحور والقصور، وغيرها لأجل عبادته بمحض الفضل والكرم والتصديق بوعد الله عزّ وجل، فذلك لا حرج فيه ولا قادح في إخلاصه، وإنّما يذهب إخلاصه إذا عمل لأجل نيلها خالياً عن إرادة وجه الله عز وجل، وعن عبادته لأجله فهذا هو الذي يقال له عابد هواه وعمله محبط بغير خلاف بل وعليه الإثم زائداً على الإحباط، وإنّ من عبد الله لأجله أو لإرادة وجهه، أو ابتغاء مرضاته أو امتثال أمره، أو توفية أمره بعبادته، أو أداء لحق العبودية أو قياماً بحقوق المربوبية أو تعظيماً له، أو إجلالاً له أو محبة له أو حياء منه إن يراه تخلف عن أمره شوقاً إليه، أو شكر

النعمة فهو مخلص حقاً ولا يخالطه رياء حيث تجرد عن الأغراض التي تقدمت، وإنْ من عبد الله عز وجل بجميع أنواع الإخلاص فهو المخلص الكامل، ثم إنْ قارنه الرجاء لفضل الله عز وجل ورجاء الحور والقصور، ونعيم الجنة بمحض الفضل، واعتقد أنّ الله عز وجل يهبه عندها لا بها فلا قادح في إخلاصه عند أهل الشريعة، وأمّا عند العارفين، فذلك من شرك الأغراض والإخلاص عندهم تجديد العبادة لوجه الله عز وجل، وعبادته لأجله وإسقاط الرجاء من غيره أنفة منهم أنْ يلتفتوا إلى الأكوان بقلوبهم لحظة، أو يعولوا عليها لمحة أو يحبوا منها شيئاً مع المحبوب الأكبر وهو الله عز وجل على أنّهم يحبون ما أحب الله لأجله سبحانه ولا يحبون غير الله عز وجل لشهوة أو غرض أو قضاء وطر، من ههنا يفترقون مع أهل الشريعة في محبة الجنة والفرار من النار، فأما أهل الشريعة، فإنّهم يحبون الجنة لقضاء شهواتهم فيها ويفرون من النار لما يجدون من الألم فيها، فهم مع الأكوان لذاتها طلباً وهرباً، وأمّا العارفون، فالأكوان كلها عندهم على حد سواء ليس فيها تخصيص لذاتها إلاّ ما خصصه محبوبهم سبحانه وتعالى، فهم يفرون من النار ويسألون النجاة منها لا لذاتها، ولا لوجود ألمها بل لكونها دار أعداء الله، فهم يكرهون أنْ يجتمعوا مع الأعداء لحظة فضلاً عن الاستقرار، وأيضاً لكون أهلها محجوبين عن النظر إلى الله عز وجل والنظر إليه من أعظم مطالبهم، وأيضاً لامتثال الأمر لأنّ الله عز وجل أمرهم بالتوقي منها وطلب النجاة منها، فقال عز وجلّ: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ [التحريم: ٦]، وقال ﴿فقنا عذاب النار﴾[آل عمران: ١٩١] فهم لامتثال أمره لا لذاتها وألمها، وأنّهم يحبون الجنة لا لذاتها ولا لقضاء شهواتهم وأغراضهم بل يحبونها لأنّها دار أولياء الله تعالى ومستقرهم، وأيضاً لأنّها دار يكون فيها النظر إلى الله تعالى، وأيضاً فإنّ الله تعالى يحبها بحكم شرعه حيث اختارها للأولياء، فهم يحبونها لمحبته تعالى، فإنّ المحب الصادق يحب محبوبه، ومن أحبّ محبوبه وذلك من ضرورات المحبة الصادقة، وأيضاً هم ممتثلون لله سبحانه لأمره إياهم بطلبها، ويحبون حورها وحواريها وولدانها لأنّهم يحبون الله ويحبهم ومن أحبَّ الله يحب ما أحبّ الله فهو في محبتها، والفرار من النار لله وبالله لا لأنفسهم، ولا بأنفسهم بخلاف الأولين، فإنّهم لأنفسهم فيما أحبوا وما هربوا منه لكن بعد تخليص العبادة لله عز وجل يحبون من الأكوان ما لا ينهون عن محبته والكل لم يخرجوا عن دائرة الشرع، وليس يلحقون بالعارفين لأنّ محبة أهل الشريعة هي من أكبر الذنوب عند العارفين، كما قيل: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، لأنّ العارفين مستهلكون في عين الجمع غرقى في بحار التوحيد غائبون عن الأكوان بشهود الملك الحق لا ينظرون إلى غيره لحظة إلا من أجله كما تقدم، فهم مع الأكوان بأبدانهم بائنون عنها بأرواحهم وأسرارهم وقلوبهم وعقولهم ليس لهم في غيره إرادة وليس فيهم ما يسع خردلة أو أقل لغيره، فإنّ أسرارهم

مختطفة عن غيره مقيدة عنده في حضرته عاكفة على شهوده لا علم لها بغيره وأرواحهم تابعة لأسرارهم لا تقدر على التخلف عنها فهي طائرة في بيداء الحيرة قد اشتد شوقها إلى محبوبها لا ينقطع شوقها أبداً، وقلوبهم تابعة لأرواحهم لا تقدر عن التخلف عنها فهي ترتعد من هيبة جلاله مطرقة من الحياء والدهش من عظمته وكبريائه وعقولهم تابعة لقلوبهم لا تقدر على التخلف عنها فهي متفكرة في عجائب صنعته شاهدة لأسرار حكمته في خلقه لشدة معرفتها به، ونفوسهم وأبدانهم تابعة لعقولهم قهراً لا تقدر على التخلف عنها فنفوسهم مقهورة عن هواها تحت سلطان عظمته، وأبدانهم ذائبة أبداً في خدمته قد استرق المحبوب منهم البعض والكل لا تتخلف منهم ذرة عن مراده جل وعلا، ولذلك كانوا لله بالله مع الله جعلنا الله منهم بفضله، وأنالنا ما أنالهم بجاه سيدنا محمد ﷺ.

(وأمّا ما جاء) من الأذكار والعبادات لسعة الرزق ودفع الضرر وهلاك الظالم ودفع الفقر وقضاء الحوائج إلى غير ذلك، فما كان من ذلك من جلب رزق ودفع فقر وقضاء حاجة ذاته بذلك الذكر أو العبادة فهو شرك الأغراض وهو حرام بالإجماع، وإنْ كان ذلك المطلوب، ليعين على عبادة الله عز وجل، فلا يخلو من أمرين أيضاً أن يكون قصده في ذلك الذكر الخاص أو العبادة الخاصة مجرد غرضه من سعة الرزق وغيره عن قصد وجه الله عز وجل بالذكر والعبادة فذلك من شرك الأغراض أيضاً وهو حرام، وإنْ قصد بالذكر والعبادة وجه الله عز وجل ورجا مع ذلك قضاء غرضه ليستعين به على عبادة ربه، ويدعو عقب عبادته لله بقضاء حاجته فهو جائز لا حرج فيه لكن بعد اعتقاده أنّ الله هو الفاعل باختياره لا بذلك الذكر بل عنده لا به وطلب بالذكر وجه الله عز وجل، وإنّ الأذكار والعبادات لا تأثير لها وخواصها من الثواب هنا وهناك، وإنّ الله عز وجل هو الفاعل عندما يمحض اختياره لا لعلة فهذا وجه صحته، وكل هذا تكشفه الأدلة النقلية والله الموفق؛ والحاصل من هذا كله أنّ من عبد الله عز وجل لوجهه لم يخرج عن دائرة الشرع دون غيره إلاّ أنهم مختلفون، فبعضهم الحامل له على عبادة الله تعالى وجهه أعني الذي ثورهم ونهضهم إليها رجاء فضل الله تعالى، واتقاء عقابه، وهؤلاء هم أهل الشريعة، وبعضهم حملهم على عبادة الله تعالى ونهوضهم إليها معرفتهم بجلاله وكبريائه وعظمته، فعبدوه على الحب والشوق إليه أداء لحق ربوبيته لا لغرض، وهم العارفون، وسوى هذين هالك لا عبادة له فضلاً عن الثواب.

(تنبيه): اعلم رحمك الله أنّ الأكوان عند العارفين بالنسبة إلى الله عز وجل بالنظر إلى ذاتها على حد سواء لا تفضيل لها من ذاتها، ولا تشريف لها ولا تفاوت إلاّ من حيث فضلها خالقها، فالعارفون قطعوا نظرهم عن الأكوان من حيث ذاتها لم يعرجوا عليها بوجه ولا حال، ولا يحبون شيئاً منها لذاتها كائنة ما كانت، وكل ما سوى الله عزّ وجلّ فهو

منها، ولا يحبون منها إلا ما أحب الله فهم بحبه يحبون، وما شرفوه، فإنّما هو بتشريف الله عز وجلّ وما عظمه عظموه، وما حقره حقروه، وما وضعه وضعوه، وما مدحه مدجوه، وما ذمه ذموه، وما أبغضه أبغضوه، فهم مع الله لله بالله لا لأنفسهم ولا بأنفسهم ولا مع أنفسهم، فقد فنيت إرادتهم تحت إرادة الله، واختيارهم تحت اختيار الله، ونظرهم تحت نظر الله فهم يحبون الأنبياء والملائكة والأولياء لأجل الله عزّ وجل، ويكرهون ضدهم لأجله، ويطلبون الجنة لأجله لا لغرض غيره، وإلى هذا المعنى الإشارة بقول الشيخ العارف مولانا عبد السلام بن شيش رضي الله عنه حيث سأله الشاذلي رضي الله عنه عن ورد المحققين ما هو فقال: إسقاط الهوى ومحبة المولى والمعنى أنّهم في الأشياء بمراد الله عز وجل ومحبته وعبادته لأجله، والقيام بحق ربوبيته بعزل أغراضهم ومفارقة شهواتهم وعزل أهوائهم، ومباينة حظوظهم لم يقضوا فيها لأنفسهم وطراً، وإنّما قاموا في الأشياء بمراد الله عزّ وجل لا لشيء سواه كيفما دارت أحوالهم في العمل، والإرادات فكل ذلك لله بالله مع الله بالغيبة عن النفس وشهواتها وقضاء وطرها، وكلما وجد في ذلك لهم فيه غرض فروا منه وتركوه هذا مذهبهم بخلاف غيرهم، فإنّهم لم يخرجوا عن دائرة الحظوظ والحامل على الحظوظ هو الطمع، والطمع كله كاذب واتباع الطمع هو عين الهلاك، والذي قادهم إلى الطمع هو الوهم والوهم خيال كاذب كسراب بقيعة والطمع في مذهب العارفين حرام بل الطمع هو خراب الدين، وملاك الدين الورع والعارفون نظروا في الأشياء سوى الله فوجدوها لا نفع لها من نفسها، ولا تنفع غيرها ووجدوها لا تملك ضراً ولا نفعاً من ذاتها، فقطعوا النظر عنها، وأسقطوها من أذهانهم تعويلاً وإرادة ومحبة واعتماداً وخطوراً، فلما تورعوا عنها رجعوا بكليتهم إلى خالقها فانجمعت همومهم بالتعلق، ثم نظروا الأشياء، فإذا هي في قبضته، ثم فكروا فيها فوجدوا أمرها على قسمين: شيء قدره لهم أو عليهم نفعاً أو ضراً فلا بدّ من لحوقه، وإن كان ما كان لما علموا من نفوذ مشيئته جلّ وعلا، ورأوا أن الالتفات لما قدره لهم نفعاً أو ضراً من أكبر الطمع، فتركوا الطمع وتورعوا عنه، وإنّما كان طمعاً لأنّ الاشتغال به هو تحصيل الحاصل والاشتغال بتحصيل الحاصل هذيان واتباع الهوى غرور، والغرور من فروع الطمع، فتركوه ورعا، وشيء لم يقدره لهم فلا سبيل لنيله ولحوقه نفعاً أو ضراً فما وقعت الحيل كلها على تحصيل شيء لم يقدره جل وعلا لم تحصل منه ذرة ولا أقل، ورأوا أنّ التعويل على ما لم يقدر نفعاً أو ضراً هو من أكبر الطمع والطمع حرام فتورعوا عن الطمع كله، وغضوا أبصارهم عن المقدورات بكل جهتها سواء كانت لاحقة أو غير لاحقة، وأوقعوا نظرهم إلى الله تعالى بقطع العلاقات والأهدية، فلحقهم ما هو مقدور لهم دون إرادة لهم بل بالرضا والتسليم والتفويض لله عز وجل، ولم يلحقهم ما لم يقدر لهم فهم منه مستريحون ونفوسهم طيبة بتركه فهم زاهدون فيما قدر

وما لم يقدر هذا مذهبهم، أنالنا الله ذلك بفضله فهم في رحمة الله عزّ وجل وراحة الأبدان هنا وهناك.

(ولهذا) قيل: من عرف الله على الحقيقة لم يلحقه هم، بل يجدون للأضرار لذة كلذة المنافع لما علموا أنّها من اختياره جلّ وعلا، فهم يحبون الأضرار ويتلذون بها لأجل محبوبهم جلّ وعلا لكونها من اختياره فهم يفرحون بالجميع ضراً أو نفعاً لأنّهم مقبولون على الأشياء كلها بالله لله مع الله من أجل اختيار الله عزّ وجل لها، ولذلك لا تجد عندهم ألماً في الأضرار الفادحة التي لا تطيقها قوة البشرية لما شغلهم عنها من الفرح به جلّ وعلا، والكل عندهم منه نعمة كيفما كانت ضراً أو نفعاً أو وصلاً أو إبعاداً لما قدمناه من فناء إرادتهم وحظوظهم تحت اختياره ومحبته، وإلى هذا الإشارة فيما يُقال عن الله عز وجل: كأنّه يقول على ألسن هواتف الحقائق يا عبدي تريد وأريد فاترك ما تريد وكن لي مع ما أريد أبلغك ما تريد وأنعمك فيما أريد، وإنْ لم تترك ما تريد لما أريد أتعبتك فيما تريد وعذبتك بما أريد بالبين عما تريد ولا يقع إلاّ ما أريد، أو كما قيل عنه جل وعلا.

وقد علمت أنّ الفرح بالنعم على ثلاثة أقسام: فرح بها لكونها قضاء للوطر والشهوات، وصاحب هذا الفرح مثل البهيمة سواء، وفرح بها لكونها فيها قضاء الوطر والشهوات، ولكونها منة منه لاختياره له جل وعلا، فهذا متوسط بين الدناءة والشرف، وفرح بها لأجله جل وعلا، وإنّها من اختياره منه لا لكونها فيها قضاء الوطر والشهوات، فهذا هو غاية الشرف والرفعة لصاحب هذا الفرح، وكذلك في ضد النعم في الكراهة لها هكذا سواء، وبهذا يفترق الأمر في محبة الجنة وما فيها، وكراهة النار، فالأول: مذموم قطعاً، والثاني: مذموم وممدوح، والثالث ممدوح مشرف قطعاً لأنّه لم يفرح بالجنة للذاتها وشهواتها بل لأنّها من حسن اختيار الله جلّ وعلا، وإنّها من أعظم مننه، وإنّها دار جواره ومحبته فهم يحبونها، ويفرحون بها من أجله لما تقدم من عزل شهواتهم وحظوظهم لمراد الله عزّ وجلّ واختياره، أنالنا الله ذلك من فضله وكرمه بجاه سيدنا محمد ﷺ؛ والحاصل أنّه لا يكمل القيام لله بالله مع الله من أجل الله عز وجل حتى بتورع صاحبه عن جميع القدورات، ويقطع الطمع من الله أنْ يعطيه غير ما قدر له أو يمنعه ما قدره، ولا يصل إلى الله عز وجل حتى لا يبقى لك غرض في شيء من الأكوان، كما قيل حرام عليك الاتصال بالمحبوب، ويبقى له في العالمين مصحوب وهو نكتة الباب، وقد قيل في هذا ما طلعت شمس ولا غربت على الخلق، وهم جهال بالله تعالى إلاّ من يُؤثر الله عزّ وجل على نفسه وهواه وآخرته ودنياه، فانظر في هذا هل تجد له غرضاً في الأكوان وهذه هي الحرية الخالصة من شوائب رقية الأكوان، ومن تحقق بهذا المقام يكون الدعاء في حقه لمحض العبودية فقط لا تطلعاً إلى تحصيل شيء لأنه إنْ تطلع بدعائه إلى تحصيل ما قدر له أو

دفع ما هو مدفوع عنه فهو عبث لا فائدة له، ويلزمه تأديب قلبه عن هذا التطلع للعبث، وإنْ تطلع لذلك، فهو طمع ومضادة لأحكام الربوبية، وكلاهما في مذهب العارفين حرام، فيلزمه تأديب قلبه أيضاً عن هذه الخسائس، فلم يبق إلاّ التعلق بالله عزّ وجلّ عبودته له لا لأجل تحصيل شيء منه بالتعلق به لئلا يدخله ما تقدم من الطمع والعبث وشرك الأغراض، ويلزمه حينئذٍ الوقوف مع الله عز وجل على حدود الأدب بالرضا عن الله عز وجل في كل شيء والرضا بأحكامه في كل شيء، والتفويض له في كل حال، والتسليم له في كل شيء والاستسلام له على كل حال، وإقامة النفس له على ما يريد، وتفسير الرضا عن الله عزّ وجلّ هو ترك السخط عليه فيما يجريه عليك من الأضرار بل يتلقى حكمه بالفرح والسرور، وإنْ كان هلاكه فيه لصدق محبته، ولا يتمنى زوال شيء مما فعله به من الضرر حتى يكون هو الذي يدفعه جلّ وعلا، وتفسير الرضا بأحكامه ومقاديره هو نفي السخط لما حكم به عليك، أو غيرك فتستوي عندك المضار والمنافع، ولن تصل إلى تحقيق هذا المقام إلاّ بكمال زهدك فيك وكمال رغبتك فيه لأجله لا لشيء يعود إليك منه، فيغيب عنك رؤية الضر والنفع، ويسقط عنك التمييز بينهما من ذاتهما حباً وبغضاً إلاّ أنْ يكون الحب والبغض من أجله سبحانه، فلتكن بذلك لله بالله مع الله، وتفسير التفويض هو ترك التدبير في جلب نفع أو دفع ضر، ولو بالتمني فضلاً عن السعي فيه لما علم من سبق تدبيره سبحانه وتعالى، فلا محيص عما قدر حصوله نفعاً أو ضراً، ولا سبيل لما قدر نفيه نفعاً أو ضراً، فلم يبقَ إلاّ ترك التدبير وهو التفويض، وتفسير التسليم لله عز وجل هو ترك منازعة المقادير تمنياً أو سعياً جلياً أو دفعاً وقوعاً، أو نفياً لما سبق أيضاً من تقديره عزّ وجلّ واختياره في سابق أزله لما قدر وقوعه أو عدمه والمنازعة كلها حرام عند العارفين لأنّها إمّا عبث أو طمع كما تقدم، فلم يبقَ إلاّ التسليم وهو ترك المنازعة عبودية لا تطلعا إلى شيء جلباً أو دفعاً، فيدخل شرك الأغراض والطمع والعبث؛ وتفسير الاستسلام له جلّ وعلا هو إسقاط الحول والقوة منك حتى تكون كالميت بين يديّ غاسلك يقلبك كيف شاء دون اختيار ولا إرادة ولا حول ولا قوة لأنّك في الحقيقة لا حول لك ولا قوة، وإنّما ذلك من دواعي النفس الكاذبة، ومن شأنها الانقياد للوهم، فلم يبقَ إلاّ ترك الدعوى وتأديب النفس عن الانقياد والوهم، وردها إلى محض العبودية الخالصة لله عزّ وجلّ، ولم يبقَ إلاّ الاعتماد على الله عزّ وجلّ؛ وتفسير الاعتماد عليه جل وعلا هو هدوء القلب سكوناً من الاضطراب بقيوميته جلّ وعلا وسابق تدبيره واختياره، وتبرياً من الطمع والعبث كما تقدم، وكل هذه مقامات متجاذبة بعضها ببعض، ولنْ يقدر على استيفائها كمالاً إلاّ العارفون، فكلما سكنت إلى شيء دون الله عز وجل كائناً ما كان فقد اعتمدت عليه ومعنى السكون هو هدوء القلب والاستئثار بوجود ما سكن إليه، والاضطراب والوحشة

والحزن عند فقد المسكون إليه، ومن كان على هذا الحال مع غير الله تعالى وُكّل إلى ما سكن إليه وهلاكه محقق لا محالة، ولا مطمع له في درك الفلاح الكامل، ومن كان سكونه إلى الله عزّ وجلّ، وأنسه به دون شيء سواه وكله الله عز وجل إلى تدبير ألوهيته واختياره وتولاه بالعناية الأزلية، ومنحه ما لا نهاية له من الأحوال العلية والمقامات السّنية والأخلاق الزكية، ولا تسأل عما يجده هنالك من الفرح واللذات والشرف والرفعة، ولا يعلم غايته إلاّ الذي تفضل به ولم يحظ بهذه المقامات إلاّ العارفون لانخلاعهم إلى الله عزّ وجلّ من جميع ملابس الأكوان، وتطهيرهم من النظر إليها لحظة أو أكثر أو أقل فرجعوا إلى الله عزّ وجلّ بأسرار مختطفة عما سواه مغمورة بشهوده غائبة عن وجود سوى الله عزّ وجلّ مقيدة في حضرته جالسة على بساط تفريده بأرواح مطهرة من علائق الأجسام الظلمانية متعالية عما يثبطها عن الطيران في رياض الجبروت منزهة عما يقدح في حبها وكمال شوقها إليه جلّ وعلا دائماً، وبعقول مطهرة من دنس الهوى دائمة السير والفكر والنظر في مصنوعاته جلّ وعلا، ملتقطة أسرار حكمته في خلقه بقلوب قد كمل تعلقها به بقطع العلاقات والتطهير من الأدران والانخلاع من المألوفات، وغضّ البصر عن جميع الموجودات ووقوفها على حدود الأدب بين يدي خالق الأرض والسموات بنفوس زكية مطمئنة عن جميع الاضطرابات طاهرة مطهرة منخلعة عن الهوى والشهوات، وبأجساد مستغرقة البعض والكل لا تتخلف منها شعرة ولا ذرة عن خدمة خالق الموجودات.

واعلم أنّ الذي حجب الخلق عن الله تعالى هو سكونهم إلى غيره، ولولا ذلك لرأوه كلهم ببصائرهم عياناً ولكن بعضهم في الحجاب أشد من بعض، والكل في الانحجاب عنه على حد سواء لاستحالة المسافة والأمكنة والجهات عنه جلّ وعلا، وإنّما ذلك بنسبة ما حجب العبد عن شهوده سبحانه، فطائفة حجبهم حب الدنيا والانكباب عليها، وهذا أعظم الحجب؛ وطائفة حجبهم عن الله عزّ وجلّ شهواتهم وأغراضهم، وهواهم ونفوسهم، وهذا أدنى من الأول؛ وطائفة حجبتهم الآخرة من أنواع نعيمها وحورها وقصورها، وأليم عذابها والخوف من دركات جهنم؛ وطائفة حجبهم عن الله عزّ وجلّ سكونهم إلى العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأحوال والمقامات لكونها هي مقصودهم من الله تعالى، وطلبهم منه فهم يسكنون لوجودها ويضطربون لفقدها، العارفون خرقوا هذه الحجب كلها وجلسوا مع الله عزّ وجلّ على بساط شهوده والتبرؤ عن رؤية الأحوال والمقامات وإرادتها، لأنّها من جملة الأكوان التي خرجوا عنها، وإنّما كان الأولون أعظم ممن بعدهم في الحجاب لأنّهم حجبوا بالحجاب الأول بعد الثاني وأهل الحجاب الثاني: خرقوا الحجاب الأول بالزهد، فقطع عليهم الطريق دواعي النفس والهوى، فحجبوا، وأهل الحجاب الثالث خرقوا الحجابين فقطع عليهم الطريق لذة النعيم الدائم فحجبوا، وأهل الحجاب الرابع:

خرقوا الثلاثة، وقطع الطريق عليهم إرادة الرفعة والمنزلة بحصول المقامات، إلاّ أنّ الثلاثة الأولين حجبوا بالظلمات، والآخرين حجبوا عن الله عزّ وجلّ بالأنوار وكلها مستوية حيث لم ينظروا إلى الله تعالى، ومن خرق الحجب كلها نظر إلى الله تعالى بعين البصيرة.

وأمّا تفسير إقامة النفس لله عزّ وجلّ على ما يريد فهو القيام بمراده عبودية لأجله وابتغاء وجهه بإسقاط الرجاء منه على العبادة فقط لا أنّه ينقطع رجاؤه منه قنوطاً من غيره، فإنّ ذلك عين الكفر المنهي عنه، وإنّما يسقط الرجاء عن العبادة لتتخلص عبادته لربه عن شرك الأغراض، ويرجو الخير من ربه المحض الفضل والكرم والرجاء هو حسن الظنّ بالله تعالى لما هو عليه من محاسن الصفات العظيمة، وأمّا الرجاء لنيل شيء من الدنيا أو من الآخرة فهو طمع عند العارفين، وكله حرام لما علم من سبق تقديره وقسمته في الأزل فلا مطمع في نيل ما لم يقدر كما لا خوف من فوت ما قدر حصوله، فأيّ شيء الرجاء بعد هذا، وما هو حسن الظنّ به تعالى بقطع الطمع منه في نيل ما لم يقدر، وقطع اتهامه في فوت ما قدر، فلم يبق إلاّ تخليص العبودية له جلّ وعلا على ما يريد بحكم شرعه بمفارقه الحظوظ، وقطع الاختيار معه ومباينة الإرادات، مع إرادته جلّ وعلا، وليكن معه كالميت بين يديّ غاسله يقلبه كيف يشاء، فلا يرى لنفسه حولاً ولا قوة، ويبقى مستسلماً للأحكام تجري عليه من غير كراهة لشيء منها، فإن صبت عليه جميع الأضرار التي جرت على الخلق ما تألمت منه شعرة لما تحقق من قيومية محبوبه، وهذا من الأحوال التي هي محض المواهب الإلهية ليس للكسب إليها سبيل، ولن يستكمله من فيه أدنى لحظة من الالتفات لنفسه أو سوى الله عزّ وجلّ أنالنا الله ذلك بمحض فضله آمين بجاه سيدنا محمد ﷺ.

والواجب في حق السائل أنْ يمسي ويصبح ويظل ويبيت وليس له مراد إلاّ شيآن الأول هو الله عزّ وجلّ اختياراً له من جميع الموجودات واستغناء به عنها وأنفة من لحظها لمحة وغيره أنْ يختار سواه وليكن الله عزّ وجلّ هو مبدأ مراده ومنتهاه، وأول مراده وآخره، ومفتتحه وختمه، ومستغرقاً لقصر مراده عنه فيما بين ذلك كله حتى لا تبقى لمحة يريد فيها غيره لأنّ إرادة الغير إما طمع أو عبث كما تقدم؛ والثاني من مرادات السالك أن يكون كله لله عزّ وجلّ خالصاً من رقية غيره كامل التعلق به تعلقاً سراً وروحاً وعقلاً ونفساً وقلباً وقالباً حتى لا تكون منه ذرة متخلفة عن الله تعالى، واقفاً مع مراده عزّ وجلّ منسلخاً عن جميع الإرادات والاختيارات والتدبيرات والحظوظ والشهوات والأغراض، واقفاً في ذلك لله بالله مع الله لا شيء منه لنفسه ولا بنفسه، ولا مع نفسه وليكن ذلك عبودية لله عزّ وجلّ من أجله وإرادة لوجهه وأداء لحق ربوبيته لا ليعود عليه منه شيء، ولا تختر على الله عزّ وجلّ أنْ يكمل مراده بل لتتخلص عبوديته لربه عزّ وجلّ

لا قنوطاً من خيره لئلا يكفر، ويحسن ظنه به لما هو عليه من كمال الصفات المحمودة، انتهى، وهذا التنبيه قد كتبه سيدنا رضي الله عنه حين كان يدرس العلم وكتبته من خطه وبالله التوفيق.

(وسألته رضي الله عنه) عمن احتلم في السفر ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه هل يذكر جميع ما عنده من الأوراد أم لا؟ (فأجاب) رضي الله عنه بقوله يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسيفي وغيره إلا الفاتحة بنيّة الاسم فلا يقربها ولو طال الحال إلى الأبد إلا بطهارة مائية كاملة. قال الشيخ رضي الله عنه: سألت سيدنا رسول الله ﷺ هل أذكر الاسم الأعظم بالتيمم للمرض إذا أصابني ولم أقدر على الوضوء قال لي لا الآن تذكره بالقلب، دون اللسان، ثم قال سيدنا رضي الله عنه هذا حكم من احتلم في السفر، وأمّا من احتلم في الحضر والصحة، فلا يذكر شيئاً من ورده إلاّ إذا اغتسل، ثم قال إياك إياك أن تؤخر صلاة الصبح، أو غيرها من صلاة الفرض حتى يخرج الوقت لأجل الغسل، فإنّه لا يحل إلاّ للمرض أو لعدم القدرة على استعمال الماء، وأمّا ذكر الفاتحة بنية الاسم فلا تقربها بالتيمم لا في السفر، ولا في المرض ولو طال الحال إلى الأبد انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن قول الشيخ الجزولي رضي الله عنه في حزب الفلاح أفضل ما هو أهله(فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ للربوبية إفاضات متباينة في الكيفية، وفي العظم واللذات والخواص على المرتبة الواحدة المفاض عليها سواء أكان الفيض في مقابلة عمل، أو توجه من المرتبة المفاض عليها، أو في غير مقابلة شيء والحق سبحنه وتعالى لم تخل رتبته طرفة عين من هذا الفيض أبداً سرمداً، وهذا الفيض هو المعبّر عنه بالفضل والعطايا والمنح والإنعام إلى ما يتبع ذلك من ظهور سر العناية منه والمحبة منه سبحانه وتعالى، والتعظيم والتبجيل والتكريم للمرتبة المفاض عليها ما ذكر قبل من الفضل والعطايا والمنح، وإذا علمت هذا علمت قطعاً أنّ ما أفاضه الحق على نبيه ﷺ عاجلاً وآجلاً من العطايا والمنح، التي لا تقدر العقول على درك أدانيها فضلاً عن أقاصيها، وعلمت أنّ تلك الإفاضات منه سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ متباينة الكيفيات والحدود في الكثرة والقلة، والصغر والعظمة، وفي كل ذلك يلوح للناظر فيها تصريحاً لعلو رتبته ﷺ عن جميع خلق الله وعظمة مكانته عن كل ما عداه، وأهليته ﷺ لتلك العطايا ثابتة بحكم عناية الحق به ومحبته فيه فهو أهل لقليلها، كما هو أهل لعظيمها، والداعي طلب من الله عزّ وجلّ أنْ يجازي نبيه ﷺ عما علمنا من الخيرات والمكارم وما أتاح لنا ﷺ من النعم العظيمة، والمواهب العظام التي يدهش العقل، ويكع جواد عزمه عن الإحاطة بأقل قليل منها، وما بذل إلينا من النصيحة، وعلمنا من مكارم الأخلاق والآداب

التي تصلح لمن توجه بها إلى حضرة الربوبية، ثم ما وقانا به في ذلك من أليم العذاب الأبدي الذي لا تطيق العقول وصفه وما أعقبنا بسبب ذلك من النعيم السرمدي الذي يدهش العقول ذكره، وكان شكره ﷺ علينا في هذا غير متناهٍ لو استغرقنا طول أعمارنا للقيام بشكره ﷺ لم نؤدِ حتى مثقال هبأة في مقابلة بره ﷺ، ولما علم الداعي عجزه عن القيام بشكره ﷺ على ما ذكر ردَّ ذلك إلى الحق سبحانه وتعالى لما له من سعة القدرة الإلهية على توفية شكره عنا ﷺ بأضعافٍ مضاعفةٍ، فكان الداعي يقول: يا ربنا إذا علمت عجزنا عما وجب علينا من القيام بشكره ﷺ، فأجزه عنا بأعظم ما منحت رتبته العظيمة من مواهبك ومنحك التي خصصته بها التي كان أهلاً لعظيمها كما هو أهل لقليلها ﷺ، فجازه عنا بأعظم ما هو أهله من منحك ومواهبك، ليكون ذلك منك سبحانك نيابة عنا في شكرنا له الذي لا طاقة لنا به والسلام؛ فافهم هذا المهيع الصافي والتعبير الوافي، ولا تلتفت لمناقشة الألفاظ المضطربة بين أهل الظاهر أكرمنا الله وإياك بمحبة المكمل العارفين بالله المغترفين من فيض الأسرار الباطنة الإلهية، وأماتنا على محبتهم، وحشرنا في زمرتهم آمين، انتهى من إملائه على بعض الفقهاء، ومن خطه كتبت والسلام.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة الزهد، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: حقيقة الزهد في المزهود فيه هو الترك، والإعراض عنه وبدايته الترك والإعراض وتمكنه الاستئناس بتركه ونهايته دوام نسيانه حتى لا يخطر بالبال، ونهايته العظمى احتقار الزهد والمزهود فيه فلا يرى الزهد شيئاً، ولا يلتفت إليه وما دامت الأشياء قائمة في النفس فالزهد فيها مطلوب حتى إذا تركت الأشياء من النفس وصفت من جميع الكدورات، وذهبت صور الأكوان من القلب عيناً وأثراً فلا زهد، فإنه في هذا الحال يتمكن منه حب الذات المقدسة، وإذا تمكن حب الذات المقدسة ذهبت الأكوان ومحقت، فلا عين ولا أثر فلا يتصور خطورها على القلب فهنا لا زهد ولا مزهود فيه، وفي هذا إشارة لقول الشبلي رضي الله عنه حين سُئل عن الزهد فقال له: ما معناه إنّما الدنيا كلها بجميع ما فيها كحصاة ملقاة في فلاة مر عليها مارقان ترك المار لتلك الحصاة لا يعدّ زهداً، وأمّا ما ذكر من زهد أصحاب المقامات مما وراء هذه المرتبة، فلا تخطر الدنيا بباله حتى يزهد فيها، وإنّما لهم في الزهد حقيقة واحدة، وهي البعد عن كل ما يلائم مقام كل واحد من أصحاب المقامات، أو يوجب فيه نقصاً، أو خللاً في الكمال، وما سوى هذا فلا زهد في شيء والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومن كلامه رضي الله عنه) قال: لكل جوهر قلب وخلاصة فما في الأول صورة ما في الثاني، وما في الثاني صورة ما في الثالث، ولذلك كان الجسم صورة ما في الطبيعة،

والطبيعة صورة ما في النفس، والنفس صورة ما في العقل، والعقل صورة ما في الروح، والروح صورة ما في العمى، والعمى صورة ما في العين، والعين صورة الذات المطلقة عن الاعتبارات، وقد قال بعضهم أنّ العالم صورة العلم الإلهي، انتهى من إملائه على محبنا سيدي محمد بن المشري، ومن خطه كتبت.

(ومما أملاه علينا رضي الله عنه) قال: يُقال في الإشارة عن الله قال: إنّ في الجسد مضغة، وفي لمضغة قلب، وفي القلب فؤاد، وفي الفؤاد ضمير وفي الضمير سرٌّ، وفي السر أنا معناه المضغة هي اللحمة الصنوبرية، والذي فيها هو القلب، والمراد بالقلب الروح في مرتبة كونها قلباً، وفي القلب فؤاد، والفؤاد هو الروح في مرتبة كونها نفساً مطمئنة، وفي الفؤاد ضمير، والمراد بالضمير هو الروح، وهي مرتبة كونها نفعاً راضية، وفي الضمير سر، والسر هي الروح، وهي مرتبة كونها نفساً مرضية، وهي التي التحقت بمرتبة فناء الفناء، وهو مقام السحق والمحق، والدّك والاستهلاك حتى لا عين ولا أثر ولا غير ولا غيرية، وفي هذه المرتبة يقول: وفي السر أنا، وفي هذا المعنى يقول ابن الفارض رضي الله عنه: فإن دعيت كنت المجيب الخ، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه. (ومن كلامه رضي الله عنه) قال: زبدة الأعمال الشرعية، وغاية ارتفاعها هو التعلق بالله تعالى بلا انفصام، ولا تزلزل ولو دهسته دهمات الفتن الصعبة التي لا ينجو منها إلاّ بانخلاع يده من سوى الله تعالى وانفصامه عنه، فهذا غاية العمل ومنتهاه، وهذا هو الفقه في الدين، يقول سبحانه وتعالى في هذه الصفة حين ذكر ما حلّ بالمنافقين من سوء الظن بالله ورسوله مما لحقهم من الضيق الأعظم حيث يقول تعالى: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم، ومن أسفل منكم، وإذا زاغت الأبصار «إلى قوله» غرورا﴾ [الأحزاب: ١٠/١١/١٢] فهتك سبحانه وتعالى أستار المنافقين بما أخبر عنهم من سوء الظن بالله ورسوله، والكذب في الحال حيث قال: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم، والقائلين لأخوانهم «إلى قوله» فأحبط الله أعمالهم﴾ [الأحزاب: ١٨/١٩]، وأخبر الله عن الطائفة الأخرى حيث قالوا: أنّ بيوتنا عورة، وما هي بعورة إن يريدون إلاّ فراراً، ثم أخبر سبحانه وتعالى عن أكابر المؤمنين، حيث يقول: ﴿ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وكما قال عنهم: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليما﴾[الأحزاب: ٢٢]، هكذا هو ثبوت التعلق بالله تعالى، وعدم الانفصام عنه إذا هاجت أمواج الفتن الصعبة، انتهى، وليست هذه إلاّ صفة العارفين بالله تعالى، فهذا هو الفقه في الدين وعلى هذا ينزل صفاء اليقين، وعين الفقه في الدين غير هذا الذي ذكر بل هو انكشاف صفات الله وأسمائه الباطنة، وتكميل القيام بحقوقها وآدابها، فهذا هو الفقه في الدين وهو خارج عن دائرة الفقهاء لا يصل إليه إلاّ

النبيون والعارفون والصديقون، فهذا هو الفقه في الدين المشار إليه في الحديث قال ﷺ: **«ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»**، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى العافية، وحقيقتها، فقال: اعلم أنّ حقيقة العافية هي القيام مع الله تعالى في مطابقة مراده بكمال الرضا والتسليم والتفويض والاستسلام وسقوط التدبير والحيل ودوام التبري من جميع الملاحظات والمساكنات والمصاحبات والمرادات حتى لا يكون له غير الله في كل نفس أبداً دائماً سرمداً، وصحة ذلك ومصداقه أنْ لا يخطر غير الله على قلبه دائماً، فهذه هي العافية، وإذا سألت العافية من الله، فاسأله العافية من حيث يعلمها لك عافية لا فيما تريده وتختاره، وأما قول القائل: منكراً على المرسي رضي الله عنه حيث قال: إنّ أبا بكر سأل الله العافية فمات مسموماً، وعمر سأل الله العافية فمات مقتولاً، وعثمان سأل الله العافية فمات مقتولاً، وعلي سأل الله العافية فمات مقتولاً، فتلك مرتبة الفقهاء عن الله، والذي أنكرها غريق بحر هواه قد انطمست حضرة قدسه ومناه، فأنكر ما أنكر وهو لا يعلم قال الشاعر:

فكم من عائب قولاً صحيحاً ... وَآفته من الفهم السقيم

وقد ذكر الشيخ مولانا عبد السلام مشيراً إلى هذا الذي ذكرناه في مرتبة العافية، قال رضي الله عنه: لا تختر من أمرك شيئاً، واختر أنْ لا تختار وفرّ من ذلك المختار، ومن اختيارك ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله وربك يخلق ما يشاء ويختار، وأمّا قتل هؤلاء السادات الكرام، فالقتل لهم عين العافية أترى سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام قُتل أتراه خرج عن العافية حاشاه من ذلك عليه السلام، وأمّا السادات رضي الله عنهم، وغيرهم كالحسين وطلحة والزبير وغير ذلك من السادات، فإنّه أكمل لهم العافية التامة الكاملة في ذلك القتل، وشرّفهم بذلك على جنسهم، ولم يعلم هذا العلم إلاّ الأكابر من الرجال، وكذلك لا يطيق حمل أعباء هذه العافية إلاّ أولئك الرجال، وأما غيرهم فلا كلام عليهم، والعافية في حقهم ليست خارجة عن البلاء إلاّ بتأييد إلهي، والعافية التي عندهم هي تواتر النعم الظاهرة، والمطابقة للأغراض والشهوات والأمن من البلايا والمحن، فهذا غاية البلاء والمحنة الشديدة. (قال بعض التابعين): وهو من فقهاء هذا الميدان، لبعض السادات مستغيثاً به يا سيدي ادع الله لي فقد قرنت بالعوافي مع توفير النعم، أو كما قال له وخاف سوء عاقبة هذا الأمر، فاستغاث بالله منه وأهل الظاهر واقفون مع نفوسهم غارقون في بحر الهوى فلا كلام معهم ولا عليهم. قال الشيخ زروق يوصي أصحابه: ومن جملة ما أوصاهم به، قال لهم: عظموا العلماء فإنّهم حملة الشريعة، ولا تخالطوهم فإنّ نفوسهم غالبة عليهم والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه. (وسألته رضي الله عنه) عن

حقيقة العجب، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: هو استعظام العمل ونسيان منة الله عليه وحقيقة الرياء هو العمل لأجل الناس لرجاء نفع منهم حسيّ أو معنويّ، أو لدفع ضر أو خوف منه وحقيقة العمل هو مطابقة أمر الله ظاهراً وباطناً من حيث ما هو هو، ونية التوجه إلى الله بامتثال أمره والذي يعمل لله متوجهاً إليه راجياً منه الثواب على عمله، فهذا محل تدافع فيه الرجال، فمن قائل بإبطاله ولا ثواب له ومن قائل بصحته وصحة ثوابه ومن قائل بإبطال العمل حتى يرجو الثواب عليه، والتحقيق في هذا أنّ العمل لله تعالى خالصاً لا للثواب، ولا لطمع هو الأفضل والأعلى دليله قوله سبحانه وتعالى ما حكى عنه في الزبور يقول: «إنّ أودّ الأوداء من عبدني لغير نوال لكنْ ليعطي الربوبية حقها»، وحكي عنه في بعض الكتب المنزلة يقول فيها: «ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو لنار لو لم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً لأنْ أُعبد»، وإنْ كان لطمعٍ ورجاء الثواب، فالعمل صحيح مقبول مثاب عليه والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن معنى اسمه العدل، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: العدل الإلهي هو إعطاؤه لكل شيء من نفسه على طبق ما سبق له في العلم الأزلي بحيث أنْ يستحيل عليه النقص والزيادة، فهذا معنى اسمه العدل، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه، (ومما أنشده سيدنا) رضي الله عنه:

من فاته حسن وجهي، فإنّه الإحسان	ومن رآني رأى التحقيق والتبيان
ظهرت في الجسم في كشف وفي كتمان	فلي خفاء ولي سر ولي إعلان
لما خلصنا نجونا من تناجينا	أوحى لنا فوق ما نرجوا مناجينا
ومذ جلانا تجلى في مجالينا	فمن له محونا حتى يجالينا

ذكر أنّ سيدنا موسى عليه الصلاة السلام، مرض فطال مرضه فنادته عشبة أنْ كُلني، فشفاؤك يحصل بي، فقال لها: لا جرم إنّ الله هو الشافي، ثم بعد ذلك شكا مرضه إلى الله تعالى فأمره بأكل تلك العشبة فأكلها، فازداد مرضه، فشكا إلى الله تعالى فأمره بالذهاب إلى الطبيب فلما ذهب إلى الطبيب وشكا إليه، أمره بأكل تلك العشبة فأكلها فبرىء، فقال: يا رب ما هذا؟ فقال له ربه سبحانه وتعالى: «شفيتك من غير مداواة لتعلم قدرتي وشفيتك بالحشيشة لتعلم حكمتي وزدت في مرضك بها لتتحقق قهري وسطوتي، وأحلتك على الطبيب لتعرف ترتيب مملكتي أنا الشافي لمن أشاء بما أشاء» والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته رضي الله عنه) عن حقيقة المكر، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: حقيقة المكر هو إظهار النعمة على العدو، وبسطها له ثم يدرجه إلى غاية الهلاك في تلك النعمة

يقول سبحانه وتعالى: ﴿أيحسبون إنّما نُمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ [المؤمنون: ٥٥] وصفة العبد أنْ يكون دائماً خائفاً من ربه لا يأمن على نفسه بحال، ولا يطمئن قلبه من خوف عذاب الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ [المعارج: ٢٧]، والإيمان له جناحان كالطائر جناح وهو الأول هو الخوف، وهو توجع القلب من خشية الوعيد، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن يرى ذنوبه، كأنّه قاعد تحت جبل يخاف أنْ يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كالذباب مر على أنفه**» والجناح الثاني وهو الرجاء في الله سبحانه وتعالى بأنْ يغفر له ولا يعذبه ولا يتوقع فيه الأمان، فإذا تمحض الرجاء وحده بلا خوف كان آمناً والآمن من الله تعالى عين الكفر بالله، وإذا تمحض الخوف وحده كان يأساً من الله عزّ وجلّ واليأس من الله عز وجل عين الكفر، والسلام، وفي هذا المعنى يقول الشريشي:

ولا ترين في الأرض دونك مؤمناً ... ولا كافراً حتى تغيب في القبر

فإنّ ختام الأمر عنك مغيب ... ومن ليس ذا خسر يخاف من المكر

والسلام انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه،(ومن كلامه رضي الله عنه) قال: كل العارفين في شغل عن الله تعالى لأنّهم بقي لهم ضرب من حظوظهم، إلاّ أهل التجلي الأكبر الذين لا حظّ لهم في الجنة، فإنّهم عنده سبحانه وتعالى مقيدون في حضرة قربه، وواصلهم بما لا تحيط العقول وصفه، ولو أنّه واصل العارفين بتجليه لهم، وما أعطاهم في ذلك لذابوا من هيبة الجلال، فإنّ هؤلاء لا التفات لهم إلى الجنة ونعيمها، ولا عبرة لهم بها أوجدت أو عدمت، وفيهم يقول بعض العارفين قوله: بشهوات الفرج والبطن مشغولون، وللمجالسة قوم آخرون، فما فاز بالله غيرهم فإنّهم في كل لحظة يتجلى عليهم بما نسبته للتجلي الأول كبحر إلى نقطة، وهكذا فيما يدركون من اللذات والنعيم والفرح والسرور بحيث أنّ لو طولبوا بالحور لحظة واحدة لاستغاثوا منهم كما يستغيث أهل النار من النار فهم الخاصة العليا من صفوة الله، وهذا المقام أفضل المقامات وأعلاها، وهذا المقام لم يكن لأحد من العالمين سوى هذه الطائفة إلاّ هو ﷺ هذه الرتبة العلية مع مشاركته للعالمين في شهوتي البطن والفرج، فهذا لا يحجبه عن هذا، وهذا لا يحجبه عن الآخر، فهو بالضرورة إنّ من ذاق ذلك في جناب لم يقدر أنْ يلتفت إلى غيره، ومن ألف التلذذ بالحور وأنواع النعيم لم يقدر أنْ يثبت لهذا المطلب، ولا أنْ يحوم حوله إلاّ هو ﷺ، انتهى ما أملاه علينا.

(ومن كلامه رضي الله عنه) قال معنى النهضة الإلهية: هي القيام لله بالله بلا ممازجة هواه، فلم يبق معه شيء من متابعة هواه، وشاهد هذا أنّ بعض الرجال دخل بلداً غريباً،

فجاء إلى دكان ليشتري الخل فرأى الأواني مملوءة، وظن أنّه خل فقال له صاحب الدكان: أي شيء تنظر إنما هي خمر، قال حينئذ لزمني فرض، فاشتغل بإهراقها وكسر أوانيها، وقد وجد فيها سبعون قسطاً فكسر منها تسعاً وستين وبقي واحد فظنّ رب الدكان أنّ أمير البلد أرسله ليفعل ذلك، فذهب لأمير البلد وقال له: هل بعثت لي من يكسر أواني الخمر الذي عندي قال لا: لم أبعث شيئاً فقال الأمير عليّ به الآن، فلما أتوا به قال له الأمير: لِمَ فعت ما فعلت؟ قال له: فعلت ما بدا لي، فافعل ما بدا لك، فقال: هل ترك شيئاً قالوا نعم: ترك قسطاً واحداً، فقال له: لِمَ تركتَ ذلك القسط قال: لما قال لي ربّ الدكان أنّه خسر أخذتني غيرة الإسلام، ففعلت ذلك، فأنا في أثناء ذلك حدثتني نفسي بأنْ قالت لك حال مع الله أنت ممن يغير المنكر، فتركته خوفاً لما يكون حتى فعلت هذا، فتركت وخفت أنْ يكون ذلك حظاً لنفسي، فقال الأمير أخرجوه عني، فإني لا طاقة لي به فأخرجوه. وروي أنّ رجلاً قدم إلى بلد، فوجد فيها شجرة تعبد من دون الله تعالى، فلما أصبح أخذ فأساً وذهب إليها ليقطعها، فاعترضه إبليس في صورة رجل، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذه الشجرة التي تعبد من دون الله لنقطعها قال له: اتركها وارجع تجد تحت رأسك ثلاثة دراهم، فرجع فلم يجد فرجع من الغد ليقطعها، فاعترضه إبليس في الطريق، فقال له: أين تريد؟ قال: لأقطع تلك الشجرة التي تعبد من دون الله، فقال له: ارجع فإنّك إنْ طفت حولها ضربت عنقك، فإنّ النهضة الأولى لا يقاومك فيها أحد، ونهضتك هذه لما فاتك من حظك فقط والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسمعته رضي الله عنه) يقول: كل ما خلق الله في الدنيا من الدواب كلها مخلوقة في الجنة إلاّ أربعة الكلب والقرد والخنزير والقنفذ، وجميع دواب الأرض لا تدخل الجنة إلاّ أشياء مستثنيات ناقة صالح عليه الصلاة والسلام وفصيلها، وطير سليمان وهو الهدهد والله أعلم والسرند وحمار عزير وكبش اسماعيل عليه الصلاة والسلام، وحماره ﷺ، وناقته أو بغلته والله أعلم، وكلب أهل الكهف والسلام ا هـ من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومن إملائه رضي الله عنه) قال: خلقت الجنة على رأس اثنين وخمسين ألف سنة من منشأ العالم، وخلق آدم عليه الصلاة والسلام على رأس اثنين وسبعين ألف سنة من منشأ العالم، قال الرفاعي: إنّ لله ثمانمائة ألف عالم العرش بجميع ما في جوفه من العوالم منها عالم واحد، الكامل من الرجال من أطلعه الله على جميعها وليس ذلك إلاّ الفرد الجامع ا.هـ. وأما السنة، فكانت في أول الأمر أيامها أيام الرب، ويوم الرب هو ما قال سبحانه وتعالى، ﴿وإنّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج: ٤٧]، هذا اليوم المذكور إنّما هو من منشأ العالم إلى خلق الجنة، وأمّا من خلق الجنة إلى آدم، فلو أقصر منها ا هـ.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه) عن عينية الذات والصفات التي هي معتقد المحققين من أهل الله، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: أمّا الذات من حيث ما هي هي فهي عين قائمة، وهي متصفة بجميع صفات الألوهية وأسمائها، لكنها في غاية البعد ونهاية الصعوبة في الإدراك لها والعلم بها وليس لأحد من المحققين، بل ولا جميع النبيين والمرسلين ما عدا القدوة العظمى ﷺ أنْ يحيط بها علماً، أو يدرك لها حقيقة تمتاز بها عن غيرها كما برز الأشياء بعضها من بعض، وإنّما معرفتهم بها وإدراكهم لها، وقطعهم بالعجز عنها مع احتراق ذواتهم من هيبة عظمتها وجلالها، ومثال ذلك في الشاهد لو فرضنا رجلاً أكمه لا يبصر شيئاً، ووضعناه حول النار قريباً منها فلا شك أنّه يحس بإحراق النار وشدة حرارتها ولا يدرك لها حقيقة لفوات بصره، وليس له من النار إلاّ الإحساس بحرها مع جهله بحقيقتها، والقطع بصحة وجودها وامتيازها عن غيرها، فهذا غاية ما تمتاز به الذات عن الأشياء في هذا المثال، وإنّما الإدراك للنار رؤية عينها بعين البصر وقذفه فيها حتى يحترق بها، فهذا هو المدرك لحقيقتها ولكن الكمه غلبه على هذا قلنا، فغاية إدراك المحققين من الذات وجود حبها في ذواتهم، وذلك أمر صعب الملتقى لا يدرك بالمقال، وإدراك ماهيتها حسية في ذواتهم، فهي وإنْ كانت حجبت الخلق عن النظر إليها فللواصل احتراق ورعب شديد ووجل من هيبة عظمتها وجلالها، فهذا غاية عالمهم من الذات لا زائداً ولذا يقول: العجز عن درك الإدراك، ففي ذا يقول المسبح: سبحان من لا وصول لمعرفته إلاّ بالجهل بمعرفته.

وأمّا الصفات الإلهية للعارفين فيها إدراك حسيّ لا تكشف العبارة منه شيئاً إنّما يكشفه الذوق والحال، مثال ذلك في الشاهد حلاوة العسل والسكر مثلاً مع مرارة الحنظل، والصبر مثلاً مع ملوحة مع حرافة الحريفات مع حموضة الحامض الشديد الحموضة، إذا فرضنا شخصاً لم يذق منها شيئاً، ولم يعرف لها حقائق يقول لنا مثلاً: أخبروني عن حقيقة الملح في المالح، والمرارة في المرّ وحقيقة الحريف في الحريفات، وحقيقة الحامض في الحوامض، وحقيقة الحلاوة في الحلو، فلا شك أنْ تقول له العبارة لا تكشف لك عن هذا شيئاً، فكذلك حقائق الصفات الإلهية لا تكشف العبارة عنها شيئاً إنّما تعرف حقائقها بالذوق والحال، وأمّا رجوع الصفات كلها إلى شيء واحد وصفة واحدة، (فالجواب عن هذا) إنّ الصفة الواحدة التي ترجع إليها جميع الصفات، فتصير بها صفة واحدة قلنا: هي مرتبة الألوهية، وهي مرتبة الحق سبحانه وتعالى، فالألوهية صفة واحدة وحقيقتها توجه جميع غيره إليه بالعبادة والخضوع، والتذلل والتصاغر لعظمته وجلاله، وهذه الصفة مع وحدتها استغرقت جميع الموجودات فلا يشذ عنها شيء في هذه الصفة الواحدة، وهي الألوهية لا يصح اتصاف الحق بها سبحانه وتعالى إلاّ إذا اتصف بجميع الصفات الكمالية والأسماء الكمالية أيضاً، فلو انعدم منها صفة أو اسم فيه سبحانه وتعالى

لم يصح اتصافه بالألوهية قلنا: هذا هو مرجع الصفات إلى صفة واحدة، وأمّا المغفرة الواقعة في الفتح، فإنّما هو فتح الحديبية لا فتح مكة، فإنّ هذه السورة يعني سورة الفتح نزلت في قضية الحديبية قبل الفتح بسنتين فيها أعطى هذه الأربع، وهي: ﴿ليغفرَ لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتمّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ [الفتح: ٢/٣]، ثم استمر سبحانه وتعالى بذكر ما وقع في قضية الحديبية إلى قوله: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق «إلى قوله» فتحاً قريباً﴾ [الفتح: ٢٧]، يريد أنّهم كانوا في خروج رسول الله ﷺ عام الحديبية لا يرون فيها غير فتح مكة، وقد كان أخبرهم ﷺ: أنّه رأى في النوم أنّه دخل مكة آمناً فلما صدّ عن البيت ﷺ وصالحهم على الرجوع في ذلك العام بلا عمرة ساء ظن الناس واضطرب إيمانهم، وركبتهم الشياطين بضرب من القدح في الإيمان أنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق «إلى قوله» فتحاً قريباً﴾ [الفتح: ٢٧] هو فتح الحديبية لأنّ فتح الحديبية تقوى الإسلام فيه، وكثر الناس حتى كان في الحديبية غزا في ألف وأربعمائة وبعد عامين غزا لمكة في عشرة آلاف، ففتحها ﷺ، فعلم ما لم تعلموا قلنا: فالفتح الذي وقع بسببه مغفرة الذنوب ما تقدم منها وما تأخر، وإتمام النعمة عليه ﷺ، وهدايته إلى الصراط المستقيم ونصر الله له نصراً عزيزاً قلنا: هو فتح الحديبية لا فتح مكة، ومعنى المغفرة له ﷺ هو أنّ الحق سبحانه وتعالى تجلى عليه تجلياً أعطاه فيه هذه الصفات الأربعة المذكورة في الآية، ومعنى الذنوب، حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد ذكرنا سيدنا رضي الله عنه في معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله﴾ [الفتح: ١]، فليطالعها في فصل الآيات، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(ومن كلامه رضي الله عنه) قال: أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب، هو روح سيدنا محمد ﷺ، ثم نسل الله أرواح العالم من روحه ﷺ، والروح ههنا هي الكيفية التي بها مادة الحياة في الأجسام، وخلق من روحه ﷺ الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم، وأمّا الأجسام الكثيفة الظلمانية، فإنّما خلقت من النسبة الثانية من روحه ﷺ، فإنّ لروحه ﷺ نسبتين أفاضها على الوجود كله، فالنسبة الأولى نسبة النور المحض ومنه خلقت الأرواح كلها، والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها؛ والنسبة الثانية من نسبة روحه ﷺ نسبة الظلام، ومن هذه النسبة خلق الأجسام الظلمانية كالشياطين، وسائر الأجسام الكثيفة والجحيم ودركاتها كما أنّ الجنة وجميع درجاتها خلقت من النسبة النوارنية، فهذه نسبة العالم كله إلى روحه ﷺ، أما حقيقته المحمدية ﷺ فهي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب، وليس عند الله من خلقه موجود قبلها، لكنْ هذه الحقيقة لا تعرف بشيء وقد تعسف بعض العلماء بالبحث في هذه الحقيقة

قال: إنّ هذه الحقيقة مفردة ليس معها شيء فلا تخلو إمّا أنْ تكون جوهراً أو عرضاً، فإنّها إنْ كانت جوهراً افتقرت إلى المكان الذي تحل فيه فلا تستقل بالوجود دونه، فإنْ وجدت مع مكانها دفعة واحدة فلا أولية لها لأنّهما اثنان، وإن كانت عرضاً ليست بجوهر، فالعرض لا كلام عليه إذ لا وجود للعرض إلاّ قدر لمحة العين، ثم يزول أين الأزلية التي قلتم؟ والجواب عن هذا عن المحط إنّها جوهر حقيقة له نسبتان نورانية وظلمانية، وكونه مفتقراً إلى المحل لا يصح هذا التحديد لأنّ هذا التحديد يعتدّ به من تثبط عقله في مقام الأجسام والتحقيق، إنّ الله تعالى قادر على أنْ يخلق هذه المخلوقات في غير محل تحل فيه وكون العقل يقدر استحالة هذا الأمر بعدم الإمكان بوجود الأجسام بلا محل، فإنّ تلك عادة أجراها الله تعالى تثبط بها العقل، ولم يطلق سراحه في فضاء الحقائق، ولو أطلق سراحه في فضاء الحقائق لعلم أنْ الله تعالى قادر على خلق العالم في غير محل، وحيث كان الأمر كذلك، فالله تعالى خلق الحقيقة المحمدية جوهراً غير مفتقر إلى المحل فلا شك أنّ من كشف له عن الحقيقة الإلهية علم يقيناً قطعياً أنّ إيجاد العالم في غير محل ممكن إنْ كان صحيحاً.

أمّا الحقيقة المحمدية فهي في هذه المرتبة لا تعرف، ولا تدرك، ولا مطمع لأحدٍ في نيلها في هذا الميدان، ثم استترت بألباس من الأنوار الإلهية، واحتجبت بها عن الوجود فهي في هذا الميدان تسمى روحاً بعد احتجابها بالألباس، وهذا غاية إدراك النبيين والمرسلين والأقطاب يصلون إلى هذا المحل ويقفون، ثم استتر بألباس من الأنوار الإلهية أخرى وبها سميت عقلاً، ثم استترت بألباس من الأنوار إلهية أخرى، فسميت بسببها نفساً، ومن بعد هذا ظهر جسده الشريف ﷺ، فالأولياء مختلفون في الإدراك لهذه المراتب، فطائفة غاية إدراكهم نفسه ﷺ، ولهم في ذلك علوم وأسرار ومعارف، وطائفة فوقهم غاية إدراكهم قلبه ﷺ، ولهم في ذلك علوم وأسرار ومعارف أخرى، وطائفة فوقهم غاية إدراكهم عقله ﷺ، ولهم بحسب ذلك علوم وأسرار ومعارف أخرى، وطائفة وهم الأعلون بلغوا الغاية القصوى في الإدراك، فأدركوا مقام روحه ﷺ وهو غاية ما يدرك، ولا مطمع لأحد في درك الحقيقة في ماهيتها التي خلقت فيها؛ وفي هذا يقول أبو يزيد غصت لجة المعارف طلباً للوقوف على عين حقيقة النبي ﷺ، فإذا بيني وبينها ألف حجاب من نور لو دنوت من الحجاب الأول لاحترقت به كما تحترق الشعرة إذا ألقيت في النار، وكذا قال الشيخ مولانا عبد السلام في صلاته، وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق، ولا لاحق، وفي هذا يقول أويس القرني لسيدنا علي وسيدنا عمر رضي الله عنهما: لم تريا من رسول الله ﷺ إلاّ ظله، قالا: ولا ابن أبي قحافة؟ قال: ولا ابن أبي قحافة، فلعله غاص لجة المعارف طلباً للوقوف على عين الحقيقة المحمدية فقيل له هذا أمر عجز عنه أكابر

الرسل والنبيين، فلا مطمع لغيرهم فيه انتهى. ومعنى قول الشيخ في صلاته: «اللّهم ألحقني بنسبه» معناه هو كونه خليفة عن الله في جميع المملكة الإلهية بلا شذوذ متصفاً بجميع صفات الله وأسمائه حتى كأنّه عينه، فهذا هو نسبه من الحضرة الإلهية، وبعبارة قال رضي الله عنه: يعني شيخنا طلب من الله أنْ يحققه بنسبته ﷺ من الحضرة الإلهية، وتحققه بحسب ذلك النسب، وهي العلوم المحمدية، والأولياء فيها كل على قدر نصيبه ومحتده، فغاية ما يدرك منها اثنين وسبعين، وقال أيضاً رضي الله عنه: فمن وصل إلى ستة وستين من العلوم المحمدية، أو أزيد فلا يضره مجالسة الخلق للحق، ولا مكالمتهم فلا يسمع إلاّ من الله وستوت خلوته وجلوته. قال رضي الله عنه: من أدرك العلم الأول من العلوم المحمدية، وقسمه على اثنين وسبعين جزءاً، وعلم جزءاً واحداً من اثنين وسبعين جزءاً، فله إنْ أراد أنْ يفسر كل آية من كتاب الله تعالى باثنين وسبعين وجهاً من التفسير، وأحاط بجميع العلوم الظاهرة والباطنة هذا لمن علم جزءاً واحداً من اثنين وسبعين جزءاً من العلم الأول فضلاً عن العلم الواحد كله فضلاً عن اثنين أو ثلاثة إلى آخر اثنين وسبعين علماً، فاعرف النسبة، انتهى. قوله: «وحققني بحسبه» يعني إذا ألحقتني بذلك النسب حققني بحسبه، والحسب هنا هو الشرف يعني شرفني بشرفه، والمراد بهذا الشرف ما تهبه له في هذه الحضرة من الأخلاق الإلهية والأحوال العلية، والنسمات الزكية التي من تحقق بها صار سيد العالم بأسره، فهذا هو الحسب الذي طلبه رضي الله عنه قوله: «وعرفني إياه» طلباً إلى الوصول إلى معرفة حقيقة روحه ﷺ، فهذا غاية ما يدرك والسلام انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

ثم قال رضي الله عنه الروح طوله مسيرة تسعمائة ألف عام، وكذلك عرضه، ثم قال: هذا في أرواح العارفين، وأما غيرهم فكالحمامة أو أقل، وأمّا مسكن أرواح عامة المؤمنين أصحاب الحجاب، فمن السماء الأولى إلى الرابعة، وأمّا من الرابعة، فمسكن أرواح العارفين على تفاوتهم، انتهىٰ من إملائه علينا رضي الله عنه. (وسمعته رضي الله عنه يقول:) قال الشاذلي رضي الله عنه في مخاطبته للحق جلّ جلاله: إنّ الكافر، وإنْ لم يجب داعي إيمانك، فقد أُجاب داعي سلطانك، فالكل ممتثلون لأمرك ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراط مستقيم، فكل ما في الكون داب متحركه وجماده، فإنّ الجمادات ألبسها الله سبحانه وتعالى أرواحاً لا تدركها، وتلك الأرواح هي تامة المعرفة بالله تعالى، وبتلك المعرفة تسبح الله وتقدسه وتسجد له، وتعبده قال ﷺ للضب حين كلمه قال له: **«يا ضب»** قال له لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال له: **«من تعبد»**؟ قال له: الذي في السماء عرضه في الأرض سلطانه، وفي الهواء روحه، وفي الجنة ثوابه وفي البحر سبيله قال له: **«من أنا»**؟ قال له: أنت رسول الله قد أفلح من صدقك، وخاب من كذّبك

فأسلم الأعرابي إذا كان شرط إسلامه على كلام الضب له، فلما كلمه أسلم، ثم قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء يعلم إني رسول الله إلا عصاة بني آدم والجن**» انتهى. (وجه الشاهد) في عبادة الضب أن الكون كله يعبد الله، وكذا قضيه الفيل حين كلمه نفيل بن حبيب، وكان يسيراً في يد أبرهة إلى آخر القصة، وهي معلومة في كتب السير فلا نطيل بها انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه) بما نصّه قال: ويجب أن لا يواصل من لم ترج مودته وائتلافه، وإنْ طلبك في المواصلة لأن فائدة المواصلة إنّما هي تطييب القلوب، وأمّا من يظهر الود يكتم البغض، فيجب هجرانه الخ، (فأجاب: سيدنا رضي الله عنه) بقوله: أما قطع مودته وائتلافه بإظهار العداوة، وتبدي الشكوى، فلا يحلّ لا شرعاً ولا طبعاً ولا يتأتى لذي عقل وافرِ التوجه لذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى نصب هذا الخلق في معرض بروز الشر منهم لكل أحد، وإنْ كانوا أهل خير لأنّ الله تعالى له تجلّ كل وقت بأمرٍ معلومٍ ولا يخلو كل وقت من تجليه بالشر من بعض خلقه بالتوجه لمقاومة ذلك، ومقابلته بالشر فيه ضرر كبير على العاقل، لكن العاقل يلزمه التسليم لأمر الله فيما أراد من خلقه والتواضع لأمر الله، وإظهار اللين والإعراض، فبذلك ينجو من عوارض شره، وأمّا من قابله بالمقابلة بما برز له من الخلق من الشر فلا يزيد عليه إلا شدة وثقلا عقوبة له لما لم يتعرف بالعبودية التي يحطها التواضع والانكسار، فإنّ المقابلة بالشّر خروج عن حدّ العبودية، ويكون صاحبه في ذلك بمنزلة من يزيد الحطب للنار، ولا تزداد إلاّ اشتعالاً، وأمّا من قاومها بالتواضع والانكسار واللين، طُفئت النار عن قرب، فاللازم على العبد إذا علم من شخصٍ شدة العداوة أنْ يعرض عنه، أو يظهر له اللين، أو الإعراض فقط ينجو من شره، وليكنْ خائفاً من خلقه، فإنّ الخلق مسلطون بتسليط الله تعالى، فلا ينفع فيهم إلاّ الإعراض عما هم فيه من الشر قال الشافعي رضي الله عنه:

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ ... أرحتُ نفسي من حمل المشقاتِ

أني أحيّ عدوي عند رؤيته ... كي أذهب الشر عني بالتحياتِ

ولست أسلم من خلٍّ يصادقني ... فكيف أسلم من أهل العداواتِ

يقول ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس» قلنا: فالواجب أولاً إطفاء شرهم بالإحسان إليهم، وإلاّ فبإظهار اللين والتواضع له، وإلا فبالإعراض عن مقابلته بشره، فالمراتب ثلاثة الأولى مقابلة إساءته بالإحسان، وهذه المرتبة هي التي قال فيها مولانا سبحانه وتعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة «إلى قوله» ذو حظ عظيم﴾ [فصلت: ٣٤]، والمرتبة الثانية بإظهار اللين والتواضع ليسهل الأمر في ذلك،

وهذه المرتبة هي التي قال فيها سبحانه وتعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال سبحانه وتعالى فيها أيضاً: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [آل عمران: ١٣٤] في هذه المرتبة، والمرتبة الثالثة هي الإعراض عنه جملة لأنّ الله تعالى يحب الإعراض عن الجاهلين، وفي هذه المرتبة يقول سبحانه وتعالى في قضية النبي ﷺ مع سهيل بن عمرو حين كتب الهدنة بينه وبينه، وكان الكاتب علياً رضي الله عنه وكرّم وجهه قال له رسول الله ﷺ: «**اكتب هذا ما عاقد عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو**»، فانقض لها سهيل، وقال: لا بل أكتب اسمك واسم أبيك لو نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن بيته، فلم يكترث به ﷺ إذ كذّبه، وأظهر اللّين والإعراض عن جهله، فقال له أكتب، هذا ما عاقد عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو فيها أنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وألزمهم كلمة التقوى﴾ [الفتح: ٢٦] وكلمة التقوى هو تواضعه ﷺ، وإظهار اللّين منه ﷺ، وعدم اكتراثه بجهل سهيل بن عمرو حين كذبه في الرسالة، ولم يؤاخذه ﷺ بما فعل، فهذا اللائق بالمقام، ومعنى كلمة التقوى الذي أشرنا إليه أنّ القرآن واسع المعاني، فهذه من بعض التأويلات، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه، ومما أنشد فيه شيخنا رضي الله عنه هذان البيتان وهما:

إذا كنت قوت الروح، ثم هجرتها — فكم تلبث الروح التي أنت قوتها

ستبقى بقاء النار في الماء أو كما — يعيش بغدران المفاوز حوتها

ثم قال رضي الله عنه: ومعنى البيتين أن المحبّ إذا كان قوت روحه (رؤية محبوبه) هوداً وملاطفة ووصالاً، ثم هجره فإن روحه لا تبقى إلا كبقاء النار في الماء، وكما يعيش الحوت بعد ذهاب الماء عنه، فإنّه يموت من حينه كذلك روح المحب تموت من حينها عند الهجر، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه. (وسألته رضي الله عنه) عن معنى هذين البيتين وهما:

أيا سري يا جهري وبعض وجملتي — ويا كل أجزائي ومكنون خفيتي

ويا عين بهجتي، وأنوار مهجتي — وبرد فؤادي أمنن عليّ برؤية

(فأجاب) رضي الله عنه بقوله: أيا سري يا جهري إنّ الله سبحانه وتعالى سرى في جميع أحواله. فلا عقل له ولا وهم ولا حس، ولا كيفية ولا صورة، ولا أين ولا وجه ولا كلام ولا تصرف في شيء إلاّ الله تعالى فهو مراد قوله أيا سري يا جهري يا سري وهو ما أسره من الأحوال ويا جهري هو ما أظهره من الأحوال يقول الشيخ مولانا عبد السلام في صلاته: «وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى، ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلاّ بها»،

فهذا معنى أيا سري يا جهري يقول بعض الشعراء في معنى هذا الاستغراق:

تالله ما طلعت شمس، ولا غربت   إلاّ وأنت مني قلبي ووسواسي

ولا تنفست مسروراً ومكتئباً   إلاّ وذكرك مقرون بأنفاسي

ولا جلست إلى قوم أحدثهم   إلاّ وأنت حديثي بين جلاسي

ولا تناولت شرب الماء من عطش   إلاّ رأيت خيالاً منك في الكاسِ

فهذا يشار به للاستغراق في الله تعالى، وهو معنى قوله: أيا سري يا جهري قوله وبعض وجملتي يعني فما في غيرك فأنت بعضي، وجملتي، ويأكل أجزائي فما أنا غيرك، ولا أنت غيري، وقوله: ومكنون خفيتي ما أكنه، وأخفيه من جميع الخفايا أنت هو ذاك، ومعنى هذا هو أخذ الله للعبد، ويعبرون عن هذا الأخذ بقولهم: هو اختطاف الله للعبد من وادي التفرقة وطرحه في بحر الجمع بحيث أنْ لا يميز أصلاً ولا قاعدة ولا كماً ولا كيفاً ولا صورة ولا وهم ولا تعقل ولا خيال ولا حس ولا غير ولا غيّرية، فما ثم إلاّ الحق بالحق في الحق للحق عن الحق، ويسمى هذا الأخذ صورة فناء الفناء، ومن هنا يقع الحياة للعبد مع غرقه في هذا البحر يخرج لتمييز الصفات والأسماء والشؤون والاعتبارات بإعطاء كل ذي حق حقه، قوله ويا عين بهجتي البهجة هو ما به الابتهاج والابتهاج هو صورة النعيم الطالع في النفس باطناً الذي هو بعد الفرح والسرور وهو المعبّر عنه في وصف أهل الجنة تعرف في وجوههم نضرة النعيم، فهذا هو الابتهاج يعني لا ابتهاج لي بغيرك لا الجنة ولا غيرها ففي صاحب الاستغراق في الله حيث طرح في بحر الجمع عند إحساسه بالمراتب، وتميزها كان التذاذه بوجوه الحق كان نسبته أن لو جمعت جميع نعيم الجنة، ونسب إلى هذا الالتذاذ بالحق كان نقطة في بحر.

(قيل للكليم عليه السلام) في أيّ حالة كنت في وقت المكالمة، فقال أمّا في الهيبة فتصور مواقعة الصواعق تنصب حولك متصلة، فلا يوصف خوف صاحبه في هذا الجلال، وأمّا في اللذة فلا يوصف، وقد قيل لذة الجماع في ذلك الحال ليست بشيء في ذلك الأمر، فاللذة غايتها والهيبة غايتها، قوله وأنوار مهجتي المهجة ههنا هي الروح، أو بصر العين ونورها الذي ترى به هو أنت، أما العين فهي الروح، قوله: وبرد فؤادي البرد ههنا يشار به إلى الماء البارد الحلو الذي جاء عن شدة احتراق العطش فلا تصور لذته، فهذا يدركها يعني الفؤاد احترق بالشوق، وليس برد يطفىء ذلك الاحتراق إلاّ الرؤية يقول ابن الفارض رضي الله تعالى عنه في تائيته:

أروم وإنْ طال المدى منك نظرة   وكم من دماء دون مرماي طلت

وقد روي عنه أنّه حين كان في النزع وعنده بعض الأولياء رفع الأولياء له بالحجاب

عن الجنة، وقيل له هذا مقامك، فبكى رضي الله عنه وقال:

إنْ كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت روحي بها زمناً ... فاليوم أحسبها أضغاث أحلامي

قال بعضهم، فقيل: له من الحضرة ماذا تريد يا عمر؟ فأنشد أروم وإنْ طال المدىٰ الخ قال بعضهم: فبعد قليل رأيته ضاحكاً، ثم خرجت روحه، ثم علمت أنّه أعطى أمله قوله أمنن عليّ بروية هو ما حكي عن ابن الفارض رضي الله عنه في البيت، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه، ومما أنشدنيه شيخنا رضي الله عنه هذان البيتان وهما:

تسترت عن دهري بظل جنابه ... فصرت أرى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت ... وأين مكاني ما عرفني مكاني

فقال رضي الله عنه معنى البيتين هي مرتبة الخليفة الأعظم إذْ لا اسم له يختص به، فإنّ أسماء الوجود كلها أسماء له لتحققه بمراتبها، ولكونه هو الروح في جميع الموجودات فما في الكون ذات إلاّ وهو الروح المدّبر لها، والمحرك لها، والقائم فيها ولا في كورة العالم مكان إلاّ وهو حال فيه، ومتمكن منه، فبهذا الاعتبار لا اسم له يتميز به عن الوجود، ولا مكان يختص به دون آخر، لهذا قال، فلو تسأل ما اسمي مادرت الخ يشير إلى هذه المرتبة، وهي الخلافة العظمى، قال المرسي: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته ومعنى الولي هنا الإنسان الكامل، وهو الخليفة الأعظم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقد قال محي الدين في الإنسان المحجوب ليس بإنسان إنّما هو شبه إنسان كالذات الميتة التي لا روح فيها فهي ذات الإنسان، ولكن لا روح فيها وحيث يسمع في كلام الصوفية إنّ الروح غير مخلوقة بل هي قديمة أزلية يشيرون إلى هذه الروح، وهي صفاء المعرفة بعد الفتح، فإنّ صاحبها يفعل ما يريد في كل ما أراده يحيي الموتى إذا شاء، ويناديها، فتجيبه مسرعة ولو كانت رميمة ويثمر الشجرة اليابسة في الحين إذا شاء إلى غير ذلك من الخوارق فلا يصعب عليه شيء من خرق العادة إلاّ أنّ عليه جبال الأدب مع الحضرة الإلهية، فهي التي تمنعه من هذا فإنْ أظهر من الخوارق ما يأباه الوقت عوقب في الحين، وطرد وسلب لأنّه ممحو في الحضرة الإلهية ميت عن جميع حظوظه فلا قيام له إلاّ بقيام الحق، ولو قيل ما تريد لقال ما أريد إلاّ ما يريد بي الحق سبحانه وتعالى فهو، فانٍ عن مراداته، وإرادته والسلام ا هـ ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه) عن معنى هذه الأبيات:

حقيقة ظهرت في الكون قدرتها ... فأظهرت هذه الأكوان والحجبا

تنكرت بعيون العالمين كما تعرفت بقلوب العرف الأدباء
الخلق كلهم أستار طلعتها وجملة الأمر قد صاروا لها نقبا
ما في التستر في الأكوان من عجب بل كونها عينها مما ترى عجبا

فأجاب رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ الحقيقة ههنا هو الوجود المطلق الذي يسمى عين الطمس والعمى فلا نسبة فيه ولا توهم ولا تعقل ولا أين ولا كيف ولا رسم ولا وهم قد انعدمت النسب كلها والقدرة التي أظهرتها الحقيقة فإنّها كانت أولاً في حجاب الطمس والعمى لا تعقل للصفات والأسماء هناك من حيث الظهور لا من حيث الوجود، أظهرت قدرتها بما أظهرت من الأكوان، فإنّها كانت أولاً في حجاب الكنزية حيث قال: كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أنْ أعرف يريد أنه أحب الظهور لغيره فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني، وهذه القدرة هي التي بسطها في الأكوان حيث أظهر الأكوان بهذه القدرة قوله: تنكرت الخ التنكر ههنا هو الاحتجاب عن الغير، فإنّها في ماهية وجودها في غاية الظهور والوضوح، لأنّها متى ظهرت انطمس الغير والغيريّة فلا يلم بساحة رائيها شك ولا همّ فهي في هذا التجلي على غاية الظهور حيث انطمس الغير والغيريّة، ثم احتجبت بظهور الموجودات، وهو معنى قوله تنكرت بعد أن كانت في غاية المعرفة عند تجليها انطمس الغير والغيرية، ولمظهر الوجود تنكرت به يعني احتجبت به يعني بصور الموجودات، والذي احتجب هنا هو الوجود المطلق بصور الموجودات. قوله: بعيون العالمين عين الشيء هنا هي ذاته، وسميت عيناً لتعينها من العمى الرباني، فإنّها كانت في العلم الأزلي أعياناً ثابتة فهي هنا سميت عيوناً وهي ذوات الموجودات. قوله: كما تعرفت للعارفين الأدباء معناه العرف جمع عارف، والمراد بهم هنا العارفون بآداب الحضرة الإلهية تعرفت لقلوبهم، فإنّ العارفين رفع عن قلوبهم حجاب الكون، فعاينوا الحضرة القدسية معاينة لا عن خبر كغريق البحر لا يحتاج أنْ يخبره أحد عن قوله: الخلق كلهم أستار طلعتها، يعني استترت يعني الوجود المطلق بصور الأكوان، والخلق كلهم أستار طلعتها قوله: «وجملة الأمر قد صاروا لها نقباءً» معناه أنّ النقيب في اللغة هو المتحمل للشيء، فإنّه ﷺ حين بايعته الأنصار بمكة، وبايعوه بأن يقوموا بجميع مؤنته وتحملوا له على أنّ من أبى من قومهم بقي تحت الذل والهوان، فلما بايعوه على هذا لم يقنع بذلك حتى أخذ منهم نقباء كل نقيب تحمل من قبيلته على أنّ من أبى منهم بقي تحت الذل والهوان لا يقدر على أنْ يظهر له خلافاً ولا قتالاً، ولا أنْ يساعد عليه الأعداء، فبهذا الثقل أخذ النقباء منهم، وهم المتحملون لما شرط عليهم من الأمر هذا هو النقيب، وقال سبحانه وتعالى لبني إسرائيل بعد أن ذكر أخذ ميثاقهم: ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ [المائدة: ١٢] والنقيب هنا هو المتحمل من قبيلته أن يقهرهم عما لا يراد؛ وجملة الأمر

ههنا قد صاروا لها نقباء جملة الأمر هنا هي صور الموجودات بأسرها قد صاروا لها نقباء، والمراد بهم كلهم تحملوا ثقل معرفتها فإنّها أصعب الأمور، وتحملوا ثقل تسبيحها وعبادتها والسجود لها أي للذات المطلقة والأكوان كلها في هذا الميدان كلهم نقباء فرداً فرداً، وتحملوا ثقل معرفته وثقل عبادته، وثقل السجود له وثقل التسبيح كلها تسبح، فالحق ذات ومرتبة. فالذات غيب لا تعقل ولا تدرك، وما ظهر في وجوده إلاّ بالمرتبة وهي الألوهية، والألوهية معناها توجه الوجود كله إليه بالعبادة والخضوع والتذلل، والمعرفة والتسبيح والسجود فما فيها ذرة خارجة عن هذا الميدان.

قوله: «ما في التستر في الأكوان من عجب، بل كونها عينها مما ترى عجباً» معناه ما في التستر في الأكوان من عجب قوله بل كونها عينها بل الكون كله عينها، أي الوجود المطلق، ومعنى كونه عينها قد صار الكون لها مرآة تتراءى فيه، إلاّ بعض الناس قوي نوره فشاهد المرآة وشاهد المتجلي فيها، ومن ضعف نوره أي المتجلي في المرآة ووجود المتجلي غطّى عليه المرآة، فلا يرى غيره أي غير الحق سبحانه وتعالى، فصاحب هذا يقول: الكون كله هو الله تعالى فما فيه غيره لضعف نوره، يقول الشاعر في هذا:

فلم يبقَ إلاّ الله لا شيء غيره فما ثم موصول، وما ثم بائن

وأما من قوي نوره، فيشهد المرآة والمتجلي فيها، ويعطي كل مرتبة حقها من الحقية والخلقية فلا يحجبه واحد عن الآخر. قوله: «مما ترى عجباً»، «ما» هنا موصولة بمعنى الذي، قال ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه حين لقي سيدنا هارون عليه الصلاة والسلام قلت له: يا نبي الله «قولك فلا تشمت بي الأعداء» أين العدو الذي تشير إليه؟ وهل ثم شيء خارج عن الله تعالى؟ أو كما قال له: وإنا معشر العارفين نرى كل شيء هو الله، فكيف يتصور أنْ يكون عدو قال له سيدنا هارون عليه الصلاة والسلام: ما ترونه كذلك هو في نفس الأمر قال له: لا قال له هارون عليه السلام، فإنّك من الله بقدر ما فاتك من معرفة ذلك، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وحقيقة التجلي) هو الظهور وتجلي الحق بذاته في ذاته لذاته عن ذاته، وهذا التجلي هو مرتبة كنه الحق، ولا اطلاع لأحد عليه، والتجلي الثاني تجليه لغيره في غيره بنفسه لنفسه عن نفسه، فهذا التجلي هو الذي يدركه الخلق، وكان تجلي المقادير الإلهية في صور الأكوان مطلقاً إنما كان عن سبب وهو تعلق المشيئة، وسبق الحكم منه سبحانه وتعالى، وتعلق كلمة «كن»، فهذا السبب هو الذي برزت به المقادير في صور الأكوان، فإنّ تلك المقادير برزت لا عن ذاتها بذاتها، وإنّما برزت عن غيرها بغيرها، فذلك السبب هو الذي تقدم عليها وبه وجدت، وأمّا تجلي الذات، فلم يتقدمها شيء لأنّها أجلّ من أنْ تكون منفعلة للمشيئة أو غيرها إنّما تجلت بذاتها في الخلق، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

وهذه الأبيات التي نذكرها بعد، علمها سيد الوجود ﷺ في المنام للولي الصالح، والسعي الرابح صاحب المشهد الكريم الواضح أبي عبدالله سيدي محمد بن العربي التازي دار الدامراوي أصلاً المتوفي بعين ماضي سنة ١٢١٤، فلما استيقظ وجدها في فيه يذكرها فحفظها فبعد ذلك لقي مولانا رسول الله ﷺ يقظة، وكان يلاقيه في اليقظة كثيراً، فسأله عن معنى الأبيات، وطلب منه شرح الأبيات، فأجابه لذلك مولانا رسول الله ﷺ لمحبته في شيخنا، وأستاذنا مولانا أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وهو تلميذ له، وصرّح له سيد الوجود ﷺ بأنْ قال له: «**لولا محبتك في التجاني ما رأيتني قط**» ا هـ، كما قال له مما هذا معناه، وقال له: أعطِ شرح هذه الأبيات للتجاني، وهذا نص الأبيات:

فبالمجد والتحميد به تتجلى ذاته ... وبالقصد كان المنع لي وحدي

وبحق الحق بالحق ترى حقيقته ... وبالحق لا بالحق احتجب عني زندي

وفي تدبير أمره أحاطت قدرته ... وبالقصد لا بالقصد احتجب عنهم أخذي

فاغرق في بحر الوحدة ترى وحدته ... ترتفع عنك الحجب حتى ترى الأسود بالضد

انتهت الأبيات، ونص شرح سيد الوجود ولفظه ﷺ: اسمع ما أقول لك واحتفظ على كل ما تسمعه مني في هذه الأبيات التي أمرتك بحفظها في المنام فاكتب معناها بالتحقيق، واعطه للتجاني، وقل له: باب هذه الأبيات هو أعظم البيان، وقل له: لا يدخل على هذا الباب إلاّ أهل التوحيد المحققين، وأهل التجريد الصابرين، وأهل الوفاء المخلصين، وأهل التحقيق الموقنين، وأهل الصبر الكاتمين، وأهل التخليص هم أهل التجلي، وأهل التجلي هم الذين يرثون مقامي، قل لأحمد التجاني معنى هذه الأبيات هو الباب الذي يوصل إلى المعرفة وقل له: كل باب فيه بابان أحدهما مفتوح، والآخر مسدود وقل له: لهذين البابين طريقان، وكل طريق توصل إلى بابها، فمن أخذ طريق الباب المفتوح وصل ودخل وتجلى، وصل أي أعماله وردت على ربه من غير معارض يعارضها، فإذا أبعدتها المعارضات ارتفعت لها الحجب ودخلت، فإذا دخلت أنزلت الملائكة إلى صاحبها وأحبته وكانت حياتها له دفع المعارضة عنه، ثم قال ﷺ للكاتب نقط: وقل له: الدخول، فإذا حالت الروح بينك وبين الأعراض دخلت على باب المعرفة الكاملة، وباب المعرفة الكاملة هو تجلي الأسماء والصفات، قل له: إشارتي لك هنا هي مشاهدة جميع العلوم الظاهرة والباطنة، ومشاهدة جميع الصفات التي ترد منها هذه العلوم المتقدمة، فإذا وصل هذا المعنى دخل على باب التجلي الذات، وارتفع عنه حجابها نزل الحق بالحق، فيكون صاحب هذا التجلي محجوباً عن جميع الموجودات، وجميع الموجودات محجوبة عنه قل له: مشاهدة الحق فناء، ولا يكون ينطق في حالة التجلي إلاّ بالحق، فانظر ما

أوسع هذا الباب، ثم قال له ﷺ: أيّ للكاتب رضي الله عنه «**اكتب البيت الأول**»

فبالمجد والتمجيد به تتجلى ذاته وبالقصد كان المنع لي وحدي

ثم قال للكاتب: ﷺ قل له: هنا تجرد العبادة ينقسم إلى أربعة أقسام كما كانت الكعبة مربعة، وكما كانت الأرض على أربعة أركان، وكما كانت الكتب أربعة، وكما كانت مذاهب التحقيق أربعة، ثم قال ﷺ: «**نقط قل له: عبادة موجبة وممنوعة، وعبادة مستقيمة ومعوجة، وعبادة محيطة وموسطة، وعبادة كاملة**» ومتصلة العبادة الأولى هنا: هو التجريد، والانقطاع إلى الله بالأعمال الكاملة، والإخلاص التام ويكون هذا الانقطاع من غير قصد، ويكون مراده بهذا الانقطاع إنّما يمد الله ويعظمه ويسبحه ويقدسه ويحمده على الحالة التي هو عليها، ولا يقصد في عبادته شيئاً، ولا ينظر فيها إلى شيء، فتصعد أفعاله إلى الله، وتدخل على الباب المفتوح، وتشتغل تجول على ما ذكرناه أولاً ولا يكون له وقوف إلا التجلي لقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[البقرة:٨٢] وأهل العمل الصالح هم الذين لم يقصدوا في أعمالهم شيئاً من مصلحة ولا منفعة، ولا يسأل في عبادته إلاّ الإعانة والعافية الكاملة يسألها إلى آخرته، قل له: خيار السؤال إذا سأل أحدكم فليسأله في العفو والعافية، وإذا كان قصده في تجريده، وانقطاعه وصولاً إلى مقام طلب علم أو سر تطلع أعماله حتى ترد على الباب المغلوق، فتجلس تعاينه ينفتح ساعة ترجى صاحبها يرجع ويقول عبادتي لله لا أطلب حاجة، فإذا التهم وقال هذا رجعت ودخلت على الباب المفتوح، وإنْ لم يقل ما ذكر رجعت تلك الأعمال منقطعة، كانقطاع الريح في الهواء، فتجول حتى تسكن بمعنى تنقلب عليه خسراناً هذا معنى البيت، ثم قال له ﷺ: اكتب البيت الثاني:

وبحق الحق بالحق ترى حقيقته وبالحق لا بالحق احتجب عني زندي

قل له: أشرت في هذا البيت إلى صاحب التجريد وهو الإنسان الكامل الورع لحامل العلم على العمل لأنّ القوة هي تحمل الضعيف لأنّ هذا الرجل إذا تجرد إلى الله بالعمل والعلم لأن العمل والعلم حق، وكان هذا الرجل لم يخرج عن الشريعة تابعاً للنبي ﷺ في جميع ما أمر به، لأنّه ﷺ هو الحق حيث اتخذه الله حبيباً محموداً، وأرسله لأمته مبشراً ونذيراً، وأنزل عليه الآيات البينات، وهي الحق وهو قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فإذا تجرد الإنسان على هذه الحالة، فصار هو خليفة النبي ﷺ في ميراث تجلي الذات، فإذا اجتمعت الحقوق قدامها لا تكون إلاّ هي حق وكونه «بالحق لا بالحق» البيت قل له: المراد به الإنسان إذا انقطع إلى الله بالعلم والعمل الذي هو أحق وقصد بعبادته مقاماً يوصله أو حاجة نفعية، احتجبت عنه جميع الحقائق كالشمس إذا طلعت في سمائها احتجبت منها جميع الدراري، والظلام الذي سابقها لأنّ الأنبياء

التي هي قبل النبي ﷺ كانت ظاهرة شريعتها، وطالعة أنوارها كالكواكب، ولما أرسل الله هذه الآية الشريفة وهو محمد ﷺ انتشر نوره كالشمس في سمائها، فأدركت جميع الأنبياء المشار إليها بالكواكب، ويكون ذلك الرجل في أعماله كالإنسان إذا يقرع النار من غير شعل يكون نورها يظهر بعيداً، ويكون يطفح بين يديه، ولا ينتفع منه إلاّ كالبرق إذا تلألأ بين يدي الإنسان يراه، ولا يدركه أحد سوى النبي ﷺ الذي أسرى عليه، وليلة الإسراء كان معه أحبته وأسرى من وسطهم ولم يروه، وما هنا مشار كل معانيه في القرآن العظيم، ثم قال له ﷺ: **«اكتب البيت الثالث:»**

وفـي تـدبـيـر أمـره أحـاطـت قـدرتـه   وبالقصد لا بالقصد احتجب عنهم أخذي

قل له: معنى هذا البيت هو حم عسق، لما دبر أمره قبل وجود العالم أحاطت به قدرته، وهو سر في القاف، وتقدرت من القاف الأرواح والأنفس، وجميع الموجودات المقدرات في العالم والحاء لها سر، وهي حكمة أحاطت بجميع الموجودات المقدرات كالحركات والسكنات، وسر في الميم أحاط بجميع المكنون في العالم، وهو المقدر كالأنوار في الأبصار وكالنبات والحياة والممات، والسين سره مودع في نبيه محمد ﷺ أحاط بجميع الأنبياء، وجميع العالم خلق من نوره، وبالقصد إلى آخره لأنّ أهل هذا العلم عندهم هذه الحروف من الكتاب، وهي سر السر المستولي على جميع الأسرار، ولم يعرف معناها إلاّ بعض الأولياء لأنّ سرها محجوب مكتوم، ثم قال له ﷺ: **«اكتب البيت الرابع»**:

فاغرق في بحر الوحدة ترى وحدته   ترتفع عنك الحجب حتى ترى الأسود بالضد

قل له: هذا المعنى الرجال الذين يريدون المعرفة والوصول إلى تجلي الذات، فإذا وقف الواقف بين يديه لا ينتظر غيره، ولا يجعل في قلبه شيئاً معه يحول بينه وبينه بل يقصد به الوصول إليه، ويسأله الحرص والإعانة في محبته، ويسأله العفو والعافية في نومه ويقظته، وفي أكله وشربه، ويعبد الله بالإخلاص، وينتظر أحكام الله الجارية عليه، ويسأله السلامة في معاني ألفاظه التي يسبح بها مولاه، ولا يقصد في عبادته شيئاً إلاّ التعظيم لوجهه الكريم، ويدوم على ذلك حتى يرى أنواراً انتشرت عليه من قبله، ولا يشاهد غيرها أصلاً، فإذا تفكر أمور الشريعة الظاهرة الذي كان يشاهد قبل إفاضة النور عليه بنسبة الليل مع النهار، وقل لحبيبي التجاني: كل هذه المعاني في القرآن العظيم، وقل له: هذا الكتاب يدلك على ما أمرتك به، قلت لك: لا تقصد شيئاً، ولا تجتهد في حرص شيء اجتهد في العبادة، ومخالفة النفس والحرص، والاجتهاد لا يكون إلاّ في العبادة لله ومخالفة النفس والحرص، فيما يقصده الإنسان في العبادة هو تأخير الفتح قل له: هو تأخير الفتح قل له: هو تأخير الفتح قل هل: هو تعويق الفتح إلى ثلاث مرات قل له: انتهى، واشتغل

تعبد مولاك بما أمرتك به مجرداً من جميع المقاصد تعظيماً لله وإجلالاً، وتحميداً له وتقديساً حتى تبلغ المقدار، وتصل مرادك وجميع مقاصدك، وقل له ثلاث مرات أنت مكتوب من الأولياء، وقل له إذا بنيت الدار اجعل فيها بيتاً وسمه بيت السر، واجعل أورادك، وأذكارك وجميع ما أمرتك به اجعله فيه ولا يدخل أحد غيرك فيه تعرض عليك الخيرات والبركات، وتنال ا هـ ما أملاه سيد الوجود، وعلم الشهود ﷺ على الذي ذكر أولاً في أول، هذه الأبيات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

(وسألته، رضي الله عنه) عن تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه، وعن القطب من غير الصحابة، (فأجاب) رضي الله عنه: اختلف الناس في تفضيل الصحابي الذي لم يفتح عليه وعن القطب من غير الصحابة، فذهبت طائفة إلى تفضيل الصحابي، وذهبت طائفة إلى تفضيل القطب، والراجح تفضيل الصحابي على القطب بشاهد قوله ﷺ: «**أن الله اصطفى أصحابي على سائر العالمين سوى النبيين والمرسلين**»، وبقوله ﷺ: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**» بقوله ﷺ: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» الحديث، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[آل عمران: ١١٠]، وهذا من شدة اعتناء الله بنبيه ﷺ، وخصوصيته له وبالله التوفيق، ا هـ من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ولنذكر) هنا قصيدة تائية لسيدنا رضي الله عنه نظمها في ابتداء أمره طلب فيها من الله تعالى ما يتمناه، فتفضل عليه مولاه ونصها:

ألا ليت شعري هل أفوز بسكرة	من الحب تحيي مني كل رميمة
وهل لذرى الإحسان ترقى عوالمي	وهل تتجلى الذات فيها لفكرة
وهل لي بغيب الغيب بالله غيبة	تغيب كلّي عن جميع الخليقة
وهل نفحات القرب فضلاً تعمني	وقد هدمت مني رسم الطبيعة
وهل جذبات بالتجلي تؤمني	فتسلبني عن كل كلي وجملتي
وهل واردات الوصل منا تزف لي	لكي أرتقي العلياء من كل رتبة
وهل أردن بحر الشهود، فيشتفي	غليلي بغوصي فيه في كل لمحة
وهل تطلعي شمس المعارف جهرة	بباطن قلبي والهدى لي زفت
وهل أرتقي عرش الحقائق واصلاً	إلى الله محفوفاً بكل كريمة
وهل صلة التوحيد ألبسها وقد	تمكن سري من بساط الحقيقة
وهل لي بجمع الجمع بالله وصلة	وقد طلعت شمس الوصول بقبلة

وهل وابل العلم اللدني هاطل إليّ ويبقى دائماً كل لحظة

وهل أملي من هذه بالغ المدى فيا حبذا أم لا بلوغ لمنيتي

وهل تجمع الأيام شملي ببغيتي ونيل مرادي أم أموت بحسرتي

انتهت من إملائه علينا رضي الله عنه وله أبيات في التشمير، والحزم خلل بيتين لبعض الفضلاء، وهي:

تريد المجد ثم تنام ليلاً لقد أطمعت نفسك بالمحال

يغوص البحر من طلب اللآلىء ومن طلب العلى سهر الليالي

قال سيدنا رضي الله عنه:

تريد المجد ثم تنام ليلاً لقد أطمعت نفسك بالمحال

لقد رمت الحصاد بغير حرث (يغوص البحر من طلب اللآلىء)

فدعْ عنك التعلل بالأماني وجد تنل مقامات الرجال

فليس ينالها سعي الهوينا ولا بالهون ترقى للجبال

ألا خلي التكاسل والتواني ونفسك جرعن مر النكال

وخذ في الكد واحترمن وشمر بعزم إنّ سوم الدر غالي

فمن ركنت شجيته لعجز تقاعس عن محاولة المعالي

فإنْ قصد المفاخر لم ينلها (ومن طلب العلى سهر الليالي)

انتهى من إملائه رضي الله عنه ولبعض الفضلاء، رضي الله عنهم ونصه:

كل من قلل أنجاله كان من الطاعات أنجى له

كل من قلل أقواله كان من الزلات أقوى له

كل من أهمل أفعاله أوشك أنْ ترجع أفعى له

فأجابه سيدنا رضي الله عنه ونصّه:

كل من راقب أحواله كان لدى الخيرات أحوى له

كل من لم يرع أعماله كان عن الإرشاد أعمى له

كل من باين إعلاله كان عن الخسران أعلى له

كل من باعد أغلاله كان لرفع القدر أغلى له

كل من فارق أوحا له وارد بالخير أوحى له

انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه(ومن إملائه علينا رضي الله عنه ونصّه):

أراك تـرانـي بـحـيـث لا تـرانـي   ومن العجائب أن تراني فلا تراني

قال رضي الله عنه: معناه الكون كله وجود من حيث أنّ حقيقته وجود الحق صفة وإسماً لا ذاتاً، والكون كله عدم من حيث صورة الغيرية فيه فإنّه لا وجود له من هذه الحيثية، يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وبرزوا لله الواحد القهار﴾[ابراهيم:٤٨] فإن عين الأحدية فاضت بالقهر الماحق لجميع صور الأغيار فلم يبقَ إلاّ كونه واحداً لا مشاركة فيه للوجود، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

الفصل الرابع: في رسائله

قال رضي الله عنه بعد حمد الله جلّ جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه، يصل الكتاب إلى كافة من كان بفاس وبالمغرب من الإخوان والفقراء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يتراكم بدوام ملك الله من العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني، وبعد؛ نسأل الله جلت قدرته وتعالت عظمته أنْ ينظر في جميعكم بعين المحبة والرضا والعناية وإفاضة الفضل والاصطفاء والاجتباء حتى لا يدع لكم خيراً من خيرات الدين والدنيا والآخرة إلاّ آتاكم منه أكبر حظ ونصيب، ولا يترك شراً من شرور الدين والدنيا والآخرة إلاّ أبعدكم عنه ووقاكم منه، وحتى لا يترك لكم ذنباً كبيراً ولا صغيراً إلاّ أغرقها في بحر عفوه وكرمه، وحتى لا يترك لكم مطالبة بالذنوب إلاّ صفح عنها وعفا، وحتى لا يترك لكم حاجة ولا مطلباً في غير معصية الله إلاّ أسرع لكم بإعطائه، وأمدكم فيه بالمعونة والتأييد في إمضائه إن طابق سابق الحكم فإن لم يطابق سابق الحكم فنسأل الله أنْ يعوض لكم في جميع ذلك ما هو خير منه وأعلى منه، وحتى لا يترك لكم شراً من الشرور والواردة على أيدي الخلق إلاّ جعل بينكم وبينها جنداً من سطوته وسلطانه إنْ لم تكن محتمة في سابق الحكم، فإنْ كانت محتمة في سابق الحكم فنسأل الله أنْ يمدكم فيها بكمال اللطف والمعونة والتيسير والتسهيل حتى تنفصل عنكم وأنتم منها في عافية، (وأوصيكم وإيايّ) بتقوى الله تعالى، وارتقاب المؤاخذة منه في الذنوب، فإنّ لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد عنهما، والمصيبة واحدة في الدنيا وواحدة في الآخرة، فمصيبة الآخرة واقعة قطعاً إلاّ أنْ تقابل بالعفو منه سبحانه وتعالى، ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنباً إلاّ أنْ يدفعها وارد إلهي بصدقة لمسكين، أو صلة رحم بمال، أو تنفيس عن مديون بقضاء الدين عنه، أو بعفوه عنه إنْ كان له، وإلاّ فهي واقعة فالحذر الحذر من مخالفة أمر الله وإنْ وقعت مخالفة والعبد غير معصوم، فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله وإن لم يكن ذلك عاجلاً، فليعلم العبد أنّه ساقط من عين الحق متعرض

لغضبه إلاّ أنْ يمنّ عليه بعفوه، ويستديم في قلبه أنّه مستوجب لهذا من الله، فيستديم بذلك انكسار قلبه، وانحطاط رتبته في نفسه دون تعذر، فما دام العبد على هذا فهو على سبيل خير، وإياكم والعياذ بالله من لباس حلة الأمان من مكر الله في مقارفة الذنوب باعتقاد العبد أنّه آمن من مؤاخذة الله له في ذلك، فإنّ من وقف هذا الموقف بين يدي الحق تعالى، ودام عليه فهو دليل على أنّه يموت كافراً والعياذ بالله تعالى، وما سمعتم من الخاصية التي في الورد فهي واقعة لا محالة وإياكم والتفريط في الورد ولو مرة في الدهر وشرط الورد المحافظة على الصلوات في الجماعات والأمور الشرعية، وإياكم ولباس حلة الأمان من مكر الله في الذنوب فإنّها عين الهلاك، وترك المقاطعة مع جميع الخلق وآكد ذلك بينكم وبين الإخوان وزوروا في الله وواصلوا في الله وأطعموا في الله ما استطعتم في غير تعسير، ولا كد، وعليكم بالصبر في أمر الله فيما وقع من البلايا والمحن، فإنّ الدنيا دار الفتن وبلاياها كأمواج البحر، وما أنزل الله بني آدم في الدنيا إلاّ لمصادمة فتنتها وبلاياها، فلا مطمع لأحد من بني آدم في الخروج عن هذا ما دام في الدنيا والصبر بحسب أحواله كل على قدر طاقته ووسعه، واعملوا في نفوسكم سلوة إذا نزلت البلايا والمحن بأحدكم، فليعلم أنّ لهذا خلقت الدنيا ولهذا بنيت، وما نزلها الآدمي إلاّ لهذا الأمر وكل الناس راكضون في هذا الميدان، فليعلم أنّه كأحدهم مساو له، واعلموا أنّ الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فإنّها تنصب على الناس كالمطر الغزير لكنْ أكثروا من مكفرات الذنوب، وآكد ذلك صلاة الفاتح لما أغلق الخ فإنّها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة وكصلاة التسبيح ومما هو في هذا المعنى، يلازمه الإنسان كل يوم ثلاث مرات: اللّهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي، وكذلك وظيفة اليوم والليلة لا إله إلاّ الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا إله إلاّ الله ولا شريك له لا إله إلاّ الله له الملك وله الحمد لا إله إلاّ الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وكذلك دعاء السيفي لمن يقدر على حفظه، وكذلك هذا الاستغفار: اللّهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك فيه، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك، وأستغفر للنعم التي أنعمت عليّ فتقويت بها على معاصيك، وأستغفرك الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته، ولكل معصية ارتكبتها، ولكل ذنب أتيت به أحاط علم الله به، وكذلك دعاء: يا من أظهر الجميل، وستر القبيح الخ، ثم قال رضي الله عنه: أبشروا أن كل من كان في محبتنا إلى أنْ مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله، وكذلك كل من أخذ وردنا يبعث من الآمنين، ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالداه وأزواجه وذريته المنفصلة عنه لا

الحفدة بشرط الاعتقاد وعدم نكث المحبة، وعدم الأمن من مكر الله كما قدمنا، ويكون في جوار النبي ﷺ في أعلى عليين، ويكون من الآمنين من موته إلى دخول الجنة والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(ومما كتب به) إلى فقراء فاس صانهم الله من كل بأس (ونصّه) بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم بعد حمد الله جلّ ثناؤه وتقدست صفاته وأسماؤه يصل الكتاب إلى كافة إخواننا فقراء فاس وما بإزائها حفظ الله جميعكم من جميع المحن ومن معضلات الفتن آمين السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، تعمكم وتعمّ أحوالكم من محبكم أحمد بن محمد التجاني، وبعد؛ أوصيكم ونفسي بما أوصاكم الله به، وأمركم به من حفظ الحدود ومراعاة الأمر الإلهي على حسب جهدكم واستطاعتكم فإنّ هذا زمان انهدمت فيه قواعد الأمر الإلهي جملةً وتفصيلاً وانهمك الناس فيما يضرهم دنيا وأخرى، بحيث أنْ لا رجوع ولا يقظة لما يرد القلوب إلى الله والوقوف عند حدود الله أمراً ونهياً ولا طاقة لأحد بتوفية أمر الله من وجه في هذا الوقت إلاّ لمن لبس حلة المعرفة بالله تعالى أو قاربها، ولكن حيث كان الأمر كما ذكر ولم يجد العبد مصرفاً عما أقامه الله فيه فإلا يقع خير من الأسود كله، فاتركوا مخالفة أمر الله ما استطعتم وقوموا بأمره على حسب الطاقة، واجعلوا لأنفسكم عدة من مكفرات الذنوب في كل يوم وليلة وهي أمور كثيرة كتبنا لكم منها في الوصية الأولى نبذة كافية، وأيضاً من ذالك الحزب السيفي لمن اتخذه ورداً صباحاً ومساءً أقل ذلك مرة وأكثره لا حد له، ومن ذلك المسبعات العشر لمن اتخذها ورداً صباحاً ومساءً، ومن ذلك صلاة الفاتح لما أغلق الخ، وأقلها مائة في الصباح والمساء فلا يلحقها في هذا الميدان عمل من أي عامل، ولا ينتهي إلى غايتها أمل من أي آمل، وأديموا الصلوات المفروضة في الجماعات بالمحافظة، فإنّها متكفلة بالعصمة من جميع المهلكات إلاّ في نبذ قليلة توجب العقوبات، وأن لله سبحانه وتعالى للمدوام عليها عناية عظيمة فكم يجبر له من كسرة وكم يستر له من عورة، وكم يعفو له عن زلة وكم يأخذ له بيده في كل كبوة، وعليكم بالمحافظة على ذكر الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ليلاً ونهاراً على حسب الاستطاعة وعلى قدر ما يعطيه الوقت والطاقة من غير إفراط ولا تفريط واقصدوا بذلك التعظيم والإجلال لله سبحانه وتعالى، ولرسوله ﷺ، والتجلّي في ذلك بالوقوف في باب الله طلباً لمرضاته لا لطلب حظ، فإنّ للعامل بذلك عناية من الله عظيمة يجد بركتها في العاجل والآجل، ويجد حلاوة لذتها فيما هو له آمل وهي في الخواص والأسرار كالمحافظة على الصوات في الجماعات سواء بسواء، وعليكم بالمحافظة على الصدقات في كل يوم وليلة إن استطعتم، ولو فلس نحاس أو لقمة واحدة بعد المحافظة على أداء

المفروضات المالية، فإنّ عناية الله تعالى بالعامل في ذلك قريب من محافظة المفروضات في الجماعات، وليكن من جملة أورادكم التي تحافظون عليها بعد الورد الذي هو لازم الطريقة الحزب السيفي وصلاة الفاتح لما أغلق، فإنّهما يغنيان عن جميع الأوراد ويبلغان بفضل الله غاية المراد ولا يفي بقدرهما عمل، وعليكم بصلة الأرحام من كل ما يطيب القلب ويوجب المحبة ولو بتفقد الحال وإلقاء السلام، وتجنبوا معاداة الأرحام وعقوق الوالدين، وكل ما يوجب الضغينة في قلوب الإخوان، وتجنبوا البحث عن عورات المسلمين فإنّ من تتبع ذلك فضح الله عورته، وهتك عورة بنيه من بعده، وأكثروا العفو عن الزلل، والصفح عن الخلل لكل مؤمن، وآكد ذلك لمن واخاكم في الطريقة فإنّ من عفا عن زلة عفا الله له عن زلات كثيرة، ومن وقع فيكم بزلة ثم جاءكم معتذراً فاقبلوا عذره وسامحوه لكي يقبل الله أعذاركم ويسامحكم في زلاتكم، فإنّ أشر الإخوان عند الله من لا يقبل عذراً ولا يقيل عثرة، وتأملوا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم «إلى قوله» والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وعليكم بالغفلة عن شر الناس، وعدم المبالاة بما يجري منهم من الشرور، وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم، فإنّ مناقشة الناس عما يبدو منهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار في الدنيا والآخرة، وكلما دنوت بمقابلة شر بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه في جميع الأمور، فلا مقابلة للشر إلاّ الغفلة والعفو والمسامحة، وعليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه مما ليس بمحمود شرعاً ولا طبعاً، فإنّ أمورهم تجري على المشيئة الإلهية فهم مقبوضون في قبضة الله لا محيد لهم عن حكمه، وجميع أمورهم تصدر عن قضائه وقدره، إلاّ ما أوجب الشرع القيام به عليهم أمراً وزجراً بحسب العوارض والنائبات في بعض الأزمان لا كل الأزمان، وقفوا عند قوله ﷺ: **«مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهو متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك»**، وقوله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**، وعليكم بمناصحة إخوانكم في الطريقة برفق ولين وسياسة من غير ضغينة ولا حقد، ويجعل كل واحد منكم وقتاً يذكر الله تعالى فيه في خلوة أقل ذلك عدد الورد الذي هو لازم الطريقة، فإنّ العامل بذلك يجد بركته في جميع مآربه وتصرفاته، وعليكم بطاعة المقدم بإعطاء الورد مهما أمركم بمعروف أو نهاكم عن منكر أو سعى في إصلاح ذات بينكم، وعليكم بملازمة الوظيفة المعلومة لمن استطاع صباحاً ومساءً وإلا مرة واحدة في الصباح، أو المساء، فإنّها تكفي، وخففوا من وردها إنْ ثقل عليكم، واجعلوها خمسين من صلاة الفاتح لما أغلق الخ والاستغفار إنْ شئتم اذكروا: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم ثلاثين مرة يكفي عن الاستغفار مائة مرة في الوظيفة، وأوصي من كان مقدماً

على إعطاء الورد أنْ يعفو للإخوان عن الزلل، وأنْ يبسط رداء عفوه على كل خلل، وأنْ يجتنب ما يوجب في قلوبهم ضغينة أو شينا أو حقداً، وأنْ يسعى في إصلاح ذات بينهم، وفي كل ما يوجب في قلوبهم بغضهم على بعض، وإنْ اشتعلت نار بينهم سارع في إطفائها، وليكن سعيه في ذلك في مرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك، وأنْ ينهى من رآه يسعى في النميمة بينهم، وأن يزجره برفق وكلام لين، وعليه أنْ يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير في كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله وحقوق الإخوان، ويراعي في ذلك قوله ﷺ: **«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»**، وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم، وأنْ لا يلتفت لما في أيديهم معتقداً أنّ الله تعالى هو المعطي والمانع والخافض والرافع، وليجعل همته في تحرير دنياهم فيما في أيديهم من التشتيت والتبذير، وأن لا يطلبهم بإعطاء شيء لا من القليل ولا من الكثير إلاّ ما سمحت نفوسهم ببذله من غير طلب، فإنّ عقول الناس حول هذا المطاف تدور وعلى هذا المقدار تجري بهم جميع الأمور، وسلموا للعامة وولاء الأمر ما أقامهم الله فيه من غير تعرض لمنافره أو تبغبض أو تنكير، فإنّ الله هو الذي أقام خلقه فيما أراد ولا قدرة لأحد أنْ يخرج الخلق عما أقامهم الله فيه، واتركوا التعرض للرياسة وأسبابها، فإنّها كعبة تطوف بها جميع الشرور وهي مقر الهلاك في الدنيا والآخرة، ومن ابتلى منكم بمصيبة أو نزلت به من الشرور نائبة فليصبر بانتظار الفرج من الله، فإنّ كل شدة لا بد لها من غاية وكل كرب لا بد له من فرج، وإنْ ضاق به الحال فعليه بالتضرع والابتهال حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال، ولا تجزعوا من المصائب والبليات فإنّ الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلاّ لتصاريف الأحكام الإلهية والأقدار الربانية مما تضيق به النفوس من أجل البلاء والبؤس ولم يجد العباد مصرفاً عن هذا، ولا إمكان للعبد من التمكن من دوام الراحة من كل بلاء في الدنيا بل على العاقل أنْ يعلم أنّ أحوال الدنيا أبداً متعاقبة بين ساعات انقباض وانبساط وخيرات وشرور وأفراح وأحزان، لا يخرج أحد ممن سكن الدنيا عن هذا المقدار، فإن نزلت مصيبة أو ضاقت نائبة فليعلم أنّ لها وقتاً تنتهي إليه ثم يعقبها الفرح والسرور، فإنّ من عقل هذا عن الله في تصاريف دنياه تلقى كل مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء والشكر التام على النعماء، والسلام عليكم ورحمة الله ا هـ من إملائه رضي الله عنه.

(ومما كتب به أيضاً) لكافة الفقراء (ونصّه): قال رضي الله عنه بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، بعد حمد الله جلّ ثناؤه يصل الكتاب إلى كافة أحبابنا الفقراء كل واحد بإسمه وعينه عموماً من غير تخصيص السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، من أحمد بن محمد التجاني وبعد؛ نسأل الله تعالى لكافتكم وخاصتكم أنْ

يفيض عليكم بحور العناية منه، والرضا منه سبحانه وتعالى على طبق ما منح من ذلك أكابر العارفين من عباده، وأهل الخصوصية حتى تكون عنده جميع مساويكم ممحوة غير مؤاخذين بها، وجميع ذنوبكم وآثار سهوكم مقابلة بالصفح والتجاوز منه غير مقابلين بها ونسأله سبحانه وتعالى أنْ يكتبكم جميعاً في ديوان أهل السعادة الذي ما كتب فيه إلاّ أكابر أوليائه، وأهل خصوصيته بوجه لا يمكن فيه المحو ولا التبديل، وأنْ يكحل بصائركم بنوره الذي رشه على الأرواح في الأزل، وأن يواجهكم بفضله في الدنيا والآخرة، وأنْ ينظر فيكم بعين رحمته التي من نظر إليه بها صرف عنه جميع مكاره الدنيا والآخرة (هذا)، وليكن في علمكم أنّ جميع العباد في هذه الدار أغراض لسهام مصائب الزمان، إما بمصيبة تنزل، أو بنعمة تزول، أو بحبيب يفجع بموته، أو هلاك أو غير ذلك مما لا حد لجمله وتفصيله، فمن نزل به منكم مثل ذلك فالصبر الصبر لتجرع مرارتها، فإنّه لذلك نزل العباد في هذه الدار ومن كبا به منكم جواده عن تحمل ثقلها، ومقاومة ما يطرأ عليه من أعبائها فعليه بملازمة أحد الأمرين أو هما معاً، وهو أكمل الأول وملازمة يا لطيف ألفاً خلف كل صلاة إن قدر وإلاّ ألفاً في الصباح وألفاً في المساء، فإنّه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته، والثاني مائة صلاة على النبي ﷺ بالفاتح لما أغلق الخ، ويهدي ثوابها للنبي ﷺ إنْ قدر مائة خلف كل صلاة وإلاّ مائة صباحاً ومائة في الليل وينوي بهما أعني يا لطيف والصلاة على النبي ﷺ التي يهدي ثوابها له ﷺ أنْ ينقذه الله تعالى من جميع وحلته، ويعجل خلاصه من كربته فإنّها تسرع له الإغاثة في أسرع وقت وكذا من كثرت عليه الديون، وعجز عن أدائها، وأكثر عياله واشتد فقره، وانغلقت عليه أبواب أسباب المعاش، فليفعل ما ذكرنا من أحد الأمرين أو هما معاً، فإنه يرى الفرج من الله عن قريب، ومن دعاه خوف هلاك متوقع نزوله به من خوف ظالم، ولا يقدر على مقاومته، أو خوف من صاحب دين لا يجد منه عذراً ولا إمهالاً ولا يجد من المال ما يؤديه له أو كلا الأمرين ومن كل مخوف، فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين، أو معافاته ينقشع عنه عن قريب، وإنْ أسرع مع ذلك بصدقة قلت أو كثرت بنية دفع ما يتوقعه من المخوف، أو بنية تعجيل الخلاص من ألمه وكربه كانت أجدر في إسراع الخلاص والفرج، وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة، وإياكم ثم إياكم أنْ يهمل أحدكم حقوق إخوانه مما هو جلب مودة أو دفع مضرة أو إعانة على كربة، فإنْ من ابتلي بتضييع حقوق الإخوان ابتلي بتضييعِ الحقوق الإلهية والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وصونوا قلوبكم إذا رأيتم أحداً فعل حقاً يخالف هواكم أو هدم باطلاً يخالف هواكم أنْ تبغضوه أو تؤذوه، فإنّ ذلك معدود من الشرك عند الله تعالى، فقد قال ﷺ: **«الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا، وأقل ذلك أن تحب على باطلٍ أو تبغض على حق»**، أو كما قال

ﷺ مما معناه هذا وكذا صونوا قلوبكم عمن فعل باطلاً أو هدم حقاً يطابق هواكم أنْ تحبوه، أو تثنوا عليه فإنه أيضاً معدود من الشرك عند الله تعالى فإنّ المؤمن يحب الحق، ويحب أهله، ويحب أنْ يقام الحق، ويعمل به ويبغض الباطل ويبغض أهله ويبغض أنْ يقام الباطل ويعمل به والسلام.

(استدراك): وما ذكرنا من مراعاة حقوق الإخوان، فليكن ذلك في غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بل بما تيسر وأمكن في الوقت، إلاّ أنْ يكون في بعض العوارض يخاف من أخيه العداوة والقطيعة أو فساد القلب، فليسرع لإصلاح قلبه فإنّ ذلك يستجلب الرضا من الله تعالى، وأما ما ذكرنا من بغض أهل الباطل، فليكن ذلك محله القلب فقط، وإنْ خرج إلى جارحة من الجوارح أدى إلى منكر أعظم منه فترك إخراجه من القلب إلى الجوارح أولى، والسلام ا هـ من إملائه رضي الله عنه.

(ومما كتب به) إلى بعض الطلبة (ونصّه) قال رضي الله عنه: بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد؛ فالذي أعظك به وأوصيك به عليك بالله عزّ وجلّ في سرك وعلانيتك بتصفية قلبك من مخالفة أمره، والتعويل على الله بقلبك من مخالفة أمره، والتعويل على الله بقلبك والرضا بحكمه في جميع أمورك والصبر لمجاري مقاديره في كل أحوالك، واستعن على جميع ذلك بالإكثار من ذكر الله على قدر الاستطاعة بحضور قلبك، فهو معين لك على جميع ما أوصيتك به، وأكبر ذكر الله فائدة وأعظمه جدوى وعائدة هي الصلاة على رسول الله ﷺ مع حضور القلب، فإنّها متكفلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة دفعاً وجلباً في كل شيء، وإنّ من أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله، والأمر الثاني مما أوصيك به ترك المحرمات المالية شرعاً أكلاً ولباساً ومسكناً، فإنّ الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك سائر العبادات ومن ضيعه ضيع فائدة العبادة، وإياك أنْ تقول أين تجده فإنّه كثير الوجود في كل أرض وفي كل زمان، لكن يوجد بالبحث عن توفية أمر الله ظاهراً أو باطناً ومراعاة ضرورة الوقت إنْ لم يوجد الحال الصريح وهذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق واتساع معرفة بالأحكام الشرعية ومن كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال، والأمر الذي لا بد منه بعد هذا وهو بداية جميع الأمور ونهايتها هو تعلق القلب بالله تعالى بالانحياش إليه، والرجوع إليه وترك كل ما سواه عموماً وخصوصاً، فإنّ قدر العبد على ارتحال القلب إلى الله بكل وجه وعلى كل حال بحركة القلب حساً فهو الغاية، وإنْ لم يقدر فيلازم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثاً أو سبعاً، ثم يمرّ به على قلبه في غير الصلوات، ويحمل نفسه عليه يصير له ذلك حالاً، (والدعاء هو هذا): اللهم عليك معولي وبك ملاذي وإليك التجائي، وعليك توكلي وبك ثقتي وعلى حولك وقوتك اعتمادي وبجميع مجاري أحكامك رضاي، وبإقراري بسريان

قيوميتك في كل شيء، وعدم احتمال خروج شيء دق أو جلّ عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوتي ا هـ فإذا داوم عليه كلما رأى من أحوال النفس ما لا يطابق هذا الدعاء ذكر نفسه بمعاني هذا الدعاء، وصبر على حمل نفسه سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى برفض كل ما سواه، وهذا باب كبير من العلم يعلمه من ذاق أدنى شيء من علوم الرجال ويعلم قدره فلا تهمله، وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة، فإنّ العمر قصير والسفر طويل والعقبة كوذ والحمل ثقيل، والحساب بين يدي الله شديد والعمل بأمر الله هو المنجي من جميع هذه الأمور. قال الشيخ الصالح والصدر المبرز العارف بالله سيدي محمد السماك رضي الله عنه: من أقبل على الله بقلبه أقبل الله عليه برحمته وصرف وجوه الناس إليه، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتاماً، والحاصل عليك بالله يرفض ما سواه، وإذا ابتليت بمعاملة الناس ومخالطتهم، فخالطهم وعاملهم لله، فإنّ الله يحب الإحسان إلى خلقه وأكبر ما أحضك عليه هو كثرة الصلاة بحضور القلب على رسول الله ﷺ، فهو الكنز الأعظم والذخر الأفخم. ا هـ من إملائه رضي الله عنه.

(ومما كتب به) إلى كافة الإخوان أينما كانوا (ونصّه) قال رضي الله عنه: بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد: فأوصيكم بما أوصى الله به قال سبحانه وتعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أنْ اتقوا الله﴾ [النساء: ١٣١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً «إلى قوله» كبر على المشركين﴾ [الشورى: ١٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً «إلى قوله» قدرا﴾ [الطلاق: ٢/٣]، قال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يتقِ الله يجعل له من أمره يسراً «إلى قوله»، ويعظم له أجرا﴾ [الطلاق: ٤/٥]، واعلموا أنّ التقوى قد صعب مرامها تناءت بعداً عن أنْ تمد بيد أحد خطامها واحتكامها، وكلت الهمم دونها فلا يصل بيد أحد أساسها واحتكامها إلاّ الفرد الشاذ النادر لما طبعت عليه القلوب والنفوس من الإدبار عن الله وعن أمره بكل وجه واعتبار، ووحلها في ربع أحوال البشرية وحلالاً مطمع لها في الانفكاك عنه، وهذا حال أهل العصر في كل بلد من كل ما على الأرض إلاّ الشاذ النادر الذي عصمه الله تعالى، وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن وطما بحر المصائب والمحن وغرق الناس فيه كل الغرق، وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها اكتنفته مصائب، وفي هذا قيل: سيأتي على الناس زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن فلا ينفع فيها إلا دعاء كدعاء الغريق، وليكن ملازمتكم الأمر المنجي لما ذكرنا أو مطفيء لأكثر نيرانه، وهو كثرة الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، وذكر لا إله إلاّ الله مجردة،

وذكر لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقول: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٨٣]، فإنّه بقدر الإكثار من الأذكار تتناءى عن العبد كثرة المصائب وشرور الأوزار، وبقدر تقليله منها يقل بعده عن المصائب والشرور، وليكن لكل واحد منكم قدر من هذه الأذكار على قدر الطاقة، وعليكم بكثرة التضرع والابتهال لمن له كمال العز والجلال، فإنّ الله رحيم بعباده ودود، فإنّه أكرم وأعظم فضلاً من أنْ يتضرعَ إليه متضرع أحاطت به المصائب والأحزان ومدّ إليه يديه مستعطفاً نواله راجياً كرمه وأفضاله أن يرده خائباً، أو يعرض عنه برحمته والعاجز من عجز حتى عن التضرع والابتهال ومن ضيع نفسه من الله فلا جابر له، وليكن لكم بباب الله لمات على مرور الساعات وكرور الأوقات، فإنّ من اعتاد ذلك في كرور أوقاته غشيه من رحمة الله ونفحاته ما يكون ماحقاً لمصائبه وكدوراته، ومسهلاً لثقل أعباء ما ثقل عليه من ملماته، فإنّه سبحانه وتعالى غنيّ كريم يستحي لكرمه إذا رأى عبد قد تعود الوقوف ببابه ولو في أقل الأوقات أنْ يسلمه للمصائب التي لا مخرج له منها، أو يكدحه بهلكة يعز عليه الخلاص منها، احفظوا هذا العهد، واركضوا في هذا الميدان، ولو في أقل قليل من مرور اليوم والليلة تجدوا التيسير في جميع الأمور والخلاص من كثير من الشرور (وإنْ قدر الواحد على أن يكون تضرعه في كل ليلة بهذا الدعاء وهو) إلهنا أنت المحرك والمسكن لكل ما وقع في الوجود من الخيرات والشرور، وفي حكمك الحل والعقد لجميع الأمور وبيدك وعن مشيئتك تصاريف الأقدار والقضاء المقدور، وأنت أعلم بعجزنا وضعفنا وذهاب حولنا وقوتنا عن تباعدنا مما يحل بنا من الشرور عن اتصالنا بما نريد الوقوع فيه من الخيرات، أو ما يلائم أغراضنا في جميع الأمور، وقد وقفنا ببابك والتجأنا بجانبك ووقفنا على أعتابك مستغيثين بك في صرف ما يحلّ بنا من الشرور، وما ينزل بنا من الهلاك مما يجري به تعاقب الدهور مما لا قدرة لنا على تحمله ولا قوة بنا على طله فضلاً عن وابله، وأنت العفو الكريم والمجيد الرحيم الذي ما استغاث بك مستغيث إلاّ أغثته، ولا توجه إليك مكروب يشكو كربه إلاّ فرجته، ولا ناداك ضرير من أليم بلائه إلا عافيته ورحمته، وهذا مقام المستغيث بك والملتجىء إليك، فارحم ذلي وتضرعي بين يديك، وكن لي عوناً وناصراً، ودافعاً لكل ما يحلّ بي من المصائب والأحزان، ولا تجعل عظائم ذنوبي حاجبة لما ينزل إلينا من فضلك ولا مانعة لما تتحفنا به من طولك، وعاملنا في جميع ذنوبنا بعفوك وغفرانك، وفي جميع زلاتنا وعثراتنا برحمتك وإحسانك، فإنا لفضلك راجون وعلى كرمك معولون، ولنوالك سائلون، ولكمال عزّك وجلالك متضرعون، فلا تجعل حظنا منك الخيبة والحرمان، ولا ينيلنا من فضلك الطرد والخذلان، فإنّك أكرم من وقف ببابه السائلون، وأوسع مجداً من كلٍ من طمع فيه الطامعون، فإنّ لك المن الأعظم والجناب الأكرم

وأنت أعظم كرماً وأعلى مجداً من أن يستغيث بك مستغيث فترده خائباً، أو يستعطف أحد نوالك متضرعاً إليك فيكون حظه منك الحرمان لا إله إلاّ أنت يا عليّ يا عظيم يا مجيد يا كريم يا واسع الجواد يا بر يا رحيم عشرين مرة تذكر هذه الأسماء من قولك، لا إله إلا أنت الخ، ثم صلاة الفاتح لما أغلق الخ عشراً في أوله، وعشراً في آخره، فإنّ المداومة لهذا الدعاء في كل ليلة سبعاً أو خمساً أو ثلاثاً تدفع عنه كثيراً من المصائب والأحزان، وإن تحتم نزولها نزل به لطف عظيم فيها ا هـ من إملائه رضي الله عنه.

(وممّا كتب به) إلى كافة تلامذته (ونصّه) بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والحمدلة قال رضي الله عنه: بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أمّا بعد؛ فالذي أوصيكم به وإيايّ المحافظة على قوله ﷺ ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات فهي تقوى الله في السر والعلانية، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأمّا المهلكات فشح مطاع وهوى متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه وعلى قوله ﷺ: **«ما تحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع»**، وعلى قوله ﷺ: **«ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**، وعلى قوله ﷺ: **«لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا»** الحديث، وهذا وإنْ ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفار فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصفح عن شر الناس، فمن تمنى بقلبه أو أراد تحريك الشر منه على الناس سلطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم، وعلى العبد أنْ يسأل الله العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم فإنّ تحرك عليه من غير سبب منه، فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان في إساءتهم، فإنْ لم يقدر فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة، فإنْ لم يقدر، فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ولا يتحرك في شيء من أذايتهم لإساءتهم، فإنْ اشتعلت عليه نيران شرهم فليدافع بالتي هي أحسن بلين ورفق، فإنْ لم يفد ذلك فعليه بالهرب إنْ قدر والخروج عن مكانه، فإنْ عوقت العوائق عن الارتحال ولم يجد قدرة، فليدافع بالأقل فالأقل من الإذاية، فليفعل ذلك ظاهراً، ويكثر الضرع إلى الله والابتهال سراً في دفع شرهم عنه مداً، وما ذلك حتى يفرج الله عليه، فإنّ هذه الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسوم العلم، والحذر الحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أنْ يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه، وظلمة جهله وعزة نفسه، فإنّ المبادر للشر بهذا وإنْ كان مظلوماً فاضت عليه بحور الشر من الخلق حتى يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة، وتلك عقوبة لإعراضه عن جناب الله أولاً فإنّه لو فزع إلى الله بالتضرع والشكاية واعتراف بعجزه وضعفه لدفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب أو بسبب لا تعب عليه فيه، أو يشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه، فإما أنْ يفعل الله له هذا، وإمّا أنْ ينزل به اللطف العظيم، أو الصبر

الجميل فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر حتى يرد عليه الفرج من الله تعالى فيكون مثاباً دنيا وأخرى، أما ثواب الدنيا، فبحمد العاقبة وظهور نصره في الخلق على قدر رتبته، وأمّا ثواب الآخرة، فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعده الله تعالى قال سبحانه وتعالى: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿واصبروا إنّ الله مع الصابرين﴾[الأنفال: ٤٦]، وقد قال تعالى حاكياً عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿إنه من يتق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦] إلى غير ذلك من الآيات، ولعدم اعتبار الناس بما ذكرنا، ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضاً، ووقعوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة، إلاّ من حفظته عناية عظمة إلهية فإنّ العامة لا يرون في تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذي حركه عليهم لغيبتهم عن الله سبحانه وتعالى، وعن غالب حكمه، فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم واحتيالهم وصولة سلطان نفوسهم، فطالت عليهم مكابدة الشرور وحبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور، فإنّ الكيس العاقل إذا انصب عليه الشر من الناس، أو تحركوا له به رآه تجلياً إلهياً لا قدرة لأحد على مقاومته إلاّ بتأييد إلهي فكأن مقتضى ما دله عليه علمه وعقله الرجوع إلى الله بالهرب والالتجاء إليه وتتابع التضرع والابتهال لديه والاعتراف بعجزه وضعفه، فنهض معتصماً بالله في مقابلة خلقه فلا شك أنّ هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه، ولو التهبت عليه نيران الشر من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه لاعتصامه بالله تعالى، فإنّ من تعلق بالله لا يقوى عليه شيء قال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً﴾ إلى قوله ﴿فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٢].

وهذا الباب الذي ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت، فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة، ومن فارقه وكله الله إلى نفسه، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله، فهلك كل الهلاك في عاجله وآجله، وفيما ذكرناه كفاية. وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب، والشكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى إنْ قدر على أنْ تكون كلية، وإلاّ فالأبقع خير من الأسود وأقل ذلك شكر اللسان، فلا عجز ممن عجز عن شكر اللسان، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر، فأعلى ذلك في شكر اللسان تلاوة الفاتحة في مقابلة ما أنعم الله عليه شكراً، ولينو عند تلاوتها أنّه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه الظاهرة والباطنة، والحسية والمعنوية، والمعلومة عند العبد والمجهولة لديه، والعاجلة والآجلة والمقدمة والمتأخرة والدائمة والمنقطعة، ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة مرة إلى مائة، فمن

فعل ذلك كتبه الله شاكراً وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق. أما وجوه المحامد الجامعة فهي كثيرة لا نطول بذكرها مثل قوله ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»، ومنها: إلهي لك الحمد، ولك الشكر مثل جميع ما أحاط به علمك من صفاتك وأسمائك، وجميع محامدك التي حمدت بها نفسك بكلامك، والتي حمدك بها كل فرد من خلقك بأيّ لفظ ذكروك به كل حمد من ذلك منك، ومن جميع خلقك عدد ما أحاط به علمك على جميع ما أحاط به علمك من نعمك عليّ فهو حمد جامع لأنواع المحامد مستغرق للشكر على جميع النعم، وأحذركم لكل من خوله الله نعمة أنْ يمدّ يده بها فيما لا يرضي الله مثل شراء الخمر، والوقوع في الزنا، ومدّ اليد في المعاملة في الربا، أو صرفها في وجوه طلب الرياسة والسلطنة، أو في طلب أذاية المسلمين من سفك دمائهم ونهب أموالهم أو هتك حريمهم أو بإذايته ولو بأقل قليل، فإنّ الفاعل لهذه الأمور بما أنعم الله عليه مستحق لسلب النعمة من الله مع ما يعرض له من مقت الله وغضبه، فإنّ فعل الأمور أو بعضها بما أنعم الله به عليه، ولم يرَ من الله سلب نعمه، فليعلم في نفسه أنّه ممن يحل عليه غضب الله وسخطه في الدنيا والآخرة، والسعيد إذا وقع في شيء من هذه الأمور يرى عن قريب تعجيل العقوبة، ويرى التنبيه في قلبه أن الله إنّ هذه المصيبة وقعت على تلك الفعلة. وأوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله له حسب ما يعطيه الوقت، وتجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب في تقويم الأثمان، واقتحام ما حرّم الله من ذلك بنصوص الشرع، فإنّ المنهمك في ذلك يهلك كل الهلاك، ثم إذا ألجأت الضرورة واشتدت الحاجة، ولم يجدْ العبد ملجأً إلاّ أنْ يأخذ قوته مما حُرم شرعاً في الأسواق فليأخذ قدر ما يتقوت، وليكن جارياً في ذلك على حكم المضطر في أكل الميتة فإنّه إنّما يأكلها بلاغاً وسداً للفاقة لا كسباً وتمولاً، وأحذركم أنْ تتهافتوا في المعاملات المحرمات شرعاً تهافت الجهلة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين، يريدون أنْ يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في المعاملات، فقد صاروا في ذلك كأنّهم لا تكليف عليهم وهو كذب على الله وزور، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ [البقرة: ١٦٨]، فهذه الآية وإن نزلت في مطلب خاص فهي مشتملة على كل ما تحتمله من القضايا إمّا تضميناً وإمّا تلويحاً، والعالم يأخذ حكمه من كل آية في كل ما تحتمله، وإنْ لم تنزله لأجله، والواقع منه من الآية في قضيتنا هذه أنّ الذي في الأرض هو ما أمكن وجوده من حلال أصلي، أو عارض على حب عوارض الوقت وهي الأمثل، فالأمثل على حسب ما فصلنا في جواب المعاملة وخطوات الشيطان التي نهىٰ الله عنها هي المعاملات المحرمات شرعاً حيث يجد العبد

عنها معدلاً، فإنْ لم يجدْ عنها معدلاً، وألجأته عوارض الأقدار بحكم القهر والتحتم إلاّ أنْ يأخذ قوته من الحرم شرعاً، وإنْ لم يأخذ منه مات في الوقت، أو مات بعض عياله جوعاً لضيق الوقت، وفقد السبيل لغيره فهو والواقع في قوله تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ، ولا عاد فلا إثم عليه﴾ [البقرة: ١٧٣]، ولا تلتفتوا لما نقل عن السيد الحسن بن رحال في قوله كل عقدة لا يوجد فيها إلا من يعامل بالحرام فهي حلال، فهو قولٌ باطلٌ لكونه تغافل عن ضبط القاعدة الشرعية فيه، والتحقيق فيها هو ما ذكرناه قبلها آنفا يشهد له قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وقوله ﷺ: «**إذا أمرتكم بشيء، فافعلوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء، فانتهوا**»، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾[التغابن: ١٦] وقول الشاعر:

إذا لـمْ تـسـتـطـعْ شـيـئـاً فـدعـه وجـاوزه إلـى مـا تـسـتـطـيـع

وفي هذا مع ما في الرسائل الأولى كفاية، والسلام ا هـ من إملائه رضي الله عنه، (ومما كتب به) إلى إخوانه وأصحابه فقراء الأغواط يتحدث بما أنعم الله به عليه وتفضل (قال رضي الله عنه): بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ: بحمد الله يصل الكتاب إلى يد أحبابنا، وأصفيائنا فلان وفلان، وكافة الفقراء الذين معه بالأغواط كل واحد باسمه وعينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني، وبعد؛ نسأل الله عزّ وجلّ أنْ يتولاكم بعنايته، وأنْ يفيض عليكم بحور فضله وولايته، وأنْ يكفيكم همّ الدنيا والآخرة، وأنْ ينجيكم من فقر الدنيا وعذاب الآخرة يليه إعلامكم أنّ فضل الله لا حد له، وإنّ الفضل بيد الله يؤتيه مَنْ يشاء، وأقول لكم: إنّ مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء، ولا يقاربه لا من صغر ولا من كبر، وإنّ جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا، ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول، وصعوبته مسلكاً على أكابر الفحول، ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه ﷺ تحقيقاً ليس من الرجال أنْ يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلاّ أنا وحدي ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم، وضمنه ﷺ لهم أمرٌ لا يحل لي ذكره، ولا يرى ولا يعرف إلاّ في الآخرة، ومع هذا كله فلسنا نستهزىء بحرمة ساداتنا الأولياء، ولا نتهاون بتعظيمهم، فعظموا حرمة الأولياء الأحياء منهم والأموات، فإنّ من عظّم حرمتهم عظم الله حرمته، ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه، فلا تستهينوا بحرمة الأولياء، والسلام انتهى.

(ومما كتب به) إلى بعض أحبائه (ونصّه) قال رضي الله عنه بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال: كاتبه أحمد بن محمد التجاني بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا ما ذكرتم من رؤية النبي ﷺ في النوم نسأل الله أنْ يمكنكم منها

عاجلاً، ولكنْ عليكم إنْ أردتموها بالمداومة على جوهرة الكمال سبعاً عند النوم على وضوء دائماً، فإنّها كفيلة بها، وهي اللهم صلى وسلم على عين الرحمة الربانية الخ، وأمّا سند طريقتنا، فطريقنا عنه ﷺ اتصالاً منه إلينا وسندنا أيضاً في الورد المعلوم مع السيفي عنه ﷺ متصلاً إلينا، وأمّا المسبعات العشر، فأخذناها مشافهةً عن شيخنا الشيخ محمود الكردي المصري رضي الله عنه، وهو أخذها عن الخضر مشافهةً، وأمّا أحزاب الشاذلي ووظيفة الزروق ودلائل الخيرات، والدرر الأعلى فكلها أخذنا الإجازة فيها عن شيخنا القطب الكامل سيدي محمد بن عبد الكريم السمان قاطن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأمّا ما ذكرتم من شرط اتحاد الوقت في ذكر الخلوة فهو أمر مطلوب في جميعها، ولا يضر إن تخلف إلى غير وقته اللّهم إلاّ في الأسماء الإدريسية، فإنّه إن تخلف الوقت تضرر العامل ضرراً كبيراً، وأجزنا لكم في الورد وفي كل ما ذكرنا لكم سنده فيما طلبتم فيه السند نفعكم الله بذلك والسلام، وأجازنا سيدنا في كل ما أجازنيه صاحب الرسالة، وكتب لنا بخط يده في هذا المحل في غير هذا والسلام.

(ومما كتب به) إلى بعض أحبائه (ونصّه) بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، قال رضي الله عنه: وبعد فتعلقك بالخواص في طلب الدنيا، وأغراضها وشهواتها، وأنت مشغول بإطلاق لسانك في الغيبة والنميمة، وفيما لا يرضي الله، ومنهمك في العبد عن الله لا ربح في هذه التجارة إلاّ التعب فلا تظفر منها بشيء، وأنّ الخواص بحر الطمع متعلق بها كالذي يريد الظفر بسراب بقيعة، إنّما الخواص وأسرارها لا يتمكن منها أحد من خلق الله إلاّ أحد رجلين، إمّا رجل ظفر بالولاية، وإمّا رجل جعل أكثر أوقاته في ذكر الله، وفي صحة التوجه إليه سبحانه وتعالى، وفي الصلاة على نبيه ﷺ طلباً لوجه الله الكريم لا لغرض غير ذلك، وداوم على هذا المنوال، وصان لسانه عن الأقاويل التي لا ترتضى شرعاً كالغيبة والنميمة والكذب والسخرية، وسائر ما لا يرتضى، وصان قلبه عما لا يرضي الله كالكبر والحسد وظلم الناس والبغض بغير أمر شرعي إلى غير ذلك، وهو في هذا كله قائم لله تعالى، فهذا هو الذي لعله يدرك بعض أسرار الخواص وسوى هذين لا يفيده التعلق بالخواص إلاّ التعب، والذي يليق به وقته أنْ يجعل وردين لله تعالى من الصلاة على النبي ﷺ، ورد في الليل وورد في النهار في كل ورد من الصلاة على النبي ﷺ خمسمائة مرة في كل ورد، ثم تتدرج كل ورد بالزيادة خمسين مرة في كل أسبوع لا تزال كذلك حتى يصير الوردان ألف مرة في كل ورد، وداوم على الوردين هكذا أبداً سرمداً، لا تزيد ولا تنقص، واقصد بذلك صحة التوجه إلى الله تعالى لوجهه الكريم فقط لا لغير ذلك، فإنّك بالدوام على ذلك تنفرج عنك الأمور، وزد مع ذلك ورداً من قولك: يا لطيف ألفاً بالليل، أو بالنهار فقط واقصد بذلك الاستغاثة بالله من ضرر الفقر،

وداوم عليه يفرّج الله عنك ما أنت فيه والسلام، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(ومما كتب به) إلى بعض الفقهاء من أحبائه بفاس (ونصّه) بعد البسملة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، من أفقر العبد إلى مولاه الغني الحميد أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضله، إلى محبنا في الله تعالى فلان ابن فلان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد، فالذي سألت عنه من التصرف بالدائرة الشاذلية وأسمائها وخواصها، (فالجواب عن ذلك) اعلم: أنّ التمسك بما في كتب أهل الخواص من دائرة الشاذلية رضي الله عنه وأسماء الله والحروف، والجداول كله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ما في جميعها إلاّ التعب، والطمع الذي لا يوجد فيه قليل من الفائدة، ولا جدوى من الفائدة إلاّ أنْ لتلك الأسرار تصاريف عالية، وأفعالاً عظيمة لكنها مشروطة بالوقوف على أمرين لا ينال أحد بدونهما شيئاً، الأمر الأول: هو الفتح للعبد في كمال المعرفة العيانية الباطنية، فصاحبها لا يتوقف على وجود شرط، أو زوال مانع متى أراد شيئاً أوجده بتلك الأسباب، والأمر الثاني لتلك الأسرار أرواحاً علوية طاهرة مطهرة قائمة بتصريف تلك الأسرار دائمة التمادي في التصرف بأسرارها، وتلك الروحانية لها طرق مخصوصة يتوصل بتلك الطرق إلى تسخير روحانيتها حتى لا يتعرف على داعيها في شيء إلاّ أجابت في أسرع من طرفة العين، وهذه الطرق لا يعلمها إلاّ الأولياء، وقد أخذ العهد على الأولياء في ظهر الغيب أنّهم لا يطلعون على هذه الأسرار أو شيء منها أحداً من الواقفين مع حظوظهم، ومن تعدى منهم في شيء وأطلع عليه أحداً من أهل الحظوظ ابتلي تبلية عظيمة إمّا بقتلة شنيعة، وإمّا أنْ يسلط عليه وارداً من قبل الحق يستأصل ماله وولده، وإمّا أن يبتليه الله بالفقر وعدم الصبر عليه، أو بالسلب أو بالكفر نسأل الله السلامة والعافية من ذلك كله بجاه النبي وآله، وما مثال ذلك إلاّ كحصن عظيم مملوء بخزائن الكنوز والأموال والتحف مما يقضي بتوفية جميع الأغراض، وعلى ذلك الحصن أسوار عظيمة من حديد في غاية ما يكون من الغلظة والتوثيق، ولا أبواب لتلك الأسرار ولا مفاتيح، ثم إنّ لتلك الأسوار، وذلك الحصن أبواباً وطرقاً مخبوءة تحت الأرض تأتي من الحصن على مسيرة ستة أيام أو سبعة تحت الأرض كل من سلك طريقاً من تلك الطرق أفضت به إلى باب الحصن الذي تحت الأرض ودخل الحصن، وأخذ كلما أراد، ورجع من طريقه فهو أبداً يدخل من تلك الطريق، ويخرج منها ووضعت أبواب تلك الطرق من خارج معلقة مدلسة عليها بحيث أنْ لا يوقف عليها إلاّ بالنقل والأخبار، ومن لم يخبر بتلك الأبواب لا يهتدي لتلك الطرق، ولا يدخل إلى الحصن، فالرجل الأول والمفتوح عليه بالمعرفة متى جاء إلى الحصن زالت عنه تلك الأسوار من غير تعمل منه، ووصل إلى كنوزها من غير مشقة، وأصحاب الأمر الثاني هم العلماء بالطريق التي يهتدي بها إلى

تسخير الروحانية، والتعرف فيها والبلوغ بها إلى كل غرض، هم الذين في المثال الثاني المطلعون على الطرق المخبوءة تحت الأرض المدلسة أبوابها، والعامة الخارجون عن هذين الأمرين بمنزلة من يطوف حول الحصن يريد أنْ ينال مما في داخله من الكنوز من غير باب ولا مفتاح فليس له من طوافه إلاّ التعب؛ نعم قد يقع في بعض الأحيان للعامي الذي لا حظ له في الأمرين الأولين إجابة في أمر من الأمور وقعت بنفحة إلهية اقتضت تلك النفحة منه سبحانه وتعالى إنّ كل من طلب منه في وقت تلك النفحة شيئاً سواء علم تلك النفحة أو جهلها أو علم وقتها أو جهله أنْ يعطيه في ذلك الوقت سؤاله سواء كان على جادة مستقيمة، أو على غير صواب سواء كان أهلاً لذلك السؤال أم لا؟ لكنْ لا يطرد له في كل ساعة، أو في كل مطلب لأنّ تلك الإجابة اقتضتها تلك النفحة الإلهية البارزة من الحق سبحانه وتعالى لا أنّه اقتضاها علمه بذلك السر وتلك الخاصية، فإنّ أصحاب الأمرين الأولين تطرد لهم الإجابة في كل مطلب، وفي كل ساعة وهذا الثالث لا تقع له الإجابة إلا إذا وافقت النفحة الإلهية بحكم الاتفاق، وفيما ذكرناه كفاية لمن فهم، فلا تتعبوا أنفسكم من الأسرار والخواص في شيء، والزم الأمر الذي قلناه لكم، في الوصية وهو أنفع (سر شريف) قال سيدنا رضي الله عنه: إذا تجلّى الله لسر عبد ملكه جميع الأسرار، وألحقه بدرجة الأحرار، وكان له تصرف ذاتي متى ما توجهت إرادته لأيّ خارق كان انخرق له في الحين إلاّ أنّ بعضهم يضيف لها كلمة كن، وبعضهم بمجرد الإرادة قال سبحانه وتعالى: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم﴾ [النجم:٢٩، ٣٠] انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه بمجلس واحد والسلام.

(ومما كتب به) إلى بعض الفقهاء من أصفيائه بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال رضي الله عنه: قال العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني لطف الله به، وأجزت لحبيبنا، وصبينا الفقيه النبيه فلان بن فلان بقراءة الفاتحة بنية تلاوة الاسم الأعظم بتلاوتها وفي قراءة الحزب السيفي، وسندنا في ذلك عنه ﷺ، وأجزت له في قراءة سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة صباحاً ومساءً للتحصين من جميع الشرور والسلام، انتهى التي خط سيدنا رضي الله عنه.

(ومما كتب به سيدنا رضي الله عنه) بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ إلى أنْ قال: وأمّا ما ذكرت من الأخبار لك ببعض الأمور، ليطمئن قلبك، وتزيد محبتك، ويدوم سرورك، فأقول لك: الأولى من ذلك الكرامة التي شاعت وذاعت عند المعتقد على رغم المنتقد وهي أعظم خير يرجى، وأفضل موعدة للعاقل تترجى هو أنّ كل من أخذ وردنا، وداوم عليه إلى الممات أنّه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو

ووالداه وأزواجه وذريته إن سلم الجميع من الانتقاد، وأمّا من كان محباً، ولم يأخذ الورد لم يخرج من الدنيا حتى يكون ولياً، وكذلك من حصل له النظر فينا يوم الجمعة، أو الإثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب إنْ لم يصدر منه سب في جانبنا، ولا بغض ولا إذاية، ومن حصل له النظر في هذين اليومين فهو من الآمنين إنْ مات على الإيمان، وإنْ سبق أنّه يحصل له العذاب في الآخرة، فلا يموت إلاّ كافراً، فهذا ما يمكن به إعلامكم في هذا الوقت، وفي وقت آخر يفعل الله ما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى.

(ومما كتب به) أيضاً إلى بعض خواصه، وأصفيائه بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال: رضي الله عنه يصل الكتاب إلى يد حبيبنا وصفينا فلان بن فلان السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وعلى كافة أهليكم وأولادكم، وكل من يلوذ بكم من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني، وبعد: نسأل الله جلّ جلاله، وتقدست صفاته وأسماؤه، أنْ يفيض عليكم في الدنيا بحور الأموال والخيرات والبركات بلا نقص والعافية التامة من شر من خلق، ومن الاحتياج إلى الخلق، وأما الآخرة، فنسأله سبحانه وتعالى أنْ يعاملكم فيها جميعاً وجميع أهليكم بمعاملته لأكابر أحبائه وأصفيائه من أوليائه وخواص حضرته بلا عمل منكم بل بمحض فضله، وأنْ يفيض عليكم بحور رضاه، وفضله في الدنيا والآخرة، وأنْ يكون أربكم في الدنيا وفي كل موطن من مواطن الآخرة ولياً وناصراً ومحباً وراضياً ومتفضلاً وملاطفاً، ولجميع الشرور والمكاره والمضار دافعاً ومنجياً، وأنْ يلبسكم لباس عزه وعنايته في الدنيا والآخرة، وأنْ يخلص وجهتكم إليه وانقطاع قلوبكم إليه مثل إخلاصه لوجهات قلوب العارفين والصديقين من عباده، وأنْ يجعل انقطاع قلوبكم إليه سبحانه وتعالى مثل انقطاع قلوب الأقطاب من خلقه، وتلك الحالة من الله للعبد مستكملة لعصمته من كل زيغ، وكل ضلال وكل غفلة عن الله وكل نفريط في حقوق الله وتوجب لصاحبها أنْ يموت على السعادة العظمى التي توجب بعثه مع الآمنين إنّه وليُ ذلك والقادر عليه، وكونك طلبت هذه الحالة مني فاصبر حتى يأتي الوقت إنْ شاء الله، فإنّ لكل شيء أجلاً مقدراً، والسلام عليكم ورحمة الله، انتهى من خطه رضي الله عنه.

(ومما كتب به) إلى أعيان فقهاء سلا بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد الثناء على الله بما هو أهله قال رضي الله عنه: وبعد فقد وصلنا كتابكم وقرأناه وفهمناه ما تضمنه خطابكم، وسألت فيه عن أحوالنا وأحوال أصحابنا، فاعلم أننا والحمد لله بخير وعلى خير، فله الحمد والشكر حتى يرضى بما يرضى، وقد عمنا وعم أصحابنا ما عم عامة المسلمين، فالحمد لله على كل حال، ونسأل الله عز وجل أنْ يحفظنا وإياكم

بلطفه في الدنيا والآخرة، وأنْ يغمرنا وإياكم بسوابغ فضله وكرمه حالاً ومالاً أبداً سرمداً وأنْ يكون لنا ولكم ولياً وناصراً ومعيناً ومؤيداً في جميع أحوال الرخاء والشدة، وأنْ يتحفنا وإياكم بكمال العافية ودوام العافية وعز العافية، والاستتار من جميع نواحينا بالعافية إنّه ولي ذلك والقادر عليه، والذي أوصيك به ويكون عليه سيرك وعملك هو أنْ تعلق قلبك بالله ما استطعت، ووطن قلبك على الثبوت لمجاري الأقدار الإلهية، ولا تعود نفسك بالجزع من أمر الله، فإنّ ذلك مهلك للعبد دنيا وأخرى، وإنْ اشتد بك الكرب وضاق بك الأمر فالجأ إلى الله تعالى وقف موقفك في باب لطفه واسأله من كمال لطفه تفريج ما ضاق وزوال ما اشتد كربه، وأكثر الضراعة والابتهال إلى الله تعالى في ذلك، وليكن ذلك منك على حالة منفرد القلب بالله متفرداً عن الشواغل مثل حالة المرأة الكبيرة السن التي ليس لها إلا ولد واحد أخذ من بين يديها ليقطع رأسه فهي تتوسل بالله وبالناس في كشف ما نزل بها فإنّها في هذا الحال ليس لها همّ غير ولدها، ولا يلتفت قلبها لأمر من أمور الدنيا والآخرة، فإنّ من كان على هذه الحالة وفزع إلى الله تعالى في نزول الكرب والشدائد على هذا الحد، وناداه باسمه اللطيف ما استطاع أسرع إليه الفرج في أقرب وقت، وإنْ لم يكن على هذه الحالة أبطأ به الأمر، وإياك والانهماك في مطالب دنياك حتى تتعدى حدود الله التي حدها في شرعه، فتهلك نفسك، ومالك ملجأ من الله، وانظر إلى قوله ﷺ في الصحيح «ألا وإن روح القدس نفس في روحي إنّه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء شيء أنْ تطلبوه بمعصية الله، فإنّ الله لا ينال ما عنده إلاّ بطاعته»، وهذا البحر هو الذي ترى فيه جميع الخلق غرقى وهلكى، إلا من عصمه الله بفضله؛ ثم الحذر الحذر من تكرر الفزع إلى الله تعالى في كل كرب، فإنّك بذلك يصير لك الجزع من أمر الله عادة، ولا تنتفع بحياتك بل يكون الأمر مرة ومرة تثبت لأمر الله، ولا تجزع ولا تطلب التفريج، ومرة تسأل من الله التفريج، فمن سار إلى الله على هذا المنوال فتحت له أبواب السعادة الأخروية، وتمكن في حياته من الحياة الطيبة الواقعة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧]، وفيما ذكرناه كفاية والسلام عليكم ورحمة الله، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(ومما كتب به) أيضاً رضي الله عنه إلى بعض فقهاء زاوية زرهون عمرها الله بذكره (ونصّه) بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والثناء على الله بما هو أهله قال رضي الله عنه وبعد: نسأل الله جلت عظمته وتقدست أسماؤه أنْ يسلك بك حالاً ومالاً مسالك أوليائه المتقين، وأنْ يوقفك بين يديه مواقف أحبابه العارفين في الدنيا

والآخرة، إنّه ولي ذلك والقادر عليه، ثم إنّك طلبت مني أنْ آذن لك في زيادة الأذكار على الورد فاعلم أني أجزتك في كل ما أردت من الأذكار والأسماء والآيات والأدعية حيثما أردت وكيفما أردت، إلا ما كان من أوراد الشيوخ التي هي لازمة للدخول في طرقهم فلا آذن لك. اعلم أنّ كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ، والأدعية لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة، وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ فإنّ كنت تريد نفع نفسك للآخرة، فاشتغل بها على قدر جهدك، فإنّها كنز الله الأعظم لمن ذكرها، وكل ما تريده من الأذكار فوق الورد فزده منها زائداً على الورد، فقد نصحتك لله؛ وأمّا ما ذكرت من صعوبة انقياد نفسك عليك لأمر الله ودوامها على التخبط فيما لا يرضي فتلك عادة جارية أقامها الله في الوجود لكل من أهمل نفسه، وتركها جارية في هواها أنْ لا يسهل عليه سبيلاً إلى القيام بأمر الله بل لا يرى من نفسه إلاّ الخبث والمعاصي والخروج عن أمر الله، ومن أراد تقويم اعوجاج نفسه، فلينشغل بقمع نفسه عن متابعة هواها مع دوام العزلة عن الخلق، والصمت وتقليل الأكل والإكثار من ذكر الله بالتدريج، وحضور القلب مع الذكر، وحصر القلب عن الخوض فيما يعتاده من الخوض في أمور الدنيا وتمنيها وحبها، وحصر القلب عن جميع المرادات والاختيارات والتدبيرات، وعن أخبار الخلق وذم القلب عن الجزع من أمر الله، فبدوام هذه الأمور تتزكى النفس، وتخرج من خبثها إلى مطابقة أمر الله، وإلا فلا سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً والشيخ في هذه الأمور دال ومعين لا خالق ولا فاعل إذ الخلق والفعل لله، والدلالة للشيوخ والسلام، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً وكتبه العبد الفقير إلى الله أحمد ابن محمد التجاني عامله الله بلطفه، انتهى من خطه رضي الله عنه حرفاً بحرف والسلام.

(ومما كتب به) رضي الله عنه لبعض رؤساء الدولة بعد البسملة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد: حمداً لله جلّ جلاله وعزّ كبرياؤه، وتعالى عزّه وتقدّس مجده وكرمه، يصل الكتاب إلى العلامة النبيه، الدراكة الفقيه السميدع الوجيه حلو الشمائل كريم الأخلاق والفضائل فلان بن فلان السلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، وتحياته ورحمته، من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني الحسني، وبعد؛ نسأل الله جلّت عظمته، وتقدست أسماؤه وصفاته أنْ يجعلك في الدنيا والآخرة من أخيار الأمة، وأنْ يجعلك ممن ينظر فيهم بعين العناية والاستخلاص والمحبة الكاملة منه، وخلوص الاختصاص حتى تكون ذنوبك كلها كلا شيء، وحتى تكون حسناتك مقبولة على أي حالة كنت، وإياك أنْ تستبعد هذا، فإنّ لله سبحانه وتعالى دائرة من فضله جعلها مكنوزة

من وراء خطوط الدوائر التي هي دوائر الأمر والنهي، والجزاء خيراً وشراً والاعتبارات واللوازم والمقتضيات، فإنّ هذه المراتب هي مراتب عموم الخلق، وتلك الدائرة الفضلية هي دائرة اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى لمن شاء من خلقه، وهذه الدائرة جعلها سبحانه وتعالى عنده، فيضها فائض من بحر الجود والكرم لا يتوقف فيضها على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع، بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط، ولا يبالي بمن كان فيها، أو في العهود أم انتهج الصراط المستقيم أم سقط من المعاصي في الطريق الوخيم لا يبالي فيها لمن أعطى، ولا على ما إذا أعطى، ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع، وأمّا ما أعظك به، فاسمع ما يقوله ربنا في كتابه، وكفى به واعظاً قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر كل نفس ما قدمت لغد «إلى قوله» أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ [الحشر: ١٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً «إلى قوله» فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء: ١٣١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله «إلى قوله» وهم لا يظلمون﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها «إلى قوله» يؤمرون﴾ [التحريم: ٦]، واعلم أنّك في مرتبة قد حوت ما لا يحاط به من الخيرات والبرور، وجمعت ما لا ينتهي إلى غاية من البلاء والشرور، وأنت واقف بينهما في هذه المرتبة فراقب الله في قلبك، وانظر إلى خلق الله بعين الشفقة، ولضعيفهم ومسكينهم بعين الرأفة، وقضاء حوائجهم، وإياك والاستهزاء والتواني بهم في تبليغ أمورهم إلى مولانا السلطان، فإنّ لله سبحانه وتعالى نظر في العبد عند كل نظرة ينظرها، فمن رآه من ذوي العلى والارتفاع نظر في خلقه بعين الرأفة والرحمة، وأخفض لهم جناحه، ونظر إليهم بعين إضافتهم لله تعالى، وعظمهم لذلك النظر وسارع في قضاء حوائجهم بما يقدر عليه، وكان منه ذلك لله تعالى نظر فيه ربنا سبحانه وتعالى بعين الرحمة، وعين التكريم والتعظيم، وسارع له في قضاء حوائجه وكلأه كلاءة الوليد من أبيه في إسعاده من بهذه النظرة ظفر من ربه، ومن كان على الأخرى، والعياذ بالله من عدم المبالاة بخلق الله، والتباعد عن قضاء حوائجهم، والتنائي عن رحمتهم، والشفقة عليهم، فجزاؤه ما هو معلوم من النار يقوله سبحانه وتعالى فيمن اتصف بهذه الصفة: ﴿خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه﴾[الحاقة: ٣٠، ٣١] إلى قوله ﴿إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾[الحاقة:٣٣] ﴿ولا يحضّ على طعام المسكين﴾ [الماعون: ٣]، وهذا يكفيك أنْ اتعظت، ونسأل الله لك التوفيق، والرشاد والغرق في بحر الهدى والسداد، إنّه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(ومما كتب به) إلى بعض أحبابه من تجار فاس، (ونصّه) بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال بحمد الله جلّ جلاله، وعزّ كبرياؤه وتقدست صفاته وأسماؤه، يصل الكتاب إلى يد حبيبنا، ورفيع القدر والمكانة من قلوبنا فلان بن فلان السلام عليكم، ورحمة الله وبركاته وتحياته ورضوانه، من كاتبه إليكم محبكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني الحسني، وبعد، نسأل الله لكم جلّ جلاله وعزّ كماله أنْ يعاملكم في الدنيا والآخرة بفضله ورضاه وأنْ ينظر فيكم بعين رضاه ورحمته ومحبته وكلاءته وحفظه وولايته في جميع تقلباتكم وحركاتكم وسكناتكم، وأنْ يكفيكم شر ما يأتي به الليل والنهار من جميع ما ينافي كمال السرور، ويليه إعلامكم عما كتبتم به إلينا من شكواكم بإعطاء مالكم للسائلين ومضايقتهم، وعدم طاقتكم لردهم، فاعلم يا أخي أنّك في هذا الحال مضر بنفسك شرعاً وطبعاً، أمّا من جهة الشرع، فإنّ الله تعالى ذكر في كتابه العزيز حيث مدح عباده المخصوصين بالزلفى منه قال: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك﴾ [الفرقان: ٩٧]، وأمّا وقال سبحانه وتعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال سبحانه وتعالى لنبيه ورسوله وحبيبه وصفيه ﷺ: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما مدحورا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فآت ذا القربى حقه، والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾ [الإسراء: ٢٦]، والنهي عن إضاعة المال ولزوم حفظه هو أمر اجتمعت عليه الأمة، وتعلم بينهم فيه خلافاً (هذا)، وقد سمعت ألفاظ القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وليس لك إلا السمع والطاعة والاتباع، فلا تنهمر في إعطاء المال حتى تنتهي إلى التبذير، فتقع فيما حرمه الله تعالى، ولا تمسك يدك عن الإعطاء حتى تنتهي إلى البخل، فإنّه مذموم شرعاً وطبعاً وكن في وسط الأمرين بين البخل والتبذير، يعني توسط في ذلك، وأعط الله بقدر اتساع ما لك، وقدر مصروفك على أهلك ونوائبك، وعلى قدر ما يدخل يدك من التجارة والأسباب في كل وقت، ومن كان عنده خمسون قنطاراً من المعهود عندكم، وكان كثر الأهل والعيال، وصرف لله في كل يوم مثقالاً أجزاه، ولم يطالب بحقوق المال في شيء، فإنْ زاد وأعطى كل يوم مثقالين فقد أكثر العطاء، وإن زاد على مثقالين كل يوم فقد خرج إلى التبذير، وهذا في غير سائل أتاك جائعاً يطلب خبزة أو خبزتين يأكلهما من واحد إلى اثنين إلى ثلاثة، فلا سبيل لردهم، وإنْ زاد على ذلك، فلا حرج عليك فيما تمنعه من الإعطاء، وإنْ جاءك ما يزيد على هذا فقل لهم يفتح الله علينا وعليكم، فإن ذكر لك وجه الله تعالى ووجه رسوله ﷺ فأعطه من أوقية إلى أوقيتين، ولا عليك فيما وراء ذلك فاحفظ هذا القدر واعتن بتحصين مالك من

التلف، فإنّ مالك به يصان إيمانك بالله تعالى، فإنْ أتلفته أتلفت إيمانك بالله، فإنّه وقع في الخبر أن من الناس من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو افتقر لكفر، ولعله يقصّ عليك حكاية أكابر الأولياء، وإفراطهم في إعطاء المال حتى تفرغ أيديهم من كل شيء طلباً لتأسيك بهم، ولا يقصى عليك هذا إلا جاهل بالوقت وتصاريفه وجاهل بقواعد الشرع وأصوله فلا تلتفت إليه ولا تبال به فإنّه من جنود الشيطان لأنّ الأولياء الذين يذكرهم لك غرقى في بحار اليقين والتوحيد بين يدي الحق سبحانه وتعالى لا يخطر في قلوبهم غيره، ولا يلتفتون لغيره في كل حركة وسكون لأنّ أصحاب هذه المرتبة أصحاب عناية عظيمة من الحق بهم لا يتركهم فارغين، بل يسوق إليهم الأموال من كل جهة على رضا الخلق أو كره منهم، ومع ذلك فهم على بصيرة من الحق سبحانه وتعالى يعلمون منه لغامض العلم اللدني الذي وهبه الله لهم إنّ كل ما يحب منهم فراغهم من الدنيا وتفريغها عنهم، ويهب لهم من قوة الصبر والرضا واليقين عندما تشتد بهم الحاجة إلى المال في نوائب الدهر وصروفه حتى لا يحس بألم ذلك الاحتياج، أصحاب هذه المرتبة لا يلام أحدهم في تفريق الدنيا كلها في ساعة واحدة، وأمّا أنت وأمثالك، فليست لكم تلك القوى، واعرف المرتبة التي أقامك الله فيها وقف عند حدها، وتصرف في أحكامها ولا ترق بنفسك إلى مراتب أهل الخصوص إذ ليست لك قوتهم، وقد قيل في المثل: النملة لا تحمل حمل الجمل، فإنْ أرادت التعدي إليه تخطت طورها ولا قوة لها على ما تريد، وإنّ للشيطان لعنه الله مكراً خفياً بصاحب المال إذا رآه تقياً مقيماً لأمر ربه فيما يقدر عليه كافاً كثيراً من شره منغمساً في كثير من أمور التقوى، ويراه في ذلك مطمئناً بماله لا ينزعج، فيأتيه للعين بمكره الخفي، ويسوق الناس إليه لطلب العطاء لله، ويخوفه في قلبه من منعه لهم، يقول له في قلبه إنّ رددت هؤلاء سخط الله عليك أو سلبك نعمته، ولا يزال يستدرجه في مثل هذا، وقصده أنّ يفرق عنه المال ليذهب دينه وإيمانه فلا يزال كذلك إنْ لم يكفّ عنه حتى يفرق جميع ماله، فإذا فرقه وقع التشويش في قلبه فيريد أن ينفق نفقته التي كان ينفقها في سعة اتساع المال فلا يجد السبيل إليها، فيقع التشويش والترويع له من أهله طلباً لما اعتادوه من اتساع النفقة، فإنْ لم يأتِ بها آل الأمر بينه وبين أهله إلى اتساع السخط والغضب والعداوة فيكثر عليه الضيق والغيظ فلا يجد وقتاً يذكر فيه ربه، ولا يؤدي فيه أمراً من طاعة ربه، وربما أضاع عليه فرض الصلاة، فيحمله ذلك على أخذ الدين من الناس، وإتلافه في النفقة فعن قريب يحل به البلاء والويل من عدم وجوده ما يقضي به دين الناس، ويصبح في زمرة الهالكين، فقد تلف دينه وعقله ودنياه وآخرته، فهذا مراد الشيطان منه فيما كان يرغبه فيه من الإعطاء لله وعدم المنع، فاحذر هذا المكر وفيما ذكرناه لك كفاية.

وأمّا ما ذكرت لنا من أمر أورادك، فإنْ قدرت على أنْ تأتي بالفاتح لما أغلق الخ مائتين بين الليل والنهار زائدة على ما في الورد المعلوم واجعل في اليوم والليلة مائة مرة من قولك: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله من ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم، فمرة واحدة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار في ذكر الله تعالى، واترك عنك تلك الأذكار مع الفاتحة على ما ذكرت، وإنْ قدرت على أنْ تجعل بين اليوم والليلة عشرين مرة من قولك هذا الدعاء وهو يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك الستر يا عظيم العفو، ويا حسن التجاوز، ويا واسع المغفرة، ويا باسط اليدين بالرحمة، ويا سامع كل نجوى ويا منتهى كل شكوى ويا كريم الصفح، ويا عظيم المن ويا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها يا رب، ويا سيدي ويا مولاي، ويا غاية رغبتي أسألك أنْ لا تشوه خلقتي ببلاء الدنيا، ولا بعذاب النار انتهى، واجعلها متفرقة، أو مجموعة، واحضر قلبك عند التلاوة قدر ما تطيق، فإنّ المحضور هو روح الأعمال، واعلم أنّ هذا الدعاء أتى به جبريل إلى النبي ﷺ، فقال له يا رسول الله إني أتيتك بهدية، فقال له ﷺ: «**وما تلك الهدية يا جبريل**، فذكر له هذا الدعاء، فقال له ﷺ: «**ما ثواب من قرأ هذا الدعاء**» قال له جبريل: لو اجتمعت ملائكة سبع سموات، على أنْ يصفوه ما وصفوه إلى يوم القيامة، وكل واحد يصف ما لا يصفه الآخر، فلا يقدرون عليه، ومن جملة ذلك أنّ الله يقول فيه: أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت في سبع سموات، وفي الجنة والنار، وفي العرش والكرسي، وعدد قطر المطر والبحار وعدد الحصا والرمل، ومن جملتها أيضاً أنّ الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق، ومن جملتها أيضاً أنّ الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبياً كلهم بلّغوا الرسالة إلى غير ذلك، وهذا حديث صحيح ثابت في صحيفة عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص من أكابر الصحابة رضي الله عنه صححه الحاكم، وقال رواته كلهم مدنيون، واترك عنك جميع الأذكار فلو ذكرت أذكارك التي تذكر مائة ألف عام من غير الفاتح لما أغلق الخ لم تبلغ مرة واحدة منها ففيها كفاية عن جميع الأذكار. وأمّا ما ذكرت من تفرغ قلبك إلى الاشتغال بالله وعدم المبالاة بسواه، فاعلم أنّ لذلك وقتاً وأجلاً ليس هذا وقته، واعلم أنّ ذكرك للفاتحة بنية كذا وكذا يغنيك عن جميع الأمور، وكل العبادات إذا جمعت بالنسبة إليه كنقطة في بحر ولازم ما ذكرناه لك، فلو اجتمعت عبادة جميع العارفين ما بلغوا مرة واحدة منها، ونسأل الله لكم ولأولادكم، وجميع متعلقاتكم أنْ يجعلكم في كفالة الله وكفالة رسوله ﷺ في الدنيا والآخرة إنّه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه من حفظه ولفظه.

(وكتب هنا) في هذا المحل بخطه الشريف قال العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني كل ما كتب في هذا الكتاب في أوله إلى آخره كله بإملائنا على الكاتب حرفاً حرفاً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

(ومما أوصى به) كافة أصحابه، وغيرهم ونصّ الوصية بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال رضي الله عنه: وصية لكل من أراد نصيحة نفسه ونصيحة ربه الجارية على حد قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**» قالوا لمن يا رسول الله قال: «**ولرسوله ولكتابه ولعامة المؤمنين وخاصتهم**» فأول ذلك تقوى الله الذي لا إله إلاّ هو الواقعة في وصية علي لأولاده رضي الله عنهم وهو أنه قال: يا بنيّ أوصيكم بتقوى الله العظيم في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا، والغضب والعدل على الصديق والعدو، والقصد في الغنى والفقر، ثم بعد ذلك الفزع إلى الله تعالى واللجأ إليه من ضغط كل لاحق من الأمور، وتعلق القلب به سبحانه وتعالى على قدر مرتبة صاحبه، والحياء منه سبحانه وتعالى الجاري على حد قوله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحي والحمد لله قال: ليس ذلك كذلك، ولكنّ الحياء أنْ تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى**»، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حق الحياء، وهذا الحياء الذي خاطب به رسول الله ﷺ خطاب العامة، أما الحياء في حق الصديقين فهو إطراق الروح من هيبة الجلال كما يقول بعض العارفين:

أشتاقه فإذا بدا طرقت من إجلاله ... لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله

وأصد عنه تجلداً وأروم طيف خياله ... فالموت في أدباره والعيش في إقباله

وكما قال بعض العارفين رضي الله عنه:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على شفا الشوك والمحمي من الأبر

لم نبلغ العشر من معشار نعمته ... ولا العشير، ولا عشراً من العشر

ثم أنشد بعدها أبياتاً، وغاب في وسط الخلق، وكان في موقف عرفة، فسألت عنه فقيل لي: هو أبو عبيدة الخواص، وله منذ أربعين سنة ما رفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى، وهذا هو حياء العارفين، ثم التقرب إلى الله تعالى بمحق العلائق، وقطع العوائق، وترك الملابسات والمساكنات والملاحظات لا لغرض، ولا لتختل على الله تعالى بل قياماً بحق عظمته وجلاله وحباً لذاته، لكن كل شخص في هذا على قدر مقامه ورتبته، ومن ابتلي بشيء من مخالفة هذا الأمر، فليرجع إلى الله تعالى بالضراعة والابتهال والاستغفار والانكسار والتذلل والاحتقار معترفاً بين يدي الله تعالى بعجزه وضعفه، ثم الوقوف مع الله تعالى بلزوم الذل والمسكنة في مركز الافتقار والاضطرار وخوف القلب من مزعجات

سطوته، وفرقاً من خفي مكره ولزوم الرضا والتسليم له سبحانه وتعالى لكل واقع في الوجود بلا انزعاج، ولا اضطراب ولا طلباً لزواله إلا ما كان من أفعال نفسه، فليبادر إلى التوبة فيما وقع من خروج أفعاله عن الشرع، فإنّه لا يحل البقاء في ملابسته شرعاً، وإنْ يعلم أنّه من حكم الله فلا عذر له في ترك التوبة، وليعمل بعضاً من أوقاته فيما يجري على يديه من النفع لعباد الله لا عموماً بل خصوصاً الأقرب فالأقرب من غير إفراط ولا تفريط، وليكن شديد الاهتمام بحقوق إخوانه في طريقته التي لا يمكنه التأخر عنها لكن ملازمة الواجب منها فقط من غير أنْ يجعلها هجيراء، فإنّ لكل عاقل أوقاتاً يخلو فيها بربه لا يمكنه التأخر عنها والاشتغال عنها، وأوقاتاً يجالس فيها إخوانه في الطريقة لله تعالى لتذكير أو تعليم واستفادة مما لم يكن عنده من العلم من غير إفراط ولا تفريط، ثم ليتحين في خلوته مع الله تعالى الأوقات الفاضلة كوسط الليل بعد نوم الناس إلى طلوع الفجر، وبعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى، وبعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء عاملاً في ذلك بالتشديد والتقريب في معرفة ما يقدر عليه وما يوجب للنفس كسلاً ولا ضجراً جارياً على حد قوله ﷺ **«إن هذا الدين يسر، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربو، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وبشيء من الدلجة»**، وقوله ﷺ: **«إنّ هذا الدين متين فتوغل فيه برفق، ولا تبغض لنفسك عبادة الله فإنّ المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»** الحديث، وقوله ﷺ: **«خذوا من الأعمال ما تطيقون فإنّ الله لا يمل حتى تملوا»** وليحذر كل الحذر من المجالس ومآخذ العلم التي تؤدي إلى الدخول في مداخل العامة أو الأحوال المخزنية، فإنّ من تبع ذلك لا يفلح لا في الدنيا ولا في الآخرة، وليكن اهتمامه بالأخذ في خاصة نفسه ولا يجعل لإخوانه في منافعهم إن أهل لذلك إلاّ ما فضل عن أوقاته.

قال مالك رضي الله عنه: وقد سُئل عن طلب العلم، فقال: حسن ولكن اعرف ما يلزمك من صباحك إلى مسائك فالزمه، فإنّه آكد على لوازم الشخص في خاصة نفسه من الأمور التي يطالبه الله بها، ولا يسامحه في تركها، ومن أعرض عن ذلك متعللاً بطلب العلم، فقد خسر الدنيا والآخرة، والقول الحق في ذلك فليس لك إلاّ الله سبحانه وتعالى، فلا تشتغل عنه بغيره، ولا تجعل لنفسك إلى سواه منتجعاً، ولا إلى الإعراض عن بابه تعللاً، ولا عن الانحياش إليه في الشدائد والمضائق والكروب ملجأً، ولا في الرخاء وتواتر النعم عن مراعاة شكره مصرفاً، وليكن الأمر في ذلك جارياً على قول أبي العباس المرسي: أوقات العبد أربعة لا خامس لها وهي إمّا أنْ تكون في وقت نعمة، فمقتضى الحق منك وجود الشكر، أو تكون في وقت شدة، فمقتضى الحق منك وجود الصبر، أو تكون في وقت معصية، فمقتضى الحق منك وجود التوبة، أو تكون في وقت الطاعة فمقتضى الحق

منك شهود المنة، وهذه الحدود التي ذكرها فيها استغراق أوقات العبد كلها، وهي المذكورة في قوله ﷺ: **«من أعطى فشكر وابتلي فصبر، وظلم فاستغفر، وظلم فغفر»**، ثم سكت ﷺ حتى قال بعض الجالسين: ماذا له يا رسول الله؟ قال: ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام: ٨٢] أراد ﷺ بقوله لهم «الأمن» يعني لهم «الأمن من عذاب الله في الآخرة»، وهم مهتدون في الدنيا، وليكن في جميع ما ذكرناه أنْ يكون خالصاً لله لا يخالطه شيء من غير الله تعالى، وهذه الوصية لأصحاب الحجاب، وأمّا من صفت له المعارف حتى رسخت قدمه فيها فهو مع ما يعطيه وقته وحاله ومقامه وتجليه، ليس له عن نفسه اختيار، ولا مع غير الله قرار، والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، انتهى بحمد الله تعالى من إملائه علينا رضي الله عنه من حفظه ولفظه والسلام.

(وما كتب به) إلى بعض الأمراء، (ونصّه) بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ: بعد حمد الله مثل جميع ما أثنى به على نفسه في حضرة ذاته الغيبة من حيث لا اطلاع لغيره عليه جلّ جلاله وعزّ كبرياؤه وتعالى عزّه وتقدّس مجده وكرمه، يصل الكتاب إلى الدرة اليتيمة والنسمة الكريمة ذي الأوصاف الجليلة شرفاً، والأخلاق البهية ترفاً، والجوانب الواسعة كنفاً الجوهرة التي انطبقت عليها أفراد الأحياء صدفاً، حلو الشمائل كريم الأخلاق والفضائل الحائز قصب السبق إلى ملاك كل غالي، والمرتفع في أوج العز إلى معانقة المعالي رافع راية العلى والكرم والسامي بعلو همته عن مواقف الذل والتهم، من أحدقت به من الله جنود العز والتأبيد وأهرعت إلى حماه سوابق الجلالة والتفريد، من طلعت شمس سعده في سماء المجد والعلا وضياء بدره في غياهب الوقت قد تجلى، أعني بذلك أمير المؤمنين خليفة رب العالمين سيدنا ومولانا فلان بن فلان الشريف الأصيل الماجد الأثيل، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني الحسني هذا ونسأل الله لك جلت عظمته، وتقدست أسماؤه وصفاته أن يديم على سيدنا عواصف رياح نصره وتأييده، وأنْ يحمله من رياض الهدى محل توفيقه وتسديدة، وأنْ يملأ قلبه بالخوف من الله في سره وعلانيته فإنّ تلك المرتبة ما سعد من سعد في الدارين إلاّ بها، ولا فاز برضا الله من فاز في الدنيا والآخرة إلاّ بها، ويا لها من مرتبة ترقى بالعبد إلى أوج ملاك المعالي، وتطهره من رذائل الأخلاق التي تهبط به إلى حضيض الاتصاف الرذيلة اليوالي إنّه ولي ذلك والقادر عليه (وبعد)؛ فالذي أوصيك به كل الوصية بل هي واجبة من خالفها هلك، وهو الكتم عما ذكرناه لك قيل: ثم الكتم مطلقاً من غير استثناء، فالأسرار قبورها صدور الأحرار، والأسرار قبورها صدور الأخيار، والأسرار قبورها صدور الكبار قال بعض الكبار:

السر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتيحه، والباب مقفول

وليس يكتم السر إلاّ ذو كرم والسر عند لئام الناس مبذول

والتي تسمع في الوصية أنّه ما استغنى عن الوصية من غيره لا كريم ولا كامل، اعلم أنّ الله عزّ وجلّ قد ولاك أمر خلقه وائتمنك على بلاده وعباده، فأنت أمين من أمناء الله في بلاد الله وعباده، والله سائلك عن أمانته، وعما فعلت فيها، فاحذر من الله أنْ يجدك فرطت أو اشتغلت عن أمره بلعب لكن تكمل الأمر من كل وجه لا يستطاع بحكم الوقت والحال، وعدم المساعف وعدم القابلية في الحق لكن ليكن سيرك على حد قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن: ١٦] وعلى حد قوله ﷺ: «**إذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا**»، وأحذرك بما سمعت من الخصوصية التي أعطيتها من فضل الله تعالى فلا تأمن مكر الله في حال من الأحوال قال سبحانه وتعالى: ﴿فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون﴾[الأعراف:٩٩]، فإن الله سبحانه وتعالى من وراء خصوصيته مكراً وتدبيراً، وغيره يؤاخذ عبده بها من حيث لا يظن، وإنْ كان من ذوي الخصوصيات، وأوصيك في الضعفاء من الخلق فإنهم محل نظر الله من خلقه، فعلى قدر اعتنائك بهم ترتفع رتبتك عند الله، وأوصيك بالمظلومين يقول ﷺ مما معناه: «**من ولاه الله ملكاً فأتاه ذو الحاجات فاحتجب عنهم احتجب الله من حاجته**» الحديث، ومعناه إن احتاج الله في أمر نزل به فرفع حاجته إلى الله مستغيثاً مما نزل به احتجب الله عن حاجته فلا يلتفت إليه ولا يعبأ بدعائه واستغاثته، فالله الله دبر كيف ترضي ربك في حوائج المظلومين، ولا تتغافل ولا تفرط والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسلام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(ومما كتب به) إلى بعض أصحابه (ونصّه) بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الخ ما قال: وأنا أظنّ أنّه تعلق قلبك بما سمعت وقوعه لفلان ظناً منك أني آثرته، فاعلم أنّه لم يقع منه شيء لكني أخبرك بأمر لا علم به لأحد هو أنّ لله نفحات، وتوقعات من الغيب يهبها لمن يشاء لكنه سبحانه وتعالى يبعث تلك النفحات على أيدي صور الغيب يظهرها الله متصورة في صور بعض الأولياء الأحياء أو الأموات، تلقى تلك الصور بعض الأسرار التي يقع عنها الفعل والانفعال، أو بعض النفحات لمن أراد الله في النوم أو اليقظة، فينتفع بها من ألقيت إليه ويراها إلى الصورة في صورة لي يعرفه، فيقول من نال ذلك أعطاني سيدي فلان السر، ولا علم لذلك الولي بشيء مما ذكر، ثم إنّ من وقع له ذلك شرط انتفاعه أنْ يدوم اعتقاده، وتعظيمه لذلك الولي الذي وقعت الصورة على صورته فإنْ ساء اعتقاده في ذلك الولي الذي جاءته الصورة على صورته، وأنقص تعظيمه من قلبه سلبه الله سره، وتحولت عنه تلك الصورة، فلا تأتيه أبداً ولا ينال سراً أبداً، وبقي في ذل

وإهانة، انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

(ومما كتب به) إلى بعض أصحابه بتونس بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد: نسأل الله عزّ وجلّ أنْ ينزل عليك اللطف والراحة مما تشتكي منه، ونسأله سبحانه وتعالى أنْ ينظر فيك بعين اللطف والرحمة، والمعافاة من كل بلية، وأنْ يبلغك جميع الآمال، وأنْ يتكفل بقضاء جميع حوائجك في الدنيا والآخرة، ونسأل منه سبحانه أنْ يفيض عليك بحور الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، وأنْ يفيض عليك بحور رضاه وفضله في الدنيا والآخرة آمين، وأمّا ما كتبته لي وأخبرتني به من تصرفات الأولياء السابقين طالباً مني أنْ أفعل في ضررك مثل ذلك كي تستريح، فالجواب: أنّ أحوال الأولياء لا تجري على قانون واحد، ولا في سبيل واحد، ولا حيث كل ما أرادوا، بل الأمر في ذلك موكول إلى الله جارياً على قانون مشيئته، فما قام ولي في أمر باختياره، ولا تصرف ولي في شيء بأمره وإرادته، بل ذلك كله جار على حكم مشيئة الله، فإنّه هو الفاعل لما يريد، فكم من ولي يجري في إظهار الكرامات على القانون الذي تعلمه العامة حيث شاء وكيف شاء، وكم من ولي عظيم القدر عالي المقام قد أدبر عن الكون إليه بحيث أنْ لا علم له بكل ما سوى الله، فإذا أراد التصرف وإظهار الكرامة على حد ما هو معروف للأولياء منع من ذلك بحكم مشيئة الله لأمر يعلمه الله لا يعلمه غيره، قال الجنيد رضي الله عنه: لقد مشى باليقين رجل على الماء، ومات بالعطش رجال أفضل منهم، ثم إنّ الأمر الذي طلبته مني في التصرف في زوال ضررك لم أجد إليه سبيلاً، ولا حيلة ولا تعويلاً، وكل بقضاء الله وقدره، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والخواص على الجملة والتفصيل لا تدخل تحت القياس، والحكم لله بحكم مشيئته في جميع أحوال الناس وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً انتهى من خطه حرفاً حرفاً من غير واسطة والسلام.

الفصل الخامس: في مسائله الفقهية وفتاويه العلمية

(سُئل رضي الله عنه) عن الحكم الشرعي (فأجاب رضي الله عنه) بقوله: حقيقة الحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين الخ فأما في نص الكتب الإلهية، فظاهر التي هي عين قول الله بذاته مثل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان الخ، وأمّا ما أمرت به الرسل خارجاً عن الكتب، فالأمر فيه مشكل وزوال إشكاله أنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: ٦٤]، وقوله: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله: ﴿وإنْ تطيعوه تهتدوا﴾ [النور: ٥٤]، وقوله: ﴿ومن يشاقق الرسول «إلى أنْ قال» ونصله جهنم﴾ [النساء: ١١٥]، فهذه الآيات مصرحة بأنّ أمر الرسول هو عين قول الله، وإنّ الله تعالى أمر بطاعة الرسول في كل ما أمر به ونهى

عنه، كما قال في الآية الأخرىٰ ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، ثم إنشاء الرسول للحكم الذي ليس هو في الكتاب المبعوث به هو أمر إلهي لا يشك فيه أنّه من عند الله، وأخذه للحكم من عند الله بأحد أمور، إمّا من طريق النسب، وهو أمر قطعي، وإمّا من طريق الأسرار، وهو أمر قطعي أيضاً، وإما من طريق الإلهام وهو قطعي أيضاً، أمّا من طريق بورود الملك عليه بأمر الله مجرداً عن قول الله الذي نشأ به الأمر، وهو قطعي، فأمّا النسب فهو أمر معلوم للرسل عليهم الصلاة والسلام في الحضرة الإلهية كلها متناسبة على قانون لا تنافره الحكمة أنْ تلد الآدمية حماراً أو جملاً ولا عكسه لعدم التناسب، فإنّ الاقتطاع الإلهي، وإنْ كان أمراً صادقاً لا يتوقف على وجود شيء ولا عدمه، لأنّه اقتطاع بحكم المشيئة، وهي لا تتوقف على شيء ولكنه جعل له في عالم الحكمة نسباً حكيماً أنْ لا يقع الاقتطاع الإلهي إلاّ في قابلية طبيعية لا غير، فإنّ الزرع مثلاً لا يصح زراعته على الحجر الصلد الصماء، ثم يتخللها زرعاً كاملاً، ويخرج كما هو في التراب الطيب، فلا يتأتى لعدم النسبة القابلية له، ولا يتأتى مثلاً خروج الزرع بعد بذره في أرض إلاّ بتراب طيب وقذف ماء أو ثرى فيه، ثم تنمية الرياح والشمس له إلى أنْ يصير زرعاً كاملاً وبدون هذه الأمور لا يخرج زرعاً كاملاً لعدم المناسبة لفقد القابلية الطبيعية وهكذا؛ وأمّا طريق الأسرار فهو علم ثابت للرسل عليهم الصلاة والسلام مهما أمرهم الله بأمر أو نهاهم بنهي أطلعهم على سر ذلك نفعاً وضراً وهذا معقول لهم معلوم من الأمر الإلهي، فإذا علم الرسول في الأمر أيّ أمر لم يأتِ فيه قول الله تعالى ووجد السر الذي عاينه في أمر الله تعالى في أمر آخر أمر به أو نهى عنه للسر الذي علمه، هذا هو الحكم من طريق الأسرار؛ وأمّا طريق الإلهام فهو إما بالتلقي أو بالإلقاء، أو باللقاء، أما التلقي: فهو توجه الرسول عليه الصلاة والسلام بكلية باطنه إلى حضرة الحق في طلب العلم كشفاً، فيجاب في الحين أنّ الحكم فيه كيت وكيت أمراً ونهياً، وهو قطعي، وأمّا الإلقاء، وهو أمر يتوجه من الحق إلى سر الرسول عليه الصلاة والسلام على بغتة من الرسول، وعلى غير توجه منه لطلب السؤال عن الحكم فهو الإلقاء، وكلا الأمرين يطلق عليهما إلقاء تلق إلا أنّهما يفترقان فيما يتوجّه فيه الرسول إلى الحضرة، وما جاء على غير توجه، وأما اللقاء فلا يذكر ولا يعلمه إلاّ أربابه، وأمّا الوحي فيأتي فيه الملك بأمر الله مخبراً بأمره أمراً ونهياً للرسول عليه الصلاة والسلام، لكن ورود الملك بالأمر مجرداً عن قول الله المسموع من ذاته، وذلك الأمر في حقيقته لم ينشأ إلا عن قول الله تعالى انتهى.

وخطاب الله تعالى على قسمين: خطاب في عالم الحكمة، وخطاب في عالم المشيئة، وكلا الخطابين صحيح ثابت يجب اعتقاده والإيمان به، فخطابه في عالم الحكمة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] أي لأوجب

عليهم عبادتي فإنّ وفوا بها أثبتهم، وإنْ خالفوا استحقوا هم العقوبة مني، والخطاب في عالم المشيئة قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة «إلى قوله» خلقهم﴾ [هود: ١١٨]، ومن الخطاب في عالم الحكمة قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: ٦٤]، والخطاب في المشيئة قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ إلى قوله تعالى ﴿إلاّ أنْ يشاء الله﴾ [الأنعام: ١١١]، ففي الآية الأولى قوله: وما أرسلنا من رسول الخ أثبت الإيمان مملوكاً للعباد، وفي الآية الثانية جردهم عن الإيمان، وأنّه لا يكون إلا بمشيئته، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه)، ونصّه بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ كتاب أسئلة تعرض على علماء الإسلام ممن لهم النظر التام والاستبصار الكامل العام في فهم معاني نصوص الكتاب، ومعرفة مقاصدها ليجيبوا عن هذه الأسئلة.

(السؤال الأول:) إمرأة تحت حكم زوجها بلزوم عصمته الشرعية في بلد لا حاكم بها يأخذ من الظالم الإنصاف ويعين المظلوم بالنصر والإسعاف، لكون البلد مهملاً من الحكام، ويصعب الوقوف فيها على تحقيق شرعة الأحكام. ثم ذهبت من دار زوجها لدار أهلها بغير إذن زوجها، فلما ذهب يردها امتنعت منه بكل وجه وقالت: لا أرجع إليك أبداً إلاّ أنْ تلتزم لي في ذمتك إنْ تزوجت عليّ فأنا منك طالق بائن بكل ما يلزمك من صداقي، وإلاّ فلا أرجع إليك أبداً، والحال إنّها لم يكن منها ذلك عن ضرر نالها، ولا لضيق منه أوجب ذلك لها إلاّ قصد أنْ تمنعه من نكاح غيرها، ولم يكن ذلك حين العقد إنّما كان بعد الدخول بكثير، فالتزم الزوج ذلك كله لها، وأنعم لها به؛ فهل هذا الالتزام للزوج المذكور لازم له بحكم الشرع أم باطل؟

(السؤال الثاني:) خروج المرأة من دار زوجها بغير إذنه خروجاً تمتنع فيه بدار أبيها مظهرة للنشوز من زوجها، والحال أنّها لم يلحقها ضرر قليل ولا كثير يوجب ذلك النشوز لها وحلف الزوج بعده لا مشى إليها ولا طلقها حتى تأتي إلى داره وحدها أو مع أبيها أو أمها، وإلاّ تركها معلقة، ويتزوج هو ويتركها.

(السؤال الثالث:) إذا كانت هذه المرأة التي وقعت السؤالات عنها حاملاً من زوجها المذكور وفرّت بحملها إلى دار أبيها ناشزاً من زوجها، ثم وضعت هذا الحمل، وامتنعت من إرضاع الولد هل عليها إرضاعه أم لا؟

(السؤال الرابع:) لم نكتبه هنا بل وحده لقلة الكلام فيه وبيان بطلانه لكن من له أدنى فهم.

(الجواب) الأول عن السؤال الأول والله الموفق للصواب: أنّ هذا الالتزام الواقع من

الزوج المذكور، لهذه المرأة المذكورة على هذه الصفات من البلد والوقت كله باطل لا يلزم الزوج فيه طلاق، ولا تحمل ولا غير ذلك، وبيان ذلك أنّ الزوج المذكور مكره على التحمل لما تحمل لأنّ عصمته وطاعته على زوجته ثابتة بحكم الشرع، فليس لها أنْ تمتنع منه حتى تأخذ منه شيئاً، أو تجحده عن نكاح غيرها إذْ لا حقَ لها في ذلك فهي ظالمة له، وحيث تحمل هو ذلك بحكم الإكراه لا يلزمه لأنّ حقه ثابت في رقبتها، ولا تملك منه انفكاكاً، وحيث امتنعت منه بغير موجب شرعي، ولم يقدر على فراقها لشدة حاجته إليها ولا حاكم يقهرها على ردها إليه، فالتزامه لما طلبت منه كرهاً لا يلزمه منه شيء، وهو بمنزلة من غصب مالاً من شخص بلا شبهة ولا حق فلما طلب المغصوب منه من الغاصب ردّ ماله قال له: لا أرد لك مالك إلاّ أنْ تعطيني كذا وكذا مالاً، أو غير ذلك، فأعطى للغاصب ما طلب منه طلباً لرد ماله، فلما أعطاه الغاصب ماله طلب المغصوب منه من الغاصب، أنْ يرد له ما أعطاه على ردّ المال امتنع الغاصب من رد ما أخذ على رد المال، محتجاً بأنّه أعطاه باختياره، فلا رد له، وحكم الشرع أنْ يرد الغاصب ما أخذه من المغصوب منه على ردّ المال الأول لأنّ المغصوب منه أعطى ما أعطى على ردّ ماله، وحيث قدر على الانتصاف من الغاصب، فله أخذ جميع ما أعطاه، ومسألة هذه المرأة التي ذكرناها مثل مسألة الغاصب سواء لأنّ كل من أوجب عليه الشرع حقاً لغيره فأداؤه إلى صاحبه لازم شرعاً، فإن حبس ذلك الحق حتى أخذ عليه شيئاً، فأخذه حرام والدافع مكره لا اختيار له فيما دفع، وأمر الإكراه اجتمعت عليه الأمة على رفعه، وعدم لزوم حكم الإكراه، ولو بلغ ما بلغ؛ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنّما هلك من هلك ممن كان قبلكم لحبسهم الحق حتى يشتري، وعدم رفعهم الباطل حتى يفتدي وصح عنه ﷺ قال: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**لا طلاق في إغلاق**» والإغلاق في اللغة هو الإكراه، ومعناه لا طلاق في إكراه، وثبت عن مالك رضي الله عنه إمام مذهبنا أنّه استفتاه أمير المدينة في طلاق المكره على طلاق هل يلزم؟ فأفتاه الإمام بعدم لزوم طلاق المكره، وكان قصد الأمير من الإمام أنْ يصحح له طلاق المكره، فحينئذٍ أخذ الإمام، وعمل به صورة الذل من تعرية رأسه وأكتافه والجلاد يطوف به في المدينة، وينادي عليه هذا جزاء من يعصي الأمراء، ويضرب ويقال له: قل هذا جزاء من يعصي الأمراء فيقول مالك رضي الله عنه: وهو في ذلك الحال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس طلاق المكره ليس بشيء، فيتمادى الجلاد في جلده، ولا يقلع هو عن ذلك القول؛ وإذا عرفت هذا، فاعلم أنّ ما التزمه الزوج المذكور لزوجته المذكورة باطل لا يلزمه منه شيء لما أوضحناه من بيان إكراهه، وإجماع الأمة على رفع حكم الإكراه لما تقرر في ذلك من الأحاديث، نعم لو

كان بالبلد حاكم منصف للحقوق قادراً على تنفيذ الأحكام قاهر للعامة والسوقة بخوف سطوة الانتقام، والتزم الزوج المذكور للزوجة المذكورة ما التزمه مما ذكر، ولم يرفع أمره إلى الحاكم للزم الزوج ما التزمه لأنّه حينئذٍ ملتزم باختياره لكونه يقدر على رفع ذلك الظلم برفع أمره إلى الحاكم المذكور، وأمّا إنْ كان ما التزمه الزوج المذكور للزوجة المذكورة بعد هربها عنه لضرر لحقها منه، فالحكم أنّ الالتزام من الزوج المذكور إنْ كان من ظلم صدر منه لزوجته، والحال أنّ ذلك الضرر يوجب تطليقها منه بحكم الشرع، فألزمه لها ما التزمه لازم له لأن عصمته منحطة عنها لكونها لها إبقاؤها، ولها حطها لتقرير الحق لها بوقوع الظلم الموجب لتطليقها، وإنْ كان ذلك من الزوج لا يوجب تطليق الحاكم لها لخفته حيث يجب عليه رفعه والأدب معه، وحينئذٍ طلبت هي من الزوج ما طلبت من التزام طلاقها إنْ تزوج عليها، فالتزامه باطل وهو إكراه لكون حق عصمته باق في رقبتها، ولا حق لها فيما زاد على رفع الظلم أصلاً، وهو بمنزلة شخصين ظلم كل منهما الآخر من وجه لم يظلمه منه الآخر، والحكم أنّ كلاً منهما يؤمر بزوال ظلمه فقط بلا زائد، وفي هذه الواقعة الزوج ظالم بالظلم الخفيف يؤمر برفعه، والمرأة ظالمة بإلزامه الطلاق، وهو لا يلزمه تأمر برفع ما ألزمته، وقد شاعت هذه القولة عند أهل المذهب وهي:

ومالك ليس له بلزم ... في مكره في الحنث، أو في القسم

فالرجل المذكور أولاً تعين حقه في رقبة المرأة المذكورة بحكم الشرع، ولا يقدر على الوصول لحقه لفقد الحاكم، ولا يقدر على ترك حقه في رقبة المرأة المذكورة لشدة حاجته إليها، فألزمته المرأة المذكورة، إما فراقها وبينونتها من عصمته، ولا يقدر عليه، أو يلتزم لها بينونة الطلاق إنْ تزوج عليها، فالتزم لها بينونة طلاقها إنْ تزوج عليها كرهاً، وطلباً لوصول غرضه إلى ما أراد منها حيث أوجبه الشرع عليها بدون تعليق، فلما لم يقدر عليها ولا منصف ينصفه منها التزم قهراً لوصوله إلى حقه منها، فهو مكره من غير شك عند من عرف صور الإكراهات في الشرع، انتهى الجواب الأول.

(ثم الجواب) عن السؤال الثاني والله الموفق للصواب: اجتمعت الأمة كلها على وجوب طاعة الزوجة لزوجها في كل ما يأمرها به وينهاها عنه وفي كل ما يطلبه منها، اللّهم إلا أن يكون ذلك في معصية الله، أو في أمر يشق عليها ركوبه فلا طاعة للزوج في ذلك عليها، أمّا المعصية، فدليلها قوله ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**، وأمّا ما يشق عليها فقوله سبحانه: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ [النساء: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وتكليف الزوجة ما يشق عليها خارج عن المعاشرة بالمعروف إذاً ذلك ظلم يوجب تطليق الحاكم إنْ تكرر منه، ويلزم أدبه وزجره إنْ لم يتكرر، وأمّا فيما عدا المعصية، والأمر الشاق عليها، فطاعته عليها واجبة

بكل وجه وبكل اعتبار لأنّ طاعة الزوجة لزوجها هو مقتضى الحكمة الإلهية، وبيان ذلك أنّ مطلوب الحكمة الإلهية هو عمارة الدارين الجنة والنار من بني آدم، وذلك يستدعي التناسل بين الذكر والأنثى والتناسل بين الذكر والأنثى يستدعي عقد نكاح شرعي لا اختيار فيه لكل منهما بعد انبرامه، والتناكح الذي هو شرط في النسل يستدعي حسن المعاشرة بين الذكر والأنثى إبقاء عليهما من كون كل منهما يسعى في توفية غرض الآخر، فمتى تنافرت أغراض الذكر والأنثى وقعت في المعاداة والفراق وبطل مقصود الحكمة الإلهية وهو النسل، فالزوج لا يستقر مع الزوجة إلاّ بامتثال أمره، فمتى لم تمتثل أمره وقع التنافر والفراق، والمرأة لا تستقر مع الزوج إلاّ بمعاشرتها بالمعروف، فمتى لم يكن وقع التنافر والفراق، فظهر من هذا أنّ مقصود الحكمة الإلهية هي وجوب طاعة الزوجة لزوجها، يدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ومما أنفقوا من أموالهم﴾ [النساء: ٣٤]، وهذه صورة الحكم والتحكيم للمحكم والحاكم، ويلزم طاعة الحاكم للمحكم في كل ما أمر، فالله حكم الرجال على النساء، وللرجال الحكم على النساء بأمر الله، وعلى النساء فرض طاعة من حكمة الله فيهن قال سبحانه وتعالى في صورة هذا الحكم: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهنّ «إلى» سبيلا﴾ [النساء: ٣٤]، ولا يكون الضرب في المعروف إلاّ للحاكم المحكم فيه التي تلزم للمحكوم عليه طاعة الحاكم عليه، وإذا تقرر هذا، فطاعة الزوجة لزوجها مما أجمعت الأمة عليه، ومن جملة طاعته لزومها بيته فلا تخرج إلاّ بإذنه، فإنْ خرجت بغير إذنه فهي عاصية خارجة عن أمر الله يلزمها التوبة والأدب على ما فعلت، وتوبتها رجوعها لدار زوجها، ولطاعته وعدم عودتها، فإنْ لم ترجع ولم تتب فقد باءت بغضب من الله في الحال والمآل بل هي مرتكبة لأعظم الكبائر، ويجب على من دخلت داره من أب أو قريب قهرها وطردها وعدم تركها حتى ساعة وإلاّ باء بغضب من الله مثلها، وأمرها في هذا مثل أمر القاتل ظلماً وعمداً قال ﷺ: «**من قتل مؤمناً عمداً فأيدي المؤمنين كلهم عليه، فمن آواه أو منعه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»، فكذلك أمر الزوجة إذا هربت من زوجها بلا ضرر، فلا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يتركها في بيته لأنّها حينئذٍ مشاقة لله ورسوله قال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ «إلى قوله ﴿ونصله جهنم﴾[النساء: ١١٥] قال ﷺ: «**إذا رأى قوم الظالم، ولم يأخذوا على يديه بوشك أن يعمهم الله بعذابه**»، فظهر بما قررنا أنّ المرأة المذكورة يجب عليها بحكم الشرع الرجوع إلى بيت زوجها وحدها بلا طلب منه لها، والتوبة من عصيانه، فهذا أصل الشرع المعروف لكن تباعد أمره، وجرت عادة الناس بخلافه وهو أنّه لا بدّ للزوج الذي هربت زوجته من داره أنْ يمشي لدارها وهذه عادة الناس في كل بلد لذهاب رسول الشرع

بالكلية، وتمسك الناس بالعادة، وقد صارت هذه العادة شرعاً مستقراً يحكم به كل قاضٍ لجهلهم بقواعد الشرع وأصله، وعدم معرفتهم بمقاصده، وحيث كان الأمر كذلك، فيؤمر الزوج بالمشي إليها طلباً لردها، حيث لا إمكان لأصل الشرع الأول، كالذي يتقوت بالميتة عند فقد الطعام لشدة الجوع وخشية الموت، فإنْ سبق منه وتبين أنّه لا مشي إليها، ولم يكن ظالماً لها لاستمساكه بأصل الشرع الأول العزيز القديم بل عليها أنْ ترجع وحدها، أو مع من شاءت إلى دار زوجها، فإنْ لم ترجع، ولم يذهب الزوج إليها بحكم الشرع أنّها عاصية خارجة عن أمر الله لا نفقة لها وإنْ طال أمرها في قعودها ذلك بلا زوج، فلا تطلق ولا كلام لها إنْ اشتكت بالضرر ولا تطلق بهذا الضرر لكون هذا الضرر دفعه هين عليها، فهي التي أوقعت الضرر على نفسها باختيارها، فلا تجاب إلى الطلاق إنْ دعت إليه، ومن أجابها من أهل العلم إلى الطلاق بصورة هذا الضرر الذي ذكرناه، وطلقها على زوجها كان هذا العالم فاسقاً جائراً، فإنْ تزوجت بعد هذا الطلاق كان كل وطء فيها محض زناً مكتوباً على الحاكم، وعليها وعلى من أعان عليها، وكل واحد لا ينقص من وزر الآخر شيئاً، وما أجهل هذا العالم حيث لم يعرف قواعد الشرع، ولا عرف وجوه تفصيل الضرر الموجب للطلاق والذي لا يوجب الطلاق، وأمّا سقوط النفقة عن الزوج لهذه الزوجة على صفة الأمر الذي ذكرناه بينهما، فأمر بيِّن اقتضته قواعد الشرع لم يخالف فيه أحد، وقد اتفقوا على أنّ النفقة في مقابلة الاستمتاع، فمتى امتنع أحدها امتنع الآخر، وهذه المرأة هي التي منعت زوجها من الاستمتاع بها ظلماً وعدواناً فلا نفقة لها على الزوج المذكور. قال في المختصر: يجب لممكنة مطيقة للوطء، وليس أحدهما مشرفاً قوت وأدام بالعادة، ومفهوم الصفة، وهي الممكنة أيّ غير الممكنة مع فقد العذر لا نفقة لها، وهو الأصح والمعول عليه اللهم إلاّ أنْ تكون حاملاً منه فلها نفقة الحمل، ولو كانت عاصية لأنّه حينئذٍ ينفق على ولده لا عليها ونفقة الولد لا تسقط بعصيان أمه، انتهى.

(ثم الجواب) عن السؤال الثالث والله الموفق للصواب: اعلم أنّ إرضاع الأم لولدها لا تخلو إمّا أنْ تكون في عصمة أب الولد، أو خارجة عن عصمته بطلاق، أو موت؛ أمّا إنْ كانت في عصمة أب الولد، فإرضاع ولدها واجب عليها بإجماع قال الله عزّ وجلّ: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين «إلى قوله» وكسوتهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وهذه الصفة فيما إذا كانت المرأة في عصمة أبي الولد، فإنّ الله فرض عليها الرضاعة بما ذكر لكن بشرط أنْ يكون أب الولد قادراً على نفقتها، فإنْ عجز عن النفقة طلقت عليه بعسر النفقة، وإنْ طلقت عليه خرجت من عصمته، وبالخروج عن عصمته سقط عنها الرضاع، وصار الولد واجب النفقة والقيام بأمره على جماعة المسلمين، ولا يجب على أمه إرضاعه اللّهم إلاّ أنْ يكون الولد لا يقبل غير أمه فحينئذٍ تجبر أمه على

إرضاعه قهراً ونفقتها واجبة على جماعة المسلمين لأجل نفي إضاعة الولد وهلاكه، وإنْ كانت المرأة الحامل بالولد خارجة عن عصمة أبيه بموت أو طلاق، فلا يجب عليها إرضاع هذا الولد قال سبحانه وتعالى: ﴿فإنْ أرضعن لكم فآتوهن أجورهن، وائتمروا بينكم بمعروف، وإنْ تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾ [الطلاق: ٦]، وهذا الذي ذكره الله عزّ وجلّ في حق المطلقات فإنّه لما قال فإنّ أرضعن لكم فآتوهن أجورهن دلّ ذلك على عدم وجوب الرضاعة عليهن، وهي في سورة الطلاق، وفي سورة البقرة ذكر الرضاعة، ولم يذكر أجراً دلّ ذلك على وجوب الرضاعة عليهن، وهي وذلك في حق من كانت في عصمة أبي الولد، وهذا أمر بيّن لا يحتاج إلى تأويل، ولا تردد، وإنْ كانت المرأة خارجة عن عصمة أبي الولد بموت أبيه ينتقل الحكم في الرضاعة إلى الولد إن كان له مال ينفق منه على الأم، ويعطي منه أجرها، فإنْ شاءت أرضعت ولدها، وإنْ شاءت امتنعت، واستأجرت له امرأة غيرها من ماله إن كان الولد يقبل غير أمه، فإنْ كان لا يقبل غير أمه أجبرت أمه على رضاعته، وأعطيت أجرها من ماله وإن لم يكن للولد مال وجب أمره في الرضاعة والاستئجار لمن يرضعه على جماعة المسلمين، وينتقل الحكم إلى ما تقدم إنْ كان الولد لا يقبل غير أمه، فلا رضاعة على أمه إلاّ باختيارها، وأجرتها على جماعة المسلمين، وإنْ كان لا يقبل غير أمه أجبرت الأم على إرضاعه بحكم الشرع لدفع إضاعة الولد وأجرتها واجبة على جماعة المسلمين، وإذا تقرر هذا من قواعد الشرع، وظهر بما تقدم أنّ المرأة المذكورة في السؤالات لم تخرج عن عصمة الزوج المذكور، ولو طال قعودها ببيت أبيها ولا تطلق بطول هذا القعود، وليس هذا من الضرر الموجب للطلاق على الزوج لكونها أوقعته على نفسها باختيارها وهي قادرة على رفعه برجوعها إلى دار زوجها، وإذا كان هذا فإرضاع ولدها من زوجها المذكور واجب عليها شرعاً لبقائها في عصمة الزوج أبي الولد، ولا أجر لها في ذلك لما قدمناه، لكن النفقة عليها من الزوج واجبة عليه لكونها هنا على الولد لا على الأم، وإنْ كانت عاصية إذ لا تسقط نفقة الولد على أبيه بعصيان أمه، انتهى.

(تنبيه) قال العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني: كنت كتبت في جواب وجوب الرضاع على كل والدة إذا كانت في عصمة أبي الولد، ونفقته خارجةً عليها، تذكرت قولة محشوة في كتب الفقهاء، يعول عليها من لا علم له لكونهم يعتقدون أنّ كل ما سطر في الكتب صحيح معمول به، فيضلوا بمخالفة أمر الله، وتلك القولة هي أنّ بعض من ينتسب إلى الفقه قال: إن المرأة الشريفة لا يجب عليها إرضاع ولدها وبعضهم يقول إنّها إذ، كانت عادة البلدان نساء الأشراف بها لا يرضعن أولادهن فلا رضاعة على الأم الشريفة قلنا: إنّ هذا محض الكذب والافتراء على الله بما لم يشرعه في كتابه ولا في

دينه، بما سنبينه الآن إنْ شاء الله فأقول: اعلم أنّ إرضاع الأم لولدها التي هي في عصمة أبيه ونفقته جارية عليها واجب من طريقين: طريق نظري فقهي وطريق قطعي مصرح به في قول الله العظيم؛ فأما الطريق النظري فهو أنّ مراد الله من خلقه عمارة الدارين الجنة والنار ولم يرد أنْ يكون خلقه دفعة واحدة بل خلقاً بعد خلق كما قال في القرآن وإنّ هذا الخلق لم يتأت تكوينه إلاّ من ماء الذكر والأنثى معاً لا من أحدهما فقط، فدعا ذلك إلى الازدواج ومن أجل ذلك شرع عقد النكاح بشروطه ليقع مراد الله من إخراج الأولاد من الأصلاب إلى الأرحام، ثم من الأرحام إلى ظهر الأرض، ودعا هذا النكاح إلى التناكح الذي هو الجماع، ثم فرض حفظ الحمل من كل ما يوجب فيه فساداً ولو جاز فساد الحمل لأدى إلى إضاعة النسل وبطل مراد الله ولا سبيل إلى ذلك، وبعد الحمل إذا خرج الولد وجب على الأم والأب حفظه وتنميته حتى يصير إلى البلوغ، فتسقط حينئذٍ مؤنة نفقته عن الأبوين، فحفظ الولد بعد خروجه من البطن واجب على الأم والأب، لأنّ ذلك من توابع شرع النكاح، والإجماع بحفظ الأم إرضاعه وصونه عن المهالك، وغسل الأذى عنه مسحاً وغسلاً إلى أنْ يكمل أجله، وحفظ الأب هو سعيه في نفقة الأم وكسوتها، وكل ما يحتاج إليه الولد مما خرج عن التربية كالدهن والحناء، وما أشبههما فلو لم يكن حفظ الولد واجباً على أبويه لأدى ذلك إلى إضاعة الولد، وإضاعة الولد محرمة شرعاً إجماعاً فلو لم يكن واجب الرضاعة والتربية على الأم لضاع الولد إذ لا يوجد من يتحمل ثقله ومعاناة تعبه إلاّ أمه فقط، ولا يتأتى ذلك لغيرها إذْ لا صبر لامرأة على معاناة أمر الرضيع غير والدته، ولو لم تجب نفقته ونفقة أمه على الأب لأدى ذلك إلى إضاعته أيضاً، ودليل تحريم الإضاعة قوله ﷺ: «**كفى بالمرء إثما أنْ يضيع من يقوت**»، فترك رضاع الأم لولدها الذي هو مولود لصاحب عصمة المرأة موجب لإضاعة الولد، وهو محرم، ولو سقط الوجوب على كل والدة لضاعت الأولاد فالقول: بوجوب رضاعة الصبي على أمه التي هي في عصمة أبي الصبي الجارية عليها نفقته هو مقتضى الحكمة الإلهية، وترك الوجوب فيه يوجب إضاعة الصبي، وهو حرام إجماعاً، فهذا هو الطريق النظري في ذلك؛ وأما الطريق القطعي فقوله سبحانه وتعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن «إلى قوله» بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وهذه الآية فيمن كانت في عصمة الأب، وأمّا إنْ كانت خارجة عن عصمته بطلاق فقد قال في سورة الطلاق: ﴿فإنْ أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾ [الطلاق: الآية ٦]، فالمطلقة لا وجوب عليها في رضاعة ولدها والتي في العصمة يجب عليها رضاعة ولدها وهي من توابع النكاح يدل عليها أن الله عز وجل ذكر الأجر في سورة الطلاق، ولم يذكره في سورة البقرة وهو ظاهر، ثم زاد في البيان والإيضاح قوله سبحانه: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾ [البقرة:

٢٣٣] وهذا خطاب للرجال فقط دون النساء، فإنّ المرأة إذا أرادت أنْ تسترضع ولدها أعني تطلب له أجيرة ترضعه بالأجرة، فلا كلام لها في ذلك لكونها لم يجعل الله لها شيئاً في ذلك بخلاف الأب إذا أراد استرضاع ولده فله ذلك باختياره، وقد أشفقت أنّ القضية ربما رفعت إلى طويلب قصير الباع عاجز الاطلاع في العلم لظن العامة أنّه ذو علم واطلاع فيقول: إنّ الخطاب في «تسترضعوا أولادكم» شامل للرجال والنساء لأجل الجمع، وذلك من عدم كمال المعرفة بوجه السياق، وبيان ذلك أنّ الخطاب للرجال فقط، ولو أريد دخول النساء لقال «تسترضعن أولادكنّ» فإنّ الرجال تجمع بالميم، والنساء يجمعن بالنون، ويدل أيضاً على نفيه في النساء قوله: ﴿إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وهو أجرة المرضعة، وليس للمرأة مال تؤدي منه أجرة المرضعة فإنْ كان لها مال فلا يجب عليها دفع الأجرة لأنّها من توابع النفقة، ولا نفقة على الأم بل على الأب؛ فقد بان لك بما قررنا وجوب الرضاعة والتربية على الأم، وأنّ القول بسقوطها عن المرأة الشريفة باطل لا يحل ارتكابه، وأيضاً إنّ الذي مضى عليه عمل الإسلام في جميع الأعصار والبلدان في البادية والأمصار هو أنّ كل والدة ترضع ولدها بلا مشاحاة منهم، ولا مشاحة في ذلك في عصره ﷺ، وبعده إلى هلم جرا، ولم يكن بين الأمة نزاع في وجوب الرضاعة على الأمهات لأولادهن اللواتي هن في عصم آبائهن، ولم يوجد في جميع بلاد الإسلام، وفي كل عصر قولة لقاضٍ أو مفتٍ بسقوط الرضاعة عن الأم، ومضى على وجوب الرضاعة عمل المسلمين في عصره ﷺ وفي جميع الأعصار بعده إلى هلم جرا، فبان لك أن تلك القولة التي فيها سقوط الوجوب للرضاعة على المرأة الشريفة محض الكذب والزور بنية البطلان لمخالفتها لقول الله عزّ وجلّ، وسنة نبيه ﷺ، وهي من الأقاويل المزورة التي دخلت في كتب الفقه وحشيت بها، وبنظائرها كتب الفروع، وهي مسائل كثيرة منها هذه ومنها قتل الثلث لإصلاح الثلثين جوازاً، ومنها إباحة وطء الزوج في دبر زوجته، ومنها نكاح المتعة ومنها الزيادة في جميع النسوة على أربع، ومنها تحليل شحم الخنزير مع تحريم لحمه، ومنها إباحة طعام أهل الكتاب الذين ذبائحهم الميتة إذا طبخها في الطعام، ومنها إباحة النبيذ المسكر، ومنها شفعة الجار، ومنها مسألة العروس في أيام أسبوعها الأول إذا كان العطر في رأسها كثيراً جداً أنّها لا تغتسل وتمسح على رأسها فقط في الغسل من الجنابة دون الغسل لرأسها خوفاً من فساد العطر لكونه إضاعة مال لا يحل، وكل هذه المسائل وأشباهها ظاهرة البطلان، وإنّ اتباع أقاويل من نصّ عليها ضلال لا جزاء لصاحبه إلاّ النار ولولا خوف الإطالة المخلة لسردنا كثيراً من المسائل المحشوة في كتب الفقه الظاهرة الإبطال من له بصيرة بمعاني الكتاب والسنة، وما أحوج الناس إلى عالم أو علماء يتتبعون لهم كتب الفقهاء ينقحونها مما حشيت به من الباطل قال ﷺ:

«**يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الضّالين، وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين**»، ولنا قاعدة واحدة عنها تنبنيء جميع الأصول أنّه لا حكم إلاّ لله ورسوله، ولا عبرة في الحكم إلاّ بقول الله وقول رسوله ﷺ، وأنّ أقاويل العلماء كلها باطلة إلاّ ما كان مستنداً لقول الله، أو قول رسول الله ﷺ، وكل قول لعالم لا مستند له من القرآن ولا من قول رسول الله ﷺ فهو باطل، وكل قولة لعالم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم، ولصريح قول رسول الله ﷺ، فحرام الفتوى بها، وإنْ دخلت في كتب الفقه لأنّ الفتوى بالقول المخالف لنص القرآن أو الحديث، كفر صريح مع العلم به قال الله عزّ وجلّ: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤] وقال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»، والقول بسقوط الرضاعة على المرأة الشريفة مخالف لصريح القرآن في قوله: «والوالدات يرضعن أولادهن»، فحكمه، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»، وتلك القولة محدثة لم تستند للكتاب والسنة، ولا هي من أمر الله فهي رد الحديث «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» وقوله ﷺ لأبي هريرة «**إنْ أردت أنْ لا توقف على الصراط طرفة عين فلا تحدثن في دين الله حدثاً برأيك وامتثل أمر القرآن، واتبع أمره ونهيه**» هو سنته ﷺ.

وسُئلت عائشة رضي الله عنها: كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان خلقه القرآن يأتمر بأوامره، وينتهي بنواهيه وحيث عرف أنّه ﷺ كانت سنته متابعة أحكام القرآن وجب اتباعه في هذه المسألة ووجب رفض تلك القولة الرذيلة التي هي سقوط الرضاعة على المرأة الشريفة لأنّها بدعة مخالفة لقول الله ولسنّة رسوله ﷺ؛ قال ﷺ: «**خير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة وصاحبها في النار**» الحديث، ومن أعرض عن قول الله عزّ وجلّ في الحكم فقد حكم بحكم الجاهلية قال الله تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾[المائدة: ٥٠] الآية، انتهى.

(وقد ورد سؤال) على سيدنا رضي الله عنه، ونصّه: ما تقول العلماء أهل النظر والبصيرة، وكمال المعرفة برسوم الشرع ومقاصده في زوجة ذات عصمة صحيحة شرعاً لزوجها في بلد لا حاكم بها فرت من زوجها بغير ضرر يوجب فرارها إلى دار أهلها، وطلب زوجها من أهلها ردّ زوجته إلى داره، فمنعوها منه ظلماً حيث لا حاكم ينصفه منها، فلما كثر النزاع بين الزوجة وأهلها والزوج المذكور، قام جماعة من أهل تلك القرية وأوقعوا الطلاق على تلك الزوجة بغير إذن زوجها معتمدين في نظرهم على وجوب الصلح والطلاق دفعاً للمشاجرة المفضية للقتال إنْ دامت، والزوج دائم الإباية عن الرضا بذلك الطلاق، ثم بعد أيام هدأ النزاع، وتراضى الزوج المذكور مع أهل المرأة المذكورة وردت إليه زوجته لداره وهو يعتقد عدم طلاقها بل إنها رجعت إليه بدون طلاق لكونه لم يرضَ

بطلاق الجماعة، وأهل المرأة يعتقدون أنّها ردت إليه بإثر طلاق وهم متعدون به، ثم بعد مدة هربت أيضاً إلى دار أهلها بغير ضرر من الزوج معتقدة هي وأهلها أنه لا عصمة عليها لزوجها المذكور ولصحة طلاق الجماعة في زعمهم، ثم بعد أيام تراضى الزوج المذكور مع أهلها وردها إلى داره، فبقيت بدار زوجها مدة أيضاً، ثم هربت إلى دار أهلها بغير ضرر من الزوج معتقدة أيضاً مع أهلها أنّه لا عصمة للزوج عليها لصحة طلاق الجماعة في زعمهم انتهى السؤال.

(فأجاب:) سيدنا رضي الله عنه بما نصّه قال: اعلم أنّ هذا السؤال محتوٍ على ثلاثة فصول، الفصل الأول: في صحة طلاق الجماعة المذكورة، وعدم صحته، الفصل الثاني: في جواز تطليق المرأة من زوجها بغير رضاه إذا كان بقاؤها في عصمته يؤدي إلى القتال، والقتل تحقيقاً، وعدم جوازه، الفصل الثالث: في الكلام على ردّ الزوجة لزوجها بعد إيقاع الطلاق المذكور، ثم هروبها معتمدةً بالطلاق الأول. فأمّا الجواب عن الفصل الأول هو أنّ عصمة الزوج على زوجته الشرعية لا تنحل إلاّ بموت الزوج، أو طلاقه صريحاً، أو كناية أو تطليق الحاكم وهو القاضي، أو السلطان الشرعي بشروطه من وقوع الضرر الثقيل، أو الخفيف الدائم من الزوج لا غير، وما سوى هذه الأمور لا تنحل بها عصمة الزوج عن زوجته شرعاً، فإذا عرف هذا فطلاق الجماعة باطل لا يلتفت إليه شرعاً لأنّ كل من طلق زوجة غير بغبر إذن زوجها فضولي، وطلاق الفضولي كبيعه موقوف على إجازة من بيده العصمة إنْ أجازه صح وإلا بطل، ما لم يكن المطلق لزوجة غيره حاكماً شرعياً بسبب ضرر من الزوج يبيح تطليق الزوجة منه بغير اختياره، فطلاق الحاكم حينئذٍ صحيح بإجماع الأمة، وأمّا سوى الحاكم فلا سبيل له إلى تطليق زوجة الغير بغير إذنه، فحينئذٍ طلاق الجماعة لم يصادف محلاً إذ ليسوا في مرتبة الحاكم الذي له النظر ولم يكن الزوج أجاز طلاقها، فظهر إبطال طلاق الجماعة شرعاً لبيان أنّهم فضوليون فلا حكم لهم في الطلاق، وأما الجواب عن الفصل الثاني: وهو جواز تطليق المرأة من زوجها للحاكم بغير ضرر من الزوج لكن بقاؤها في عصمته يفضي إلى القتل والقتال، وعدم جوازه والله الموفق للصواب؛ اعلم أنّ خوف وقوع القتل والقتال على دوام عصمة زوج شرعي على زوجته لا يوجب تطليق الزوجة المذكورة من زوجها ما لم يغتر بضرر من الزوج يبيح التطليق منه بحكم الحاكم لا غير، لكون انحلال عصمة الزوج بغير اختياره وبغير ضرر إلاّ خوف التأدي إلى النتال عن زوجته لا محل له في رسوم الشرع لا كتاباً ولا سنة ولا في كتب الفروع فإنْ قال قائل: إنّ سفك الدماء من أعظم الفساد في الأرض ومن أعظم الضرورات الشرعية حيث، لا حاكم يرفعه، وإيقاع الطلاق كرهاً على الزوج دفعاً لفك الدماء هو أمر أخف من سفك الدماء، وارتكاب أخف الضررين أولى؛ قلنا إنّ هذا النظر باطل، وبيانه أنّ

الطلاق حينئذٍ طلاق إكراه في الشرع باطل لا يلزم لما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**لا طلاق في إغلاق**»والإغلاق هو الإكراه، فإن قال المعارض إنّ طلاق الحاكم بضرر بغير إذن الزوج إكراه، وطلاق الإكراه باطل، فكيف طلاق الحاكم بالضرر قلنا: إنّ طلاق الحاكم بالضرر متبع لأمر الله قال الله عزّ وجلّ ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء «إلى قوله» ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا﴾ [البقرة: ٢٣١]، وهذا وإنْ كان في مسألة الرجعة عند كمال العدة مضارة بالزوجة من زوجها فهو متناول جميع وجوه الإمساك بالضرر، وقال سبحانه: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ [النساء: ١٩]، فمن خالف أمر الله سبحانه، وأضر بزوجته طلقها الحاكم عليه كرهاً، وليس من ضرر الطلاق بالإكراه لأنّ الطلاق بالإكراه باطل إذا لم يكن من الحاكم عن ضرر من الزوج، وأيضاً إذا طلقت المرأة من زوجها بغير اختياره دون ضرر لحقها من زوجها بل لأجل خوف القتل والقتال ودفعاً للفساد بهما فإنّ فرجها حينئذٍ لا يحل وطؤه لغير زوجها الذي طلقت منه إذا تزوجت بعد ذلك لأنّها باقية في عصمة الأول؛ ولا سبيل لطلاقها منه فهي محصنة بعصمته، والله تعالى حرم نكاح المحصنات من النساء. قال سبحانه وتعالى بعد أنْ ذكر محرمات النكاح عاطفاً عليها بالتحريم، ﴿والمحصنات من النساء﴾[النساء:٢٤]، فإنْ قال المعارض: إنّها ليست محصنة بل إنما طلقناها خوفاً من وقوع القتل والقتال، وهي منحلة العصمة قلنا: قد قدمنا أنْ لا وجود لهذه المسألة في الشرع أصلاً ولا قائل بها من الأئمة، فالطلاق لأجلها باطل. وأمّا الجواب عن الفصل الثالث: فيغني عنه ما قدمناه في جواب الفصلين والله الموفق للصواب، انتهى من إملاء سيدنا رضي الله عنه على محبنا أبي عبدالله سيدي محمد بن المشري، وكتبته من خطه وبالله التوفيق.

(وسُئل سيدنا رضي الله عنه) عن رجل تخرج العمارة من مكحلته بغير قصد منه، وتضرب البندقة حيواناً آخر تجرحه، أو تقتله ماذا يلزم صاحب المكحلة؟ فإنّ الفقهاء عندهم هذا ليس من باب الخطأ، ولا من باب العمد، أعني فقهاء عصرنا لفقدهم وجود النص في النازلة في كتب الأوائل لعدم وجود المكحلة في الزمان المتقدم. قال سيدنا رضي الله عنه: والذي أقول به، وأجيب به السائل أنّ صاحب المكحلة إذا لم يحطّ الزناد من نصف الطلعة وتركه على حاله حتى طلع وحده، فالضمان لازم له وعليه الدية وحده، وليس هذا من الأمور التي لا ضمان فيها لأنّ الشارع سماها بأعيانها، وهي البئر والمعدن والعجماء، وليس من الخطأ حتى تكون الدية على العاقلة فيما زاد على الثلث لأنّه فرط لم يحط الزناد على الموضع الذي تقدح منه النار، وكل من فرط في شيء يقع من تفريطه الضرر لغيره فالضمان عليه، وإنْ كان وقوع هذه نادراً بالنسبة لغيرها هكذا قررها سيدنا

رضي الله عنه، وتحرير المسألة على ما فهمت من كلام الشيخ رضي الله عنه أنّ حد العمد وحد الخطأ عنده، فإنّ العمد عنده رضي الله عنه هو أنْ يقصد الفاعل إتلاف المال أو النفس ابتداء أو يقصد ضرب أحد ظلماً، فتجوز الضربة لغيره، أو يفعل فعلاً مأذوناً له فيه من ضربه لصيد أو غرض وهو في وسط العمارة، ولم يعلم ما وراء الصيد، أو الغرض من آدمي أو غيره، فيجوز السهم أو البندقة فتصيب غير ما أراده، فهذا وإن كان لم يقصده ابتداء هو من باب العمد لكونه مفرطاً لعدم بحثه على ما وراء المرمى من صيد أو غرض، والمفرط ضامن على ما هو معلوم عند الفقهاء، وأمّا حد الخطأ فهو كل فعل مأذون فيه لفاعله، ولم يكن مفرطاً فيه مفهومه إذا فرط فعليه الضمان وإنْ كان العمل مأذوناً له فيه، فإذا فهمت هذا علمت أنّ من جعل البارود والبندق في مكحلته، وترك زناده في الطلعة الصغرى، وطاح فيها من غير قصد منه وقتل أحداً، فالضمان لازم له وحده لتفريطه لأنّه كالعامد لخلافه المأمور به شرعاً لأنّ المأمور إذا كان في محل الأمن أنْ لا يعمل البارود وما معه في المكحلة وعلى تقدير عمله فيها، فليحط الزناد من طلعته الصغرى، فإذا خالف ما ذكرنا فهو مفرط وعليه الضمان، ويفهم من الأمن أنّه إذا كان في محل خوف، ولم يمكنه أنْ يحط زناده من الطلعة السفلى للخوف مما يفجؤه من لص أو سبع، فإنّه يؤمر يرفع فم مكحاته إلى ناحية السماء فإذا لم يرفعها وطاح الزناد وضربت أحداً فعليه دية خطأ لأنّه مفرط، ولم يكن كالعمد لأنّ الشارع يعزوه للخوف، ولكن لا يلزم العاقلة إلاّ إذا قامت البينة على صدقه، وتصدقه العاقلة لعدم التهمة لأنّ العاقلة لا تحمل إلاّ ما قامت عليه البينة، فإذا لم تقم البينة على دعوى القاتل، ولم تصدقه العاقلة، فهو محل نظر عند سيدنا رضي الله عنه توقف فيه، ولم يجزم فيه بشيء لشدة ورعه ومحافظته على أحكام الله تعالى، ولبست هذه النازلة من الهدر الذي لا دية فيه ولا قصاص لأنّ الأمور التي لا شيء فيها ذكرها الشارع بأعيانها وهي: العجماء والبئر والمعدن، ويلحق بها من قتل نفسه والعياذ بالله فإنه لا دية له لنهي الشارع عن فعله، وكذلك من سقط من سطح وهو نائم للنهي أيضاً عن النوم بالسطح وليس فيه حائل يقيه من السقوط لأنّه قال فيمن نام على هذه الحالة: فقد برئت ذمة الله منه، فإنّ هذا لا دية فيه لكونه فعل ما نهى عنه، هكذا سمعته من سيدنا رضي الله عنه، انتهى ما فهمه وسمعه من تقرير سيدنا رضي الله عنه محبنا أبو عبدالله سيدي محمد بن المشري حفظه الله بمنه آمين.

(وورد على سيدنا سؤال) ونصّه: سادتنا العلماء جوابكم فيمن حصد زرعه وجمعه وبقي إلى آخر رمضان، وشرع في الدراس من غير ضرورة تلحق الزرع، وأكل في رمضان هل يجوز له ذلك الأكل، أو يبقى حتى تمضي الأيام الباقية من الصيام نحو الستة أيام فقط، ويشرع في الدراس، والحالة أنّ ربّ الزرع المذكور لم يكن معيناً في الخدمة وهو

مليء يقدر أنْ يؤاجر على درس زرعه من ماله أجيبوا لنا، ولكم الأجر من الله والثواب.
(فأجاب) سيدنا رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّ وجوب صوم شهر رمضان بعينه لازم لكل مكلف معلق في رقبته لا ينحط عنه، ولا ينحل ولا يباح فطره إلاّ لناقل أصلي كالعلة التي ذكرها الله عزّ وجلّ من المرض والسفر فقط، أمّا السفر فمعلوم عند المسلمين من جوازه ومسافة القصر المشترطة فيه وغيرهما من الشروط، وأمّا المرض فيختلف باختلاف الأبدان لا نطيل بتفصيله هنا إذ ليس منصوصاً، فإنْ كانت العلة هي إضاعة المال المنهي عنها، فلينظر إنْ كان إذا تركها حتى يكمل صوم رمضان لم يفسد فلا يباح له فعلها المؤدي لإفطاره، فإنْ فعلها وأفطر فعليه القضاء والكفارة، وإنْ كان إذا تركها تفسد وتهلك، فيباح له الفطر هذا لأجل خدمته لكن إنْ لم يقدر على الخدمة وهو صائم، فإنْ كانت له قدرة فلا يباح له الفطر هذا عام في كل فعل؛ وأمّا مسألة الزرع التي ذكرها، أما الدراس فلا يباح الفطر له لأنّه لا يفسد ولو بقي أكثر من شهر كما هو معلوم عند العام والخاص فضلاً عن الأيام القليلة التي ذكرتم، فمن أفطر بفعله له فعليه القضاء والكفارة وهو عاص منتهك لحرمة الشهر التي لا تباح إلاّ بوجود العلة التي ذكرها الشارع وهي إضاعة المال وهي منفية هنا، وأمّا الحصاد، فلينظر صاحب الزرع إنْ كان إذا تركه لا يخاف هلاكه، فسقوطه لشدة يبسه أو بأمر آخر متحقق وقوعه فيتركه، ويتمادى على صومه، فإن حصده مع هذا وأداه للإفطار فعليه القضاء والكفارة أيضاً وإن كان يخاف عليه بتركه مما ذكرنا، فيجوز له الفطر لأجل خدمته له، وأمّا قولكم يقدر أنْ يؤاجر عليه هذا إذا كان الأجير كافراً، وأمّا إنْ كان مسلماً، فحكمه ورب الزرع سواء فلا يباح له الفطر لأجل خدمته إلاّ إذا لم يجد ما يسد به رمقه في ذلك الوقت إذا ترك الخدمة، وصار حكمه ممن تحل له الميتة، فعند هذا يباح له الفطر لخدمته، وإن لم يصل إلى هذه الحالة التي ذكرنا وأفطر لخدمته فعليه القضاء والكفارة، وهو عاص أيضاً ولا أظنه يصل إلى هذه الحالة التي ذكرنا إلاّ في وقت الجوع الشديد، ولا جوع اليوم في قطرنا والحمد لله، فهذا هو الطريق الذي يجب سلوكه والصراط الذي قال سبحانه وتعالى: ﴿فاتبعوه﴾، وأمّا ما يوجد من الفتاوي في القياسات التي لا أصل لها صحيح، فهي بينة الطريق نهى عنها بقوله: ﴿ولا تتبعوا السبل﴾[الأنعام:١٥٣] الآية،انتهى من إملائه رضي الله عنه على محبنا سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه.

(وسُئل) سيدنا رضي الله عنه عن مسائل منها: ما حكم الله في مال الأعراب المحاربين الناهبين أموال بعضهم بعضاً وما حكم المعاملة معهم؟ وما الحكم في صدقاتهم وعطيتهم ومشارطة الطلبة عندهم للقراءة؟ (فأجاب) رضي الله عنه بما نصه قال؛ اعلم أن إجماع الأمة انعقد على أنّه لا يحل مال امرىء مسلم إلاّ عن طيب نفس وكل ما أخذ

عن غير طيب نفس فحرام، إلاّ ما يأخذه بصورة شرعية قهرية كأخذ الزكاة من مانعها، وكأخذ حقوق المظلومين من مانعها، وما يتبع ذلك من الحقوق اللازمة شرعاً، وهي كثيرة مفصلة في كتب الفروع، فلا نطيل بذكرها، فإنّ أخذ ذلك من صاحبه عن غير طيب نفس حلال لتعلق الحق الشرعي به لقوله ﷺ: «**أمرت أنْ أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها: عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلاّ بحقهما وحسابهم على الله**»، وأما غير هذا فإنّ أخذ مال المسلم عن غير طيب نفس حرام بالإجماع يشهد له قوله ﷺ في حجة الوداع «**إنّ الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أنْ تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا اللهم هل بلغت؟**» فقالوا: اللّهم نعم، والحديث وقضيته مشهورة في كتب الحديث فلا نطيل بذكره، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إلا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ [النساء: ٣٠]، فالمرجع في الحكم إلى هذه النصوص القطعية، والوقوف عند حدودها فرض لازم على كل مسلم، فإذا عرف هذا فما مضت عليه عادة الأعراب، والظلمة من اقتحامهم، وأخذ مال المسلمين بغير صورة شرعية، فكل ما بأيديهم حرام لا يحل لمسلم معاملتهم بوجه من وجوه العوض، ولا قبول عطياتهم وهداياهم كل ذلك حرام، فهذا حده في الأصل، ثم إنْ كان البلد غلب عليها جميع ذلك ولا يوجد غيره بأيديهم بوجه من وجوه المخالطة، فكل ذلك حرام، ومن تعلل ممن ينسب إلى الفقه، أو إلى الإسلام، فأخذ ذلك مستحلاً له معتذراً بعدم وجود غيره فلا عذر له في الشرع، ويسجل عليه في الشرع بأنّه مقتحم ما حرّم الله ظلماً، ولا يحل سكناه في تلك البلد ولا بقاؤه بينهم، والهجرة عليه من ذلك المكان واجبة بتواتر نصوص الشرع، وما كان مختلطاً عندهم بوجوه التجارة في ذلك الحرام وإتلاف عينه واشتراء بدله عينا أخرى، وبوجوه الحراثة والصناعة أو ضم مال بصورة شرعية إليه، فالأصل المعول عليه إنّ ذلك كله حرام بجميع ما اختلط فيه، فمن قدر على ذلك تمسك بهذا الأصل، وجرى عليه، ثم إن تنزل الأمر إلى عموم ذلك في الأرض، واختلاط ذلك بصورة حلال وصورة حرام بأيدي كاسبيه كما هو صورة الوقت فعلى المؤمن في إقامة طلب فرض الحلال أنْ يجتنب ما علمت صورته صورة الغصب والمحرم، وما جهل من ذلك، وكان الأصل الاختلاط بصورة حلال وصورة حرام كما ذكرنا أولاً وعمّ الفساد في الأرض كما هو صورة الوقت، رجع إلى أصل الحلال الثالث، وهو إنّ الحلال ما جهل أصله، فإنّ صورة الحلال كان في عهده ﷺ ما عرف أصله وأصل أصله، ثم لما انقضت مدة الخلافة ورجعت ملكاً عضوضاً رجع الحلال ما عرف أصله فقط، ثم لما زاد الفساد وطمى بحره صار الحلال ما جهل أصله، وهي المرتبة الثالثة في الحلال وعلى هذا الحد وهذا المنوال يجري الحكم في معاملة هذه الطوائف بوجوه

العوض وقبول عطياتهم، فلا يجتنب منها إلاّ ما عرف صورة الحرام فيه مثل الشيء المغصوب والمأخوذ في ثمن الخمر والمأخوذ في صورة ربا النسيئة، وهي كثرة يقاس ما لم يذكر منها على ما ذكر، وأمّا ما جهلت صورته فإن علم من صاحبه أنّه لم يكن عنده إلاّ الحرام ولم يخلطه بصورة أخرى كالحراثة والتجارة وإبدال عين بعين أخرى، فكل ما بيده حرام لا تحل معاملته، ولا قبول عطياته، وما اختلط بهذه الصور من تجارة وحراثه وصناعة وإبدال عين بعين أخرى، وإضافة حلال له لم يحرم في ما بيده إلاّ ما له عين قائمة في التحريم، وأمّا ما جهل أصله، فحلال، وقولنا: في هذا المحل حلال، فإنما هو حلال عرضي لا أصلي لعدم وجود غيره بكثرة الفساد وعمومه في الأرض واحتياج العبد إلى القوت فلا يكون حلالاً بما أعطاه حكم الوقت والضرورة، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨]، وكذا قال القطب الكامل، والوارث الواصل، والقدوة الشامل سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه: لو كانت الدنيا عبطة من دم لكان قوت المؤمن منها حلالاً لأن الله تعالى فرض العبادة على العبد، وأباح له أنْ يأكل مما في الأرض حلالاً طيباً كما هو نص الآية فإذا تتبع في الأرض وجوه الحلال، وعمت البلية في الأرض كان اقتحامه للحلال للأعلى فالأعلى، إما أنْ يكون مما عرف أصله، وأصل أصله كمعاملة الحربيين بأخذ الأجرة منهم على الخدمة والاشتراء مما بأيديهم، فإنّ كل ما بأيديهم كله حلال لا معارضة فيه، فمن وجد السبيل إلى هذا، وأمكنه لا يحلّ له معاملة المسلمين بوجه من الوجوه، ولا يعامل إلاّ الكفار الحربيين لتمحض الحلال بأيديهم، ولو أخذوا مال المسلمين فكله حلال ومعاملتهم حلال في غير الخيانة والأخذ بالأيمان الكاذبة والغدر، فإنّ ذلك حرام، ثم إنْ لم يجدْ هذا، فيتنزل إلى ما عرف أصله كمن وجد كنزاً من المال بصورة الجاهلية في أرض غير مملوكة، وكذلك المعدن على هذه الصورة والصيد وغيره، ودون هذا من المراتب ما جهل أصله، وعرف اختلاطه بأيدي كاسبه وله مراتب مفصلة في كتب الفروع وآخر مراتب الحلال إذا عمت البلية في الأرض، فلم يجد المؤمن منها لقوته إلاّ الصورة المحرمة، وألجأه الحال إلى ذلك حل له أخذ قوته وفقط، كاقتيات الجائع من الميتة، ولحم الخنزير فقط، وأما الزكاة في المحرم فصورة الغصب وشبهه فلا زكاة فيه لأنّ الزكاة فيما يتعلق ملك الشخص به ولا ملكية في الغصب وشبهه، وأمّا ما اختلط وذهبت عينه بعين أخرى، وخلط بالحراثة والتجارة والصناعة فيزكى كله، وأمّا أخذ الزكاة من مانعها لمستحقها بصورة السرقة أو الخيانة أو الغصب فكله حرام، فلم يعرف فيه مخالف من أهل الأصول، ولا يحل ذلك إلاّ للسلطان فقط لا ما عداه، ولا يقول بإباحتها إلا من لا دين له، ولا أمانة، ثم مشارطة الطلبة فهي داخلة في تفصيل المعاملة السالفة، انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن الزكاة إذا طلبها الأمير هل تعطى له أم لا؟ (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: إنْ كان صاحبها يأمن من شر الأمير لا يعطيها له، وإنْ كان لا يأمن من شره يعطيها له، والله حسيبه والمزكي إنْ حصلت له مشقة، فيجعل يوماً معيناً في السنة يخرج فيها زكاته على جميع ما بيده من العروض، والديون والناظر وغيره، وأمّا لو صرف الذهب بالفضة وحصل نقص، فالنقص لازم له في ذمته، فإنّ الله لا يأخذ إلا كاملاً، وقد سأل شيخنا رضي الله عنه سيد الوجود ﷺ بقوله: ما تقول فيمن يعطي الزكاة للملوك؟ فقال له ﷺ: **«أنا أمرتهم بطاعتهم»**، أو كما قال عليه الصلاة والسلام فقلت له: فما معناه فمن كان يقدر على منعها منهم ولا يخاف من شرهم، وأعطاها لهم على هذا الحال فقال ﷺ: **«من فعل ذلك فعليه لعنة الله»** انتهى، وأمّا صرف الزكاة للأشراف فلا تحل لهم على أي حالة كانوا إلاّ أنْ تحل لهم الميتة، فإنْ دفعها إليهم فهي في ذمته لا تجزيه، ولا تسقط عنه لقوله عليه الصلاة والسلام: **«ألا إنّ الصدقة لا تحل لمحمد، ولا لأهل بيته»**، وأما قول من قال: إنّ الزكاة تجوز للأشراف إلاّ أنْ تكون لهم أرزاق من بيت المال، فتحرم عليهم؛ (الجواب): أنّه لا يصح هذا التوجيه، وقائله لا معرفة له بالأصول بل الذي حرمت الصدقة عليهم لأنّه هو شدة قربهم من الله تعالى، وعلو منصبهم عنده، والزكاة أوساخ الخلق يتطهرون بها فما رضي لهم أنْ يتقذروا، أو يتلطخوا بأوساخ الخلق، وهذا الوصف قائم إلى يوم الدين، ولا حجة لمن يقول بها للأشراف بوجه من الوجوه، انتهى من إملائه علينا رضي الله عنه.

(وسألته) رضي الله عنه عن قولهم: من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: الكلام على اختلاف المجتهدين رضي الله عنهم في قولهم من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد، وعندهم أنّ المصيب واحد إلى آخر أقوالهم. قال سيدنا رضي الله عنه: الكلام على هذه المسألة من الاجتهاد قال: الاجتهاد هو الحكم في نازلة لا نصّ فيها بعينها على طريق الاستنباط وهو أخذ الحكم للنازلة الحادثة من نصّ من الكتاب أو السّنة لعلة جامعة بين النازلة، وذلك النص المستنبط منه الحكم، وأمّا ما نصّ الله عليها، أو نص عليها رسوله ﷺ، فليس فيها اجتهاد كما هو معروف عند الأصوليين، ثم قال رضي الله عنه، والنوازل الواقعة منها ما وقع النص فيها بعينها من القرآن، أو من قوله ﷺ سواء كان هذا النص معلوماً عند الناس، أو كان منسياً لم ينقله أحد، ومن النوازل ما لم يقع فيها نص من الله، ولا من رسوله ﷺ، نأمّا ما وقع فيه النص وكان معلوماً بالغاً للخلق فيلزم الوقوف عنده في تلك النازلة، والحاكم الذي يحكم له في تلك النازلة بذلك النصّ، فيسمى حاكماً بالحق، والحاكم الذي تعدى ذلك الحكم المنصوص في النازلة يسمى حاكماً بالجور، ثم هنا

بحث في هذا النص إما أنْ يكون على رتبة أهل الصحيح في نقله، وبلغ حد التواتر، فمن خالفه أيضاً كفر كالأول، ومن النصوص ما نقل غريباً، فبقي غريباً لم يتواتر ولم يشتهر، فمخالف هذا النص لا يكفر مخالفه عمداً مع العلم ولكن عليه إثم عظيم، وما كان من المنصوص لم يخرج للوجود أصلاً ونسي أو خرج ونسي فهذا يلزم الحكم به في نفس الأمر، وإنْ لم يبلغ، ثم إن الوصول إلى هذا النصّ متعذر لا يمكن الوصول إليه بوجه ووجب الرجوع إلى الاجتهاد، ثم إنْ المجتهدين إذا اختلفوا في هذه النازلة التي وقع النص فيها أو نسي، فمن صادف من المجتهدين ذلك الحكم الذي وقع النصّ به ونسي هو المصيب من المجتهدين في نفس الأمر، والباقون مخطئون في نفس الأمر، وعلى هذا الفصل يتنزل قول من قال من المجتهدين: إنّ جميع المجتهدين مخطئون، والمصيب منهم واحد لا بعينه ونعني به الذي صادق الحكم الواقع في نفس الأمر ونسي، فجميع من صادق هذا الحكم من المجتهدين، فهو المصيب في تلك النازلة، والباقون مخطئون، وأمّا إن كانت النازلة لم يبرز فيها نصّ لا من الله ولا من رسوله ﷺ لا ظاهراً ولا باطناً، فهذا محطّ المجتهدين، ففي هذه النازلة، وأشباهها كل مجتهد مصيب وليس لأحدهم أنْ يقول: أخطأ الغير والصواب عندي، حرام عليه هذا لئلا يلزم عليه تضليل العلماء، ثم إنّ المجتهدين أنْ يكون المجتهد منهم من كان على شرطه له معرفة بنصوص الكتاب والسنّة، وله معرفة بالعلل التي وقع الحكم لأجلها في كل نص، وعرف العلة الجامعة بين حادثة، وبين النص الذي أوردها عليه، هذا شرط المجتهد الذي نقول فيه: إنْ كل مجتهد مصيب لا غير لا كل قائل في العلم فإنّ أكثرهم لا يدري إيراد الحوادث على النصوص الصحيحة، ولا علم له بالعلة الجامعة بينهما، فمثل هذا الأخير هو الذي يقول فيه ﷺ في حديث «**إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس، ولكنْ يقبضه بقبض العلماء كلما مات عالم ذهب بما معه حتى إذا لم يبقَ عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا، وأضلوا،**» والقسم الذي ذكرناه آخراً هو المراد بآخر الحديث، والذي يشهد للقسم الأول، وهو المجتهد الصحيح الذي ذكرنا شروطه أولاً هو قوله ﷺ: «**وما أشكل عليكم من شيء فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدي كما يخبروكم بتأويله**» وكما قال تعالى في الآية الصريحة: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء: ٨٣] فالآية والحديث شاهدان لصحة الاستنباط، وإجماع المحققين على مسألة واحدة من خالفها خرج عن إجماع أهل الإسلام، وهي قولهم لا تخلو الأرض عن ولي إما قائم لله بحجة في دينه، وإمّا مدفوع به البلاء عن خلقه، ثم إنّ هذا الذي هو قائم لله بحجة في دينه قد اتسع علمه في معرفة النصوص القطعية على اختلاف أصنافها كتاباً وسنة وناسخاً ومنسوخاً، وعرف العلة في كل نص التي هي سبب الحكم في ذلك النص، وأعطاه الله تعالى من قوة النور الإلهي ما لو

عرضت عليه ألف مسألة في الوقت كل لا نص فيها لأورد كل مسألة على نصها الذي يقوم الحكم منه عليها بالعلة الجامعة بينهما، ويعرف هذا كله على التمام، ويكون بحيث أنْ لو نسيت الشريعة كلها من الأرض لدون الدواوين وجمع الشريعة كلها من صدره، وهذا المظهر في هذا الشخص لا يكون بشدة السعيّ، ولا بكثرة الحفظ فقط، بل بنور إلهي وتأييد رباني مع شدة سعيه، وتعلمه لحفظ العلوم ظاهراً وصل به إلى هذه المرتبة فإنّه لو خلت الأرض من هذا الشخص لسقطت حجة الله على خلقه، وليس بهذه الصورة إلاّ الفرد الكامل، وقد يكون هذا المظهر في غيره ممن أيّده الله بفضله جعلنا الله منهم بمنّه وجوده وكرمه آمين.

الباب السادس

في جملة من كراماته وبعض ما جرى من تصريفاته

قد منح الله سيدنا أبا العباس التجاني رضي الله عنه من الإحسان والعرفان والرسوخ والإيقان، ومتابعة السنّة المحمدية والسيرة النبوية، وكمال الاستقامة التي هي أصل هذا الباب، وخلاصة كل كرامة ولباب، وحباه من ذلك كله حالاً وعلماً ما عدم فيه النظير، وضرب في الناس مثلاً مما يخبرك عن جمعه ما قدمناه، ويرشدك إلى تفسيره ما أسلفناه فأكرمه سبحانه بكرامات ذوات عدد، ومده من ذلك بأعظم مدد، وأظهر عليه من آثار االتصريف والكشف والتعريف ما ينبىء عن الخصوصية العظمى، والمحبوبية الكبرى المشير إليها قوله ﷺ عن الله عزّ وجلّ: **«فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها»** وناهيك بها مع المتابعة آية وكرامة وعناية، أفمن كان على بينة من ربه، ويتلوه شاهد منه ذلك هو الفضل العظيم، والمدد الجسيم، وما اتفق إلا لعبد محبوب ومرغوب فيه مطلوب، وقد أجرى الله من الكرامات على سيدنا، وشيخنا أبي العباس مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه ما لا يكاد يعد ولا ينحصر كثرة ولا يحد، فلا تلقى أحداً من قرابته وذويه أو ممن يصاحبه ويليه، إلاّ وجدته لهجاً بما اتفق له من ذلك ومحدثاً بما رأى لديه، وشهد به من العجب هنالك، فصارت عندهم لكثرة ما يشاهدون منها ويرون من الأمور المنبئة عنها أمراً ضرورياً وعلماً يقينياً لا يستغربون صدورها، ولا يكترثون أمورها، فحدث عن البحر ولا حرج، وارو عن المشاهدة لا ما في سلك النقول اندرج، وقد شاهدنا من سيدنا ما لا يحصى ولا يستقصى من الخوارق العظام والكرامات الجسام في الغيبة والحضور، وفي السفر والإقامة، وفي جلّ الأمور، وهي على أصناف مختلفة الأوصاف ما بين تصريفات من دفع خطوب، ونصر مظلوم، وتكثير طعام، وإبراء عاهة وبين مكاشفات وإجابة دعوات وغيرها من خوارق العادات من الأمور الصادرة منه وعلى يديه، فأمّا ما كان من قبيل التصريفات إمّا ظاهراً بحيث يفهم ذلك عنه رضي الله عنه تصريحاً، أو إشارة أو تلويحاً، وإمّا محتملاً بحيث يحتمل أنْ يكون من قبيل التصريف أو المكاشفة، فقد رأينا منه وشاهدناه وتحققنا ذلك عياناً وأبصرناه ما يعجز عنه الخط والقلم، ولا يأتي عليه حد ولا علم، إذ هو الباب لا تستوفى آياته ولا تلحق غايته ولا تنحصر أنواعه وأصنافه، ولا تستكمل نعوته وأوصافه، ولا يحصى عدده، ولا ينقطع مدده بل هو أكثر من أنْ يستقصى، أو ينال مرامه الأقصى يغنينا ذلك عن كل ما سمعناه، وتلقيناه من أصحابنا الثقات الأعيان، ووعينا ما شاهدناه منه عياناً وتحققنا وبأفكارنا علماً،

وإيقاناً لملأت منه أسفاراً، ولكن ثنينا عن ذلك العنان لنهي سيدنا عن إثبات ذلك زجراً فانتهينا عنه سمعاً وطاعةً واقتصاراً، ولو تتبعنا ما وقع منه واستقرأناه وحفظناه كله، وجمعناه ومن أين لنا ذلك؟ وأنى الوصول إلى ما هنالك لكان ديواناً جامعاً وكتاباً في فنه مستقلاً واسعاً.

(واعلم): أنّ هذه الكرامات على قسمين: ظاهرةً وباطنةً كما عند الشيخ ابن عطاء الله، فالمحسوسة هي الخوارق التي يجريها الله على يد الصالحين من عباده كطي الأرض، والمشي على الماء، والطيران في الهواء، وتكثير الطعام والشراب، والإتيان بثمرة في غير إبانها، وإنباع ماء من غير حفر، أو إجابة دعوة بإتيان مطر في غير وقته، أو إطلاع على المغيبات، أو نحو ذلك، وشرط اعتبارها وجود الاستقامة بل لا تسمى كرامة إلاّ مقرونة مع ذلك، وهذا إذا ظهرت على يد ثابت العقل ظاهر التمييز، وقد يظهرها الله تعالى على يد بهلول ليظهر بها نصابه، ويحمي بها من الإذاية جنابه فلا يشترط فيها حينئذٍ وجود الاستقامة لكونه ساقط التكليف من ذوي الاستقامة على الخصوصية أدّل وأعلى منصب وأجّل، لجمعهم بين الفضيلتين دوام العبادات وخرق العادات؛ والمعنوية هي ما يمنّ الله به على عباده من المنن الباطنة كالمعرفة بالله، والخشية له ودوام المراقبة، والرسوخ في اليقين والقوة، والتمكين ودوام المتابعة، والفهم عن الله، ودوام الثقة به والتوكل عليه إلى غير ذلك، وهذه عند أهل الله أفضل من الأولى وأجلّ، ولعلّ سيّدنا أشار بالمنع للأولى لأنّ هذه أشرف وأكمل كما قال ابن عطاء الله، وأصلها وأفضلها الإيمان بالله (قال في لطائف المنن)، وما أكرم الله تعالى العباد في الدنيا والآخرة كرامة مثل الإيمان به والمعرفة بربوبيته لأنّ كل خير من خيري الدنيا والآخرة فإنّما هو فرع عن الإيمان بالله من أحوال ومقامات وأوراد وواردات، وكل نور وعلم وفتح ونفوذ إلى غيب وسماع مخاطبة وجريان كرامة، وما تضمنته الجنة من حور وقصور وأنهار وثمار، أو كان به أهلها فيها من رضا عن الله عزّ وجلّ ورؤية لله، فكل ذلك إنّما هو نتائج الإيمان ووجود آثاره، وإمداد أنواره جعلنا الله، وإياكم من المؤمنين بربوبيته والإيمان الذي رضيه لعباده، وبسطنا وإياكم للتسليم له في مراده ا هـ كلام لطائف المنن.

(واعلم:) أنّه كان رضي الله عنه يخفي الكرامات ولا يظهر منها شيئاً، فسبحان من جعل خموله ظهوراً وظهور غيره دثوراً، وقطع الناس بتعظيمه دهوراً، وبقي غيره كأنْ لم يك شيئاً مذكوراً، وقال يوماً رضي الله عنه في الكرامات: المكاشفات الحقيقية أنْ يكاشف عن الله ورسوله، ويفهم كلامهما، وما تضمنه من الأسرار العقلية والأنوار التوحيدية من علوم غامضة، وأفهام دقيقة وحقائق ربانية، وكلما كرر النظر فيهما تجدد له أفهام وأسرار وحكم وإشارات غير ما فهم أولاً وهكذا لو بقي أبد الآباد، فهذه المكاشفة التي

بها يزداد معرفةً ومحبةً وقرباً من الله تعالى، ولا يعطي الله هذه إلاّ لخاصية أوليائه، وقد خصّه الله من ذلك بما لم يشاركه فيه غيره، فإذا شرع في تفسير آية أو حديث أبدى فيهما من بديع التأويلات، وكثرة الاحتمالات ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يوجد في كثير من المطولات، ولا يزال يترقى فيهما، فيكون الثاني أبدع من الأول، وهكذا في جميع أوقاته وفي المجلس الواحد، وفي الآية الواحدة أو الحديث، وأمّا كلامه في الحقائق فلا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته واتسعت في سائر العلوم الظاهرة والباطنة مادته، وعلت في الولاية درجته، ومن خصائصه رضي الله عنه، وحدثني به عن نفسه: أنّه يطالع في الكتاب ويد تجذب عقد التسبيح، ويسبح بلسانه حتى يختم ورده، فيجمع بينهما ولا يشغله واحد عن الآخر، وقد حدثني أيضاً أنّه يُطالع، ويذكر ويملي على الغير في العلوم، ويتكلم مع الناس، ويكتب بمجلس واحد في آنٍ واحدٍ فلم يشغله واحد عن الآخر، فسبحان من أكرم قوماً، وأكمل عقولهم، وعلاّهم أعلى المنازل، وحط آخرين مع مساواتهم في الصورة إلى أرذل الحضيض السافل ا هـ بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيدنا، ومولانا محمد وآله وسلم

(خاتمة هادية لمحبة رسول الله ﷺ، واتباع سنته واقتفاء آثاره داعية، فأقول وبالله التوفيق وبه الإعانة إلى سواء الطريق). اعلم: أنّي أقدّم بين يدي هذه الخاتمة مقدمة تنبىء عن محبته ﷺ، واتباع سنته، وفضله وكرامته، وما خصّه الله به من منحه وعنايته، ومقصد في صلوات على النبي ﷺ، وردت عنه من فيضه الشريف، وعميم فضله المنيف، وبهذه الخاتمة ختم الكتاب، وهي في هذا الباب والسلام.

(مقدمة) في وجوب محبته، واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته ﷺ. اعلم: أنّ المحبة هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون، وإليها يشخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحر الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه في غاية الهموم والآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات، والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل أثقال السائرين إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً واصليها، وتبوئهم من مقاعد الصدق إلى مقامات لم يكونوا الولاهي داخليها، وهي مطايا القوم التي سراهم في ظهورها دائماً إلى الحبيب وطريقهم الأقوم الذي تبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة إذ لهم من معية

محبوبهم أوفر حظ ونصيب، وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أنّ المرء مع من أحبّ، وشاهده ما في الحديث الذي رواه القاضي عياض أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من أهلي ومالي، وإنّي لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك، وأنّي ذكرت موتي وموتك، فعرفت أنّك إذا أدخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإنْ دخلتها لا أراك، فأنزل الله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩]، فدعا به فقرأها عليه.

(وفي حديث آخر) كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه لا يطرق فقال: ما بالك؟ فقال بأبي أنت وأمي، أتمتع من النظر إليك، فإذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله، فأنزل الله الآية اهـ. فيا لها من نعمة على المحبين سابقة لقد سبق القوم للسعادة، وهم على ظهور العرش نائمون، ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون، من لي بمثل سيرك المذلل تمشي رويداً، وتجيء في الأول أجابه مؤذن الشوق إذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا أنفسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم، وكان بالرضا والسماح، وواصلوا إليه بالمسير بالأدلاج والغدو وبالرواح، ولقد حمدوا عند الوصول مسراهم، وإنّما يحمد القوم السري عند الصباح، وقد اختلفوا في المحبة وعباراتهم، وإنْ كثرت فليست في الحقيقة ترجع إلى اختلاف مقال وإنّما هي اختلاف أحوال، وأكثرها يرجع إلى ثمراتها دون حقيقتها، وقد قال بعض المحققين: حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد، وإنّما يعرفها من قامت به وجداناً لا يمكن التعبير عنه، وهي لا تحد بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلاّ خفاء وجفاءً فحدودها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنّما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه السّنة، وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات، بحسب الإدراك والمقام والحال، وهذه بعض رسوم، وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهدها، فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب، وهذا موجبها ومقتضاها، ومنها محو المحب لصفاته وإثبات المحبة لذاته، وهذا من أحكام الفناء في المحبة، وهو أنْ يمحو صفات المحب، ويفنى في صفات محبوبه وذاته، وهذا يستدعي بياناً أتم من هذا لا يدركه إلاّ من أفناه وارد المحبة عنه وأخذه منه، (ومنها) أنْ تهب كلك لمن أحببت، ولا يبقى لك منك شيء، والمراد أنْ تهب إرادتك وعزيمتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه، وتجعلها حبساً في مرضاته ومحبته، ولا تأخذ منها لنفسك إلا ما أعطاكه فتأخذ له منه، ومنها أنْ تمحو من القلب ما سوى المحبوب، وكمال المحبة يقتضي ذلك فإنّه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة

مدخولة، ومنها أنْ تغار على المحبوب أنْ يحبه مثلك ومعناه احتقارك لنفسك، واستصغارها أنْ يكون مثلك من يحب؛ ولمحبة رسول الله ﷺ علامات أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته، والاهتداء بهديه وسيرته والوقف عند ما حدّ لنا من شريعته قال الله تعالى: ﴿قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] فجعل الله تعالى متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد ربه، وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول ﷺ محبة الله تعالى إياه، وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله علينا من نعمه الظاهرة والباطنة، فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم مطالعة منة الله على عبده منة تأهله لمحبته ومعرفته، ومتابعة حبيبه ﷺ، وأصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد، فإذا دار ذلك النور في القلب أشرقت له ذاته، فرأى في نفسه وما أهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته، وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه، لأنّ النور والظلمة لا يجتمعان إلاّ ويطرد أحدهما لآخر، فوقعت الروح حينئذٍ بين الهيبة والأنس إلى الحبيب وبحسب هذا الاتباع توهب المحبة والمحبوبية معاً، ولا يتم الأمر إلاّ بهما فليس الشأن أنْ تحب الله بل الشأن أنْ يحبك الله، ولا يحبك إلاّ إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً وصدقته خبراً وأطعته أمراً، وأجبته دعوة وآثرته طوعاً، وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته، وإنْ لم تكن كذلك فلست على شيء وتأمل قوله تعالى: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]، فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب، ونور البصائر وشفاء الصدور، ورياحين النفوس ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين ومن علامة محبته أنْ يرضى مدعيها بما شرعه ﷺ حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضى قال الله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾ [النساء: ٦٥]، فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجاً من قضائه، ولم يسلم له، ومن علامة محبته ﷺ تعظيمه عند ذكره، وإظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه، فكل من أحب شيئاً خضع له، ومن علامة محبته ﷺ: كثرة الشوق إلى لقائه إذْ كل حبيب يحب لقاء حبيبه، ومن علامة محبته ﷺ: حب القرآن الذي أتى به، وهدى به واهتدى به وتخلق به، وإذا أردت أنْ تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله، فانظر محبة القرآن من قلبك والتلذذ لسماع أعظم من التلذذ بسماع الملاهي والغناء والطرب، ومن علامة محبته ﷺ: محبة سنته وقراءة حديثه فإنّ من دخلت حلاوة الإيمان في قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله أو من حديث رسوله ﷺ تسرّ بها روحه ونفسه وقلبه، فحينئذٍ يستنير قلبه، ويشرق سره، وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي بريّ عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه؛ وبالجملة، فالكلام في هذا المعنى يطول، فلنقصر العنان ولو تتبعنا ما في هذا من العلامات

لم يسعنا مجلدات، وأما فضله ﷺ: فهو أشهر من أنْ يقام عليه دليل أو برهان، وأكثر من أنْ يحصيه لسان بل هو أظهر من القمر عند الكمال، وأجلى من الشمس في درجة الحمل ولله در القائل:

وكيف يصح في الأذهان شيء　　　إذا احتاج النهار إلى دليل

وذكر ابن سيد الناس من طريق مسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»، والأحاديث الواردة عنه ﷺ في هذا المعنى كثيرة، وآيات القرآن المفصحة بعظيم قدره شهيرة يكفي في علوم منصبه عند الله تعالى، وقدره واختصاصه وقربه عن سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، الشفاعة العظمى في الموقف الأكبر بين سائر الخلق أجمعين، وما وهبه الله تعالى له وخصّه به من نهر الكوثر قال تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١]، وأمّا حديث الشفاعة فهو أشهر من نار على علم، وصار من الدين ضرورة فلا نطيل بذكره فانظر ما تضمّنه هذا الحديث الشريف من فخامة قدره عليه الصلاة والسلام، وجلالة أمره عليه من الله في كل حين أفضل الصلاة والسلام لأنّ أكابر الرسل عليهم الصلاة والسلام لم ينازعوه في هذه المرتبة التي هي مختصة به، وهي الشفاعة العظمى، ولا شك أنّ بعثته عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين، فقال جلّ من قائل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وأمّا تفضيله على بني آدم عموماً وخصوصاً، فمن قوله عليه الصلاة والسلام: **«أنا سيد ولد آدم، ولا فخر»**، وأما تفضيله على آدم فمن قوله ﷺ: **«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»**، ومن قوله ﷺ: **«آدم فمن دونه من الأنبياء يوم القيامة تحت لوائي»**، ومن قوله ﷺ: **«أنا أول شافع وأول مشفع، وأنا أول من تنشق عنه الأرض»**، وقال تعالى في حقه: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقوله جلّ من قائل: ﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال أيضاً في حقه عليه الصلاة والسلام: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١] الخ السورة. قال قتادة: رفع الله ذكر نبينا في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلاّ وهو يقول أشهد أنّ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وعن أبي سعيد الخدري أنّ النبي ﷺ قال: **«أتاني جبريل»**، فقال: **«إنّ ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك»** قلت: الله ورسوله أعلم قال: **«إذا ذكرت ذكرت معي»**. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «يا رسول الله من فضيلتك عند الله أنْ جعل طاعتك طاعته» فقال: **«من يطع الرسول فقد أطاع الله»** وقال تعالى: ﴿قل إنْ كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]، قال تعالى ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ [آل

عمران: ٣٢] وكل هذا من زيادة البر والإحسان، والإنعام والاعتناء به من ربه عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام، وفي قسمه تعالى بعظيم قدره لديه آيات كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لعمرك أنّهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢]، اتفق أهل التفاسير في هذا أنّه قسم من الله جلّ جلاله بمدة حياة سيدنا محمد ﷺ، وهذه نهاية التنظيم والتشريف وغاية التكريم، ومن ذلك قوله جلت قدرته: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ [ق: ١] أقسم بقوة قلب حبيبه سيدنا محمد ﷺ حيث حمل الخطاب والمشاهد، ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿والفجر وليال عشر﴾ [الفجر: ١] سيدنا محمد ﷺ لأنّ منه تفجر الإيمان، ومما يدل على تعظيم قدرته وفخامة أمره وجلالة منصبه خطابه إياه بقوله تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾ [الضحىٰ: ١] الخ السورة، ومما شرفه به تعالى واختصه به من بين سائر الأنبياء والمرسلين وأشاد به رتبته الشريفة قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [آل عمران: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ [الأحزاب: ٧] قال قتادة: إنّ النبي ﷺ قال: كنا أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث، فلذلك وقع ذكره مقدماً قبل ذكر نوح وغيره عليهم الصلاة والسلام، ويكفي في عظيم قدره عند ربه ما تضمنته سورة الفتح من الاعتناء به وكريم منزلته لديه فابتدأه جلّ جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره، وغلبته على عدوه وعلو كلمته، وشريعته، وأنّه مغفور له غير مؤاخذ بما كان، وما يكون وما وقع وما لم يقع إلى آخر السورة وما تضمنته من بيعة الرضوان فقال تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح: ١٠] أي إنّما يبايعون الله ببيعتهم إياك يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة، ولنقصر العنان ولو تتبعنا ما ورد في عظيم قدره من الآيات والأخبار لطال الخطاب، وخرجنا إلى الأطناب ومقصدنا من هذا نبذة لنتبرك بها في هذا الكتاب، وبالجملة فهو عليه الصلاة والسلام أعلى الناس قدراً وأرفعهم ذكراً وأعظمهم محلاً وأكملهم محاسناً وفضلاً، فإذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وجدته عليه الصلاة والسلام حائزاً لجميعها بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليماً.

المقصد

(في الصلوات التي وردت فيه من فيض فضله الشريف ﷺ)

فأقول وبه أستعين، ولا حول ولا قوة إلاّ بعلي جنابه أول ما نبدأ به ذكر الصلوات

التي أملاها مولانا رسول الله ﷺ من فيضه الشريف يقظة على شيخنا أبي العباس، ثم نتبعها بشروحها لشيخنا رضي الله عنه: (الأولى سماها شيخنا رضي الله عنه، ياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيد الخلائق. ونصّها) الله الله الله اللّهم أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت العالي في عظمة انفراد حضرة أحديتك التي شئت فيها بوجود شؤونك، وأنشأت من نورك الكامل نشأة الحق، وأنطتها وجعلتها صورة كاملة تامة تجد منها بسبب وجودها من انفراد أحديتك قبل نشر أشباحها وجعلت منها فيها بسببها انبساط العلم، وجعلت من أثر هذه العظمة ومن بركاتها شبحة الصورة كلها جامدها ومتحركها وأنطتها بإقبال التحريك والتسكين، وجعلتها في إحاطة العزة من كونها قبلت منها ولها وفيها وتشعشعت الصور البارزة بإقبال الوجود، وقدرت لها وفيها ومنها ما يمثلها مما يطابق أرقام صورها، وحكمت عليها بالبروز لتأدية ما قدرته عليها، وجعلتها منقوشة في لوحها المحفوظ الذي خلقت منه ببركاته وحكمت عليها بما أردت لها وبما تريد بها، وجعلت كل الكل في كلك، وجعلت هذا الكل من كلك، وجعلت الكل قبصة من نور عظمتك روحاً لما أنت أهل له، ولما هو أهل لك أسألك اللّهم بمرتبة هذه العظمة وإطلاقها في وجد وعدم أنْ تصلي وتسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ، والنور الساري الممدود الذي لا يدركه دارك، ولا يلحقه لاحق الصراط المستقيم ناصر الحق بالحق، اللّهم صلِّ وسلم على أشرف الخلائق الإنسانية والجانية صاحب الأنوار الفاخرة اللّهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وعلى أولاده وأزواجه وذريته، وأهل بيته وإخوانه من النبيين والصديقين وعلى من آمن به واتبعه من الأولين والآخرين، اللّهم اجعل صلاتنا عليه مقبولة لا مردودة، اللّهم صلِّ على سيدنا ومولانا محمد وآله، اللّهم واجعله لنا روحاً ولعبادتنا سراً، واجعل اللّهم محبته لنا قوة أستعين بها على تعظيمه، اللّهم واجعل تعظيمه في قلوبنا حياة أقوم بها، وأستعين بها على ذكره وذكر ربه، اللّهم واجعل صلاتنا عليه مفتاحاً، وافتح لنا بها يا رب حجاب الإقبال وتقبل مني ببركات حبيبي وحبيب عبادك المؤمنين ما أنا أؤديه من الأوراد والأذكار، والمحبة والتعظيم لذاتك لله لله آه آمين هو هو هو آمين، وصلى الله على سيدنا محمد آمين، انتهت الصلاة الأولى.

(ونصّ الثانية:) وهي أيضاً من إملائه ﷺ لشيخنا يقظة (وهي): اللّهم صلِّ وسلم على عين الرحمة الربانية، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكان، اللّهم صلِّ وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروس الحقائق عين المعارف الأقوام صراطك التام الأسقم، اللّهم صلِّ وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة

النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه انتهت.

(ونصّ الثالثة:) وهي من الغيب، واسمها الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية (وهي) اللّهم صلّ وسلم على عين ذاتك العلية بأنواع كمالاتك البهية في حضرة ذاتك الأبدية على عبدك القائم بك منك لك إليك بأتم الصلوات الزكية المصلي في محرام عين هاء الهوية التالي السبع المثاني بصفاتك النفسية المخاطب بقولك له واسجد واقترب الداعي بك لك بإذنك لكافة شؤونك العلمية، فمن أجاب اصطفى، وقرّب المفيض على كافة من أوجدته بقيومية سرك المدد الساري في كلية أجزاء موهبة فضلك المتجلي عليه في محراب قدسك وأنسك بكمالات ألوهيتك في عوالمك وبرك وبحرك، فصل اللّهم عليه صلاة كاملة تامة بك ومنك إليك وعليك وسلم عليه سلاماً تاماً عاماً شاملاً لأنواع كمالات قدسك دائمين متصلين على خليلك وحبيبك من خلقك عدد ما في علمك القديم، وعميم فضلك العظيم وتب عنا بمحض فضلك الكريم في الصلاة عليه صلاتك التي صليت عليه في محراب قدسك وهوية أنسك، وعلى آله وأصحابه رسولك ونبيك وسلم عليهم تسليماً عدد إحاطة علمك انتهت.

شرح الصلاة الأولى ونصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً الحمد لله الذي جعل سيدنا محمداً ﷺ مظهر الكمال، وحلاه من أوصافه بما تعرف به إلينا من الجلال والجمال، وخصّه بالوسيلة والدرجة الرفيعة في مقام أو أدنى ثم دلاه بعد ما أدناه ليظهره في العالم بكمال أسمائه الحسنى، فأنزل عليه آياته الكريمة ظاهراً وباطناً وعرفه بحقائق الأشياء صورة ومعنى، فله الحمد سبحانه إن جعله النسخة الكاملة العظمى لمطلق العدم والوجود، وفتح على يديه خزائن الكرم والجود أحمده حمداً لائقاً بمرتبة ألوهيته واجباً لكمال ربوبيته جامعاً لفنون الكمال المطلق كما يستحقه في ذاته الحق، وأشكره شكراً متصلاً متواتر الآلاء موازياً لأنواع النعماء، وأثني عليه بما أثنى على نفسه في ملائكة قدسه، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله الأحد بذاته الواحد في أسمائه وصفاته، وأشهد أنّ سيدنا محمد ﷺ رسوله المكرم وحبيبه المعظم، وعبده المبجّل ﷺ وعلى آله وأصحابه وشرف وكرّم ومجد وعظم.

(أمّا بعد): فإنّ سيدنا وشيخنا واسطة عقد حضرة الولاية، وعلم أهل الحفظ والرعاية والعناية عماد الملة والدين ومحل رحاب الطالبين لسان الشريعة والحقيقية، وترجمان ما اعتاض من مقفل كلام أهل الطريقة إمام الواصلين ونخبة المقربين ورافع لواء العارفين، وسلطان المحبوبين قطب الحال والمقام وإمام جامع أهل القبضة والوصال أبا العباس مولانا أحمد بن التجاني الحسني وضع رضي الله عنه تقييداً مفيداً وتنبيهاً مرشداً سديداً على

الصلاة المسماة بياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيد الخلائق التي هي من إملاء رسول الله ﷺ: ومن لفظه الشريف عن شيخنا رضي الله عنه يقظة لا مناما، وأمره ﷺ أنْ يضع عليها هذا التقييد المبارك ليحل مشكلاتها، ويعرب عن مشكاتها، فأبدع فيه وأجاد، وبلغ فيه غاية المراد، وأفصح عن الحقائق وأفاد، (وسميته) جوهرة الحقائق في شرح ياقوته الحقائق، وذكر لنا سيدنا رضي الله عنه أنّ من داوم على قراءتها تضمن له خير الدنيا وخير الآخرة، ومن ذكرها مرتين في الصباح ومرتين في المساء غفرت له ذنوبه الكبائر والصغائر بالغة ما بلغت ولا يقع له وهم في التوحيد لكن بالإذن الصحيح عنه رضي الله عنه وأرضاه، أو ممن أذن له، وهذا أوان الشروع في معانيها، وشرح مبانيها. قال رضي الله عنه مستعيناً به متوكلاً عليه الكلام على البسملة بيِّن لا يحتاج إلى ذكره، وكذلك الصلاة على رسول الله ﷺ، فإنّ الكلام عليهما أشهر من نار على علم فلا نطيل بذكرهما، فأقول وبالله الإعانة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق (قوله الله الله الله) اعلم أنّ هذا الاسم الشريف اختلف فيه هل هو مشتق، أو مرتجل قلنا الصحيح أنّه اسم مرتجل، وجميع ما ذكر أهل اللغة فيه من التصرف لا يصح ولا يتصور لأنّ ذلك يصح في الأسماء المعللة، وهي أسماء الصفات التي كل اسم منها يختص بمعنى من المعاني محقق في الذات العلية، فتلك الأسماء هي التي يطلق عليها التصرف يقال فيها متصرفة لتعليلها بمعانيها، وأما هذا الاسم الشريف فلا معنى له إلاّ الذات العلية المطلقة لا غير، ولذا قيل فيه: إنّه الاسم الأعظم لكونه ظهر في مظهر الذات العلية لعدم اختصاصه بمعنى دون معنى، فإنّ الحق سبحانه وتعالى سمى به نفسه في غيب الغيب حيث لا وجود لشيء معه وليس هناك شيء يتعلل به، ولقد وقع في الخبر أنّ الحق سبحانه وتعالى كان في الأزل لا شيء معه، فبرزت حقائق الوجود المحسوسة شؤونا ملحوظة لا وجود لها في الخارج، وخاطبت الأسماء الإلهية التي هي لهذا الاسم الشريف كالفلك المحيط على قطبه فقالت الموجودات للأسماء: إنّكم الآن لا تعرفون لأنّكم في بطون البطون فلو أبرزتمونا للظهور لظهرت فينا أحكامكم، وتوجهت فينا تصاريفكم، فتعيزت مراتبكم عن بطونها وعرفتم وعرفنا فقالت الأسماء للإسم الجامع وهو الرب وتوجهت إليه الأسماء بما توجهت إليها حقائق الوجود، فقال لهم: اسم الرب حتى أدخل على الاسم الجامع وهو الله، فدخل عليه حضرته وخاطبه بما خاطبته الأسماء فقال له: حتى أدخل على مدلولي، فدخل على الحق في حضرة جلاله جلّ وعلا وهي حضرة الذات المقدسة، فخاطبه بما خاطبت الأسماء به الرب، وطلب منه ما طالبته به فقال له الحق سبحانه وتعالى: أخرج إليهم فإني مبرز ما طلبتموه، فكان عن هذا السؤال بروز الوجود بأسره، فهذا يدل على أنّ هذا الاسم الأعظم ليس لعلة من العلل إنّما هو اسم الذات المطلقة الواجبة الوجود لذاتها، وإنّما يصح

التعليل فيه لو كان مختصاً بلغة من اللغات كالعربية مثلاً لأنّ اللغة لا يوضع فيها لفظ إلاّ بملاحظة معنى من المعاني، وهذا الاسم في عينه لم يختص باللغة العربية، ولا غيرها من اللغات بل جميع الموجودات في كل لغة من لغات الوجود تعرفه سبحانه وتعالى بأنّه عين هذا الاسم وهو الله لا غير؛ ومع هذا كله فقد اتفق العارفون رضي الله عنهم قاطبة على أنّه عين المرتبة لا عين الذات إذ مرتبة الحق سبحانه وتعالى الألوهية، والذات في غاية البطون لا يعلمها غيره سبحانه وتعالى وما برز للوجود كله إلا بالمرتبة، والذات غيب لا يدركها أحد فهي في غاية البطون والمرتبة في غاية الظهور، فما تسمع في كلام العارفين رضي الله عنهم أنّه هو الظاهر وحده لا وجود لغيره إنّما يريدون ظهور المرتبة فصحّ لنا من هذا الكلام أنّ هذا الاسم الشريف غير معلل فهو علم على الذات الواجبة الوجود، وما نطق به المتكلمون من قولهم أنّه اسم جزئي فباطل لا يصح لأنّ الجزئي فيما شأنه أنْ يكون كلياً أو جزئياً من الموجودات، فالكلي ما دلّ على جمع أو جنس لم يختص بجزء من أجزاء ذلك الكلي وانطواء الأجزاء تحت ذلك الكلي والجزئي ما دلّ على فرد من أفراد الجمع أو الجنس بحيث أنّ لا مشاركة فيه لغيره، وهذا الاسم الأعظم خارج عن جميع الكليات والجزئيات فلا يقبل دخول الجنس معه لعدم مجانسته لشيء من الموجودات، ولا يقبل دخول الكلي معه له في المشاركة معه في مرتبته، فبطل قولهم هو اسم جزئي فلا يصح في إطلاقه إلاّ القول بأنّه اسم مرتجل علم على الذات الواجبة الوجود من حيث المرتبة لا من حيث بطون الذات.

(فإنْ قلت): إنّ صور الموجودات معدومة في الأزل لا ظهور لها، فكيف صحّ منها التوجه، والكلام مع مرتبة الأسماء (قلنا): إنّ ذلك حق في عدمها، ولكن لما أراد الحق سبحانه وتعالى ظهورها أبرز منها صوراً كالخيالات، أو هي عين الخيالات، فتوجه منها الخطاب المضمر الذي لا يدركه الحس فخاطبت الأسماء بهذا الخطاب فتوجهت مشيئة الحق تعالى لإبرازها، والخيال يصح ظهورها بحيث أنْ لا ظهور له في الخارج وصورة ذلك ما يراه النائم في المنام فإنّه يرى صورة أو صوراً محسوسة ويخاطبها، أو يخاطبه ويدرك منها علوماً لم تكن عنده وهي لا وجود لها في الخارج إلا التخيل فقط فإذا استيقظ زالت تلك الصور لكونها لا وجود لها في الخارج إلاّ في الخيال، فكذلك هو الذي ذكرنا في حقائق الوجود وهو كذلك واقع من غير شك، وأما الحكمة في ابتداء هذه الصلاة بهذا الاسم الشريف فلكونه هو الأول الذي لم يتقدمه شيء فيلزم تقدمه على كل شيء لقوله ﷺ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**» وكونه ثلاثاً للحث عليه وعلى مسماه فسبحانه وتعالى بالرجوع إليه تعويلاً واستناداً واعتماداً وتوكلاً والتجاءً ومحبةً وتعظيماً واعتباراً في جميع الأمور بحيث لا يشذ أمر من

الأمور إلاّ كان المطلوب من العبد الرجوع إلى الله فيه فلهذا كرر ثلاثاً كأنّه يقول: عليك بالله عليك بالله عليك بالله.

(قوله اللهم) اعلم أنّ هذه الكلمة تقولها العرب جرت في ألسنتهم أنّها تخاطب الله بها في جميع أدعيتها، وهي جارية منهم مجرى الاستغاثة والتضرع وشدة الابتهال، وطلب التعجل في إجابة الدعاء كأنّه يقول: عجل إجابتي، أو عجل إغاثتي يا الله هذا المراد بها عند العرب. (قوله أنت الله) معناه هو ضمير المخاطب، واسم الجلالة تقدم الكلام عليه. (قوله: الذي لا إله إلاّ أنت) اعلم أنّ الإله في لغة العرب هو المعبود بالحق، وأطلقوها على غير غلط منهم قال جلّ من قائل: ﴿الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾[البقرة:٢٥٥] معناه لا معبود بالحق إلا هو والإله الذي قلنا: أنّه هو المعبود هو المتحقق بمرتبة الألوهية، وهو الذي خضع له الوجود كله بالعبادة والتذلل، والخمود تحت قهره والتصاغر لعظمته وكبريائه، وليس في الوجود شيء يشذ عن هذا قاصيه ودانيه فهو الإله الحق الذي قهر جميع الموجودات بسطوته وقهره وانفراده بعظمته وكبريائه وعلوه وجلاله (قوله العالي) اعلم أنّ معناه اتصافه بصفة العلو وهي العظمة والكبرياء والعز والجلال، والمجد والكرم والتعالي والندس ومحامد الصفات كلها من غير شذوذ شيء منها، فبهذا علا وتكبّر سبحانه وتعالى على كل شيء. (قوله في عظمته:) معنى العظمة هو أمر وجودي في ذاته فهو عظيم سبحانه في تعالي لا يحل به الاحتقار من وجه، وكل من دونه إذا تبدت له عظمته ذاب ذلاً وتصاغراً وصعق هيبةً وإجلالاً. (قوله انفراد حضرة أحديتك): اعلم أنّ حضرة الأحدية أول نسبة برزت من عين الذات لأنّ الحق جلّ جلاله في حضرة ذاته لا تعرف له نسبة فإنّ حضرة الذات الساذج بحر العمى والطمس لا يعقل فيها وصف ولا اسم ولا عين ولا أثر ولا غير ولا وهم ولا كم ولا كيف ولا اختصاص ولا خاصية، فهي القاطعة لجميع التوجيهات إذا برزت بعينها فلا تعقل نسبة وعند الخروج عن سذاجة الذات تبدي هناك لها ظهور النسب، وأول نسبة برزت هي الأحدية وهي انفراده بالوجود وهي مثل الذات اساذج في محو النسب والغير والغيّرية، إلا أنّها تتفرد عن الذات الساذج بنسبة الأحدية لأنّ الأحدية هي أول النسب لأنّ خروج الفاني عن سذاجة الذات يأخذ في تعقل المراتب والنسب، وأول نسبة يتعقلها نسبة أحدية الذات وليس له منها إلاّ التعقل لا الظهور لأنّ ظهور الأحدية غير ممكن لا يراها غير المتصف بها سبحانه وتعالى ومن سواه ليس له منها إلاّ التعقل، فإنّ التجلي بها لغيره لا يتأتى ولا يتمكن لأنّه إنْ تجلى بها وتعقلتها وعرفتها فأنت، وهو إثنان لا واحد في الظهور فلا أحدية حينئذٍ، وإنْ محقت وسحقت حتى لا عين منك ولا أثر ولا شعور ولا وهم ولا فناء ولا شعور بالفناء، كان حينئذٍ متجلياً بنفسه فقط ليس لك منها شيء، فبهذا تعلم أنّ التجلّي بالأحدية مستحيل لا يتجلى بها

إلاّ لنفسه، فإنّ المراتب ثلاثة في هذا الميدان التي هي أصول النسب، المرتبة الأولى: الأحدية، وهي مرتبه كنه الحق حيث لا توهم للغير وللغيرية ولا اسم ولا صفة ولا رسم ولا كم ولا كيف ولا تعقل ولا تخيل إلاّ الحق بالحق في الحق للحق عن الحق، فهذه هي مرتبة كنه الحق، المرتبة الثانية: هي مرتبة الوحدة المطلقة، وهي أول مراتب الظهور للغير حيث يتعقل فيها الغير والغيرية، وهذه المرتبة هي مرتبة شهوده ﷺ لا مشاركة فيها لغيره إلاّ من اختصه الله بالخصوصية العظمى وهي مرتبة الخلافة فله هذا المشرب، المرتبة الثالثة: هي مرتبة الواحدية، وهي مرتبة عموم الألوهية حيث يتصف الحق فيها بجميع صفاته وأسمائه، وظهور خواصها ونسبها على جملها وتفصيلها كماً وكيفاً وإطلاقاً وتقييداً كلها قديمة للحق انتهى.

(قوله: التي شئت فيها بوجود شؤونك): اعلم أن الشؤون هنا هي حقائق الوجود وسميت شؤوناً لعدم التمايز بين حقائقها، فإنها مضمرة في الأحدية ليس لها عين ولا وصف ولا اسم ولا رسم ولا كيفية ولا لون ولا مقدار، فلهذا سميت شؤوناً إذ لا معرفة لشيء من حقائقها بوجه من وجوه التعريف فهي مستوية المباني متماثلة المعاني وفي هذا يقول الشيخ الأكبر رضي الله عنه:

كنا حروفاً عاليات لم تقلْ … متمسكين من العلى بذرى القلل
أنا أنت فيه، ونحن أنت، وأنت هو … والكل في هو هو فسل عمن وصل

أشار بهذا إلى حضرة الأحدية، فإنّ الأشياء فيها معدومة من آلات التعريف من الأسماء والأوصاف والألوان والمقادير والكميات والكيفيات والزمان والمكان، فهذه أسباب التعريف بين حقائق الوجود وبها يتميز بعضها عن بعض، وبذا تعرف نسبها ومراتبها، وحيث انعدمت آلات التعريف صارت شؤوناً مضمرة، والشؤون هنا يستوي فيها ما حكم عليه بالظهور للوجود وما حكم عليه ببقائه في طي العدم، فالكل على حد سواء لا تفاوت لشيء منها، وعلى هذا الحد وقع خطاب الآية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن: ٢٩]، وسماها شؤوناً مع كونها يبديها صور محدودة بالكم والكيف واللون والصورة والاسم والزمان والمكان فهي معروفة محدودة لكنه يشير إلى أولها لأنّ أولها كان شؤوناً في مرتبة الأحدية فقد قيل: إنّ الرفاعي رضي الله عنه كان يدرس في مجلسه، فسأله سائل لا يعرفه فقال له: ما معنى كل يوم هو في شأن، فتحير ولم يجد جواباً فسكت ثم نام ليلاً فرأى النبي ﷺ في المنام، فسأله عن الآية، فقال له ﷺ: شؤون يبديها لا يبتديها، فلما عاد للدرس من غد عاد السائل إليه، فسأله فقال له شؤون يبديها ولا يبتديها فقال له: صل على من علمك، وظهر أنّ السائل هو الخضر عليه السلام.

(قوله وأنشأت من نورك الكامل) اعلم أنّ النور الكامل هنا لا يطلق إلاّ على نور الذات، ولا يطلق على غيرها، وأمّا حقيقته وصورته فلا مطمع لأحد في فهمها فضلاً عن رؤيتها. (قوله نشأة الحق) معنى الحق هنا هي: الحقيقة المحمدية عليها من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام وسماها نشأة الحق لأنّها حق في حق يحق عن حق لحق فلا يحوم الباطل حولها بوجه من الوجوه، فهي في غاية الصفاء والطهارة والعلو، فليس في جواهر الوجود أشرف وأعلى منها ولا أصفى ولا أطهر ولا أكمل منها، ثم إنّها في حقيقتها لا تدرك ولا تعقل، قال أويس القرني رضي الله عنه لسيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما حين لقياه: «لم تروا من رسول الله ﷺ إلا ظله» قالوا: ولا ابن أبي قحافة قال: ولا ابن أبي قحافة، لأنّه ما قال لهم ذلك حتى وصل لجة المعارف طلباً للوقوف على عين الحقيقة المحمدية، فقيل له: هذا أمر عجز عن الوصول إليه أكابر الرسل، فلا مطمع فيه لأحد بوجه ولا حال. وفيه يقول الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه في صلاته: «وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق» الخ قال أبو يزيد رضي الله عنه: «غصت لجة المعارف طلباً للوقوف على عين الحقيقة المحمدية فإذا بيني وبينها ألف حجاب من نور لو دنوت من الحجاب الأول لاحترقت كما تحترق الشعرة إذا ألقيت في النار، فتأخرت القهقرى» انتهى.

(قوله وأنطتها) يعني جعلت الوجود كله منوطاً بها من أوله إلى آخره من الآن إلى الأبد لا وجود لشيء بدونها، فإنّ الوجود كله وجد لأجلها فقط لا لذاته وهي مطلوبة لذاتها لا علة إلاّ الذات، فهي موجودة لأجل الذات المقدسة فلا واسطة بينها وبينها، والوجود كله منوط بها فهي الواسطة بين الوجود وبين الله تعالى إذ لولاها لتلاشى الوجود كله في أسرع من طرفة العين فالوجود كله نائم تحت ظلها. قال الشيخ مولانا عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه في صلاته: «ولا شيء إلاّ وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط»، وقوله أيضاً في الصلاة: اللّهم إنّه سرك الجامع الدال عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك، انتهى.

(قوله وجعلتها صورة) قلنا الصورة هنا هي أول أمر برز من حضرة الشؤون التي هي العمى فإنّ حضرة الشؤون تقدم الكلام عليها وهي حضرة العمى، فالشؤون كلها لا تمايز لشيء على شيء فيها فلا صورة ولا كم ولا كيف ولا مقدار ولا تقديم ولا تأخير ولا مكان ولا زمان، فلهذا سميت عمى، فإذا برزت الأشياء من هذه الحضرة سمي كل شيء منها صورة لأنّه برز بالكمية والكيفية والمقدار والاسم والصفة والرسم وتميز عن غيره بالضرورة، فمن هنا أطلق عليه صورة وكان أول بارز من حضرة الشؤون التي هي العمى هي الحقيقة المحمدية. قال الشيخ الأكبر في صلاته: اللّهم أدم صلة صلواتك وسلام

تسليماتك على أول التعينات المفاضة من العمى الرباني، وقد قال ﷺ للسائل حين سأله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال له ﷺ: كان في عمى ما تحته هواء، وما فوقه هواء، والعمى عند العرب هو السحاب وسمته العرب عمى لكونه يغطي عين الشمس، ولم يرد هذا ﷺ بل أراد ﷺ بالعمى المرتبة الأولى من مراتب الذات، وهي حضرة الطمس والعمى وقد تقدم الكلام عليها فهي العمى الأول، والعمى الثاني: حضرة الشؤون حيث لا يتميز فيها شيء وعند خروج الشيء من حضرة العمى الثاني يسمى صورة، انتهى.

(قوله كاملة تامة) اعلم أنّ الكامل والتام لم يعرف عند العرب إلا أنّهما مترادفان الكامل هو التام والعكس، وتطلق هنا في التفتن للمدح، ويلوح في هذا المحل للفهم أنّ الكامل هو الذي يفيض الكمالات على غيره، والتام هو الذي لا يتعداه إلى غيره بل هو مقصور على نفسه والكامل هو الذي يفيض الكمال على غيره، كما قلنا؛ ولا شك أنّه ﷺ في هذا الميدان تام في نفسه لا يطرأ عليه النقص بوجه من الوجوه كامل ﷺ يقبض الكمالات على جميع الوجود من العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأعمال والأحوال والفيوضات والتجليات والمواهب والمنح وجميع وجوه العطايا، فكل ما يفيضه الحق سبحانه وتعالى على الوجود مطلقاً ومقيداً، أو كثيراً أو قليلاً مما اشتهر أو شذ إنّما يفيضه بواسطة رسول الله ﷺ، فمن ظنّ أنّه يصل من عند الله شيء للوجود بغير واسطة رسوله ﷺ، فقد جهل أمر الله، وإن لم يتبْ خسر الدنيا والآخرة، بهذا الاعتقاد نسأل الله السلامة والعافية من بلائه بجاه رسله وأنبيائه انتهى. (قولة تجد منها) معناه أي من الصورة التي أنشأها من النور الكامل وهي الحقيقة المحمدية. (قوله بسبب وجودها) أي فإنّه قبل وجودها لا يداخلها شيء في العالم الصوري إلاّ ما يجد منها في حضرة العلم لكونها عيناً ثابتة. (قوله: من انفراد أحديتك) معناه أي تجد من تلك الصورة من انفراد أحديتك بعد ظهور الصورة، وعين ما يجد في هذه الصورة هو شهود ذاته المطلقة الساذج يشهدها في هذه الصورة، والصورة لها كالمرآة تتراءى فيها، فإنّه سبحانه وتعالى يرى في تلك الصورة عين ذاته المقدسة وهي المراد بانفراد الأحدية فإنّ الأحدية عين الذات عيناً بعين ولا تزيد عليها إلاّ أنّ فيها نسبة الأحدية لكون الذات الساذج عاريةً عن النسب، والأحدية نسبة من النسب انتهى. (قوله قبل نشر أشباحها) اعلم أنّ معنى نشر الأشباح هنا هي ذوات الوجود من الأزل إلى الأبد كلما وقع من ذرات الوجود هو ناشيء عن تلك الصورة، ولهذا قيل: إنّه الأب الأول لكون الأشياء كلها تناسلت من حقيقته المحمدية، فهو لجميعها كأصل الشجرة وذوات الوجود كلها كأغصان الشجرة فهو عينها ﷺ من كل وجه ولا يتراءى هذا إلاّ لمن تخطى نسب الوجود برز له الحق عيناً بعين يشهد هذا السر وإلا فلا. (قوله: وجعلت منها فيها) يعني من الصورة فيها «بسبب انبساط العلم» جعل الله انبساط العلم

بسببها في الوجود الجاري على حد قوله سبحانه وتعالى ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾[البقرة:٢٥٥]، فذلك العلم منبسط من هذه الصورة فهو ينبوع العلم وعنصره فهي له كالبحر الجامع، وينشق منها لذوات الوجود بحاراً، أو انهاراً أو سواقي وحيوطاً انتهى.

(قوله بسببها): يعني أنّ العلم الجاري في هذه الصورة وهي ينبوعه إنّما كان بسببها فقط، إذ لا علة لها بينها وبين ذات الحق حتى تكون لها سبباً، فإنّ الله تبارك وتعالى أراد هذه الصورة لذاتها، فهي سبب كل شيء، وهي سبب لنفسها. (قوله وجعلت من أثر هذه العظمة) سمها عظمة لكونها قبضة من نور عظمة الله تعالى فلذا سماها عظمة، وقوله من أثرها، فإنّها هي السبب في إظهار ذوات الوجود من العدم إلى الوجود، فإنّه ﷺ لولاه ما أظهر الله شيئاً من الموجودات ولبقيت كلها في طيّ العدم، ومعنى هذا أنّه لو جرت مشيئة الله تعالى التي عنها وجدت الأكوان بأنْ لا يخلق محمداً ﷺ لجرى في مشيئته أنْ لا يخلق شيئاً من الوجود، فذوات الوجود هي الأشباح البارزة عن حقيقته ﷺ بمنزلة الأولاد البارزين عن الأب الواحد انتهى. (قوله ومن بركاتها شبحة الصور كلها جامدها ومتحركها) اعلم أنْ ذوات الوجود كلها برزت عن حقيقته ﷺ جامدها ومتحركها، (قوله وأنطتها بإقبال التحريك والتسكين) يعني أنّ العوارض الحالة في ذوات الوجود وهي الحركة والسكون هي أيضاً بارزة في ذوات الوجود عن الحقيقة المحمدية فهي منوطة بها، كما أنّ ذوات الوجود وهي الصور المحسوسة منوطة بالحقيقة المحمدية لا وجود لها بدونها، كذلك الأعراض الحالة في ذوات الوجود وهي الحركة والسكون وما ينشأ عنها من قبض وبسط وإعطاء ومنع ومدح وذم، كل ذلك بارز عن الحقيقة المحمدية من الأزل إلى الأبد ا هـ.

(قوله وجعلتها في إحاطة العزة) يعني يريد بها الصورة التي خلقها من نوره الكامل، وجعلها في إحاطة العزة يريد أنّه جعلها في غاية المنع والاحتجاب من حيث أنّه لا يصل إلى فهمها ومعرفتها غيرها من جميع المخلوقات فهي التي احتجبت في سرادقات العزّ والجلال، فلا مطمع لأحد في فهمها فضلاً عن نيلها ورؤيتها. (قوله من كونها قبلت) يعني الوجود منها فيها ولها فهي موجودة لا معللة بشيء، فوجودها منها لا علة له إلاّ الذات المقدسة. (قوله منها وفيها) أي وكان وجودها مستمداً من الحق سبحانه وتعالى فقط لا شيء وراءها، فإنّ ذوات الوجود كلها معلل وجودها بشيء تراد له إلاّ الحقيقة المحمدية، فإنّها هي مرادة لذاتها لا لشيء يراد بها. (قوله ولها) يعني قبلت الوجود لها أي لذاتها لا لشيء وراء ذلك، فإنّ الوجود كله منوط بها وليست هي منوطة بشيء إذ لا واسطة بينها وبين الذات المقدسة، كما ورد في الخبر يقول له: «خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك أنت من أجلي» فدل هذا الخبر أنّ الوجود كله لا يراد لذاته إنّما خلق

لأجل الحقيقة المحمدية وهي لم تكن منوطة بشيء تخلق لأجله ليس لها تعلق إلاّ للذات المقدسة من حيث ما هي هي، وإلى هذا يشار في الصلاة البكرية التي هي من إملائه ﷺ عليه بقوله فيها: عبدك من حيث أنت، كما هو عبدك من حيث كافة أسمائك وصفاتك، معنى هذا أنّه يعبد الله وحده من حيث الوجود المطلق، وهي الذات الصرفة الساذج من حيث أنْ لا تعلل له في شيء فلو بقي في هذا المحل ﷺ لكان غيباً من غيوب الذات لا يصح أنْ يناط الوجود المعلل به لأنّ الوجود بأسره عين الصفات الإلهية والأسماء الكريمة، وهي في نفسها تومىء إلى ضرب من المغايرة لكونها عين الوجود، أو الوجود قائم بها والذات من هذا المنوال لأنّها بحر الطمس والعمى بحيث أنْ لا تعقل فيها للغير والغيرية بوجه من الوجوه، ولما كان المراد منه ﷺ الكمال العالي الذي به يستمد منه الوجود، ويكون سبباً في وجود الوجود أعطى الرتبة الأخرى وهي قيامه بحقوق الصفات والأسماء اتصافاً بها وتحققاً بها، وبذا استمدت منه الوجود حياةً وقياماً ووجوداً، فهذا قيامه ﷺ بعبادة الله وبصفاته وأسمائه، فكان عبدالله من حيث الذات المطلقة ومن حيث أنّ لا علة ولا غيرية وكان عبدالله من حيث جمع الصفات والأسماء، فبهذا حمل سر الخلافة عن الله في جميع المملكة الإلهية من غير شذوذ ا هـ.

(قوله وتشعشعت الصورة البارزة بإقبال الوجود): اعلم أنّه لما قام ﷺ بكمال المرتبتين في العبودية والعبودة استمد منه الوجود حياته ووجوده وقيامه، فبذلك انبسط سر الوجود عليه والحياة، وهذا عين المتشعشع لأنّ تشعشع الشيء بقوة ظهور لقوة النور، فهذا معنى تشعشعت الصورة، ومعناه هي ذوات الوجود ذرة ذرة وتشعشعها ليس دفعة واحدة بل عن الأمر الذي أراده الله منها في تعاقب الزمان والمكان والأسباب والإضافات اهـ. (قوله بإقبال الوجود) يعني أنّها ظهرت حتى تبدت لظهور العيان بعد أنْ كانت في غيب العدم. (قوله وقدرت لها) معناه أي قدرت لتلك الصور المخلوقة من النور الكامل لها لا لشيء غيرها. (قوله وفيها) أي من كونها ظرفاً لجميع الوجود فهي في هذا الميدان هي عين الوجود بأسره، وهي له كالجسد، فالوجود كله لها بمنزلة الجوارح الملتصقة بالجسد، وهذا السر لا يكشف ولا يعرفه غير الله تعالى. (قوله ومنها) يعني تناسلاً وامتداداً، وقد قدمنا أنّها الأب الأول الذي له الوجود كله بمنزلة الأولاد. (قوله ما يماثلها) يعني أراد بها الصورة الآدمية، فإنّها تماثل صورته الشريفة ﷺ. (قوله مما يطابق أرقام صورها): هو تفسير لما يماثلها، والمطابقة عند المنطقيين هي المماثلة بكل وجه، وبكل اعتبار، والموافقة هي المماثلة بين الشيئين في بعض الوجود دون بعض، وكانت الصورة الآدمية مطابقة لصورته الشريفة ﷺ بكل وجه وبكل اعتبار. (قوله وحكمت عليها بالبروز): يعني أراد بها الصور المقدرة في الغيب التي هي مطابقة لصورته الشريفة ﷺ حكم عليها بالبروز لإخراجها من

العدم إلى الوجود لينفذ فيها أحكامه وهي الجمل والتفصيلية التي نفذت فيها المشيئة في الأزل لأنّ الصورة البارزة لها أحكام تلازمها متعلقها المشيئة، وهي الصورة واللون والمقدار والمكان والزمان والأرزاق والأحكام، فهذه السبعة ملازمة لكل صورة، والصورة ظاهرة ما صورت عليه الذوات كلها واللون من الصبغ والتنويع هو اختلاف الألوان في الصبغ الواحد مثل الأبيض له أشكال كثيرة، والمقدار هو ما تتكيف به حقيقة الموجود من طول وقصر وصغر وكبر وثقل وخفة، فهذه مقادير الموجودات، والزمان هو الذي تختص به الذات من أول بروزها إلى وقت انعدامها إن كانت معدومة، والمكان هو الذي يخصّها فيما تستقر فيها وتتمكن فيها من الاستقرار فهذا هو المكان، والأرزاق هي القوانين التي تجري بها منافع الذات فيما هي مختصة به وتنتفع به دواماً أو محدوداً، فالدوام هو ما عليه حكمها في الجنة، فإنّها أرزاق دائمة الاتصال لا غاية لها لكنها مقسومة بالمشيئة الربانية فليس الناس فيها على حد سواء، ولا غير الناس من البهائم والطيور كلها متمتعة وكلها مختلفة الكيفيات يقول سبحانه وتعالى: ﴿أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض للآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ [الإسراء: ٢١]، فأقلهم منزلة مثل الدنيا عشر مرات كما في الحديث، وأكبرهم لا حد له، ولا غاية، فكيف يقاس من له من عدد الحور وحده أكثر من عدد الملائكة بأسرها والجن والإنس والطير والحشرات بأضعاف مضاعفة لا يتناهى ضعفه، فإنّ الحوراء الواحدة خدمها سبعون ألف جارية من غير من تحت حكمها من الخدام الذكور، فإنّ السبعين ألفاً من الجواري ملازمون لها يقومون بقيامها، ويقعدون بقعودها، فما عسى أنْ يقاس ملكها، فهذا في أهل الجنة ما عدا الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنّهم أعلى رتبة مما ذكر بأضعاف مضاعفة وفائدة هذا أنّ الأرزاق تجري بالمشيئة الإلهية سواء كانت دائمة كأرزاق الجنة أو محدودة كأرزاق الدنيا، وأما الأحكام فهي الأمور لتي تجري عليها على قانون التنغيص والعذاب كذلك دائمة أو محدودة، الدائمة كعذاب أهل النار في الآخرة والمحدودة كمصائب أهل الدنيا، فهذه الأحكام هي اللازمة للذات البارزة للوجود.

(قوله لتأدية ما قدرته عليها:) معناه هو الذي قدمناه أبرزها سبحانه وتعالى من العدم إلى الوجود لتأدية ما قدره عليها، ولها من الأحكام التي ذكرناها. (قوله وجعلتها منقوشة في لوحها المحفوظ) الضمير في جعلتها يعود على الصور البارزة للوجود التي ذكرنا لها الأحكام السبعة منقوشة في لوحها، والنفس ههنا هو تجلي حقائقها في الصورة المحمدية وهي المراد باللوح المحفوظ، فإنّ جميع الأشياء البارزة من الغيب من الأزل إلى الأبد كلها متجلية في حقيقته المحمدية ﷺ، وهذا معنى قول الشيخ مولانا عبد السلام في صلاته وفيه ارتقت الحقائق اهـ. (قوله الذي خلقت منه) فإنّه سبق لنا أنّه هو الأب الأول

في جميع الوجود مطلقاً ومقيداً حتى لا يشذ عنه في هذا الباب شيء، فإنّهم له بمنزلة الأولاد البارزة عن الأب الواحد. (قوله ببركاته) معناه من بركاته ﷺ لكونه عين الرحمة الربانية، أفاض الوجود على جميع الوجود من تلك البركة. (قوله وحكمت عليها بما أردت لها وبما تريد بها): معناه هي الأحكام السبعة السابقة لنا الملازمة لكل ذات. (قوله: وجعلت كل الكل في كلك) معناه أنّ الكلية والجزئية مستحيلة على الله تعالى، لأنّه واحد في وجوده لا يقبل كماً ولا كيفاً ولا تعدداً ولا شيئاً من أحوال التعدد بل هو واحد في وجوده المطلق، وفي الاتصاف بصفاته وأسمائه، فليس هناك من يتصف بها غيره، والكلية المذكورة هنا في جانبه سبحانه وتعالى: هي كلية الصفات والأسماء الإلهية، فإنها متعددة لا حصر لها، وقوله: وجعلت كل الكل الثاني هنا هي ذوات الوجود يعني: وجعلت كل ذوات الوجود في كلك الضمير ههنا يعود على الله تعالى، وجعلت كل ذوات الوجود في كلية صفاتك وأسمائك لأنّها بعض منها، إذ ما في الوجود ذرة فما فوقها إلاّ وهي ظاهرة بإسم من أسماء الله الباطنة، به قوامها وبه تمّ وجودها ولولا ذلك الاسم ما ظهرت للعيان. يقول ابن عطاء الله في الحكم: لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود أبصار إذ لا حد لصفاته وأسمائه، فلو قدرت إنّ الإنسان بقي تنكشف له صفات الله وأسماؤه من منشأ العالم إلى الخلود الأبدي في الجنة وطول أبد الأبد والصفات والأسماء تنكشف له في كل من مقدار طرفة العين قدر سعة السموات والأرض بالنسبة إلى نقطه القلم لما فرغ أمرها، ولا تم عددها فلا غاية لها، (فإنْ قلتم) إنّ ذوات الوجود كلها قوامها بأسماء الله الباطنة، وقلتم لا نهاية لها فأين الأسماء الحسنى؟ (قلنا:) إنّ الأسماء أمهات وهي الأصول والأسماء الباطنة هي لها كالأغصان للشجرة متفرعة عنها اهـ. (قوله: وجعلت هذا الكل) المشار إليه بهذا الكل هنا هي ذوات الوجود. (قوله من كلها): هي مجموع الصفات الإلهية والأسماء (قوله: وجعلت الكل قبضة من نور عظمتك) المراد بها هنا هي الصورة المخلوقة أولاً من النور الكامل وهي الحقيقة المحمدية، وما تولد عنها من ذوات الوجود كله فإنّه لها هو الأب الأول، وعن تلك الحقيقة وجدت تلك الموجودات كلها بها قوامها وعنها نظامها، ومنها مددها إذ من تلك الحقيقة استمد الوجود كله، وقوله: قبضة من نور عظمتك معناه هي كلها قبضة من نور العظمة إلاّ أنّها مختلفة المأخذ فما كان منها عاقلاً كالآدمي والملك والجن وأشباهه ظهر بصورة العظمة في نفسه ظاهرةً أو خفيةً لأنّ تلك المظهرة فيها هي أثر صفته سبحانه وتعالى حلاها بها لأجل تجليه فيها، ولو شاء لاستلبها منها فتدكدكت، وصارت محض العدم، وما كان منها غير عاقل فليست فيه تلك الصفة بظاهرة بل هي كامنة فيه لا يشعر بها فإنّ البهائم وأمثالها لا يشعرون بتلك العظمة، فالإنسان جامع لجميع الأسماء والصفات، خلق الله

روحه من صفاء صفوة النور الإلهي وحلاها بصفاته العظيمة من العظمة والعز والكبرياء والسطوة والقهر، فظهرت بهذه العظمة في الوجود، وظهوره بها مذموم شرعاً إلا من قهرته التقوى منهم، ثم مع هذا التحلي الذي حلاه صبّ عليه مواقع من أحكامه القهرية، ليعرف قدره رتبته من الأمراض والمصائب والفقر والموت، وما يخرج منه من الفضلات الخبيثة، ولو أنّه أراحه من هذه الأمور على الدوام مع أمنه من الموت لصرح بالألوهية صراحة من غير إخفاء، وقد تجلى في الإنسان بجميع صفاته وأسمائه قبولاً، أو وقوع القبول منه لأرباب الحجاب والوقوع للعارفين الذين وصلوا مرتبة الكشف حيث كوشفوا بصفاء المعرفة واليقين، وإذا تأملت هذا الأمر عرفت أنّ الوجود كله لأنّه حمل جميع الصفات والأسماء وتجلى فيه الحق بها وليس في فرد من الوجود إلاّ اسم واحد لا تشترك ذرتان في اسم واحد، ولا يشترك اسمان في ذرة واحدة ولا شك أنّ ذوات الوجود متناهية والأسماء بعددها ووراء ذلك من صفات الله وأسمائه التي لا تعلق للوجود بها ما لا غاية له ولا حد، وهي متجلية في الإنسان مع أسماء الوجود كله، فالوجود كله بعض من الإنسان، وفي هذا يقول الشاعر:

إذا كنت تقرأ علم الحروف ... فشخصك لوح به أسطر
وتمثال ذلك النموذج ... لك الوجود لمن ينصر
لئن كان جرمك جزءاً صغيراً ... ففيك انطوى العالم الأكبر
فلا ذرة منك إلا غدت ... بها يوزن الكون بل أكثر
ولا قطرة منك إلاّ وفي ... ينابيع أسرارها أبحر
لأنت الوجود وكل الوجود ... وما فيك موجود لا يحصر
وكل الوجود إذا قسته ... إليك فذاك هو الأصغر

يشير إلى هذا الذي ذكرناه، وفي هذا المعنى يقول الشاعر أيضاً:

تسترت عن دهري بظل جنابه ... فصرت أرى دهري ولا يراني
فلو تسأل الأيام عني ما درت ... وأين مكاني ما عرفن مكاني

ومعنى البيتين هي مرتبة الخليفة الأعظم إذ لا اسم له يختص به، فإنّ أسماء الوجود كلها أسماء له لتحققه بمراتبها، ولكونه هو الروح في جميع الموجودات، فما في الكون ذات إلاّ وهو الروح المدبر لها، والمحرك والقائم فيها ولا في كورة العالم مكان إلاّ وهو فيه ومتمكن منه، فبهذا الاعتبار ولا اسم له يتميز به الوجود، ولا مكان يختص به دون آخر، فلهذا قال: فلو تسأل الأيام إلخ يشير إلى هذه المرتبة وهي الخلافة العظمى. قال المرسي: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لأنّ أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته، ومعنى

الولي هو الإنسان الكامل وهو الخليفة الأعظم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقد قال محي الدين في الإنسان المحجوب: ليس بإنسان إنّما هو شبه الإنسان كالذات الميتة التي لا روح فيها فهي ذات الإنسان، ولكن لا روح فيها وحيث يسمع كلام الصوفية أنّ الروح غير مخلوقة بل هي قديمة أزلية يشيرون إلى الروح، وهي صفاء المعرفة بعد الفتح، فإنّ صاحبها يفعل ما يريد في كل ما أراده يُحيي الموتى إذا شاء ويناديها فتجيبه مسرعةً ولو كانت رميمة وتثمر الشجرة اليابسة في الحين إذا شاء إلى غير ذلك من الخوارق، فلا يصعب عليه شيء من خرق العادة إلاّ أنّ عليه جبال الأدب مع الحضرة الإلهية فهي التي تمنعه من هذا، فإنْ أظهر الخوارق ما يأباه الوقت عوقب في الحين أو طرد وسلب لأنّه ممحو في الحضرة الإلهية ميت عن جميع حظوظه فلا قيام له إلاّ بقيام الحق، ولو قيل له: ما تريد لقال ما أريد إلاّ ما يريد بي الحق سبحانه وتعالى: فهو فانٍ عن مراداته قائم بإرادة الحق له في جميع حركاته وسكناته وتقلباته وإرادته ا هـ.

(قوله روحاً لما أنت أهل له ولما هو أهل لك) الروح ههنا مفرعة على ما سبق في قوله، وجعلت الكل قبضة من نور عظمتك جعلتها روحاً لما أنت أهل له ولما هو أهل لك، والروح ههنا عام وخاص، وكلاهما يقال فيه أهل لك وأنت أهل له، فالروح العام هو سريانه ﷺ في كلية العالم جزءاً جزءاً حتى لا يشذ شيء منه، وسريانه فيه تمام قيامه وبه قوام نظامه فلا شيء في الوجود يستبد بصريح الوجود في ذاته دون سريانه فيه ﷺ بحكم السراية، وتلك السراية وسريانها في كليات العالم هي االمعبّر عنها، بالروح يعني روحاً لجميع العوالم كليتها وجزئيتها حتى الكفار ومن أشرك بالله تعالى، فإنّ قيامهم بسريان روحه ﷺ فيهم وهو سريانه ﷺ في كليات العالم، وكونها هي أهل لك وأنت أهل لها في هذا العموم من حيث أنّها كلها نشأت عن مشيئة الإلهية، وإحاطة قدرته وإحاطة علمه ونفوذ كلمته السارية فيهم بقوله: كن فمن هذه الحيثية كلها أهل الله تعالى، وإنْ وقع في بعضها الكفر والإشراك، وإنما ننفيها عن أهليته سبحانه وتعالى لو كان وجودها واقعاً عن عدم صفاته العلية فنقول: ليست أهلاً له لأنّها من غيره عن غيره، وهذا الوصف مستحيل عليها إذ لا يمكن أنْ يوجد شيء في الوجود دق أو جلّ فرداً فرداً إلا بإحاطة صفاته العلية فهي حينئذٍ أهل للحق سبحانه وتعالى وهو أهل لها أيضاً لأنّه تصرف في وجودها باختيار الذي هو عين المشيئة وبإحاطة القدرة والعلم، ونفوذ الكلمة السارية فيهم بقوله: كن فهو من هذه الحيثية هو أهل لها أيضاً، وهو ﷺ في هذه الحيثية روح لجميع وجودها سار في جميع وجودها كسريان الماء في الأشجار فإنّ الأشجار في الأرض كلها تستمد من الماء ولولا الماء لهلكت كلها ويبست، فهذا معنى روحانيته لجميعها ﷺ، وأمّا الروح

الخاص منه ﷺ لها، فالمراد به هنا ما كان للحق بحكم الخصوصية والعناية وشفوف الرتبة وعلو الولاية، كالخاصة العليا من بني آدم من النبيين والمرسلين، وكافة الأقطاب والصديقين بل وعموم الصالحين من المؤمنين، وكجميع الملائكة عليهم الصلاة والسلام على اختلاف رتبتهم، وكأهل أرض السمسة ومن ضاهاهم من الموجودات، فإنّ هذه الطوائف لها الأهلية من الحق، وللحق منهم الأهلية بحكم التعظيم والإجلال والتخصيص والعناية وشفوف الرتبة، من حيث أنّ جميعهم معظمون في حضرته دائماً سرمداً لا يطرأ على أحد منهم أفول عن هذا المطلع وشموسهم أبداً طالعة في سماء هذا الوصف من حيث أنّ الله تعالى جعل جميعهم مطيعين لأمره منهمكين في حبه أبداً سريانهم في رياض قربه لا يخرجون عن هذا الميدان، فمن هذه الحيثية حصلت لهم أهلية الحق فهم أهل للحق بهذا الوصف، والحق أهل لهم بما اختصهم به بشفوف المراتب والمزايا العلية، وهو في هذا الوصف لهم ﷺ روح في جميع ما نالوه من الحق عن الإلهية، وبما اختصهم به من المراتب العلية، فهذا الروح خرج عنه الكفار ومن أشرك بالله تعالى، ومن خلط في إيمانه، فليس له من هذا الروح شيء ا هـ.

(قوله أسألك اللّهم بمرتبة هذه العظمة وإطلاقها في وجد وعدم) اعلم أنّ مرتبة هذه العظمة، وهي الصورة التي خلقها من نوره الكامل القابل توسل بها وسيلة لما يطلبه بعد بمرتبة هذه العظمة، وقوله وإطلاقها في وجد وعدم أراد أنّ هذه العظمة، وهي الحقيقة المحمدية سارية في جميع ذوات الوجود من كل ما نفذت المشيئة به من إخراجه من العدم إلى الوجود ومن كل ما نفذت المشيئة بإبقائه في طي العدم، وهو المراد بقوله: وإطلاقها في وجد وعدم أراد بها هنا الحقيقة المحمدية وهي الروح الساري في جميع ذوات موجوده ومعدومه لكنّ سريانها في الموجود ظاهر وسريانها في المعدوم الباقي في طي العدم، بحيث أنّ لا وجود له صعب المدرك لا تطيق العقول فهمه ولا إدراكه ولا يعلمه على حقيقته إلاّ الله تعالى، فهذا إطلاقها في وجد وعدم.

(قوله أنْ تصلي وتسلم)، فهذا مسؤول السائل بقوله أنْ تصلي وتسلم سأل من الله تعالى أنْ يصلي على نبيه ﷺ، والصلاة عليه من الله هنا توقيفية لا تعلم حقيقتها. (قوله على ترجمان لسان القدم) الترجمان هو الذي يعبر عن معنى الكلام الذي ليس عند السامع معرفته، وهنا معناه هو النبي ﷺ، ولسان القدم هو القرآن، وأطلق عليه اللسان، وإنْ كان ليس بلسان من باب إطلاق اسم اللازم على اسم ملزومه يقول سبحانه وتعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ [العنكبوت: ٢٢] أمّا الاختلاف في اللون فظاهر، وأمّا اختلاف الألسنة، فاللسان في حق كل آدمي فهو متماثل، وإنما اختلافه في العبارات الواردة في البيان عن المعاني، فهذه هي التي فيها الاختلاف، وأطلق عليه

اسم اللسان لكونها لازمة له، واللسان ملزوم بها من باب تسمية الشيء باسم ملزومه، فلهذا أطلق اللسان على القرآن لكونه وارداً على ألسنة البشر يقرأ بألسنتهم، فأطلق عليه اللسان بهذا لكونه ملازماً لألسنتهم، ولعل من يقول لا يصح ما ذكرتم من أنّ لسان القدم هو الذي أطلق عليه اللسان، وذلك وصف الذات المقدسة إذْ لا قدم لغيرها قلما أنّ إطلاق اللسان عليه في تسميته بالقرآن، وأمّا في غير تسميته بالقرآن، فلا يطلق عليه اللسان إذ لا يسمى قرآناً إلاّ إذا وقع على ألسنة البشر يقرؤون كلام الله فلذا يسمى قرآناً، وأمّا ماهيته في عين الذات فلا يسمى بها قرآناً أصلاً لأنّها صفة الذات المقدسة فلا يكون الحق سبحانه وتعالى قارئاً، ويوصف بكونه تعالى متكلماً فأطلق عليه اللسان بهذا من جريانه على ألسنة البشر حيث يسمى قرآناً لا في ماهيته في عين الذات فلا يسمى هناك لا قرآناً، ولا لساناً وليس له الاسم الكلام قال سبحانه وتعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦]، والمراد به القرآن، والقرآن في نفسه قال العلماء هو دال على كلام الله القائم بذاته يريدون به القرآن المقروء بألسنتنا، يقولون هو دال على المعنى القائم بالذات المقدسة وهو كلام الله قلنا: هذا إطلاق تسامح وإلاّ فعين الحقيقة تعطي أنّ القرآن المقروء بألسنتنا دال على مدلول كلام الله لا على عين كلام الله، فإنّ كلام الله ماهيته هو المعنى القائم بالذات منطمس مضمر لا عبارة عنه، ولا تدرك له حقيقه، ولا تعرف له كيفية، فكيف نعبر عنه لأنّ حقيقته تابعة لحقيقة وجوده المطلق وهي الذات المقدسة، فكما لا تعرف حقيقة الذات من حيث ما هي هي كذلك لا تعرف حقيقة الكلام الأزلي من حيث ما هو هو في عين الذات العلية، فلا تدرك حقيقته ما لم تدرك حقيقتها، فلا مطمع في درك حقيقتها بوجه ولا حال لا في الدنيا ولا في الآخرة قال سبحانه وتعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فكما بعد درك حقيقة ذاته العلية كذلك بعد درك حقيقة الكلام الأزلي كسائر الصفات العلية من القدرة والإرادة والعلم إلى آخر صفات المعاني كلها حقائقها تابعة لحقيقة وجود ذاته، فما لم تعلم حقيقة ذاته لا تعرف حقائقها، فالقرآن الذي بأيدينا دال على مدلولات كلام الله تعالى القائم بذاته، قال سبحانه وتعالى: ﴿الذي خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن﴾ [الطلاق: ١٢]، أي مدلولات هذا الكلام الله هو العلم على الذات العلية الواجبة الوجود، وخلق دلّ على إنشاء ما بعدها من العدم إلى الوجود، وسبع دلّ على العدد المعلوم، والسموات دلّ على القباب المرتفعة فوقنا سبعاً، ومن الأرض مثلهن دلّ على السبع البسوط المنبسطة تحتنا، وهي معلومة، فالكلام القائم بذاته تعالى الله الذي خلق الخ، ومدلولاته هي التي ذكرت فيه ومعلوم في غير التحقيق أنّ المدلول غير ما دل عليه لأنّ الكلام في نفسه معنى قائم بالذات لا يصح أنْ يكون عين أجرام السموات والأرضين فهي مدلولات

فيه، ونطقنا بهذه الآية ﴿الله الذي خلق﴾ [الطلاق: ١٢] الخ ما نطقنا إلا دلالاً على مدلول الكلام الأزلي وهي أجرام السموات والأرضين، فدلّ بهذا أنّ قراءتنا دالة على مدلول الكلام الأزلي لا على عين الكلام الأزلي (فإنْ قلتم): إنّ الكلام الأزلي متحداً الحقيقة لا يتجزأ محمولاته متعددة إلى غير نهاية، فكيف يصحّ أنْ يقال الكلام متحد مع أنّه سبحانه وتعالى قال: ﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام «إلى قوله» ما نفدت كلمات الله﴾ [لقمان: ٢٧] فدلّ هذا على التعدد في حقيقة الكلام، (قلنا:) إنّ الكلام في نفسه واحد لا يتجزأ، وإنّما التعدد في متعلقاته التي هي محمولة فيه، وهي مدلولاته لأنّ الكلام في نفسه أسماء يعبّر بها عن مسميات، وتطلق أسماء المسميات على الكلام، ومن ههنا تعلم أنّ ذوات الوجود كلها عين كلام الله تعالى من حيث الإطلاق والتسامح لا من حيث الحقيقة، فإنّ الحقيقة أنّ الكلام القائم بالذات لا يطلق على الموجودات، ولا تسمى الموجودات به لكن أطلق عليها بأنّها كلام الله من حيث أنّها نشأت من الكلمة العلية بقوله لها: «كن» فإنّه مضمر عنده في حقيقة علمه، ولو لم يكن في حقيقة علمه ما قال له: «كن» متصور في حقيقة علمه باسمه الخاص به وماهيته المعلومة وصورته ولونه وزمانه ومكانه كل ذلك مقرر في حقيقة العلم الإلهي مضمر باطن في حقيقة علمه، وعند قوله له: «كن» يبرزه إلى الوجود، قال سبحانه وتعالى: ﴿إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أنْ نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠]؛ (فإنْ قال قائل:) إنّ الكلمة البارزة من الحق بقوله «كن» لجميع الوجود قديمة أزلية، فيلزم معها قدم الوجود لأنّه مقترن بالكلمة، فيلزم قدمه بقدمها أو حدوثها بحدوثه، (قلنا:) إنّ كلمة «كن» برزت من الحق في الأزل بلا أولية، ولا اقتران بزمان أو مكان، إنّما هي كلمة قديمة بقدم ذاته والوجود الذي نشأ عنها قال له مثلاً: «كن» يريد في الوقت الذي أردتك فيه، والمكان الذي أردتك فيه، فإنّ الأمكنة والأزمنة مختلفة المباني متغايرة المعاني، وبهذا فارق الوجود عين الكلمة فلا يقال: قديم بقدمها، ولا حادث بحدوثه، لأنّ الزمان والمكان مضمران في قوله لها كنْ يريد في الوقت الذي أردتك فيه، وفي المكان الذي نشأ عنها ليس له في القدم الذي أردته به، فالكلمة قديمة بقدم ذاته، والوجود الذي نشأ عنها له في القدم مرتبة إلاّ التعينه في حقيقة العلم الأزلي من حيث أنّ له أحكاماً سبعة كما قدمناها في حقيقة الوجود وهي: الصورة والصبغ واللون والمقدار والزمان والمكان والأرزاق؛ فمن حيث تميزه في حقيقة العلم بهذه الأمور السبعة نقول له ضرب من مرتبة القدم من حيث أنّه متصور في العلم بأحكامه السبعة فهو قديم العلم، أردنا أنّ العلم به قديم فإنّ علم الله لا يأتي حدوثه بل هو قديم بقدم ذاته، وكل الوجود مصور في حقيقة علمه فلا يقع في الوجود إلاّ ما تصور في العلم، ومحال قطعاً أنْ يقع في الوجود غير ما تصور في العلم.

(فالحاصل لنا من هذا) أنّ الكلمة الإلهية التي هي «كن» قديمة بقدم ذاته والوجود البارز عنها حادث بحدوث زمانه ومكانه، ثم إنّ حدوث الزمان يطلق عليه الحدوث من حيث إضافته للموجودات لا من حيث إضافته للحق، فإنّه قديم أزلي، وبهذا يلغز ويقال أخبرونا عن شيء واحد لا يتبعض ظاهر الكيفية والصور للخصوص والعموم، ثم هو في حقيقته قديم أزلي وحادث ممكن قلنا: هو الزمان فهو من حيث إضافته إلى الحق قديم أزلي لأنّه ما تمّ إلا دوام وجوده وبقائه مستمر الأبد بلا أولية ولا آخرية، فبهذا كان قديماً لأنّ صفته القدم والبقاء ومن حيث إضافته إلى الموجودات، من حيث أنّ هذا يبرز بعد هذا وهذا بعد هذا فهو حادث بهذه النسبة، لكنّ تحقيق الجواب فيه أنّه لا يتأتى في شيء واحد أنْ يقال قديم حادث وإلاّ صحّ القول بقلب الحقائق وهو محال. قلنا: وجه التحقيق في هذا أنّ صورة الزمان المستمر هو صورة بقاء الحق في ذاته فهو قديم وإلاّ وقلت المتعاقبة وهذا الزمان هي بمنزلة النقوش على ظاهر اللوح، ومعلوم أنّ اللوح غير النقوش التي عليه، وإنّما النقوش علامة على أجزاء اللوح كذلك الأوقات المتعاقبة على صورة الزمان من الساعات والدرج والدقائق والأيام والشهور والأعوام والأحقاب إنّما هي نقوش على ظاهر الزمان، فافترق الحال في هذا في كون الزمان قديماً وحادثاً، فقدمه بحسب استمرار وجود الحق فيه وهو بعينه عين قدم الحق وبقائه، والنقوش التي على ظهره من الدرج والدقائق والساعات والأيام والشهور والأعوام والأحقاب هي التي عليها حدوث الزمان، وإذا زالت النقوش وجدت صورة الزمان عيناً واحدة ماضيه ومستقبله وحاله كله عيناً واحدة، فكل كلامه سبحانه وتعالى كلمة وكل كلمة منه كلام، لأنّه في حقيقته كل كلمة منه حملت ما يحتمله الكلام الأزلي، فليس في كلامه تعالى تعاقب ولا افتراق في المعاني، فإنْ قلتم: هذا لا يصلح لأنّا نجد في القرآن في كلمة من المعاني ما ليس في الكلمة الأخرى، فكيف يقال إنّ الكلمة الواحدة حملت جميع معاني الكلام؟ قلنا: ما ذكرتم من المعارضة صورتها حيث كان الكلام قرآنا، وقد قدّمنا أنّه لا يسمى قرآنا إلاّ إذا وقع على ألسنة البشر يتلونه، وأمّا في حقيقة قيامه بالذات فصورته لا تدرك ولا تفهم، فلو كان كلامه في ذاته كل كلمة مختصة بمعنى دون أخرى كما تقرؤونه في القرآن لاتصف حينئذٍ بالعجز في كلامه إذ لا يقدر أو يتكلم بجميع ما أحاط به علمه في الكلمة الواحدة والعجز مناف للألوهية وهو محال، فلو ارتفع الحجاب عن الذات من حيث ماهي هي، وسمعت كلامها من حيث ماهو هو لأدركت أنّ الكلام كله كلمة، وتلك الكلمة محيطة في تعلقها بجميع ما أحاط به علم الله تعالى، ولا زمان ولا تقديم ولا تأخير، إذ ما ظهرت صورة الزمان إلاّ بعد وقوع الحجاب، فلو انكشف الحجاب لرأيت أنّ الزمان لا وجود له أصلاً، ولا يبقَ إلاّ الوجود المطلق وقدمه وبقاؤه؛ فتحصل مما تقدم أنّ كلام الله تعالى

وصف قائم بذاته لا يدل عليه القرآن، كما يقوله العلماء، وإنّما القرآن دال على مدلولات الكلام الأزلي، وأمّا المكالمة التي يدّعيها العارفون من قولهم: «سمعت وقيل لي» إنما حدها في هذا المحل أنّ الكلام الوارد على الرجال في هذا الميدان أنّ نسبته إلى الله تعالى نسبة الخلق إلى الخالق لا نسبة الكلام إلى المتكلم، ومن ظنّ من الرجال أنّه يسمع كلام الذات كما سمعه موسى عليه الصلاة والسلام، فقد ضلّ وفارق الحق وخسر، قال الله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً﴾ [الشورى: ٥١]، وصورة الكلام الذي يتلقاه الرجال إنّما هو يخلق سبحانه وتعالى كلاماً مكسواً بالهيبة والعظمة والجلال والإرعاد والإرجاف، ثم يختطف العبد عن دائرة حسه ويستلبه عن أنانيته وعقله كما هو في صورة سماع كلام ذاته ثم يبث في ذاته من اللذة والسرور عند سماع ذلك الكلام بحيث لو أضيف إلى نعيم الجنة لكان معه الجنة كلا شيء، ثم يلقي إليه ما يلقي في هذه الحال، وهذا مثل ما يقع له في سماع كلام ذاته، فيقول: سمعت كلام الله، وقيل لي وقلت، فهذه المكالمة المطلقة عند العارفين ووراء هذا من الأمر الواقع ما لا يحل ذكره، ولا يعطيه الوقت وهو واقع للأكابر، ولا يتكلم فيه بشيء ويجب كتمه لمن أدركه، والكلام الذي يسمعه في وقت غيبته يسمعه ويعيه فإذا سري عنه ورجع إلى شواهد حسه وجد الكلام محفوظاً عنده لا ينساه فربما أدرك معانيه وربما لم يدركها، فيرجع في هذا إلى صاحب الوقت، فإنّه من يعلم بهذا في غاية العلم يخبره بتفسيره وتأويله. ثم اعلم أنّه لو ظهرت حقيقة الكلام الأزلي حتى سمعها السامع لانمحق الوجود في نظره، فلم يبق له وجود أصلاً، ولو صوت عليه الوجود كله بأصواته لما فهم من كلامه معنى كصورة النجوم مع الشمس فإنّه لا ظهور للنجوم إلاّ بغيبة الشمس فإذا طلعت الشمس تغطت النجوم كلها فهي موجودة في نفسها لكن لا ظهور لوجودها مع الشمس، وهكذا صورة الوجود مع سماع كلام الله تعالى.

(قيل) لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: كيف كنت مع سماع كلام الله تعالى؟ قال مخبراً عن حالة شعور لموسى بموسى يريد في ذلك الكلام لا شعور له، فكهذا كيفية سماع كلام الله تعالى، وقولهم إنّ من سمع كلام الله من الرجال خرج إلى حالة مهما سمع كلام الخلق ارتد جميع ما في جوفه قيئاً، ورماه من شناعة كلام البشر عنده، وإنْ بقي في هذا الحال بقي هكذا أبداً، ولكن قالوا صاحب هذا تخلصه من هذه الحالة أنْ يدخل الخلوة ثلاثة أيام لا يسمع كلام أحد ولا يراه فإذا جاوز ثلاثة أيام خرج إلى الناس لا يضره شيء ا هـ.

(قوله اللوح المحفوظ) اعلم أنّ اللوح المحفوظ هنا هو نبينا وسيدنا محمد ﷺ لأنّه أجمل ما في حقائق الأشياء، فكما أنّ اللوح المحفوظ اجتمعت فيه علوم الأكوان من

منشأ العالم إلى النفخ في الصور أحاط بها جملةً وتفصيلاً مما دقّ أو جلّ من الجواهر والأعراض، كذلك هو ﷺ اجتمعت في حقيقته المحمدية ﷺ جميع حقائق العلوم الإلهية وتشبيهه هنا ﷺ باللوح المحفوظ يسمى عند المتكلمين تشبيه التسامح، وإلاّ فهو ﷺ أكبر وأوسع من اللوح المحفوظ بأضعاف مضاعفة، لأنّ غاية علوم اللوح وما سطر فيه إنّما هو منشأ العالم إلى النفخ في الصور فرداً فرداً بلا شذوذ، وأما ما وراء ذلك من أحوال يوم القيامة، وأحوال أهل الجنة والنار، وما يتعاقب عليهم فيهما من الأدوار، والأطوال من جميع الشؤون والأمور والاعتبارات واللوازم والمقتضيات كلها ليس في اللوح منه شيء إلاّ أمور قليلة مثل فلان يعمل كذا وكذا من الأعمال وجزاؤه في جنة الخلد، أو جنة النعيم أو جنة المأوى له فيها كذا وكذا، أو فلان يعمل كذا وكذا من الشر ومستقره في الدرك الثانية أو الثالثة وهكذا هو قليل بالنسبة لأحوال الجنة والنار وأحوال يوم القيامة، وأمّا هو ﷺ، فإنّه جمع في حقيقته المحمدية كل ما أحاط به علم الله تعالى من الأزل إلى الأبد من علوم المخلوقات بأسرها ومعرفة مقتضياتها ولوازمها، وأمّا ما وراء ذلك فلا يحيط بجميع علم الله محيط أصلاً يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وجعله ما في اللوح المحفوظ من العلوم ثلاثمائة علم وستون علماً كل علم فيه ثلاثمائة وستون علماً وجملة ذلك مائة ألف علم وثلاثون ألف علم تنقص أربعمائة علم، فهذه علوم الأكوان كلها وعدد الألواح ثلثمائة وستون لوحاً، فهذه الألواح هي ألواح التبديل يقع فيها التغيير والتبديل، وأم الكتاب فلا يتبدل ولا يتغير فكل ما فيه واقع لا يتبدل، ومحل هذه الألواح كلها في السماء ورؤية عامة الأولياء للألواح التبديل فقط، وأمّا أم الكتاب فلا يطلع عليه إلاّ الأكابر.

(قوله والنور الساري الممدود:) اعلم أنّ النور الساري الممدود هو الوضع الإلهي الذي عنه وجدت الأكوان جليلها وحقيرها من الأزل إلى الأبد، فلا يتم لوجود شيء من الموجودات إلاّ بالمدد من نوره ﷺ، فهو النور المطلق والنور هنا ليس هو كما يفهم أنّه الضياء المنبسط بل النور المراد به هو الذي يتم به الوجود من الله تعالى بلا واسطة، والنور في الحقيقة هو الوجود المطلق لا يطلق إلاّ على الذات المقدسة جلّت وتقدّست، وكونه مطلقاً لا يطرأ عليه التغيير بوجه من الوجوه لأنّ وجوده من ذاته لذاته عن ذاته في ذاته وليس عن مادة، ولا عن كيفية، ولا عن صورة، ومن هنا كان واجب الوجود سبحانه وتعالى كما أنّ الظلمة حقيقتها هي العدم المحض، فالموجود كله ظلمة من حيث أنّه عدم محض لا نورية فيه، وإنّما وجوده استمد من نوره ﷺ وعنه وجد ومنه تصور وبه كان، وأمّا نوريته ﷺ فلا يقال فيها نور مطلق لأنّها مستمدة من نوره سبحانه وتعالى لأنّه هو الوجود المطلق، ومعنى استمداده هو أنّه خلق من أجل الذات المقدسة لا لأجل شيء

دونها جلّت وتقدّست، فلا علة ولا واسطة بينه وبين الحق تعالى خلق من أجل الحق لا غير والوجود كله على العموم والإطلاق معلل بوجوده ﷺ، ومن أجله وجد الكون كله، فهو له كالخادم ولولاه ﷺ، ما أوجد الله شيئاً من الأكوان، وقد استراب في هذه القولة من لا علم له حتى قال إنّ الرب سبحانه وتعالى يلزم عليه أنّه عاجز عن خلق الأكوان لا يتأتى له إيجادها إلاّ بوجوده ﷺ استعانة به وخروجاً عن العجز، قلنا له ليس المراد هذا الذي ذكر، وإنّما هو أنّه لو سبق في حكمه وعلمه أنْ يخلق محمداً ﷺ لنفذ الحكم منه أنّه لا يخلق شيئاً من الأكوان، فهذا معنى توقف الكون عليه ﷺ إذْ هو ﷺ في جملة الأكوان بمنزلة إنسان العين من العين إليه النظر من ربه سبحانه وتعالى، وعليه المدار وفيه جميع الاعتبارات التي يتوقف عليها الوجود كما أنّ الإنسان إذا أزيل من العين ليست العين بشيء، وهذا النور هو سيد الوجود، وعلم الشهود ﷺ، وهو المراد بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد «**حجابه للنور لو كشفه لاحترقت سبحات وجهه**»، ما أدركه بصره من خلقه، وهذا النور هو سيدنا محمد ﷺ إذ هو القائم بين يدي الحق سبحانه وتعالى بالمباشرة له ﷺ، والوجود كله تحت ظله ﷺ مستتراً به عن جلال الحق وعظمته، ولو أنّه سبحانه وتعالى كشف هذا النور وكشطه حتى رآه الوجود بعينه من غير واسطة النور لاحترق كل ما أدرك الله بصره من المخلوقات، ويصير لمحض العدم في أسرع من طرفة عين، فبوجود هذا النور تمتع الوجود بالوجود، وتقلب في أطوار المصادر والورود ا هـ.

وقوله (الساري) معناه: أنّه ﷺ سار في جميع الموجودات كسريان الماء في الأشجار لا قيام لها بدونه، وتلك السراية منه ﷺ في الموجودات لا مطمع للعقل في دركها، ولا أنْ يحوم حول حماها، فما وصل إليها أحد من خلق الله، ولا عرف لها كيفية ولا صورة، وكل الوجود في حجاب عن هذا الإدراك يعني إدراك السراية منه في الموجودات، فما أدركتها أكابر الملائكة العالين، ولا أكابر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كلهم لم يشموا لها رائحة، فمن دونهم أحرى وأولى لا يذوق منها شيئاً، وغاية السريان أنّه ﷺ لو فقد سريانه في ذاته من ذوات الأكوان لصارت محض العدم من ساعتها، وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولهذا حيث دعا بالهلاك زمناً طويلاً على طوائف لم يستجب له وعاتبه ربه بقوله. ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[الأنبياء:١٠٧]: يعني لم أبعثك لهذا وهو جلب الهلاك للخلق ا هـ. وقوله الممدد معناه هو الذي لا غاية له، وهو أنّه امتد كل سرايته في جميع الأكوان من كل ما انطبقت عليه كورة العالم، وجميع ما دخل تحت محيطه الطوق الأخضر من جميع مخلوقات الله، وزاد امتداده ﷺ حتى سرى في جميع المعلومات التي أحاط العلم الإلهي بها، ونفذت المشيئة الربانية بأنّ لا خروج لها من العدم إلى الوجود

أصلاً وكيفية السراية في هذا المعدوم أيضاً لا يطيقها العقل تصوراً وقبولاً، بل هي في إحاطة العلم الإلهي فلا يعلم كيفيتها وصورتها إلاّ الله تعالى. (قوله الذي لا يدركه دارك:) يعني وصفه بكونه لا علم لأحد به من الموجودات أصلاً إلاّ الحق سبحانه وتعالى، وفي هذا يقول بعض العارفين: ما عرف قدر محمد ﷺ إلاّ الله تعالى هذا معنى قوله لا يدركه دارك. (قوله ولا يلحقه لاحق:) معناه هو الذي أشار إليه الشيخ مولانا عبد السلام رضي الله عنه في صلاته حيث قال: وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق، ولا لاحق ا هـ.

(قوله الصراط المستقيم): اعلم أنّ الصراط المستقيم هو النبي ﷺ، وسميّ به لكونه طريقاً ممدوداً إلى الحق لا وصول لأحد إلى الحضرة القدسية وذوق أسرارها والابتهاج بأنوارها إلاّ بالسلوك على الصراط المستقيم، وهو باب الله الأعظم وهو الصراط المستقيم إلى الله تعالى فمن رام من السالكين الدخول على الله تعالى في حضرة جلاله وقدسه معرضاً عن حبيبه ﷺ طرد ولعن وسدت عليه الطرق والأبواب وردّ بعد الأدب إلى اصطبل الدواب.

(قوله ناصر الحق بالحق:) معناه الوجه الأول فيه: أنّ الحق في اللفظين هو الله تعالى، ومعناه أنّه نصر الله بالله نهض إلى نصرة الله تعالى حيث توجّه إليه أمر الله تعالى بالنصرة له، فنهض مسرعاً إلى نصرة الله بالله اعتماداً وحولاً وقوة، واستناداً واضطراراً إليه سبحانه وتعالى، وقيامه به على كل شيء فهذا هو الوجه الأول، والوجه الثاني: أنّ الحق في اللفظ الأول هو دين الله الذي أمر الله تعالى بتبليغه، وإقامته وهو دين الإسلام نصره بالحق أداه وآله يعني أنّه ينصر الإسلام لا بباطل، ولا بحيل ولا خديعة بل نهض إلى نصرة دين الإسلام بحال يعطي التصريح بالحق تصريحاً لا يمازجه وجه من الباطل فما زال كذلك حتى تمكن دينه وشرعه في الأرض ا هـ.

(قوله اللّهم صلي وسلّم على أشرف الخلائق الإنسانية والجانية:) يعني أنّه هو زبدتها وياقوتتها قال ﷺ: **«إنّ الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه اختار منهم بني آدم إلى قوله، واختارني من بني هاشم»**، الحديث، بل صرّح أنّ هذا الجنس من الآدمي هو صفوة الله من خلقه وهو محل تنزل الرحمة الإلهية، وهو محل نظر الله تعالى من جميع الموجودات، فجنس الإنسان خلق من أجل الله تعالى، وخلقت الأكوان من أجله، وكان التخصيص لهذا الجنس من الإنسان أنّ الله اتخذ خليفته في الأكوان من هذا الجنس، وهو الفرد الجامع فهو محيط بالعالم كله والعالم كله في قبضته وتحت حكمه وتصرفه يفعل فيه كل ما يريد بلا منازع ولا مدافع، وقصارى أمره أنّه كان حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفة عليه فكما لا خروج لشيء من الأكوان عن ألوهية الله تعالى، وكذلك لا خروج لشيء من الأكوان عن سلطنة هذا الفرد الجامع يتصرف في المملكة بإذن

مستخلفه، وحيث كان ﷺ أشرف الخلائق الإنسانية كان أشرف العوالم كلها لأنّ الإنسان كما في الخبر هو صفوة الله من جميع خلقه، فبالضرورة غير الإنسان داخل تحت حكمه في الأفضلية، وقوله والجانية: يعنى الجان ما غاب عن الأبصار واستتر وذلك شامل للجان والملائكة، ولجميع من غاب مثلهم عن عين الإنسان فهو ﷺ أفضل الجميع ا هـ.

(قوله صاحب الأنوار الفاخرة:) يعني أنّ الأنوار هي أمور فائضة من حضرة الغيب، وهي حضرات الصفات والأسماء، وهي التي تأتي بالعلوم والأسرار والمعارف والأنوار والأحوال العالية إلى ما لا غاية له من الفيوض والمواهب، وهو ﷺ في هذا الميدان أكبر خلق الله حظاً من هذه الأنوار، وأوسعهم دائرة وأعظمهم حظوة، فلو صبّ على جميع العالم جزء من ألف جزء مما يهب عليه من تلك الأنوار لصار محض العدم في أسرع من طرفة العين، ولذا قال الفاخرة: يعني العظيمة فتلك الأنوار في العظمة إلى غير نهاية ا هـ.

(قوله اللّهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وعلى أولاده وأزواجه وذريته، وأهل بيته وإخوانه من النبيين والصديقين): تقدم لنا أنّ الصلاة عليه ﷺ توقيفيه، وأما آله ﷺ فعلى الأصح هم بنو هاشم بنو عبد مناف، قال ابن الحاجب في كتابه الفرعي هاشم آل وغالب غير آل، وفيما بينهما قولان هاشم آل بإجماع وما فوق ذلك إلى غالب فيه خلاف بين العلماء، والأصح أنّ الآل هم الذين حرم عليهم ﷺ الصدقة، ولم يحرمها إلا على بني هاشم هذا الدليل لهذا الأصح، والدليل الثاني قوله ﷺ في الصحيح حيث ذكر الاصطفاء في العرب قال: «**واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»، فدل هذا الحديث على أنّ هاشماً هو الآل، ولكونه ﷺ حين وضع بيت الأموال الخاصة بآله ما كان يعطي غيرهم ولا أعلم هل كان يعطي معهم بني المطلب أم لا؟ ولكونه ﷺ في وقعة بني النضير حيث أخذ بلادهم وأموالهم فيئاً جعلها الله له وحده ﷺ أخذ ما أخذ وأعطى الناس ما أعطى، وترك منها حظاً وافراً لآله ﷺ فقسمه بين بني هاشم وبين بني المطلب، فقام إليه عثمان بن عفان رضي الله عنه في بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل ابن عبد مناف قال: يا رسول الله أما ما خصصت به بني هاشم فلا ننازعهم فيه لمكانتهم منك، وأما ما خصصت به إخواننا من بني المطلب بن عبد مناف، فلأي شيء خصصتهم، ونحن وهم في رتبة واحدة؟ قال لهم ﷺ: «**إنّ بني المطلب لم يفارقوني في جاهلية، ولا إسلام**»، هذا ما قاله لهم فسلموا. فكل هذه الأخبار تدلّ على أنّ الآل بنو هاشم فهم آله على التحقيق، وقد وعد الله نبيه ﷺ أنْ لا يعذب بني هاشم يعني المؤمنين منهم، وقال ﷺ في أولاد فاطمة رضي الله عنها «**إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار**» وقد حرّم النبي

ﷺ الصدقة على بني هاشم فلم تحلّ لهم إبداً، ولا يلتفت إلى ما يقوله الفقهاء من إباحتها لهم متعللين بشدة فقرهم، وعدم أخذهم من بيت المال، فإنّ هذا التعليل لا أصل له إذ علة منهم من الصدقة أنّها أوساخ الناس وقدسهم الله عنها لعلو منصبهم، وهذه العلة باقية على أصلها لم تنتقل، إنّما يصح ذلك التعليل للفقهاء لو كان علة منعهم من الصدقة الغنى أو وفور حظهم من بيت المال، فإذا فقد هذا قلنا إنّها تحلّ لهم، والحكم لم يقع لأجل هذه العلة، وإنّما وقع الحكم لمنعها عنهم من أنّها أوساخ الناس وعلو منصبهم عنها، وهذه العلة جارية لم تنتقل فهؤلاء الآل الأصليون؛ والآل الملحقون صنفان الأول منهم: من انصبغ بمحبته ﷺ ظاهراً وباطناً يشهد لهذا قوله ﷺ حيث سُئل من آل محمد الذين أمرنا بحبهم وإكرامهم والبرور بهم؟ فقال ﷺ: «**أهل الصفاء، والوفاء ممن آمن بي، وأخلص**»، فقيل له وما علامتهم قال: «**إيثار محبتي على كل محبوب، واشتغال الباطن بذكري بعد ذكر الله عزّ وجلّ**»، فهذا الصنف هم الأول الملحقون، والصنف الثاني: الذين حافظوا على اتباع سنته والتخلق بأخلاقه واقتفاء آثاره يشهد لهذا قوله ﷺ: «**إنْ استطعت أنْ تصبح وتمسي، وليس في قلبك غل لأحد، فذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فكأنّما أحياني، ومن أحياني كان معي في الجنة**»، فهؤلاء هم الآل الملحقون اهـ.

(قوله وعلى أولاده)، أولاده ﷺ كل من خرج من صلبه، ومن ولدته فاطمة ابنته، فهؤلاء أولاده ﷺ ما تناسلوا إلى يوم القيامة، وأولاده على الصحيح أربعة أولاد من سيدتنا خديجة ثلاثة سيدنا القاسم وسيدنا الطاهر وسيدنا الطيب عليهم الصلاة والسلام، ومن غيرها وهي سيدتنا مارية القبطية، وسيدنا إبراهيم، وبناته ﷺ سيدتنا زينب وسيدتنا رقية، وسيدتنا أم كلثوم وسيدتنا فاطمة رضي الله تعالى عنهن أجمعين، وكلهنّ من سيدتنا خديجة رضي الله عنها.

(قوله وأزواجه:) أزواجه ﷺ خديجة تزوجها ﷺ بعد زوجين ولدت لكل واحد منهما، ولها يوم تزوجها أربعون عاماً وله ﷺ خمسة وعشرون وماتت وهي بنت خمسة وستون، وقيل: أربعة وستون توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف، وقيل: بسنة في رمضان ودفعت بالحجون رضي الله عنها، ثم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس أصدقها أربعمائة درهم وهبت نوبتها لعائشة، ماتت في شوال سنة أربع وستين، وكانت قبله عند السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو، وتزوجها بمكة وهاجرت معه ﷺ، عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تزوجها ﷺ وهي بنت ست سنين في شوال سنة عشرة، ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمانية عشرة سنة، ولم يتزوج بكراً غيرها ماتت بالمدينة رضي الله عنها سنة سبع وخمسين،

وقيل: ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، حفصة بنت عمر: تزوجها ﷺ سنة ثلاث بعد رجوعها من الحبشة، ومات زوجها خنيس بن حذافة بالمدينة بعد غزوة بدر ماتت سنة إحدى وأربعين، وقيل: خمس وأربعين في زمن معاوية عن نحو ستين سنة، زينب بنت خزيمة الهلالية الحارثية: تزوجها ﷺ سنة ثلاث كانت تحت عبدالله بن جحش قتل يوم أحد، تُدعى أم المساكين لحرمتها لهم أصدقها إثني عشر أوقية ماتت بعد ثلاثة أشهر، ودفنت بالبقيع، ولم يمت في حياته غيرها بعد خديجة، هند أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية زوج أبي سلمة بن عبد الأسد، تزوجها سنة أربع، وكانت من أجمل النساء ماتت سنة ستين، وقيل تسع وخمسين ودفنت بالبقيع، وهي آخر أزواجه وفاة، زينب بنت جحش: وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب كانت عند مولاه زيد بن حارثة، فطلقها سنة خمس كان اسمها برة فسماها زينب، وكانت كثيرة الصدقة والإيثار تسامي عائشة في المنزلة عنده أول من مات منهن بعده ماتت بالمدينة سنة عشرين، جويرية بنت الحرث المصطلقية سباها يوم المريسيع كانت بنت عشرين سنة توفيت سنة ست وخمسين، تزوجها ﷺ سنة ست من الهجرة، وقيل: خمس، ريحانة سباها من بني النضير أعتقه وتزوجها سنة ست من الهجرة، وأصدقها إثني عشر أوقية توفيت سنة عشر، رملة أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب رئيس قريش هاجرت مع زوجها عبدالله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر ومات، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار دخل بها سنة سبع ماتت سنة أربع وأربعين، صفية بنت حي بن أخطب سُبيت من خيبر سنة سبع، وكانت عند كنانة بن أبي الحقيق قتله رسول الله ﷺ ماتت سنة خمسين، ودفنت بالبقيع، ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها سنة سبع بعد خيبر، وكان اسمها برة فسماها ميمونة، وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد، تزوجها ﷺ في عمرة القضاء، وهي آخر من تزوج ماتت سنة إحدى وخمسين بسرف وقبرها مشهور معروف يزار ويتبرك به، ويقال: أنّها وهبت نفسها للنبي ﷺ ا هـ.

(قوله وذريته:) وهم ما تناسلوا من الحسن والحسين رضي الله عنهما لا غير، وكذا ما ولدته فاطمة من البنات كلهن ذريته ﷺ. (قوله وأهل بيته:) هم بنو هاشم على الأصح بإجماع الأمة لم يختلف إثنان في أنّهم آله ﷺ والذي فعله ﷺ بأصحاب الكساء فاطمة وعلي والحسن والحسين، فاجتمع معهم ﷺ في كساء واحد، وقال: «**اللّهم هؤلاء أهل بيتي، فطهّرهم تطهيراً**» حين نزلت الآية، فهذا خاص من خاص لخاص لقوله ﷺ في هؤلاء حين دخل على فاطمة وكان علي هناك نائماً في جانب البيت، والحسن والحسين بين يديه يلعبان قال لها ﷺ: «**إنك وهذين وذلك النائم معي في درجتي في الجنة، ولم يكن ذلك لغيرهم حتى من النبيين والمرسلين**»، فهذا تخصيص الكساء وكذا

أزواجه ﷺ هنّ اللاتي ورد فيهن خطاب التطهير بقوله تعالى: ﴿يا نساء النبي﴾ [الأحزاب: ٢٢] الآية.

قوله: «وإخوانه من النبيين والصديقين» سموا في هذه المرتبة إخوانه ﷺ وعليهم لاشتراكهم معه في مقام القربة، وهو مقام عزيز صعب الارتقاء لا مطمع فيه إلا لأهله، وأهله ثلاث فرق الفرقة الأولى الرسل: وهم أصحاب نبوة التشريع، والفرقة الثانية: هم النبيون عليهم الصلاة والسلام، ويقال لها النبوة المطلقة، والفرقة الثالثة هم: الصديقون وهم الذين ارتفع الحجاب عن عين قلوبهم، وطالعوا الحضرة القدسية بما هي عليه من الأسرار والأذواق والفيوض والتجليات والعلوم والمعارف واليقين والتوحيد والتجريد والتفريد، وما عليه ربنا سبحانه وتعالى مما لا تحيط العقول بأقل قليل منه من صفات العظمة والجلال والعز والكمال والكبرياء والتعالي والقدس والغنى والمحامد كلها وصفات الكرم والمجد، وما يتبع ذلك من الحقائق والدقائق والرقائق والشقائق إلى غير ذلك، مما تشتمل عليه الحضرة القدسية من المكالمة والمحادثة والمساررة والملاطفة، وغير ذلك هذا هو مقام الصديقية، وكل هذا لا يصل إليه من معه مثقال نقير من متابعة هواه، فلا يصل إليه إلا من تطهر من متابعة هواه، وارتقى إلى الرتبة الثالثة من المراتب، المرتبة الأولى مرتبة الاستئثار بذكر الله تعالى حتى يقع صاحبها في الذهول عن الأكوان والطمأنينة بذكر الله تعالى مستغرقاً جميع أوقات دهره وهم الأولياء، المرتبة الثانية لباس الخلة الملكية وهي فوق هذه المرتبة وهي أنْ يتصف صاحبها بأحوال الملائكة من الولوع بالله تعالى والاستغراق فيه، وترك ما جهل من كل ما سوى الله تعالى، واحتراق الوهم والحس والخيال تحت بزوغ هذه المرتبة، وفيها يتصف العبد بأوصاف أهل الملأ الأعلى، وهم الأولياء، والمرتبة الثالثة وهي فوق هذه وهي لباس الحلة الإلهية، وهي لا تذكر ولا ترى ولا يعلمها إلا من ذاقها وصاحبها هو الذي يطلق عليه اسم الصديق فهي ضرب من النبوة، أو هي النبوة بعينها، وهم العارفون والصديقون.

(قوله على من آمن به الخ) معناه أردفهم وأدخلهم معه ﷺ في الصلاة عليه وفي حمايته، ومعنى إردافهم معه صلى الله عليه وسلم خاص بهذه الصلاة لا غير، والمطلوب بالصلاة هو ﷺ لكل موجود أوجده الله والباقي تابع له ﷺ. (قوله اللّهم اجعل صلاتنا عليه مقبولة لا مردودة) معناه طلب المصلي من الله تعالى أنْ تكون صلاته على النبي ﷺ مقبولةً لا مردودة، والمقبولة ما طابق فيها أمر الشرع ظاهراً وباطناً، وإنْ كانت للثواب يقصد صاحبها ذلك فهي مقبولة في هذا الباب، وما تقاعس فيها صاحبها عن وجه من وجوه الشرع المطلوبة كانت مردودة، وهذا الوجه المطلوب هنا من قبل الشرع إنّما هو في نفس الصلاة لا في غيرها من الأعمال، وإنْ كان مخالفاً في غيرها إلاّ صلاة الفرض،

فشرطها أنْ تقع على مطابقة أمر الشرع، فإنْ فسدت الصلاة بطلت الأعمال كلها التي من جملتها الصلاة على النبي ﷺ، والمطلوب من صلاة العبد على النبي ﷺ أنْ تكون صادرة منه لامتثال أمر مولانا جلّ وعلاً وتعظيماً له وتعظيماً لرسوله ﷺ، وسلامتها من العجب والرياء، ووقوعها بالجنابة والتلطخ بالنجاسة وهو يقدر على الماء، ثم مع هذه الأمور هي صحيحة، وإنْ قصد بها الصواب إلا أنّ من أتى بها تعظيماً لله ولرسوله ﷺ، وحباً فيه وشوقاً إليه لا للثواب فهي أكمل وأعلى، ودلّ هذا على أنّ في الصلاة ما لا يقبل إنْ وقعت فيها علة مما ذكر.

(قوله اللّهم صلي على سيدنا ومولانا محمد وآله:) تقدم معنى الصلاة عليه ﷺ بكونها توقيفية. (قوله اللّهم، واجعله لنا روحاً ولعبادتنا سراً) طلب المصلي من الله تعالى أنْ يكون ﷺ روحاً وكونه ﷺ روحاً في نفس الأمر في كل شيء من العالم حتى لا وجود لشيء بدونه حتى الكافر، وهذه المرتبة الأولى له ﷺ في الوجود، بها حياة الوجود كله في كل شيء شيئاً شيئاً، والمرتبة الثانية في كونه ﷺ روحاً لجميع الموجودات خاصاً لا عاماً، وهذه الروحانية في المرتبة الثانية صارت بكليتها في جميع العارفين والصديقين والأقطاب والنبيين والمرسلين والمقربين، وهذه المرتبة له ﷺ التي هي روحانيته بها قيام الطوائف المذكورين بين يدي الله تعالى بتوفية حقوقه، وتكميل الأدب معه والاستهلاك في عين الجميع والغرق في بحار التوحيد فهم في هذا الميدان لله بالله في الله عن الله على الله، منزهون عن الغير والغيرية ليس في جميع حواسهم وأوهامهم وتخيلاتهم ومساكنتهم وملاحظتهم إلا الله تعالى وحده لا يخطر عليهم غير الله في هذا الميدان، وعبّر عن هذا القلب الذي هذه صفته بالبيت المحرم الذي يحرم على غير أهل الله دخوله وهذا القيام لهم مع الله تعالى بسبب روحانيته فيهم ﷺ، ولولا ذلك ما قاموا هذا القيام فبه، وهذا هو الروح الذي طلب المصلي ليس روح الأول الذي هو عام في كل شيء.

(قوله ولعبادتنا سراً:) المراد بالسر هنا أنْ يكون باطناً فيها ﷺ لقبول الله إياها أيّ الأعمال، والسرية التي منه ﷺ في الأعمال والعبادات أنْ تكون صادرة من العبد بملاحظة وساطته ﷺ بين الله وبين العباد، والوساطة هو ما قاله الشيخ مولانا عبد السلام رضي الله عنه بقوله: وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك، فمن لم يلاحظ هذه الحجابية في أعماله كانت أعماله غير تامة، والحجابية هو أنْ يكون وسيلة بين الله وبين عباده، يتوسل به جميع العباد إلى الله تعالى، فهذا هو سر العبادة الذي يؤذن بقبولها.

(قوله واجعل اللّهم محبته لنا قوة أستعين بها على تعظيمه:) طلب المصلي من الله تعالى ههنا أنْ يهبه محبة رسوله ﷺ المحبة الخاصة، فإنّها إذا وقعت في قلب العبد

سرى فيه تعظيم النبي ﷺ، وتعظيم جانبه، فصارت بداية التعظيم من العبد للنبي ﷺ من محبته له ﷺ، فهي لتعظيمه ﷺ كالبساط، لهذا طلبها المصلي من الله تعالى. (قوله اللّهم، واجعل تعظيمة في قلوبنا حياة أقوم بها، وأستعين بها على ذكره، وذكر ربه) طلب المصلي من الله تعالى أنْ يكون تعظيمه للنبي ﷺ سبباً في حياة قلبه بحلول ذكر الله تعالى، وذكر رسوله ﷺ في قلبه، وهذا الذكر الذي طلبه بالتعظيم ليس هو ذكر اللسان المعهود في حق العامة، وإنّما هو الذكر الحقيقي الذي هو الغاية القصوى من الذكر، هو إذا أخِذ العبد فيه وأُخذ عن جميع دائرة حسه ووهمه، فليس في شعوره ووهمه وخياله إلاّ الله تعالى في حالة الذكر، وهذا بداية الذكر للمرّبين ونهايته أنْ يستهلك العبد في عين الجمع، ويغرق في بحر التوحيد، وليس في جميع عوالمه حس وإدراك وذوق وفهم وعيان وخيال وأنس ومساكنة وملاحظة ومحبة وتعويلاً واعتماداً إلاّ الله تعالى في محو الغير والغيرية، وفي هذا الميدان ينمحق الذاكر والذكر، ويصير في حالة أنْ لو نطق لقال: «أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي» لاستهلاكه في بحار التوحيد وهذه المرتبة في مراتب آخر الذكر، وصاحبها صامت جامد لا يذكر، ولا يتحرك، وإليها يشير بقوله ﷺ: **«من عرف الله كل لسانه»**، وفيها يقول الشاعر:

ما أنْ ذكرتك إلاّ همّ يلعنني	سري وذكري وفكري عند ذكراك
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي	إياك ويحك للتذكار إياك
فاجعل شهودك في لقياك تذكره	والحق تذكاره إياك إياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده	فواصل الكل من معناه معناك

لأنّ تقادم الذكر في جميع مراتبه كان وسيلة إلى الوصول إلى هذه المرتبة، فإذا وصلها انقطع الذكر من أصله، وصار ذاكراً على كل أحيانه، استوى قومه ويقظته وحضوره وغيبته واستوى الأمر عنده أكان مع الخلق أم كان وحده، وصاحب هذا الحال لو اجتمع في مكان مع جميع الخلق، وأكثروا اللغط والصخب لم يعلم من خطابهم شيئاً، ولا يسمع في خطابهم إلاّ خطاب الحق سبحانه وتعالى وفي هذا قيل:

بذكر الله تزداد الذنوب	وتنطمس السرائر والقلوب

وهذه نهاية مراتب الذكر، ولذا جعله الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز هو آخر المراتب قال سبحانه وتعالى: ﴿إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات «إلى قوله» والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فتلك الآية فيها رتّب سبحانه وتعالى مراتب أهل الإيمان فالتي بعد الأخرى هي أعلى منها، وذكر الذكر في آخرها ليس مرتبة فوقها، وهي المرتبة التي ذكرناها، وهذه هي المرتبة التي يشير إليها في الصلاة بقوله:

«أستعين بها على ذكره، وذكر ربّه».

(قوله اللّهم واجعل صلاتنا عليه مفتاحاً): طلب المصلي من الله تعالى أنْ تكون صلاته عليه ﷺ مفتاحاً لما انغلق من أبواب الغيوب، والمعارف والأنوار والأسرار لما كان ﷺ هو المفتاح في هذا الميدان كانت الصلاة عليه ﷺ جديرة بهذا عند الله تعالى، فمن انعزل عنها وانقطع من جميع السالكين، فليس له في القرب من الله نصيب انقطع وطرد.

(قوله وافتح لنا بها يا رب حجاب الإقبال:) طلب المصلي من الله تعالى ههنا أنْ يفتح الله له حجاب الإقبال بسبب صلاته على رسول الله ﷺ، وفتح حجاب الإقبال هو إقبال العبد على الله تعالى، والدؤب على خدمته وعبادته دائماً في العموم للعموم، وفي الخلوص لمواطن قربه، ومحل اصطفائه واجتبائه، والغرق في بحار جميع الجمع خصوصاً للخصوص، فهذا هو إقبال العبد على الله تعالى، وأمّا إقبال الله على عبده، والذي طلبه المصلي فهو إقباله عليه بفضله ورحمته عموماً في الدارين، وإقباله عليه واصطفائه، واجتبائه وعنايته بإغراقه له في بحار جمع الجمع خصوصاً، فهذا هو الإقبال الذي طلبه المصلي من الله تعالى، والحجب التي طلب المصلي من الله فتحها هي الأمور التي جعلها الله حائلة بين العبد وبين ربه عن شهود قربه واصطفائه واجتبائه، وعن وصول فضله ورحمته إليه، فإذا زالت تلك الحجب جذب الرب عبده إليه بما شاء بجواذب رحمته وفضله عموماً، وجواذب اصطفائه واجتبائه وعنايته خصوصاً. (قوله وتقبل مني ببركات حبيبي، وحبيب عبادك المؤمنين ما أنا أؤديه من الأوراد والأذكار والمحبة والتعظيم لذاتك لله لله لله) طلب المصلي هنا من الله ببركات حبيبه، وحبيب عباده المؤمنين أنْ يتقبل منه جميع ما يؤديه من الأوراد والأذكار والأوراد شاملة لجميع العبادات من كل ما يسبح له في أجزاء ليله ونهاره، والأذكار معلومة بداية ونهاية، وقد سبق التنبيه عليها.

(قوله والمحبة والتعظيم) اعلم أنّ المحبة والتعظيم هنا هي أعمال القلب ليس للبدن فيها حظ، والذكر بدايته من أعمال البدن، ونهايته من أعمال القلب، وأعمال القلب بالنسبة إلى عمل البدن، فإنّه لو عمل البدن مستغرقاً في العبادات أياماً متعددة ما لحق لحظة واحدة من أعمال القلب لأنّ عمل القلب هو الذي عليه المدار، وعمل البدن تابع له وكل عمل خلا عن عمل القلب، فهو قليل الجدوى ضعيف الفائدة. (قوله لذاتك لله لله:) طلب المصلي هنا أنْ تكون أعماله لله محضاً لا لحظ عاجل، ولا آجل هذا هو أعلى درجات الأعمال لما ورد في بعض الكتب المنزلة بقوله سبحانه وتعالى فيها «إن أود الأوداء من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها»، وكرر اسم الجلالة ثلاثاً للتأكيد والحث عليها بلوغاً إلى مرتبة الإخلاص وهو العمل لله.

(قوله آه:) هي كلمة شكاية واستغاثة، والشكاية هي شكوى من عوائق بشريته التي حالت بينه، وبين مواطن القرب حتى لم يستطع الوصول إليها من كثرة العوائق، وأمّا الاستغاثة فهو استغاثته بالله تعالى أنْ يفيض عليه من فيوض عنايته ما يخلصه من الأسر من أيدي تلك العوائق ليصل إلى مواطن القرب التي كانت موطناً لروحه قبل تركيبها في الجسم؛ قال بعض الصوفية مشيراً إلى النفس والهوى بما ذكر من جبلي نعمان، ونعمان موطن معروف في اليمن لما ضاق حاله مما حال بينه وبين مواطن القرب من جبلي النفس والهوى مستغيثاً منهما قال:

أيا جبلي نعمان بالله خليا | نسيم الصبا يخلص إليّ نسيمها
فإنّ الصبا ريح إذا ما تنسمت | على قلب محزون تجلّت همومها
أذق بردها، أو تشف مني حرارة | على كبدي لم يبق إلاّ طميمها

فهذا هو التشكي والاستغاثة (قوله آمين:) معناه أجب يا رب وهي كالطابع على الدعاء تؤذن بالإجابة فيه.

(قوله هو هو هو آمين:) ثم رجع بعد الاستغاثة إلى بيان المطلوب الذي يطلبه قال: هو الخ يعني أريد منك الوصول إلى محل التوله في الله تعالى حباً وإجلالاً، وهو قبل الغرق في بحار جمع الجمع، والتوله في الله تعالى هو الاستهلاك في حبه، فلا يعلم قربه من بعده، ولا يؤمه من أمه، ولا يعلم كماً ولا كيفاً ولا رسماً لغلبة الهوية السارية في جمع الوجود عليه، فما يقدر أنْ ينطق باسمه هيبة وإجلالاً. (قال بعض الرجال:) لقيت بعض المولهين فقلت: السلام عليكم فقال: هو فقلت: ما اسمك قال: هو فقلت من أين أقبلت؟ قال: هو فكلما سألته عن شيء قال: هو فقلت له: لعلك تريد الله فسقط إلى الأرض، واضطرب كالمذبوح، ومات رحمة الله عليه قال بعض الأكابر في هذا الميدان:

أشتاقه فإذا بدا، أطرقت من إجلاله | لا خيفة بل هيبة، وصيانة لجماله
وأصدّ عنه تجلداً، وأروم طيف خياله | فالموت في أدباره، والعيش في إقباله

قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: وقد سُئل عن المحبة، فقال: المحبة هو تشويش يقع في القلب، فتصير عليه الدنيا كحلقة خاتم، أو مجمع مأتم، وأمّا الحب فهو العمى عن المحبوب هيبة له والعمى عن غير المحبوب غيرة عليه، فهو عمى كله، فما يقدر أنْ يفوه باسمه، ولا أنْ يصف عنه لبه ا هـ.

(قوله آمين:) ختم الصلاة عليه بالصلاة عليه، وصلى عليه وسلم وختمها بقوله آمين: معناه صلِّ عليه يا رب كما تحب وترضى، وكما يحب ويرضى، والحمد لله، وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ا هـ. ما أملاه

علينا سيدنا رضي الله عنه في شرح هذه الصلاة من حفظه ولفظه من أوله إلى آخره بتاريخ عشية يوم الأربعاء الآخر من شعبان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

شرح الصلاة المسماة جوهرة الكمال ونصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيدنا محمد، وآله وسلم

الحمد لله الذي فتق من كنه الغيب رتق الكائنات، وجعل أصلها ونشأتها نور حقيقة سيدنا محمد فكان أصل الموجودات، فأوجد منها بقدرته القدسية وكلمته الأزلية فطرة آدم وجعل شكله صورة العالم، وعلمه الأسماء كلها، وجعله من جميع البرية خلاصتها وصفوتها، وأخرج من عنصره الأرواح والذرية والأشباح، واختار منها صفوة الأنبياء والرسل والأولياء بالرسالة والولاية والحماية والعناية، وخاطبهم بخطابه الأزلي الأبدي، وكلمهم بكلامه الإحاطي السرمدي ليدعو به عباده إلى خدمته، وشوقهم فيه إلى قربه ومشاهدته، واختار من بينهم في الأزل روح المصطفى، وأكرمه بالمقام المحمود والدرجات العلى، وكمال الإصطفا، وخاطبه بأشرف كلامه وأكرم فرقانه الذي هو مكنون أسرار ذاته وألوان أسمائه وصفاته، وعجائب علومه الغيبية، وغرائب آياته الأزلية، وأرسله إلى كافة البرية ليهديهم به إلى الحق والحقيقة الحقية، (وأشهد) أنّ لا إله إلاّ الله الأحد بذاته الواحد بذاته بأسمائه وصفاته المتجلي بهوية حقيقته الحقية في مجال ذوات البرية، (وأشهد) أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي حلاّه بأوصافه، وعمّه بألطافه، وكشف له عن أستاره، وأعلمه بأسراره، وظهر على قلبه بالكمال، وعلى جوارحه بصفات الجلال والجمال ﷺ، وعلى آله وأصحابه الكمل، (أما بعد): فإنّ سيدنا ووسيلتنا إلى الله عنصر العرفان وأعجوبة الزمان، وحيد دهره وإمام وقته، من انتفع به البعيد والداني شيخنا أبو العباس التجاني سقانا الله من بحره بأعظم الأواني وجعلنا في جواره بدار التهاني، وضع رضي الله عنه تقييداً على الصلاة المسماة بجوهرة الكمال في مدح سيد الرجال أبدع فيه وأجاد، وبلغ فيه غاية المراد، وأفصح عن الحقائق وأجاد (وسميّته) «بالفيوضات الرحمانية في شرح عين الرحمة الربانية».

مقدمة

اعلم أنّ هذه الصلاة المسماة بجوهرة الكمال في مدح سيد الرجال هي من إملاء سيدنا رسول الله ﷺ على شيخنا القطب الرباني مولانا أبي العباس التجاني، وذكر لها رسول الله ﷺ خواص (منها) أنّ المرة الواحدة تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات، (ومنها) أنّ من قرأها سبعاً فأكثر يحضره روح النبي ﷺ، والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها، (ومنها) أنّ من لازمها أزيد من سبع مرات يحبه النبي ﷺ محبةً خاصةً، ولا يموت حتى يكون

من الأولياء، وقال الشيخ رضي الله عنه: من داوم عليها سبعاً عند النوم على طهارة كاملة وفراش طاهر يرى النبي ﷺ، وهذا أوان الشروع في معانيها، فقال رضي الله عنه: قوله اللّهم صلّي وسلم على عين الرحمة الربانية: اعلم أنّ الحق سبحانه وتعالى اقتطع قطعة من النور الإلهي في غاية الصفاء والتجوهر، ثم أبطن في تلك القطعة ما شاء أنْ يقسمه لخلقه من العلم بصفات الله وأسمائه وكمالات ألوهيته، وبأحوال الكون وأسراره ومنافعه ومضاره بالأحكام الإلهية أمراً ونهياً، وجعل تلك القطعة من النور مقراً لانصباب كل ما قسمه لخلقه في سابق علمه من الرحمة الإلهية، ثم صار يفيض على خلقه ما أقره في الحقيقة المحمدية من العلم والرحمة، فكان بهذه المثابة هو عين الرحمة ﷺ، وكان ذلك النور وهو الحقيقة المحمدية، وتلك الرحمة المفاضة في ذاته هي التي يفيضها على الوجود من ذاته الكريم، فلا يصل شيء من الرحمة إلى الوجود إلاّ من ذاته ﷺ، فذاته الكريمة بمنزلة المقر للمياه التي تجتمع فيه وتتفرق من ذلك المقر سواقٍ للسقي والانتفاع، ولذلك قال ﷺ: **«إنما أنا قاسم والله معطي»** أيّ ينظر إلى ما سبق في العلم الأزلي من الاقتطاع، ثم يفرق ﷺ تلك الرحمة على حسب ذلك الاقتطاع، فلهذا سمّي عين الرحمة ﷺ، وأيضاً لنسبة أخرى في عين الرحمة يعني أنّه الأنموذج الجامع في إفاضة الوجود على جميع الوجود، فإنّه لولا وجوده ﷺ ما كان وجود لموجود أصلاً من غير الحق سبحانه وتعالى، فإنّ وجود كل موجود من ذوات الوجود متوقف على سبقية وجوده ﷺ لذلك الوجود، فإنّه لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان، ولا رحم شيء منها لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة، ولا يقال أنّ هذا تعجيز للحق سبحانه وتعالى بأنّه لا يقدر أنْ يخلق شيئاً إلاّ به ﷺ، فليس هذا الوهم هو المراد في هذا الكلام كما يظنه بعض من لا علم عندهم، بل تحقيق ما قلناه أنّ الله سبحانه وتعالى لو سبق في علمه ونفوذ مشيئته أنْ لا يخلق محمداً ﷺ لسبق في علمه ونفوذ مشيئته أنْ لا يخلق شيئاً من المخلوقات، فمن هذه الحيثية أنّ وجود كل موجود من الأكوان يتوقف على سبقية وجوده ﷺ لذلك الوجود، فإنّه ﷺ كلية مراد الحق، وغايته من الوجود، فإنّه ما خلق الكون إلاّ من أجله ﷺ، ولا أفاض الرحمة على الوجود إلاّ بالتبعية له ﷺ، فوجود الأكوان كلها مناط بوجوده ﷺ، وجوداً وإفاضةً، فإنّه هو ﷺ ما خلقه إلاّ من أجل ذاته العلية المعظمة المقدسة، فإنّه ما خلقه من أجل شيء دون الحق حتى يكون علة له، ويتوقف وجوده بمعنى أنْ يكون وسيلة بينه وبين الحق، فإنّه لا واسطة بينه وبين الحق لكونه مراد الحق لذاته، والأكوان كلها مرادة لأجله ﷺ معللة بوجوده، فإفاضة الوجود على جميع وجود الأكوان مفاضة من ذاته الكريم ﷺ، وإفاضة الرحمة على الجميع مفاض من ذاته الكريمة ﷺ، فبان لك أنّ الفيض من ذاته ينقسم إلى رحمتين، الرحمة الأولى: إفاضة الوجود على جميع الأكوان، ثم خرجت

من العدم إلى الوجود، والرحمة الثانية: إفاضة فيض الرحمات الإلهية على جميعها من جملة الأرزاق والمنافع والمواهب والمنح، فإنّه بذلك يدوم تمتعها بالوجود؛ فإذا علمت هذا علمت أنّه ﷺ عين الرحمة الربانية لأنّه رحم جميع الوجود بوجوده ﷺ، ومن فيض وجوده أيضاً رحم جميع الوجود، فلذا قيل فيه: أنّه عين الرحمة الربانية ﷺ، وعلى هذا إنّ جميع الوجود كله نشأ عن الرحمة الربانية، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] لأنّ أصله ﷺ، ولا يلزم من شمول الرحمة عدم وقوع العذاب والوعيد والغضب لأنّ تلك مقتضيات الكمالات الإلهية، فإنّ الكريم وإنْ عظم كرمه لولا بطشه وغضبه وعقابه ما خيف جانبه، ولو أمن هذا الحال لاحتقر جانبه، وليست هذه صفة الكرم، ولا ينبغي له هذا، فتبين لك أنّ صفة الكرم والغضب والبطش والعذاب ليكون جانبه معظماً مخافاً مهاباً كما كان جانبه مرجو لعفوه ورحمته ا هـ.

(قوله الربانية) يعنى أنّه أضيفت الرحمة للحضرة الربانية لأنّها منها نشأت الموجودات، فلذا أضيفت الرحمة إليها، وأمّا حضرة الألوهية، فإنها أصل عبادة الموجودات، فالإله هو المعبود بالحق الذي توجه إليه كل ما عداه بالخضوع والتذلل والعبادة والمحبة والتعظيم والإجلال، وحضرة الألوهية هي الشاملة لجميع الأسماء والصفات والحضرات الإلهية، والرب هو العالي عن كل ما سواه ومعناه أنه المالك والمتصرف والخالق والقاهر والنافذ حكمه ومشيئته وكلمته في كل ما سواه.

(قوله والياقوتة المتحققة) هو من التشبيه البليغ، وشبه بالياقوت: لكونها غاية ما يدرك الناس في الصفاء والشرف والعلو، إذ هو غاية الجواهر الصافية العالية الشريفة، فلذا استعير له اسم الياقوتة، وإنْ كان هو أشرف من الياقوت وأصفى وأعلا ﷺ على حد قوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥]، قوله المتحققة يعني بجميع الصفات والأسماء الإلهية التي يتوقف عليها وجود الكون، وبقي وراءها من الأسماء والصفات ما لا توقف لوجود الكون عليه.

(قوله الحائطة بمركز الفهوم والمعاني) يعني الفهوم التي قسمها الحق سبحانه وتعالى لخلقه في إدراك معاني كلامه في جميع كتبه وفي إدراك معاني الأحكام الإلهية، وفي إدراك معاني أسمائه وصفاته ومعارفه إذا جمعت تلك الفهوم المقسومة كلها جمعاً واحداً، وصارت مركزاً كان هو ﷺ دائرة محيطة بها بمعنى أنّه محيط بجميعها ما شذ عليه منها شيء ﷺ.

(قوله ونور الأكوان المتكونة الآدمي) معناه الأكوان التي تتكون شيئاً بعد شيء، ويقابلها ما بقي في طي العدم، فإنّ الأشياء المقدرة في العلم الأزلي منقسمة قسمين، قسم

منها أعيان ثابتة: وهي التي سبق في علمه أنّها تخرج من العدم إلى الوجود، وقسم منها أعيان عدميه: وهي التي سبق في علمه أنّها لا تخرج إلى الوجود وتبقى في طي العدم، فإنّه علمها أنّ لو خرجت إلى الوجود على أيّ حالة تكون، وبأيّ أمر تتكون وفي أيّ مكان وزمان تقع، وماذا ينصب عليها من الأحكام الإلهية ضراً ونفعاً؛ فإنّه محيط بجميعها علماً، وهو ﷺ نورها.

(قوله صاحب الحق الرباني) الحق الرباني هو ما قرره سبحانه وتعالى في سرعة الذي حكم به على خلقه أمراً ونهياً وكيفيةً وابتداءً وغاية، فهو صاحبه ﷺ المقرر له والناهي عنه والمنفذ له.

(قوله البرق الأسطع بمزون الأرباح) يعني لما كان البرق ملازماً لمزن الأمطار استعير هنا لانصباب الرحمة الإلهية على الخلق، واستعير أيضاً اسم البرق للحقيقة المحمدية لملازمتها لها كملازمة البرق للأمطار، ومزن الأرباح هي الرحمة الفائضة من حضرة الحق على خلقه، ويعني بها ههنا فيوض العلم والمعارف والأسرار والتجليات والأنوار ودقائق الحكم، وما لا ينتهي إلى ساحله وغايته من المنح والمواهب وصفاء الأحوال والصفات القدسية المخزونة المنصبة على قلوب العارفين والأقطاب.

(قوله المالئة لكل متعرض من البحور والأواني) معنى التعرض ههنا هو تارةً بالتوجه إلى الله تعالى، والتهيؤ والاستعداد وتارةً بالاقتطاع الإلهي، والبحور ههنا عبارة عن قلوب أكابر العارفين، والأواني هي قلوب الأولياء.

(قوله ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني) يعني أنّ الكون الحائط هو الأمر الإلهي الذي أقام الله فيه ظواهر الوجود، فذلك الأمر مملوء به ﷺ، وهو المعبّر عنه بالكون والمكاني. (قوله اللّهم صل وسلم على عين الحق) اعلم أنّ عين الحق له إطلاقان الأول: الحق من حيث الذات، والثاني: إطلاق صفة الذات فإطلاق الحق من حيث الذات لأنّ الحق يقابله الباطل من كل وجه، فالحق المحض هو الذات العلية المقدسة، وما عداها كله باطل وإلى هذا الإشارة بقول الشاعر لبيد الذي شهد له رسول الله ﷺ بالصدق والتحقيق: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل»، وهذا لا يطلق عليه ﷺ إذ هذا الإطلاق عين الذات المقدسة لا يطلق على غيرها أصلاً، والإطلاق الثاني: هو العدل الذي هو من صفة الحق سبحانه وتعالى القائم بصورة العلم الأزلي، والمشيئة الإلهية والقدرة الربانية، والحكم الإلهي الأزلي النافذ في كل شيء، وهذا العدل المذكور هو الساري في آثار جميع الأسماء والصفات الإلهية، ومجموع هذا العدل كلاً وبعضاً هو مجموع في الحقيقة المحمدية، فلذا أطلق عليها عين الحق من هذا الاعتبار، فكلها حق لا تنحرف عن ميزان العدل الإلهي الذي هو عين الحق في الإطلاق الثاني.

(قوله التي تتجلى منها عروش الحقائق) التجلي هو الظهور وعروش الحقائق استعارة بديعية، اعلم أنّه لما كانت كل حقيقة منطوية على ما لا غاية له من العلوم والمعارف والأسرار والمواهب والفيوض، أطلق عليها عروش من هذا الميدان لأنّ العرش محيط بما في جوفه من جميع المخلوقات، وأيضاً أن العرش هو في غاية الرفعة والعلو والشرف من المخلوقات في علم الخلق، وكانت الحقائق في غاية العلوم والرفعة والشرف لأنّها برزت من حضرة الحق الذي لا غاية لعلوه وشرفه، ولا علو وراءه فهو غاية الغايات في العلو والرفعة والشرف، وكانت الحقائق البارزة من حضرته سبحانه وتعالى مكسوة بهذه الصفة العلية من العلو والشرف والجلال، أطلق عليها اسم العرش من هذا الباب، فكل حقيقه هي عرش.

(قوله عين المعارف) يعني أنّه لما كانت المعارف الإلهية المفاضة على الخاصة العليا من النبيين والمرسلين والأقطاب والصديقين والأولياء كلها فائضة من الحقيقة المحمدية، وليس شيء منها أعني من المعارف يفاض من حضرة الحق خارجاً من الحقيقة المحمدية، فلا شيء مفاض من المعارف إلاّ وهو بارز من الحقيقة المحمدية، فهو ﷺ خزانتها وينبوعها، فلذا أطلق عليه عين المعارف من هذا الاعتبار ا هـ.

(قوله الأقوم) يعني أنّه جار في مجاري العدل الإلهي لا يعوج بوجه، ولا يخرج عن الجادة المستقيمة في العدل، وله معنيان أيضاً المعنى الأول: الاستقامة وهو المعتدل في التقويم بلا اعوجاج، وهو معنى الأسقم، والمعنى الثاني: هو صيغة التفضيل من كمال إقامته لأمر الله تعالى، وتوفيته بالقيام بحقوق الحق سبحانه وتعالى، وهذا المعنى الملحوظ في تسميته ﷺ أحمد فهو ﷺ أكمل الخلق قياماً بآداب الحضرة الإلهية علماً وعملاً وحالاً وذوقاً ومنازلةً وتخلقاً وتحققاً وتعلقاً، فهو أكمل من حمد الله تعالى من خلقه من جميع الجهات ا هـ.

(قوله صراطك التام) استعير له ﷺ اسم الصراط لكونه صراطاً بين يدي الحق لا عبور لأحد إلى حضرة الحق إلاّ عليه ﷺ، فمن خرج عنه انقطع عن حضرة الحق إلاّ عليه ﷺ، فمن خرج عنه انقطع عن حضرة الحق وانفصل فهو مشبه بالصراط الذي يكون عليه عبور الناس في المحشر إلى الجنة لا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى الجنة من أرض القيامة إلاّ على الصراط الذي عليه العبور، فمن رام الوصول إلى الجنة من أرض القيامة على غير الصراط المعلوم للعبور انقطع عن الجنة وانفصل، ولا مطمع له في الوصول إليها، كذلك هو ﷺ هو الصراط المستقيم بين يدي الحق لا مطمع لأحد في الوصول إلى حضرة الحق إلاّ بالعبور عليه ﷺ، ومن رامها بغير العبور عليه ﷺ انقطع وانفصل وطرد ولعن، ولهذا الإشارة بقول الشيخ الأكبر رضي الله عنه في صلاته: «إذ هو

بابك الذي من لم يقصدك منه سدت عليه الطرق والأبواب، ويردّ بعد الأدب إلى إصطبل الدواب».

(قوله الأسقم) بمعنى الكامل في الاستقامة بلا اعوجاج. (قوله اللّهم صلّ وسلم على طلعة الحق بالحق) اعلم أنّ طلعة الحق بالحق له معنيان، الأول: فيه طلعة الحق له ﷺ من الذات العلية المقدسة بالحق، وهي الذات أيضاً، فإنّ الذات العلية تجلت له بذاتها لا شيء دونها، فكان ﷺ له تجلت الذات بالذات، وطلوعها عنها لا عن شيء دونها فإن السبب الذي طلعت به هو الذات العلية للحقيقة المحمدية، وتجليها لها كان عن الذات العلية المقدسة المنزهة لا عن غيرها، فهذا معنى طلعة الحق بالحق، والمعنى الثاني: طلعة الحق وهي طوالع الأسماء والصفات الإلهية التي مجموعها هو عين الحق الكلي بجميع ما تفرع عنها من الأحكام الإلهية والمقادير الربانية واللوازم والمقتضيات الملازمة لتلك الصفات والأسماء، فمجموعها هو عين الحق الكلي، فكان ﷺ بحقيقته المحمدية مطلقاً لها جامعاً لحقائقها وأحكامها ومقتضياتها ولوازمها، فكان طلوعها في حقيقته المحمدية عن مادة أسرار الصفات والأسماء الإلهية الذي هو السبب المعبّر عنه بالباء، فكان طلوعها فيه ﷺ بسبب أسرارها وأنوارها، فكلها حق فهو معنى طلعة الحق بالحق، ولما تمّ قيامه ﷺ في هذا الميدان بحقوق التجليين المذكورين، وتوفيته بوظائف خدمتها وآدابها جملةً وتفصيلاً، وتكميله لمقابلتها بعبوديته الكاملة عبّر عن هذا الإطلاق في الصلاة البكرية بقوله: عبدك من حيث أنت كما هو عبدك من حيث كافة أسمائك وصفاتك اهـ.

(قوله الكنز الأعظم) يعني الذي هو جامع لجميع الأسرار والعلوم والمعارف والفتوحات والفيوض والتجليات الذاتية والصفاتية والأسمائية والفعلية والصورية؛ فلما كملت فيه ﷺ هذه الجمعية كان هو الكنز الأعظم، إذْ بسبب ذلك تستفاد منه جميع المطالب والمنح والفيوض الدينية والدنيوية والأخروية من العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأعمال والأحوال والمشاهدات والتوحيد واليقين والإيمان وآداب الحضرة الإلهية، إذْ هو المفيض لجميعها على جميع الوجود جملةً وتفصيلاً فرداً فرداً من غير شذوذ إذ من فائدة الكنز تحصيل المطالب، والمنافع منه ﷺ.

(قوله إفاضتك منك إليك) اعلم أنّه لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد خلقه برزت الحقيقة المحمدية، وذلك عندما تجلى بنفسه لنفسه من سماء الأوصاف، وسأل ذاته بذاته مواد الألطاف، فتلقى ذلك السؤال منه بالقبول والإسعاف، فأوجد الحقيقة المحمدية من حضرة علمه، فكانت عيوناً وأنهاراً، ثم سلخ العالم منها واقتطعه كله تفصيلاً على تلك الصورة الآدمية الإنسانية فإنّها كانت ثوباً على تلك الحقيقة المحمدية النورانية شبه الماء والهواء في حكم الرقة والصفاء، فتشكل الثوب شكل الصورة النورانية، فكان محمد

صلوات الله عليه مجمع الكل، وبرهان الصفات ومبدأ الأعلام، وكان آدم عليه السلام نسخة منه على التمام، وكانت نسخة الذرية من آدم عليه السلام، وكان العالم برمته علويه وسفليه نسخة من آدم، فتحقق هذا النسج تعش سعيداً، غير أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كتابي محمد وآدم على الكمال، والعارفون الوارثون نسخة من آدم وظاهر سيدنا محمد ﷺ، وأمّا أهل الشمال فنسخة من طينة آدم لا غير، وأمّا التناسل إلى أنْ جاء زمانه عليه الصلاة والسلام، فصير العالم في قبضته ومخضة جسم محمد ﷺ زبدة مخضته، كما كانت حقيقة أصل نشأته، فله الفضل بالإحاطة إذْ كانت البداءة والختم به، فقد حصلت في علمك نشأة أول كل موجود، وأين مرتبته من الوجود ومنزلته من الجود؛ والحاصل أنّ سيدنا محمداً ﷺ هو أول الموجودات وأصلها، ببركاته وجدت وبه استمدت.

(قوله إحاطة النور المطلسم) يعني أنّ النور المطلسم هو سر الألوهية المكتم، وكان هذا السر قسمه الحق سبحانه وتعالى بحكم المشيئة الربانية قسمين: قسم منه استبد بعلمه لا يطلع عليه غيره، وقسم اختار أنْ يطلع عليه غيره من خلقه من ذوي الاختصاص، وكان مقسوماً بينهم بالمشيئة الأزلية لكل واحد منهم ما قدر له سر الألوهية، وكان ذلك المقسوم لخلقه أنْ يطلعوا عليه كله أحاط به ﷺ علماً وذوقاً واجتمع في ذاته الكريمة في حقيقته المحمدية، وتفرق في الخلق وبعبارة النور المطلسم هي الكمالات الإلهية التي سبق في سابق علمه أنْ يكشفها لخلقه، ويطلعهم عليها جملةً وتفصيلاً لكل فرد من الوجود ما يناسبه وما يختص به من أول ظهور العالم إلى الأبد، وكان ذلك النور المذكور مطلسماً في حجاب الغيب، معناه: أنّ عليه حجباً عظيمة ليس لأحد الوصول إلى الاطلاع عليه أو على شيء منه، فأشهده الله نبيه ﷺ دفعة واحدة، وأطلعه عليه في حقيقته المحمدية من غير شذوذ، فالإحاطة المذكورة والنور هي طوالع الكمالات الإلهية والطلاسم المضروبة عليها هي الحجب المانعة من الوصول إلى معرفة حقائقها.

(قوله ﷺ وعلى آله) اعلم أنّ الصلاة في حق الله تعالى على نبيه ﷺ وصف قائم بذاته على الحد اللائق الذي يليق بعظمته وجلاله هو أمر فوق ما يدرك ويعقل، فإنّ الوصف الوارد في حق كل موجود، وإنْ اشترك في اللفظ والاسم، فالحقيقة مباينة في حق الموجودات. فالصلاة في حقنا عليه ﷺ هي الألفاظ البارزة من ألسنتنا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فيما ينبيء عن تعظيم نبيه ﷺ منا، وليست كذلك صلاته سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ، فهو فوق ما يدرك ويعقل، فلا تفسر بشيء بل نقول يصلي على نبيه ﷺ، ولا تكييف صلاته، ألا ترى أنّ السجود في حق الموجودات لله تعالى، فكلها ساجدة لله وليس السجود المعهود في حق الآدمي لله تعالى يماثل سجود الجمادات

والحيوانات والأشجار فرداً فرداً، فإنّ لكل واحد من تلك الأفراد سجوداً يليق بحاله، فإنّ السجود في حق جميعها مماثل في الاسم والإطلاق والحقيقة متفرقة في جميعها وسجود كل واحد غير سجود الآخر، وأمّا صلاة الملائكة على النبي ﷺ، فتعقلها في حقهم كتعقلها في حقنا ا هـ.

(قوله صلاة تعرفنا بها إياه) يعني أنّ المصلي طلب من الله تعالى أنْ يعرفه إياه مراتب بطونه ﷺ إمّا بالوصول إلى معرفة روحه أو حقيقة عقله، أو قلبه أو نفسه، فأمّا حقيقة مقام روحه فلا يصل إليها إلاّ الأكابر من النبيين والمرسلين والأقطاب، ومن ضاهاهم من الأفراد ومن العارفين من يصل إلى مقام عقله ﷺ، فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، إذْ ليس مقام العقل وعلومه كمعارف مقام الروح وعلومه من العارفين من يصل إلى مقام قلبه ﷺ، فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك وهي دون مقام العقل في المعارف والعلوم، ومن العارفين من يصل إلى مقام نفسه ﷺ، فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، وهي دون مقام القلب، وأمّا مقام سره ﷺ، فلا مطمع لأحدٍ في دركه لا من عظم شأنه ولا من صغر، والفرق بين مقام سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه؛ فأمّا مقام سره ﷺ، فهي الحقيقة المحمدية التي هي محض النور الإلهي التي عجزت العقول والإدراكات من كل مخلوق من الخاصة العليا عن إدراكها وفهمها، هذا معنى سره ﷺ، ثم ألبست هذه الحقيقة المحمدية لباساً من الأنوار الإلهية واحتجبت بها عن الوجود، فسميت روحاً، ثم تنزلت بألباس أخرى من الأنوار الإلهية، فكانت بسبب ذلك تسمى عقلاً، ثم تنزلت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى واحتجبت بها، فسميت بذلك قلباً، ثم تنزلت بألباس من الأنوار الإلهية، واحتجبت بها، فكانت بسبب ذلك نفساً.

(تنبيه شريف) اعلم أنّه لما خلق الله الحقيقة المحمدية، أودع فيها سبحانه وتعالى جميع ما قسمه لخلقه من فيوض العلوم والمعارف والأسرار والتجليات والأنوار والحقائق بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها، ثم هو ﷺ الآن يترقى في شهود الكمالات الإلهية مما لا مطمع فيه لغيره، ولا تنقضي تلك الكمالات بطول أبد الآباد.

(خاتمة) ورد في الحديث الشريف أنّه لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال ﷺ **«إنّ الله أغناني عن صلاتكم»**، ثم قال بعدها أما في هذا الحديث، أو في حديث غيره أنّ جبريل أخبره ﷺ عن الله تعالى أن الله عزّ وجلّ يقول له: من صلى عليك صليتُ عليه إذ قال ﷺ: **«وحق لمن صلى الله عليه أنْ لا يعذبه بالنار»**، ومن هذه الحيثية أنّ الصلاة عليه ﷺ في حق الفاسق أفضل له من تلاوة القرآن لأنّها شافعة له في إفاضة رضا الرب ومحقها لذنوبه، وإدخاله في زمرة أهل السعادة الأخروية، ولا كذلك القرآن، فإنّه وإنْ كان أفضل منها، فإنّه محل القرب

والحضرة الإلهية يحق لمن حلّ فيها أنْ لا يتجاسر بشيء من سوء الأدب، ومن تجاسر فيها بسوء الأدب استحق من الله اللعن والطرد والغضب لأنّ جملة القرآن أهل الله فإنّهم يؤاخذون أكثر من غيرهم بأقل من مثاقيل الذر إلاّ أنْ تكون له من الله عناية سابقة بمحض الفضل، فتكون له عاصمة من ذلك، فبان لك أنّ الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن، فإنّ القرآن مرتبته مرتبة النبوة تقتضي الطهارة والصفاء وتوفية الآداب المرضية والتخلق بالأخلاق الروحانية، فلذا يتضرر العامة بتلاوته لبعدهم عن ذلك، وأمّا الصلاة عليه ﷺ فليس فيها إلاّ التلفظ بها باستصحاب تعظيم النبي ﷺ بحالة تليق بتاليها من الطهارة الحسية ثوباً وجسداً ومكاناً، وتلاوتها باللفظ المعهود في الشرع من غير لحن فإنّ الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أنْ يصلي عليه، ومن صلى الله عليه مرة لا يعذبه، ولا وسيلة عندالله أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضا الرّب عن العبد في حق العامة أكبر من الصلاة على النبي ﷺ، وإنْ تدافعت العلماء في القطع بقبولها، فمن قائل بأنّ قبولها قطعي، ومن قائل بعدم القطع بقبولها كسائر الأعمال، والذي نقول به: أنّها مقبولة قطعاً والحجة لنا في ذلك أنّ الله تعالى يقول للنبي ﷺ: «مَنْ صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمتُ عليه»، وهذا الوعد صادق لا يخلف، وهو لا من حيثية العبد بل من حيثية شدة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيه ﷺ، وقيامه عنه سبحانه وتعالى بالمكافأة لمن صلى عليه لا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء، وهو معنى قبول الصلاة من العبد، وبالله التوفيق والهادي إلى سواء الطريق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، انتهى ما أملاه علينا شيخنا وسيدنا رضي الله عنه في شرح هذه الصلاة المباركة النبوية من حفظه ولفظه من أوله إلى آخره، وذلك ببلد الصحراء بأبي سمعون، وكتب أفقر العبيد إلى مولاه الغني الحميد علي حرازم بن العربي براده المغربي الفاسي كان الله له ولياً وبه حفياً بتاريخ أوائل جمادي الثانية سنة ست ومائتين وألف، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

شرح الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية

فأقول وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم الحمد لله المحيط الأول الآخر الباطن الظاهر بأحدية جميع ذاته القائم بكماله على كل شيء لتجليه لذاته بذاته في ذاته على ذاته بجميع متضاداته في أسمائه وسماته، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله الكافي بذاته في جميع مقتضياته الهوية السارية، وليس إلاّ مظاهره البادية، وأشهد أنّ سيدنا محمداً سر ذاته، وروح حياته، ونور مرآته، وقيوم أسمائه وسماته، وجامع جمع حضراته

القائم بإحصاء أسمائه بآياته الأول في تعليقه لذاته الآخر على حيطة حكم معلوماته الباطن بفرط الظهور في مثلاته، والظاهرة بما أحاط قيومه بصفاته والصلاة والسلام منه على السيد العبد الأكمل الفاتح الخاتم بعين ما هو الأول صلى الله عليه وعلى آله كما لا نهاية لأسمائه وصفاته وكمالاته.

(وبعد:) فإنّ شيخنا وسيدنا ومولانا، ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام حجة الصوفية، قدوة أهل الخصوصية عالم الشريعة أستاذ الطريقة سلطان أهل الحقيقة إمام الطريقتين، ومقدم الفرقتين صاحب العلوم الجمة ومعدن المعارف، ولسان الحكمة قطب الزمان، والحامل في وقته لواء أهل العرفان لسان القدس، وترجمان الرحمن علم المهتدين قدوة السالكين تاج العارفين إمام الصديقين إنسان عين الأستاذين الوارثين كهف الموقنين الوارثين أستاذ الأكابر والمنفرد بزمانه بالمعارف السنية، والمفاخر العالم بالله والدال على الله زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار الصديق الكبير القطب الغوث الجامع الوارث الرباني الشريف النسب، والأصيل الحسب أبي العباس التجاني سقانا الله من بحره بأعظم الأواني وضع رضي الله عنه تقييداً على الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية، فأجاد فيه وأفاد وبلغ غاية المراد، فقال رضي الله عنه: اعلم أنّ معنى الصلاة الغيبية أنّها برزت من الغيب ليست من إنشاء أحد وأما الحقيقة الأحمدية، فهي الأمر الذي سبق به ﷺ في الحمد لله على كل حامد من الوجود، فما حمد الله أحد في الوجود مثل ما حمده النبي ﷺ في الوجود، ثم إنّها في نفسها أيّ الحقيقة الأحمدية غيب من أعظم غيوب الله تعالى، فلم يطلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والمنح والمواهب والأحوال العلية والأخلاق الزكية، فما ذاق منها أحد شيئاً ولا جميع الرسل والنبيين اختص بها ﷺ وحده بمقامها، وكل مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين، وجميع الأقطاب والصديقين الأولياء والعارفين، كل ما أدركوا على جمله وتفصيله إنّما هو من فيض حقيقته المحمدية، وأمّا حقيقته الأحمدية فلا مطمع لأحد بنيل ما فيها؛ فالحاصل أنّ له ﷺ مقامين: مقام حقيقته الأحمدية، وهو الأعلى ومقام حقيقته المحمدية وهو أدنى ولا أدنى فيه، وكل ما أدركه جميع الموجودات من العلوم والمعارف والفيوضات والتجليات والترقيات والأحوال والمقامات والأخلاق إنّما هو كله من فيض حقيقته المحمدية، وأمّا ما في حقيقته الأحمدية فما نال منه أحد شيئاً اختص به وحده ﷺ لكمال عزها وغاية علوها، فهذه هي الحقيقة الأحمدية ﷺ وشرّف وكرّم ومجدّ وعظّم.

(قوله اللّهم صلّ وسلم على عين ذاتك العلية) يعني أنّ الحق سبحانه وتعالى تجلى بكمال ذاته الذاتية في الحقيقة المحمدية فهو لها أي للذات العلية كالمرآة تتراءى فيها،

فبهذه الحيثية، وبهذه النسبة كانت الحقيقة المحمدية كأنّها عين الذات، ولم يكن هذا التجلي في الوجود لأحد من خلقه إلا له ﷺ، فبهذه النسبة كان ﷺ عين الذات لا إنه حقيقته، لكن بالنسبة التي ذكرناها، ولو كان هو عين الذات لعبد، وهذا لا يتأتى بل هو مخلوق، وقد سجل عليه سبحانه وتعالى بالعبودية حيث قال عزّ وجلّ ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ [الفرقان: ١] وبقوله: ﴿وإنْ كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة: ٢٣]: فالعبودية لا تتأتى للذات العلية لكنها بالنسبة التي ذكرناها صار كأنّه عينها.

(قوله بأنواع كمالاتك البهية) يحتمل معنيين كلاهما صحيح، المعنى الأول: حالة التجلي، والثاني: حالة الصلاة، فحالة التجلي يعني تجليت فيه بكمالات ذاتك البهية، والثاني حالة الصلاة يعني صلّ عليه بكمالات ذاتك البهية. (قوله في حضرة ذاتك الأبدية) معناه هو صلاة الله على عبده إذا صليت عليه يا رب فصل عليه في حضرة ذاتك الأبدية، فإنّ الصلاة عليه في حضرة الذات ليست هي الرحمة كما يقوله العلماء، وإنّما هو أمر لا يذكر ولا يعرف ولا يدرك، فإنّ حضرة الذات انطمست فيها العبارات كلها وانعدمت الإشارات، فإنّ حضرة الذات لو برزت للناظر لما قدر أنْ يجيب عن سؤال، أو يميز مرتبة من المراتب لو سُئل مائة ألف سؤال ما قدر أنْ يجيب عن سؤال واحد، مثال ذلك في الشاهد مثال من ألقي في نار طولها مسيرة يوم وعرضها مسيرة يوم وهي شديدة الوقود لكثرة حطبها وحال من ألقي فيها معروف لا يقدر أنْ يلتفت إلى شيء غيرها ولا يقدر صاحباً، أو يجيب سائلاً أو يفهم كلاماً لما هو فيه من عظم الأمر ا هـ. (قوله على عبدك القائم منك لك إليك) العبد هنا هو رسوله ﷺ، وهو العبد الحقيقي الذي عَبَدَ الله بكليته لقوله ﷺ في مناجاته في السجود: «سجد لك سوادي وخيالي» السواد: هو جسده الكريم ﷺ، والخيال: هو الروح المقدسة يريد أنّه ما تخلف منه شيء عن السجود سجد بكليته لله تعالى ما تخلف منه شيء عن السجود.

(قوله القائم) يعني قيامه بحقوق الله تعالى سراً وعلانيةً. (قوله بك) يعني ليس قيامه بنفسه كحالة المحجوبين، وإنّما حالة العارف كيفما تحرك تحرك بالله تعالى، ونفسه عنه غائبة، فهذا هو القيام بالله تعالى على حد ما ذكره في الحديث: «**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به**» الخ، فهذا هو معنى القيام بالله تعالى. (قوله منك) يعني أنّ الفيض الذي أفاضه عليه حتى صار قائماً بالله إنّما كان الفيض من الله تعالى لا من غيره ليس من قبل نفسه ولا من مادة بشريته بل كان من الله تعالى.

(قوله لك) يعني أنّه قام لله تعالى في جميع حركاته، وسكناته هو لله تعالى ليس لنفسه فيه حظ ولا نصيب كما نقل الرواة عنه ﷺ فإنه ﷺ ما انتصر قط لنفسه. (قوله إليك) يعني قيامه الذي قام به وفيه هو في جميع ذلك ذاهب إلى الله تعالى من جميع

الأغيار بمحق الغير والغيرية كما قال في الآية: ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾ [الذاريات: ٥٠] يعني من جميع غيره، وكما أخبر الله عن خليله وصفيّه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [الصافات: ٩٩] قال الشيخ مولانا عبد السلام رضي الله عنه: لا تختر من أمرك شيئاً واختر أنّ لا تختار وفرّ من ذلك المختار، ومن اختيارك ومن فرارك، ومن كل شيء إلى الله وربك يخلق ما يشاء ويختار.

(قوله بأتم الصلوات الزكية) معناه صلِّ عليه يا رب بأتم الصلوات يعني بأكملها وأعظمها، (قوله الزكية) يعني المتزايدة التي لا غاية لها، والزكية في نفسها هي البالغة إلى الغاية القصوى في الكمال. (قوله المصلي في محراب عين هاء الهوية) يعني أنّ المصلي في محراب عين هاء الهوية هو إمام جميع الوجود والوجود كله من ورائه، وأطلق عليه المحراب، لكونه لا ثاني له في مرتبته الأحدية فإنّ الوجود كله يصلي في جامع حيطة الألوهية وهو صلّى الله عليه وسلم يصلي في محراب تجلي الذات المقدسة من حيث ما هي هي، فإنّها عين العين وعين الهاء، فالهاء هي هوية الذات والعين عينها، ووجودها الذي هو حضرة الطمس والعمى.

(قوله التالي السبع المثاني) يعني أنّ السبع المثاني هنا هي فاتحة الكتاب، وهي في تلك الحضرة لا تعرف ولا تدرى إنّما هي في ذلك المقام عين هاء. (قوله بصفاتك النفسية) يعني أنّه متصف بها حينئذٍ، ولا يتصف بها غيره إلاّ خليفته الأكبر والصفات النفسية التي هي السبع المثاني، وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام لأنّه ﷺ تلا السبع المثاني في تلك الحضرة لأنّه متصف بالصفات النفسية التي هي صفات الذات العلية جلت وتقدست، وقد اجتمعت علومه ﷺ، ومعارفه وأسراره وجميع الموجودات من كل ما أدركوه في هذا الميدان كله تحت مقام هذين الحرفين وهما عين هاء.

(قوله المخاطب بقولك له، واسجد واقترب) يعني أنّ سجوده لله تعالى سجود بكليته جزءاً جزءاً ظاهراً وباطناً كما قال في مناجاته السابقة: «سجد لك سوادي وخيالي» الخ «واقترب» معناه: قرب النسبة لأقرب المسافة، ومعناه هو مناسبة العبد للحضرة الإلهية فإنّ الحضرة قلنا: حقيقتها هي محق للغير والغيرية فلا أين ولا كيف ولا رسم ولا وهم ولا خيال ولا عقل ولا تمييز إلاّ الطمس والعمى حيث لم يعقل هناك إلاّ الله بالله لله في الله عن الله، فهذه هي نسبة الحضرة الإلهية، وهذا هو القرب الحقيقي لأقرب المسافة، والعبد وضع في أول نشأته لا يخوض إلاّ في وجود الكون كيفما تقلب، وكيفما تحرك أو سكن هو في غيبة عن الله تعالى، وهذا هو البعد عن الله لا بعد المسافة فإنّها مستحيلة؛ فإذا عرفت هذا وتحققته، فالعبد إذا دخل الحضرة الإلهية لا يدخلها إلاّ بنسبتها، وهي محو

الغير والغيرية من قلبه، فحينئذٍ يناسبها ويدخلها، فإذا دخلها كان مقامه فيها مناسبه ما انكشف له من صفات الله وأسمائه، فإذا أدى آدابها ووظائفها وحقائقها ناسب المقام الذي فوقها الذي كان محتجباً عنه، فيرقى إليه، ويدخله فيتجلى له من الصفات والأسماء قدر ما يكون المقام الأول معه كنقطة في بحر والصفات والأسماء التي انكشفت له في مناسبته لها، فإذا أدى وظائف مقامه وآدابه بما فيه من الصفات ناسب المقام الثالث وارتقاه، وتجلى له من الصفات والأسماء فيه ما يكون معه المقام الثاني كنقطة في بحر، فإذا أدى وظائف المقام الثالث وآدابه بما فيه من الصفات والأسماء ناسب المقام الرابع، فارتقاه بنسبته وتجلى له فيه من الصفات والأسماء والمواهب والفيوض والتجليات ما يكون معه المقام الثالث بالنسبة إليه كنقطة في بحر، ثم إذا أدى وظائف المقام الرابع واستوفى آدابه ناسب المقام الخامس بما فيه من الصفات والأسماء، فإذا ناسبته ارتقى إليه وتجلى له فيه ما يكون المقام الرابع بالنسبة إليه كنقطة في بحر، وهكذا أبداً سرمداً كلما ارتقى مقاماً ووفى بوظائفه وآدابه ناسب المقام الذي فوقه فارتقى إليه بنسبته، وتجلى له فيه ما يكون المقام الذي تحته بالنسبة إليه كنقطة في بحر، وهكذا أبداً سرمداً في طول عمر الآخرة الأبدي، فالعارف فيه أبداً على هذا الترقي فيه، فالقرب هنا الذي يسمى صاحبه مقرباً هو إذا، وفي السئر إلى الله تعالى بوظائف مقامه وآدابه ناسب المقام الذي فوقه، ويسمى الترقي في المقامات هو القرب الحقيقي للمناسبة التي فيه فإنّه لا يقدر مثلاً أنْ يكون في المقام الألف، ويناسب المقام الذي هو مكمل مائة ألف مقام فلا يرتقيه لبعد النسبة التي بينه وبينه، فإن الصفات والأسماء والتجليات التي تنكشف له في المقام المكمل ألف مقام فهو بهذه الحيثية هو بعيد منها لا يقدر أن يرتقيها، حتى إذا ارتقى مقاماً بعد مقام بتوفية وظائف كل مقام وآدابه إلى أنْ يصل المقام المكمل ألف مقام فهو بهذه الحيثية هو بعيد منها لا يقدر أنْ يرتقيها حتى إذا ارتقى مقاماً بعد مقام بتوفية وظائف كل مقام وآدابه إلى أنْ يصل المقام المكمل تسعاً وتسعين وتسعمائة وتسعة وتسعين ألف مقام، فإذا استوفى وظائفه وآدابه ناسب المقام المكمل مائة ألف، فيرتقيه حينئذٍ، وقد كان في المقام المكمل ألفاً في غاية البعد عنه، ونعني بالبعد عدم مناسبته بتجلي أسمائه وصفاته وتجلياته، فإذ عرفت هذا عرفت حقيقة القرب والبعد الذي يشير إليه العارفون، وبهذا تم الكلام على القرب والسلام، فإذا وفى بوظائف مقامه أدباً وخدمة ومناسبة ارتقى إلى المقام الذي يليه، وكانت جميع التجليات التي في ذلك المقام الذي ارتقى إليه تعطيه كل ما هو فيها من العلوم والمعارف والأسرار والأحوال والمقامات والمنازلات والكشوفات والتحقق واليقين والتمكين والتوحيد، والتجريد والحكم والدقائق والرقائق، والحقائق واللطائف والمنح والمواهب، وما لا تحيط به الأفكار على غاية تضاعفها في الأعمار، فإنّ

أخلّ بشيء من وظائف مقامه أتته التجليات ناقصة الفيض في كل ما ذكر ولم تأته بجميع ما تشتمل عليه لعدم توفيته بوظائف مقامه، وهكذا فإذا ارتقى إلى المقام الذي فوقه وجد فيه النقص للخلل الذي لحقه في المقام الأول وهكذا هو وصف أهل القرب دائماً.

(قوله الداعي لك بإذنك) معناه أنّه وصف للنبي ﷺ فهو يدعو الخلق إلى الله بالله بلا إقامة دليل ولا برهان، وهذه المرتبة صعبة لانقياد الخلق إليها لكثرة اشتغالهم عن الله بمتابعة أهوائهم، فليس يستجيب بالدعوة الأولى، وهي الدعوة إلى الله بالله التي هي الحكمة إلاّ أهل الصفاء والتمكين، مستغرقين في التوجه إلى الله تعالى هذا الذي يستجيبون بطريق الحكمة إلى الله تعالى دون كافة الخلق فإنّهم مشغولون عن الله تعالى بمتابعة أهوائهم، ولذا عطف سبحانه وتعالى عليهم بقوله: «والموعظة الحسنة» يعني عظهم برفق ولين يريد أنْ يذكرهم بوعيد الله تعالى والتخويف من شدة عقابه وتذكارهم ما حلّ بالأمم قبلهم الذين عصوا الرسل من الهلاك والوباء مثل عاد وثمود وأصحاب مدين، وغيرهم ممن ذكر الله قصصهم في القرآن، فإنّ هؤلاء لما كانوا مشغولين بمتابعة أهوائهم أمر أن يعظهم بالمواعظ التي يستجيبون لها بالتخويف بشدة العذاب والهلاك لكونهم لا يستجيبون بالحكمة، ثم عطف بالمرتبة الثالثة، وهي إذا هبط الإنسان إلى أسفل سافلين بالبعد عن الله تعالى وأخذ يحاجج عن أباطيله والتمسك بضلاله قال سبحانه وتعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن في أبطال حجج أباطيلهم﴾ [النحل: ١٢٥]؛ قال ﷺ حين نادى أبا سفيان يوم أحد وقد وقع في الصحابة ما وقع جاء إلى المحل الذي اجتمعوا عليه، وقد كان مجروحاً بعد ما هدأ القتال قال لهم: أفي القوم محمد قال ﷺ: **«لا تجيبوه فسكتوا»**، ثم نادى أفي القوم ابن أبي قحافة قال لهم ﷺ: **«لا تجيبوه فسكتوا»**، ثم نادى أفي القوم ابن الخطاب قال لهم ﷺ الله عليه وسلم: **«لا تجيبوه»**، فقال لمن معه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم يريد أن بهم قوام الأمر، فلم يصبر عمر حينئذٍ واستخف فناداه: بلى بقي لك ما يخزيك الله به، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتل محمداً أم لا؟ قال له: هو حي الآن يسمع كلامك قال له: أنت أصدق عندي من ابن قمئة، ثم قال له أبو سفيان ونادى بأعلى صوته: أعل هبل، وهو أعظم أصنامهم كانوا جعلوه في جوف الكعبة يعبدونه فقوله «أعل هبل» أظهر دينك أيها الإله، فقال لهم ﷺ: **«قولوا له الله أعلى وأجل الله أعلى وأجل»**، فإن هذه القولة لم يجد لها دافعاً لأنّه يعلم أنّ الله لا يعلو عليه شيء سبحانه وتعالى، ثم نادى أبو سفيان فقال: إنّ لنا العزى ولا عزى لكم فقال ﷺ: **«قولوا له الله مولانا ولا مولى لكم»**، فسكت إذا ولم يجد دافعاً للحجة التي قامت عليه لأنّه يعلم أنّ الله لا يعلو عليه شيء، أو لأنّهم [illegible]لمون هذا، ولا يشكون فيه، قال أبو جهل حين وقف في الصف يوم بدر: إنْ كنا إنّما نقاتل الله كما يزعم

محمد فوالله ما لأحدٍ بالله من طاقة، وإنْ كنا إنما نقاتل الناس فوالله ما بنا من ضعف.

(قوله بإذنك) يعني أنّه دعا إلى الله بإذنه يعني إذن الله له في الدعوة إليه أمره بذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ [المدثر: ٢]، وقال في الآية الأخرى، ﴿وداعياً إلى الله بإذنه﴾[الأحزاب:٤٦].

(قوله لكافة شؤونك العلمية) يعني أنّه ﷺ دعا جميع الوجود كله إلى عبادة الله تعالى، بعضه بالرسالة وتبليغ الدعوة وهم بنوا آدم والجن والشياطين، وبعضهم بالتصرف، ومعنى التصرف هو التصرف بالأسرار، توجه إلى الوجود بفيضه وأسراره حتى انقاد إليه جميع الوجود إلى عبادة الله تعالى وتسبيحه والسجود له فهي الشؤون العلمية، ونعني به جميع الوجود.

(قوله لمن أجاب اصطفى وقرب) يعني أنّ من أجاب الدعوة من المدعوين بأنّه آمن بالله ورسوله، وعَبَدَ الله اصطفى وقرب، وكانت مأواه الجنة ومن أبى طرد ولعن وأبعد، وكان مأواه النار نعوذ بالله منها.

(قوله المفيض على كافة من أوجدته بقيومية سرك) هذا وصف للنبي ﷺ لأنّه مفيض على كافة خلق الله على العموم والإطلاق في كل ما ينالهم من المنافع ديناً ودنيا وأخرى، ومن جميع المضار كذلك، فإنّه مفيض لجميعها ﷺ على جميع الوجود، ثم وصف جميع الوجود بأنّ كافة من أوجدته بقيومية سرك، والخلق كلهم أوجدهم الله تعالى بقيومية السر الإلهي، والقيومية هي الواقعة بسر اسمه القيوم، والقيوم هو المقيم لجميع الوجود ظاهراً وباطناً وأولاً وآخراً وكلاً وبعضاً على الحد الذي نفذت به مشيئته وتصور في سابق علمه، فهو يقيم الوجود سبحانه وتعالى على حد ذلك المقدار بلا زيادة ولا نقص ولا يفيد في زيادة ذلك سبب من الأسباب، أعني أن يزيد على القدر الذي نفذت به المشيئة في الأزل وتصور في سابق العلم الإلهي، فلا سبب يفيد في هذا الميدان لا زيادة ولا نقص، فليس توفر الأسباب وتظافرها يفيد في الزيادة حتى مقدار مقدارها على القدر الذي نفذت به المشيئة، وليس تخلف جميع الأسباب الحكمية تنقص من ذلك المقدار مقدار هيئة، فوجود الأسباب وعدمها في هذا الميدان على حد سواء، وعلى هذا التحقيق وجريه، وقع اسمه العدل والعدل هو التصرف في العالم المعبّر به عن جميع الوجود على الحد الذي نفذت به المشيئة، وتصور في سابق العلم لا يزيد ولا ينقص، فهذا معنى اسمه العدل.

(قوله المدد الساري في كلية أجزاء موهبة فضلك) معناه هو المفيض على كافة

الوجود والشيء الذي يفيضه هو مدده الساري في جميع الوجود، فإنّ الفيض الإلهي من الحضرة الرحمانية لجميع الوجود من الأزل إلى الأبد يجتمع ذلك الفيض كله في الحقيقة المحمدية ﷺ، ثم يسري منه ﷺ منقسماً على جميع الوجود على حد قوله ﷺ: «**إنّما أنا قاسم والله معطي**» أخبر أنّ العطاء الأول، وهو الاقتطاع الإلهي كان مفصلاً في القسمة على ما نفذت به المشيئة الإلهية، والاقتطاع أولاً كان من الله لجميع خلقه، والتقسيم هو تناوله من يد الملك، أو من حضرته، وتوصيله إلى من أمر بإعطائه كان عنه ﷺ فهو في ذلك بمنزلة العبد الذي يأمره الملك بتوصيل العطايا إلى الناس فهو يوصلها إلى أربابها على قدر ما أراده الملك، فهذا معنى الحديث، وهو إنما أنا قاسم والله معطي، وكما قال الشيخ الأكبر في صلاته في وصفه ﷺ القلم النوراني إلى الجاري بمدد الحروف العاليات والنفس الرحماني الساري بمداد الكلمات التامات، فهذا السريان منه ﷺ لجميع الوجود كلما نفذت به مشيئة الله تعالى لجميع الوجود لا يتأتى إيصاله إلى أربابه إلاّ بنيابة رسوله ﷺ فيه مطلقاً وعموماً من غير شذوذ ولا تخصيص.

(قوله كلية أجزاء موهبة فضلك) اعلم أنّ العالم كله على جمله وتفصيله كله موهبة من مواهب فضله سبحانه وتعالى جاد سبحانه وتعالى بالوجود أولاً للخلق، ثم جاد ثانياً بإقامة الوجود وإيصال المنافع، ودفع المضار فما هناك إلاّ فضله سبحانه وتعالى.

(قوله المتجلي عليه في محراب قدسك وأنسك) يعني أنّ المتجلى بفتح اللام عليه هو رسول الله ﷺ في محراب قدسك وأنسك، محراب القدس المراد به هنا هي الحضرة الأحمدية التي يقدس الرّب سبحانه وتعالى ويحمده حقيقة حمده في محراب قدسه، والقدس هو الطهارة وهو الطاهر من كل ما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وفي محراب أُنسك وهو الأنس بالله حيث لا التفات لغيره كما قال في الحديث ﷺ «**لي وقت لا يسعني فيه غير الله تعالى**»، فهذا الأنس بالله بعدم الالتفات لغيره.

(قوله بكمالات ألوهيتك في عوالمك وبرك وبحرك) هذا متعلق بقوله المتجلى عليه تجلى عليه سبحانه وتعالى بكمالات ذات وبكمالات ألوهيته يعني أظهرها له. (قوله في عوالمك) يعني في جميع العوالم مطلقاً وجميع العوالم هو ما انطبق عليه الطوق الأخضر ومن ورائه لا شيء، وقوله وبرك وبحرك تخصيص بعد عموم.

(قوله فصل اللّهم عليه صلاة كاملة تامة) طلب المصلي من الله تعالى أنْ يصلي على حبيبه ﷺ بالصلاة التامة الكاملة، وهو عطف بيان وصلاة الله على نبيه ﷺ توقيفية لا نعرف حقيقتها، وما يقوله فيها أهل الظاهر لا يلتفت إليه. (قوله بك ومنك وإليك وعليك) قوله بك يعني بذاتك ومنك يعني ومن ذاتك وصلى عليه إليك، فإنّ ورود الصلاة عليه منه سبحانه وتعالى إليه أي إلى الله تعالى، قال المرسي رضي الله عنه: الناس ثلاثة: قوم

هم بشهود ما منهم إلى الله وهم العباد والعامة، وقوم هم بشهود مأمن الله إليهم وهم الخاصة، وقوم هم بشهود ما من الله إلى الله، فالخاصة الأولى وإن كانوا في غاية العلو فيلحقهم النقص من حيث يشهدون أنّ الله هو المهدي لهم والمعطي، فنقصهم هو شهود وجودهم مع وجود الحق سبحانه وتعالى والكمال والتمام للطائفة الثانية هم بشهود ما من الله إلى الله فليس لنفوسهم عندهم شأن حتى يعطيها أو يهدي إليها، بل انمحق وجودهم تحت وجودهم فلا أين ولا كيف ولا غيرية إلاّ لله وحده، فهذا هو الكمال هو المعطي لا غيرية بل هو من عند نفسه لنفسه إذا ارتفع الحجاب شهد العالم كله شأناً من شؤون الحضرة الأحدية فليس إيراده الأشياء إلاّ منه لنفسه والعالم كله شؤونه، وهذا المشهد هو مشهد الأفراد؛ والناس على أربعة أصناف في الاقتداء به ﷺ، الصنف الأول: العلماء اقتدوا به ﷺ في أقواله، والصنف الثاني: العباد اقتدوا به ﷺ في أفعاله، والصنف الثالث: الصوفية اقتدوا به ﷺ في أخلاقه، والصنف الرابع: العارفون المحققون اقتدوا به ﷺ في أحواله؛ فمذهب العلماء أنْ يأخذوا من أقواله ﷺ ما يسقط به الحرج والإثم ونهايتهم الجنة، ومذهب العباد أنْ يأخذوا من أمره ﷺ ما ينفي النقص والخلل عن العبد ونهايتهم الثناء من الحق عليهم وتعظيمهم عند الله تعالى في موقف القيامة، ومذهب الصوفية، فإنّهم لم يقنعوا بحالة أهل الإسلام بل دخلوا مداخل النبيين والمرسلين، وأول مداخل النبيين والمرسلين التخلق بأخلاقهم كالحلم والعفو والسخاء والإيثار ومسامحة الظالم والعفو عنه إلى غير ذلك من الأخلاق، وأمّا العارفون، فإنّهم دخلوا مداخل الغايات أعني غايات النبيين والمرسلين، فإنّ غاية العبودية التقلب في أحوال الحضرة القدسية والاتصاف بصفات الله تعالى، والتحقيق بأسمائه وصفاته ولا غاية وراء هذا إلاّ الألوهية، وهي مستحيلة على العبد لا يتصف بها إلاّ الإله وحده وحقيقة الأحوال هي التمكين من الثبوت لتقلب التجليات الإلهية وتطور الأنوار القدسية مع التلوين بمقتضياتها وتوفية حقوقها وآدابها، ومنشؤها أصلان الأصل الأول: هو مشاهدة الحضرة القدسية بعين العيان على ما هي عليه، والأصل الثاني: محبة الذات المقدسة لذاتها لا لعارض غيرها، والأصل الأول هو الذي يقع عليه الأصل الثاني وإلاّ فلا وينشد:

قريب الوجد ذو مرمى بعيد ... على الأحرار منهم، والعبيد

غريب الوصف ذو علم غريب ... كأنّ فؤاده زبر الحديد

لقد عزت معانيه، فغابت ... عن الأبصار إلاّ للشهيد

ترَ الأعياد في الأوقات تجري ... له في كل يوم ألف عيد

وللأحباب أفراح بعيد ... ولا تجد السرور له بعيد

(قوله وعليك) معناه هو علو العناية يعني أنّ الحق سبحانه وتعالى اعتنى بنبيه ﷺ لا يترك ولا يفرط فيها كما قال في الآية: ﴿وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها﴾ [هود: ٦] يريد حكماً حتمه على نفسه يعني لا يتركه، وكقوله سبحانه وتعالى في الآية الأخرى ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤] يعني أن هذا حكم حكم به على نفسه لا يمكن تخلفه، ولا يتصور كما قال ما يبدل القول لدي، فحكم سبحانه وتعالى على نفسه باختياره أنّه لا يترك الصلاة على حبيبه ﷺ حتماً مقضياً اعتناءً منه بحبيبه ﷺ، كما اعتنى بجميع الوجود حيث حكم له على نفسه بالرحمة، فقال: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤]، فطلب المصلي من الله تعالى الصلاة على حبيبه ﷺ أنْ تكون بارزةً من عين العناية، وهي شدة الاعتناء بالشيء، فهذا معنى وعليك.

(قوله وسلم عليه سلاماً تاماً عاماً شاملاً)، ومعنى السلام ههنا هو الأمان من الله تعالى لحبيبه ﷺ من كل ما يوجب تشويشاً أو تنغيصاً أو نقضاً في الحظ العاجل أو الآجل.

(قوله تاماً) يعني محيطاً بجميع الأمور لا يقع له تشويش ولا تنغيص في جميع الأمور، وقوله عاماً شاملاً معطوفان للتفنن في العبارة، (قوله لأنواع كمالات قدسك) يعني أنه ذكر ههنا عموم السلام، وشموله لأنّه شامل لجميع كمالات القدس وهو وروده من الله تعالى حضرة ذاته، فإنّها مشتملة على جميع وجوه القدس.

(قوله دائمين متصلين) الثنية هنا للصلاة والسلام دائمين، وقوله متصلين دفعاً لما يوهم في الدوام أنْ يفعل مرة، ويقطع أخرى، ثم يعود إلى الدوام، فهذا دوام، ثم عطف عليه بالاتصال بأنّه لا يفرغ ذلك حتى لحظة واحدة في هذا الاتصال لأنّه متصل بعضه ببعض.

(قوله على خليلك وحبيبك من خلقك) قوله الخليل، والحبيب ويحتمل ههنا عطف البيان، والمرادفة يكون الحبيب هو الخليل والخليل هو الحبيب، ويحتمل المغايرة، وإنْ قلنا: بالمغايرة ههنا، فالمراد بالخليل الذي يخصّه بأسراره ليساوره بأسراره من جميع خلقه فلا يعرف أسراره غيره من الخلق، والحبيب هو الذي يكتنزه في باطن نفسه، فليس عنده في الخلق حبيب يعادله فضلاً عن أنْ يكون أحب إليه منه. (قوله عدد ما في علمك القديم) معناه صلِّ عليه يا رب وسلم عليه عدد ما في علمك القديم فإنّ إحاطة العلم لا غاية لها، فكذلك صلِّ عليه صلاة متعددة على عدد ما أحاط به العلم الإلهي.

(قوله وعميم فضلك) معناه صلِّ عليه يا رب وسلم عليه عدد ما أحاط به علمك القديم على عدد ما مسه فضلك العظيم، والمراد به جميع العالم من أوله إلى آخره وجواهره وأعراضه فإنّ جميعه وجد بفضل الله تعالى، وأمد بقائه من فضله سبحانه وتعالى،

وما هناك إلاّ محض فضله.

(قوله وتب عنا بمحض فضلك الكريم)، ثم رجع المصلي في طلب النيابة (في الصلاة عليه) فإنّ الله تعالى كلف العباد بالصلاة على حبيبه ﷺ في قوله: ﴿أنّ الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] حيث طالبتنا يا رب بالصلاة عليه ﷺ، فتب عنا أنت في ذلك صلّ عليه بنفسك نيابة عنّا كما تصلي عليه بنفسك لنفسك، وكذا في السلام أيضاً كالصلاة عليه، ومعنى محض فضلك الكريم محض الفضل أنه يرد من الله بلا سبب يسبقه. (قوله صلاتك التي صليت عليه) معناه صلّ عليه يا رب منا الصلاة التي سألناك في النيابة عنا فيها، صلّ عليه تلك الصلاة التي صليت بها عليه بنفسك لنفسك، فصلِّ عليه بمثل تلك الصلاة نيابة عنا، (قوله في محراب قدسك) معناه صلِّ عليه يا رب وهو حينئذٍ في محراب قدسك بلا بعدٍ منك، ومحراب القدس هي حضرة الأحمدية التي يحمد فيها ربه سبحانه وتعالى، وهي محراب القدس. (قوله وهوية أنسك) معناه حيث يكون في بساط الأنس بك حيث أنت هو وهو أنت صلّ عليه في هذا البساط ﷺ. (قوله وعلى آله) معناه طلب المصلي من الله أنْ يصلي على آل رسوله ﷺ، وطلب المصلي أيضاً الصلاة من الله على صحابة رسوله، ونبيه ﷺ، (قوله وسلم عليهم) يعني على الآل والصحابة، والسلام هنا هو الأمان من الله تعالى يعني كما ورد منك الأمان على حبيبك ﷺ، فأورد الأمان منك على آله وصحابته، (قوله عدد إحاطة علمك) معناه صلِّ وسلم عليهم عدد ما أحاط به العلم القديم، وما أحاط به العلم الإلهي لا غاية له كذلك الصلاة عليه، وعلى آله وأصحابه لا غاية لها، ولا انتهاء أبد الآباد، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ا هـ. ما أملاه علينا شيخنا وسيدنا رضي الله عنه في شرح هذه الصلاة من حفظه ولفظه أواخر شوال سنة ثلاثة عشرة ومائتين وألف على يد أفقر العبيد إلى مولاه الغني الحميد علي حرازم بن العربي براده لطف الله به آمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين.

وأختم شرح هذه الصلوات بمسألة إهداء الثواب له ﷺ

فقد سألته رضي الله عنه عن بيان ذلك، (فأجاب) رضي الله عنه بقوله: اعلم أنّه ﷺ غني عن جميع الخلق جملةً وتفصيلاً فرداً فرداً وعن صلاتهم عليه، وعن إهدائهم ثواب الأعمال له ﷺ بربه أولاً وبما منحه من سبوغ فضله، وكمال طوله فهو في ذلك عند ربه ﷺ في غاية لا يمكن وصول غيره إليها، ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة، يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥]، وهذا العطاء، وإن ورد من الحق بهذه الصفة سهلة المأخذ قريبة المحتد، فإنّ لها غاية لا تدرك العقول أصغرها، فضلاً عن النهاية التي هي أكبرها فإنّ الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على

قدر سعة ربوبيته، ويفيض على مرتبته ﷺ على قدر حظوته ومكانته عنده، وما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة، ثم يرد على مرتبة لا غاية لها أيضاً وعظمته على قدر وسعها أيضاً، فكيف يقدر هذا العطاء، وكيف تحمل العقول سعته، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النساء: ١١٣]، وأقل مراتبه في غناه ﷺ أنّه من لدن بعثه إلى قيام الساعة كل عامل بعمل لله ممن دخل في طوق رسالته ﷺ يكون له مع ثواب عمله بالغاً ما بلغ، فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة لهذا الثواب لما فيها من كمال الغنى الذي لا حد له، وهذه أصغر مراتب غناه ﷺ، فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر والفضل الأعظم الأخطر الذي لا تطيق حمله عقول الأقطاب فضلاً عمن دونهم، وإذا عرفت هذا فاعلم أنّه ليست له حاجة إلى صلاة المصلين عليه ﷺ، ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها ﷺ، وليست له حاجة إلى إهداء الثواب ممن يهدي له ثواب الأعمال، وما مثل المهدي له في هذا الباب ثواب العمل متوهماً أنّه يزيده به ﷺ، أو يحصل به نفعاً إلا كمن رمى نقطة قلم في بحر طوله مسيرة عشرة مائة ألف عام، وعرضه كذلك، وعمقه كذلك متوهماً أنّه يمد هذا البحر بتلك النقطة يزيده فأيّ حاجة لهذا البحر بهذه النقطة، وما عسى أنْ تزيد فيه، وإذا عرفت رتبة غناه ﷺ، وحظوته عند ربه، فاعلم أنّ أمر الله للعباد بالصلاة عليه ﷺ، ليعرفهم علو مقداره عنده وشفوف مرتبته لديه وعلو اصطفائه على جميع خلقه، وليخبرهم أنّه لا يقبل العمل من عامل إلاّ بالتوسل إلى الله به ﷺ، فمن طلب القرب من الله تعالى والتوجه إليه دون التوسل به ﷺ معرضاً عن كريم جنابه، ومدبراً عن تشريع خطابه كان مستوجباً من الله غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد وضلّ سعيه وخسر عمله، ولا وسيلة إلى الله إلاّ به ﷺ كالصلاة عليه ﷺ، وامتثال شرعه، فإذاً فالصلاة عليه ﷺ فيه تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه، وفيها تعليم لنا بالتوسل به ﷺ في جميع التوجهات والمطالب لا غير هذه من توهم النفع له بها ﷺ لما ذكرناه سابقاً من كمال الغنى، وأمّا إهداء الثواب له ﷺ، فتعقل ما ذكرناه من الغنى أولاً، ثم تعقل مثالاً آخر يضرب لإهداء الثواب له ﷺ بملك عظيم المملكة ضخم السلطنة قد أوتي في مملكته من كل متمول خزائن لا حد لعددها كل خزانة عرضها وطولها من السماء إلى الأرض مملوءة كل خزانة على هذا القدر ياقوتاً أو ذهباً أو فضة أو زروعاً وغيرها من المتمولات، ثم قدر فقيراً لا يملك مثلاً غير خبزتين من دنياه، فسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه له في قلبه فأهدى لهذا الملك إحدى الخبزتين معظماً له ومحباً والملك متسع الكرم فلا شك أنّ الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له فوجودها عنده وعدمها على حد سواء، ثم الملك لاتساع كرمه علم فقر الفقير وغاية جهده، وعلم صدق حبه وتعظيمه في قلبه وأنه

ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك، ولو قدر على أكثر من ذلك لأهداه له، فالملك يظهر له الفرح والسرور بذلك الفقير وبهديته لأجل تعظيمه له وصدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة، ويثبت على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم لا لأجل النفع بالخبزة، وعلى هذا التقدير وضرب المثل قدر إهداء الثواب له ﷺ، وأما غناه عنه ﷺ، فقد تقدم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكور أولاً وإمداده بنقطة القلم، وأمّا إثابته ﷺ، فقد ذكر المثل لها بإهداء الخبزة للملك المذكور والسلام ا هـ. من إملائه رضي الله عنه.

(فائدة) في اعتبار كثرة الملائكة، وأنّهم أكثر جند الله وفي الحديث عنه ﷺ أنّه قال «أطت السماء، وحق لها أنْ تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجداً أو راكع» (وروي) أنّ بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر، وهؤلاء كلهم عشر الطير وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر، وكل هؤلاء عشر ملائكة الأرض الموكلين، وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا، وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية، ثم على هذا الترتيب إلى السابعة، ثم الكل في مقابلة الكرسي نزر قليل، ثم هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف سرادق طول السرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السموات والأرض، وما بينها فإنّها تكون شيئاً يسيراً وقدراً صغيراً، وما من مقدار موضع قدم منها إلاّ وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس، ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحفون حول العرش كالقطرات في البحر، ولا يعلم عددهم إلاّ الله تعالى، وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين ومكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام، قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبّح بما سبّح به الآخر، ثم كل هؤلاء في ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل عليه السلام نزر قيل وقليل بين القائمتين من قوائم العرش خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام، وقيل في عظم العرش أنّ له ثلاثمائة وستة وستين قائمة قدر كل قائمة كالدنيا ستين ألف مرة وبين القائمتين ستون ألف صحراء في كل صحراء ستون ألف عام، وفوق العرش سبعون حجاباً في كل حجاب سبعون ألف عام وبين كل حجاب وحجاب سبعون ألف عام، وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام، وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرّقا بتشديد الراء والقاف فإنّ هؤلاء الملائكة كلهم يصلون عشراً على كل من صلى على النبي ﷺ مرة واحدة هكذا دائماً أبداً أكثر أو قلل هذا في غير صلاة الفاتح لما أغلق، وأمّا هي فإنّ من صلى بها مرة واحدة فكتب له بكل صلاة صدرت من كل ملك في العالم بستمائة ألف صلاة مع صلاة كل ملك عليه عشراً، فهذا

في عموم المؤمنين، وأمّا من خصّه الله من أهل محبته كمن منحه بقول دائرة الإحاطة فإنّ كل ملك يذكر معه بجميع ألسنته إذا ذكره سواه أكثر أو قلل، وهكذا دائماً وذكر كل لسان من الملك يضاعف على ذكر الآدمي بعشر مرات، انتهى من إملائه رضي الله عنه، وأرضاه ومتعنا برضاه.

(بلغت المقابلة على حضرة شيخنا، وسيدنا وقدوتنا أبي العباس سيدنا ومولانا أحمد بن محمد التجاني ٢٨ من شعبان سنة ١٢١٦ وذلك بمسجد الديوان من فاس صانها الله من كل بأس وصلى الله على سيدنا، ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً).

(قال مؤلفه وجامعه) أفقر العبيد إلى مولاه الغني الحميد علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي داراً ومنشأ التجاني طريقة المحمدي حقيقة كان الله له ولياً وبه حفياً هذا آخر ما تيسر لي جمعه من كلام سيدنا، وشيخنا أبي العباس التجاني رضي الله عنه خوف التفريط والتضييع وذلك أواسط ذي القعدة الحرام سنة أربعة عشر ومائتين وألف وسيدنا رضي الله عنه في قيد الحياة أبقى الله عمره بركة للعباد في جميع البلاد، وأفاض علينا من علومه وأسراره وفيوضاته وتجلياته وترقياته إلى الآباد، ولم أزل بحول الله وقوته ما يمليه علينا من العلوم والأسرار والفتوحات والأنوار ألحق كل مسألة بمحلها وبه الإمداد والإعانة والتوفيق إلى سواء الطريق، وقد ذهبت فيه والحمد لله مذهباً جميلاً وفصلت الكلام فيه تفصيلاً، ولم آل مع تفصيله في ترتيبه وتنقيحه قدر الإمكان، وتهذيبه وإيراد ما يتأكد إيراده، ويحسن مراده ومفاده، فجاء بحمد الله وافياً بالغرض المقصود آتيا بالحاضر الموجود حسن الصنيع ذا نمط بديع واضح المباني لائح المعاني جامعاً للأمهات تاركاً للأجنبيات سامياً في بابه ومسامياً لأضرابه، غير أنّه لم يوف بما هنالك من المآثر، ولم يأت على آخر تلك المفاخر وإذا ظهر فضل الله على أحدكم لم يستطع الحاسب له عداً، ولم يبلغ له غاية ولا حداً، فسواء المطول والمقصر والمطنب والمختصر، وقد بينت فيه تفسير ما يتأكد تفسيره، ويحسن تقريره وتحريزه مما يتوقف عليه فهم المعنى، ويحتاج إليه فيما يراد، ويعني ليحصل المقصود، والغرض المرصود فيما أريد من فهمه والانتفاع بعلمه كل ذلك مما استفدت معناه واستشففت مدلوله ومجراه، أو سألته عن حقيقة ذلك، فبين لي معناه من المؤلف فيه سيدنا، وشيخنا ومولانا، ومن تفضل علينا وأولانا قدوة الأنام وحجة الإسلام (أبو العباس أحمد بن محمد التجاني الحسني رضي الله عنه وعنا به، وأدامنا في حماه ونفعنا به) فهو الذي نبه وألهم وعلم وأفهم، وآوانا وأعطانا وبجميل فضله سترنا وغطانا، وكثيراً ما تستحضر كلام السادات لديه تجدني كأني عربي يستمع لعجمي اللسان لا يفقه مما لديه، فإذا سمعته من خطابه فتح الباب وزال عن فهم معناه الحجاب

فعدت أفهم كلامهم بكلامه، ومقامهم بمقامه فما نطق هنا في الحقيقة إلاّ لسانه، ولا ظهر فيما أبرزناه إلاّ أفضاله وإحسانه وما ألف فيه إلا منطق فيه هذا، ولم أودع هذا الكتاب، وما جمعت فيه من الأبواب خصوصاً بابي الدلالة والكلام اللذين هما من خلاصة المرام شيئاً من نفيس درر أسراره وغرر معارفه وأنواره، وإنّما جمعت من ذلك وأودعت هنالك ما أمكن ذهني التوصل إليه والتسور عليه، كما بينته فيما قدمته، وهناك ما لا يعلمه بالعقل الفاهمون، وما يعقله إلاّ العالمون الذين وجدوه فعلموه وسلكوه ففهموه، وفتح لهم فعرفوه، وكشف لهم فوصفوه فأتيت من ذلك بالواضح واليسير مما قاده إلى التيسير وأوصلته لكل متبرك وهو بعروة أهل الله متمسك، وأدليت متبركاً دلائي مع من أولاده من أخلائي، وهذا البحر العظيم الذي لا يدرك قعره، ولا يستنفد ياقوته ودرره بلغ الله فيه مناهم ومنائي وكمل فيه رجاءهم ورجائي. (وهذا آخر) ما قدر في هذا الوقت إبرامه وإنجازه وجرى بمشيئة الله إخراجه وإبرازه، من ذكر أخبار هذا السيد الكريم، والفيوضات والعلوم والأسرار والأحوال والأنوار التي تنبيء عن مجده العظيم الذي تكل الألسن عن استيفاء فضائله وتقصر الأقلام عن وصف محاسنه وشمائله، كيف وهو من حزب الله الذين هم الملأ الأعلى ووصف ما هم عليهم أعز من أنْ يظفر به وأغلا، فليكتف بهذا القدر المتبركون وليستغني به الناسكون والسالكون، فكفى به بركة ونوراً وانتهاجاً للمحبين وسروراً نفعنا الله به يوم لا ينفع مال ولا بنون ورحمنا به يوم تكثر الأهوال والفتون وساحمنا فيما صحبنا فيه من الحظوظ النفسية وخلصنا من رقّ الأغيار بجاه صاحب الأنوار إلى الحضرة القدسية، وجعلنا مع ذلك الرفيق وسلك بنا نهج هذا الطريق إنّه ولي التوفيق والحمد لله على ما أنعم به من الإلهام ومن به من الإكمال والإتمام مما جمعته في هذا الوقت من علوم هذا الإمام، نسأله سبحانه وتعالى أنْ لا يقطع عنا ما خولنا من إرفاده، وإنْ يسرمد علينا فيض مواهبه وإمداده وأنْ يختم علينا بذلك إلى يوم لقائه وأن يتفضل علينا بالإنابة إليه والانقطاع عما سواه، والجمع عليه، وأنْ يهب لنا توبة لا تغادر ذنبا ومغفرة لا تترك لوماً ولا عيباً، وأن يكرمنا بدوام رضاه، وتمام نعمته وأنْ يعمنا والأحبة وسائر المسلمين برحمته والصلاة والسلام على سيدنا، ومولانا محمد نبي الرحمة وشفيع الأمة، وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين وتابعيهم من المحبين صلاة وسلاماً يتعاقبان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، وكتب بيده الفانية العبد الجاني خديم حضرة التجاني الفقير إلى الله علي حرازم ابن العربي برادة المغربي الفاسي داراً ومنشأ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه، وكافة المسلمين آمين بتاريخ منتصف ذي القعدة الحرام سنة أربعة عشر ومائتين وألف وصلى الله على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.



الفهرس